JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة



ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

JASRNB

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد الثالث/العدد الحادي عشر ابريل 2021.

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel : 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير :

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير :

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب.

نائب رئيس التحرير التنفيذي

ب.د محمد سنوسي – قسم الدراسات الدولية (تخصص الدراسات الأفريقية) /جامعة الجزائر3

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبجير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د. ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)

- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.

- اللغة الفرنسية:

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- اللغة الإنجليزية:

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. أحمد دكار: دكتور في علم النفس بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فاس– المغرب.
- عيسى البوزيدي،أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. سعيد كمتي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.

- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أكلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- الدكتورة خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة (أ) بكلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:
ISSN 2569-734X
10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

-يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

عنوان جهة الباحث:

-الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

-تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

-أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

-تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

-ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

-نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو (Arial(corps

-حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس ، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

-حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 10عادي بالنسبة للملخص والهوامش. Times New Roman

-نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية Times New Roman ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال ، 10 عادي للملخص والهوامش.

-يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل، قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفـــهـــــرســـــت

الترتيب	العنوان	الصفحة
1	افتتاحية العدد د.العجان عبد الغاني	11
2	المرتكزات الاستراتيجية لتحقيق الأمن الغذائي في الجزائر. د/توفيق بن الشيخ، - د/الدراجي لعفيفي،	12
3	تأثير الأنشطة البشرية بالأحواض النهرية على الساحل: رشيد زيدون،	33
4	مقومات السياحة الجبلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي : حالة جماعتي بوبلان ورأس القصر محمد حق--،محمد شوقي	58
5	التنمية بمدينة حدالسوالم بين الدينامية الحضرية والفاعل الترابي عبد الواحد ايت الشاين-- عبد الرحمان الراجي،	70
6	استدامة التنمية السياحية في مناطق التراث العمراني الصحراوي من أدرار أملال بمصروالقصوربتونس إلى واحة تيوت بالجزائر د. ملوكة برورة-- د. منال بوعباس	95
7	أهمية توظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس مواد الاجتماعيات ذ. حاميد اعنيبر	118
8	التأخر التنموي والهجرة الخارجية بأرياف إقليم الدريوش (الريف الشرقي-المغرب) محمد الزاهر-- عماد فنجيرو	133
9	تأثير التغايرية المناخية على الموارد المائية بعيون واد سبو الأعلى (المغرب): خالد الشخامي -- وجواد خشاب	148
10	التخطيط العمراني ومسألة إدراج البعد البيئي بضاحيتي مدينتي فاس ومكناس – المغرب- خالد العلوي-- سعيد الصغير	168
11	الماء الصناعي بين الاستهلاك و الترشيد: دراسة حالة مدينة القنيطرة "المغرب" أكوتيم زكرياء-- هدى مدني	179
12	الحالة المورفولوجية و الإرسابية للمجال النهري بوادي سبو الأوسط، بين واد إناون وواد بوشابل (مقدمة الريف) يزمي زطايط محمد-- الطاوس عالي	198
13	العلاقات التجارية الليبية البريطانية من خلال الوثائق الأرشيفية1951-1969 أسمهان ميلود معاطي	223
14	في جذور العلاقات الجزائرية الإفريقية، دراسة لتطور العلاقات زمن الثورة التحريرية 1954. 1962 مقلاتي عبد الله.	254

15	التدبير الجماعي بين رهانات التنمية وإكراهات الو اقع خالد بقالي:	271
16	الواحات المغربية، تراث حضاري بأبعاد إنسانية. زكرياء نصرالدين ،	291
17	المؤهلات الطبيعية والتاريخية بالجماعات الترابية الساحلية جنوب مضيق جبل طارق: حالة جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز زكرياء بوشلوش-- إلياس أردة	302
18	دور الفاعلين المحليين في التحولات السوسيو مجالية بواحات باني المغربية: محمد ناسمي-- محمد الراضي	318
19	قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي في دولة مصر نموذجاً مروة عبد الظاهر السيد محمد الليثي	343
20	ضو ابط وحدود استعمالات خر ائط التوزيع الكمي للسكان عبد السلام ابن زاهر	351
21	الشخصية في التجربة الرو ائية لبنسالم حميش رو اية "مجنون الحكم" نموذجا محمد أبحير	367
22	الأساس المعرفي اللساني في تعليم اللغة عبد الله معروف	382
23	التنمية الترابية بالمنهاج والكتب المدرسية المغربية مادة الجغر افيا، السنة الأولى باكالوريا نموذجا فعرس عبد العزيز-- امبارك حيروش	406
24	التربية كمدخل للمحافظة على التراث المائي، الخطارات بواحة الجرف أنموذجا الحسين بلخيري -- عبد العزيز فعراس	431
25	نماذج مختارة لأنماط التعليم الإسلامي في أفريقيا قراءة في التاريخ الاجتماعي الطاهر حاج النور أحمد-- إبن عمر عمر عبيدالله	452
26	المغرب :حوض لا ينضب من الهجرة (باللغة الفرنسية) امحمد لزعر	467
27	الأدب التجريبي للذكاء الترابي من أجل التنمية المستدامة لمدينة سلا (باللغة الإنجليزية) Dr OUAZIZ ALI	489
28	التغيرات المناخية و انعكاساتها في منطقة الغرب، بالمغرب.(باللغة الفرنسية) Ajlal Sanae, -- Agoutime Zakaria,	509
29	L'éducation psychomotrice : une pratique à développer pour un préscolaire de qualité EL KHALFI NADIA	528

افتتاحية العدد

ينهض هذا العدد من "مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل" على جملة من الأبحاث والمقالات بصبغة محلية وإقليمية عربية وإفريقية، وبثلاث لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية. فمن قضايا التنمية والأمن الغذائي، إلى التنمية السياحة والهجرة الداخلية والخارجية وأبعادهما الاجتماعية. ومن العلاقات التجارية والتنموية الإفريقية الخارجية، إلى التحولات المجالية والمناخية، والتدبير الجماعي الترابي والإداري لكسب رهان التنمية الشاملة، والنهوض بالمدن الذكية المستدامة القادرة على تحسين نوعية الخدمات المقدمة للساكنة. ومن التخطيط العمراني والعلاقةِ بالبعد البيئي، إلى المحيط الاجتماعي بأبعاده التراثية والحضارية والرمزية والإنسانية، ومن المؤهلات الفلاحية والطبيعية والتاريخية بالجماعات الترابية، إلى قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي، وكذا أدوار النشاط البشري والفاعلين المحليين والإقليميين في التحولات السوسيو مجالية والاقتصادية.

ولعلمنا جميعا أن التنمية الشاملة ليس في مقدورها أن تتحقق بعيدا عن رافعات الثقافة والفكر والعلم والمعرفة والتربية والتكوين بمختلف صورها وأبوابها، يتفاعل هذا العدد مع حيز النقاش الذي تعرفه الساحة الثقافية والمعرفية والتربوية سواء ما تعلق منها بمحتوى هذه القضايا في صورها الأدبية والفنية كأبعاد الشخصية في السياق الروائي ، أو ما كان تخصصا يتصل بقضايا التربية والتكوين والديداكتيك والبيداغوجيا كالتنمية الترابية والصلة بالمناهج الدراسية، والتربية النفسية الحركية، وتعليم اللغة في صلتها بالمداخل المعرفية اللسانية، فضلا عن التربية والمحافظة على التراث المائي، وكذا أنماط التعليم الإسلامي في إفريقيا، فضلا عن التكنولوجيات التربوية الحديثة وتدريس مادة الاجتماعيات.

ولئن زخر هذا العدد من المجلة بباقة من المقالات المتنوعة في التنمية والجغرافيا والاقتصاد والتدبير والتربية، فقد راوح الباحثون فيها أعمالهم بين التنظير والتطبيق، واعتبارا لهذا المنحى المنهجي ألجا الباحثون دراساتهم إلى استراتيجيات العينة والنمذجة، ضمن وضعيات مجالية أو جغرافية، أو معرفية أو أدبية أو تربوية محددة. وإذْ حاولتْ هذه الدراسات الجادة إعادة طرح أسئلة التنمية في أبعادها المفتوحة، نرجو أن يجد القراء والباحثون وصناع القرار الحكمة العلمية فيها، كما نأمل أن يلبي هذا العدد الغني الاحتياجات الملحة للباحثين والطلاب، ومراكز البحث في التنمية والجغرافيا والسياسات التنموية والسوسيومجالية والمعرفية والثقافية والبيداغوجية، وسنواصل في أعدادنا القادمة – إن شاء الله- استقبال الدراسات والأبحاث العلمية الكفيلة بتعميق النظر في هذه القضايا وغيرها من زواياها العديدة، شاكرين الجهود التي بُذلت لتظهر هذه المجلة بالصورة التي عليها.

د. عبد الغاني العجان

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة/المغرب.

المرتكزات الاستراتيجية لتحقيق الأمن الغذائي في الجزائر.

Strategic axes to achieve food security in Algeria.

د/توفيق بن الشيخ، أستاذ محاضر أ، الجزائر.
Bencheikh.toufik@univ-guelma.dz

د/الدراجي لعفيفي، أستاذ محاضر أ، الجزائر
lafifi.derradji@univ-guelma.dz

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الإمكانيات التي يتمتع بها القطاع ألفلاحي الجزائري. والتي تؤهله أن يكون أحد البدائل التنموية القادر على تحقيق التنمية المستدامة من جهة، وتحقيق الأمن الغذائي من جهة أخرى، إذا ما وضعت استراتيجية حقيقية كفيلة بتطويره وتنميته. والمتمثلة أساسا في تنمية الأراضي الفلاحية، تنمية الموارد المائية وترشيد استخدامها، زيادة الاستثمار الفلاحي، التطوير التقني للفلاحة تنمية المواد البشري، النهوض بالصناعات الغذائية، التسويق الفلاحي وتطوير التمويل والائتمان الفلاحي.

الكلمات المفتاحية: القطاع الفلاحي الجزائري، الأمن الغذائي، التنمية المستدامة، استراتيجية تطوير القطاع ألفلاحي.

Abstract :

This research aims to show the possibilities enjoyed by the Algerian agricultural sector. And that qualifies him to be able to achieve sustainable development and achieve food security, if a real strategy is developed for its development. These include agricultural land development, water resources and rationalization of their use, increased agricultural investment, technical development of agriculture, human resource development, and promotion of food industries, agricultural marketing and agricultural credit.

Key words: The Algerian agricultural sector, food security, sustainable development, the strategy of developing the agricultural sector.

المقدمة:

تعتبر قضية الأمن الغذائي من أهم القضايا التي يزداد الاهتمام بها يوما بعد يوم على جميع الأصعدة والمستويات، لما لها من أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية، نظرا لما يعرفه العالم من تغيرات أثرت على إمداد الغذاء. الشيء الذي أدى الى ارتفاع أسعاره وهو ما يجعل الحصول عليه أمرا في غاية الصعوبة ومحفوفا بالمخاطر.

والجزائر واحدة من الدول المعنية بقوة بقضية الأمن الغذائي، حيث تعتمد وتعول كثيرا على القطاع الفلاحي في توفير المنتجات الغذائية لسكانها لما يكتسبه هذا القطاع من أهمية في كسب رهان هذا التحدي. فالمتأمل في أوضاع القطاع الفلاحي في الجزائر يظهر له جليا حالة التخلف النسبي التي تميزه، وذلك بالرغم على ما يتوفر عليه من إمكانيات وموارد. حيث أن وضع التخلف الذي يسوده جعله عاجزا عن الوفاء بالاحتياجات الغذائية للسكان، وهو ما أدى الى بروز مشكلة الأمن الغذائي، وتزداد هذه المشكلة حدة وتعقيدا مع زيادة حاجة الجزائر الى استيراد نسبة كبيرة من احتياجاتها الغذائية وهو ما أدى الى ارتفاع فاتورة استيراد الغذاء إلى مستويات قياسية ومقلقة من جهة، وتراجع إيرادات الدولة جراء انخفاض أسعار المحروقات من جهة أخرى. وهو ما يخلق وضعا خطيرا وتحديا كبيرا ذا أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية، يجعل من المشكلة الغذائية تهديدا حقيقيا للأمن الوطني. على اعتبار أن انعدام الأمن الغذائي يعتبر من أهم مهددات الأمن والاستقرار على المستوى المحلي والإقليمي والدولي. هذه الوضعية تستدعي التفكير الجدي في كيفية تطوير القطاع وجعله في مستوى التطلعات والآمال المعقودة عليه من خلال اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وفعالية. وعلى ضوء ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

ماهي الاستراتيجيات الفلاحية التي يمكن أن تساهم في تحقيق الأمن الغذائي في الجزائر؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا أن نقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور وهي:

المحور الأول: موارد وإمكانيات الزراعة في الجزائر.

المحور الثاني: حالة الأمن الغذائي في الجزائر.

المحور الثالث: استراتيجية تطوير القطاع ألفلاحي لتحقيق الأمن الغذائي في الجزائر.

المحور الأول: موارد وإمكانيات الزراعة في الجزائر.

إن تطور أي قطاع اقتصادي مرهون بحجم الموارد التي يملكها، والقطاع ألفلاحي يحتل مكانة مهمة في الاقتصاد الجزائري من خلال توفير الاحتياجات الغذائية للسكان. وتتوفر الجزائر على موارد وإمكانيات زراعية هامة سواء طبيعية، بشرية، مالية أو تقنية.

أولا: الموارد الطبيعية: تبلغ المساحة الإجمالية للجزائر 2381741كم2 وهو ما يجعلها تتمتع بموارد زراعية هامة نستعرضها فيما يلي:

1- الأراضي الزراعية: تعتبر العنصر الأساسي لأي إنتاج زراعي، وعلى أساسها تتحدد نوعية وحجم الإنتاج الزراعي، وحسب إحصائيات سنة 2017فإن حوالي 43.771مليون هكتار (ONS, 2018, p33) مستغلة[1]، وهي مصنفة كما يلي:

1-1- الأراضي القابلة للزراعة: وتشمل الأراضي المستغلة وغير المستغلة والتي تدخل في نطاق الأراضي الممكن استصلاحها ويتم استخدام هذه الأراضي في إنتاج المحاصيل المستديمة والموسمية، والجدول التالي يوضح ذلك:

الجدول (01): توزيع الأراضي القابلة للزراعة في الجزائر لسنة 2017.

البيان	المساحة (هكتار)	%
المساحة الصالحة للزراعة (S.A.U)	8536468	19.50
مراعي	32798673	74.93
أراضي الاستغلال الفلاحية، غير منتجة.	2436614	5.57
المساحة الإجمالية المستغلة فلاحيا	43771755	100

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء، الجزائر بالأرقام، العدد 48، 2018، ص33.

2-1- الأراضي الصالحة للزراعة: وهي الأراضي المستغلة فعليا في الإنتاج الزراعي والمخصصة لمختلف المزروعات، كالحبوب والبقول أو الزراعة الصناعية والأراضي العشبية والزراعة المثمرة، حيث جاءت مساحتها على النحو التالي:

الجدول(02): توزيع الأراضي الصالحة للزراعة في الجزائر لسنة 2017.

البيان	المساحة (هكتار)	%
أراضي قابلة للحرث.	7470807	87.51
زراعات عشبية.	4561388	53.43
أراضي مستريحة	2909419	34.08
الزراعات الدائمة	1065661	12.49
الإجمالي	8536468	100

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء، الجزائر بالأرقام، العدد 48، 2018، ص33.

3-1-المساحة المحصولية: تتمثل المساحة المحصولية في مساحة الأراضي التي تزرع سنويا مضروبة في عدد المحاصيل التي تتعاقب زراعتها خلال نفس السنة، أي الاستعمال الكثيف للزراعة[2]. لكن الملاحظ أن أغلب الأراضي الزراعية في الجزائر تطبق الدورة الأحادية أي زراعة محصول واحد في السنة، ولذلك وجب عليها تطوير العمل الزراعي وزيادة عدد الدورات الزراعية وذلك عن طريق إتباع تقنيات حديثة تحافظ على نوعية التربة وتزيد في إنتاجية الأرض[3].

[1] - www.ons.dz, 2018, p33

[2]-غربي، فوزية،الزراعة الجزائرية بين الاكتفاء والتبعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2006 ص45.

[3] - خزار، بلال، السياسات الزراعية وآفاق تحقيق الأمن الغذائي في الجزائر، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة باتنة، 2013،ص47

2-الموارد المائية: يعتبر الماء أهم عنصر من عناصر الحياة، كما انه يعتبر من العناصر الأساسية التي تتحكم في الإنتاج الزراعي وتكثيف الزراعة، حيث أن تطور هذا القطاع وتنميته مرتبطان بحجم المياه المسخرة له، والتي تستغل في السقي وتوسيع المساحة المسقية. وتنقسم مصادر الموارد المائية في الجزائر إلى ثلاثة مصادر:

2-1-الموارد المائية المطرية: رغم اتساع مساحة الجزائر، إلا أن حوالي 87% من هذه المساحة توجد في المنطقة الصحراوية وهطول الأمطار فيها شبه منعدم، حيث أن كمية الأمطار المتساقطة سنويا تقدر[4] بـ: 100 مليارم3.

2-2- الموارد المائية السطحية: وتشمل المجاري المجمعة في شكل أنهار وأودية يزداد منسوبها نتيجة تساقط الأمطار والثلوج، والتي تغذيها ينابيع متجددة ، وأهمها وادي الشلف الكبير ، وادي سيبوس، الصومام و يسر. وتقدر الموارد المائية السطحية بـ 12.7 مليار م3 /السنة، موزعة جغرافيا على الشمال ب 11.9 مليار م3 ، وعلى الجنوب بـ 0.8 مليار م3. وتضم المياه السطحية في الجزائر 17 حوضا مائيا تقع ضمن ثلاث مجموعات:أحواض جبال الأطلس التلي، أحواض السهول العليا والأحواض الصحراوية.

2-3- الموارد المائية الجوفية:تقدرا لموارد الكلية من المياه الجوفية الممكن استغلالها في الجزائر بحوالي 7-مليار م3/ سنة وهي موزعة بشكل غير متوازن على النحو الآتي[5]:

2 مليار م3 في الشمال أي ما يعادل 8.57%، ويتم حاليا استغلال حوالي 90% من المياه الجوفية أي 1.8 مليار م3 و 75% من حجم هذه الموارد الجوفية تتمركز في الطبقات الجوفية الكبرى.

5 مليار م3 في الجنوب أي ما يعادل 71.43%، وهذه المياه عميقة جدا عن سطح الأرض حيث يصل عمقها إلى 2000 م ما عدا أدرار (200 إلى 300م). وتوجد في المنطقة الصحراوية طبقات مائية منها طبقتان تمتدان إلى التراب الليبي:

- الطبقة المائية الكريتاسي العلوي.- الطبقة المائية كابرو أورد وفيسيان.- الطبقة المائية الألبية.

2-4- حجم المياه المعبأة: لتلبية الاحتياجات الوطنية من المياه والتي بلغت سنة 2013 حوالي 6.756مليارم3سنويا[6]، قامت الجزائر بإتباع سياسة بناء السدود، حفر الآبار وإقامة الحواجز المائية وتجلية مياه البحر.

أ-السدود: ورثت الجزائر عن المستعمر 14 سدا سنة 1962 بطاقة تخزين أصلية قدرها 670 مليون م3 وطاقة تخزين فعلية قدرها 487 مليون م3، وفي الفترة 1962-1978 تم تنفيذ سبع سدود تسمح بتخزين 360 مليون م3 سنويا.

أما في ألخطة الخماسية الأولى (1980-1984) فقد تم انجاز 16 سدا تستوعب 1.2 مليار م3 كل سنة، وبهذا تصبح جملة المياه المخزنة في السدود 2.42 مليار م3/ سنويا. لتنتقل سنة 2000 إلى 44 سدا تشرف عليها الوكالة الوطنية للسدود (استغلال، صيانة ومراقبة). وحسب آخر التقديرات فإن عدد السدود الجزائرية سنة 2018يقدر بـ: 112 سدا منها 64سدا

[4] - www.ons.dz, 2018, p29.

[5] - فراح، رشيد، سياسة تسيير مياه الشرب في الجزائر، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2000، ص ص8-9.

[6] - www.ons.dz, 2018, p30.

تفوق سعته 10 مليون م3 بطاقة تخزين إجمالية تقدر[7] بـ: 6.753مليار م3.أما الباقي فهي سدود صغيرة تتراوح طاقتها التخزينية ما بين 1 مليون م3 إلى 10مليون م3 من المياه تشرف عليها مديريات الري الولائية.

ب-الحواجز المائية:هي أحواض مائية وتسمى أيضا بالبحيرات الجبلية قدرة التخزين فيها لا تفوق 1 مليون م3 وهي تستعمل أساسا للسقي وتروية المواشي كما أنها مكونة من حواجز ترابية وارتفاعها مابين 5 إلى 15 م.

لم تول السلطات العمومية سابقا للحواجز المائية أهمية كبيرة لأنها اعتبرت حواجز صغيرة غير هامة، وقد لوحظ هذا النموذج في منطقة القبائل الكبرى أو ما هو موجود من قبل العهد الاستعماري، وكان عددها سنة 1979 يقدر بـ: 44 حاجزا طاقة استيعابها تبلغ 21 مليون م3،وهي تقع في ولايات الشمال التي تكثر فيها هطول الأمطار، وفي سنة 1985 أنجز 667 حاجزا في أماكن عديدة في مدة سنتين بتشجيع وإعانة من الدولة، وقد أمكن استغلال 35 مليون م3من طاقتها البالغة 79 مليون م3، كما أنشئت 123 حاجزا جديدا في 1992 بلغت طاقتها الإجمالية 113 مليون م3، وفي سنة 2008 قدر عدد المماسك المستغلة بـ:400 حاجزا بسعة 44 مليون م3.

ج-الآبار: حسب عملية إحصاء الآبار التي قامت بها الوزارة الوصية سنة 1985 فقد قدرت بـ: 5500 بئر، وتم خلال الفترة 1990-1999 حفر أكثر من 200 بئر في شمال البلاد، والتي توفر 1 مليار م3 موزعة بين التزويد بالماء الصالح للشرب بنسبة 85%والسقي بنسبة 15%.أما في الجنوب فقد تم إنجاز 742 بئر وتسمح بتخزين حجم سنوي يقدر بـ: 221 مليون م3 للتزود بالماء الشروب و505 مليون م3 بالنسبة للسقي.وفي سنة 2013 أحصت مصالح وزارة الموارد المائية حوالي 147310 بئر وحوالي 66810 نقب موجهة خصيصا لسقي الأراضي الفلاحية[8].

د-تحلية مياه البحر: إن زيادة الموارد المائية، والبحث عن مصادر مائية جديدة لن يتأتى بزيادة مياه الأنهار والأمطار لأن هذه الموارد تعتمد على عوامل جغرافية عديدة لا يمكن التحكم فيها، لذا كان الاتجاه إلى تحلية مياه البحر يمثل حلا عمليا، خاصة وأن الجزائر تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط والذي يمتد إلى أزيد من 1200كم.حيث عمدت الجزائر ابتداء من 2001 إلى برمجة إنجاز 50 محطة لتحلية مياه البحر وتوريد المياه النقية وكان من إنجازات هذه العملية، إنشاء إحدى أكبر محطات تحلية مياه البحر في إفريقيا (محطة الحامة في العاصمة) وهي المحطة التي قدرت تكلفتها بـ 250 مليون دولار، وبقدرة انتاج إجمالية تقدر بـ 200000 م3/يوميا.

وسجل قطاع الموارد المائية للفترة (2014/2010) برنامجا لتحلية مياه البحر والذي يقضي بإنجاز 13 محطة وتهيأتها في المرحلة البعدية، من أجل تحقيق 26.2 مليون م3 يوميا.

---

[7] - www.ons.dz, 2018, pp31-32.

[8] - MINISTERE DES RESSOURCES EN EAU, note de synthèse sur l'hydraulique agricole. Alger, 2013.P4.

هـ-معالجة المياه المستعملة: منذ السبعينات، حرصت السلطات العمومية على حماية الموارد المائية ضد التلوث، ولهذا الغرض أنجزت العديد من محطات التطهير، أولا في إطار البرامج المحلية ثم في إطار برامج قطاعية مركزية وغير مركزية[9]، وأنجزت حتى سنة 2011 حوالي 138 محطة بطاقة إجمالية تقدر بـ: 1.918 مليار م3 /اليوم وبطاقة تصفية حقيقية تقدر بـ: 0.781 مليار م3/اليوم،[10] وتقع هذه المحطات على مستوى الأحواض التلية حيث تتمركز أهم الموارد المائية السطحية وأنجزت بغرض التحسن الملموس للنظافة العمومية وحماية الموارد المائية.

3- الغطاء النباتي: تتميز الجزائر باتساع رقعتها وتحتوي على عدة جبال ووديان، مما أدى إلى تكوين بيئات متنوعة، ويعتبر هذا التنوع كنزا نتيجة لما ينتج عنه من تنوع حيوي وقدرات هائلة على إنتاج أنواع شتى من المنتجات الزراعية.

وتقسم البيئة النباتية في الجزائر إلى: البيئة المتوسطية، البيئة السهبية والبيئة الصحراوية، وكل بيئة تتميز بأنواع مختلفة من الأشجار والنباتات الخاصة بها. حيث تسود الغابات الكثيفة والدائمة الخضرة في الشمال، ونبات الحلفاء في المناطق السهبية، وأشجار النخيل في الواحات.

وقد بلغت مساحة الغابات سنة 2015حوالي 4.082مليون هكتار[11] . وهو ما يمثل1.75%من المساحة الإجمالية.

ولكن تتعرض الغابات إلى الانتهاكات كالإزالة والاستغلال التجاري، التحطيب، الحرائق والأمراض، كما تتعرض النباتات السهبية إلى الرعي الجائر، والحرث العشوائي، وهو ما ساهم في إنحسار الغابات والنباتات السهبية، مما أدى إلى تراجع خصائصها من حيث النوعية والإنتاج.

4- الثروة الحيوانية: تعتبر الثروة الحيوانية أهم مصادر الإنتاج الفلاحي، إذ تعتبر عنصرا أساسيا لنمو جسم الإنسان ومصدرا مهما لتزويده بالطاقة اللازمة، كما توفر المواد الأولية للعديد من الصناعات وله أهمية اقتصادية باعتباره مجال من مجالات الاستثمار الفلاحي، حيث يتميز بنوع من الاستقرار في الإيرادات على خلاف الإنتاج النباتي، ولهذا هناك اهتمام كبير بتربية الحيوانات وتطويرها ضمن أهداف المخططات التنموية وهذا بإنشاء الحظائر وتزويدها بالمستلزمات الضرورية، وتتميز الثروة الحيوانية في الجزائر بالتنوع من أغنام، أبقار، ماعز، خيول وإبل، وعرفت هذه الثروة تطورا ملحوظا، حيث بلغت سنة 2015حوالي 36.822مليون رأس[12].

5-الموارد البشرية: يمثل العنصر البشري المحرك الأساسي لأي قطاع إنتاجي عموما والقطاع الزراعي خصوصا، فهو العنصر الذي بإمكانه تحقيق الشروط الملائمة لاستغلال الموارد الطبيعية والاستغلال الأمثل للإمكانيات المتوفرة، خاصة إذا كان هذا العنصر البشري يمتلك المؤهلات والقدرات التي تمكنه من المساهمة في زيادة الإنتاج الزراعي إلى ما هو مطلوب. والجزائر

---

[9] - تي،أحمد، ورحال، نصر، إدارة الطلب على المياه كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة-دراسة حالة تجارب بعض الدول العربية-، الملتقى الدولي: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، جامعة سطيف، أفريل 2008.ص6.

[10] -www.ons.dz, 2013, P34.

[11] - www.ons.dz, 2018, P33.

[12] - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصائيات الزراعية، المجلد 36، الخرطوم،2016. ص ص88-93.

تعد من الدول التي تعتمد أساسا في الإنتاج الزراعي على العنصر البشري نظرا لأن معظم العمليات الزراعية مازالت تنجز يدويا، وذلك يعود لقلة المعدات اللازمة أو تعذر مكننة بعض العمليات، مما أنجر عنه وجود عدد كبير من العنصر البشري في هذا القطاع، ولأجل التعرف أكثر على الموارد البشرية في القطاع الزراعي ينبغي أن نتعرف على: حجم القوة العاملة في الزراعة، وحجم القوة العاملة المؤهلة ومستوى تأطيرها.

فغداة الاستقلال ونظرا للظروف التي كان يعيشها ويتميز بها الاقتصاد الوطني آنذاك قدر حجم قوة العمل الزراعية سنة 1969 بحوالي 1.540 مليون عامل بين دائم ومؤقت وهي تمثل نسبة 50 %من مجموع السكان العاملين، ثم بدأ هذا العدد في الانخفاض حيث بلغ سنة 1990 حوالي 0.907 مليون عامل[13]. وهو ما يمثل نسبة 20.10%من عدد العمالة الكلية وهذا نظرا للمشاكل التي كان يتخبط فيها الاقتصاد الوطني وبداية تخلي الدولة جزئيا عن هذا القطاع. لكن بتطبيق المخطط الوطني للتنمية الفلاحية والريفية خريف سنة 2000 عرف القوة العاملة تطورا ملحوظا لتسجل سنة 2006 حوالي 1.609 مليون عامل لكنها انخفضت الى حوالي 0.917 مليون عامل سنة2015 [14] وهو ما يمثل 08.65% من حجم العمالة الكلية.

6-الدعم المالي والإمكانيات التقنية.

6-1-الدعم المالي: إن تقدم القطاعات الاقتصادية مرهون بوجود رؤوس أموال، المخصصة لتسييرها وفيما يتعلق بالقطاع فإن الدولة أولت عناية خاصة به من خلال تخصيص أغلفة مالية هامة لتغطية احتياجاته المالية، حيث استفاد القطاع في إطار قانون المالية لسنة 2011 من حوالي 29691.32مليار سنتيم وهو ما يعادل 6.92 %من ميزانية الدولة، بعد ما كانت ميزانية القطاع سنة 2009 حوالي 8023.129 مليار سنتيم (جريدة النهار،2011/06/05). حين بلغ معدل الارتفاع بين سنتي 2009 و2011 حوالي270.41%.

الجدول (03): تطور قيمة القروض الفلاحية في الجزائر حسب النوع للفترة 1998-2015.

الوحدة: مليون دولار

السنة	حجم القروض الفلاحية
2002-1998	251.11
2005	1018.77
2010	2293.00
2011	71.43
2012	111.33
2013	225.82

[13] - الديوان الوطني للإحصاء، 2012، ص54.

[14] - www.ons.dz, 2016, P12.

2014	538.49
2015	453.82

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصائيات الزراعية، أعداد مختلفة.

6-2-الإمكانيات التقنية: تعد المكننة الزراعية من العوامل الرئيسية التي أدت إلى التوسع العمودي للإنتاج وإحداث ثورة زراعية خاصة في أمريكا الشمالية وأوروبا، إلا أن دول العالم الثالث لا تزال تعتمد على إمكانيات التوسع الأفقي باستعمال أكبر مساحة من الأراضي، رغم أن إحلال الآلة محل الإنسان والحيوان يؤدي إلى زيادة إنتاجية الأرض.

والجزائر ومنذ الاستقلال تسعى جاهدة إلى مكننة القطاع الزراعي، ولم يتحقق لها ذلك إلا ابتداء من المخطط الرباعي الأول الذي عرفت فيه الاعتمادات المالية المخصصة للعتاد الفلاحي نموا متواصلا سمح بتطوير حظيرة العتاد الفلاحي، إلا أنه يقابل هذا التطور الحالة الوظيفية للعتاد ومعدل النمو. وكذا التوزيع القطاعي له، والعلاقة التقنية بين أنواع العتاد خاصة بعد إصلاح سنة 1987، حيث تم تقسيم العتاد الفلاحي على المستثمرات الفلاحية.ولكن بعد صدور القانون رقم 12/89 المؤرخ في 1989/07/05 المتضمن رفع الدعم عن أسعار عوامل الإنتاج الزراعي لوحظ ارتفاع كبير في أسعار العتاد الفلاحي ما قلص من عدد المعدات المستخدمة خاصة الجرارات والحاصدات والتي تأتي في مقدمة العتاد الفلاحي وتدهور حالتها التقنية نظرا لارتفاع أسعار قطع الغيار، مما صعب من تكلفة تجديدها.لكن وبعد تحسن الحالة المالية للجزائر وبفعل سياسة الدعم المطبقة في هذا المجال من خلال تقديم قروض لاقتناء العتاد الفلاحي، لوحظ تحسن ملحوظ في عدد الجرارات والحاصدات محل الخدمة وهو ما يبينه الجدول الموالي:

الجدول (04): تطور عدد الجرارات والحاصدات في الجزائر للفترة 1999-2015.

السنة	عدد الجرارات	عدد الحاصدات
1999	94259	8859
2005	100128	12346
2010	107456	13146
2011	100847	9443
2012	102055	9521
2013	103635	9619
2014	105789	9713
2015	108551	9785

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على:-المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصائيات الزراعية، أعداد مختلفة.

.7-التكوين والبحث والإرشاد الفلاحي: يعتبر التكوين، البحث والإرشاد الفلاحي من العوامل الضرورية، لرفع الإنتاجية عن طريق الاستعمال الكفء لوسائل الإنتاج، وكذا تطبيق التقنيات الحديثة في المجال الفلاحي وذلك بالقيام ببحوث ميدانية على كل المستويات (الأمراض التي تصيب النباتات والحيوانات، تحسين خصوبة التربة، وطرق الري، وغيرها).

ولتحقيق هذه الأهداف قامت الدولة بتوفير مجموعة من الإمكانيات والوسائل تتمثل فيمايلي[15]:

- ثلاثة عشر مركزا لتكوين الأعوان التقنيين والعمال المختصين؛
- إحدى عشر معهدا متوسطا لتكوين التقنيين؛
- ثمانية معاهد لتكوين التقنيين السامين، أربعة منهم في الصحة الحيوانية وأربعة في الفلاحة؛
- ثمانية عشر معهدا لتكوين المهندسين والبياطرة، منهم إحدى عشر معهدا لتكوين المهندسين الفلاحين.

ولإعطاء نجاعة لعملية البحث الزراعي تم إنشاء 31 مخبر من الحجم المتوسط و68 محطة للبحث والتجارب، تتمركز أغلبها في المناطق الشمالية، بالإضافة تكوين مجموعة من الأساتذة والطلبة الباحثين.

أما فيما يخص الإرشاد الفلاحي فقد خصصت وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، 240 ألف دولار لإنجاح مشروع تطوير وتحديث نظم الاتصال والإرشاد الفلاحي بالشراكة مع منظمة الزراعة والتغذية، بغية تجديد الهياكل المكلفة بالإرشاد وتحسين القدرات البشرية، من خلال التدريب والدعم التقني إلى جانب عصرنة آليات الاتصال، استجابة إلى المتطلبات المتزايدة للفلاحين في عملية إدماج الابتكار التقني والتنظيمي والتسيير لمختلف الأنظمة الإنتاجية[16].

المحور الثاني: حالة الأمن الغذائي في الجزائر.

تعاني الجزائر ومنذ مدة من أزمة غذائية متعددة الجوانب، وهو ما تبرزه بوضوح التبعية نحو الخارج في توفير الغذاء، وهذا راجع إلى تدني وتذبذب الإنتاج الفلاحي من جهة، وتزايد الطلب على الغذاء بسبب زيادة السكان من جهة أخرى. وربما أسوأ مرحلة عرفتها الجزائر في مجال الغذاء هي فترة الثمانينات وتسعينات القرن الماضي والتي تزامنت مع الأزمة الأمنية التي عرفتها البلاد، مما حتم اللجوء إلى المؤسسات المالية الدولية وتطبيق إصلاحات عميقة قاسية أثرت بشكل مباشر على الأوضاع الغذائية لمجمل السكان، حيث زادت نسبة عدد السكان ناقصي الغذاء وسوء التغذية. لكن ورغم تحسن الظروف الاقتصادية والمالية والجهود المبذولة من طرف الدولة لأجل التخفيف من شدة الأزمة الغذائية إلا أن درجة التبعية الغذائية للخارج تبقى مرتفعة مما يمثل قلقا وتهديدا دائمين.

[15] - غردي، محمد، القطاع الزراعي وإشكالية الدعم والاستثمار في ظل الانضمام الى المنظمة العالمية للتجارة، أطروحة دكتوراه، غم، الجزائر، 2012.ص 39.

[16] - جريدة الفجر، 2012/03/27 ص11.

1-تطور الواردات الغذائية: إن الدور الذي أوكل للزراعة من خلال استراتيجية التنمية هو ضمان تغطية الاحتياجات الغذائية للسكان عن طريق الإنتاج الوطني، ومع مرور الزمن تم التأكد من أن هذا الدور صعب المنال، وهو ما دفع بالدولة إلى اللجوء للاستيراد لتلبية احتياجات السكان المتزايدة من الغذاء سنة بعد أخرى[17]. وكان نتيجة ذلك أن عرفت واردات المنتجات الغذائية تطورا كبيرا ومستمرا من حيث الكمية والقيمة، كما عرفت تغيرات هيكلية كبيرة.

فبالإضافة إلى زيادة الكميات المستوردة منها توسعت دائرة الاستيراد، وأصبحت معظم واردات المواد الغذائية في الوقت الحالي تعتبر من المواد الاستراتيجية التي لا يمكن الاستغناء عن استهلاكها[18]. والجدول الموالي يبين ذلك.

جدول (3): تطور الواردات الغذائية للجزائر خلال الفترة (1970-2018).

السنوات	الواردات الغذائية (مليون دج)	نسبة الواردات الغذائية إلى إجمالي الواردات %
متوسط 1970-1979	3134.8	11.31
متوسط 1980-1989	9531.4	19.67
متوسط 1990-1999	94368.14	25.95
2000	167013.1	24.19
2001	169992.2	22.22
2002	204480.6	21.36
2003	203072.3	19.38
2004	245329.7	18.66
2005	243101.0	16.27
2006	251311.0	16.12
2007	314009.1	16.38
2008	646487.7	18.06
2009	391287.8	13.70
2010	392523.9	13.03
2011	709561.2	20.61
2012	629707.6	17.90
2013	760514.7	17.40

[17] - محمد لمين، دور الموازنة العامة في التنمية الفلاحية كبديل اقتصادي خارج المحروقات-ولاية تيارت-، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2012.ص33.

[18] - بن ناصر،عيسى، مشكلة انتاج الغذاء في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية، غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2002، ص11.

2014	886659.4	18.82
2015	935771.2	18.00
2016	900193.1	17.50
2017	936428.2	18.33
2018	999.888.7	18.50

المصدر: -الديوان الوطني للإحصاء، التجارة الخارجية للجزائر 1963-2011، ص ص 2-5.

- ONS, collections statistiques, n 214, Alger, 2019, p15

من بيانات الجدول يتضح أن:

-نسبة الواردات الغذائية إلى إجمالي الواردات أخذت منحا تصاعديا منذ السبعينات كما سبق الإشارة إليه، حيث استمر هذا الارتفاع ليصل إلى أعلى نقطة في فترة التسعينات، حيث سجل متوسط إجمالي الواردات الغذائية ما مقداره: 94368.14 مليون دج، وهو ما يمثل 25.95% من إجمالي الواردات وهذا نتيجة للظروف التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة، أين شهدت الجزائر اضطرابات أمنية وسياسية وإصلاحات اقتصادية قاسية مفروضة من طرف المؤسسات المالية الدولية، وهو ما أثر على الإنتاج الوطني بشكل عام والإنتاج ألفلاحي بشكل خاص، من خلال ارتفاع تكاليف الإنتاج، بالإضافة إلى الجفاف الذي ميز تلك الفترة.

-لكن ومنذ سنة 2000 اتجهت نسبة الواردات الغذائية إلى إجمالي الواردات نحو الانخفاض –لكنها تبقى مرتفعة وتشكل عبئا على الاقتصاد الوطني- لتصل نسبة 2010 إلى 13.03% وهذا بفعل تحسن الإنتاج الوطني خاصة القمح بنوعيه.لكن نلاحظ أن سنة 2011 عرفت ارتفاع قيمة الواردات الغذائية ارتفاعا ملحوظا لتسجل سنة 2018 ما قيمته999888.7مليون دج، ويعود هذا الارتفاع إلى ارتفاع قيمة واردات القمح والشعير –بسبب انخفاض الإنتاج-، والسكر والحليب والتي عرفت أسعارها ارتفاعا كبيرا في الأسواق الدولية.

2-الصادرات الغذائية في الجزائر: تعتبر الصادرات الغذائية من أهم السبل لتقليص حجم الواردات الغذائية، لكن الجزائر تعتبر من أضعف الدول في تصدير المواد الغذائية، حيث أن دور الصادرات الزراعية ضعيف ويتجلى ذلك من خلال نسبة تغطية الواردات الزراعية بالصادرات الزراعية متدني ولا يتعدى في أحسن الأحوال 1.8% وضعف الصادرات الزراعية بما فيها الغذائية لم يكن وليد الفترة الأخيرة وإنما ظهر جليا خلال عقدي السبعينات والثمانينات بسبب عدم منح المكانة المناسبة للفلاحة في استراتيجية التنمية في الجزائر[19].

[19] - بن ناصر، عيسى، المرجع السابق ص 45.

الجدول (4): تطور قيمة الصادرات الغذائية في الجزائر للفترة 1990-2018.

الوحدة: مليون دج

السنة	قيمة الصادرات الغذائية	نسبة قيمة الصادرات الغذائية إلى إجمالي الصادرات (%)
1999-1990	1873.18	0.40
2000	2651.5	0.16
2001	2220.5	0.15
2002	3332.5	0.22
2003	3559.6	0.19
2004	5294.6	0.22
2005	5027.7	0.15
2006	6168.0	0.15
2007	6413.2	0.15
2008	7457.9	0.15
2009	8464.8	0.25
2010	24006.9	0.55
2011	26045.3	0.48
2012	24438.3	0.40
2013	31921.0	0.60
2014	26053.5	0.53
2015	23585.5	0.66
2016	35843.8	1.09
2017	35843.8	0.98
2018	43585.3	0.89

المصدر:-الديوان الوطني للإحصاء، حوصلة إحصائية، 1962-2011، الفصل 10، التجارة الخارجية، ص ص 173-175.

- ONS, collections statistiques, n 214, Alger, 2019, p62

من بيانات الجدول نلاحظ أن:

- ارتفاع متوسط قيمة الصادرات الغذائية من 1873.18 مليون دج خلال 1990-1999 إلى 29067مليون دج خلال الفترة 2000-2018 وهذا بفعل الإجراءات التحفيزية المتخذة من طرف الدولة في إطار تشجيع الصادرات خارج المحروقات نتيجة تراجع الإيرادات النفطية، بالإضافة إلى الطلب الخارجي المتزايد على المنتجات الغذائية الجزائرية.

لكن بالمقابل نلاحظ انخفاض الأهمية النسبية لقيمة الصادرات الغذائية إلى إجمالي الصادرات حيث لم تتجاوز1.09%خلال الفترة 1990-2018 وهي قيمة متدنية جدا ومرد ذلك يعود الى ضعف وتذبذب الإنتاج الفلاحي من جهة وعدم تحقيق الفعالية على مستوى إعادة هيكلة الصادرات الجزائرية وتنويعها من جهة أخرى.

3-تحليل الفجوة الغذائية في الجزائر: إن المتتبع لتطور كل من الإنتاج والواردات والصادرات من المنتجات الزراعية والغذائية يلاحظ درجة التبعية الغذائية الكبيرة للخارج. حيث أصبحت الجزائر دولة مستوردة بامتياز نتيجة لعدم قدرة الإنتاج المحلي على تغطية الاحتياجات الغذائية الوطنية. والجدول ادناه يوضح ذلك:

من بيانات الجدول أدناه نستنتج ما يلي :

-عرفت نسبة التبعية المعبر عنها بالفجوة للحبوب تذبذبا واضحا خلال الفترة 1998-2015مسجلة سنة 2008 أعلى نسبة خلال فترة الدراسة بـ:83.98%، وهذا نتيجة لانخفاض الإنتاج حيث بلغ في نفس السنة حوالي 15.357 مليون قنطار فقط جراء ضعف كمية الأمطار المتساقطة على اعتبار أن نسبة كبيرة من مساحات زراعة الحبوب تعتمد على ما تجود به السماء من أمطار. وعلى العموم تبقى نسبة التبعية بالنسبة للحبوب مرتفعة جدا -حيث لم تنخفض عن 60% أبدا وهذا في سنة 2009 التي تعتبر أحسن سنة من حيث إنتاج الحبوب حيث بلغ حوالي52.532 مليون قنطار-وهذا راجع إلى انخفاض وتذبذب الإنتاج من جهة وارتفاع الاستهلاك والميل نحو مشتقات الحبوب ذات معدل الاستخراج المنخفض من جهة أخرى. ونفس الأمر يقال عن القمح، والذي يحتل المرتبة الأولى سواء في إنتاج الحبوب أو وارداتها، حيث نسبة التبعية (الفجوة) ظلت محصورة بين 59.38% و83.22%، وهي نسب مقلقلة للغاية.

-أما بالنسبة للبقول الجافة فهي لم تخرج عن المألوف، حيث ارتفعت نسبة التبعية خلال الفترة 2003-2015 مقارنة بالفترة 1998-.2002 حيث ارتفعتكمية الفجوة مسجلة ما مقداره 1.820 مليون قنطار كمتوسط بعدما كانت 1.441 مليون قنطار خلال الفترة 2002/1998. وهذا نتيجة لثبات نسبي في الإنتاج مع زيادة معتبرة في الاستهلاك نتيجة للنمو الديمغرافي من جهة وتحرير السوق على نطاق واسع من جهة أخرى.

-لكن الأمر يختلف بالنسبة لمحصول البطاطس حيث عرفت نسبة التبعية للخارج تراجعا ملحوظا –باستثناء سنة 2007- حيث سجلت خلال الفترة 2003-2015 نسبة 3.16% كمتوسط بعدما كانت 5.53% خلال الفترة 1998-2002، وهذا نتيجة لارتفاع متوسط الإنتاج، وإنتاجية البطاطس بفعل استخدام التقنيات الحديثة والبذور المحسنة والتحكم في المسار التقني لهذا النوع من المحاصيل.

الجدول (5): تطور الفجوة لبعض المنتجات الغذائية في الجزائر للفترة (1998-2015)الوحدة: (%)

السنة	الحبوب	الفمح	البطاط	البقوليات	الخضر	الفواكه	الزيوت	اللحوم	الاسماك	البيض	الألبان
2002-1998	63.51	65.21	5.53	73.02	0.12	11.55	81.10	19.12	12.99	11.03	54.81
2003	61.98	63.65	5.05	74.61	0.23	9.12	93.38	17.56	16.10	00.00	52.33
2004	63.60	65.21	5.53	73.02	0.22	11.55	92.20	19.12	12.59	1.07	54.81
2005	70.12	70.21	3.21	80.67	0.36	9.24	90.03	19.45	19.45	0.33	59.14
2006	64.39	64.18	4.06	79.61	0.74	7.93	92.92	16.85	7.13	0.01	58.18
2007	66.29	66.61	11.78	79.21	0.23	11.04	94.90	16.53	8.87	0.55	58.92
2008	83.98	83.22	3.07	82.31	0.28	9.30	93.79	13.29	9.60	0.09	57.36
2009	60.12	65.97	4.52	74.14	0.35	10.22	87.94	11.87	16.47	0.26	53.50
2010	63.52	63.18	3.32	74.01	0.30	9.35	93.91	10.08	14.49	0.20	48.94
2011	68.04	66.53	2.85	72.32	0.27	8.53	87.70	9.50	22.53	0.20	47.10
2012	65.8	64.9	03.6	77.7	0.4	11.4	92.0	10.6	20.4	0.01	48.4
2013	60.43	59.38	01.48	65.98	0.26	6.97	85.94	6.95	18.33	00	36.83
2014	78.35	75.18	2.66	67.62	0.20	10.03	99.80	09.87	30.16	0.05	49.08
2015	78.61	76.19	3.26	72.31	0.22	8.7	99.76	8.04	28.13	0.07	46.41

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصائيات الزراعية، أعداد مختلفة.

-أما فيما يخص الألبان ومنتجاتها، فالأمر يبقى مقلقا للغاية حيث أن أكثر من نصف احتياجاتها تغطي بالاستيراد، حيث بلغ متوسط معدل الفجوة لـ 2003-2015 حوالي 47.04% بعدما كان54.81% خلال الفترة 1998-2002.

-فيما يتعلق بالخضر فالجزائر تمكنت من تقليص حجم الفجوة بنسبة كبيرة من مختلف المنتجات الحيوية والضرورية المكونة لهذه المجموعة الغذائية، حيث بلغ متوسط نسبة الفجوة للفترة 1998-2015 حوالي 0.28% وهي نسبة مشجعة لكن بالإمكان تحقيق الأفضل.

-انخفاض التبعية بالنسبة للفواكه إلى 9.34% خلال الفترة 2003-2015 بعدما كان 11.55% خلال الفترة 1998-2002، وهذا الانخفاض كان نتيجة دخول البساتين الجديدة -المنشأة في إطار البرامج التنموية المطبقة في هذه الفترة – مرحلة الإنتاج ، كما يمكن أن تنخفض هذه النسبة أكثر بفعل الإجراءات المطبقة مؤخرا والتي تقضي بمنع استيراد الفواكه في مواسم الجني.

-انخفاض متوسط نسبة التبعية بالنسبة للحوم من 19.20% خلال الفترة 1998-2002 إلى 10.08%، خلال الفترة 2003-2015، ويعود سبب هذا الانخفاض بنسبة كبيرة إلى ارتفاع إنتاج اللحوم البيضاء من جهة حيث استطاعت الجزائر أن تخفض نسبة الفجوة في المجال إلى حوالي 0.14% سنة 2015ومن جهة أخرى تضييق الخناق على المهربين الذين يهربون المواشي الجزائرية إلى دول الجوار.

-ارتفاع نسبة التبعية للأسماك حيث ارتفع المتوسط من 12.99% للفترة 1998-2002 إلى 22.41% للفترة 2003-2015 مسجلة أعلى نسبة سنة 2014 بـ: 30.16%وهو ما يعبر عن الوضعية التي آل إليها قطاع الصيد البحري الجزائري.

-أما فيما يخص الزيوت والشحوم تعتبر الجزائر من الدول التي تعرف عجزا كبيرا في هذا المجال، حيث نسب الفجوة تتراوح ما بين 81.10%و99.80% للفترة(1998-2015) وهو ما يعبر عن التبعية الكبيرة للخارج في توفير هذه المواد.

-أما بخصوص البيض لا تعرف تبعية كبيرة، حيث بلغ متوسط الفجوة للفترة 1998-2015 حوالي 0.30%فقط.

4-تطور معدلات الاكتفاء الذاتي من السلع الغذائية الرئيسية في الجزائر:

من خلال ما سبق تتجلى حقيقة معدلات الاكتفاء الذاتي من السلع الغذائية خاصة التي تشكل النمط الغذائي للمستهلك الجزائري. حيث أدى التفاوت بين الإنتاج الفلاحي من جهة والطلب على السلع الغذائية الفلاحية من جهة أخرى إلى انخفاض معدلات الاكتفاء الذاتي لكثير من هذه المنتجات وهو ما يوضحه الجدول الموالي.

الجدول (6): معدلات الاكتفاء الذاتي لأهم المنتجات الغذائية في الجزائر للفترة (1998-2015)

الوحدة: (%)

البيان	2020-98	2003	2004	2006	2007	2008	2009	2010	2012	2013	2014	2015
الحبوب	36.49	38.02	36.40	35.61	33.71	16.02	39.88	36.48	34.2	39.6	21.65	21.39
القمح	34.79	36.35	34.79	35.82	33.39	16.78	34.03	36.82	35.1	40.7	24.72	23.81
البطاطس	94.47	94.95	94.47	95.94	88.22	96.93	95.48	96.68	96.4	98.5	97.44	96.74

البقوليات	26.98	25.39	26.98	21.39	20.79	17.69	26.86	25.99	32.3	34.0	32.78	27.69
الخضر	99.98	99.77	99.78	99.26	99.77	99.72	99.65	99.70	99.5	99.7	99.80	99.78
الفواكه	88.45	90.88	88.45	92.07	88.96	90.70	89.78	90.65	78.5	82.3	89.97	91.30
الزيوت	12.90	6.62	7.80	7.08	5.10	6.21	12.06	6.09	8.0	14.0	0.20	0.24
اللحوم	80.88	93.44	80.88	83.15	83.47	86.71	88.13	89.92	89.4	93.1	90.13	91.96
الاسماك	87.01	83.90	87.01	92.87	91.13	90.40	83.53	84.51	79.6	81.7	69.84	71.87
البيض	98.93	100	98.93	99.99	99.45	99.91	99.74	99.8	99.9	99.9	99.95	99.93
الألبان	45.19	47.67	45.19	41.88	41.08	42.64	46.5	51.06	51.6	63.0	50.92	53.59

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصائيات الزراعية، أعداد مختلفة.

من خلال الجدول يمكن تقسيم المجموعات السلعية ذات المنشأ الفلاحي حسب متوسط معدلات الاكتفاء الذاتي الى ثلاث مجموعات:

-المجموعة الأولى: سلع غذائية ذات معدلات اكتفاء منخفضة وتضم المنتجات الفلاحية التي يقل فيها معدل الاكتفاء الذاتي عن 50 %وتشمل كل من: الحبوب بـ: 30.06%، البقوليات بـ: 30.14%،والزيوت بـ: 6.21%.

-المجموعة الثانية: سلع غذائية ذات معدلات اكتفاء متوسطة وتدخل ضمن هذه الفئة مجموعات السلع الغذائية التي حققت معدلات اكتفاء ذاتي تتراوح مابين 50% و90% وتشمل كل من: جملة اللحوم بـ: 90.07%،الأسماك بـ: 77.93% وجملة الفواكه بـ: 86.46%والالبان ومنتجاتها بـ: 52.92%.

-المجموعة الثالثة: سلع غذائية ذات معدلات اكتفاء عالية وتضم المنتجات التي يزيد معدل الاكتفاء الذاتي فيها عن 95 %، وتندرج ضمنها كل من: جملة الخضر بـ: 99.70 %، البطاطس بـ: 96.84% والبيض بـ: 99.85%.

ومن خلال استعراض معدلات الاكتفاء الذاتي لأهم السلع الغذائية تبين أن النتائج المحققة تبقى غير كافية ولاتعكس حجم الامكانيات التي تتوفر عليها الجزائر ويبقى كسب معركة الأمن الغذائي بعيدا بمسافة كبيرة،إذ أن الجزائر لاتزال تعتبر منطقة عجز غذائي تعتمد على الاستيراد لسد العجز في تلبية المتطلبات الاستهلاكية من السلع الغذائية الرئيسية.

المحور الثالث: إستراتيجية تطوير القطاع ألفلاحي لتحقيق الأمن الغذائي في الجزائر.

إن إستراتيجية تحقيق الأمن الغذائي في الجزائر مرتبط ارتباطا وثيقا بتطوير القطاع الفلاحي، ورغم ضعف مساهمة القطاع الفلاحي في الاقتصاد الوطني نتيجة المشاكل والمعوقات التي يعاني منها، والتي أثرت على أدائه، إلا أنه مازال الأمل قائما في تفعيل دوره وتنميته وتطويره لتحقيق حالة الامن الغذائي في الجزائر. وذلك من خلال إتخاذ العديد من الاستراتيجية نذكر أهمها فيمايلي:

1-تنمية والحفاظ على الأراضي الفلاحية: تتعرض الأراضي القابلة للاستغلال بالرغم من محدوديتها الى عوامل التدهوروإنحسار القطاع النباتي الطبيعي فيها وزيادة تعرض التربة للإنجراف، بالإضافة الى الزحف العمراني والاستغلال الجائر مما يؤدي إلى تدهور صفات التربة وضعف قدرتها الانتاجية وفق التنوع الحيوي.

وعليه وجب الحفاظ وتنمية الأراضي الفلاحية من خلال التوسع الأفقي في البيئة الفلاحية الملائمة وذلك باستصلاح الأراضي خاصة في المناطق السهبية والصحراوية حيث الوفرة النسبية للموارد الأرضية القابلة للاستغلال الفلاحي، بالاضافة الى المحافظة على البيئة الفلاحية من خلال الاهتمام بالبحوث العلمية المتعلقة بمكافحة التصحر[20]، وتطبيق التشريعات التي تحد من الاستغلال غير الفلاحي للأراضي الفلاحية.

2-تنمية الموارد المائية وترشيد استخدامها: يعتبر الارتقاء بالكفاءة الاستخدامية للكميات المتاحة من المياه هو السبيل الأنجع لتنمية الموارد المائية في الوقت الراهن، وذلك من خلال ترشيد استخدامات مياه السقي والارتقاء بكفاءة عمليات السقي، وذلك من خلال تطوير إدارة الموارد المائية لرفع كفاءة شبكات التوزيع وتطوير أنظمة السقي السائدة، كما يمكن أن تساعد بعض القيود التنظيمية كتسعيرة المياه على ترشيد استخدامها والتحفيز على استخدام التقنيات الحديثة في السقي والموفرة للمياه كالسقي بالتقطير[21]. بالإضافة إلى حمايتها وصيانتها في مواجهة أوجه الفقد المختلفة سواء الفقد الكمي أو الفقد النوعي.

3-زيادة الاستثمار ألفلاحي: الاستثمار الفلاحي يعتبر الأداة الدافعة للتنمية الفلاحية. وتشكل زيادة الاستثمار الفلاحي ورفع كفاءته إحدى الأسس الهامة التي يجب الاعتماد عليها لتحقيق معدلات أعلى من النمو الاقتصادي والاجتماعي. فرفع حجم وكفاءة الاستثمار الفلاحي يؤدي بالتأكيد إلى زيادة الإنتاج الفلاحي[22]، حيث تبقى آفاق تنميته وترقيته كبيرة جدا نظرا للمؤهلات الطبيعية والبشرية التي يتوفر عليها القطاع وزيادة الاهتمام به[23]، وذلك من خلال:

- توفير مناخ استثماري ملائم ومستقر لجذب اهتمام القطاع الخاص للأنشطة التنموية الفلاحية؛
- إعداد خريطة للاستثمارات الفلاحية الواعدة؛
- إعداد وتنفيذ برامج الترويج لفرص الاستثمار وتقديم المساعدة في إعداد هذه الفرص اقتصاديا وفنيا؛
- تأمين مخاطر الاستثمار الفلاحي.

---

[20] - براق، محمد، وغربي، حمزة، التوجهات الرئيسية لإستراتيجية التنمية الزراعية المستدامة العربية للعقدين من 2005 الى 2025، الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، ورقلة، 2011.ص9.

[21] - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، إجتماع مسؤولي وخبرات بحوث ونقل التقانة الزراعية في الوطن العربي، الأردن، 2012.ص 216.

[22] - غربي، فوزية، الزراعة الجزائرية بين الاكتفاء والتبعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2006.ص302.

[23] - غردي، محمد، المرجع السابق.ص103.

4-التطوير والتحديث التقني للفلاحة: يعد عنصر تحديث التقنيات الفلاحية من العناصر المهمة للتنمية الفلاحية. كون أن الفلاحة في الجزائر تعتمد في جزء كبير منها على الطريقة التقليدية، وهذا ما جعلها تعاني من نقص شديد في الوسائل والمعدات الضرورية لمكننة القطاع. حيث لازمته هذه الظاهرة بشكل يكاد يكون مستمرا[24]. ويمكن تطوير وتحديث التقنيات الفلاحية من خلال:

-تدعيم مسارات التنمية الرأسية للإنتاج الفلاحي بتوفير متطلبات التطوير والتحديث لقطاعات الانتاج والتسويق والخدمات المساعدة لها؛

- دعم قدرات الفلاحين والمهنيين لتبني التقنيات الحديثة[25].

- دعم وتطوير نظم البحث والإرشاد الفلاحي، حيث أن أي استراتيجية تستهدف تحسين الفلاحة، لابد وأن تعطي أولوية كبرى لوضع البرامج المكثفة في مجال البحوث التطبيقية، في مجال الهندسة الوراثية، بيو تكنولوجيا النبات وعلوم التربة والأمراض النباتية. بالإضافة إلى تعزيز الإرشاد الفلاحي بالوسائل الضرورية والتقنيات الحديثة لضمان تعميم المعرفة والتكفل بالانشغالات الحقيقية للتنمية الفلاحية[26].

5-بناء القدرات وتنمية الموارد البشرية: يتم بناء القدرات وتنمية الموارد البشرية من خلال[27]:

- تصميم وتنفيذ برامج تدريبية متخصصة في المجالات المتعلقة بنقل التقنيات وتنظيم وإدارة القطاع الفلاحي؛

- الاهتمام ببناء الاطارات والموارد البشرية اللازمة لدفع مسارات التنمية الفلاحية على مختلف المستويات: فلاحون، مهنيون، باحثون وحتى واضعو السياسات ومتخذو القرارات؛

- النهوض بمستوى التعليم الفلاحي الجامعي والمهني، والتنسيق بين مخرجات التعليم واحتياجات القطاع؛

- توفير بيئة العمل المناسبة للارتقاء بالإنتاجية وتحقيق الاستقرار بالقطاع.

6-النهوض بالصناعات الغذائية: لا شك أن النهوض بالصناعات الغذائية له أثر مضاعف على العديد من القطاعات في مقدمتها القطاع الفلاحي، حيث يساهم في الارتقاء به وزيادة القيمة المضافة من المحاصيل الفلاحية وتقليل الفاقد منها، فضلا على أن الصناعات الغذائية بطبيعتها صناعات كثيفة العمالة، تساهم في خلق التخصص الانتاجي وزيادة الصادرات. إن الامكانيات الكامنة لقطاع الصناعات الغذائية هائلة، حيث أن ما يستخدم من المحاصيل الفلاحية في الصناعة ضئيل جدا ويقتصر على بعض المحاصيل فقط، بما يكشف عن الفرص المتاحة للتوسع في هذه الصناعات. إذ أنه ورغم أن مسؤولية وتنمية أنشطة وخدمات التصنيع الغذائي تقع على عاتق القطاع الخاص فإن تخطيط ووضع السياسات الدافعة

---

[24] - نور، محمد لمين، المرجع السابق.ص130.

[25] - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تقرير أوضاع الأمن الغذائي في الوطن العربي لعام 2009، الخرطوم، 2010، ص66.

[26] - غربي فوزية، المرجع السابق، ص303

[27] - براق،محمد، وغربي، حمزة، المرجع السايق ص10.

لتطوير هذه الأنشطة تقع بالضرورة على الدولة[28]. وذلك مما يستوجب معالجة مشاكل الفلاحين وأصحاب المؤسسات الصناعية في آن واحد، من خلال وضع آلية للتعاون والانسجام تكفل توجيه الانتاج وتأمين المنتجين وضمان استقرار مداخيلهم، الى جانب تزويدهم بإحصائيات ومعلومات عن احتياجات السوق من الخامات الفلاحية حتى لا يحدث تذبذب في توفيرها.

7-زيادة كفاءة التسويق الفلاحي: إتسمت السياسة الفلاحية في الجزائر بالتركيز على جوانب الإنتاج دون جوانب التسويق، ويشير ذلك إلى أن الجهود التي بذلت في مجال الانتاج لم ترافقها جهود ملائمة لتسويق هذا الانتاج. مما أدى ذلك إلى تقليص الأثر التنموي لما تم إنجازه من استثمارات في قطاع الانتاج. الشيء الذي جعل كفاءة تسويق المنتجات الفلاحية متدنية، بالنظر إلى ارتفاع تكلفة التسويق غير المبررة، انخفاض نصيب الفلاح من السعر النهائي لمنتجاته وارتفاع أسعار البيع للمستهلك وتذبذبها الحاد وغير المبرر. وهذا نتيجة لكون نظام التسويق الفلاحي ما زال يعاني من الكثير من النقائص، إذ لا تزال البنى التحتية تعاني من ضعف مكوناتها وتنظيمها وانتشارها وكفاءتها. الأمر الذي يدعو إلى ضرورة تحقيق التوازن فيما بين أنشطة تنمية الانتاج وتلك الخاصة بالأنشطة التسويقية[29].

8-تطوير التمويل والائتمان الفلاحي: تنبع أهمية التمويل والائتمان الفلاحي من أهمية القطاع الفلاحي، الى جانب ما يتسم به قطاع الفلاحة من موسمية الانتاج والدخل وطول فترة دوران رأس المال وضعف مدخرات الفلاحين واللا يقين وغيرها. حيث يلعب التمويل الفلاحي دورا هاما في النهوض بالقطاع وذلك من خلال مختلف التجارب الخاصة بهذا التمويل سواء منها الماضية أو الحالية. وتزداد أهميته أكثر بالنسبة للدول النامية منها الجزائر، إذ أصبح تطويره أكثر من ضرورة نظرا للمشاكل الكثيرة التي تعترضه وذلك من خلال:

- إعادة النظر في السياسة الائتمانية للبنوك من خلال اعطاء الأهمية أكثر للائتمان طويل الأجل والذي يعمل على إدخال الأنماط التقنية الأكثر حداثة حيز التطبيق، ورفع العراقيل البيروقراطية في عملية منح القروض؛
- تشجيع القطاع الخاص للاستثمار في قطاع التمويل الفلاحي؛
- الاهتمام بتمويل صغار الفلاحين من خلال القروض الميسرة ومساعدتهم على إنشاء بنك خاص بهم.

الخاتمة:

في ظل ما يشهده العالم من تغيرات أثرت على إمدادات الغذاء وبالتالي تعرض أسعاره الى الارتفاع وعدم الاستقرار، متأثرة بالعديد من العوامل سواء ما تعلق بجانب العرض (موسمية الانتاج والمعروض، طبيعة التركيب السوقي وتأثيره على معدلات المنافسة)، أو ما تعلق بجانب الطلب (التغيرات السكانية، الدخول الحقيقية للأفراد). وهو ما يؤثر سلبا على قدرة المستهلكين في الحصول على احتياجاتهم الغذائية.

[28] - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، المرجع السابق، 2010، ص70.

[29] - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، المرجع السابق، 2010، ص70.

والجزائر وتماشيا مع هذه الظروف والتغيرات وفي ظل الوضعية الغذائية المقلقة فهي مطالبة بالعمل أكثر على تطوير إنتاج وتجارة المنتجات الغذائية الزراعية لزيادة قدراتها على توفير الغذاء الآمن والمستدام لمواطنيها. وذلك من خلال التركيز على برمجة وتنفيذ العديد من المشاريع سواء ما تعلق بتنمية الموارد الطبيعية من خلال انتهاج سياسة زيادة الأراضي الصالحة للزراعة عن طريق الاستصلاح و سياسة ادارة الموارد المائية من خلال الاهتمام بجانبي المسألة المائية(عرض المياه وترشيد استخدامها) والرفع من كفاءتها الاقتصادية، أو ما تعلق بزيادة الاستثمارات الفلاحية من خلال توفير البني التحتية وتشجيع الصناعات الغذائية وتقديم الدعم اللازم لها، وإنشاء المؤسسات والهيئات المكلفة بتسويق وتوزيع المنتجات الفلاحية، إلى جانب تقديم الدعم المالي والتقني وتوفير التمويل الكافي والميسر للفلاحين لإنشاء استثمارات جديدة أو التوسع في الاستثمارات القائمة.

المراجع:

1-www.ons.dz, 2018, P33

2- غربي، فوزية،الزراعة الجزائرية بين الاكتفاء والتبعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2006 ص45.

3- خزار، بلال، السياسات الزراعية وآفاق تحقيق الأمن الغذائي في الجزائر، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة باتنة، 2013،ص47.

4- www.ons.dz, 2018, P29.

5- فراح، رشيد، سياسة تسيير مياه الشرب في الجزائر، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الجزائر،2000، ص ص8-9.

6-www.ons.dz, 2018, P29.

7- www.ons.dz, 2018, PP31-32.

8-MINISTERE DES RESSOURCES EN EAU, note de synthese sur l'hydraulique agricole. Alger, 2013.P4.

9- تي،أحمد، ورحال، نصر، إدارة الطلب على المياه كمدخل لتحقيق التنمية المستدامة-دراسة حالة تجارب بعض الدول العربية-، الملتقى الدولي: التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، جامعة سطيف، أفريل 2008.ص6.

10-www.ons.dz, 2013, P34.

11-www.ons.dz, 2018, P33.

12- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للاحصائيات الزراعية، المجلد 36، الخرطوم،2016. ص ص88-93.

13- الديوان الوطني للاحصاء، 2012، ص54.

14-www.ons.dz, 2016, P12.

15- غردي، محمد، القطاع الزراعي وإشكالية الدعم والاستثمار في ظل الانضمام الى المنظمة العالمية للتجارة، أطروحة دكتوراه، غم، الجزائر، 2012.ص 39.

16- جريدة الفجر، 2012/03/27 ص11.

17- محمد لمين، دور الموازنة العامة في التنمية الفلاحية كبديل اقتصادي خارج المحروقات-ولاية تيارت-، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2012.ص33.

18-بن ناصر،عيسى، مشكلة انتاج الغذاء في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية، غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2002، ص11.

19- بن ناصر، عيسى، المرجه السابق ص 45.

20-براق، محمد، وغربي، حمزة، التوجهات الرئيسية لاستراتيجية التنمية الزراعية المستدامة العربية للعقدين من 2005 الى 2025، الملتقى الدولي الثانيحول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، ورقلة، 2011.ص9.

21-المنظمة العربية للتنمية الزراعية، إجتماع مسؤولي وخبرات بحوث ونقل التقانة الزراعية في الوطن العربي، الأردن، 2012.ص 216.

22- غربي، فوزية، الزراعة الجزائرية بين الاكتفاء والتبعية، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2006.ص302.

23-غردي، محمد، المرجع السايق .ص103.

24-نور، محمد لمين، المرجع السابق.ص130.

25- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تقرير أوضاع الأمن الغذائي في الوطن العربي لعام 2009، الخرطوم، 2010، ص66.

26- غربي فوزية، المرجع السابق، ص303

27-براق،محمد، وغربي، حمزة، المرجع السايق ص10.

28- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، المرجع السايق، 2010، ص70.

29-المنظمة العربية للتنمية الزراعية، المرجع السايق، 2010، ص70.

تأثير الأنشطة البشرية بالأحواض النهرية على الساحل:
حالة ساحل الصويرة القديمة (إقليم آسفي)

The Impact of Human Activities on River Basins on the Coast: The Case of the Souira Qdima Coast (Safi province)

رشيد زيدون، باحث في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، المغرب
Rachid.zaydoun@gmail.com

الملخص : يقصد بالأنشطة البشرية بالحوض النهري كل التدخلات التي يقوم بها الإنسان في الحوض النهري، والتي يكون لها تأثير سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على النظام الساحلي ومكوناته وعلى تطور الساحل. وهكذا عرف الحوض النهري لتانسيفت تحولات مجالية مهمة خاصة منذ فترة الاستعمار، بفعل تطور النشاط الفلاحي ونمو مدن ومراكز حضرية عديدة. هذه الدينامية رافقتها تهيئة واسعة كالسدود ومنشآت السقي، واستغلال مقالع الرمال والرواسب. الشيء الذي أدى إلى الضغط على الموارد الطبيعية وغير من حجم الصبيب السائل والصلب لوادي تانسيفت، وبالتالي أثر في العلاقات الرابطة بين الحوض النهري والساحل.

الكلمات المفاتيح: حوض تانسيفت، ساحل الصويرة القديمة، مقالع الرمال، الرواسب، السدود.

Abstract: The forms of human activities in the river basin mean all the interventions that a person undertakes in the river basin, which have an impact, whether directly or indirectly, on the coastal system and its components and on the development of the coast. Thus, the river basin of Tensift underwent important spatial transformations, especially since the colonial period, due to the development of agricultural activity and the growth of many cities and urban centers. This dynamic was accompanied by extensive development, such as dams and watering facilities, and the exploitation of sand and sediment quarries. The thing that led to pressure on natural resources and changed the volume of liquid and solid throughput in the Tensift Valley, and thus affected the relations between the river basin and the coast.

Keywords: Tensift basin, Souira Qdima Coast, sand quarries, sediments, dams.

مقدمة:

يشكل الحوض النهري منظومة جيومرفولوجية بسيطة تتكون من مدخلات ومخرجات. فالمدخلات تتمثل في التساقطات المطرية والثلجية وأشعة الشمس وكل أشكال الطاقة والمادة التي يتلقاها الحوض. والمخرجات تتمثل في الحمولة السائلة والصلبة التي يحملها النهر خارج الحوض إلى المناطق الساحلية والبحرية، التي تغذي هذه المجالات بالرواسب والمياه لتكوين الدلتات والشواطئ والكثبان الرملية والمناطق الرطبة في السافلة. يشكل الحوض النهري نسقا مكونا من عناصر مختلفة ومترابطة تتحكم في أهمية وكفاءة التعرية النهرية من خلال مجموعة من العوامل أهمها: المساحة التي تحدد أهمية الشبكة الهيدروغرافية، والانحدارات والارتفاعات داخل الحوض التي تحدد كفاءة الجريان، والبنية الجيولوجية خاصة الصخارة التي تؤثر في أهمية الصبيب الصلب، بالإضافة إلى المناخ الذي يحدد أهمية الغطاء النباتي والترابي وخاصة أهمية الصبيب السائل وطبيعة الجريان، ودرجة التطور التقني والحضاري للمجتمعات المستوطنة للحوض وطرق استعمالاتها للتربة التي تؤثر على الصبيب السائل والصلب وبالتالي على دينامية النهر (محمد منسوم، 2015، ص 160).

تعتبر المناطق الساحلية والأحواض النهرية من بين الأوساط الأكثر استغلالا من طرف الإنسان، حيث أدى التطور الكبير للأنشطة البشرية إلى تقوية العلاقات الوظيفية بين السواحل والأحواض النهرية. فالأنشطة الاقتصادية في الساحل تستفيد من الموارد التي توجد في الحوض النهري كالماء والخشب والرواسب، في حين يوفر الساحل للحوض النهري إمكانيات ملائمة للتنمية الحضرية والصناعية. في هذا الإطار عرف الحوض النهري لتانسيفت تحولات مجالية مهمة منذ فترة الاستعمار، بفعل تطور النشاط الفلاحي ونمو مدن ومراكز حضرية عديدة (مراكش، شيشاوة، تحناوت، أيت أورير...). هذه الدينامية رافقتها تهيئة واسعة كالسدود ومنشآت السقي، الشيء الذي أدى إلى الضغط على الموارد الطبيعية وغير من حجم الصبيب السائل والصلب لوادي تانسيفت، وبالتالي أثر في العلاقات الرابطة بين الحوض النهري والساحل. إن تطور التمدين بجهة مراكش آسفي والتوسع العمراني للمراكز الحضرية لا يمكن أن يتم إلا بالاعتماد على رمال ومياه وادي تانسيفت، مما سيؤثر على التطور الجيومرفلوجي لساحل الصويرة القديمة. فاستغلال مقالع الرمال بالصويرة القديمة، ومقالع الرمال والرواسب بمجرى واد تانسيفت وروافده كواد النفيس، وبناء السدود بحوض تانسيفت، كل هذا تم من أجل الاستجابة لحاجيات النمو العمراني (البناء) وتطور الأنشطة السياحية. هذه الدينامية كانت لها انعكاسات كبيرة على الوسط الطبيعي بالساحل، خصوصا شاطئ الصويرة القديمة والكثبان الرملية الساحلية. يهدف هذا المقال إلى الإحاطة بالتدخلات البشرية التي تتم في الحوض النهري لتانسيفت، وتأثيرها على التطور الجيومرفلوجي لساحل الصويرة القديمة.

منهجية الدراسة:

إن دراسة تأثير التدخلات البشرية بالحوض النهري على الساحل تتطلب منهجية عمل تمكن أولا من الإحاطة بالعلاقات التي تربط الحوض النهري بالساحل باعتبارهما منظومتين مترابطتين يؤثر التغيير الحاصل في إحداهما على الأخرى. وتمكن ثانيا من تحليل وتقييم مجمل التدخلات البشرية التي تؤثر على التبادلات الرسابية بين الحوض النهري والساحل وانعكاساتها على التطور الجيومرفلوجي للشواطئ. ولتحقيق ذلك اعتمدنا في البداية على العمل البيبليوغرافي من خلال جمع المراجع التي تهم موضوع ومجال البحث، من كتب وأطروحات جامعية ودلائل منهجية وتقارير ومقالات علمية. والعمل الميداني من خلال التردد على مجال الدراسة في فترات زمنية مختلفة وتسجيل الملاحظات والتغيرات، بالإضافة إلى إجراء مقابلات مع المؤسسات التي تعنى بتدبير هذه الأوساط.

تقديم مجال الدراسة:

يتكون مجال الدراسة من حوض تانسيفت وساحل الصويرة القديمة: يقع الحوض النهري لتانسيفت في الوسط الغربي للمغرب، ويمتد على مساحة تقدر ب 20450 كم2، بين خطي طول '12 °7 و'25°9 غربا، ودائرتي عرض '50°30 و'10°32 شمالا. تحده من الشمال كتلة الجبيلات التي لا تتجاوز ارتفاعاتها 1000 متر وترجع لما قبل الكمبري، ومن الجنوب يحده خط أعراف سلسلة الأطلس الكبير، ومن الشرق خط تقسيم المياه الذي يفصل بينه وبين حوض واد تساوت رافد أم الربيع، وغربا المحيط الأطلنتي.

من الناحية الطبوغرافية يتسم حوض تانسيفت بتباينات كبيرة على مستوى التضاريس، حيث تتراوح الارتفاعات ما بين 4167 م كأعلى قمة بجبل توبقال بالأطلس الكبير، وبين 0 متر على مستوى مصب واد تانسيفت قرب مركز الصويرة القديمة. في حين يبلغ متوسط الارتفاع حوالي 881 متر (الخريطة رقم 1). ويضم تضاريس متنوعة أهمها جبال الأطلس الكبير، وكتلة الجبيلات، وسهل الحوز، وهضاب عبدة والشياظمة. كما يحتضن حوض تانسيفت تجمعات بشرية مهمة، موزعة على الوسطين الحضري والريفي، حيث يضم مجموعة من المدن الكبرى على رأسها مراكش ومدن ومراكز متفرقة (شيشاوة، تحناوت، مجاط...) أدى هذا الضغط السكاني الكبير إلى استغلال مفرط للموارد الطبيعية كالماء والغطاء النباتي، كما ساهمت المراكز والمدن الكبرى في تفاقم ظاهرة التلوث عبر رمي نفاياتها في الأودية.

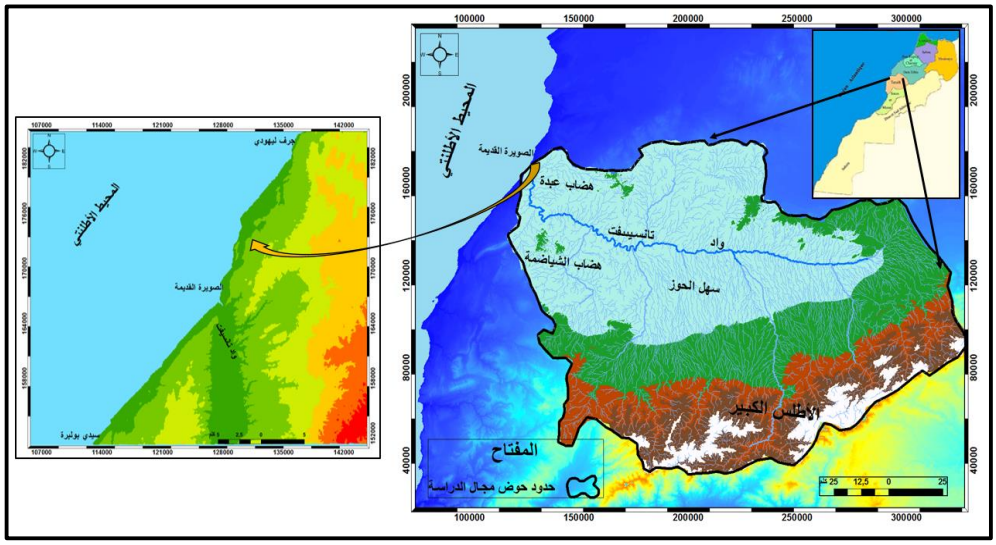

الخريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة (إنجاز شخصي، 2019).

بالنسبة للبنية الجيولوجية للحوض النهري لتانسيفت تتكون في غالبيتها من صخور غير نافذة كالشست والصلصال والطين والطمي والصخور البركانية. هذه التكوينات غير النافذة تمثل حوالي 85% من مجموع الصخور المكونة للحوض النهري. هذا ينضاف إلى الانحدارات القوية التي يتميز بها حوض تانسيفت خاصة في العالية، وضعف وتدهور الغطاء النباتي، ليعطي للجريان طابعا سيليا عنيفا، يترجم من خلال الفيضانات المتكررة التي تعرفها عالية الحوض كفيضان وادي اوريكة سنة 1995. هذا النوع من الجريان السطحي العنيف يزيد من نشاط التعرية، وبالتالي من حجم الرواسب المنقولة من طرف التيارات المائية للوادي التي تصل إلى المصب، لتخضع لتفاعل الدينامية النهرية والدينامية البحرية حيث تتم إعادة توزيعها وفق نظام معقد.

أما ساحل الصويرة القديمة فينتمي إلى الساحل الأطلنتي المغربي جنوب آسفي ما بين جرف ليهودي شمالا وسيدي بولبرة جنوبا، ويندرج ضمن الهامش الجنوبي الغربي للمسيطا الساحلية الأطلنتية، في منطقة اتصال هذه الأخيرة بحوض الصويرة جنوبا. من الناحية الجيومرفلوجية يتعلق الأمر بسطح متموج ومحصور ينتهي نحو المحيط الأطلنتي بساحل صخري في الشمال (جرف ليهودي - جرف غرابة)، وبساحل رملي منخفض في الجنوب ممثل بمجموعة من الشواطئ أهمها شاطئ الصويرة القديمة الذي يمتد شمال واد تانسيفت، والذي يحظى بأهمية كبيرة بالنسبة للسياحة الاصطيافية بالمنطقة (الخريطة رقم 1).

التهيئة الهيدروفلاحية بحوض تانسيفت:

يعتبر الإنسان عاملا أساسيا في كل من الأحواض النهرية والمجالات الساحلية، نظرا لدوره الكبير في الضغط على الأوساط والموارد الطبيعية، من خلال طرق وأنماط استعماله للتربة. خاصة عندما تكون الكثافة السكانية مرتفعة، ويكون التدخل البشري عبر تقنيات متطورة تعتمد على قوة الآلة. فالتدخل البشري في الحوض النهري يؤدي إلى إحداث خلل في الخزانات المختلفة وفي النظام اليومي والفصلي للأودية، وفي التبادلات الرسابية التي تتم بين الحوض النهري والساحل. أحيانا تكون هذه التغيرات إرادية ومتحكم فيها ترتبط بنشاط بشري مرغوب فيه، وأحيانا تكون هذه التغيرات غير منتظرة وغير إرادية ناجمة عن نشاط آخر. وفي كلتا الحالتين فإن التأثير بشري يرتبط بتأثير المجتمع. يؤثر تنظيم الحوض النهري بشكل مباشر وغير مباشر على النظام الهيدرولوجي للأودية وحمولتها السائلة والصلبة الموجهة نحو الساحل.

في المغرب بصفة عامة وحوض تانسيفت بصفة خاصة، مر الاقتصاد الزراعي بمرحلتين أساسيتين: تميزت المرحلة الأولى بسيادة الاقتصاد الزراعي المعيشي الذي عمر آلاف السنين. كان يعتمد على طرق إنتاج تساهم في تدهور الوسط، وتسبب خللا في المنظومة البيئية الطبيعية، لكن بشكل بطيء. وذلك من خلال الرعي الجائر والمكثف، وقطع الأشجار للحصول على الحطب، وإزالة الغطاء النباتي لتوفير مساحة صالحة لممارسة الزراعة. الشيء الذي أدى إلى تراجع مساحة الغابات التي تعمل على تنظيم الجريان وتثبيت التربة، وبالتالي تفاقم نشاط مختلف أشكال التعرية الميكانيكية. أما الزراعة بدورها ورغم أن مساحاتها كانت صغيرة وكانت تعتمد على أدوات بسيطة، فإنها كانت تساهم بدورها في تقوية نشاط التعرية. هذه الوضعية التي عرفها الحوض النهري (العالية) كانت لصالح الساحل (السافلة). حيث كان يتلقى هذا الأخير كميات كبيرة من الرمال والحصى والحصيم، تغذي الشواطئ والكثبان الساحلية. جعلت ميزانيته الرسابية تسجل فائضا كبيرا.

أما المرحلة الثانية فتميزت بظهور الاقتصاد الزراعي الحديث الموجه نحو السوق، الذي يعتمد على عمليات ضخ المياه وبناء السدود. هذا التحول أدى إلى تدهور سريع للوسط الطبيعي. فبعد بناء السدود أخذت الميزانية الرسابية تتجه تدريجيا نحو العجز المتنامي. حيث عمل هذا النمط من الاقتصاد الزراعي على تحويل الساحل من حالة الفائض والوفرة فيما يتعلق بالرواسب إلى حالة العجز والنقص (Mohammed Mansoum , 1994, p 212).

بعد فرض الحماية في بداية القرن 20 واستقرار الفرنسيين بالمغرب، ظهر نمط جديد لتنظيم المجال، من خلال تأسيس نوع آخر من الاقتصاد الزراعي يقوم على التكنولوجيا الحديثة، ويوجه إنتاجه نحو السوق والمدن الكبرى. خلال هذه الفترة تزايد الطلب على الماء بفعل توسع المدن وتطور الصناعة وتوسيع المساحات الزراعية. مما دفع سلطات الحماية إلى إطلاق عملية بناء السدود، حيث كانت البداية بسد سيدي اسعيد معاشو على وادي أم الربيع سنة 1929، ثم سد المالح على وادي المالح سنة 1931، ثم سد تاهلات على وادي لاو سنة 1934.

ويعد سد للا تاكركوست من أهم السدود التي تم بناءها خلال هذه الفترة في حوض تانسيفت، على بعد حوالي 25 كلم جنوب مدينة مراكش على وادي النفيس أحد روافد وادي تانسيفت (الصورة رقم 1). انطلقت به الأشغال سنة 1929 وانتهت سنة 1935. وتمت زيادة علوه ب 9 أمتار ما بين سنتي 1970 و 1980. تبلغ حقينته حوالي 60 مليون م3، ويسمح بتنظيم كمية من المياه تبلغ حوالي 68 مليون م3 في السنة. هذه المياه توجه بشكل أساسي إلى سقي المنطقة السقوية للحوز. وتقسم على الشكل التالي: 65 مليون م3 في السنة لري 4100 هكتار مجهزة بشكل عصري على الضفة اليمنى لواد النفيس، ولإعادة حقوق المياه في السافلة لري حولي 5700 هكتار، و3 مليون م3 في السنة لتزويد منجم كماسة بالمياه الصناعية. بالإضافة إلى ذلك يقوم سد للا تكركوست بإنتاج الطاقة الكهرمائية بواسطة المصنع المرتبط بالسد بقدرة تصل إلى 12 ميكاوات.

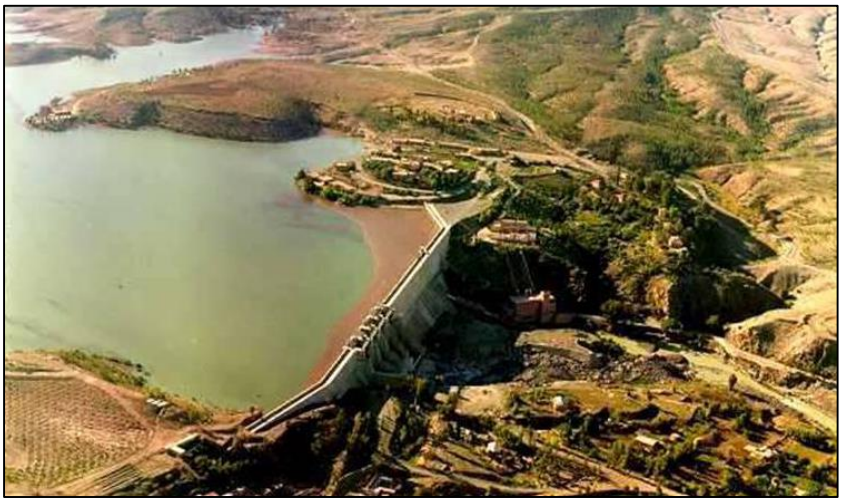

الصورة رقم 1: سد للا تاكركوست (المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2018).

بعد الاستقلال سار المغرب على النفس النهج من أجل تلبية احتياجات الماء الصالح للشرب والري. خلال هذه الفترة تم إطلاق مخطط التهيئة الهيدروفلاحية، وتشكيل المكتب الوطني للري الذي سيعوض سنة 1965 بالمكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. وفي سنة 1967 سيتم الإعلان عن سياسة السدود التي تتوخى بناء سد كبير كل سنة، من أجل سقي مليون هكتار في أفق سنة 2000. هذا الهدف تم تحقيقه قبل موعده سنة 1998. تمكن المغرب بفضل هذه السياسة الهيدروفلاحية من ضمان حاجياته من الماء خصوصا في السنوات الجافة، حيث أصبح بإمكانه تعبئة كمية مهمة من المياه تقدر بحوالي 17.5 مليار م3، بواسطة شبكة مهمة من السدود تضم حوالي 130 سدا كبيرا و أكثر من 100 سد صغير وبحيرة.

إلى جانب السدود الكبيرة، تم بناء العديد من السدود التلية الصغيرة التي عرفت انتشارا كبيرا في السنوات الأخيرة بالمغرب. ويتم بناءها على الوديان والمجاري المائية الصغيرة، وتخصص هذه السدود للري ولتغذية الفرشة الجوفية. لكن هذه السدود تشكل أيضًا مصائد للرواسب (خاصة الرمال والحصى) مما يزيد من عجز الميزانية الرسابية للشواطئ. يبين الجدول أعلاه (الجدول رقم 1) أهم السدود التي أقيمت في حوض تانسيفت.

السد	تاريخ البناء	القدرة مليون م^3	الهدف الرئيسي	المساحة المسقية (ه)
للا تاكركوست	1935	57	السقي+ الكهرباء	9800
أكفاي	1984	0.5	السقي	70
إيمين لاربعاء	1985	0.8	السقي	80
نزالة العزري	1986	0.5	السقي	85
عزيب دويراني	1987	0.6	السقي	100
أولاد عباس	2001	0.9	السقي	150
بوحوتة	2002	0.9	السقي	160
يعقوب المنصور	2007	70	السقي	-

الجدول رقم 1 : أهم السدود المقامة بحوض تانسيفت (المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2018).

من خلال تتبع ومراقبة التوحل التي أجرتها وكالة الحوض المائي لتانسيفت في سد للا تاكركوست وقياسات تعكر المياه في المحطات الهيدرولوجية، أمكن تقييم أهمية ظاهرة التعرية في الحوض. حيث يقدر حجم التعرية النوعية بهذا الحوض بحوالي 420 طن/كلم2/السنة. هذا الكم الهائل من الرواسب الناتج عن التعرية بالحوض النهري يشكل خطراً كبيراً على حقينة السد وقدرته الاستيعابية. فقد أظهرت سلسلة قياسات الأعماق التي أجريت في سد للا تاكركوست منذ زيادة ارتفاع السد سنة 1981 إلى سنة 2002 أن حقينة هذا السد عرفت توحلا بلغ 22.6 % من حجم الخزان العادي، أي بمعدل توحل سنوي يبلغ 0.8 مليون متر مكعب في السنة.

إجمالاً ، تقدر المياه السطحية التي تتم تعبئها بواسطة السدود في حوض تانسيفت في السنة بحوالي 500 مليون م3، 70 مليون متر مكعب منها بسد للا تاكركوست، و1.3 مليون م3 في السنة بواسطة السدود الصغرى، و430 مليون م3 من خلال شبكة السواقي التقليدية (أخذ المياه من المجاري المائية). وتتراوح التعرية النوعية في مجموع مساحة حوض تانسيفت ما بين حوالي 200 و أكثر من 2000 طن/كم2/ السنة. ويعد حوض اغدات من بين أحواض المغرب التي تسجل نسب تعرية جد مهمة. يبين الجدول التالي (الجدول رقم 2) معدلات التعرية النوعية في بعض الأحواض الثانوية لحوض تانسيفت:

الحوض النهري	مساحته ب كلم ^{2}	الواردات المائية السنوية ب مليون م^3	التعرية النوعية ب طن/كم^2/ السنة
النفيس	1686	225	420
أوريكا	503	164	700
زات	528	113	700
اغذات	569	77.2	2000-1000
غيغاية	225	49	700

الجدول رقم 2: معدلات التعرية النوعية ببعض الأحواض الثانوية لحوض تانسيفت

المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت 2018

عموما يتراوح حجم التعرية بحوض تانسيفت ما بين 200 طن/كلم2/السنة في سافلته، وما بين 1000 و2000 طن/كلم2/السنة بحوض اغذات بالعالية. تزداد أهمية التعرية وتزيد فعاليتها كلما كانت الانحدارات قوية والتساقطات عنيفة والغطاء النباتي ضعيف إلى منعدم. ويؤدي نشاط التعرية بحوض تانسيفت إلى تحريك كمية من الرواسب تقدر ب 5.4 مليون طن في السنة. 86% منها تأتي من عالية الحوض، فيما يساهم الجزء الغربي من الحوض (السافلة) ب 14% فقط، حيث تنشط عمليات التحليل الكيماوي للصخور الكربوناتية (karstification) مساهمة ب 0.7 مليون طن في السنة من الرواسب (Souad Haida et all, 1996, p 14).

رغم ما تمثله المشاريع الهيدروفلاحية من دور على مستوى التنمية المحلية، فإن انعكاساتها تبقى بارزة خاصة في مجال يمتاز بنزعة مناخية نحو التجفيف. ومن أبرز هذه الانعكاسات هو التأثير السلبي على صبيب واد تانسيفت، الشيء الذي يواكبه ضعف في الجريان المائي، وضعف في الحمولة الرسابية من المواد التي تعتبر المصدر الأساسي لتزويد الساحل بالإتاوات القارية. مما يحدث خللا بالتوازنات البيئية، تزداد حدته مع كثافة الاستغلال البشري. كل هذه التدخلات في الحوض النهري وخاصة بناء السدود تؤثر على التدفق السائل للأودية. إذ تشكل السدود مصائد للرواسب وتمنعها من الوصول إلى مصبات الأودية بالمجالات الساحلية. وبالتالي تسبب خللاً في التبادلات بين الأحواض النهرية والمناطق الساحلية، عن طريق زيادة العجز في الميزانية الرسابية للشواطئ، كما تؤدي إلى التأثير على التوازنات الجيومرفلوجية والبيو- جيوكيماوية بالساحل، والمناطق الرطبة والثروات السمكية.

بالإضافة إلى التهيئة الهيدروفلاحية تساهم التهيئة العمرانية والسياحية والصناعية داخل حوض تانسيفت في زيادة الطلب على الماء، فالنمو الحضري المتسارع الذي عرفته مدن ومراكز الحوض كمراكش وشيشاوة وأيت اورير... نتج عنه تركز تجمعات بشرية مهمة تتطلب تعبئة المزيد من الموارد المائية. نفس الشيء ينطبق على التهيئة السياحية من فنادق وإقامات سياحية وملاعب رياضية، وعلى التهيئة الصناعية التي تحتاج إلى موارد مائية مهمة في عمليات استخراج المعادن وفي التصنيع والعمليات المرتبطة به. عموما تساهم مختلف الأنشطة البشرية المتعددة بالحوض النهري إلى زيادة الضغط على الموارد المائية مما يقلل من حجم المياه التي تصل إلى المناطق الساحلية بالسافلة. فغالبا ما يؤدي هذا الضغط إلى توقف الصبيب الإيكولوجي الضروري لاستمرار الحياة في المناطق الرطبة والمناطق الساحلية بسافلة الحوض، وقد يؤدي انقطاعه إلى تضرر المنظومة الساحلية والرطبة.

استغلال مقالع الرمال:

تعتبر الرمال من بين الموارد الطبيعية غير المتجددة، التي تدخل في إطار توفير عنصر مهم من حاجيات الإنسان هو السكن. وهكذا فعمليات البناء في المغرب تستهلك كميات من الرمال تقدر ب 20 مليون متر مكعب سنويا. تستعمل منها 80 % في قطاع البناء والأشغال العمومية. لذلك أصبح من الضروري اعتماد تقنيات وأساليب فعالة، تسمح بعقلنة استغلال هذه المورد وترشيد استغلالها، وتشجيع البحث عن فرص وطرق لاستغلال الرمال، تكون أقل تأثيرا على الوسط البيئي. فالطلب على الرمال يزيد سنويا بنسبة 4 %، ومن المحتمل أن تزيد حاجيات المغرب خلال السنوات المقبلة لتصل إلى 30 مليون متر مكعب.

ينتشر بالمغرب عدد كبير من المواقع الخاصة باستغلال الرمال، على طول المناطق الساحلية وكذا الداخلية. تستهلك كميات مهمة من الرمال، وتشكل مصدرا لتدفق ملايين الدراهم، وتشغل فئات عريضة من اليد العاملة. كما يساهم في تنشيط قطاعات اقتصادية أخرى. يحتضن مجال الدراسة مجموعة من مقالع الرمال، سواء منها القانونية وغير القانونية. تمتد معظمها بين الطريق الجهوية 301 الرابطة بين آسفي والصويرة، انطلاقا من وادي تانسيفت إلى حدود إقليم الصويرة، على شريط شمالي غربي يقدر طوله ب 13 كلم، وعرض يتراوح ما بين 1 و 3 كلم.

1.3. الإطار القانوني والتنظيمي لاستغلال مقالع الرمال:

من أجل ضمان استغلال عقلاني للموارد الرملية، وتحسين وتقنين آليات وطرق الاستغلال، والتصدي للاستغلال المفرط لهذه المادة الحيوية، والاختلالات الناتجة عن الاستغلال العشوائي والنهب. عملت الدولة المغربية على إصدار مجموعة من القوانين والمراسيم والدوريات لتنظيم قطاع استغلال المقالع. وذلك لتدارك التأخر والنقص الذي كان في هذا المجال. حيث

عمل المغرب مدة طويلة بظهير قديم يعود لسنة 1914، يتعلق بتنظيم استغلال مقالع الرمال. هذه القوانين أغلبها صدر في مجالات أخرى لكنها تتقاطع مع مجال استغلال المقالع. من أهم القوانين التي صدرت في هذا المجال نذكر:

القانون رقم 27.13 المتعلق بالمقالع، الذي صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.66 في 21 شعبان 1436 (9 يونيو 2015) بالجريدة الرسمية عدد 6374، بتاريخ 15 رمضان 1436 (2 يوليوز 2015)، ص 6082. يرمي هذا القانون إلى إرساء وتطبيق مبادئ جديدة لهيكلة القطاع وفق إجراءات وتدابير تهم استغلال المقالع. ويقسم إلى 5 أبواب يتضمن كل واحد منها مجموعة من المواد التي تبين بتفصيل المراحل التي يجب اتباعها، عند الشروع وأثناء وعند الانتهاء من الأشغال بالمقلع. ركز هذا القانون على نوع ملكية المقلع، وحدد الإجراءات الخاصة بكل نوع من الملكية. كما اهتم بدفتر التحملات الدي يجب أن يتضمن بيانات حول الأشغال الضرورية لتهيئة المقلع، والوسائل والأدوات والآلات المستعملة. وحدد أيضا مهام شرطة المقالع في معاينة المخالفات وتحرير محاضر في شأنها.

القانون رقم 12.03 المتعلق بدراسات التأثير على البيئة، صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.03.60 في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003) بالجريدة الرسمية عدد 5118 بتاريخ 18 ربيع الآخر (19 يونيو 2003) ص 1909. تخضع لمقتضيات هذا القانون ولنصوصه التنظيمية جميع أنواع المقالع، طبقا للمادة 11 من قانون المقالع. ويهدف هذا القانون إلى فرض إدماج البعد البيئي في جميع المشاريع التنموية الوطنية والمحلية. وذلك لتفادي أثرها المحتمل على البيئة. ويتم ذلك من طرف لجنة وطنية ولجن جهوية، توكل إليها مهمة الموافقة أو الترخيص للمشاريع المقترحة بناء على دراسة الأثر البيئي. ويعتبر هذا القرار وثيقة من الوثائق المكونة لملف الحصول على رخصة فتح مقلع حسب المادتين 7 و 8.

القانون رقم 13.03 المتعلق بمحاربة تلوث الهواء، صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.03.61 في 10 ربيع الأول 1424 (12 ماي 2003) في لجريدة الرسمية عدد 5118 بتاريخ 18 ربيع الآخر 1424 (19 يونيو 2003) ص 1912. يخضع لهذا القانون كل شخص طبيعي أو معنوي خاضع للقانون العام أو الخاص، يملك أو يحوز أو يستعمل أو يستغل مشروعا أو يكتريه بعقد قانوني. ويستعمل آلات تساهم في تلوث الهواء وتخلف أضرارا بالمجالات القريبة من مواقع الاستغلال. تسهر الإدارات المختصة على اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة لمراقبة تلوث الهواء.

القانون رقم 10.95 المتعلق بالماء صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.95.154 في 18 من ربيع الأول 1416 (16 غشت 1995) في الجريدة الرسمية عدد 4325 بتاريخ 24 ربيع الآخر (20 شتنبر 1995) ص 2520. يهدف هذا القانون إلى تنظيم وتقنين استعمال الماء من خلال مخططات تهدف إلى التدبير العقلاني للماء والتوزيع العادل لهذا المورد. يرتبط هذا القانون بالمقالع المكشوفة التي تكون على ضفاف الأودية أو مصباتها. حيث يجب الحصول على موافقة وكالة الحوض المائي المعنية

لاستغلال المقلع. ويمكن لها مراقبة الخروقات والتجاوزات الناتجة عن عدم احترام التدابير والإجراءات المعمول بها بواسطة شرطة الماء.

القانون رقم 81.12 المتعلق بالساحل صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.87 في 29 من رمضان 1436 (16 يوليوز 2015) في الجريدة الرسمية عدد 6384 بتاريخ 20 شوال 1436 (6 أغسطس 2015) ص 6892. يتقاطع هذا القانون مع القوانين السابقة في اهتمامه بالكثبان الرملية الساحلية، التي تعتبر عنصرا أساسيا في التبادلات العرضية، وكونها تشكل مجالا حيويا لنمو النباتات الإلف ملحية، واستقرار عدد من الكائنات التي تعيش بالقرب من البحر. خاصة وأن هذه الكثبان تحظى باهتمام العديد من المستثمرين السياحيين بفضل موقعها الاستراتيجي. وبالتالي تأتي ضرورة إخضاع كل المشاريع المزمع إنجازها بالشريط الساحلي لدراسة الأثر البيئي، لضمان تدبير مندمج ومتناسق للمجالات الساحلية. حيث لا يسمح بأي استغلال قد يلحق أضرارا بيئية بعالية الشاطئ أو الكثيب الرملي. بالإضافة إلى هذه القوانين، توجد مجموعة من المراسيم والدوريات المشتركة التي تسعى لتحقيق نفس الهدف، عبر تكوين لجان وطنية وجهوية تسهر على دراسة التأثير على البيئة ومراقبة استغلال المقالع.

أما على المستوى التنظيمي، فإن مقالع الرمال تندرج في إطار المقالع المكشوفة تبعا لمقتضيات القانون رقم 27.13 المتعلق بالمقالع والقانون رقم 12.03 المتعلق بدراسة التأثير على البيئة. ويتضمن دفتر التحملات بمنطقة الصويرة القديمة مقتضيات عامة وتدابير إدارية وتقنية ضرورية لفتح واستغلال مقالع الرمال. ويحدد دفتر التحملات الشروط التي يجب توفرها في مقدم الطلب، وقدرته على تدبير مقالع الرمال وتواصله مع اللجن الوطنية والجهوية وفرق المراقبة. ويفرض عليه الحصول وصل التصريح بفتح مقلع إجراء دراسة الأثر البيئي، وإعطاء الأولوية للعمال المحليين، وتوفير إجراءات السلامة والتأمين على الحوادث، والخضوع لعمليات المراقبة. كما عليه أن يقدم طلبا يضم مجموعة من المعلومات حول صاحب الطلب، سواء كان شخصا ماديا أو شركة، ونوعية وكمية المواد المراد استغلالها، وجرد للوسائل والآليات المستعملة لهذا الغرض. ومدة الاستغلال التي يتم تحديدها بناء على الدراسة البيئية، وعقد الملكية أو الكراء، الذي يوضح حدود إحداثيات القطعة الأرضية التي سيتم استغلالها كمقطع. كما يضم أيضا تصميم الموقع بمقياس 1/10000 بإحداثيات لامبير، وتصميم أنسوبي حديث بمقياس 1/10000 معد من طرف مهندس طبوغرافي، يتضمن إحداثيات الحدود، ويبين بوضوح المسلك الذي يربط المقطع بالطريق الجهوية والأملاك والطرق العمومية ومجاري المياه المجاورة، والمسافة الفاصلة بين المقطع والملك عام البحري (أحمد بوسكري، 2017، ص 53).

هذا بالإضافة إلى الموافقة البيئية المرفقة بدراسة الأثر البيئي للمقلع الرملي، وتتضمن تشخيصا إجماليا للحالة الأصلية للمقطع الرملي. يتطرق للعناصر البيولوجية والإحيائية والنباتية المحتمل تعرضها للتهديد أو الهلاك عند الشروع في الاستغلال. وكذا الآثار المحتملة على الإنسان كمستخدمين أو كساكنة مجاورة للمقطع. وجرد شامل للآليات والمعدات التي

ستستعمل في الاستغلال لتقدير حجم تأثيرها على البيئة (صيانة، زيوت، دخان...). ثم دراسة تقنية توضح طريقة تهيئ واستغلال وإعادة تأهيل المقطع الرملي بشكل دقيق ومفصل.

يلتزم صاحب المقلع بتهيئة الطريق المؤدية إلى المقلع الرملي، ووضع علامات التشوير من نوع 122 على جهتي الطريق الجهوية على مسافة 300 م و150م و80 م، وعلامة قف عند ملتقى طريق المقلع والطريق الجهوية. كما يلتزم بوضع لوحة عند مدخل المقلع تحمل معلومات عن المقلع وصاحبه والترخيص بالاستغلال. ويلتزم أيضا بتهيئ المقلع قبل وبعد الانتهاء من الاستغلال وبتخصيص ميزان يزود سائقي الشاحنات بوصل يحمل معلومات عن الحمولة وتاريخها ورقمها (مديرية التجهيز بآسفي، 2018).

2.3. الاستغلال القانوني لمقالع الرمال:

يقصد بالاستغلال القانوني للرمال المقالع التي تتوفر على رخصة قانونية ممنوحة من طرف المصالح المختصة، والتي تحترم بنود دفتر التحملات الخاصة بهذا الغرض. يضم مجال الدراسة مجموعة من المقالع القانونية تمتد على طول الشريط الممتد بين الطريق الجهوية 301 والمحيط الأطلنتي. وحسب دراسة حديثة أجرتها كتابة الدولة لدى وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة المكلفة بالماء والبيئة، وجمعية أرباب المقالع الرملية بالمنطقة، فإن عدد المقالع المشتغلة حاليا يتجاوز 50 مقلعا، في حين ينتظر حوالي 50 مقلعا آخر الترخيص ببدء الاستغلال. بالإضافة إلى مجموعة من المقالع المهجورة أو المتوقفة (الخريطة رقم 2).

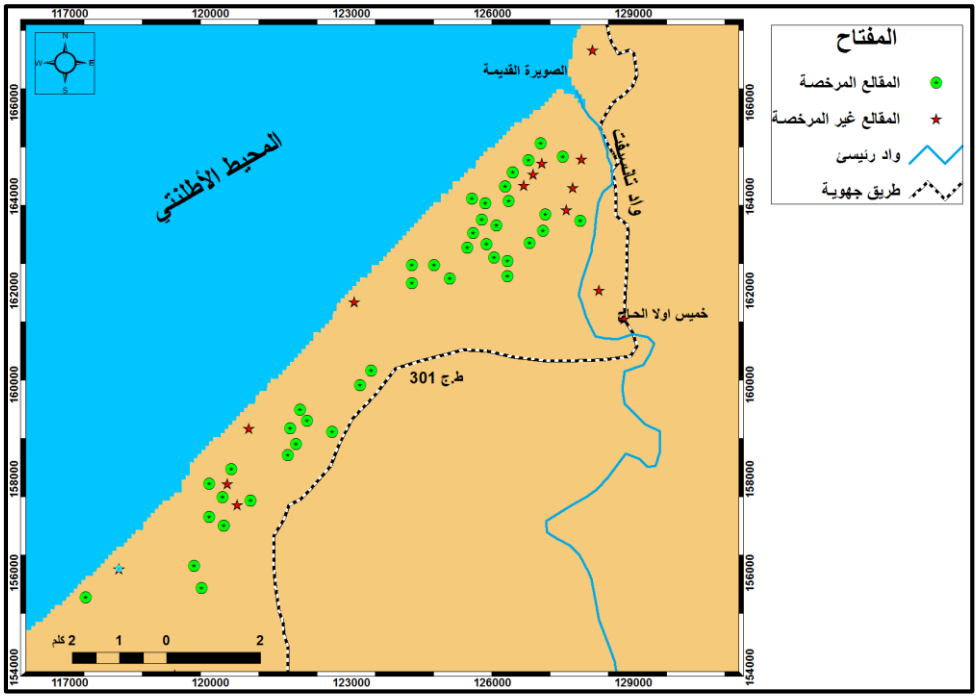

الخريطة رقم 2: توزيع المقالع المرخصة والمقالع غير المرخصة بمنطقة الصويرة القديمة

المصدر: مصلحة البيئة بآسفي 2018 بتصرف.

تختلف هذه المقالع حسب المساحة، إذ يمكن أن تصل إلى 4 هكتارات، أغلبها متقاربة مجاليا. تشغل هذه المقالع ما يزيد عن 1200 فرد. وتنقسم إلى نوعين حسب طبيعة تراكم الرمال. حيث نميز بين مقالع المنخفضات الناتجة عن تراكم الرمال في المنخفضات البيكثيبية، والتي قد يصل عمقها أحيانا إلى 20 م. والمقالع الرملية الناتجة عن تراكم الرمال على شكل كثبان متحركة. (الصور رقم 2 والصورة رقم 3).



الصوررقم 2 والصورة رقم 3: على التوالي مقلع عبارة عن كثيب رملي متحرك ومقلع بيكثيبي

المصدر: مصلحة البيئة بآسفي 2018.

وفقًا لنفس الدراسة، تقدر كمية الرمال المستغلة بـ430000 متر مكعب في السنة. حيث يتجمع المستغلون في إطار جمعية خاصة بهم ويشتغلون بالتناوب. تبلغ كمية الرمال المستغلة حوالي 1500 متر مكعب يوميًا أي ما بين 160 إلى 170 شاحنة تتردد يوميًا على المنطقة. تواجه هذه المقالع الرملية استغلالًا مفرطًا لا يمكن التحكم فيه. إذ يمكن أن تصل الحمولة إلى 50 طنًا وأكثر، في حين يجب ألا يتجاوز الوزن المسموح به لكل شاحنة 40 طنًا. وكشف التحقيق الميداني أن تكلفة ملء الشاحنة الواحدة تتراوح ما بين 1500 و 2000 درهم. وتبلغ قيمة هذه الحمولة حوالي 4000 درهم عند الوصول إلى مدينة آسفي. وحوالي ما بين 7000 و 8000 درهم بالدار البيضاء. وأحيانا تصدر إلى اسبانيا بحوالي 20000 درهم. بلغت مداخيل جماعة المعاشات مقابل استغلال هذه المقالع 15000 درهم في اليوم خلال سنة 2012. تشغل هذه المقالع عددا كبيرا من أبناء المنطقة، حيث يشغل المقلع الواحد ما بين 20 و 30 عاملا. تتوزع مهامهم ما بين ملء الشاحنات وقيادة الآليات وحراسة المقلع، بدخل يومي يتراوح ما بين 250 و 300 درهم. كما تمنح تعويضات للساكنة المجاورة للمقلع جراء الاستغلال (رشيد زيدون، 2020، ص 284).

أحيانا تشكل ظاهرة زحف الرمال مصدرا مهما لهذه المادة، حيث يتم نقل الرمال عن طريق تحريك الكثل السطحية للكثيب الرملي الساحلي، بواسطة الرياح السائدة الآتية من المحيط ذات اتجاه غربي شمالي غربي إلى شمالي شرقي. توضح الصورة رقم 4 تراكمات رملية ذات مساحة كبيرة تغطي الأراضي الزراعية جنوب ساحل الصويرة القديمة.



الصورة رقم 4: تراكمات رملية ناتجة عن زحف الرمال الشاطئية على الأراضي الزراعية جنوب الصويرة القديمة

المصدر: مصلحة البيئة بعمالة آسفي، 2018

3.3. الاستغلال غير القانوني للرمال:

بالإضافة إلى المقالع المرخصة، تنتشر في منطقة الصويرة القديمة العديد من المقالع غير القانونية. هذه الأخيرة لا تحترم الضوابط القانونية المنظمة لعملية استغلال المقالع، والتي تتطلب الترخيص ودفتر تحملات خاص وشروط أخرى. لا يمكن مراقبة التراكمات الرملية المتنوعة في منطقة الصويرة القديمة على مدار 24 ساعة. حيث يعد الغروب والليالي المقمرة، الأوقات المناسبة لاستغلال ونهب الرمال خاصة الرمال الشاطئية. وفي بعض الأحيان لا ينتظرون الليل، بل يفعلون ذلك في واضح النهار في تحد للقوانين والتنظيمات الجاري بها العمل. تقدم الصورتان 5 و 6 مثالين لمقلعين سريين.



الصورة رقم 5 و الصورة رقم 6: مقلع غير مرخص في الملك العمومي الغابوي و مقلع غير مرخص في الملك العمومي البحري (المصدر: مصلحة البيئة بآسفي، 2018).

وقد يتحول المقلع القانوني إلى غير قانوني في حالة تجاوز المساحة المحددة، أو تجاوز الحمولة المصرح بها. إضافة إلى الاشتغال خارج الأوقات المحددة، والتي غالبا لا يتم احترامها. حيث تشتغل أغلب المقالع منذ طلوع الفجر إلى الساعات الأولى من الليل. في حين تحدد دفاتر التحملات توقيت العمل كما يلي:

من فاتح أبريل إلى 30 شتنبر: من الساعة السادسة صباحا إلى الساعة السابعة مساء.

من فاتح أكتوبر إلى 31 مارس: من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة الخامسة مساء.

كما تمنع الاشتغال أيام الأحد وخلال العطل الوطنية والدينية.

تتكون اللجنة الإقليمية للمراقبة من ممثلين عن الولاية والمديرية الإقليمية للتجهيز والدرك الملكي. تؤدي التدخلات الأخيرة لهذه اللجنة إلى توقيف عشرات الشاحنات كانت تستغل الرمال من الملك العمومي سواء البحري أو الغابوي. هذه الشاحنات يتم حجزها وفرض غرامات على أصحابها. تبلغ قيمة الغرامة حوالي 500 درهم للمتر المكعب. (حوالي 142000 درهم للخزينة العامة للمملكة). غالبا ما يتم تدمير الحواجز الخرسانية والجدران التي تقيمها السلطات المختصة لمنع نهب

الرمال، من طرف ساكنة الدواوير المجاورة للشواطئ وللكثبان الساحلية. ويرجع ذلك إلى استفادة هؤلاء من العمل مع لصوص الرمال عن طريق ملء شاحناتهم بمقابل مادي. كما يتم استعمال الهاتف لإخبار أصحاب الشاحنات بقدوم لجان المراقبة. وبالتالي يصعب مراقبة الثروة الرملية خاصة العمومية منها، مما يحتم على السلطات المعنية البحث عن وسائل أكثر فعالية لمنع نهب الرمال، كتخصيص ميزانية لإقامة مراكز دائمة للمراقبة في المواقع التي تتعرض للنهب.

4.3. تأثير استغلال مقالع الرمال على البيئة:

يؤثر استغلال مقالع الرمال على المنظومة البيئية من خلال إحداث خلل في التوازن البيئي الهش، خاصة بالمناطق الساحلية والأحواض النهرية المرتبطة بها. الشيء الذي ينعكس على الغطاء النباتي والمياه والهواء والتربة والوحيش.

يتأثر الغطاء النباتي في منطقة الصويرة القديمة من عملية استغلال مقالع الرمال، إما بطريقة مباشرة عن طريق اقتلاع الأشجار والحشائش لتهيئة واستغلال الرمال، أو بطريقة غير مباشرة من خلال قرب أغلب المقالع من الغابات كغابة حربالة. فالغطاء النباتي سواء الطبيعي أو المغروس الذي كان يقوم بدور كبير في منع زحف الرمال على الأراضي الزراعية المجاورة، يتعرض للاجتثاث باستمرار من أجل استغلال الرمال، وتعبيد الطرق لمرور الشاحنات. هذه الأشجار والحشائش تقوم بدور كبير في تثبيت الكثبان الرملية الساحلية، وتنظيم الجريان السطحي، وحماية التربة من الانجراف (الصورة رقم 7).



الصورة رقم 7: تأثير استغلال مقالع الرمال على الغطاء النباتي (المصدر: عدسة الباحث)

كما يؤثر استغلال مقالع الرمال على المياه ويؤدي إلى تغيير أنظمة الجريان السطحي. من خلال ترك حفر تتجمع فيها المياه لمدة طويلة على شكل ضايات، ومنعها من الجريان في اتجاه المجرى الرئيسي. أما المنحدرات الناتجة عن الاستغلال فتعمل على زيادة حركة الجريان السطحي، وبالتالي ارتفاع قدرته على التعرية. بالإضافة إلى تسرب مخلفات الآليات كالوقود، التي

يتم التخلص منها بشكل عشوائي، إلى المياه السطحية والباطنية وتلويثها. علما أن هذه المياه هي التي يستعملها السكان كمصدر أساسي لشربهم وشرب مواشيهم. وتؤثر أيضا إزالة الكثبان الرملية التي تعتبر مصائد طبيعية لمياه الأمطار على قدرة مخزون المياه الجوفية على التجدد. كما أن اقتلاع الرمال التي تعمل على تصفية المياه المتسربة يؤدي إلى سهولة وصول الملوثات المختلفة إلى المياه الجوفية.

تؤثر عملية استغلال مقالع الرمال أيضا على التربة، من خلال تعريضها للانجراف بفعل إزالة الغطاء النباتي، الذي يعمل على تثبيتها وتنظيم الجريان. كما تتعرض التربة للإزالة بسبب صعوبة عزل التربة الرملية عن الرمال، وعدم إمكانية تحديد المستوى الذي كانت عنده التربة قبل زحف الرمال. أما الهواء بدوره فيتعرض للتلوث بفعل استغلال مقالع الرمال. حيث يؤدي المرور المتكرر للشاحنات التي تسير بسرعة مفرطة في انتشار الغبار وتطاير الحبيبات الرملية الدقيقة، التي يحملها التيار الهوائي نحو التجمعات السكانية والأراضي الزراعية المجاورة. فتؤدي إلى تضرر المحاصيل الزراعية والحياة النباتية وعلى صحة الساكنة المحلية (انتشار أمراض الربو بالمنطقة). هذا إضافة إلى الدخان المنبعث من عوادم الشاحنات التي تشتغل بشكل مكثف (الصورة رقم 8).



الصورة رقم 8: اتشار الغبار الناتج عن مرور الشاحنات المحملة بالرمال (المصدر: عدسة الباحث)

إن الخلل الذي يحدثه استغلال مقالع الرمال على كل من الغطاء النباتي والتربة، يؤدي بشكل تلقائي إلى التأثير على الوحيش، باعتبار هاذين العنصرين يكونان المحيا والوسط الذي تعيش فيه هذه الكائنات. فإزالة الأشجار والحشائش يدفع الطيور إلى البحث عن أماكن أخرى أكثر أمنا للاستقرار. شأنها في ذلك شأن أنواع الوحيش الأخرى بالمنطقة كالأرانب والثعالب والسلاحف، التي تفضل الاستقرار في الكثبان الرملية الدافئة. إذ أدى استغلال وإزالة هذه الكثبان وانتشار الضجيج الناتج عن الأشغال إلى البحث عن أمكنة أخرى للاستقرار.

5.3. تأثير استغلال الكثبان الرملية الساحلية:

الكثبان الساحلية هي كثبان في طور التغذية والتطور، غالبا ما توجد على حافة الملك العمومي البحري (DPM). تتم تغذية هذه الكثبان الرملية الحالية إما من رمال منقولة من الشاطئ بواسطة الرياح البحرية أو من الكثبان الرملية الأخرى بواسطة الرياح الشمالية الشرقية. هذه الكثبان الساحلية تبقى محمية بشكل جيد من الرمال القارية بفضل وجود الغطاء النباتي في الكثبان القديمة. أدى استغلال الكثبان الرملية الساحلية إلى تدهور هذا الوسط الهش. فإلى جانب الضغط الذي تمارسه الأنشطة السياحية على المجال الساحلي، والحاجة إلى الرمال من أجل البناء. تساهم مقالع الرمال الموجودة حاليا على الشريط الكثيبي الساحلي في اختفاء الكثبان المتبقية.

يؤدي استغلال رمال الكثبان الساحلية الهامشية إلى خلق عجز رسابي. إذ يؤثر الاستخراج العشوائي للرمال بعاليات الشواطئ إلى إحداث خلل في آليات التعرية. حيث يتم تعديل المسار الطبيعي لتحريك المواد بشكل تام، ويتم خلق اضطراب في العلاقات الرسابية. وبالتالي يؤدي العجز الرسابي إلى زيادة فعالية العباب وجعله أكثر قدرة على التعرية، حيث لم يعد يفقد طاقته في الاحتكاك بالرواسب. كما تؤدي إزالة هذه الكثبان الساحلية أيضا إلى زحف الرمال الشاطئية نحو الأراضي الزراعية المجاورة والإضرار بمحاصيلها والمساهمة في تصحرها. بالإضافة إلى تسرب المياه المالحة إلى الفرشة المائية بعد إزالة الكثيب، وتدمير بعض المنظومات البيئية الساحلية كالمناطق الرطبة، وتغيير جيومرفولوجية الساحل.

لقد أدت إزالة الكثيب الرملي الساحلي وتعويضه بالإسمنت إلى القضاء على التبادل الرسابي بين الشاطئ والكثيب الساحلي، وهو تبادل ضروري لتوازن مورفورسابية الشاطئ. حيث يشكل الكثيب الساحلي خزانا لاكتناز الرمال يتم اللجوء إليه خلال فترات العجز الرسابي، الذي ينتج عن العواصف الاستثنائية والأمواج القوية التي تتردد على المنطقة خاصة خلال فصل الشتاء. وقد تسببت إزالة الكثيب الرملي في أضرار بليغة للمنشآت السياحية والعمرانية المحاذية للشاطئ، التي أصبحت مهددة بفعل قوة الأمواج خلال فترات العواصف كما حدث يوم 28 أكتوبر 2015، حيث أدت عاصفة بحرية قوية إلى انهيار جزء من الكورنيش في شمال شاطئ الصويرة القديمة وجزء من قرية الصيادين. كما أصبحت هذه المنشآت أيضا عرضة لهجوم التدرية الريحية التي أضحت تنقل الرمال بسهولة في اتجاه المنشآت السياحية والعمرانية، بفعل غياب الكثيب الرملي الذي كان يشكل حماية طبيعية للظهير الساحلي من خطر زحف الرمال.

استغلال الرواسب النهرية لوادي تانسيفت:

يخضع الملك العام المائي لمقتضيات القانون رقم 10.95 المتعلق بالماء صدر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.95.154 في 18 من ربيع الأول 1416 (16 أغسطس 1995) في الجريدة الرسمية عدد 4325 بتاريخ 24 ربيع الآخر (20 شتنبر 1995) ص 2520. ويدخل في عداد الملك العام المائي طبقا للمادة 2 من هذا القانون:

جميع الطبقات المائية، سواء كانت سطحية أو جوفية، ومجاري المياه بكل أنواعها والمنابع كيفما كانت طبيعتها.

البحيرات والبرك والسبخات وكذا البحيرات الشاطئية والمستنقعات المالحة والمستنقعات من كل الأنواع التي ليس لها اتصال مباشر مع البحر. وتدخل في هذه الفئة القطع الأرضية التي بدون أن تكون مغمورة بالمياه بصفة دائمة لا تكون قابلة للاستعمال الفلاحي في السنوات العادية، نظرا لإمكانياتها المائية.

الآبار الارتوازية والآبار والمساقي ذات الاستعمال العمومي المشيدة من طرف الدولة أو لفائدتها، وكذلك مناطق حمايتها المحددة بمقتضيات تنظيمية. وتتكون هذه المناطق من منطقة مباشرة تضم إلى الملك العام المائي، وعند الاقتضاء من منطقتين إحداهما قريبة والأخرى بعيدة لا تخضعان إلا للارتفاقات.

قنوات الملاحة والري والتطهير المخصصة لاستعمال عمومي وكذلك الأراضي الواقعة في ضفافها الحرة والتي لا يجب أن يتجاوز عرضها خمسة وعشرين مترا لكل ضفة حرة.

الحواجز والسدود والقناطر المائية وقنوات وأنابيب الماء والسواقي المخصصة لاستعمال عمومي من أجل حماية الأراضي من المياه، والري وتزويد المراكز الحضرية والتجمعات القروية بالماء أو لاستخدام القوى المائية.

مسيل مجاري المياه الدائمة وغير الدائمة وكذلك منابعها ومسيل السيول التي يترك فيها سيلان المياه آثارا بارزة.

الحافات إلى حدود المستوى الذي تبلغه مياه الفيضان والتي تحدد نصوص تنظيمية تواترها بالنسبة لكل مجرى ماء أو مقطع منه، وكذا كل المساحات المغطاة بمد يبلغ معامله 120 في أجزاء مجاري الماء الخاضعة لتأثير هذا المد.

الضفاف الحرة انطلاقا من حدود الحافات : بعرض ستة أمتار على المجاري المائية أو مقاطع المجاري المائية التالية : ملوية من مصبه إلى منابعه، سبو من مصبه إلى منابعه، اللوكوس من مصبه إلى منابعه، أم الربيع من مصبه إلى منابعه، وأبو رقراق من مصبه إلى سد سيدي محمد بن عبد الله. وبعرض مترين على المجاري المائية أو مقاطع المجاري المائية الأخرى.

1.4. الإطار التنظيمي لاستغلال رواسب الأودية:

يخضع استغلال رواسب الأودية في المغرب للقانون رقم 10.95 المتعلق بالماء خاصة المادة 12 بند "ب" منه. والمرسوم رقم 2.97.489 بتاريخ 6 شوال 1418 (4 فبراير 1998) ولا سيما المادة 15 منه. للحصول على الترخيص باستغلال هذه المواد، يتم إيداع ملف طلب الترخيص باستخراج الرواسب النهرية من الملك العام المائي لدى وكالة الحوض المائي أو مصلحة المياه.

يتكون الملف من الوثائق التالية:

طلب الترخيص وفق النموذج المعمول به، يسحب من مصالح وكالة الحوض المائي لتانسيفت بمراكش، أو مصلحة المياه بالمديرية الإقليمية أو الجهوية للتجهيز الموجودة بكل من مراكش، تحناوت، الصويرة، آسفي...

نسخة من بطاقة التعريف الوطنية أو أي وثيقة تثبت تعريف المعني بالأمر.

وكالة التمثيل إذا تعلق الأمر بشركة أو جمعية.

خريطة ذات مقياس ملائم تبين مكان الاستخراج.

تصميم طبوغرافي بمقياس ملائم يبين مساحة منطقة الاستخراج.

ملف تقني يبين على وجه الخصوص:

وسائل الاستخراج أو إنجاز التجويف.

طبيعة المواد المراد استخراجها.

مناطق المواد المراد استخراجها.

مناطق الاستخراج والخزن.

إن اقتضى الحال، قوة وطريقة استعمال المتفجرات.

رخصة منجمية تسلمها وزارة الطاقة والمعادن، عندما يتعلق الأمر باستخراج مواد معدنية مصنفة باعتبارها معادن، عملا بالظهير الشريف الصادر في 9 رجب 1370 (16 أبريل 1951) بسن نظام المناجم.

إذا تعلق الأمر بمقلع، وصل التصريح أو نسخة من الترخيص باستغلال هذا المقلع.

تقرير يتعلق بالتدابير التي ينوي المعني بالأمر اتخاذها لإصلاح المكان عند انتهاء أشغال الاستخراج أو التجويف.

دراسة لآثار الاستخراج أو التجويف على الملك العام المائي.

2.4. توزيع المقالع والكميات المستخرجة بحوض تانسيفت:

يحتضن حوض تانسيفت العديد من المقالع التي تستغل رواسب الأودية، تقدر بحوالي 61 مقلعا موزعة على 11 واد، بمعدل 5 مقالع ونصف في كل واد. تتركز أغلب المقالع في وادي النفيس ووادي تانسيفت اللذان ينتجان أكثر من 900000 م3 في السنة، يليهما كل من وادي الحجر ووادي اغمات بحوالي 260000 م3 في السنة، ثم باقي الأودية بأقل من 80000 م3 في السنة.

أما على مستوى التوزيع الجغرافي للمقالع حسب الأقاليم التي تدخل ضمن مجال نفوذ وكالة الحوض المائي لتانسيفت فيعرف اختلافات كبيرة، حيث تتوزع المقالع على 7 أقاليم بشكل غير متكافئ. فعمالة مراكش تحتضن حوالي 35 مقلعا، متبوعة بإقليم الحوز ب 7 مقالع، وأقاليم كل من الصويرة واليوسفية وشيشاوة ب 3 مقالع، وإقليم الرحامنة بمقلعين، وأخيرا إقليم آسفي بمقلع واحد. هذا لتوزيع يتطابق مع حجم الإنتاج، حيث يستخرج بعمالة مراكش حوالي 1400000 م3 في السنة، ثم إقليم الصويرة بحوالي 400000 م3 في السنة، فإقليم الحوز ب 350000 م3 في السنة، تليه باقي الأقاليم بأقل من 100000 م3 في السنة.

بالنسبة لتوزيع المقالع حسب الجماعات فيتميز بدوره بالتباين، حيث تتوزع المقالع على 25 جماعة تنتمي للأقاليم المذكورة التي تدخل ضمن مجال وكالة الحوض المائي لتانسيفت. تتركز معظم المقالع (34 مقلعا) في جماعات السويهلة، أكفاي، الويدان، أولاد حسون، الأوداية، سيدي شيكر. فيما تحتضن باقي الجماعات عددا متوسطا من المقالع قد ينخفض إلى حدود مقلع واحد لكل جماعة. هذا التوزيع العددي لا يتوافق مع حجم الرواسب المستخرجة بالجماعات المذكورة، حيث يسجل اختلافات كبيرة يمكن تفسيرها بالكميات المرخص باستخراجها من كل مقلع. فجماعة أولاد دليم مثلا يستخرج منها 70000 م3 في السنة من مقلعين، في حين يستخرج من مقلع واحد فقط بجماعة تاكركوست حوالي 100000 م3 في سنة واحدة (الشكل رقم 1) (إسماعيل أودوروش، 2015، ص 70).

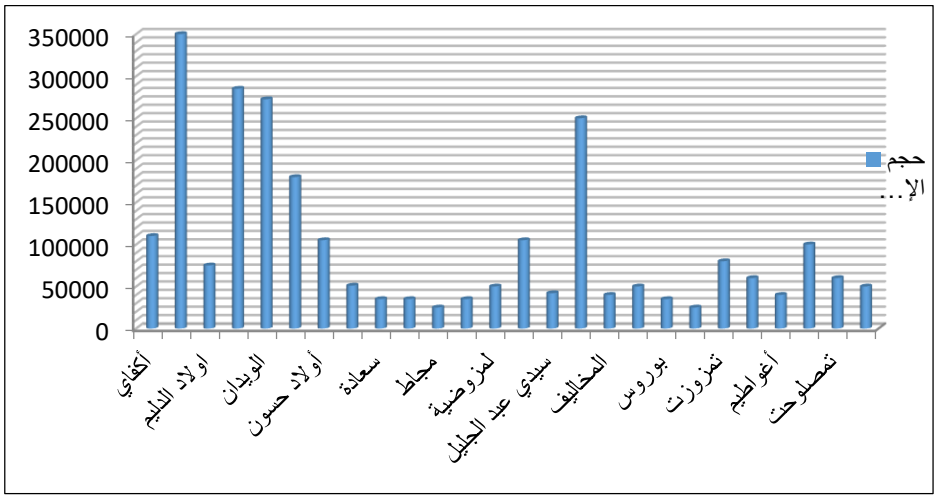

الشكل رقم 1: توزيع حجم إنتاج الرمال بحوض تانسيفت حسب الجماعات الترابية سنة 2014

(المصدر: وكالة الحوض المائي لتانسيفت، 2015)

3.4. تأثير استغلال الرواسب النهرية على الوادي والساحل:

يقصد بالرواسب النهرية المواد الغرينية والرملية والحصوية، وهي مواد ناتجة عن نحث الصخور والتربة المكونة للحوض النهري. يتم نقلها بواسطة التيارات المائية وترسيبها في قيعان الأودية وعلى ضفافها. تعود المواد المستخرجة من المقالع المقامة على الواد إلى الرمال والحصى الذي يتميز بجودته العالية، خاصة وأن أغلب هذه المواد يعود إلى صخور صهارية أو متحولة. حيث أكدت دراسة قامت بها مديرية التجهيز والنقل واللوجستيك بآسفي أن هذه المواد تتكون من 40 % من الحث، و 27 % من الكلس، و 33 % من الصخور الصهارية.

على طول وادي تانسيفت وبعض روافده يتم استغلال مقالع الرواسب النهرية غالبا في الأدرع المهجورة (Méandres)، حيث تتراكم الرواسب في الضفة المقابلة لقوة تدفق المياه (الصور رقم 9 و 10). وتتم عملية الاستغلال عن طريق إزالة طبقات أفقية يبلغ طولها حوالي 100 متر، بعرض 14 متر وعمق 3 أمتار. وذلك بشرط الحفاظ على جوانب الواد وحافات المجرى، إذ يجب أن يتركز الاستغلال على قاع الواد في اتجاه تدفق المياه، مما يسمح بحماية وتأمين مسار الواد.



الصوررقم 9 و10 : استغلال رواسب وادي تانسيفت (المصدر: مديرية التجهيزبآسفي، 2017)

إلى جانب هذا الاستغلال القانوني الذي يتم بترخيص من الجهات الوصية، تنتشر ظاهرة نهب الرواسب النهرية على طول مجرى وادي تانسيفت وروافده. حيث تقوم الساكنة المجاورة لهذه الأودية باستغلال الرواسب النهرية لتلبية حاجياتها من مواد البناء.

تؤدي إزالة الرواسب من المجرى المائي إلى إحداث تغيير في النظام النهري بالوادي، بفعل تغيير قوة التيارات المائية وسرعتها وقدرتها على النقل والترسيب. حيث ينتج عن عملية الاستغلال تعميق قاع المجرى المائي وعدم استقرار ضفافه. إضافة إلى أن استغلال هذا المجال الذي يحتضن منظومات بيئية مائية ومناطق رطبة له تأثير كبير على المشهد وعلى الكائنات الحية التي تعيش به. كما تؤثر أيضا إزالة هذه الرواسب على جيومرفولوجية السواحل المرتبطة بالأحواض النهرية عن طريق مصبات الأودية. حيث تؤدي إزالة الرواسب من الأودية إلى حرمان الساحل من ميزانية رسابية مهمة، تعتبر ضرورية للحفاظ على التوازن الرسابي للشواطئ. الشيء الذي يزيد من فعالية العوامل المورفوتشكالية البحرية ومن حدة التعرية بالساحل. وما يزيد من حدة تأثير هذه المقالع على المنظومة النهرية والساحلية هو عدم التزام المستغلين بالكميات المسموح بها وبإعادة تهيئة المقالع بعد نهاية الاستغلال (Rachid Zaydoun, 2013, p 96).



الصورة رقم 11 والصورة رقم 12: استغلال الحصى بعالية شاطئ الضفة الجنوبية لوادي تانسيفت

(المصدر: مديرية التجهيز بآسفي، 2017)

وتجدر الإشارة إلى أنه قد يتم في بعض الأحيان منح رخص لاستغلال الحصى والحصيم المتواجد بعالية الشاطئ، كما هو الحال بشاطئ جنوب مصب وادي تانسيفت. حيث تم الترخيص لشركة خاصة باستغلال هذه المواد، رغم ما يحدثه ذلك من خلل على مستوى التعرية وتراجع خط الساحل. بفعل إزالة هذه المواد التي تحد من قوة وتأثير العباب والأمواج (الصورة رقم 11 و الصورة رقم 12).

خاتمة:

أدت التدخلات البشرية في الحوض النهري لتانسيفت إلى إحداث خلل في نظام الحوض نهري/الساحل من خلال التأثير على طبيعة وحجم التبادلات التي تتم بين العالية والسافلة. فالاقتصاد الفلاحي المعيشي والاقتصاد الفلاحي العصري المكثف ساهما بشكل متباين في التأثير على البيئة الساحلية. حيث أدى الاقتصاد الفلاحي المعيشي القديم وبطريقة لا إرادية إلى وقوع تغيرات مهمة داخل الحوض النهري، ساهمت في تزويد الساحل بكميات مهمة من الرواسب، مكنت من تسمين الشواطئ وتكوين الكثبان الساحلية وتوحل المصبات. فما يتم فقدانه من الرواسب في الحوض النهري يتم اكتسابه على مستوى الساحل والمجال القرب ساحلي. أما الاقتصاد الفلاحي العصري الذي يعتمد على ضخ المياه الباطنية وبناء السدود، فقد أدى إلى تدهور الوسط الطبيعي وأثر على الحمولة السائلة والصلبة لوادي تانسيفت، وبالتالي حرمان الساحل من كميات مهمة من الرواسب.

أما استغلال مقالع الرمال سواء منها القانونية أو العشوائية فيؤدي إلى اختلال المنظومة البيئية وتدهور عناصر الوسط الطبيعي. من خلال إزالة الغطاء النباتي الضروري لتثبيت التربة وتنظيم الجريان عبر اجتثاث الأشجار والحشائش لتهيئة المقالع وتعبيد طرق مرور الشاحنات. وكذا التأثير على المياه من خلال تغيير أنظمة الجريان السطحي بترك حفر تتجمع فيها

المياه، وتفاقم التعرية، وتسرب مخلفات الآليات وتلويث المياه السطحية والباطنية. كما يؤثر أيضا على التربة والهواء والوحيش. في حين يؤدي استغلال الكثبان الساحلية إلى إحداث خلل في آليات التعرية الساحلية، من خلال زيادة قدرة العباب على التعرية وخلق عجز رسابي بالشواطئ. أما إزالة الرواسب من مجرى الواد عن طريق مقالع مرخصة وأخرى عشوائية، فتساهم في تغيير نظام الجريان وتغيير سرعة وقدرة التيارات المائية على الحث والنقل والإرساب، كما تؤدي إلى حرمان الساحل من ميزانية رسابية مهمة خاصة على مستوى المصب. الشيء الذي يزيد من فعالية العوامل المورفوتشكالية البحرية ومن حدة التعرية الساحلية، وهو ما يترجم من خلال توالي العواصف البحرية التي تضرب ساحل المنطقة وتهدد المنشآت البشرية المقامة على طول الساحل.

قائمة المراجع:

أودوروش إسماعيل، 2015، تدبير الموارد الطبيعية بحوض نفيس: رمال الأودية نموذجا، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش. ص 168.

بوسكري أحمد، 2017، تقييم الأثر البيئي لمقالع الرمال بجماعتي المعاشات وسيدي إسحاق، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، 92 ص.

زيدون رشيد، 2020، التدبير المندمج للمناطق الساحلية والأحواض النهرية حالة ساحل الصويرة القديمة وحوض تانسيفت، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا الطبيعية، جامعة القاضي عياض مراكش المغرب، 402 صفحة.

منسوم (محمد) و عيشان (مصطفى) ، 1994، تأثير المنشآت الهيدروفلاحية على تطور الساحل الرملي لأكادير، في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، (ص. ص. 83 – 101).

منسوم محمد، 2015، نحو تدبير مندمج للأحواض النهرية والمجالات الساحلية بالمغرب، في مجلة مشاهد جغرافية العدد الأول، ماي 2015، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش. (ص. ص. 13- 31).

منسوم محمد، 2015،"االجيومرفلوجيا العامة"، مدخل الى علم التضاريس، الطبعة الأولى ، المطبعة الوطنية مراكش . ص 249.

وادريم (مصطفى)، 2003، دراسة جيومرفلوجية لمنطقة شياظمة (شمال مدينة الصويرة). أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة الحسن الثاني المحمدية. 342 ص.

Haida (S) et all, 1996, Géodynamique du bassin versant de l'oued Tensift (Maroc) : Erosion mécanique et bilan des transports solides fluviaux. Sci. Géol, Bull, 49, 1-4 p 7-23 Strasbourg 1996.

Mansoum (M), 1994, La baie d'Agadir : Impacts des aménagements sur l'évolution géomorphologique du littoral. Thèse de doctorat de géographie, Université de Bretagne Occidentale, 328 p.

Mansoum (M), 2012, Les différents impacts croisés entre littoraux et bassins versants dans les régions arides et semi-arides : le cas d'Essaouira. Revue Etudes Spatiales n° 6, Imprimerie El Watanya Marrakech, Avril 2012, pp : 7-23.

Riad (S), 2003, Typologie et analyse hydrologique des eaux superficielles à partir de quelques bassins versants présentatifs du Maroc. Thèse de Doctorat cotutelle Université des sciences et technologies de Lile et Université Ibnou Zohr d'Agadir, 154 p.

Secrétariat d'Etat chargé de l'eau et de l'environnement : Etude sur la gestion environnementale des carrières de la région Doukkal-Abda. Mission 1, 2 et 3, 2010/2011

Zaydoun (R), 2013, Littoral de Souira Qdima : Impacts des aménagements sur son évolution géomorphologique, mémoire du Master, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Marrakech, Maroc. 128 pp.

مقومات السياحة الجبلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي : حالة جماعتي بويبلان ورأس القصر

Mountain tourism potential in the northern eastern middle Atlas: case of the two communes Bouyablane and Ras Laksasr

محمد حق[1]، محمد شوقي[2]

[1] دكتور في الجغرافيا الحضرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

[2] أستاذ باحث بشعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس ، مختبر الدراسات الحضرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.**mohamedhaqoun@gmail.com**

ملخص

يركز المقال على المؤهلات السياحية (الطبيعية، التاريخية والثقافية) وإشكالية تنميتها بكل من جماعة بويبالان ورأس القصر بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي. إنها تعالج ثلاثة جوانب رئيسية وهي : تشخيص المقومات السياحية للجماعتين، معيقات التنمية السياحية بالمنطقة، وإستراتيجية النهوض بالقطاع.

تشخيص المؤهلات السياحية يبين أن الجماعتين غنيتين بفرص التنمية السياحية. فبالرغم من بعض المعيقات، فالمنطقة يمكن أن تتطور إذا ما تم تنفيذ إستراتيجية هادفة لتنمية القطاع السياحي. هذه الإستراتيجية ينبغي أن تربط بين التنمية السياحية والحفاظ على الموارد والنظم البيئية باعتماد المقاربة التشاركية. كما يجب توفير التجهيزات والخدمات الأساسية الضرورية.

بتعاون كل الفاعلين المعنيين وبالحكامة الجيدة في التدبير الترابي للجماعتين يمكن تحقيق الإقلاع السياحي الذي سينعكس بلا شك على الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

الكلمات المفتاح : المؤهلات السياحية_ جماعتي بويبلان ورأس القصر_ الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي_ التنمية السياحية.

Abstract

The article is interested at tourism (natural, historical and cultural) and the problematic of their development in the communes of Bouiblane and Ras Lakasr, in the northern eastern Middle Atlas. It treats three main aspects: the diagnosis of the tourism potential of two communes, the constraints of tourism development in the region, and the development strategy of the sector.

The diagnosis of tourism potential shows that the two communes are rich in tourism development opportunities. Despite certain constraints, it can develop if a development strategy for the tourism sector is implemented. This strategy must consist in particular in establishing a relationship between the development of tourism and the conservation of resources and ecosystems while adopting the participatory approach. It must also provide the necessary basic equipment and services.

The collaboration of all the actors concerned and the good governance of the management of the territory of the two communes should make it possible to achieve the tourism development objectives, which undoubtedly has repercussions on the social and economic situation of the population.

Keywords *:* tourism potentials_ the Bouiblane and Ras Lakasr communes_ the northern eastern Middle Atlas_ the development of tourism.

مقدمة

يتميز الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي المغربي بمقومات سياحية كثيرة ومتنوعة تجمع بين المؤهلات الطبيعية، التاريخية والثقافية ويضم عدة جماعات ترابية، غير أننا سنقتصر في هذا العمل على التطرق إلى الجماعتين الترابيتين : بويبلان ورأس القصر لما تزخران به من مؤهلات سياحية فريدة من جهة، ولإمكانية تحقيق تكامل فيما بينها في هذا المجال نظرا للترابط الطبيعي بين كلا الجماعتين من جهة ثانية.

تمتد الجماعة الترابية راس القصر، على مساحة 549 كلم^2، بساكنة مهمة بلغت 10515 نسمة، حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014. تقع ضمن الجهة الشرقية، وتابعة إداريا لدائرة تادارت، عمالة جرسيف (وثائق جماعة رأس القصر، 2014).

بينما الجماعة الترابية بويبلان تصل مساحتها إلى 83 كلم^2؛ فيما لا يتجاوز عدد ساكنها 2400 نسمة حسب إحصاء 2014 ، وهو رقم ضعيف بسبب الهجرة نحو السهول (وثائق الجماعة الترابية بويبلان، 2014).وتقع ضمن النفوذ الترابي لعمالة تازة بجهة فاس- مكناس (خريطة 1).

خريطة 1 : جماعتي رأس القصر وبويبلان ضمن المجال الوطني، الجهوي والمحلي

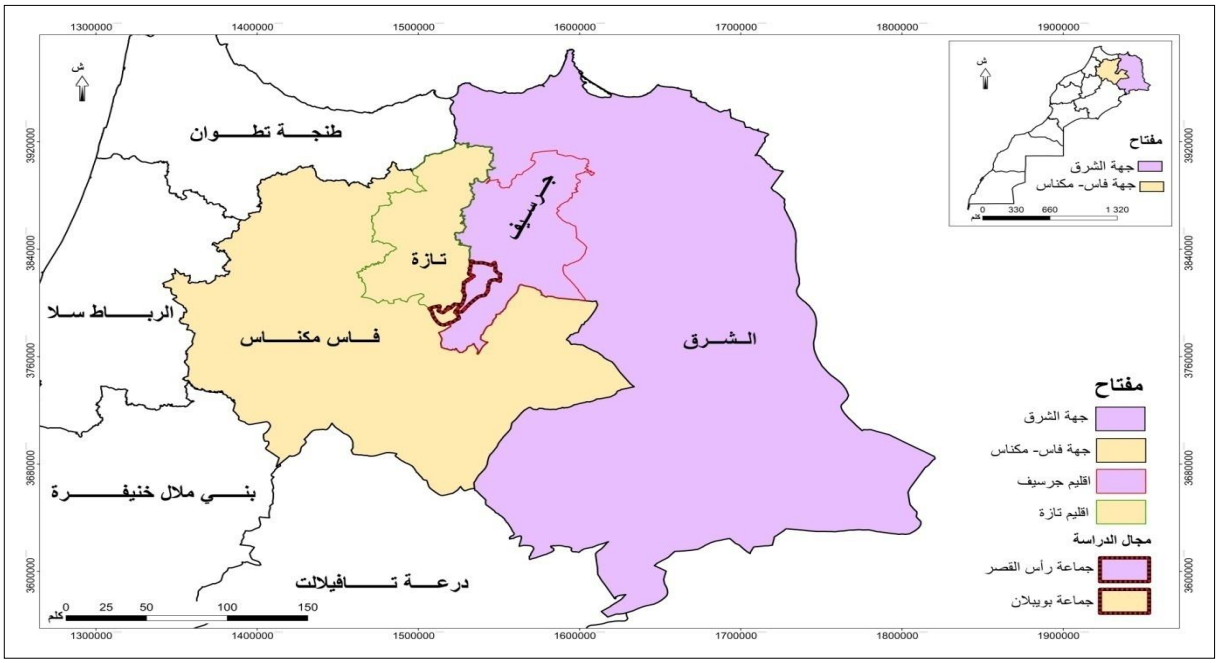

المصدر : خريطة المغرب بتصرف

تجمع بين كل من جماعة رأس القصر وبويبلان حدود طبيعية، حيث تتموقع رأس القصر في سفوح جبل بويبلان. ويشتغل سكان الجماعتين بالزراعة المعاشية وتربية الماشية مع غلبة نشاط تربية الماشية المعتمد على الترحال لدى ساكنة جماعة بويبلان، بقطيع يتجاوز 11 ألف رأس في المجموع (المديرية الإقليمية للفلاحة بتازة، 2014).

يتميز الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي عموما والجماعتين الترابيتين رأس القصر وبويبلان بمقومات سياحية كبيرة، غير أن معيقات القطاع السياحي على مستوى الجماعتين متعددة، إلا أن إمكانية النهوض بهذا القطاع بالمنطقة يبقى وارد إذا توفرت الإرادة من طرف الجهات المتدخلة.

تتوفر جماعتي بويبلان ورأس القصر على عدة مقومات سياحية

تتنوع المؤهلات السياحية بجماعتي رأس القصر وبويبلان المتمركزتين بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي بين ما هو طبيعي، تاريخي وثقافي .

1.1 المؤهلات الطبيعية

يعتبر جبل بويبلان ذو القمة 3192 مترا، أهم موقع طبيعي بجماعة بويبلان، حيث تم تسمية الجماعة الترابية باسمه لمكانته الكبيرة. أما حول أصل التسمية؛ فالرواية الشائعة والمتفق عليها من لدن السكان يرجع أصلها إلى فترة الاستعمار، إذ كان الفرنسيون معجبين بهذا الجبل الناصع البياض، وكانوا يشيرون إليه ب Beau et Blanc، ومن هنا جاءت تسمية "بويبلان" القريب من مدينة تازة.

يحتل هذا الجبل المرتبة الثالثة في المغرب من حيث الارتفاع، ما يجعله يعيش أشهراً طويلة تحت الثلج لا تختلف بتاتا عما تعيشه جبال البيريني Pyrénées بفرنسا، حيث يجمع بين المجالين انتماءهما الجغرافي لمنطقة البحر الأبيض المتوسط واكتسابهما معا لخصائص المناخ المتوسطي .

صورة 1 : منظر لجبل بويبلان ذي القمة 3192 م (مارس 2019)



يكتنز هذا الجبل مؤهلات طبيعية متنوعة تجمع بين القمم الجبلية الساحرة كجبل موسى أوصالح 3172م، أدرار أبوملال حوالي 3000 متر، وغابات متنوعة من أبرزها : الصنوبر، الأرز، العرعار، إكليل الجبل وغيرها. كما يعتبر بمثابة المغذي الرئيسي للأودية بالمنطقة، كواد تمورغوت وواد البارد ، هذا الأخير ينطلق مباشرة من سفح الجبل من منبعه الرئيسي المعروف ب"إغز" وهي عبارة عن مغارة كبيرة ذات منظر خلاب نظرا لطبيعتها الجوراسية الكارستية (حق محمد ،2013).

الصورتين 2 و3 : منظر عام لواد البارد بسفوح جبل بويبلان ومنبعه الرئيسي"إغز"(ماي 2012)





يمتد هذا الواد بكل من جماعة بويبلان حيث منطلقه مرورا بجماعة رأس القصر، حيث تنتشر الزراعات المسقية على طول ضفافه حتى مصبه بواد ملوية بسهل جرسيف في اتجاه الشرق إذ يبقى كأهم مورد مائي بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، يبلغ طوله أزيد من 100 كلم. وتبلغ مساحة الحوض الهيدرولوجي امللو 2600كلم^2 هذا الحوض يحده من الشمال والشمال الغربي حوض إيناون، وفي اتجاه الغرب حوض عالية سبو ومن الجنوب الشرقي حوض ملوية (عقاوي هشام ، 2003).

أما في ما يخص صبيب هذا الواد فإن المعطيات بهذا الشأن قليلة نظرا لغياب المحطات الهيدرولوجية على أغلب روافد واد امللو باستثناء محطتين إحداهما ببالفراح والمحطة الأخرى بجرسيف وكلاهما تتموقعان في سافلة الحوض. وعموما فلا تتوفر قياسات دقيقة ماعدا على مستوى المنبع الرئيسي حيث سجل 5م^3 في الثانية كمتوسط (Taous A , 2009).

كل هذه المؤهلات الطبيعية من مياه متدفقة وأودية تنتشر على طول ضفافها الزراعات المعاشية تجعل المنطقة تتميز بمشاهد ريفية قل نظيرها.

بالإضافة إلى الموارد السياحية السالفة الذكر تتوفر جماعة رأس القصر على مواقع طبيعية متميزة كذلك، تتمثل في منابع" تما قنت" منطلق واد زبزيط تشكل مضايق gorges ، حيث المياه المتدفقة عل شكل شلالات كل هده الأماكن تغري الزوار وتستحق المشاهدة.

صورة 4 : أحد مضايق موقع "اتماقنت" السياحي بجماعة رأس القصر(ماي 2019)

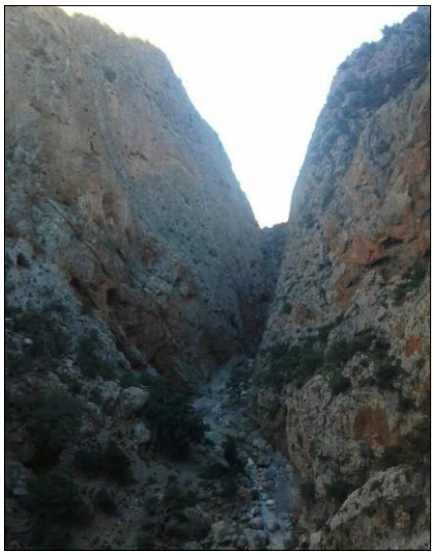

إضافة إلى المؤهلات الطبيعية تضم كل من جماعتي بويبلان ورأس القصر عدة مؤهلات تتجلى في الموارد التاريخية والثقافية التي يمكن استغلالها في القطاع السياحي بالمنطقة.

التراث التاريخي - الثقافي.

أصبح التراث كمورد ترابي يحظى باهتمام متزايد في السنين الأخيرة نظرا للبعد التنموي الهام الذي يحمله، ولا يقتصر مفهوم التراث هنا على الذاكرة التي تشكلت لدينا عن الحقب الماضية، أو عن المواطن والمشاهد المتميزة التي تزخر بها طبيعتنا، فالتراث التاريخي والثقافي.يشمل كل الموروثات الحضارية التي تراكمت عبر التاريخ وذلك كيفما كان شكلها، وهكذا وعلى سبيل المثال فإن التراث اللامادي أو اللامرئي يشكل أحد المكونات الأكثر أهمية، ويتعلق الأمر بالثقافة والمهارات وأساليب العيش (التصميم الوطني لإعداد التراب، 2003).

يتطلب تشخيص مورد ترابي كالتراث مجهودا جبارا ووقتا طويلا للوقوف على كل عناصره وظروف نشأته وتطوره، في حين سنحاول قدر الإمكان أن نشخص بعض العناصر التراثية الموجودة بجماعة رأس القصر ومحيطها قصد معرفة الدور الذي قد تلعبه في التنمية المحلية.

1.2 السكن التقليدي

يتشكل هذا التراث المعماري من السكن القروي ذوا لخصوصية المحلية سواء من حيث التنظيم الداخلي للمسكن أو من حيث المواد المستعملة في البناء فجل المساكن تتميز بالبساطة من حيث هندستها.حيث أن أغلب السكان لازالوا يعتمدون على الطين والصخور الصلبة في بناء الجدران التي تسقف بالأخشاب وتفرش بالدفلة أو القصب ثم الطين وتكون النوافذ من الخشب وكذا الأبواب. كما أن الرحل يعتمدون على الخيام بمرتفعات جبل بويبلان، وهي غالبا ما تصنع من شعر الماعز الذي يتم تحويله إلى خيوط وبالتالي نسج الخيمة من خلاله.

الصورتين 5 و 6 : نموذج لأنواع السكن التقليدي بالجماعة والمواد المستعملة في البناء (25 مارس 2013).





يتضح أن الجماعة تتوفر على مورد تراثي مهم يتجلى في السكن القروي المتميز بهندسته الخاصة وجماليته لا من حيث طريقة البناء ولا من حيث المواد المستعملة مما يجعله يختلف عن السكن الحديث فرغم بساطته إلا أن له مميزات منها القدرة على التأقلم مع الظروف المناخية الصعبة للمنطقة ،فهذا النوع من السكن له قدرة هائلة على الحفاظ على التوازن الحراري داخل فناء المسكن، حيث ترتفع حرارته في فصل الشتاء ليصير دافئا، وتنخفض صيفا ليصير

لطيفا. هدا النوع من السكن قد يذر عائدات مهمة على المنطقة إذا ما تم استغلاله في الجانب السياحي بتحويل جزء منه إلى دور للضيافة.

2.2 الصناعة التقليدية

تحتل الصناعة التقليدية مكانتها بالجماعتين كمورد تراثي يبرز مهارات وخصوصيات الساكنة المحلية، ويعتمد هذا النشاط على اليد العاملة المحلية والموارد الأولية المتوفرة بالمنطقة كالصوف والحلفاء، ومن أهم الصناعات التقليدية، نجد صناعة النسيج المنزلي الذي يمارس خاصة من طرف المرأة لسد حاجيات الأسر فقط في صناعة الزرابي ونسج بعض الجلاليب في حين يتم صنع بعض الأواني المنزلية من نبتة الحلفاء.

الصورتين7و8: منتوجات الصناعة التقليدية المنسوجة وأواني صنعت من نبتة الحلفاء(مارس 2019).





ينضاف لهذه الصناعات وجود حرفة النجارة التي يشتغل فيها قلة من السكان لوفرة الأخشاب التي يتم من خلالها صناعة الأبواب والنوافذ وغيرها، إلا أن أغلب هذه المنتوجات الحرفية والصناعة التقليدية يوجهان نحو الاستهلاك الذاتي. وعلى العموم لازالت الصناعة التقليدية والحرفية تعاني من بطئ عملية الإنتاج وذلك لبساطة الوسائل المستعملة. كما أنها تعاني من صعوبات في التسويق نظرا لغياب شبكات خاصة بتوزيع هذه المنتوجات وكدا المنافسة التي تتعرض لها من طرف الصناعات الحديثة.

2.3 المواسم الدينية

يتواجد بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي وبالأخص بجماعتي بويبلان وراس القصر العديد من الأضرحة تسمى أيضا "قبور الأولياء" أو الشرفاء أو الصالحين، وهي متعددة من أهمها ضريح سيدي بيوسف الذي يوجد بمركز الجماعة الترابية رأس القصر وضريح سيدي امبارك المتمركز بأقصى شمالها. وقد أصبح موسمي كل من الوالي الصالح سدي بيوسف الذي يقام في غشت من كل سنة وموسم سدي أمبارك الذي يقام في أبريل من كل سنة تقليدا سنويا من طرف سكان الجماعة. ويسعى الموسمان إلى التعريف بالمنطقة وإبراز ما تحظى به من إمكانيات طبيعية وسياحية فموسم سدي بيوسف الذي يحاول المسؤولون بالمنطقة تحويله إلى مهرجان سنوي بدأ في الآونة الأخيرة يراعى إعطاء شعار للموسم واستدعاء فرق فلكلورية وموسيقية للمشاركة. مما قد يجعل هذا االنوع من التراث يستغل بشكل أفضل ويعود على ساكنة المنطقة بمداخيل هامة.

صورة 9 : ضريح سيدي بيوسف المتواجد قرب دوار زبزيط بجماعة رأس القصر (مارس 2020).



كما أن المنطقة تتميز بانتشار العديد من أنواع الفلكلور الشعبي الذي يتم ممارسته في الأعراس والمناسبات.

4.2 الثقافة الشعبية

تتلخص الثقافة الشعبية بالمنطقة في الفلكلور الشعبي الدي تشتهر به قبيلة بني وراين الأمازيغية المتمثل في فن أحيدوس، والدي يعتبر موروثا تراثيا يستحق التنويه باعتباره يمثل صورة حية عن تاريخ الأجداد. وسواء تعلق الأمر بفرقة التبوريدا أو أحيدوس تؤدى الرقصات بشكل جماعي مع وجود بعض الاختلاف ، فرقصة التبوريدا تؤدى من طرف الرجال فقط يرقصون مصطفين على إيقاعات الطبول والمزامير حاملين الأسلحة التقليدية (بوكحلة). أما رقصة أحيدوس فهي تؤدى من طرف الرجال والنساء معا يتغنون بأشعار مختلفة المضامين.

الصورة 10 : فرقة مسكرات للفلكلور الشعبي أحيدوس بالجماعة (شتنبر 2012)



يسمى كل مقطع شعري "ازلي" وهذه المقاطع الشعرية كلام ورايني وعربي رغم أنه منطوق بأفواه ورينية. والأدوات الإقاعية المستعملة في هذه الرقصة هي البندير أما اللباس فهناك الحايك جلباب أبيض عمامة "تقرابت" والمزون. والدواوير المشهورة بهذه الرقصة هي: دوار تماست، دوار اكلي، دوارتخيامين، دوار اسميو الفقاني، دوارمسكرات، دوار تغزوت.

شكل هذا الفن موروثا ثقافيا مهما فرقصة أحيدوس تحمل العديد من المضامين لذا يجب الحفاظ على هذا الموروث تشجيعا له على الاستمرار.كما يمكن توظيفه في دور الضيافة التقليدية لجذب واستقبال الزوار. غير أن السياحة الجبلية بالمنطقة لازالت تشهد تأخرا واضحا لعدة أسباب.

3.ضعف التجهيزات و البنيات التحتية من معيقات القطاع السياحي على مستوى الجماعتين

يتجلى ضعف التجهيزات والبنيات التحتية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي عموما وبالجماعتين الترابيتين بويبلان وراس القصر خصوصا في ضعف الشبكة الطرقية و غياب البنيات التحتية الايوائية .

1.3 الشبكة الطرقية

تعيش الشبكة الطرقية وضعية مزرية جراء النقص الحاصل في الطرق المعبدة التي تعرف بمحدوديتها خصوصا جماعة بويبلان ، حيث تبقى الطرق غير المعبدة هي السائدة. ويرجع السبب إلى وعورة التضاريس بالجماعة واختراق مجالها الترابي من طرف الوديان التي تسبب شللا تاما في حركة السير جراء غياب قناطرعلى هذه الأودية. أما الجماعة القروية رأس القصر فقد تم فك العزلة عن غالبية دواويرها بنسبة 90% من التغطية (وثائق جماعة رأس القصر، 2013).

إن ضعف الشبكة الطرقية بالمنطقة يعتبر بمثابة المعرقل الرئيسي لمسلسل التنمية خصوصا قطاع السياحة، الشيء الذي يجعل المنطقة غير مؤهلة لاستقطاب أي استثمار يذكر لا من طرف السكان المحليين فبالأحرى الأجانب، هذه الوضعية فرضت بدورها ضعفا في المواصلات وسيادة وسائل النقل السري.

2.3 النقل والمواصلات

بحكم الموقع الجغرافي للجماعتين وتضاريسهما الوعرة فان وسائل النقل المستعملة بين دواوير الجماعة الترابية بويبلان ومركزها هي الدواب في غالب الأحيان، غير أن وسائل النقل المستعملة إلى مدينة تازة باعتبارها المدينة الأقرب والتابعة لها إداريا هي وسائل النقل غير المرخص (مرسديس 207). بينما تبقى جماعة رأس القصر أفضل نوعا ما لارتفاع نسبة التغطية بالشبكة الطرقية داخل مجالها.

وإجمالا فضعف الشبكة الطرقية ووسائل النقل من أبرز العناصر التي تحد من تنمية السياحة الجبلية، كما نسجل ضعفا حادا في البنيات التحتية المخصصة للرياضة الجبلية والبنيات الإيوائية.

3.3 غياب التجهيزات المخصصة للرياضة الجبلية وكذا البنيات الإيو ائية

تشهد منطقة الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي وبالأخص جماعتي بويبلان ورأس القصر نقصا كبيرا في البنيات التحتية الايوائية لاستقبال الزوار من فنادق ومطاعم ومقاهي وغيرها. فباستثناء نزل"تافرت" على مستوى جماعة بويبلان فان المنطقة لا تتوفر على أي فندق يذكر.

صورة 11 : نزل "تافرت" بمرتفعات جبل بويبلان (أبريل 2016)



تم تشييد هذا النزل خلال فترة الاستعمار من طرف السلطات الفرنسية، حيث كانت المنطقة أنذاك تعرف رواجا سياحيا واهتماما كبيرا. فبالإضافة إلى هذا الفندق تم بناء محطة بويبلان للتزلج على الثلج .لكن للأسف المحطة تم إهمالها بعد رحيل الاستعمار.

الصورة 12 : بقايا محطة التزحلق بمنطقة "تيسروين" بسفح جبل بويبلان(أبريل 2019)



رغم أن جبل بويبلان من المناطق التي تستقبل أولى التساقطات الثلجية في المغرب خلال شهر أكتوبر، وأحيانا يمتد إلى شهر ماي.إلا أنه ورغم كل هذه الإمكانيات لم يتلقى العناية التي يستحقها بعد نظرا لغياب التصور التنموي لدى المسؤولين أو لضعف التخطيط من طرف الجهات المعنية.

خطوات عملية للنهوض بالسياحة بالمنطقة

تكتنز جماعتي بويبلان ورأس القصر بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي عدة إمكانيات سواء منها الطبيعية أو المتعلقة بالتراث التاريخي - الثقافي. يمكن أن تحققا إقلاعا اقتصاديا سياحيا بالمنطقة نظرا للتناغم الطبيعي المتكامل فيما بينهما من جهة، وانفتاح جماعة رأس القصر على سهل جرسيف في اتجاه الشرق حيث الانفتاح على المتوسط من خلال الجمع بين السياحة الجبلية والشاطئية إذا ما تم تهييئ المنطقة ككل في إطار مشروع سياحي متكامل يقوم على توفير البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية خصوصا تعبيد الطرق وبذلك يمكن تشجيع الاستثمارات في المنطقة خصوصا في مجال الفنادق والمطاعم وغيرها من متطلبات القطاع السياحي.

كما أن يجب تظافر جهود جل الفاعلين من جمعيات المجتمع المدني،الدولة،السكان والقطاع الخاص للنهوض بالسياحة الجبلية بالمنطقة وذلك في إطار تشاركي. وهذا لن يتأتى إلا بتأسيس جمعيات كجمعية بويبلان للاستغوار وتسلق الجبال، والتي تحاول الترويج للمنطقة برحلات استكشافية مع جمعيات من خارج المنطقة، حيث تقوم بالتعريف بالمنطقة من خلال القيام برحلات مشي جماعية.

خاتمة

إن ضُعف الاهتمام بالسياحة الجبلية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي وبالأخص بجماعتي رأس القصر وبويبلان، هذه الأخيرة تبقى أحد أكثر المناطق استقبالاً للتساقطات الثلجية من ناحيتي الزمن والكثافة، يبقى رهين توفير البنيات التحتية اللازمة من طرق وفنادق وغيرها ؛ كما أن وكالات الأسفار في سواء بجهة فاس مكناس حيث تنتمي جماعة بويبلان أو بجهة الشرق حيث تنتمي جماعة رأس القصر، فهما لا تدرجان هذه المسارات ضمن البرامج الموجهة للأجانب، لتضيع بذلك مؤهلات لو وجدت الاهتمام الجدير لخلقت حركية اقتصادية.

-مـراجع باللغة العربية :

حق محمد (2013) : " الموارد الترابية بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي ، واقع الحال وإستراتيجية التنمية المستدامة : حالة جماعة رأس القصر"، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافية، كليةالآداب والعلوم الإنسانية سايس -فاس.

عقاوي هشام (2003) : "المظاهر الطبيعية والمؤهلات السياحية بالسفح الغربي لجبل بويبلان" ،بحث لنيل الماستر في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس.

-المصالح والوثائق الإدارية :

التصميم الوطني لإعداد التراب، 2003.

وثائق جماعة رأس القصر، 2014.

وثائق الجماعة الترابية بويبلان، 2014.

المديرية الإقليمية للفلاحة بتازة، 2014.

Bibliographiques Francaises :

- Taous A., Tribak A., Obda Kh., Baena R., Lara L.E. , & Bonilla M.J., 2009.Karst et ressources en eau au Moyen Atlas nord-oriental. Geomaghreb, 5, p. 41-90.
- Troin J., 2002. Maroc : régions, pays et territoires. Maisonneuve & Larose. Paris, P.504.

Sites internet :

- www.tanmia.ma
- www.hcp.ma

التنمية بمدينة حدالسوالم بين الدينامية الحضرية والفاعل الترابي

Development in Had soualem city between urban dynamism and the territorial actor

عبد الواحد ايت الشاين، متخصص في نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد، المغرب.

chainegeo1920@gmail.com

عبد الرحمان الراجي، طالب دكتوراه، مختبر المجال، المجتمع، والثقافة، بجامعة الحسن الثاني، المغرب.

إن رغبتنا في فهم دينامية المجال وعلاقتها بالتنمية، شكل حافزا في البحث عن التحولات المجالية التي تطبع مجال دراستنا، فالمقاربة التي اعتمدناها، مكنتنا من تتبع صيرورة هاته التحولات، من خلال ربط الماضي بالحاضر لفهم طبيعة التحولات المجالية.

شكل المعطى الديمغرافي أهم معيار للتعبير عن التحولات المجالية، باعتباره سيحيلنا بدقة بطريقة غير مباشرة حجم التحولات المجالية التي عرفها مجال حد السوالم، فالمعرفة حجم التحولات الديمغرافية بالمجال قمنا بربطه بمحيطه العام (إقليم برشيد)، من أجل المقارنة وتحديد سيرورة التحول، فخلصنا في النهاية أن مجال الدراسة خلال الفترة ما بعد 1994، أصبح يشكل ثقل ديمغرافي مهم داخل الإقليم وزداد هذا الثقل وتضح خلال الإحصاء الأخير الذي سجل فيه المركز اعلى نسبة تزايد سنوي للسكان 7% بعد ما كان فقط مركز قروي لا تتعدى ساكنته 10311 ألف نسمة بنسبة 2.6% من مجموع سكان إقليم برشيد إلى 7.5 % من مجموع ساكنة إقليم برشيد.

الكلمات المفاتيح: التحولات المجالية، التنمية الترابية، الدينامية الحضرية، الفاعل الترابي.

Our desire to understand the dynamics of the field and its relationship to development constituted an incentive in the search for the field transformations that characterize our field of study. The approach that we adopted enabled us to trace the process of these transformations, by linking the past with the present to understand the nature of the field transformations.

The demographic data constituted the most important criterion for expressing the spatial shifts, as it would accurately refer to us in an indirect way the size of the spatial transformations that the area of the Sawalem boundary knew, so knowledge of the size of the demographic shifts in the field we linked it to its general environment (Berrechid region), for the sake of comparison and determining the process of transformation, so we concluded in the end that The field of study during the post-1994 period became an important demographic weight within the region and this weight increased and became evident during the last census in which the center recorded the highest annual population growth rate of 7% after what was only a village center whose inhabitants did not exceed 10,311 thousand people, or 2.6% of the total Population of Berrechid Region to 7.5% of the total population of Berrechid Region.

Key words: Domain shifts, Terrestrial development, Urban dynamism

مقدمة:

شهد المغرب منذ بداية القرن العشرين تمدينا ونموا حضريا مهما، نابع بالأساس بظاهرة ديمغرافية كما هو الشأن بالنسبة لأغلب الدول النامية: فحركية السكان كسلوك إنساني مستمر في الزمن- وما ينتج عنها من وضعيات في أشكال استغلال الأرض وتباين في أنماط التعمير وتحول في الوظائف والأنشطة-، تخضع لعدة عوامل متداخلة ومتباينة من مجال إلى مجال وبأنماط مختلفة همت المدن الكبرى.

يشكل ظهور التجمعات السكنية الكبرى أهم العناصر التي تبرز التحضر السريع الذي عرفه المغرب، لكون هاته الوحدات تمثل أقطابا فاعلة في تنظيم الشبكة الحضرية المغربية، فهي قوية النمو و متزايدة العدد، فمنها من تطور في جهته عبر أجيال مكونا قطبا إقليميا، ومنها من تطور داخل مجموعة حضرية متماسكة الأنشطة و الوظائف، إلا أن تعدد الإشكالات الاقتصادية تضع هاته الوحدات في تناقض فهي من جهة، مدن أو عواصم جهوية، تحاكي شبيهاتها في البلدان الأوروبية من حيث الهندسة المعمارية-أحياء مركزية حديثة بها مساحات و شوارع واسعة تتزاحم فيها واجهات الشركات التجارية و الأبناك و التأمين، ومن جهة أخرى، تنتشر فيها أحياء فقيرة واسعة غير مهيكلة وصفيحية ورغم التدخلات المختلفة فإن أليات التنظيم و التهيئة غير قادرة بالوسائل المتاحة على تغير هذا الواقع[30].

في هذا السياق، عرفت المجالات الضاحوية للمدن الكبرى بالمغرب تحولات مجالية وديمغرافية سريعة. تشكل هوامش مدينة الدار البيضاء الكبرى خير مثال، حيث عرفت هاته الهوامش تحولات قوية و سريعة، أسفرت عن نمو مراكز حضرية عديدة، ساهمت في هيكلة المجال الضاحوي الذي عرف بدوره خلال العقدين الأخرين دينامية ديمغرافية وعمرانية كان لها أثر واضح على توزيع السكان و المرافق، خاصة إعادة توطين الأنشطة الصناعية، مما ساعد على ارتقاء بعض المراكز إلى مصاف البلديات، و من مراكز قروية تتميز بإمكانيات فلاحية متميزة إلى مجالات ظهور عدة ظواهر تتمثل في انتشار السكن غير اللائق والاقتصاد غير المهيكل و غيرها من الظواهر الذي تطبع المراكز الحضرية المتاخمة للمدن الكبرى كما هو الشأن ضواحي المتربول البيضاوي.

يعتبر المركز الحضري حد السوالم الذي يعتبر امتدادا للضاحية الجنوبية لمدينة الدار البيضاء، من المراكز الذي شهد نمو ديمغرافي مطرد، وتوسع عمراني مفاجئ، فضلا عن نمو بارز متعلق بتحول على مستوى وظيفة المجال: من وظيفة فلاحية إلى وظيفة صناعية وسكنية وخدماتية.

30 - **قاسم جمادي (1995):** المدن الكبرى المغربية: إثبات الذات وتناقض الوجدان، الملتقى الثاني الوطني الجغرافي المدن، النظم الحضرية وإنتاج المجال المديني، 27-28 يناير 1995 منشورات كلية الأدب بنمسيك / الدار البيضاء.

وانطلاقا من تحليل مظاهر التحولات المجالية، من خلال ربط الماضي بالحاضر، سنحاول دراسة هذا الموضوع بدء بتشخيصنا لمظاهر التحولات المجالية و مقاربتها من زاوية سوسيوجغرافية تروم قياس مستواها بمكوناتها الديمغرافية والعمرانية، التي تنعكس على أنشطة ووظائف المدينة مما يطرح إشكالية تحقيق التنمية، من هنا تبرز أهمية دور الفاعلين المحليين، سيما المعنيين بالشأن المحلي في مواكبة هاته التحولات، و مساهمتهم في تحسين أوضاع مجال تدخلاتهم، دون اغفال ما لهاته التحولات المجالية من تداعيات تجعل المجال كحلقة معطوبة في سبيل تحقيق تنمية منشودة و فعالة، مما يستدعي استشراف الأفاق و إعطاء رؤية مستقبلية، في إطار تنمية متكاملة تراعي كل خصوصيات هذا المجال، و ذلك من أجل خلق أرضية ملائمة لتعزيز دور هذا المركز كقطب تنموي من مستوى محلي متوفر على تجهيزات وخدمات و مرافق كفيلة لتلبية رغبات الساكنة المحلية و الوافدة.

إشكالية الدراسة وفرضيتها:

تنطلق إشكالية هذه الورقة البحثية من كون مدينة حد السوالم تعتبر من المراكز الحضرية الذي شهد مجموعة من التحولات المجالية جعلته محط اهتمام العديد من المهتمين خاصة أبناء المنطقة، فهو من المراكز الحضرية الذي انتقل بفعل القرارات "السياسية"، من مركز قروي إلى مستوى بلدية، والذي عرف دينامية ديمغرافية مهمة، حيث انتقل عدد سكان مدينة حد السوالم من 10392نسمة سنة 2004 إلى 36765نسمة، بنسبة تزايد سنوي وصلت إلى % 14.37.[31]

تعزى أسباب هذا النمو الديمغرافي بالأساس إلى عامل الهجرة، حيث يتلقى مركز حد السوالم فئات مهاجرة من مناطق قروية قريبة وبعيدة بعضها من جنوب المغرب، ولكن تشكل الفئات الوافدة من مدينة الدار البيضاء الفئة الأكثر استقرار بالمركز.

ازداد عدد السكان أيضا بفعل التوسع الحضري، كم عرف المركز تغيرا في بنيته الاقتصادية بفعل التوسع العمراني على حساب المجالات الفلاحية الخصبة، انتشار واسع الأنشطة غير المهيكلة.

بفعل هاته التحولات المجالية التي عرفها مركز حد السوالم ازدادت حاجيات الساكنة المحلية من المرافق والتجهيزات الأساسية، لمواكبة سيرورة التحولات التي قد يشهدها المجال مستقبلا، ما استوجب مبادرات وتدخلات مختلف الفاعلين على كافة المستويات لتحقيق تنمية ترابية محلية.

[31] - الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

هكذا فالإشكالية الرئيسة التي يتمحور عليها موضوع بحثنا هذا تتمثل في السؤال المركزي التالي: إلى أي حد انعكست التحولات المجالية التي شهدها مركز حد السوالم على التنمية المحلية؟

وتتفرع هاته الإشكالية إلى عدة تساؤلات يمكن إجمالها فيما يلي:

وكيف انعكست هاته التحولات المجالية على واقع الوضع التنموي المحلي بالمركز؟

وما هو دور الفاعلين في تدخلاتهم للنهوض بتنمية المجال؟

لكي يقوم الباحث بمعالجة موضوعه، لابد أن ينطلق من وضع فرضيات، لتبسيط الإشكالية التي وضعها لموضوع البحث، كون هاته الفرضيات أجوبة مؤقتة على الأسئلة المشكلة للبحث ويمكن تأييدها أو نفيها بعد معالجة الموضوع وتتمثل هاته الفرضيات في كون:

قد يشكل عامل التاريخ والموقع وكذا الشبكة الطرقية عوامل حاسمة في هيكلة التوسع والتحول الحاصل.

القرب من المتروبول الوطني الدار البيضاء بـ30 كلم، وما عرفه هذا الأخير من تطورات نتج عنه ضغط على مستوى العقار، وشكل عاملا في إعادة انتشار السكان والأنشطة بالمناطق المجاورة والقريبة له.

قد يؤدي تعدد مختلف الفاعليين وعدم التنسيق بيتهم، مع غياب استراتيجية واضحة للتنمية المحلية تأثير سلبي على مواكبة سيرورة التحولات التي شهدها المركز.

منهجية الدراسة وأدواتها:

من أجل لإجابة عن الإشكالية التي تثيرها الدراسة بطريقة علمية ودقيقة، وللتوصل لنتائج واضحة لابد من الاعتماد على منهجية علمية ودقيقة، من خلالها سنقدم تأطيرا منهجيا لمفهوم التحولات المجالية، ودراسة تحليلية لإشكالية التنمية بمدينة حد السوالم، وسنخص في هذه الدراسة حيزا هاما الابراز مظاهر التحولات ومراحله المجالية واستراتيجيات مختلف الفاعليين في النهوض بتنمية المجال.

التقنية المعتمدة في البحث:

من أجل الوصول بهذا العمل إلى مراحله النهائية، تطلب الأمر تتبع مجموعة من الخطوات العلمية من أجل جمع المعطيات الكفيلة بالإلمام بالموضوع من كل جوانبه.

مرحلة العمل الببليوغرافي:

تسمح لنا هاته المرحلة الاطلاع على الأعمال التي تناولت موضوع الدراسة من بحوث ومقالات، الشيء الذي يسمح لنا بوضع البحث في سياقه العام وإبراز حدوده على المستوى النظري، ولأجل ذلك فقد حاولنا الاطلاع على أكبر عدد من المراجع والمصادر، التي تناولت الموضوع.

مرحلة جمع الوثائق والمعلومات:

في هذه المرحلة قمنا بجمع وتحصيل المعلومات المتعلقة بموضوع البحث، وكذلك الاطلاع على مجموعة من الوثائق، والمطبوعات، والإحصائيات والتقارير التي استقيناها من بعض الإدارات والمؤسسات المعنية: كالوكالة الحضرية رشيد، الجماعة الترابية حد السوالم، ومقر الباشوية بحد السوالم، الساحل أولاد حريز، السوالم طريفية، ومندوبية السامية للتخطيط، وعمالة برشيد...الخ.

الاستمارة الميدانية:

تعتبر الاستمارة الميدانية من الوسائل العلمية التي يتم الاعتماد عليها بشكل كبير في معالجة مختلف المواضيع، فهي تساعد على المقارنة ما بين مختلف المعطيات الرسمية التي تنجزها المؤسسات كالإحصاءات والتقارير.

كما يتم اجراء مقابلات مع مختلف الفاعلين منهم بالخصوص المؤسسات العمومية وشبه عمومية (الجماعة المحلية، المدارس، ودور الشباب...).

العمل الكرطوغرافي:

وضع مجموعة من الخرائط التي تعبر عن الظاهرة المدروسة وتشمل الخرائط ذات دلالة نوعية وكمية من خلال استعمال مجموعة من البرامج الخاصة بتحليل المعطيات المكانية مثل التي تعالج المرئيات الفضائية.

المفاهيم المهيكلة للدراسة:

يشكل الإطار المفاهيمي ركيزة أساسية لموضوع الدراسة ورغم صعوبة واستحالة الحديث عن مفهوم دقيق ومحدد وخاصة في العلوم الإنسانية بصفة عامة والاجتماعية بصفة خاصة، فسأحاول الوقوف عن بعض المفاهيم التي نراها

مفهوم التنمية:

يعتبر مفهوم التنمية من أبرز المفاهيم تدولا وأكثرها تعقيدا، ولا يرجع ذلك فقط لتعدد أبعاده واختلاف مستوياته، أو إلى السيرورة التاريخية التي أنتجته، وإنما إلى طبيعة المفهوم في حد ذاته، وإذ أنه يشكل على الدوام أحد المفاهيم الأكثر غموضا وضبابية، اعتبارا لطبيعته المعقدة التي تتغير باستمرار حسب السياق التداول.[32]

التنمية الترابية:

إن التطور المعرفي الذي شهده المفهوم سيقود نحو مزيد من التخصص الذي فرضته أسئلة التنمية على المستوى الواقعي، بحيث لم يعد الحديث مقبولا عن التنمية بشكل مغرق في العمومية والشمولية وهذا ما استوجب تفريع التنمية إلى واجهات عدة الاشتغال، كالتنمية الاقتصادية والثقافية والسياحية والفلاحية والقروية والتنمية الترابية.

إن التنمية الترابية هي مقاربة جديدة للفعل الاجتماعي وأرضية للتشاور والتنسيق بين جميع الفاعلين من أجل إنجاز مشاريع ترابية مندمجة تسعى إلى تحقيق الرفاهية وخلق إطارات للحياة بعيدا عن التهميش والاقصاء والتلقائية، كما أن مفهوم التنمية الترابية يقدم أحيانا كخطاب أكاديمي جديد يتجاوز المقاربات التنموية الجهوية والمحلية، وأحيانا أخرى كخطاب اجتماعي جديد يكشف عن واقع سوسيواقتصادي، لكن بالأساس عن علاقات جديدة بين المعطى الاقتصادي والبعد الترابي.[33]

دورتدخلات الفاعلين و أفاق تنمية المدينة.

أمام التحولات المجالية التي عرفها حد السوالم، والتي تتجلى في مختلف التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، والتي كان لها بعض الأثر السلبي في البنية السوسيواقتصادية والمجالية بالمدينة، ما يستوجب تدخلات الفاعليين ورسم الأفاق المستقبلية للمدينة من أجل تنمية مجالية مستدامة.

المجلس الجماعي ودوره في التنمية

إن تحليلنا لوضعية الجماعة المحلية بحد السوالم، يرتكز على مدى مساهمة هاته المؤسسة الإدارية في المسلسل التنموي بتراب الجماعة من خلال مواردها المالية والبشرية، وكذا من خلال تدخلاتها.

---

[32] - **فراعي عبد السلام، (1995)**، التربية والتنمية في المغرب ما بعد الاستقلال، حالة التعليم الجامعي 1956-1992، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، الجزء الأول، كلية الأدب والعلوم الإنسانية ظهر مهراز فاس، ص14.

[33]- Lévesque Benoit, les bases théorique et méthodologique de l'approche du développement territorial durable convergence et apports spécifiques. P2.

الجدول رقم 21: تطور مداخيل ومصاريف التسيير والفائض الحقيقي للجماعة خلال الفترة ما بين 2010 و2013.

السنوات	المداخيل	المصاريف	فائض الميزانية
2010	46472278.06	10146756.27	36325521.79
2011	36916448.47	10566323.43	26350125.04
2012	52428724.42	13568194.13	38860530.29
2013	51232020.09	19455035.39	31776984.70

المصدر: مصلحة الخزينة العامة لجماعة حد السوالم.

كما هو واضح في الجدول أعلاه، يتبين أن الجماعة خلال الفترة ما بين 2010 و2013، عرفت مداخيلها ومصاريفها وفائضها المالي تباينات، شكلا خلالها سنة 2012 أهم السنوات التي حققت فيها الجماعة أعلى فائض في ميزانيتها إذ وصلت إلى 38860530 درهم.

هاته المداخيل تلعب دور مهم بالنسبة للجماعة لكونها سوف يتم تصريفها في الإصلاحات وخلق بعض المشاريع التي من شأنها أن تنمي المجال وحل المشاكل التي تعاني منها الجماعة.

يتضح كيف أن مداخيل الجماعة تطورت بشكل مهم خلال الفترة الممتدة ما بين 2014 و2019، حيث وصلت مداخيل حد السوالم سنة (2014) 45223046 درهم، لتنتقل سنة (2019) إلى 63791206 درهم، أي بنسبة تزايد سنوي وصل إلى 7% تقريبا، تساهم في هاته المداخيل نسبة مهمة من المداخيل التي تتم استخلاصها من قطاع العقار بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة بفعل الدينامية القوية التي يعرفها المجال في التعمير، خاصة مشروع المدينة الجديدة الساحل الخيايطة.

انطلاقا من المداخيل التي شهدتها الجماعة إلى أي حد انعكست هاته المداخيل على تنمية المجال من خلال رصد أهم تدخلات المجلس الجماعي بالمدينة.

رقم الجدول 22: مشاريع وأنشطة الجماعة الحضرية حد السوالم المبرمجة ما بين 2016-2021.

النشاط / المشروع	طبيعة التدخل	البرمجة الزمنية للمشروع	الغلاف المالي بالدرهم	الوضعية الحالية للمشروع
تأهيل المدينة (الطرق، الإنارة العمومية...)	فردي	2021-2016	42190000	مبرمج
تقوية الطريق الإقليمية 3603	مساهم	2018	2390136	في طور الإنجاز
تقوية وتعبيد المسالك الجماعية	فردي	2020-2019	20000000	في طور انجاز
تزويد دوار الحداية بالماء الشروب والتطهير	فردي	2018-2016	2390136	لم ينجز بعد
تهيئة الطرق الحضرية	فردي	2021-2019	20000000	مبرمج
الربط الفردي بشبكة الماء الصالح للشرب	فردي	2021-2020	20000000	مبرمج
توسيع وتأهيل شبكة الإنارة العمومية	فردي	2020-2019	15000000	في طور الإنجاز
وضع الأعمدة والأسلاك	فردي	2020-2019	1000000	في طور الإنجاز
تهيئة وتأهيل الملعب البلدي	فردي	2019	5000000	لم ينجز بعد
إحداث فضاء للألعاب بدوار العطار	مساهم	2019	900000	لم ينجز بعد
اقتناء حافلتين للنقل الرياضي	مساهم	2018	200000	انجز
اقتناء حافلة للنقل المدرسي	مساهم	2018	100000	انجز
تنظيم مخيم صيفي حضري	مساهم	2018	50000	انجز
اقتناء كراسي لذوي الاحتياجات الخاصة	المواكبة والإشراف	2018	////////////// /////	انجز
تسمية الشوارع	فردي	2018	148243	انجز
تسمية الشوارع والأزقة وترقيم المنازل	الجماعة	2019	2000000	لم ينجز بعد
تهيئة الغابة 40 هكتار	مساهم	2020	2000000	لم ينجز بعد

تهيئة المساحات العمومية	فردي	2021	5000000	مبرمج
تهيئة بناء السوق الأسبوعي الجديد	فردي	62473305	62473305	مبرمج
اقتناء عربات مجهزة لفائدة الباعة المتجولين	مساهم	2018	توفير الوعاء العقاري والمواكبة	انجز

المصدر: المخطط الجماعي 2016-2021 بتصرف الطالب

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن المجلس الجماعي لم يحترم مدة الإنجاز، حيث أن 30% من هاته المشاريع لم تنجز إلى حدود الساعة، و25% فقط هي التي تما إنجازها، أما التي تما برمجتها أو التي في طور الإنجاز جلها تعرف حاليا توقف في الأشغال ومعظمها لم تصل إلى 50% من الإنجاز، علما أن مدة برمجتها على مشارف الإنهاء.

السوق الأسبوعي الجديد الذي في طور الإنجاز، تصل مساحة هذا المرفق التجاري 17 هكتار يتواجد قرب الطريق الإقليمية 3603التي تربط حد السوالم بالجماعة الحضرية سيدي رحال الشاطئ، كما يوجد موقع هذا السواق الجديد وسط تجمعات سكنية حديثة التي تنتمي إلى مجموعة تجزئة الضخامة، السوق الجديد موقعه يختلف تماما عن السوق الحالي في محيطه المجالي و بنياته الداخلية، انشاء هذا المشروع يدل على أن رغم كل التحولات المجالية التي تعرفها الجماعة الحضرية إلى أن دور السوق الأسبوعي لا زال قائما على مستوى رمزية المجال وكذا من حيث الأهمية الاقتصادية، ما يمكن استخلصه، هو أن المجلس الجماعي لم يصل إلى المستوى المطلوب الذي سوف يجعلها تلعب ريادية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، رغم وجود موارد مالية مهمة لكن يبقى المشكل في التدبير والتسيير، حيث تعرف الجماعة لا تتوفر على موارد بشرية كفيلة للقيام بإصلاحات والتسيير الجيد، حيث تعرف الجماعة ضعف النخبة التي لها تكوين (الأساتذة - ر جال التعليم - موثقين – الأطباء...)، وكذا من أجل إنجاح مسلسل اللامركزية يجب توسيع اختصاصات الجماعات الحضرية بشكل فعلي، والرفع من امكانياتها.

دورالمجلس الإقليمي في التنمية الترابية بحد السوالم.

تدخلات المجلس الإقليمي بتراب الجماعة الحضرية حد السوالم نبقى ضعيفة، أهم تدخل المجلس الإقليمي بحد السوالم تمثل بمساهمته في مشروع إزالة المطرح العشوائي بحد السوالم الذي كان يوجد في مدخل المدينة بالقرب من محول طريق السيار رقم 5، وكان مطلب الساكنة المحلية، نظرا للكوارث التي كان يحدثها بإصداره لروائح كريهة و أدخنة تسبب بحوادث

سير مميتة وكذا يشوه المشهد العام، كما كان يهدد السلامة الصحية للإنسان و المواشي التي كانت ترعى هناك ، إضافة إلى تواجده أمام غابة مما يؤثر على بنيتها في ترابها و فرشتها المائية الباطنية، فمشروع إزالة هذا المطرح وإحداث مطرح جديد مراقب سيساهم في الحد من معاناة الساكنة وخاصة أن المدينة أصبحت وجهة استقرار سكان من مختلف المناطق.

تما ابرام صفقة هذا المشروع من طرف الشركة الذي أعطى السيد العامل وسادة رأساء الجماعات ورئيس المجلس الإقليمي انطلاق بداية الأشغال يوم 12 نونبر 2020، ويهم هذا المشروع ما يلي:

إعادة تأهيل وإغلاق المطرح العشوائي بحد السوالم بقيمة مالية تناهز 9651355.00 درهم؛

إحداث مطرح عمومي مراقب بقيمة مالية تصل إلى 17879951 درهم؛

تهيئة الطريق المؤدية للمطرح الجديد بمسافة 3.4 كلم تقريبا بقيمة مالية 1000000.

تصل القيمة الإجمالية لهذا المشروع 34100000 درهم ساهم فيها المجلس الإقليمي باعتباره حامل المشروع والمسؤول على تتبع هذا الورش مبلغ مالي يناهز 600000 درهم، أي بنسبة 2% من مجموع القيمة الاستثمارية لهذا الورش.

تعتبر مؤسسة المديرية العامة للجماعات المحلية ووزارة البيئة المؤسستين اللتان ساهما بحصة كبيرة في هذا المشروع بقيمة مالية تصل إلى 16500000 درهم أي بنسبة 48% من القيمة الإجمالية للمشروع.

يتميز هذا المطرح الجديد بتوفره على نظام للتغطية والامتصاص المياه وكذا سور مسيج وثلاثة غرف واحدة مخصصة لحارس المطرح، وأخرى لتخزين معدات العمل والأخيرة للميزان مع وجود بئر مائي، هاته المواصفات التي لمتكون موجودة في كل من مطرحي مجال الدراسة (حد السوالم) وكذا جماعة سيدي الرحال، يتموقع هذا المطرح الجديد بمحاذاة كل من جماعة سيدي الرحال والسوالم الطريفية بدوار الغابة.[34]

دور المجلس الجهوي في تنمية المجال.

يمكن القول على أن تدخل المجلس الجهوي بالجماعة الحضرية حد السوالم تبقى محدودة جدا، حيث اقتصرت تدخلاته في المشروع الذي سبق ذكره والمتعلق بإحداث مطرح للنفايات، إذ ساهم بمبلغ مالي وصل إلى 8000000 درهم أي بنسبة 23% من القيمة الاجمالية للمشروع.

[34] - مقابلة مع الخزينة العامة والمعاينة الميدانية

الصورة رقم 32 و33: وضعية المطرح العشوائي حد السوالم قبل يناير 2020





كان هذا المطرح العشوائي بمثابة تهديد سلامة المواطنين الذين يستعملون الطريق الوطنية وكذا الإقليمية 3011 التي تربط برشيد وحد السوالم، وكذا للذين يمرون عبر طريق السيار والساكنة الجديدة المجاورة لهذا المطرح، خاصة لحظة إحراق النفايات حيث يتم إصدار الدخان الكثيف الذي يغطي المنطقة والرائحة الكريهة جدا المنبعثة من المكان.

بهذا التأهيل والإغلاق لهذا المطرح ستكون ساكنة حد السوالم قد طوت صفحة من صفحات ماض مؤرق سطوره روائح كريهة وأدخنة سامة، على أمل أن يشمل هذا التأهيل الوحدات الصناعية ذات الانبعاثات الملوثة والمضرة بالسكان ومعالجة ما تطرحه.

اللجنة الإقليمية للتنمية البشرية.

تشكل هاته المؤسسة من أهم الفاعلين في الشأن التنموي بحد السوالم بعد المجلس الجماعي، حيث تدخلت في المجال في إطار دعم وتسهيل الولوج للتجهيزات والخدمات الاجتماعية والرياضية والترفيهية من خلال اقتناء حافلتين للنقل المدرسي حيث ساهمت بمبلغ مالي 400000 درهم، أي بنسبة 80% من القيمة الإجمالية من المشروع، إضافة إلى مشروع اقتناء حافلتين للنقل الرياضي الذي ساهمت من خلالها اللجنة الإقليمية للتنمية البشرية بملغ مالي يصل إلى 800000 درهم، أي بنسبة 67% من القيمة الإجمالية، كما ساهمت كذلك في النشاط الترفيهي المتمثل في تنظيم مخيم صيفي حضري سنة 2018 بمبلغ مالي ناهز 150000 درهم بنسبة 75% من القيمة الإجمالية لهذا النشاط.

كما تدخلت هاته اللجنة الإقليمية في المشاريع الهادفة إلى دعم البنيات الاقتصادية وتهم أهم التدخلات في هذا الشأن في مشروع اقتناء عربات مجهزة لفائدة الباعة المتجولين بقيمة مالية وصلت إلى 1400000 درهم ، وتما توزيع حوالي 92 عربة حسب التقديرات الميدانية وتشكل الفئة الخاصة ببيع الخبز أهم فئة التي استفدت ونظرا لكثرة هؤلاء فقد تما اشراك ثلاثة أو اثنان في عربة واحدة و تشكل النساء نسبة مهمة في الفئة المستفيدة من العربات المتخصصة في بيع الخبز ، تم تليها

الفئات التي تقوم بإعداد الوجبات السريعة تم باقي الفئات الأخرى بنسب متفاوتة، من أجل تنظيم محكم لهؤلاء المستفيدين اشترطت عليهم السلطات عدم منح هاته العربة التي يمتلكما لشخص أخر ، وكذا فرض ارتداء وزرة بيضاء، بتالي يكون هاته المبادرة على تقليل من الباعة المتجولين.

الصورة رقم 39 و40: مشروع توزيع عربات مجهزة.



المصدر: عدسة الباحث غشت 2020

إلى جانب هذا المشروع المرتبط بتوزيع العربات على الباعة المتجولين، هناك مشروع أخر قامت بها هاته المؤسسة يتعلق بإحداث سوق نموذجي قرب الملعب البلدي والذي لازالت الأشغال فيه متواصلة وهذا من شأنه أن يساهم كذلك في تقليص من الباعة المتجولين بالمدينة.

تدخلت اللجنة الإقليمية للتنمية البشرية كذلك في المشاريع المرتبطة بالتطهير السائل، حيث ساهمت في انجاز دراسة لحماية دوار العطار من مياه الأمطار بمبلغ مالي 100000 درهم بنسبة 50% من القيمة المالية الإجمالية لهاته الدراسة.

من خلال تتبع أهم تدخلات اللجنة الإقليمية للتنمية البشرية وجدنا على أن هاته المؤسسة إلى جانب المجلس الجماعي أهم المتدخلين في الشأن التنموي بالمدينة، غير أن القاسم المشترك بين هاتين المؤسستين في تدخلاتهم أن أغلب المشاريع تأخرت في إنجازها بشكل كبير.

تدخلات محدودة للقطاع الخاص في التنمية المحلية.

يظل المؤسسات الخاصة في تدخلاتها محدودة الاستثمار في المشاريع التنموية بالمدينة المرتبطة بالتجهيزات والمرافق والبنيات يمكن تلخيص أهم تدخلاتها فيما يلي:

تقوية الطريق الإقليمية رقم 3603 التي تربط الطريق الجنوبية والطريق الإقليمية 3005: ساهمت الوحدة الصناعية الغذائية الجديدة مجازر الساحل التي تما انشائها سنة 2018 و التي على طول هذا المحور الطرقي الذي يتم إصلاحه و التي تستفيد منه بشكل كبير في عملية نقل منتوجاتها وبتالي تقويتها وتوسعتها سوف تساعد هاته الوحدة الصناعية في مسلسل إنتاجها المرتبط بعملية نقل المنتوجات، منا سوف تستفيد منها الساكنة باعتبارها تربط شرق المدينة بالمركز، تما وضع اعتمادات مالية لهذا المشروع بقيمة مالية تناهز 3414480 درهم، ساهم فيها كل من الجماعة ب 2414480 درهم، والوحدة الصناعية مجازر الساحل ب 1024344 درهم أي بنسبة 30% من القيمة الاستثمارية لهذا المشروع.

إضافة إلى هذا المشروع قامت الشركة العقارية الضخامة ببناء مركز صحي من الدرجة الأولي والذي انتهت فيها الأشغال بالقطب الحضري والصناعي الساحل الخيايطة، لكنه لم يتم فتح بعد أمام الساكنة حيث يجب على مؤسسة العمران أن تقوم بمنحه إلى وزارة الصحة حتى تقوم هاته

الأخيرة بإرسال ممرضين لتقديم الخدمات الصحية لساكنة تعاني من ضعف المرافق الصحية أبرزها.[35]

الصورة 43 و44: مشروع تقوية الطريق الإقليمية 3603.

[35] - مقابلة ميدانية مع أحد أعضاء المجلس الجماعي حد السوالم



المصدر: عدسة الباحث شهر غشت 2020.

تدخلات المصالح الخارجية ودرورها في التنمية.

تشكل الدولة من أهم المؤسسات التي تهتم بالتنمية المجالية، غير أن اليوم هاته المؤسسة لم تعد قادرة على مواكبة التنظيم الإداري لمجموع التراب الوطني، لهذا قررت اعتماد سياسة اللاتركيز الإداري من خلال توزيع الصلاحيات والقرارات إلى الأعوان المحليين لإدارة الدولة، تمثل هاته المصالح الفاعل التنموي داخل المجال الترابي نيابة عن الهيئات الوزارية المركزية.

في هذا السياق سنقوم بإدراج أهم المشاريع التي تما برمجتها، والتي من شأنها ستساهم في التنمية الترابية.

مشروع إحداث مستشفى محلي: في إطار المخطط الجهوي للعرض الصحي لوزارة الصحة 2016-2021 سوف يتم إحداث مستشفى محلي في مدينة العمران في اتجاه طريق برشيد على اليسار على مساحة 5 هكتار.

مشروع بناء وتجهيز وحدة المستعجلات بالمركز الصحي الحالي لحد السوالم: سوف يهدف هذا المشروع إلى الرفع من الموارد البشرية، وكذا ضمان تنظيم المداومة، إضافة إلى تقديم خدمات متعلقة بالحالات المستعجلة بدل تنقل إلى مدينة برشيد وسطات أو دار بوعزة.

هاته الاتفاقية تمت ما بين وزارة الصحة والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية الجماعة الحضرية حد السوالم وتما تقديمها إلى السيد العامل منذ سنة.

تبلغ تكلفة هذا المشروع المرتبط بهذا المرفق 120000 درهم، ستساهم الجماعة الحضرية فيها بقيمة مالية تناهز 1200000 درهم، نفس المبلغ ستساهم به المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، في حين أن وزارة الصحة ستساهم في هاته الاتفاقية بمبلغ 300000 درهم وكذا بالموارد البشرية وببقعة أرضية للمشروع.[36]

نستخلص مما سبق أن مؤسسات الدولة تدخلاتها في التنمية المحلية هي الأخرى ضعيفة لا ترقى إلى المستوى المطلوب، علما أن البنية العقارية لمدينة حد السوالم تشكل فيها أراضي الدولة الحيز الأكبر بحوالي 1000 هكتار، فجل تدخلاتها لازالت فقط على شكل اتفاقيات وبرامج لم ترى وجودها في الميدان.

المجتمع المدني كفاعل أساسي في تنمية المجالات.

يشكل المجتمع المدني عنصر أساسي ضمن المسلسل التنموي داخل أي مجال، لكونه يتدخل في ميادن تشكل العمودي الفقري لكل مجتمع، فنظرا لتراجع تدخل الدولة في القيم بدورها كفاعل أساسي في مسلسل التنمية، نما دور المجتمع المدني كفاعل جديد يتدخل محليا ووطنيا.

إذن ما هو واقع حال دور المجتمع المدني في التنمية المحلية بحد السوالم؟

سوف نحول رصد واقع حال جور المجتمع المدني في المجال نموذج الجمعيات النشيطة داخل المدينة.

أهم تدخلات المجتمع المدني في تنمية المجال نموذج جمعية مبادرة شباب فاعل الخير.

تما اختيار هاته الجمعية كنموذج نظرا لكون هاته الأخيرة التي تعرف دينامية مستمرة في نشاطها التنموي داخل المدينة ضمن 140 جمعية بالمدينة، وهذا ما اسفرته الزيارات الميدانية حيث أن أغلب الجمعيات صعب التواصل معها.

تأسست جمعية مبادرة شباب فاعل الخير سنة 2011، ما يميزها هو أن جميع أعضائها فئات شابة، دو مستوي تعليمي جامعي وكذا تتكون من أساتذة وموظفين، أحدث هذا الجيل من الجمعيات الشابة طفرة في الأواني الأخيرة، شملت أهم تدخلات هاته الجمعية الميادين الاجتماعية والثقافية ومن بينها ما يلي:

[36] - المندوبية الإقليمية للصحة ببرشيد 2020

الصورة رقم 45 و46: شعار وأعضاء جمعية شباب فاعل الخير.





المصدر: جمعية شباب فاعل الخير.

ساهمت جمعية فاعل الخير بإعادة تأهيل مدرسة فرعية عين الجمل بنواحي حد السوالم بهدف تأهيل المدرسة العمومية المستهدفة والارتقاء بالفضاء التعليمي، وكذا المساهمة في الحد من الهدر المدرسي.

شمل مشروع إعادة تأهيل مدرسة فرعية عين جمل ما يلي:

إعادة بناء قاعة التعليم الأولى وتجهيزها؛

إصلاح الواجهة الأمامية للمؤسسة؛

عملية البستنة وإنشاء سقيفة؛

عملية تغطية أسقف الأقسام بالزفت؛

إضافة مرافق صحية وإصلاح القديمة وإنشاء سقاية الشرب، صباغة جميع مرافق وأقسام الدراسة.

بلغت تكلفة هذا المشروع حوالي 300000.00 درهم وتما انجزه في شهرين (غشت وشتنبر) 2019.

الصورة رقم 50 و51: توزيع أضاحي العيد على المحتاجين.



تساهم جمعية فاعل الخير بشكل كبير في الشؤون الاجتماعية والصورة أعلاه تبين من بين تدخلاتها في هذا الميدان، حيث قامت خلال عيد الأضحى لهاته السنة بتوزيع 15 أضحية على 15 أسرة شملت الأرامل والمطلقات والأيتام والمعوزين.

ما يميز العمل الجمعوي في مدينة حد السوالم هو مواكبة أنشطته مع ظرفيات مختلفة شكلت فيها مرحلة الحجر الصحي التي فرضتها بلدنا جراء انتشار فيروس كورنا التي لازالت تداعياتها قائمة إلى حدود الساعة، حيث قامت جمعية فاعل الخير.

بتوزيع ما يفوق 550 قفة خلال فترة الحجر الصحي خاصة في شهر رمضان لفائدة الفئات المعوزة التي فقدت عملهم الذي يشكل لقمة عيش يومي.

أفاق تنمية المدينة.

يقصد بتنمية المدينة خلق ظروف مواتية لتحسين مستقبلها الاقتصادي والاجتماعي، ولبلوغ ذلك المبتغى يقتضي تشخيص وضعها الحالي قصد وضع تصور مستقبلي لها، وتشكل الجماعة الترابية حد السوالم أحد الجماعات الحضرية التي تتميز بمؤهلات وقدرات بإمكانها أن تستقبل أنشطة متنوعة اقتصادية وخدماتية، ومختلف المشاريع التنموية الأخرى، لهذا فلتنزيل مسلسل التنمية يستوجب اتخاد مجموعة من الإجراءات و التدابير التي بإمكانها أن تساهم في الحد من الإكراهات والانعكاسات السلبية على المجال، وتثمين الجيد للطاقات و الكفاءات المتاحة، وذلك بالتركيز على تهيئة المجال الحضري و الاهتمام بالعنصر البشري كحلقة أساسية في المشروع التنموي، لأن طبيعة العلاقة ما بين هاذين العنصرين هي التي تحدد مدى إمكانية تحقيق التنمية أو عدم تحقيقها.

ضرورة اعتماد التخطيط في انجاز المشاريع عبروثائق التعمير.

يشكل معطى التخطيط عنصر أساسي في إحداث تنمية مجالية مستدامة ومنظمة، لكونه يساعد على بناء تصور مستقبلي للمجال ورصد متطلباته، كما أن عملية تخطيط للمجال يستوجب قيام بدراسات من أجل استقراء وتحليل واقع الحال، من أجل إعداد خطط مستقبلية تتوافق مع متطلبات المجال.

لحظنا سابقا كيف أن الجماعة الحضرية حد السوالم لا تتوفر على وثيقة تصميم التهيئة منذ ست سنوات من سنة 2014 تاريخ انتهاء التصميم السابق إلى حدود الساعة، هذا ما يبين على أن المجال يدبر بشكل عشوائي وغير منظم، بالرغم من وجود موارد مالية مهمة وكافية إلا أن المجال لا يعرف تنظيم على مستوى الهيكلة الحضرية ومكوناتها.

فمن خلال الدراسة التي قمنا بها في إطار أهمية تدخلات الفاعلين في الشأن التنموي داخل المجال في الفترة الممتدة ما بين 2016 إلى الوقت الراهن، يظهر جليا مدى عدم مسايرة التخطيط الإنجازات الفعلية على ارض الواقع، وهذا ما يبين الشرخ الكبير ما بين التخطيط النظري و تطبيقه الفعلي، حيث أن أغلب المشاريع لم يتم إنهائها، بل حتى تلك التي بدأت بها الأشغال توقفت لمدة تزيد عن سنة أو أكثر، كما هو الحال بالنسبة للسوق الأسبوعي الجديد و كذا السوق النموذجي وغيرها من المشاريع الأخرى، بل أكثر من ذلك نجد مشاريع أخرى مبرمجة في المخطط لكن ليست هناك أي بادرة لإنجازها على أرض الواقع.

تحسين بنيات التجهيزات الأساسية.

تشكل بنية التجهيزات الأساسية من التحديات التي تعرفها مدينة حد السوالم، لذا يجب الاهتمام على تعميم الاستفادة من الماء الصالح للشرب وكذا الإنارة العمومية، وتحسين البنيات التحتية للمدينة، وكذا إعادة هيكلة بعض أحياء المدينة.

على مستوى الربط بالماء الصالح للشرب لازالت هناك أحياء تعتمد على مياه الأبار في حصولها على هاته المادة الحيوية، لهذا بالرغم من وجود برامج تهدف إلى تغطية الأحياء التي تعاني من هاته المادة، إلا أنه يجب اتخاد مجموعة من التدابير من أجل تسريع تفعيل تلك البرامج وأن تغطي جميع الأحياء الناقصة من هاته المادة، أما فيما يخص الإنارة العمومية فلازال هذا المشكل تعاني منها المدينة خاصة أن جل أحيائها وأزقتها

تعرف ضعف أو غياب الإنارة ما يسبب عدة عراقيل للساكنة القاطنة داخلها، لذا يجب تفعيل المشروع الخاص بالإنارة العمومية المبرمج ضمن مخطط الجماعي الجديد في إطار التأهيل المجال الحضري لحد السوالم.

شكلت الزيادة السكانية التي عرفتها المدينة إلى جانب التوسع العمراني ظهور أحياء تؤرق المدينة في مشهدها المجالي، وهذا ما يستوجب التفكير الجدي والبحث الدقيق في كيفية إدماج هذه الأحياء ضمن النسيج الحضري لكونها تشكل متنفسا

للتوسع العمراني، ومن الأحياء التي يجب إعادة هيكلتها نذكر منها: حي المنزه - حي البام - حي بلوك بالحسن - دوار أولاد جامع دوار جوالة - دوار البوشتين - دوار الكروشين- دوار أولاد عباس- دوار العين - دوار الخدارة - دوار نفيفة -دوار بوعزة.

لا ينكر أحد الدور الذي تلعبه الشبكة الطرقية في ربط بين المناطق، من هذا المنطلق فقد تبين أن حالة الطرق التي تربط بين حد السوالم ومختلف المناطق الأخرى وكذا داخل الجماعة نفسها أغلبيتها متدهورة، يجب إعادة هيكلتها وتعبيدها، فكما رأينا أثناء البحث الميداني فقد بدأ الشروع في تعبيد بعضها كالطريق الإقليمية 3603 المارة من وسط المدينة، لكن تظل غير كافية ومن تم يجب الاستمرار ومواصلة تهيئة المسالك والطرق بالجماعة مع تحقيق جودة عالية لضمان استمرار على مر الزمن.

تدعيم المجال بالجهاز الأمني (إحداث مفوضية الشرطة).

من خلال المقابلات الميدانية التي أجريناها مع مجموعة من ساكنة المدينة، اتضح على أن المجال يعرف اختلالات أمنية، حيث لم يعد الجهاز الأمني الحالي المتمثل في الدرك الملكي قادر على ضبط الحالة الأمنية، نظرا لكون المجال يعرف تصاعد حركية التعمير والتصنيع في الفترة القصيرة الأخيرة مقارنة بالمجالات المجاورة.

تأهيل الأنشطة الاقتصادية

إن تحقيق تنمية ترابية لأي مجال يستدعي وجود بنيات اقتصادية قوية التي تدعم قدرات الفاعلين في تدبير شؤونهم المحلية، منذ أن تم إنشاء المنطقة الصناعية الساحل بحد السوالم والمجال يعرف ازدواجية أنشطته الاقتصادية بين النشاط الصناعي والتجاري، لكن بالرغم من وجود هاذين النشاطين بشكل كبير

إلا أن الأنشطة الغير المهيكلة تنتشر بشكل كبير، لهذا فتأهيل الاقتصاد المحلي يتطلب اتخاد إجراءات عملية من بينها:

استقطاب الوحدات الصناعية النسيجية، نظرا لكون هذا النوع من القطاعات الاقتصادية تشغل عدد مهم من اليد العاملة مقارنة مع باقي القطاعات الصناعية الأخرى، وكذا استقطاب الوحدات الصناعية أقل تلوثا وأكثر جاذبية:

تسريع في تنزيل المشاريع المبرمجة والتي في طور الإنجاز المرتبطة بالمرافق التجارية كالسوق الأسبوعي الجديد والسوق النموذجي بهدف تقليص من الباعة المتجولين؛

تبسيط المساطير المرتبطة بالاستثمارات في الوحدات الصناعية:

تجميع مختلف الوحدات الصناعية في منطقة صناعية واحدة بعيدة عن السكان.

العمل من أجل خلق بيئة نظيفة.

أصبح من الضروري اليوم بحد السوالم اتخاد مجموعة من التدخلات تجاه إشكالات بيئية التي أصبح المجال يعاني منها، هذا ما يستدعي وضع مخطط تنموي محلي مستدام، يراعي كل المتغيرات الزمكانية، وكذا احتياجات الإنسان الحالية والمستقبلية.

في هذا السياق يجب اتخاد مجموعة من التدابير الإجرائية المتمثلة أساسا في:

تسريع تفعيل مشروع منح مهام جمع النفايات إلى القطاع الخاص في إطار التدبير المفوض مع وضع دفتر التحمل يحتوي على بنود يضمن بيئة نظيفة ومستدامة؛

يجب ربط بقية الأحياء بشبكة الصرف الصحي وإصلاح المتقادمة منها وفق الشروط التقنية والصحية تستجيب لنمو وتطور المدينة، مع توسعة محطة تصفية ومعالجة المياه العادمة، تبعا لتوسع العمراني والتزايد الديمغرافي، وخلق انابيب تصريف مياه الأمطار وجمعها في مكان خاص من أجل إعادة استعمالها في أشياء أخرى؛

تخصيص محطة معالجة المخلفات السائلة الوحدات الصناعية الموجدة داخل المنطقة الصناعية الساحل أو الموجودة خارجها.

إنشاء مجالات خضراء داخل التجزئات السكنية وعلى طول المحاور الطرقية؛

خلف فضاءات خضراء (حدائق – منتزهات)؛

القيام بعملية التشجير الساحات وشوارع المدينة.

تعزيز المجال بالنقل الحضري

إن التوسع العمراني والتزايد السكاني الذي أصبحت تشهدها جماعة حد السوالم، تستدعي توفير وسائل النقل الحضرية من الحافلات والسيارات الأجرة الصغيرة لتنقل الساكنة داخل المجال، والحد من وسائل النقل بواسطة العربات المجرورة بالدواب التي تؤثر على المشهد العام للمدينة.

تأهيل الموارد البشرية وتحسين الخدمات الاجتماعية المرتبطة بها.

تستوجب التنمية تأهيل الإنسان الذي يتحمل أعباء التنفيذ للوصول إلى قلب الهدف التنموي، صحيح أن عمليات التنمية وإنجازها في الزمن والمكان هو لصالح الإنسان[37]، لذلك يعتبر تكوينه وتأهيله شرطا أساسيا لتحقيق التنمية.

فمنذ سنوات السبعينات أي بداية الحديث عن التنمية المحلية، اعتبر تأهيل العنصر البشري أهم ركيزة في السياسات التي تنهجها عدة دول، وأصبح الحديث عن التنمية البشرية بدل تأهيل الرأسمال البشري والتنمية الاجتماعية، حيث شكل التعليم والتكوين والصحة النواة التي يتمحور حولها مضمون التنمية حسب الأمم المتحدة.

فالتنمية البشرية تهدف إلى توسيع مدارك الفرد وإيجاد المزيد من الخيارات المتاحة أمامه، كما تهدف إلى تحسين المستويات الاجتماعية والصحية والثقافية ... وتطوير معارف ومهارات الفرد، فضلا على توفير فرص الإبداع واحترام الذات وضمان الحقوق الإنسانية وضمان مشاركته الإيجابية في جميع مناحي الحياة.[38]

أمام هذا، فعملية تأهيل الموارد البشرية تستوجب تحسين من جودة الخدمات ذات الطابع الاجتماعي الضرورية لها، ومن بين أهم المجالات التي يجب الإلمام بها ما يلي:

تطوير الكفاءات المهنية للسكان

بالموازاة مع دعم التعليم والصحة بالمدينة، يتطلب كذلك تثمين الموارد البشرية إيلاء العناية بالتكوين المهني: لكونه يساهم في إدماج الشباب في الحياة النشيطة، للشباب الذين لم يحالفهم الحظ في استكمال دراستهم.

للنهوض بهذا القطاع، سوف نقدم بعض الاقتراحات التي من خلالها يمكن تأهيل هؤلاء الشباب لولوج سوق الشغل:

إنشاء مؤسسات التكوين المهني التي تمتاز بالجودة والفعالية من خلال خلق تخصصات تأخذ بعين الاعتبار الحاجيات التنموية للجماعة وخصوصياتها الاقتصادية المتمثلة في النشاط الصناعي بالأساس وذلك من خلال شراكة بين هاته المؤسسة والوحدات الصناعية من أجل تكوين شباب في التخصصات التي تهم الوحدات الصناعية التي توجد بتراب مدينة حد السوالم لضمان جودة الإنتاج؛

خلق شراكات التدريب مع مهنين في مجال الأعمال.

---

37 - **صلاح الدين الشامي**، بحوث جغرافية، منشأة المعارف بالإسكندرية 2001 ص 151.

38 - http: // www.khieronline.com

إن ضعف الأطر داخل المؤسسات والإدارات العمومية، يشكل أكبر عائق أمام ناجعة الأداء التنموي، وهذا ما يؤدي إلى الاعتماد على مشاريع وبرامج غير مدروسة بشكل جيد أو تلك التي تم نقلها من تجارب أخرى لا تتوافق مع خصوصيات المجال المحلي، وبالتالي لا يستجيب مع تطلعات السكان، مما يفرض إذن ضرورة تأهيل وتكوين الموارد البشرية.

إشراك الساكنة في تدبير شؤونهم المحلية

تعمل المقاربة التشاركية وفق الفكرة القائلة بأن الأشخاص والجماعات يتوفرون على الإمكانات لتحقيق التغيرات اللازمة من أجل ضمان الوصول إلى الموارد، بل والتحكم فيها أيضا، فهي إذن إجراء بهدف إلى مساندة الساكنة من أجل تمكينهم من سلطة التحكم في مصيرهم في الأفق القريب،[39] إنها استراتيجية لإدراج كل الفاعلين في صيرورة التغير الاجتماعي وتحقيق التنمية.

وحسب وكالة التنمية الاجتماعية -كإحدى المؤسسات الوطنية الممولة للمشاريع التنموية -فهي تعرف المقاربة التشاركية على أنها: "مقاربة تهدف إلى تنمية يشارك فيها السكان المعنيون مشاركة فعالة.

تهدف هذه المقاربة إلى تأهيل الأشخاص والجماعات وجعلهم قادرين على تبني حلول يتحملون مسؤولية اختيارها وإنجازها... وهو أسلوب التعلم من ومع أعضاء المجتمع لتشخيص وتحليل وتقييم المعوقات والمؤهلات واتخاذ قرارات أو اختيار حلول معينة اتجاه المشاريع التنموية".[40]

بالنسبة للأستاذ بنشريف مولاي محمد أهمية الشراكة بين الجمعيات والجماعات الترابية [41]في:

خلق تواصل بين الجمعيات والفاعليين الاجتماعيين والاقتصاديين والمجالس الجماعية، في أفق تكتيف الجهود لتدبير أفضل للجماعة؛

ضمان مشاركة فعالة للمواطنين في التنمية المحلية، فنتيجة لقرب الجمعيات من السكان وقدرتها على إقامة علاقة دائمة معهم، تستطيع المجالس الجماعية أن تضمن مشاركة فعالة في المشاريع التنموية وانخراطها الإيجابي فيها؛

الحد من تداخل وتنازع الاختصاصات بين الفاعليين، فالشراكة تساهم في تجميع الجهود بين الأطراف.

[39]- دليل الجمعوي، المملكة المغربية، وزارة التنمية الاجتماعية التضامن، طبعة 205، ص ص: 102/101.

[40]- www.almahaja.com

[41] -http//www.tanamia.ma

من كل ما سبق، نستخلص على أن الإنسان يشكل الحلقة الرئيسية في كل برنامج تنموي، وأهم عنصر لنجاح التنمية الاجتماعية والثقافية.

إصلاح مؤسساتي وإداري.

من خلال الزيارات الميدانية والمقابلات التي قمنا بها مع بعض المؤسسات المحلية التي تدبر شؤون المدينة، حول مسائلتهم في موضوع تأخير بعض المشاريع التي تم برمجتها ضمن مخططاتهم، وكذا الغير المبرمجة والتي تشكل مطالب أولية للساكنة (كحق الصحة، والأمن، والنقل...)، توصلنا على أن هاته المشاريع تأخرت بسبب التراتبية الإدارية في إنجاز المشاريع (الجماعة، الباشوية، العمالة، المصالح الوزارية بالرباط)، هذا الشكل من الاشتغال أصبح يضيع الوقت ويعرقل مجموعة من المشاريع التي تعد من الضروريات الملحة بالمدينة كحق الأمن والصحة والنقل وغيرها من المطالب التي تعكس نمط الحياة الحضرية.

أمام كل هذا، يجب تفعيل الجاد اللامركزية واللاتركيز، من خلال إعطاء استقلالية للجماعات في تدبير الشأن المحلي، وإعطاء للعملاء والولاة إمكانيات الموارد المالية وإعطائهم السيادة في القرار، وتنزيل الفعلي للجهوية لحسم القرارات على مستوى الجهات لربح الوقت، كما يجب القيام بانتخابات ليست شكلية بل التي ستفرز نخبة حقيقية قادرة على تشخيص المشاكل ومعالجتها، كما يجب تعميم الوسائل التكنولوجية داخل الإدارات الترابية في عملية تدبير شؤون المدينة، حيث أكد الأستاذ عبد الرحمان الدكاري" أن عصر التكنولوجيا المبني على المعلوميات و الوسائط الرقمية أصبح واقعا لا محيد عنه لتدبير المعيش اليومي للإنسان ، فلم يعد ينظر إلى مختلف الأجهزة الرقمية الذكية على أنها من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها كلما تطلبت الضرورة ذلك ، بل أصبح الإلمام ضرورة حتمية، كما تبين أن توظيفها في خدمة المدينة، وتحويل فضاءات المدن إلى فضاءات ذكية يعد من المؤشرات الدالة على مدى انخراط مجال ما في سيرورة التنمية، كما تبين أن الاعتماد عليها بأسلوب معقلن ومنظم يساعد على الانخراط أكثر في بعدها المستدام"[42].

خاتمة:

خصصنا هذه الدراسة للانعكاسات التحولات المجالية، وكذا دور تدخلات الفاعلين في العمل التنموي وفي الأخير وضعنا أفاق تنمية المدينة، ومن خلال ما تطرقنا إليه يتضح على أن مجال الدراسة يعرف عدة أزمات وتحديات سوسيواقتصادية وبيئية، فتزايد السكاني المضطرد والتوسع العمراني الغير المتحكم فيه، افرز عدة اختلالات تمثلت في ضعف نمط العيش

[42] - **الدكاري، عبد الرحمان (2019)**، المدن الذكية بين التصور والواقع، حالة مدينة مراكش، مجلة التعمير والبناء، مجلد03 (04)، 25

الحضري السليم داخل المدينة، ما جعلنا نتحدث عن دور الفاعلين في المجال وخلصنا على أن ضعف التخطيط وتدبير للمشاريع جعلت أغلب هاته التدخلات لا ترقى إلى المستوى المطلوب، لنخلص في النهاية إلى إعطاء بعض الاقتراحات التي قد تكون ملائمة و صائبة لحل أزمات مدينة حد السوالم.

فالرؤية الاستشرافية للتنمية المحلية بحد السوالم تستدعي إلى التوازن بين النمو السكاني والتوسع الحضري، لهذا فالتصور المطلوب يجب أن يبقى على معرفة دقيقة وشمولية وتقييم موضوعي للواقع المعيشي، ويجب استثمار ما يتوفر عليه المجال من مؤهلات من قبل الفاعلين خدمة للتنمية المحلية، وذلك في إطار خطة محكمة لجعل مدينة حد السوالم قطبا تنمويا على الصعيد الإقليمي والجهوي والوطني، لكن ذلك يتطلب حسن التدبير للشؤون المحلية وفق مقاربة تشاركية جادة بين الفاعلين، وتعزيز سياسة اللامركزية و اللاتركيز والانفتاح على عالم المعلوميات و الرقمنة في تدبير الشؤون الإدارية داخل المدينة لتواكب هذه الأخيرة مسلسل تطور المدن الحديثة.

المراجع

الشويكي مصطفى، *الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية*. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأدب والعلوم الإنسانية عن الشق- الدار البيضاء **1996**.

المختار الكحل *دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية* ، **حالة هضبة بنسليمان، مطبعة فيدبرانت، الطبعة الأولى المغرب، نونبر 2004.**

جرماني عبدالعالي: *أثر التدفق السكاني على تمدين ضواحي الدار البيضاء: حالة بلدية تيط مليل ومديونة* ، **رسالة لنيل شهادة الماجيستر جامعة الحسن الثاني كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالمحمدية2014.**

قاسم جمادي المدن الكبرى المغربية: إثبات الذات وتناقض الوجدان، **الملتقى الثاني الوطني الجغرافي المدن، النظم الحضرية و إنتاج المجال المديني، 27-28 يناير 1995 منشورات كلية الأدب بنمسيك / الدار البيضاء.**

امدافعي محمد، *التحولات المجالية ودور المؤسسات الجماعية في تدبير المجال: حالة ضاحية الدار البيضاء* **الكبرى أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الأدب والعلوم الإنسانية بني ملال 2001.**

EL.GHRBAOUA.A.1987.Lesclimats. In Grand encyclopédie du Maroc. Vol. Géographie physique (sous la direction d'El gharbaoui A) Grands. Editions du Maroc. Rabat 1987.

Le fièvre Jouve B.1992 Nouveau acteurs et nouveaux territoires dans les grandes agglomérations européennes : une approche comparative à partir des réseaux lourds de transport collectif, in : Annales B:Bde Géographie, T,101, n°568,

P. AYDLOT. 1985 Economie régional et urbain Edition ; paris,

Ouzlim Hassan 2008 ; Le centre Soualem/Sahel a la recherche d'une municipalité « soutenable » ; Institut Nationale D'aménagement et d'urbanisme ; Rabat 2008

Olivier Dollfus :1970, L'espace Géographie, PUF,

Mohamed Ait Hamza 1983, Mobilité socio- spatiale et développement local au sud de l'atlas(dads-todgha) thèse d'Etat (géographie social) Rabat,

استدامة التنمية السياحية في مناطق التراث العمراني الصحراوي
من أدرار أملال بمصر والقصور بتونس إلى واحة تيوت بالجزائر

Sustainable Tourism Development in Desert Urban Heritage Areas From Adrar Amlal, Egypt, and the Palaces in Tunisia to the Tyeute Oasis in Algeria

د. ملوكة بروزة جامعة محمد خيضر –بسكرة-الجزائر - meloukabaroura@yahoo.fr
د. منال بوعباس مدرسة الدراسات العليا التجارية القليعة تيبازة- الجزائر-

الملخص بالعربية:
ينظر الآن للتراث العمراني بشكل متزايد ليس فقط باعتباره ذكريات مهمة من الماضي تساعد على تشكيل إحساسنا بالهوية والمكان، ولكن أيضاً كأحد العوامل الاقتصادية التي يمكن أن تعزز نوعية حياتنا من خلال الجذب السياحي، ولعل حفظ وتنمية الأصول التاريخية والمواقع التراثية تكتسب اليوم أولوية في سياسات المجتمع الدولي والحكومات المحلية، وذلك بسبب الدور الرئيسي الذي يمكن أن تضطلع به في تعزيز السياحة وزيادة الفرص الاقتصادية، بالإضافة إلى التنمية المستدامة على المدى الطويل، وزيادة هذه الفرص يعتمد على التقاليد المحلية والموارد المجتمعية في سياق العولمة المتزايدة للاقتصاد والثقافة .
لذا نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على واقع السياحة الصحراوية في الجزائر من خلال التراث العمراني واستدامة التنمية السياحية به بالتركيز على واحة تيوت الموجودة بولاية النعامة التي تتعرض بما تحمله من تراث عمراني وثقافي لخطر الاضمحلال والتلاشي مع دراسة تجربة كل من مصر وتونس في نفس المجال لأخذ دروس النجاح منها.
الكلمات المفتاحية: تراث ، عمراني، صحراء، تنمية، مستدامة.

Abstract :
Urban heritage is increasingly seen not only as important memories of the past that help shape our sense of identity and location, but also as an economic factor that can enhance our quality of life through attractions, and the preservation and development of historical assets and heritage sites is today a priority in the policies of the international community and local governments, because of the key role they can play in promoting tourism and increasing economic opportunities, as well as sustainable long-term development. The increase in these opportunities depends on local traditions and community resources in the context of the growing globalization of the economy and culture

This paper seeks to identify the reality of desert tourism in Algeria through its urban heritage and its sustainable tourism development by focusing on the oasis of Tout in the state of Na'man, which is in danger of decay and disappearing with the experience of both Egypt and Tunisia in the same way The way to take the lessons of success.
Key words: Heritage, architecture, desert, development, sustainable

تمهيد:

يعد التراث العمراني أحد الرموز الأساسية لتطور الإنسان عبر التاريخ، ويعبر عن القدرات التي وصل إليها الإنسان في التغلب على بيئته المحيطة، والتراث يعني توريث حضارات السلف للخلف ولا يقتصر ذلك على اللغة أو الأدب والفكر فقط، بل يعم جميع العناصر المادية والوجدانية للمجتمع من فكر وفلسفة ودين وعلم وفن وعمران، وتوجد علاقة وثيقة بينه وبين قطاع السياحة، حيث يمد التراث العمراني الصحراوي السياحة بعناصر جذب مميزة بالإضافة لموارد المنتجات السياحية، في الوقت الذي تعتمد السياحة على زيارة ذلك التراث من قبل السياح، بالإضافة إلى حمايته لضمان الاستدامة والاستمرارية.

وعلى مساحة تقدر بـ 80% من المساحة الكلية للجزائر تمتد الصحراء بكثبانها الرملية و بهضابها الصخرية وسيولها الحجرية لتقف شاهدا على التنوع والتميز الذي تزخر به الجزائر.فواحات الجنوب الشرقي (مثل: تاغيت،غرداية) والقصور في الجنوب الغربي (مثل:قصور ورقلة و تيندوف) ،.... تشكل متحفا طبيعيا، إضافة إلى الزخم الهائل من التقاليد والعادات والثقافات التي يمكن أن تشكل في مجملها دعما لمنتوج سياحي صحراوي واعد من شأنه أن يؤهلها لتقديم منتوج سياحي مميز، ولأن تكون وجهة سياحية ومقصدا للسياح من الدرجة الأولى إذا ما تم استغلالها استغلالا جيدا في جذب السائحين مجاراة لجيرانها تونس ومصر اللتان تعدان نموذجان ناجحان في استغلال التراث العمراني الصحراوي من أجل النهوض بالقطاع السياحي لتحقيق تنمية مستدامة، ومنه يأتي طرح السؤال الرئيس التالي:

كيف يمكن تحقيق تنمية سياحية مستدامة في مناطق التراث العمر اني الصحراوي الجز ائري و بالخصوص واحة تيوت ؟ بمعنى كيف يمكن الاستفادة من تجربتي كل من تونس ومصر من أجل النهوض بالسياحة في هذه الواحة

أهمية وأهداف الموضوع:

للموضوع أهمية كبيرة فالتراث العمراني له دور كبير في تحقيق تنمية سياحية مستدامة لذا استغلته دول عديدة أهمها تونس التي تعد الوجهة الأولى في المتوسط شمال إفريقيا بالنسبة للسياحة الصحراوية دون وجود منافسة قوية رغم ما تتمتع به دول شمال إفريقيا - مثل الجزائر-من زخم حضاري عريق وصحراء شاسعة.

لذا فإن الهدف من هذه الورقة البحثية ليس الوقوف على دور التراث العمراني في تحقيق تنمية سياحية مستدامة ذلك أن التراث العمراني مثل القصور والبيوت والقلاع كلها متواجدة في الصحراء الجزائرية لكنها لا تحقق الغرض السياحي منها بل الهدف وضع إطار إستراتيجي يساعد على حفظ وحماية التراث العمراني ويبين كيف يمكن تحقيق استدامة التنمية السياحية في مناطق التراث العمراني الصحراوي في الجزائر من خلال واحة تيوت، بغية الوقوف على الصعوبات والمشاكل وكذا إعطاء الحلول بالاعتماد على تجربتي تونس ومصر.

منهجية الدراسة:

تعد هذه الدراسة نظرية تحليلية، تعتمد في إنجازها على الأسلوب الوصفي المكتبي التوثيقي بهدف جمع البيانات من الأدبيات والدراسات السابقة والمراجع العلمية ذات الصلة في مجال البحث بهدف وضع إطار استراتيجي يساعد على تحقيق تنمية مستدامة في إحدى أهم مناطق التراث العمراني في ولاية النعامة، وتحقيقاً للهدف منها سوف نتناول هذه الدراسة من خلال الإطار النظري التالي:

المحور الأول: مصطلحات الدراسة.

المحور الثاني: عرض تجربة مصر من خلال مشروع أدرار أملال.

المحور الثالث: عرض تجربة تونس من خلال مشاريع القصور الصحراوية

المحور الرابع: التنمية السياحية المستدامة في واحة تيوت -الجزائر-

المحور الأول: مصطلحات الدراسة.

أولا: مفاهيم عن التراث العمراني وأهميته.

تعريف التراث العمراني:

تعني كلمة التراثHeritage " ما تم توريثه وبمعناه الواسع كل ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها[43]، وتضم في طياتها الانتقال من الماضي إلى المستقبل، وفي الحقيقة أن هذا الإرث الذي حصلنا عليه من أسلافنا يجب علينا تمريره إلى الأجيال القادمة"، لذا فإن تراث الإنسانية يشمل ما أورثته الحضارات السابقة لحاضرنا سواء في جانب الفكر والأدب والفلسفة والثقافة أو في جانب الفنون والعمارة والتصميم أو في كافة جوانب الحياة فكرًا وتطبيقًا[44]. أما التراث العمراني كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية"[45]، وقد تعدد التعاريف التي وضعت له من قبل المنظمات الدولية والجدول التالي يعرض بعضا منها:

---

[43] جمال معتوق،**التراث وكيفية الاستعانة به من أجل بناء سوسيولوجية مغاربية**، مجلة العلوم الاجتماعية ، الأغواط، العدد الأول، ص17

[44] أيمن عزمي جبران سعادة، **آليات تفعيل المشاركة الشعبية في مشاريع الحفاظ المعماري والعمراني - حالة دراسية الضفة الغربية"**، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2009،ص 55-57.

[45] محمد سيد سلطان، **قضايا تمويل التراث العمراني: الإطار الإستراتيجي لتعزيز حفظ وحماية التراث**، ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث – المدينة المنورة 1435هـ/ 2013م، ص5

جدول رقم 1 يمثل أهم التعاريف للتراث العمراني من قبل بعض المنظمات الدولية

اسم المنظمة	تعريفها للتراث العمراني
منظمة الإيكومس(ICOMOS)[1]	بأنه كل ماشيده الإنسان من مدن وقرى و أحياء تاريخية أو نتاجات ثقافية .
منظمة اليونسكو (1972م)	بأنه مبان أو آثار أومعالم تاريخية أو مدن قديمة مأهولة أو غير مأهولة .
لجنة المعايير المحاسبية الدولية للقطاع العام	بأنه الأصول ذات الأهمية البيئية أو التاريخية وتشمل المباني والتماثيل التاريخية والمواقع الجيولوجية والمناطق البيئية لحماية الطبيعة أو المخلوقات والأعمال الفنية حيث تتمتع بالخصائص الأساسية التالية: تتخطى قيمتها المضافة (من الناحية الثقافية أو التاريخية) قيمتها الاقتصادية ، ويوجد عليها قيود تشريعية لتحد من حرية الملاك في التصرف بها ولا يمكن استبدالها ، و قيمتها الاقتصادية تزيد مع الزمن عكس حالتها الفيزيائية (عوامل الإهلاك) التي تتدهور بمرور الزمن ، يصعب تقدير عمرها الافتراضي لتغطية مئات السنين.
مسودة ميثاق المحافظة على التراث العمراني وتنميته الصادر عن الجامعة العربية في مادته الأولى	هو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبان وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية ، ويتم تصنيفها وتحديدها وفقا لما يأتي:**المباني التراثية و مناطق التراث العمراني و مواقع التراث العمراني .**
الغرفة الصناعية بالرياض	أنه تلك المباني المعمارية الشاخصة فوق سطح الأرض ، التي قام الإنسان بإنشائها وعمارتها وتشمل: القصور والمباني التاريخية والقرى والأحياء التراثية ومراكز المدن القديمة .

المصدر: دنيا نصير طارق، شذى فالح حسين، الاستثمار المستدام في مباني التراث العمراني دراسة تحليلية لنماذج عربية مجلة العدد 23، رقم 2 فيفري 2007، ث41-42

ويتم تحديد هذا التراث تحت ثلاثة مستويات كما يلي[46]:

المباني التراثية: وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بما فيها الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها.

مناطق التراث العمراني: وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها.

مواقع التراث العمراني: وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من صنع الإنسان.

أهمية التراث العمراني الاقتصادية:

هناك أهمية وقيمة اقتصادية عالية للتراث العمراني ويتضح ذلك في:[47]

[46] كمال الحلبي،محمد الوتار،**التنمية المستدامة مدخل للحفاظ على البيئة العمرانية**، مؤتمر المبادرات والإبداع التنموي في المدينة العربية،الأردن،2008،ص 23.

[47] دنيا نصير طارق،شذى فالح حسين، مرجع سابق،ص 44

أحد الموارد المستدامة: إذ أنها تمثل موارد يمكن استثمارها بدلا من انشاء مبان جديدة لتعود بالفائدة على المستثمر بتوفير قيمة الانشاءات وفي الوقت ذاته حافظت على التراث العمراني في الموقع.

وسيلة لتوفير المزيد من فرص العمل: ذلك أن الاستثمار غي مواقع التراث العمراني يؤدي إلى الكثير من المنافع الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية الناتجة من مشاريع إعادة تأهيل وتوظيف العديد من المباني التراثية وبالتالي استقرار السكان نتيجة ارتباطهم بوظائفهم التي أتاحتها لهم مشاريع استثمار التراث العمراني.

وسيلة لاحياء المهن والحرف التقليدية: حيث تنشأ في الموقع التراثي المستثمر أو إلى جواره ورش ومصانع صغيرة لصناعة ما يتطابق (أو يتشابه مع ما هو قديم وتراثي) مثل التحف والمشغولات اليدوية وغيرها مما يخلق فرص عمل للمجتمع المحلي.

ثانيا: مفهوم التنمية السياحية المستدامة ومظاهرها:

تعريف التنمية السياحية المستدامة:

تعرف التنمية السياحية المستدامة على أنها "[48]

هي التي تلبي احتياجات السياح والمواقع المضيفة إلى جانب حماية الفرص للمستقبل، إنها القواعد المرشدة في مجال إدارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويتحقق معها التكامل الثقافي والبيئي والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة

هي توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السياح، وتشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل :إيجاد فرص عمل جديدة ودخول جديدة[49]"

وقد تبنت المنظمة العالمية للسياحة قواعد الاستدامة في السياحة، وبلورت أسس التنمية المستدامة في مجالات التخطيط السياحي ودراسات التنمية، وقد عرفت التنمية المستدامة للسياحة بأنها تلك التي تلبي احتياجات السياح والمواقع المضيفة، بالإضافة إلى حماية وتوفير الفرص للمستقبل، وهي بذلك القواعد المرشدة في مجال إدارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .كما يتحقق معها التكامل الثقافي والعوامل البيئية والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة [50].

---

[48] سليمة لفضل وآخرون، **السياحة المستدامة المساهمة في النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في المغرب العربي دراسة مقارنة (الجزائر، تونس والمغرب)**، مجلة التنمية والاقتصاد التطبيقي، المسيلة، المجلد 03، العدد 02، لسنة 2019، ص51

[49] نور الدين هرمز، **التخطيط السياحي والتنمية السياحية**، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية).والقانونية المجلد 28 العدد 3،ص24-26.

[50] الديوان الوطني للسياحة، **الحمامات المعدنية منتوج خاص** ، مجلة الجزائر سياحة . العدد 33 ، مطبعة الديوان، الجزائر،بدون سنة نشر،ص 13.

كما تعرف أيضا بأنها " التنمية التي يبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة ومخططة داخل إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية داخل الدولة ككل أو داخل أي إقليم من الدولة تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية وحضارية أو أيهما [51].وعرفها الإتحاد الأوروبي للبيئة والمنتزهات القومية في عام 1993بأنها " نشاط يحافظ على البيئة ويحقق التكامل الاقتصادي والاجتماعي ويرتقى بالبيئة المعمارية " [52].

مظاهر الاستدامة السياحية.

وبعد أن كان ينظر لصناعة السياحة والمجتمع المحلي والبيئة على أنها ثلاثة عناصر منفصلة، جاء مفهوم الاستدامة الذي أرتبط بالسياحة ليوجه النظر إلى العلاقة بين هذه العناصر التي وجد أنها تؤثر وتتأثر ببعضها البعض ضمن عملية التنمية السياحية، والاستدامة السياحية كما هو الحال بالنسبة لاستدامة الصناعات الأخرى، لها ثلاثة مظاهر متداخلة[53]:

الاستدامة الاقتصادية: ويقصد بها العائد المادي لأصحاب المشاريع السياحية، وللمجتمع المضيف.

الاستدامة الاجتماعية والثقافية: تشير إلى أن هذه المؤسسات السياحية هي جزء من المجتمع المحلي وعليها الاستفادة من الخبرات والكفاءات المحلية ما أمكن، بالإضافة إلى إشراك المجتمع المحلي والأخذ برأيه.

الاستدامة البيئية :يجب على السياحة المستدامة المحافظة على الموارد الطبيعية من ماء وطاقة ونباتات وأحياء طبيعية، وبيئات تراثية وثقافية لدرء أي خطر من مشاكل التلوث والتدهور.

[51] Afnor, **Guide pratique du développement durable un savoir-faire à l'usage de tous,** France, 2005,p 6.

[52] Corinne Gendron, **vous avez dit développement durable**?, presses international polytechnique, canada, 2007,p12.

[53] سامية لحول،راوية حناشي،**تنمية السياحة في الجزائرواستدامتها ضمن برنامج الاستثمارات العامة 2014/2010**، المؤتمر الدولي حول تقييم آثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل و الاستثمار و النمو الاقتصادي خلال الفترة 2001-2014، ص 5.

شكل 1 يمثل أبعاد التنمية السياحية.



المصدر :مصطفى طلبة، **الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**، الدار العربية للعلوم، العدد 222، ص224.

4- استدامة التنمية السياحية لمناطق التراث العمراني.

طبقًا للصندوق الوطني لصون التراث التاريخي يمكن تحقيق الاستفادة القصوى من السياحة الثقافية، من خلال خمسة مبادئ توجيهية لبدء العمل في مجال السياحة على التراث الثقافي، وهذه المبادئ هي:[54]

التعاون: التعاون ضروري في ظل تنافسية السياحة، وتزايد الضغوط على الموارد المحلية ، فيكون من الأهمية إيجاد توافق بين المجتمع والسياحة، لضمان أن تكون السياحة مستدامة على المدى الطويل، كما أن نجاح برامج السياحة الثقافية يكمن في الشراكة بين مؤسسات لم تكن تتعاون مع بعضها من قبل، مثل التعاون بين مؤسسات القطاع الخاص والمؤسسات الحكومية وأيضًا التعاون بين المنظمات الأهلية والمؤسسات الحكومية، وبالتالي يمكن أن يتحقق الكثير من الفوائد الاقتصادية.

التوازن: لضمان الاستفادة القصوى من التراث الثقافي والسياحة، لا بد من تحقيق التوازن بين احتياجات السكان والزائرين، ومن المهم فهم أنماط وحجم السياحة التي يمكن أن يتقبلها ويتعامل معها المجتمع المحلي، وبالتالي إشراك المجتمع المحلي في البرامج والأنشطة السياحية أمر بالغ الأهمية.

إدارة السياحة: التأكيد على إدارة برامج سياحية لاجتذاب الزائرين، بحيث تعمل على إظهار التراث الثقافي للمجتمعات.

الجودة والأصالة: التأكيد على جودة المنتج السياحي في السياحة الثقافية، حيث أن الأصالة التي تميز مجتمع عن مجتمع آخر هي أمر بالغ الأهمية في كل ما يتعلق بالتاريخ أو التراث.

الحفاظ والحماية: لابد من حماية التراث الثقافي والتاريخي والموارد الطبيعية، لوجود قيمة عالية لها ولا يمكن استبدالها، وبالتالي لابد من الحفاظ عليها وحمايتها من أجل الاستمرارية.

[54] http://www.marefa.org

المحور الثاني: عرض تجربة مصر من خلال مشروع أدرار أملال.

تعد مصر واحدة من البلدان المتميزة فيما يتعلق بكثرة وتنوع موروثها العمراني والطبيعي والثقافي، ويرجع ذلك إلى وجود ثقافات معمارية مختلفة نابعة من البيئة الطبيعية، هذا مع وجود أكثر من ثلث آثار العالم بها، بالإضافة إلى وجود التنوع البيولوجي والشواطئ والطبيعة الجميلة، فكل هذه المقومات إذا ما تم استغلالها سياحيًا بطريقة مستدامة، فسوف تكون مصر الوجهة السياحية الأولى في العالم، وهو ما سيؤدي إلى زيادة الموارد الاقتصادية والدخل القومي والفردي.

أولا: التعريف بنموذج الدراسة وأسباب اختياره.

إدرار إملال "هو من أشهر المنتجعات البيئية في مصر، وقد قامت بتنفيذ هذا المشروع شركة" نوعية البيئة الدولية"، وقد تم اختيار موقعها علي أنقاض قرية قديمه، يحاصرها جبل يسمى الجبل الأبيض، أو " إدرار إملال "باللغة الأمازيغية[55] وهي اللغة المحلية التي مازال يستخدمها بعض السكان المحليون، ويقع خلف إدرار إملال بحيرة عريضة مالحة.[56]

وأسباب اختياره كنموذج للدراسة في هذه الورقة البحثية هو كونه من أبرز نماذج الفنادق التي تم مراعاة البعد البيئي في تصميمها وإنشائها، وقد تم اختيار الفندق البيئي" إدرار إملال" كأحد أفضل النماذج العالمية في مشروعات البيئة والتنمية(Ecolodge) المتواصلة من قبل مؤتمر قمة الأرض الذي عقد في جوهانسبرج، كما فاز هذا المشروع بجوائز عالمية لتحقيق التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة.

شكل 3 صورة لموقع منتجع ادرار أملال.



المصدر: موقع مركز التراث العالمي من خلال الموقع http://www. whc.unesco.org/ar

ثانيا: التقنيات المستخدمة لتحقيق التنمية المستدامة في إدرار إملال:

[55] إيهاب فاروق الرشد، **التنمية السياحية للمناطق الصحراوية مدخل للتو افق والاستدامة**،المؤتمر الأول حول العمارة والعمران في اطار التنمية المستدامة كلية الهندسة جامعة القاهرة، مصر ،2004،ص 37.

[56] صلاح الرشيدي، **قرية جعفر سياحة بلا رتوش**،http://abrokenheart.maktoobblog.com

هناك عدة تقنيات تم استخدامها في مشروع أدرار أملال لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، منها:[57]

استغلال الموارد المحلية للمنطقة:

تم إقامة المباني الرئيسية بمواد البناء المحلية المتاحة والملائمة للبيئة في سيوه (الكرشيف) ويتم ربط هذه الأحجار بنوع من الطفلة (نوع من الطين) والتي تقوم بدور المونة وتتميز بمقاومة حرارية عالية تؤدي إلى التقليل من الانتقال الحراري بين الوسط الخارجي والداخلي.

تم استخدام فلق النخيل في الأسقف والناتج من مخلفات حدائق النخيل حيث يتم تقطيعه وتجهيزه ومعالجته بالملح لمنع الإصابة بالسوس .بالإضافة إلى استخدام القباب والتي يتم بنائها بالكرشيف للتقليل من الإشعاع الشمسي الساقط على الأسطح، مع زيادة ارتفاعات الفراغات الداخلية وهو ما نتج عنه تقليل الإحساس بالحرارة داخل الفراغ، وبالتالي لا توجد أي تكييفات في الغرف.

الأبواب ونوافذها من الخشب الخالي من الطلاء، والإضاءة تعتمد على المشاعل النارية في خارج الغرف والشموع بداخلها، والتدخين والسيارات بكافة أنواعهم ممنوعة في القرية، أما أثاث الغرف من البيئة المحلية فالفراش مصنوع من جريد النخل وأفرع الشجر، بينما المراتب من القطن المصري.

استخدام العين الطبيعية المتواجدة في موقع عين جعفر كحمام للسباحة بعد كسوتها بالحجر الطبيعي المتواجد بالمنطقة، وهي بئر مياه طبيعية عذبة يستحم فيها النزلاء كما كان يفعل القدماء من سكان تلك المنطقة والاستحمام في البئر يكمل الصورة الطبيعية التي حرص ملاك المكان على إضفائها عليه، فلا حاجة إلى تطهيرها بالكلور أو بأي مواد كيماوية أخرى.

شكل4 صورعن المنتجع و استغلاله للمواد الطبيعية في الموقع.



Source: http://www.adrereamellal.net

مراعاة الجانب البيئي: وذلك من خلال:

[57] رهام كامل الخضراي،**الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني**،رسالة ماجيستير منشورة ،فرع التخطيط العمراني،جامعة عين شمس،مصر،2012،ص ص 164-167.

الطعام الذي يقدم بالقرية يتم زراعته بالحديقة الملحقة بالمشروع ومساحتها نحو تسعة أفدنة، حيث يتم زراعتها بكافة الخضروات والفواكه زراعة عضوية بدون إضافات أو مواد كيميائية، وتعتبر تلك الحديقة هي مصدر تغذية الفندق بكافة إحتياجاته .

تستخدم الفنادق كمية قليلة أو منعدمة من الكهرباء، وهي مشيدة في معظمها بمواد طبيعية محلية، ومزودة بأنظمة للتعامل مع النفايات المتحللة بيئيا. تم تصميم وتنفيذ فكرة جديدة (طريقة طبيعية) للتخلص من الصرف وتلك تعتمد على تجميع (wet land) الصحي تسمى الأرض الرطبة كافة المخلفات في الصرف الصحي ثم إلى خزان مغلق ومنها يتم صرفها إلى أرض رطبة تنتهي إلى حديقة نباتات من نوع معين(البوص، اللوتس ، البردي).

استخدام القباب والتي يتم بنائها بالكرشيف لتقليل من كم الإشعاع الشمسي الساقط على الأسطح

تم زيادة ارتفاعات الفارغات الداخلية وبالتالي تقليل الإحساس بالحرارة داخل الفراغ.

توظيف السكان المحليين:

تم العمل مع الأهالي المحليين وتوظيفهم دون جلب موظفين من القاهرة لتسيير الفنادق .وقامت شركة نوعية البيئة الدولية EQI بتدريب أهالي سيوة وتوفير ٦٠٠ فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة بالنسبة للسكان المحليين .وقد تم تلقين الموظفين مهارات الإدارة كما هو الشأن مثلا لمدير أحد الفنادق في مركز سيوة ، والعاملون في القرية من أهل الواحة ويبلغ عددهم ٧٦ عامل في مختلف التخصصات .

شكل 5 توظيف السكان المحليين في المشروع.



Source: http://www.adrereamellal.net

التسويق: يعتمد التسويق في" أدرار أملال "على دعوة منظمي الرحلات وبعض الأفراد الذين لهم أهميتهم في المجتمع بالدولة والعالم لاستضافتهم في المنتجع، وعلى الحديث المباشر إليهم، وذلك بسبب الحاجة إلى جعل العدد الذي يزور المناطق المحمية في المنتجع محدود.

الشراكة في المشروع:

الحكومة المصرية :قدمت الحكومة المصرية الأرض مباشرة إلى الشركة، وقامت بعد ذلك بتقسيمها إلى مناطق يمكن أن تستعمل في السياحة التجارية.

الخبراء :تم إشراك مجموعة واسعة من الخبراء وذوي المهارات في تصميم وتنفيذ استراتيجيات شاملة للتعامل مع تحديات البيئة .بالاشتراك مع فريق من خلفيات متعددة يشمل علماء الاجتماع وخبراء البيئة والإدارة والتمويل والاتصالات.

المجتمع المحلي السيوي :تم إشراك المجتمع المحلي السيوي في مشروع إدرار إملال وذلك بالعمل في المنتجع في مرحلة التنفيذ، وفي مرحلة الإدارة، وذلك بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني في الواحة.

التمويل:

قدمت الحكومة المصرية الأرض لشركة نوعية البيئة الدولية بثمن منخفض نسبيا.

قامت المؤسسة المالية الدولية بتمويل جزء من المشروع.

وجود شراكة مع القطاع الخاص والاستثمار في مشروع سيوه.

المحور الثالث: عرض تجربة تونس من خلال مشاريع القصور الصحراوية

تعتبر تونس من الدول الرائدة في مجال السياحة بمختلف أنواعها إذ تحولت تونس بالفعل إلى واحة سياحية تستقطب الأسواق الكبرى إذ نجحت في التوظيف السياحي لتراثها الثقافي والبيئي المتمثل في المدن ومراكز المدن التاريخية والمباني التراثية والمواقع الأثرية الصحراوية ومن بينها القصور الكثيرة المتواجدة بها.

أولا: القصور الصحراوية في تونس.

القصر الصحراوي عبارة عن بناء يتألف من غرف نوم كثيرة قد يصل عددها إلى الثلاثمائة غرفة طينية، صنعت من مواد أولية بسيطة وبدائية مثل الحجارة والطين وجذوع النخل وتحوي عدة طوابق، وقد انشئت كحصون دفاعية، أقامها الأمازيغ لصدّ زحف بني هلال في أواسط القرن الحادي عشر، وقد بنيت خصيصاً لتستعمل مخازن ثم تحوّلت إلى رمز للهوية بالنسبة إلى القبائل التي ترحل عبر الصحراء، وقد أعيد ترميم بعضها لتوظيفها سياحياً ولتبقى شاهداً على الحضارة التي شهدتها تلك المنطقة،[58]ويتألّف القصر الواحد من غرف عديدة، تصل في بعض منها إلى أكثر من 300 غرفة، ويتكوّن من مدخل رئيسي يقود إلى ساحة كبيرة، بينما تتوزّع الغرف على كلّ الجوانب متعامدةً، وغالباً ما تقام على ثلاثة أو أربعة طوابق وتربط بينها مدارج صغيرة، يصل ارتفاعها إلى 6 أمتار وعرضها بين 1.5 متراً إلى مترين، وعادة ما يكون القصر على شكل مستطيل.[59]

وقد قادت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المنطقة إلى تحويل وظيفة القصر من مجرد مخزن غذائي إلى موقع أثري يساهم في تطوير القطاع السياحي. فبعد الاستقلال (1956)، توجهت الدولة التونسية إلى التركيز على القطاع

[58] http://www.tunisia-sat.com/vb/showthread.php?t=552243

[59] خباب عبد الصمد، **القصور الصحراوية من زناتة إلى أولاد سلطان**، https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/3/7

السياحي كإحدى الرافعات التنموية للبلاد، وعممت سياسة استغلال الإمكانات المحلية، الأثرية والمناخية والطبيعية، لمختلف الجهات.

وتعتبر القصور الصحراوية في الجنوب التونسي والتي يبلغ عددها 150 قصراً، من أهم الثروات السياحية وقد صنفت كنموذج راقي تدل على عراقة فن المعمار وتفرده، وكان البربر أول من أقام فيها وبنوا قراهم على رؤوس الجبال خوفاً من الاحتلال من بينها: قصر زناتة، والحدادة، وأولاد دباب، وأولاد سلطان[60].

شكل 6 موقع القصور الصحراوية بجنوب تونس.



source: http://ar.webmanagercenter.com

ثانيا: إجراءات حكومية للارتقاء بالسياحة من خلال القصور الصحراوية.

لقد قامت تونس بتطوير منتج السياحة الصحراوية الذي تحظى فيه بعدة عناصر إيجابية، فقد اتخذت الدولة عدة تدابير هامة بهدف جعل التراث أحد عناصر التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتعمل على تنويع المنتج السياحي من خلال عدة استراتيجيات:

الاهتمام الحكومي: وذلك من خلال:[61]

تقوم البلديات بإدارة شؤون المدينة و ضواحيها من خلال المجلس البلدي،و تنفيذ خطط الحماية و المحافظة على التراث العمراني عبر الشراكة مع جميع القطاعات الحكومية التي تعمل معها بتنسيق متكامل وانسجام تام، بعيدا عن المركزية في اتخاذ القرار.

تنسق البلديات مع القطاعات الحكومية لاستثمار مواقع التراث العمراني وإعادة توظيفه وفق قوانين وتشريعات تحافظ على الطابع المعماري الأصيل.

---

[60] https://raseef22.com/article/224

[61] الهيئة العامة للسياحة و الآثار،**برامج استطلاع التجارب السياحية العالمية المميزة، الرحلة الخامسة الجمهورية التونسية،السعودية** ، 2009، ص ص 25-30.

يتم استثمار بعض المباني ضمن مواقع التراث العمراني من مستثمرين ويتم تقديم الكثير من التسهيلات لأهمية استثمارهم بالنسبة لاقتصاد المدينة.

يتم منح أصحاب العقارات والشركات المستثمرة مزايا وتسهيلات من قبل البلديات وذلك لترميم وتأهيل المباني الواقعة ضمن مناطق التراث العمراني لتوظيفها سياحيا.

الاهتمام بالجانب العلمي: تحرص تونس عل عقد الكثير من الندوات والملتقيات العلمية الخاصة بتقييم سياسات واستراتيجيات الصيانة والتصنيف والوسائل التشريعية والتقنية والمالية اللازمة كالملتقى الاقليمي لمدن التراث العالمي لمنطقة إفريقيا والشرق الأوسط[62].

الاهتمام بالحرف والصناعات التقليدية: تشتهر المناطق الصحراوية بصناعة المنسوجات ذات الجودة العالية والتوشيات والرموز الخاصة، ويعتبر المرقوم والكليم من أشهر أنواع السجاد في المنطقة إلى جانب عدد من المنتجات التقليدية الأخرى في توزر أو المدن القريبة مثل قبلي أو دوز كالجلود والملابس الصحراوية والحلي والمصاغات والسعف وغيرها من المنتوجات الصحراوية المميزة، وتحرص على المحافظة على هذا المجال من خلال:[63]

دعم الحرف التقليدية: انشاء مركز لدعم الحرف اليدوية والصناعات التقليدية وهو مشروع لحفظ التراث يضم حرفيين محليين يقومون بأعمال الانتاج وعرض إبداعاتهم، بالإضافة لوجود قاعات للتدريب يتولى التدريب فيها متخصصون مؤهلون في التصميم والتطوير.

تدعم الدولة هذا التوجه وتقدم ضمانا باسم الدولة لبعض المنتجات لدعم عمليات التسويق الخارجي مثل السجاد.

يتم استيراد وتوفير بعض المواد الأولية التي قد لا تتوفر من خارج تونس.

تحويل البيوت والقصور القديمة إلى مطعم تراثي يقدم الوجبات التونسية بطريقة تقليدية بأسلوب راقي أو إلى فنادق فخمة أو إلى متاحف عريقة.

الاعتماد على موارد طبيعية محلية: من خلال:[64]

يعتمد البناء في المدينة على الطوب المحروق والبيوت مبنية بكل دقة وجمال وتضم واحات توزر مئات الآلاف من أشجار النخيل.

تمت المحافظة على البلدة العتيقة بتوزر ودعم إعادة تأهيل المباني التراثية وإقامة نشاطات مثل(نزل بيئي، مقاهي شعبية، متاحف...)

يتم تصنيع جميع المنتجات الخشبية من أبواب وكراسي وطاولات في منتزهات الواحات جميعا من أخشاب النخيل.

---

[62] http://ar.webmanagercenter.com

[63] الهيئة العامة للسياحة و الآثار،مرجع سابق.

[64] المرجع السابق.

تصدير المنتجات مثل تصدير التمور التوزرية إلى أوروبا.

توظيف مقومات السياحة الصحراوية بشكل مثالي لتوفر المنتج مثل تحويل مزرعة النخيل في توزر لمنتزه متكامل بوجود الخدمات الأساسية والترفيهية: حيث جميع المكونات الخشبية للمشروع بما فيها البوابة الرئيسة من أخشاب النخيل.

كما تم توظيف منابع المياه، المزارع والأودية لتكوين منتجات سياحية صحراوية وبيئية ناجحة.

المحور الرابع: التنمية السياحية المستدامة في واحة تيوت -الجزائر-

كلمة تيوت أنها في الأصل لفظ بربري مشتقة من تيط أو تيطاوين ومعناها العيون أو المنطقة الغنية بالماء،ويعتبر الطين المكون الرئيسي في العمارة والبناء في منطقة جبال القصور(Monts des ksour) عبر سلسلة جبال الأطلس الصحراوي لدرجة تدفعنا الى وصف حضارة المنطقة بأنها حضارة طينية.[65]

أولا: موقعها الجغرافي:

تقع تيوت على جبال قصور الأطلس الصحراوي، 10 كم شرق عين الصفراء كامتداد للطريق الوطني 47، بين جبل عيسى من الشمال الغربي ، جبل جرى و جبل مكثر من الجنوب، وهي على بعد 40 كم من منتجع عين ورقة ، على بعد 45 كم من قلعة الشيخ بوعمامه، على بعد 40 كم من سفاسفة، على بعد 70 كلم من بوسمغون ، و 50 كلم من عسلة. ارتفاعها المتوسط 1000 متر. تغطي منطقة تيوت مساحة قدرها 789.25 كم² وتدرج في نهاية عام 2008، 6657 نسمة[4]. تشتهر المنطقة بمنحوتاتها الصخرية.[66]

شكل رقم 7 خريطة تبين الموقع الجغرافي لواحة تيوت

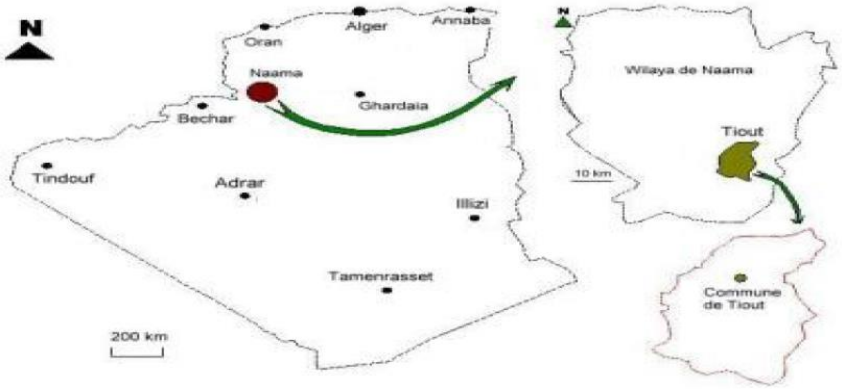

Source : Ait Saadi H , Et Autre , Le Ksar De Tiout (Algérie) : La Maitrise De La Gestion De L'eau Et De La Protection De L'environnement, Larhyss Journal, n24 Décembre 2015, P 245.

[65] أحمد عقون،**واحة تيوت**، http://tioutoqsis.blogspot.com

[66] Ammar Boumezbeur, Les Oasis de Moghrar et Tiout, Wilaya de Nâama, Fiche descriptive sur les zones humides Ramsar, MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPMENT RURAL ,DIRECTION GENERALE DES FORETS, main2003

ثانيا: السياحة في واحة تيوت

تيوت في دائرة عين الصفراء ولاية النعامة الجزائر منطقة شبه صحراوية تجمع بين الصخور والنخيل والمياه العذبة ...انضمت تيوت إلى اتفاقية رامسار عام 2003 وأدرجت واحة تيوت في قائمة الأراضي الرطبة ذات الأهمية الدولية , وتتمتع هاته المنطقة الرطبة بطبيعة ساحرة وفريدة ، وتضم تنوعا حيويا هاما من النباتات والحيوانات البرية والمائية، والأسماك والطيور بأنواع عديدة منها الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض ، وتدل المواقع الأثرية المتناثرة على محيط هذه المنطقة الرطبة والتجمعات السكانية الحالية على ارتباط الإنسان منذ القديم بها .[67]

رغم أن واحة تيوت لها من الكثير المقومات الطبيعية والأثرية ما يؤهلها لأن تكون وجهة سياحية هامة إلا أننا نلاحظ ظهور العديد من المشاكل والمعوقات والتي تؤدي إلى تراجع الواحة يوما بعد يوم، ومن خلال نموجي الدراسة : مصر وتونس ارتأينا وضع نموذج لتحقيق استدامة التنمية السياحية لمناطق التراث العمراني بالتطبيق على واحة تيوت، كما في الشكل التالي:

شكل 7 يبين خطة العمل لتحقيق تنمية سياحية مستدامة في مناطق التراث العمر اني الصحراوي

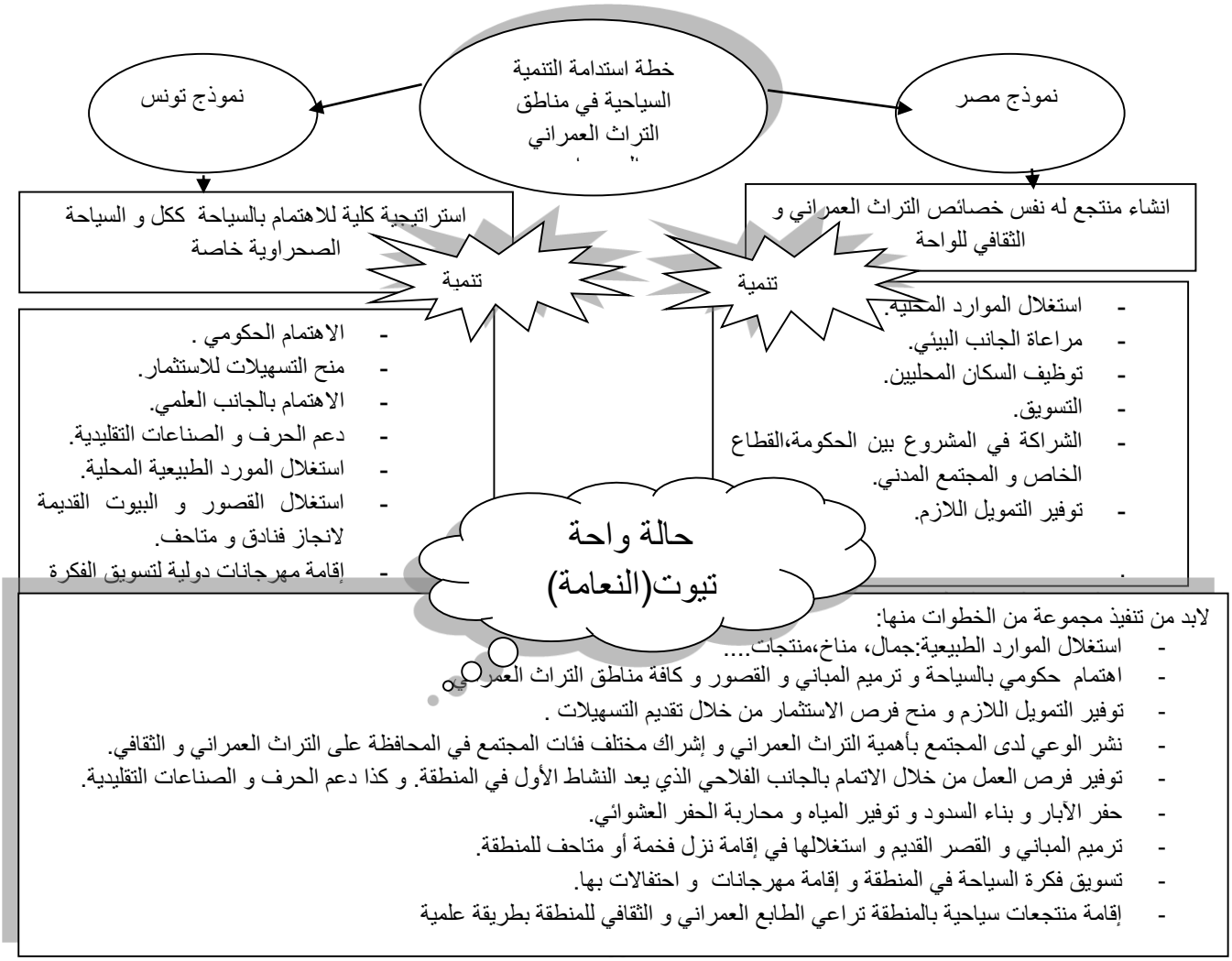

ويمكن تفسير تلك الاستراتيجيات كما يلي:[68]

الاهتمام بالموارد الطبيعية المحلية:

جمال الواحة: فعند مجيئ أول فرقة عسكرية استطلاعية استعمارية لقصر تيوت جنوب ولاية النعامة، سنة 1847. فوجئ الدكتور -فليكس جاكو- الذي كان ضمن طلائع الجنرال كفينياك- بجمال واحة تيوت، بحيث تحتل فيها الواحة موقعا استراتيجيا وسط ديكور طبيعي خلاب منحها خصوصية وجاذبية، فطابعها العمراني والمعماري المميز دفعه إلى تصنيفها على أساس أنها من الواحات الرائعة في المنطقة، والتي وصفها بالأجمل والأوسع والأكثر تنوعا وغنى والأكثر خصوبة مقارنة بواحات الأطلس الصحراوي الأخرى التي زارها حيث تتوفر فيها الرمال الذهبية والبحيرات المائية والجبال الصخرية ذات الألوان المتغيرة تبعا للقوة الضوئية.

التنوع الحيواني والنباتي فهب منطقة رطبة مصنفة ضمن اتفاقية "رامسار" الدولية وتضم حظيرة جبل عيسى الوطنية المتوفرة على تنوع نباتي وأصناف من الطيور و الحيوانات البرية و الزواحف

الاستفادة من النخيل و مخلفاته: إذ قدر عدد النخيل بها بأزيد من 7000 نخلة. والمئات من الأشجار المثمرة الأخرى. تمتد على مساحة قدرها 4 كيلومتر مربع. فبالإضافة الى ثمرها الذي يمكن اعتباره غذاء كاملا حيث يحتوي على السكريات والبروتينات والفيتامينات وأملاح مثل أملاح البوتاسيوم، وسهولة تخزينه، فإن فائدة النخلة لا تقتصر على ذلك فقط، فجميع مخلفاتها يستفاد منها حيث يصنع من أليافها الحبال ومواد الحشو للأثاث، ومن سعفها القفف والزنابيل والقبعات الشعبية، ومن جريدها تصنع السلال وأوعية نقل الفواكه والخضراوات والأثاث الخفيف مثل الكراسي والأسرة، كما تستعمل جذوع النخل شديدة الاحتمال في تسقيف المنازل والأزقة بالقصر العتيق. كما تستخدم النخلة في صد الرياح والإحاطة بالمزروعات والأهم أنها تستخدم في وقف زحف الصحراء.

استخدام اللبن الطيني و الذي مازال شائعاً في منطقة تيوت في بناء الأسوار بين البساتين وفي بناء الاسطبلات لتربية المواشي, ومناطق البادية لكون هذا النوع يلائم طبيعة المناخ الجاف والحار صيفاً والبارد شتاء كما أنه قليل التكلفة ومن خلال تجربة الأقدمين أثبت إمكانيته في تصميم أبنية شاهقة وضخمة صمدت أمام عوامل الزمن عبر آلاف السنين وشكلت معلماً حضارياً بارزاً.

إعادة بعث السياحة العلاجية بتيوت من خلال الاعتناء بمرفق الحاجز المائي الذي يتغذى من ينابيع "عين عيسى"، و كذا بئر جوفي يسمى "عين لحلاف" الذي يتميز بخصائصه العلاجية للأمراض الجلدية والذي تراجع منسوبه بشكل محسوس.

دعم الحرف و الصناعات التقليدية بالمنطقة.

الاهتمام بالجانب الفلاحي لتوفيرفرص العمل: إذ كانت توجد أصناف كثيرة ومتنوعة من التمور التي تتميز بها واحة تيوت كانت تفوق 80 نوعا والتي اختفت تماما، مثل آغراس ذو الجودة العالية و الفقوس والرطبي.. اضافة الى العديد من أصناف

[68] من إعداد الباحثتين بالاعتماد على مدونة الأستاذ أحمد عقون و بإذن منه. الموقع: http://tioutwaha2.blogspot.com

الأشجار المثمرة الأخرى كالتفاح، والتين. المشمش، الخوخ، إضافة إلى بعض الفواكه التي بدأ يضعف إنتاجها، مثل اللوز، والعنب، والرمان، والبطيخ، وعلى مستوى الخضراوات تعاني هي الأخرى ضعف الإنتاج، إضافة إلى تدني جودتها لأسباب يجهلها المستهلك والفلاح على سواء، ومن بين الخضراوات «القرع، واللفت، والبطاطس، إضافة إلى الفجل، والبقل، والسلق، والبصل، والثوم، وغيرها من المنتجات الزراعية الأخرى. مما يستدعي سرعة وضع الحلول من قبل الجهات المختصة والعمل جديا على النهوض بالزراعة من خلال تدابير استثنائية .

شكل 8 من بساتين الواحة أواخر ثمانينيات القرن الماضي كيف كانت وكيف صارت.



Source : http://tioutoasis.blogspot.com

تكوين شباب المنطقة في مهن تتعلق بالقطاع من أجل دعم المقصد السياحي بهذه الجهة من ولاية النعامة، بالإضافة إلى تكوين مرشدين سياحيين مؤهلين لمرافقة الوافدين من السياح، و خصوصا الأجانب منهم فضلا دعم البرامج الإعلامية و التحسيسية التي تعرف بالمواقع السياحية التي تتوفر عليها المنطقة وإبراز القدرات التاريخية والطبيعية التي من شأنها استقطاب عدد كبير من الزوار.

بناء الآبار والسدود ومحاربة الحفر العشوائي: إذ أن الواحة أصبحت مهددة بشبح العطش. فحوالي 80% من نخيل الواحة يتعرض للموت البطئ إثر الجفاف وانجراف التربة، بسبب نقص كمية المياه الجوفية، حيث أن موارد المياه انخفضت في السنوات الأخيرة إلى نحو 70%. بعدما جفت العيون ويبست مئات أشجار النخيل التي تزين هذه الواحة المتهاوية في أعقاب تأثر المخزون الباطني من المياه الجوفية وجفاف الآبار التقليدية التي كان يتزود بها أهالي الواحة على مدار مئات السنين، الأمر الذي أدى إلى تقلص المساحة الزراعية المروية بشكل كبير خاصة منطقة "القرارة" "والمحاسر" "والاحلاف" والتي كانت تمون منطقة الجنوب الغربي بالعديد من المنتجات الفلاحية المتنوعة.

شكل 9 جانب من سد تيوت. كيف كان وكيف أصبح



Source : http://tioutoasis.blogspot.com

التسويق لها: من خلال إقامة مهرجانات وطنية ودولي واستغلال تكنولوجيات الاتصال وشبكة الأنترنت في الترويج لها من خلال إعداد تطبيقات إلكترونية عبر شبكة الإنترنيت وتحرك الوكالات السياحية المحلية في هذا الإتجاه وتوفر ممونين كفيل بإنشاء مواقع إلكترونية وخدمات للاتصال والترويج السياحي تسهل تعرف السياح على الوجهات والمسارات السياحية بالمنطقة ودعوتهم لإستكشافها.

زيادة الوعي بأهمية هذه المناطق: إشراك المجتمع المحلي في البرامج والأنشطة السياحية و العمل على تدريبهم وتشجيع الصناعات الحرفية واليدوية المحلية، وتشجيع المحافظة على المباني القديمة حيث نلاحظ انتشار النمط العمراني الحديث على حساب الأبنية القديمة.

تزويد البلدية بهياكل فندقية تستجيب لمتطلبات الوافدين إليها إذ هي تقتصر حاليا على بيت للشباب و منطقة للتخييم لا تتجاوز قدرات إستيعابهما إجمالا 30 سريرا مع الإلتفاتة العاجلة لتحديد واضح لمعالم المناطق الأثرية و إنشاء مراكز للحراسة و المراقبة بالقرب منها للحد من الإعتداءات و التشويه الذي تتعرض له بعض المناطق العمرانية القديمة وخصوصا محطات النقوش الصخرية

شكل 10 جانب من رحبة ساحة القصر العتيق خلال السبعينيات وكيف أصبحت



source :http://tioutoasis.blogspot.com

الاهتمام بالجانب البيئي: انضمت تيوت إلى اتفاقية رامسار عام 2003 وأدرجت ضمن قائمة الأراضي الرطبة ذات الأهمية العالمية, تتمتع هاته المنطقة الرطبة بطبيعة ساحرة وفريدة , وتضم تنوعا حيويا هاما من النباتات والحيوانات البرية والمائية , والأسماك والطيور بأنواع عديدة منها الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض، مما يستدعي ضرورة المحافظة على المنطقة،

كما تحوي بتيوت الحاجز المائي الذي يتغذى من ينابيع "عين عيسى"، و كذا بئر جوفي يسمى "عين لحلاف" الذي يتميز بخصائصه العلاجية للأمراض الجلدية والذي تراجع منسوبه بشكل محسوس

استغلال القصور والبيوت القديمة كنزل أو متاحف: إذ ثبت أن واحة تيوت تعد إرثا حضاريا وتاريخيا فريدا في الجزائر إضافة الى جمالها الطبيعي، حيث شهدت كبرى ملاحم رجال المقاومة الجزائرية زمن الاستعمار الفرنسي على غرار البطل الشهير "الشيخ بوعمامة" (1840 – 1908م). كما أن هناك قصرها القديم ومسجده العتيق الذي يعد صرح عمراني ومعلم تراثي كفيل بإنعاش حركية الجذب السياحي حيث بنيا مطلع القرن الرابع عشر الميلادي (حوالي 1305ميلادي) -حسب التقديرات التاريخية الذي بني من الطين والحجارة بنمط بناء تقليدي وهندسة صحراوية تلائم خصوصيات ومناخ المنطقة يتميز بجمال التصميم وقوة أبوابه التي تغلق بالمزاليج وتصنع من خشب الرمان أو من جذوع النخل وتتكون بيوته من طابقين العلوي مخصص للعائلة والضيوف و السفلي لتخزين المؤونة و المواشي، ويتوسط قصر تيوت مسجد عتيق و قاعة تدريس للقرآن الكريم تدعى بالأمازيغية "تخربيشت " وتؤدي إليه كل الدروب و غير بعيد عنه توجد ساحة عمومية تدعى "تاسفلت" أعدت للراحة وعقد الإجتماعات، وقرابة 40 بيت عائلي أغلبها متاحف عرض صغيرة للأدوات التقليدية وأخرى كورشات صغيرة لصناعة التحف اليدوية لعدة منتوجات كالنسيج وسعف النخيل و الصوف وغيرها.

كما تمتاز واحة " تيوت " باحتوائها على الغابة المتحجرة و تشكيلة متكاملة من النقوش الصخرية، حيث تدل المواقع الأثرية المتناثرة على محيط هذه المنطقة الرطبة والتجمعات السكانية الحالية على ارتباط الإنسان منذ القديم بها. وتعد النقوش الصخرية من أهم المواقع السياحية التي تستقطب السياح بتيوت وأهمها "الحجرة المكتوبة "التي تروي قصص وحكايات السكان القدامى الذين استوطنوا بالمنطقة منذ أمد بعيد (800 سنة قبل الميلاد حسب تقديرات المؤرخين) وغيرها من المواقع التي تحتاج إلى مزيد من التمحيص العلمي وبرمجة جولات سياحية للإستكشاف و غرس الحس والوعي بحماية التراث السياحي والعناية به لدى أطفال المدارس

شكل 11 بعض الآثار و الحفريات التي تعبر عن تاريخ واحة تيوت

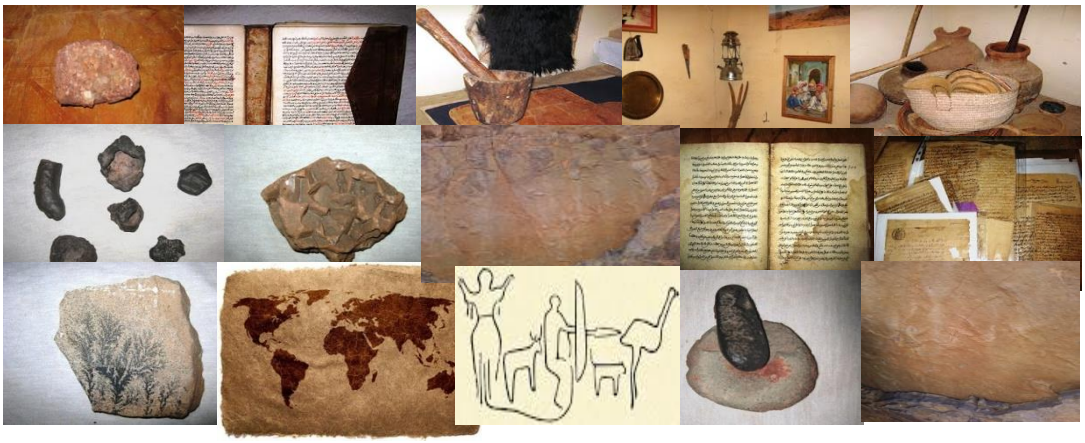

المصدر: من تجميع الباحثتين بالاعتماد على مدونة الباحث أحمد عقون و بإذن منه من الموقع:

http://tioutoasis.blogspot.com

ثالثا: الجهود المحلية لتحقيق تنمية سياحية مستدامة بمنطقة تيوت

بالرغم من كثرة العقبات فذلك لم يثن من عزيمة الجهات الوصية على القطاع ولا مهنيي السياحة عن المضي قدما في طريق جلب مستثمرين للرفع من مرافق الإيواء وقدرات تسويق المنتوج السياحي والإرتقاء بالسياحة المحلية ويتجلى ذلك من خلال:[69]

تسطير عدة مخططات وبرامج تستهدف بعث المواقع السياحية والتراثية بمنطقة تيوت من خلال تهيئتها وحمايتها كعملية الترميم التي جرت في مراحل بين 2003 و 2012 ومست صيانة الأجزاء المتدهورة من قصر تيوت.

إعداد مخطط شامل لتهيئة منطقة التوسع السياحي بواحة تيوت المقترحة للتصنيف والذي يمتد على مساحة بنحو 200 هكتار،

ترقية الاستثمارات الموجهة للقطاع السياحي بتيوت بإعتماد عدد من المشاريع للدفع بالنشاط السياحي عبر هذه البلدية أهمها مركب سياحي يتربع على مساحة 8.120 متر لإنجاز مرافق استقبال فندقي مختلفة بطاقة استيعاب تقدر ب 319 سرير موزعة على 93 غرفة، وقد إنطلقت أشغال مشروع المركب السياحي في إطار الاستثمار الخاص بغلاف مالي يفوق 1 مليار دينار، ومن شأنه استحداث 87 منصب شغل بعد دخوله مرحلة الاستغلال، غير أنه يسجل وتيرة بطئية للأشغال، حيث وجهت إعذارات لصاحب المشروع في هذا الإطار.

[69] https://www.djazairess.com/

منح قرارات الإمتياز لإنجاز مشروعين إستثماريين سياحيين على مستوى بلدة تيوت بطاقة استيعاب قوامها 149 سرير وستوفر 90 منصب شغل بعد أن خصص لهما غلاف مالي بقيمة 401 مليون دج.

إنجاز مخطط الترقية السياحية لدعم التوجيه والإعلام السياحيين من خلال إعداد مطويات وملصقات حائطية ولوحات فنية وتوفير معلومات عن مختلف المعالم السياحية والأثرية التي تزخر بها الولاية مع استغلال هذه المنجزات لعرضها في مختلف التظاهرات الثقافية والسياحية التي تحتضنها الولاية.

تنفيذ برنامج الترقية السياحية لتلك المنطقة عبر إنجاز دراسات جدوى لتهيئة هذه المحطة السياحية الجديدة وتنفيذ عمليات التهيئة من طرف مكاتب دراسات يتم انتقاؤهم وفقا لدفتر شروط والإهتمام أكثر بآليات التكوين وكذا تسويق المنتوج السياحي.

الخاتمة وتتضمن النتائج:

تعتبر عناصر التراث العمراني في الصحراء من أهم عناصر الجذب بالنسبة للسياحة العالمية والمحلية في عصر تعتبر فيه صناعة السياحة من أهم الصناعات العالمية التي تهتم بها كافة الدول، لما تحققه من انتعاش اقتصادي مباشر أو غير مباشر وذلك من خلال تشجيع الاستثمارات الأجنبية، فالسياحة تهتم بالتراث العمراني بشكل كبير، من حيث المحافظة على ديمومته وإبرازه، في الوقت الذي يقوم التراث العمراني بإمداد السياحة بعناصر جذب مميزة وموارد اقتصادية هامة للتنمية السياحية بشكل خاص وللاقتصاد الوطني بشكل عام .

ومنه نستخلص النتائج التالية:

إن نهضة الشعوب لا تقاس بما وصلت إليه من تطور عمراني وحضاري فحسب، وإنما تقاس أيضا بمدى محافظتها على تراثها العمراني والثقافي، ويستدعي منا هذا التفكير جدية في ثروتنا التراثية والبيئية والعمل على تأسيس وعي جديد بهما، وإيجاد أفضل الوسائل والطرق التي تساهم في الحفاظ عليهما مع انشاء مشروعات حقيقية تساهم في الحفاظ على سلامة حال ما تبقى من مكونات هذه البيئة المناخية والتراثية والعمرانية الثقافية، وتوظيف التراث بشكل تكاملي في شتى جوانبه الطبيعية والثقافية والعمرانية كمورد اقتصادي ضمن خطط التنمية المستدامة وتكامل دور التراث العمراني والتنمية الوذنية الشاملة بشكل عام والتنمية السياحية بشكل خاص

الأهمية التاريخية لمناطق التراث العمراني الصحراوي تستوجب وضع خطة عمل تهدف إلى تحقيق تنمية سياحية متكاملة ومستدامة بيئيًا، تحافظ على المناطق التراثية وتراعي الظروف الاجتماعية للسكان ومتطلبات المجتمعات وذلك بهدف الاستفادة والمحافظة على هذا المورد الهام.

الاستدامة في التنمية السياحية تحفز الاستثمار الأمثل للمقومات والموارد الطبيعية والعمرانية والبيئية والثقافية، وتحافظ على الهوية العمرانية والثقافية للواجهة السياحية .وبشكل عام فإن التنمية السياحية الصحراوية المستدامة ينبغي أن تأخذ في الاعتبار عدة أبعاد لتحقيق التوازن بين الجوانب المعنوية والمادية لمناطق التراث، وهذه الأبعاد تشمل الجانب الروحي، الثقافي، الاقتصادي، الاجتماعي، الترويحي.

بالرغم من تنوع الموروث الثقافي والعمراني في الصحراء الجزائرية والناتج عن وجود ثقافات معمارية مختلفة عبر تاريخها الطويل والنابعة من البيئة الطبيعية الموجودة بها، إلا إنه لا يتم توظيف هذا التنوع سياحيا بصورة تحقق الاستدامة، مما يهدر من فرص التنمية الاقتصادية وزيادة الدخل القومي.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

أيمن عزمي جبران سعادة، آليات تفعيل المشاركة الشعبية في مشاريع الحفاظ المعماري والعمراني - حالة دراسية الضفة الغربية"، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2009.

إيهاب فاروق الرشد، التنمية السياحية للمناطق الصحراوية مدخل للتوافق والاستدامة،المؤتمر الأول حول العمارة والعمران في اطار التنمية المستدامة كلية الهندسة جامعة القاهرة، مصر ،2004.

دنيا نصير طارق، شذى فالح حسين، الاستثمار المستدام في مباني التراث العمراني دراسة تحليلية لنماذج عربية مجلة العدد 23، رقم 2 فيفري 2007

الديوان الوطني للسياحة، الحمامات المعدنية منتوج خاص ، مجلة الجزائر سياحة . العدد 33 ، مطبعة الديوان، الجزائر،بدون سنة نشر.

رهام كامل الخضراي،الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني،رسالة ماجيستير منشورة ،فرع التخطيط العمراني،جامعة عين شمس،مصر،2012..

سامية لحول،راوية حناشي،تنمية السياحة في الجزائر واستدامتها ضمن برنامج الاستثمارات العامة 2014/2010، المؤتمر الدولي حول تقييم آثار برامج الاستثمارات العامة وانعكاساتها على التشغيل و الاستثمار و النمو الاقتصادي خلال الفترة 2001-2014.

سليمة لفضل وآخرون، السياحة المستدامة المساهمة في النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في المغرب العربي دراسة مقارنة (الجزائر، تونس والمغرب)، مجلة التنمية والاقتصاد التطبيقي، المسيلة، المجلد 03، العدد 02، لسنة 2019، ص51

كمال الحلبي،محمد الوتار،التنمية المستدامة مدخل للحفاظ على البيئة العمرانية، مؤتمر المبادرات والإبداع التنموي في المدينة العربية،الأردن،2008.

مال معتوق،التراث وكيفية الاستعانة به من أجل بناء سوسيولوجية مغاربية، مجلة العلوم الاجتماعية ، الأغواط، العدد الأول..

محمد سيد سلطان، قضايا تمويل التراث العمراني: الإطار الإستراتيجي لتعزيز حفظ وحماية التراث، ملتقى التراث العمراني الوطني الثالث – المدينة المنورة 1435هـ / 2013م.

مصطفى طلبة، الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، الدار العربية للعلوم، العدد 222،

نور الدين هرمز، التخطيط السياحي والتنمية السياحية، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية.(والقانونية المجلد 28 العدد 3،ص24-26.

الهيئة العامة للسياحة و الآثار،برامج استطلاع التجارب السياحية العالمية المميزة، الرحلة الخامسة الجمهورية التونسية،السعودية ، 2009..

المراجع الأجنبية:

Afnor, Guide pratique du développement durable un savoir-faire à l'usage de tous, France, 2005.

Ait Saadi H , Et Autre , Le Ksar De Tiout (Algérie) : La Maitrise De La Gestion De L'eau Et De La Protection De L'environnement, Larhyss Journal, n24 Décembre 2015

Ammar Boumezbeur, Les Oasis de Moghrar et Tiout, Wilaya de Nâama, Fiche descriptive sur les zones humides Ramsar,

Corinne Gendron, vous avez dit développement durable?, presses international polytechnique, canada, 2007,

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPMENT RURAL ,DIRECTION GENERALE DES FORETS, main2003

مو اقع الأنترنت:

أحمد عقون،**واحة تيوت**، http://tioutoqsis.blogspot.com

خباب عبد الصمد، **القصور الصحراوية من زناتة إلى أولاد سلطان**، https://www.alaraby.co.uk/culture/2017/3/7

صلاح الرشيدي، **قرية جعفر سياحة بلا رتوش**،http://abrokenheart.maktoobblog.com

مدونة الأستاذ أحمد عقون وبإذن منه. الموقع: http://tioutwaha2.blogspot.com

http://ar.webmanagercenter.com

http://www.adrereamellal.net

http://www.marefa.org

http://www.tunisia-sat.com/vb/showthread.php?t=552243

https://ar.m.wikipedia.org

https://raseef22.com/article/224

https://www.djazairess.com/

أهمية توظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس مواد الاجتماعيات

The importance of the use of modern means of communication and technology in teaching social subjects

ذ. حاميد اعنيبر

أستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء – سطات فرع الجديدة المغرب

anaibarhamid@gmail.com

الملخص:نسعى من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على موضوع برز إلى الوجود ألا وهو توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات، من خلال تشخيص الواقع التعليمي بالمدرسة العمومية ومدى مطابقته للتوجهات العامة، حيث تعتبر مواد الاجتماعيات من المواد الأساسية التي تحتاج إلى توظيف هذا النوع من التكنولوجيا نظرا لطبيعة مواد الاجتماعيات وكذا للحاجة إلى تطوير أداء كل من المدرس والمتعلم ليكونوا فاعلين في المنظومة التربوية، وكذلك لإنتاج معينات ديداكتيكية بإمكانها خدمة الأهداف المتوخاة من تدريس مواد الاجتماعيات.

إن مقاربة إشكالية أهمية توظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس مواد الاجتماعيات أمرا ضروري مع التطورات الراهنة التي يعرفها الحقل التربوي لما لها من دور ترسيخ التعلم الذاتي وإكساب القدرات المعلوماتية، إلا أن الممارسة الصفية لهذه التكنولوجيا لازالت ضعيفة نظرا لعدة إكراهات مرتبطة بغياب التكوين المدرسين في هذا المجال ولقلة التجهيزات المعلوماتية بالمؤسسات التعليمية.

-الكلمات المفتاح: تكنولوجيا الإعلام والاتصال – العملية التعليمية التعلمية – الموارد الرقمية - الممارسة الصفية

Abstract Through this study, we seek to highlight the emerging theme of the use of ICT in teaching social subjects, by diagnosing the educational reality of the public school and its conformity with general trends. Social subjects are essential subjects that need to be employed because of the nature of social materials, as well as the need to develop the performance of both teachers and learners in order to be effective in the educational system, as well as to produce didactic AIDS.

The problematic approach to the importance of the use of modern means of communication and technology in the teaching of social materials is essential, given the current developments in the field of education, which have a role to play in promoting self-learning and the acquisition of information capabilities.

Key words: Information and communication technology - learning process - digital resources- Class Practice

تقديم:

شكلت تكنولوجيا المعلوميات والاتصال نقلة مجتمعية مهمة اكتسحت كل مناحي الحياة ووسمت مجتمعاتنا بتغيرات سريعة. وبات من غير المجدي الاستمرار في تربية لا تواكب مستجدات العصر كما أصبح لزاما على مدرسة اليوم تطوير أساليبها ومناهجها، حيث لا يمكن أن يكون عالم المتعلم خارج أسوار المؤسسة التعليمية عالم مفتوح تكتسحه التكنولوجيا بكل إمكانياتها القوية لقوة الصورة والصوت والحركة بأبعادها الثلاث، في حين يخيم عليها الجمود والتقليد حيث لا وجود للإثارة أو التشويق داخل فصول الدراسة بالاعتماد على الكتاب المدرسي والوثائق التربوية، هذا الوضع يخلق لدى المتعلم نوعا من التناقض.

لقد فرضت تكنولوجيا المعلوميات والاتصال على كافة الدول بما فيها المغرب ضرورة إعادة النظر في مناهجها التعليمية وتصورات منظومتنا التربوية ارتباطا بالإصلاحات التي تطرحها الرؤية الإستراتيجية 2015-2030 من خلال تأكيد على ضرورة استعمال تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في التدريس لاسيما **المشروع 12** واستنادا إلى ما جاءت به الرؤية. ودعا الميثاق الوطني للتربية والتكوين من خلال " **الدعامة 10**" إلى ضرورة إدماج تكنولوجيا في التدريس وهو ما تبلور من خلال إطلاق برنامج « **Génie** » من خلال إنشاء مديرية جيني ومختبر الموارد الرقمية .

المحور الأول: الإطار النظري لتوظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس مواد الاجتماعيات

1-الطرح الإشكالي

عمدت الوزارة الوصية على قطاع التعليم في إطار الرقي وتحسين جودته إلى تبني مجموعة من البرامج لعل أهمها برنامج جيني ومع تبني مشروع إصلاح قطاع التربية والتكوين من خلال الرؤية الإستراتيجية أصبح لزاما إدماج توظيف تكنولوجيا الاتصال في ميدان التدريس. وتماشيا مع مقتضيات المذكرة الوزارية رقم 66 بتاريخ 28 أبريل 2011 تم إعداد دليل بيداغوجي خاص بإدماج تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات، وحث أطر التدريس على الاستجابة للتوجهات العامة في الحقل التربوي.

من خلال ما سبق ارتأينا طرح الإشكالية التالية: إلى أي حد يمكن توظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس مواد الاجتماعيات بهدف تجويد الفعل التعليمي التعلمي؟

2-أهمية الدراسة

تكمن أهمية توظيف تكنولوجيا الاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات في عدة مستويات لعل أهمها دور النتائج المتوصل إليها في مد أساتذة المادة بتصور حول واقع التدريس الرقمي، وتبيان أهمية الاستعانة بتكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تجويد التحصيل الدراسي للمتعلم، من خلال تقوية القدرة على التفكير، فضلا عن خلق فرشة معرفية متنوعة تجمع بين الوسائل التعليمية الأساسية (كتاب مدرسي-دعامات ديداكتيكية) وأخرى رقمية معينة للأستاذ والمتعلم على حد سواء.

وكما يمكن لهذه الدراسة أن تسهم في تزويد الفاعلين التربويين بالاقتراحات التي من شأنها أن تزيد من فعالية توظيف هذه التقنية في ميدان التدريس والبحث عن السبل الأنجع لتطوير المنظومة.

3- منهجية البحث

تقتضي منهجية البحث ضرورة الجمع بين المعطيات الكمية والنوعية وبين العمل النظري والميداني.

أ-العمل النظري:

بالانطلاق من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع من زوايا متعددة بغية تحديد المدى الذي وصل إليه الباحثون للانكباب وتسليط الضوء على الجوانب التي تم إغفالها، بالاعتماد على ما توفر من وثائق رسمية وكتابات سابقة.

ب-العمل الميداني:

لخدمة الإشكالية المطروحة ارتأينا اعتماد الدراسة الميدانية الموجهة للمتعلم والمدرس من خلال ملئ العديد من الاستمارات للوقوف على مدى حضور توظيف التكنولوجيا الحديثة في التدريس بأخذ عينة من المؤسسات التعليمية بالتعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي بالجديدة بغية الوقوف على الظاهرة المدروسة.

4-الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع:

بات الرجوع إلى الدراسات والكتابات التي تناولت موضوع توظيف وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في تدريس أمر ضروري لتحديد مدى مقاربتها لهذه الإشكالية ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر نجد:

دراسة د/ **مهدي سعيد محمود حسنين** تناول " توظيف تكنولوجيا التعليم في برامج التعلم عن بعد في كلية التربية"، والذي أكد من خلال طرحه أن هناك غياب لتوظيف تكنولوجيا المعلوميات في التدريس بالوسط السوداني مما جعله يذهب نحو إعطاء العديد من التوصيات الكفيلة بجعل المنظومة التربوية تستفيد من الطفرة التكنولوجية.

دراسة **سالم بن مسلم الكندي** الذي عمل بدوره على القيام بعملية مسح لا يضاهي واقع توظيف التقنيات في خدمة التعليم العام بمدارس سلطنة عمان، وهو ما أوصله إلى نتائج سلبية فيما يخص توظيف التقنيات الحديثة في التعليم مع غياب التكوين والدورات التدريبية لأطر التدريس.

دراسة **مشاط نورالدين** تناول موضوع " المدرسة المغربية وتكنولوجيا المعلوميات والاتصال" حيث عمل على تبيان الخلل الذي تعيشه المدرسة المغربية في ظل انعدام تكنولوجيا المعلوميات والاتصال كأداة تحاول المزج بين الحداثة وخدمة الأهداف التعليمية خاصة المنهجية منها والمهارية.

ساهمت هذه الدراسات في تسليط الضوء على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تطوير العملية التعليمية التعلمية بوجهات نظر مختلفة تهدف إلى مقاربة الظاهرة من زوايا مختلفة.

5- و اقع توظيف تكنولوجيا المعلوميات والاتصال بالمدرسة المغربية

رغم تبني الدولة للعديد من البرامج لتأهيل المنظومة التربوية إلا أن هذه الأخيرة لا زالت تتخبط في طرائق وأساليب تقليدية، نظرا لعدة اعتبارات منها ما هو مرتبط بضرورة وضع بنية تحتية تواكب تطورات المنظومة، وأخرى بتكوين وتأهيل المدرسين وإنتاج برامج رقمية تواكب المستجدات. وبالتالي فالتساؤل الذي يطرح ذاته هو ما هي البرامج وأهداف التكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تطوير التدريس؟ وما الآثار المترتبة عنها؟

5-1 برنامج جيني:

برنامج جيني هو كلمة مختصرة تعني " تعميم تكنولوجيا المعلوميات والاتصالات في المجال التربوي" جاء هذا البرنامج في ظل حركة مجتمعية تهدف النهوض بالواقع التعليمي. إذ جاء كمشروع ضخم مستمد مما سطره الميثاق الوطني للتربية والتكوين في دعامته 10، وتتمثل أهداف برنامج جيني كما سطرتها إستراتيجية 2006 فيما يلي:

المشاركة الفعالة للمدرسين في إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم.

المساهمة في الرفع من جودة التعليم والتعلم من خلال الاستثمار البيداغوجي لتكنولوجيا المعلوميات والاتصالات.

تخصيص أدوات متعددة الوسائط من طرف المدرسين بغية الاستخدام الأمثل داخل الفصل الدراسي.

رغم أهمية برنامج جيني في وضع أسس اعتماد تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في التدريس إلا أنها لم تعط الشيء الكثير للمنظومة نظرا لعدة اعتبارات مرتبطة بالأساس بالتكوين واللوجستيك[70].

اعتماد الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات.

تفعيلا لتوصية الميثاق الوطني للتربية والتكوين واستجابة للرؤية الاستراتيجية للإصلاح (2015-2030) التي تدعو إلى تطوير تكنولوجيا المعلوميات والاتصالات في التدريس للنهوض بجودة التعلمات. تم إعداد دليل بيداغوجي لإدماج هذه التكنولوجيا في تدريس مواد الاجتماعيات بالسلكين الثانوي الإعدادي والتأهيلي أسوة بباقي المواد الدراسية، ليكون وثيقة وظيفية لأطر التأطير التربوي ولأساتذة الاجتماعيات، بهدف تطوير كفاياتهم المهنية سواء على المستوى التخطيط للوحدات الدراسية أو على مستوى التدبير وأجرأة الممارسة الصفية.

وحتى على مستوى التقويم.

5-3 -**بعض الأمثلة لإدماج تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات**

المحاكات: تشمل أشكال متحركة تقرب المتعلم من العالم الواقعي مثال زحزحة القارات
الرسوم البيانية: ترتكز على توظيف بعض الموارد الرقمية على الرسوم البيانية والإحصائية مثال تطور الصادرات الفلاحية.
التجربة الافتراضية: من خلال القيام بتجارب افتراضية بالحاسوب للتوصل إلى نتائج يمكن معالجتها بشكل أني مثال نتائج التغيرات المناخية على كوكب الأرض.
البرائم الافتراضية: بالاعتماد على الصور الجوية وصور الأقمار الاصطناعية لرصد الظواهر مثال دراسة المجالات الفلاحية وتوسعها.

[70] - **الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم** ، وزارة التربية الوطنية المملكة المغربية مديرية جيني المختبر الوطني للموارد الرقمية 2017الرباط.

تقنيات العرض والتقديم: تعتمد على تقديم عروض بطريقة تفاعلية بالاعتماد على برائم العرض الذي يدمج الصور مثال عرض تفاعلي للحرب العالمية الثانية.
البودكاست: يشير إلى برامج صوتية مسجلة أو فيديوهات يمكن متابعتها مباشرة على الانترنيت مثال فيديو لظاهرة الاحتباس الحراري.
التمارين التفاعلية: تقدم فرصا للتقويم التكويني والذاتي، كما يستطيع المدرس أن يعتمدها كوسائل الدعم مثال تمرين تفاعلي عن بعد لدعم تعلمات.
المتحركات: تسمح باستخدام برامج فلاش بالجمع بين الصورة والكتابة مثال متحرك خط زمني لمراحل المقاومة المغربية من الحماية إلى الاستقلال.

المصدر: **الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في تدريس الاجتماعيات**

السيناريو البيداغوجي لبطاقة تقنية لإدماج الموارد الرقمية

تقدم هذه البطاقة تصور لسناريو بيداغوجي لإدماج الموارد الرقمية في تدريس مادة الجغرافي

-**المادة**: الجغرافيا
-**المستوى**: السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي
-**عنوان الدرس**: المغرب: التدرب على رسم المبيانات المناخية وقراءتها
-**ترتيبه**: السادس في المقرر
-**الغلاف الزمني**: حصتان
-**أهداف التعلم** :

التدرب على رسم المبيانات المناخية باعتماد موارد رقمية ووثائق من الكتاب المدرسي
اكتساب منهجية قراءة المبيان المناخي باعتماد موارد رقمية ووثائق من الكتاب المدرسي.

بطاقة خاصة بالمقطع الأول (الهدف الأول) من الدرس بإدماج الموارد الرقمية خلال حصة واحدة

مجالات إدماج الموارد الرقمية: مهارية منهجية

المتعلم: فاعل رئيس ومنتج للمعرفة

طريقة العمل: عمل جماعي + العمل في مجموعات + إنجازات فردية

دور الأستاذ: موجه ومنشط ومصاحب

الموارد الرقمية المعتمدة: خط زمني تفاعلي بتقنية الفلاش

العدة المعلوماتية: قاعة مجهزة بالحواسب (لوحات الكترونية)[71].

6- القيمة المضافة لاستخدام تكنولوجيا المعلوميات والاتصال.

من الأكيد أن اعتماد تكنولوجيا المعلوميات في العملية التعليمية التعلمية من شأنه إضافة إيجابية سواء للمدرسين أو المتعلمين بهدف إنجاح التعلمات وإضفاء متعة لدى المتعلم من خلال تيسير إدراك المعارف المختلفة وجعل العملية التعليمية التعلمية أكثر إثارة وتشويقا عبر توظيف الصوت والصورة والحركة مما يجعل المتعلم ينخرط بشكل إيجابي، ويتفاعل مع كل أنشطة الدرس بعيدا على الرتابة التي تخلقها طريقة الإلقاء التقليدية التي تعتمد على التلقين العمودي من الأستاذ إلى المتعلم، لكن رغم أهمية التكنولوجية في تطوير العملية التعليمية التعلمية يبقى دور الأستاذ في كيفية توظيفها عبر مراحل الدرس أمر أساسي لتحقيق الأهداف النشودة.

المحور الثاني: تشخيص و اقع استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في مواد الاجتماعيات

بعد الإحاطة بالجوانب النظرية، سنحاول التطرق إلى المعطيات الميدانية التي حصرناها في مؤسستي تعليميتين تنتميان إلى المديرية الإقليمية للجديدة وهي **الثانوي الإعدادية سيدي محمد بن عبد الله والثانوية التأهيلية ابن خلدون التأهيلية** لتشخيص واقع استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في مواد الاجتماعيات من طرف أساتذة المادة بهده المؤسسات التعليمية لتعميم نتائجها على باقي المؤسسات بالإقليم، لدى ارتأينا في البداية الانطلاق من جرد الوسائط التكنولوجية الموجودة بالمؤسسات التعليمية المعنية بالاستمارة والجدول الموالي يوضح أهم الوسائط بالمؤسسات التعليمية.

[71] الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلوميات والاتصال في التعليم، مديرية جيني مختبر الموارد الرقمية – يوليوز 2012 الرباط.

الجدول 1: الوسائط التكنولوجية الموجودة بالمؤسسات التعليمية

أنواع الوسائط	عددها	النسبة المئوية
الحاسوب	4	19%
المسلاط الضوئي	14	66%
العاكس الضوئي	2	10%
التلفاز	1	5%
أخرى	0	0%
المجموع	21	100%

المصدر: عمل ميداني2019

نتائج تفريغ الاستمارة الخاصة بالمتعلم:

الجدول2: رأي المتعلمين في اعتماد تكنولوجيا الإعلام في التدريس

		نعم	لا
1	الرغبة في حضور درس استعملت فيه تكنولوجيا الإعلام والاتصال	%71	%29
2	الإعجاب باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الدروس	%87	%13
3	تكنولوجيا الإعلام والاتصال تسهل عملية تعلم التلميذ	%86	%14
4	الرغبة في استمرار اعتماد تكنولوجيا الإعلام والاتصال	94%	%6

المصدر: بحث ميداني 2019

1- أبدى (71%) من التلاميذ رغبتهم في حضور دروس استعملت فيها التقنيات الحديثة، بينما لم يبالي (29%) فقط من مجموع التلاميذ المستجوبين، ويفسر ذلك بحافزية التلاميذ للتعرف على تكنولوجيا الإعلام والاتصال في التدريس ورغبتهم في اكتشاف العالم الرقمي وتفاعلاته.

2- عبر أغلب التلاميذ (87%) عن إعجابهم الكبير باستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في دروس مادة الاجتماعيات، وأرجعوا ذلك لكون هذه التكنولوجيا تثير انتباههم وتسهل عملية فهمهم للدروس، بينما عبرت نسبة (13%) عن عدم رضاهم لاعتماد هذه التكنولوجيا في التدريس وبرروا ذلك بأنه لا يمكن لها تعويض دور الأستاذ.

3- تساهم تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تسهيل عملية تعلم التلاميذ وهذا ما عبر عنه أغلب التلاميذ حوالي (86%)، بينما لم يعبر عن العكس سوى (14%)، مما يدل على أهمية هذه التقنية لدى التلاميذ في تسهيل عملية تعلمهم واستيعابهم للدروس.

4- أكد معظم التلاميذ (94%) عن رغبتهم الكبيرة في اعتماد تكنولوجيا الإعلام والاتصال في دروس مواد الاجتماعيات، نظرا لإعجابهم بها ومدى مساهمتها في تسهيل عملية تعلمهم، بينما عبر فقط (6%) عن عدم رغبتهم في استمرار استعمال هذه التقنية.

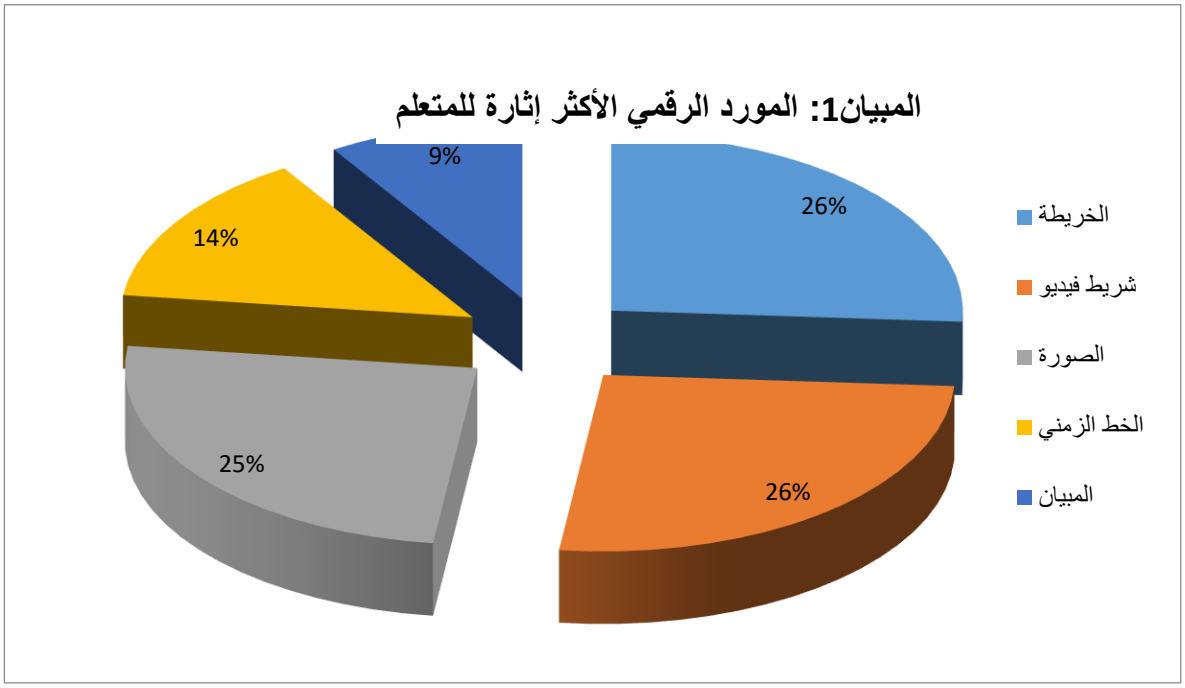

المصدر: بحث ميداني2019

يتضح جليا من خلال المبيان أعلاه، أن شريط الفيديو والخريطة يحظيان بأكبر نسبة من الاهتمام من لدن التلاميذ بنسبة تصل إلى 26% لكل منهما مقارنة مع باقي الموارد الرقمية على مستوى الإثارة والتحفيز، نظرا لأهميتها في ربط التلميذ بالواقع مما يفسر أهمية الوسائل السمعية البصرية في تسهيل العملية التعليمية للمتعلم، ثم تأتي باقي الموارد الرقمية الأخرى خاصة الصورة بنسبة (25%).

بعد التعرف على المورد الرقمي الأكثر إثارة لتعلم التلميذ، سننتقل إلى معرفة المكون الذي يفضل فيه كل من الأستاذ والتلميذ توظيف هذه الموارد الرقمية:

المبيان2:المكون الذي يفضل فيه كل من الأستاذ والتلميذ استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال

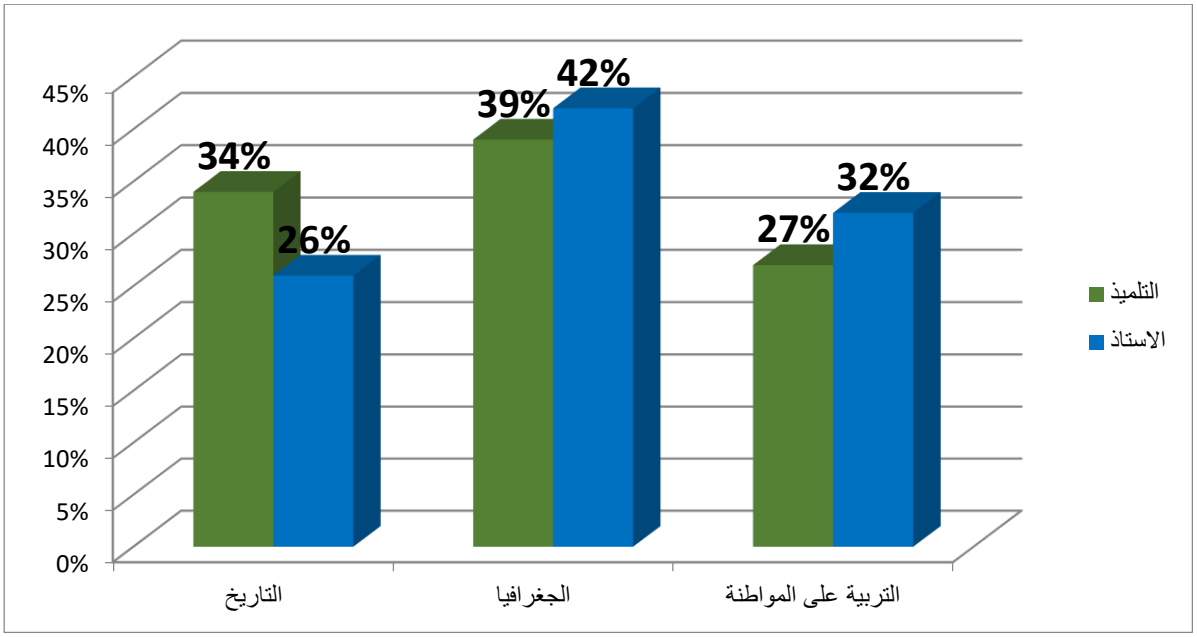

المصدر: بحث ميداني 2019

انطلاقا من المبيان أعلاه يتبين أن نسبة 42% من الأساتذة ونسبة 39% من التلاميذ يفضلون استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في مكون الجغرافيا، مقارنة بالمكونين الآخرين نظرا لما تكتسيه من أهمية كبرى في تحيين المعطيات الجغرافية خاصة الإحصائية منها وكذا دينامية الظواهر التي تعالجها. وهو ما يتفق مع ملاحظات جل الأساتذة المستجوبين.

2- نتائج تفريغ الاستمارة الخاصة بالمدرس:

الجدول3: أهمية تكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريس مادة الاجتماعيات بالنسبة للمدرس

		نعم	لا
1	يعتبر استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال ضرورة ملحة	%89	%11
2	يتم دمج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في العملية التعليمية من طرف المدرس	67%	33%
3	استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال ييسر تحقيق الأهداف التعلمية خلال الحصة	56%	44%
4	توفر شروط استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في القاعة	89%	11%
5	اعتماد الوسائل الشخصية للمدرس في استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال	56%	44%
6	صعوبة في استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال من طرف المدرس	67%	33%
7	استفادة الأساتذة من التكوين في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال	11%	89%

المصدر: بحث ميداني2019

يتضح من خلال معطيات الجدول أعلاه أن نسبة 89% من الأساتذة يعتبرون أن استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الدروس يعد ضرورة ملحة، إذ يمكن إدماجها في كل مراحل العملية التعليمية نظرا لتيسيرها تحقيق أهداف التعلم خلال الحصص الدراسية إذا توفرت شروط استعمال هذه التكنولوجية بالقاعات الدراسية، في المقابل تغيب الوسائل الضرورية لاستعمال هذه التقنية داخل المؤسسة وهو ما يفسر بشكل كبير اعتماد جل الأساتذة على وسائلهم الشخصية بنسبة% 56، وهو ما يتناقض أيضا مع تصريحات مديري المؤسستين التعليميتين في شأن تزويدها بالتجهيزات الضرورية، مع تسجيل استفادة 11% فقط منهم من التكوين في هذا المجال.

المبيان 3 : المجالات التي تستخدم فيها تكنولوجيا المعلوميات في تدريس مواد الاجتماعيات

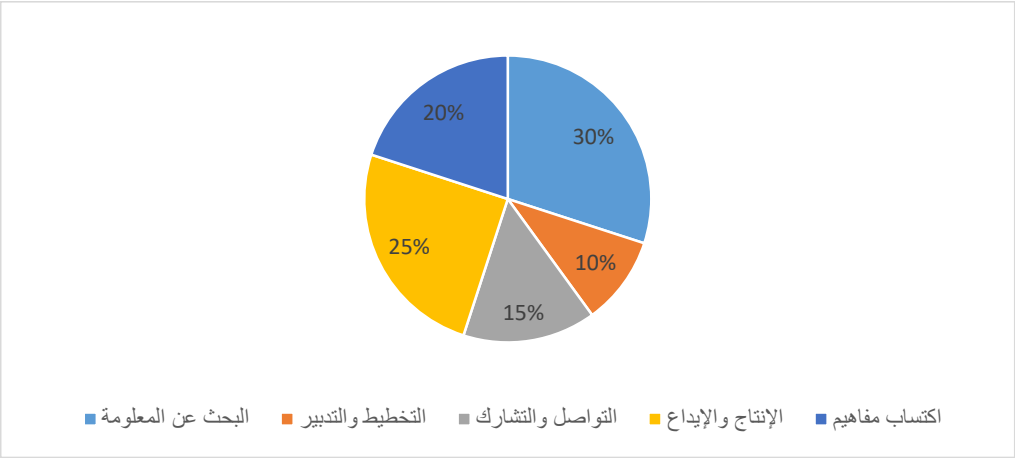

المصدر : عمل شخصي2019

يعد البحث عن المعلومة من أهم المجالات التي تستهوي التلاميذ لاعتماد تكنولوجيا المعلوميات في مادة الاجتماعيات بنسبة تصل إلى 30% يليها الإنتاج والإبداع بنسبة 25% ثم مجال اكتساب المفاهيم ويرجع ذلك بالأساس إلى سهولة الوصول للمعلومة من جهة نظرا لتقدم التكنولوجي والرغبة في اكتشاف المعارف.

المبيان4: اهتمام المدرسين بتكنولوجيا الإعلام والاتصال

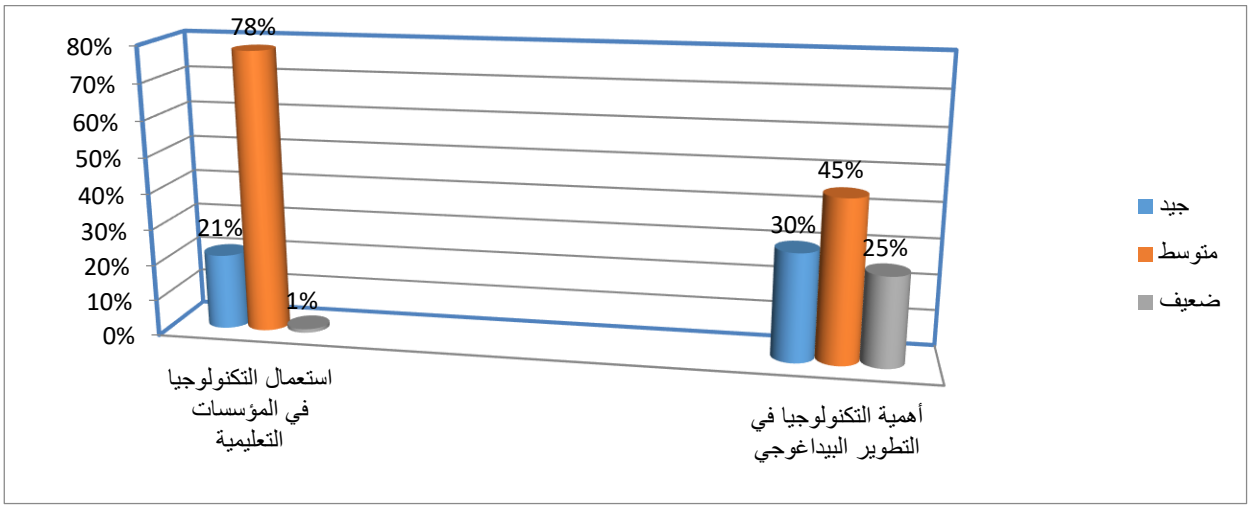

المصدر: بحث ميداني2019

من خلال ملاحظة معطيات المبيان أعلاه، يتضح أن (78%) من الأساتذة يقرون أن حضور استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المؤسسة يبقى متوسط، في ما اعتبر (21%) منهم أن حضور هذه التكنولوجيا بالمؤسسات جيد، بينما اعتبرت 1% أنه ضعيف.

أما على مستوى تجديد وتطوير ممارسة واستعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال فإن (30%) من العينة المستجوبة أشارت إلى أن هذا المستوى جيد، كما عبر الأساتذة في نفس الوقت على القيمة المضافة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال في تدريس مواد الاجتماعيات، إلى جانب اقتراحهم لمجموعة من الحلول للرقي باستعمال هذه التكنولوجيا أثناء الممارسة الفصلية.

بينما وصلت النسبة التي اقرت بمساهمة هذه التكنولوجيا في تنويع الأدوار البيداغوجية بشكل متوسط إلى(45%) وهو ما يعكس وعي هؤلاء الأساتذة بمدى أهميتها، بينما أكد (25%) أن استعمال التكنولوجيا لا يساهم في تطوير الممارسة الصفية بصفة عامة.

خاتمة:

من الأكيد أن توظيف تكنولوجيا المعلومات والتواصل أضحى ضروري في الحقل التربوي، وذلك لما أصبحت توفره هذه الوسيلة للمجتمعات من آليات للتنمية والتقدم، فهي أحد أهم المؤشرات التي تعتمد لقياس مدى تقدم الدول أو تأخرها، من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها الوقوف عند واقع إدماج الموارد الرقمية في الوضعيات التعليمية التعلمية بمواد الاجتماعيات، فرغم أهميتها فإن النقص الحاصل في التجهيزات المتوفرة لدى المؤسسة وضعف التكوين في هذا المجال يحول دون تحقيق الأهداف المنشودة. فالأسباب التي تدفع بالأساتذة إلى إدماج الموارد الرقمية تعود إلى رغبتهم في تعويض أو تعزيز الدعامات التقليدية التي لا تحقق دائما الأهداف التعلمية، إلا أن إدماجهم للموارد الرقمية تعترضه مجموعة من المشاكل والصعوبات (خروج المورد الرقمي عن الأهداف المسطرة له) والتي ترجع إلى سوء التخطيط والتدبير لهذا المورد، فحسب الدليل البيداغوجي فإن التخطيط لإدماج الموارد الرقمية يستدعي إعداد سيناريو بيداغوجي، والذي يجد الأساتذة صعوبة في تدبيره .

نظرا لأهمية هذه الموارد في تأهيل المنظومة وكذا القيمة المضافة للموارد الرقمية خاصة بمواد الاجتماعيات ارتأينا تقديم بعض **التوصيات:**

- تعويد المتعلمين على الموارد الرقمية، وبالتالي تسهيل العملية التعليمية التعلمية وتطوير المستوى المعرفي والمهاري لدى المتعلمين من خلال إشراكهم في تدبير الأنشطة (العروض).

- تنويع وتعزيز الدعامات الواردة بالكتاب المدرسي.

- تحفيز المتعلمين وإثارة انتباههم.

- تحيين المعلومات خاصة ونحن نعيش في عالم سريع التغير وكثير التقلبات.

- ترسيخ المعلومات الواردة بالموارد الرقمية.

- تدريب المتعلمين على استعمال الأجهزة التكنولوجية واكسابهم منهجية البحث والتعلم الذاتي.

- سهولة الاستيعاب خاصة مع هذا الجيل المهووس بكل ما هو حديث وعصري.

- الخروج من روتين الكتاب المدرسي.

- المشاركة الفعالة للمتعلمين الناتج عن الاستيعاب السهل للدرس، وبالتالي سرعة تحقيق الأهداف (اختصار الوقت).

- تقريب المتعلمين من الواقع.

وفي الأخير نخلص، وبغية إدماج الموارد الرقمية بشكل جيد خلال تدبير وضعيات تعليمية تعلمية في الاجتماعيات نطرح بعض الاقتراحات التي من شأنها أن تساعد في ذلك:

- أجرأة برنامج جيني خاصة فيما يتعلق بتوفير التجهيزات التكنولوجية الكافية (عدة رقمية لكل أستاذ) وتوفير قاعات متعددة الوسائط خاصة لمادة الاجتماعيات.

- التكوين المستمر للأساتذة في مجال استعمال تكنولوجيا الإعلام وإدماج الموارد الرقمية.

- إعداد خزانة رقمية (بنك معلومات) داخل المؤسسة لتسهيل عمل الأساتذة في اختيار الموارد الرقمية المناسبة.

- ضرورة التخطيط المسبق لإدماج الموارد الرقمية خاصة لتدبير زمن الحصة.

- إحداث مواد تعليمية ذات صلة بتكنولوجيا المعلومات والتواصل.

فهرس المراجع

- **الدليل البيداغوجي لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم** 2017، وزارة التربية الوطنية المملكة المغربية مديرية جيني المختبر الوطني للموارد الرقمية الرباط.

- بشير عبد الرحيم الكلوب 1988 " التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم" دار الشروف للنشر، عمان.

- د مهدي سعيد محمود حسنين 2011" توظيف تكنولوجيا التعليم في برامج التعليم عن بعد في كلية التربية" جامعة الخرطوم الطبعة 5 السودان.

- زلماط مريم، 2010"دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال في إدارة المعرفة داخل المؤسسة الجزائرية" بحث لنيل شهادة الماجستر، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة أبوبكر بلقايد الجزائر.

-مشاط نورالدين 2010 " أثر التكنولوجيا المعلوميات والاتصال على المتعلم والمعلم". مطبعة الجديدة، الدارالبيضاء.

- منصورأحمد حامد 1993 "الكتاب الدوري في التقنيات التربوية" إنتاجات المركز العربي للتقنيات التربوية، الكويت.

-بشيرعبد الرحيم الكلوب 1996" الوسائل التعليمية التعلمية: إعدادها وطرق استخدامها" الطبعة السادسة، عمان.

-سالم بن مسلم الكندي 2003" واقع استخدام التقنيات التعليمية الحديثة والصعوبات التي تواجهها بمدارس التعليم العام بسلطنة عمان" كلية التربية بنزوى الفرق الثانية قسم الدراسات الاجتماعية سلطنة عمان.

-عامركنبور2005 "توظيف المعلوميات في تدريس مواد وحدة الاجتماعيات" مصر.

-مرسي سيد عبد المجيد 1957 " الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي المهني" مكتبة الخانجي، مصر.

-مشاط نورالدين 2011 " المدرسة المغربية وتكنولوجيا المعلوميات والاتصال" مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

-منصورأحمد حامد 1995 "تكنولوجيا التعليم وتنمية القدرة على التفكير الابتكاري " دار الوفاء للطباعة، الطبعة الثانية، المنصورية، مصر.

التأخر التنموي والهجرة الخارجية بأرياف إقليم الدريوش (الريف الشرقي-المغرب)

Underdevelopment and Emigration in the Rif regions of Driouch Province (The Moroccan Eastern Rif)

محمد الزاهر: طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

عماد فنجيرو، أستاذ باحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

zahirromed@gmail.com

ملخص: تهدف هذه الدراسة الى تشخيص واقع الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية بأرياف إقليم الدريوش، من خلال ابراز مكامن الضعف في الخدمات العمومية والأنشطة الاقتصادية، سيما وان هذه المناطق عانت منذ القدم من الاقصاء والتهميش مما ساهم في بروز هجرة مبكرة نحو الجزائر في مرحلة اولى وفي اتجاه اوربا بعد الاستقلال.

لقد أسهم استمرار ضعف الدينامية الاجتماعية والاقتصادية غداة الاستقلال في استفحال ظاهرة الهجرة التي اتخذت أشكالا جديدة وشملت فئات عمرية مختلفة، مما أدى الى تراجع كبير في الساكنة القروية بمعظم أرياف إقليم الدريوش.

الكلمات المفاتيح: أرياف إقليم الدريوش _ الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية _ الهجرة

Abstract : This study aims to diagnose the reality of social and economic fragility in the Rif regions of Driouch Province by highlighting the weaknesses of public services and economic activities. These areas have long been suffering from exclusion and marginalization, which contributed to the emergence of early emigration towards Algeria initially and towards Europe after independence.

The enduring weakness of social and economic dynamics after independence contributed to increasing emigration. The latter took on new forms and involved different age groups resulting in a significant decline in the rural population In most of the Rif regions of Driouch Province.

Keywords : Rural driouch region _ Social and economic fragility _ migration

مقدمة:

شكلت البوادي المغربية منذ القدم مراكز حيوية في الحياة الاقتصادية، بيد ان هذا الوضع سيختلف مع بزوغ القرن العشرين وبداية مسلسل تراجع أهمية الأرياف المغربية لصالح المجالات الحضرية، وصاحب هذا التراجع عدة اختلالات على مستوى التنمية وتطوير الآفاق الاقتصادية في المجالات القروية.

ظل المجال الريفي المغربي يعتمد على الاقتصاد الفلاحي الموسوم بتردد الجفاف وصعوبات التسويق والتثمين، فضلا عن رهان الفلاح الريفي على الزراعة المعاشية، ومن ثم يبقى التوجه الزراعي توجها عطوبا لا يتجاوز الاستجابة للحاجيات العائلية دون أي مساهمة اقتصادية في الإنتاج والادخار والنمو، في المقابل انتعشت المدارات المسقية الحديثة التي تهكيلها المدن التي تحيط بها.

أفرز هذا الوضع مجالين ريفيين يسيران بوتيرتين مختلفتين، مجال قروي تقليدي عانى من التخلف والأمية وقلة التشغيل... ومجال فلاحي عصري فاستفاد من الاستثمارات الهيدروفلاحية وعلاقاته مع المدن القريبة.

وبالحديث عن الازدواجية، فبوادي إقليم الدريوش لا تخرج عن صنف الفلاحة التقليدية، الشيء الذي ساهم في ظهور هجرة مبكرة نحو الجزائر ونحو اوربا في مرحلة موالية.

إشكالية البحث

يتميز إقليم الدريوش بطابعه القروي، الذي يعكس ضعف مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي، فضلا عن ارتفاع نسب الامية والبطالة والهشاشة والفقر ... وتعرف بعض مناطق الإقليم عزلة بنيوية خصوصا البوادي الداخلية، كما يشكل بُعد المؤسسات التعليمية والصحية عائقا امام استفادة سكان البوادي من الخدمات الاجتماعية رغم هزالتها.

خلّف هذا الوضع المتأزم تنمويا واقتصاديا، هجرة مكثفة منذ القدم، لكن في الفترة الأخيرة، انتقل المجال القروي في الإقليم من الهجرة القروية الى الافراغ السكاني، وهذا الأخير جعل معظم الدواوير فارغة من سكانها لاسيما الشباب منهم، وهو ما أدى الى فقدان المجال لقوته السكانية.

عجّل الوضع التنموي الموسوم بالضعف والهشاشة بتدخل مختلف الجهات، وبالرغم من أهمية هذه التدخلات التنموية في تعبيد الطرق وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والماء الصالح للشرب...، الا انها لم تمنع سيرورة الهجرة بسبب ضعف التشغيل.

وعلى هذا الأساس يمكن طرح عدة تساؤلات إشكالية:

ما الوضعية التنموية العامة للبوادي المغربية؟

ما مظاهر الضعف التنموي ببوادي إقليم الدرويش؟

ما انعكاسات ذلك على الحركة الهجرية للسكان؟

اهداف البحث:

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على المجالات الريفية التي لم تستفد من حظها في التنمية طوال عقود من الزمن، وتشكل بوادي إقليم الدريوش حالة خاصة في "الضعف التنموي" علما انها تتوفر على موارد اقتصادية كفيلة بتحقيق التنمية ان تم استثمارها بالشكل المطلوب (موارد بحرية، مؤهلات سياحية، مؤهلات فلاحية، مجالات رعوية ...)، وعليه يمكن اجمال بعض أهدف هذه الدراسة في المحاور الاتية:

تشخيص وضعية البوادي المغربية؛

الوقوف على مكامن الخلل ومعالجتها بمقاربات مرتكزة على النتائج؛

التحسيس بأهمية تنمية المجالات الريفية في المغرب؛

تقديم الحلول الممكنة لمعالجة وضعية الضعف التنموي بهذه البوادي.

منهجية البحث

العمل البيبليوغرافي:

المتمثل في الحصول على مادة مرجعية تساعد على التحليل وتُعِينُ على عمليات التفسير من خلال بعض النظريات والمناهج المعتمدة في تحليل الظواهر ذات الطابع التنموي والمتعلقة بالهجرة.

العمل الميداني والذي يتمثل في الوسائل التالية:

الاستمارة: وتم اعتماد هذه الوسيلة للحصول على عينة من المجتمع الاحصائي الذي يضم مجال الدراسة بهدف الكشف عن معلومات لا يمكن الحصول عليها إلا في الاستمارة كأسباب الهجرة والبلد المستهدف من الهجرة...، حيث تمت تعبئة حوالي 500 استمارة تخص الأسر؛

اعتمدنا برمجية SPHINX لتفريغ ومعالجة وتحليل نتائج الاستمارة[72]، لما توفره هذه الأداة من سرعة في الأداء ودقة وعِلْمِيَّة في التحليل واستخلاص النتائج والإحصاءات المنبثقة من السكان بواسطة عينة الاستمارة؛

[72] Abdelkader Guitouni, 2012, guide pratique de préparation de thèses et mémoires, pp 21-22.

المعاينة الميدانية والمقابلات: كوني قاطن في المنطقة وأعرف بعض الخبايا المتعلقة بالهجرة، فالمعاينة تكشف لنا الطرق المعتمدة في تنظيم الهجرة والفئة المهاجرة والمبالغ المدفوعة مقابل حجز شخصي في قوارب الهجرة.

المعطيات الإدارية: مختلف الإدارات ذات الصلة بالموضوع من عمالة ومفوضية الشرطة لمنطقة أمن الناظور والدريوش، ويمكن توضيح المنهجية المتبعة في انجاز هذا البحث في الخطاطة التالية:

الشكل 1: منهجية العمل المتبعة في البحث

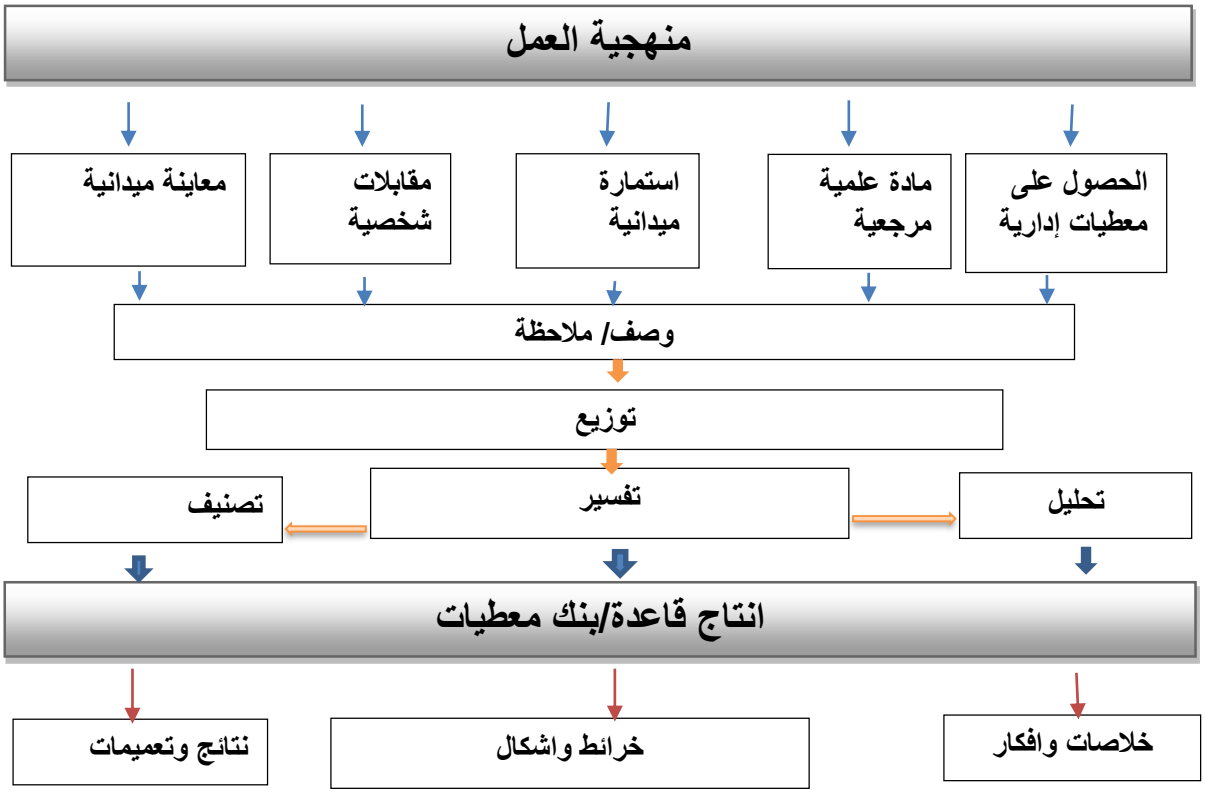

تحديد مجال الدراسة:

يعتبر الدافع الموضوعي هو الأساس في اختيار إقليم الدريوش اذ يعتبر من انشط المناطق الساحلية في تنظيم عمليات الهجرة السرية، فضلا عن معرفة سكانه بشؤون البحر وأكبر الأقاليم استقطابا لمرشحي الهجرة السرية من باقي المدن المغربية، اضافة الى الأفارقة من دول جنوب الصحراء.

ويقع إقليم الدريوش في جهة الشرق يتوسط إقليمي الناضور والحسيمة، ويعتبر اقليما قرويا بامتياز بحكم حداثة نشأته وغلبة الأنشطة الفلاحية على بنية الاقتصاد، كما يضم مجموعة من الجماعات الساحلية التي تستفيد من المؤهلات التي يوفرها الساحل.

الخريطة 1: توطين إقليم الدريوش ومجاله الساحلي

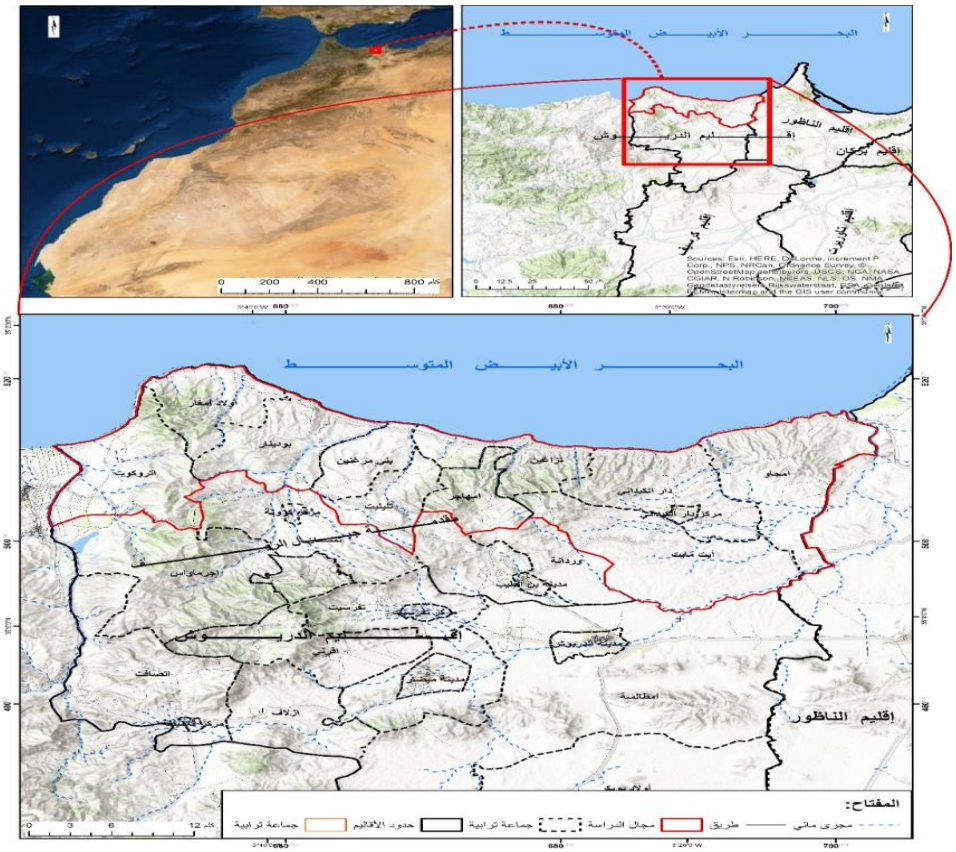

عمل شخصي، اعتمادا على معطيات المندوبية السامية للتخطيط

نتائج ومناقشة

الحالة التنموية بالأرياف المغربية

تعاني البوادي المغربية من عدة آفات ومشاكل، لم يستطع معها المتدخلون إيجاد الحلول المناسبة لها، وتبقى هذا المشاكل من صناعة التهميش والتدخل الأحادي الجانب، كون العالم القروي المغربي يسير بوتيرتين مختلفتين، وتيرة تنموية سريعة في المجال المسقي العصري ووتيرة بطيئة في المجال البوري المتخلف.

كرس هذا الوضع هجرة قروية نشيطة أسهمت في تراجع سكان الأرياف بشكل تدريجي، ووفق توقعات صندوق الأمم المتحدة للسكان، فإن الساكنة المغربية ستقدر سنة 2025 ب 39 مليون نسمة، سيكون نصيب القرويين منهم 14 مليون نسمة، بيد ان هذه الحركة السكانية لا تحيل الى حل مشاكل الأرياف بل مراكمة مشاكل المدن فيما يخص استقبال أفواج الهجرة الوافدة عليها يوميا.

الأرياف المغربية مصدرا للأمن الغذائي ومجالا للهشاشة الاجتماعية والاقتصادية

يضم العالم القروي ثروة هائلة من الموارد الطبيعية والبشرية، اذ يوفر حوالي 43% من ثروات البلاد المختلفة والمتنوعة، وحوالي 65% من حاجيات الحبوب، و96% من الحليب و98% من اللحوم الحمراء و100 %من حاجيات الدواجن و50% من حاجيات السكر و9% من حاجيات الزيت[73]. فضلا عن الكميات السمكية المصطادة في المجالات الريفية في إطار قرى الصيد.

إن الأمن الغذائي الذي يوفره الريف المغربي لا يوازيه مقابل تنموي حقيقي إذ ظلت البوادي المغربية تتسم بالركود البنيوي والعجز التنموي طيلة ست عقود منذ الاستقلال. حيث ظل المجال الريفي يعاني نقصا حادا في التجهيزات والبنيات التحتية، الامر الذي يؤدي الى انكماش(ضعف) الحركية الاقتصادية، كما تتميز المجالات القروية بارتفاع نسب الامية والبطالة والهشاشة فحوالي 79.4% من الفقراء و64% من الأشخاص في وضعية هشاشة يعيشون في العالم القروي[74]. وهي كلها عوامل تدفع الشباب الى الهجرة لتحسين الأوضاع السوسيواقتصادية.

التأخر التنموي في أرياف إقليم الدريـــــوش:

لقد عان المجال الريفي المغربي بصفة عامة، والمجال الريفي لإقليم الدريوش بشكل خاص، من العزلة والتهميش، فمعظم الجماعات القروية تفتقر الى أبسط المرافق والخدمات والتجهيزات الاجتماعية الضرورية. وتعتبر مرتعا خصبا لاستفحال معضلات الامية والبطالة والاقصاء، والانقطاع عن التمدرس، وضعف فرص الشغل، والأنشطة المدرة للدخل، زيادة على ذلك النقص الحاد في التجهيزات والبنيات التحتية. ومثلما لا يكفي القول بأن الوضعية غير مقبولة، فإن مجرد

[73] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017، تنمية العالم القروي: التحديات والافاق. إحالة ذاتية.

[74] المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2017، تنمية العالم القروي: التحديات والافاق. إحالة ذاتية.

الاقتصار على تشخيصها هو الآخر لا يسمن ولا يغني من جوع لأنه يظل غير ذي جدوى، ما لم يقترن بالعمل الجاد والملموس، الكفيل بمعالجتها وبتغييرها إلى الأحسن 75. كما يعتبر المجال المحلي بمثابة مختبر لفحص وتقييم مدى نجاعة وملائمة ما يطبّق من مناهج ومقاربات في صياغة وإنجاز البرامج التنموية التي تقوم بها مختلف الاطراف المنتمية لأرياف إقليم الدريوش :الدولة، الجماعات المحلية، الخواص، مؤسسات المجتمع المدني...

أمية متفشـــية وتمدرس هـــزيل:

تعتبر الامية مؤشر أساسي على التخلف الاجتماعي، فاذا كانت المجتمعات المتخلفة تعاني من معضلات الامية والانقطاع عن التمدرس، فان عدم بذل كل الجهود للقضاء عليها يشكل ازمة حقيقية للعمق الثقافي في المجال الريفي بالإقليم.

الجدول 1: معدل الامية ببعض جماعات إقليم الدريوش.(%)

الجماعات	1994			2004			2014		
	نسبة الأمية العامة	الذكور	الإناث	نسبة الأمية العامة	الذكور	الإناث	نسبة الأمية العامة	الذكور	الإناث
بني مرغنين	66.1	44.4	87.9	53.5	35,8	71.3	43.5	27	60.1
بودينار	69.2	52.7	85.8	62.05	46,4	77,7	47.6	31.5	64
أمهاجر	82	69.6	94.4	66.3	54,4	78,2	48.8	38.6	59.1
أولاد أمغار	79.3	66.9	91.8	68.7	56,7	80,8	52.6	39.3	66
تليليت	70	50.1	89.9	61.9	44	79,8	50.8	33.8	67.9
اتركوت	80.9	69.9	91.9	64.5	51,7	77,3	48.9	36.1	61.7
آيت مايت	77.7	64.6	90.9	59.4	45,7	73,1	8.7	36.7	60.8
أمجاو	79.3	66.7	91.9	66.2	52,1	80,4	52.8	37.6	68.1
دار الكبداني	61.6	45.4	77.9	53.9	38,8	69,1	38.8	25	52.6
تزاغين	78.1	65.1	91.2	66.9	51,2	82,6	49.05	30.3	67.8
المعدل المتوسط	74.42	59.54	89.15	62.335	44	71.3	48.15	33.59	62.81

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكان 2014.

75 مقتطف من الخطاب الملكي حول المبادرة الوطنية للتنمية البشرية 2005/05/18

إذا كان معدل الأميين الذين يتجاوزون عشر سنوات في المغرب هو حوالي 50%، فإن هذه النسبة في العالم القروي تبقى في حدود 70%[76]، ومعدل أمية الفتيات بإقليم الدريوش يصل 71%[77]، والأغلبية يغادرن المدرسة بسرعة ولا يتممن دراستهن. يظهر الجدول أعلاه أن نسبة الأمية تفوق حاجز 48 % في معظم الجماعات القروية لإقليم الدريوش وترتفع أكثر في صفوف الاناث اذ تفوق نسبة 60 %حسب اخر إحصاء قام به المغرب سنة 2014، وهي معطيات تبين بالملموس واقع القطاع التعليمي في هذه المناطق والذي يتسم بالضعف خاصة على مستوى توزيع البنيات التحتية المدرسية، كما تتدخل عوامل البنية الثقافية والفكرية للمجتمع الريفي في تنامي معدلات الهدر المدرسي في صفوف الفتيات، علاوة على دور الهجرة الخارجية في انقطاع عدد مهم من التلاميذ عن الدراسة.

جدول 2: توزيع الساكنة حسب المستوى الدراسي لفئة 10 سنوات فما فوق(%)

	الذكور			الاناث		
الجماعات	الأولي	الابتدائي والاعدادي والثانوي	العالي	الأولي	الابتدائي والاعدادي والثانوي	العالي
تزاغين	2,8	43,8	3	0,2	17,5	0,2
بني مرغنين	3,6	55,7	5,5	1,2	27,9	0,2
بودينار	3,4	48,1	4,2	0,7	23	0,2
أولاد أمغار	1,2	37,7	8,6	4,2	18,2	0
اتركوت	1,7	42,2	6,1	1,6	21,5	0,3

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكان 2014.

يبرز الجدول واقعا مدرسيا هزيلا، وذلك بالنظر إلى المعدلات المسجلة عل مستوى التعليم الأولي والعالي، بحيث تبقى هذه المعدلات جد منخفضة لكلا الجنسين وهذا مرده إلى مجموعة من العوامل نذكر منها:

عدم اكتمال البنية الأساسية للوحدات المدرسية بالوسط القروي بما فيها المجال القروي لإقليم الدريوش؛

صعوبة المسالك المؤدية إلى الوحدات المدرسية وانعدام المواصلات؛

تشبث بعض الأسر بالتقاليد التي تحول دون تمدرس الفتيات؛

[76] http://www.tanmia.ma/article.php3?id_article=2315&lang=fr بتاريخ 12/4/2013

[77] الاحصاء العام للسكان والسكنى 2004

الوضعية المادية لبعض الأسر التي تقتضي احتساب الأولويات بتفضيل تمدرس الذكور بالدرجة الأولى والتضحية بالإناث في الأمور المنزلية؛ استغلال الأطفال كيد عاملة في الوسط القروي؛

بُعد الإعداديات والثانويات عن القرى أو الدواوير يحول دون استمرار التلميذات في متابعة دراستهن بالإعدادي والثانوي: مثلا المسافة بين دوار اشنوان وبودينار تقدر ب 10 كلم، وبين دوار أحديد ومركز الجماعة ب 6 كلم، وبين دوار أشعابي وتزاغين ب 7 كلم.

عامل الجفاف يؤثر سلبا عل حياة السكان، وبالتالي على تمدرس أبنائها78.

بطالة مستفحلة في صفوف الشباب وغياب شبه تام للنساء عن سوق الشغل

تعتبر الجهة الشرقية من أكثر بؤر البطالة في البلاد، إذ تزيد فيها نسبة البطالة عن 25%79، وإذا كانت نسب النشاط والعمل ترتفع في المدن وتقل في البوادي، فإننا نتساءل عن واقع أرياف إقليم الدريوش في مجال التشغيل.

الجدول 3: متوسط نسبة الساكنة النشيطة ونسب البطالة بالجماعات القروية لإقليم الدريوش

الجماعات	النشيطين%		العاطلين%		النشيطين %		العاطلين%		النشيطين%		العاطلين%	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
أمجاو	41.3	8.7	38.4	86.6	43	14,4	40.3	77.9	76.6	4.7	22	71.9
دار الكبداني	45.4	4.3	37.7	74.6	62,8	7,5	51.3	69.1	72.6	6.5	22.5	56.1
آيت مايت	51.3	2	20.6	10	42,6	13,5	25.1	23.1	76.5	12.7	25.2	93.1
امهاجر	47.7	6.9	40.4	68.1	47,4	17,9	35.4	65.1	76.7	5.3	15.5	69.2
تليليت	47.7	1.6	23.9	0	27,1	0,9	27.1	0	70.8	12.2	22.2	87
تزغين	39.1	3.1	44.3	20	39,3	9,9	41 .1	25.3	73.7	14.7	10	22.6
بني مرغنين	46.6	1.8	31.9	20	33,1	7,4	32.1	15.4	69.6	11.8	24.9	91.5

78 - عبد السلام المساوي، الجهة الشرقية: مؤهلات وآفاق، 2004 – مطبعة أطلال وجدة، ص 99.

79- مديرية إعداد التراب الوطني 2002-نوافذ على المجال-خريطة البطالة ص 61.

بودينار	44.1	2.6	32.7	67.7	27,7	2,2	30.3	70.7	71.1	4.6	19.3	62.5
أولاد أمغار	42.6	3.1	27.6	65.3	42	13,8	20.1	61.7	76.8	17.7	12.2	90.6

المصدر: الإحصاء العام للكان والسكنى 1994 و2004 و2014

يظهر الجدول أرقام الساكنة العاطلة، أي التي لا تساهم في أي نشاط اقتصادي وهي أرقام مرتفعة بالمقارنة مع المعدل العام للسكان، حيث تأوي جماعة بودينار 7914 ساكن غير نشيط، بينما النشيطون يظلون في حدود 2590 من أصل 10504 نسمة. وهي الوضعية التي تنطبق على معظم أرياف إقليم الدريوش، بحيث أن السكان غير النشيطين يتفوقون وبقوة على الساكنة النشيطة التي تظهر كأقلية. وترجع هذه الأرقام الخطيرة إلى أسباب: منها ما هو ديموغرافي كالتزايد الطبيعي المرتفع في ضل عطوبية المجال وهشاشته بسبب وعورة التضاريس وارتفاعها80 . وهو ما يؤثر على أنماط الانتاج والعلاقات السائدة، أضف الى ذلك عدم وجود بنيات قادرة على ايواء هؤلاء السكان، واحتواء الطاقات العاملة من سوق البطالة. اما البطالة في صفوف الاناث فتكاد تصل الى عتبة 100% في بعض الجماعات خصوصا آيت مايت (93%) واولاد امغار (90%)، ما عدا جماعة تزاغين التي تنخفض فيها الى 22%.

الهشاشة واللامساواة صورتان تعكسان التخلف التنموي بالإقليم:

يقصد بالهشاشة وضعية الحاجة القصوى الناتجة عن الاقصاء الناتج بدوره عن الخصاص الذي تعانيه الفئات الاجتماعية المهمشة خصوصا فيما يتعلق بالتشغيل الذي يمكّن الأشخاص وعائلاتهم من تحمل مسؤولياتهم المهنية والاجتماعية والتمتع بحقوقهم الأساسية. واللامساواة هي عدم تكافئ الجنسين في مؤهلات الاندماج داخل سوق العمل.

الجدول 3: نسبة الهشاشة واللامساواة ببعض الجماعات القروية بإقليم الدريوش.

الجماعات	نسبة الهشاشة ب%	اللامساواة ب %
تزغين	24,5	36,02
بني مرغنين	23,8	33,28

80-Ali AMHAN, Mutations Sociales dans le haut atlas : Les ghoujdama, éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris, éditions La pioste rabat 1998 p : 192.

بودينار	25,3	35,45
أولاد أمغار	26,1	33,53
تروكوت	26,7	33,04

الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

يتضح من خلال الجدول أن الهشاشة تبقى مرتفعة نسبيا، حيث تسجل أدنى مستوى لها 23.8% بجماعة بني مرغين، بينما تسجل أعلى نسبة داخل المجال بجماعة أولاد أمغار بنسبة 26.7%.

أما اللامسواة فتبقى في أفق 33% بالنسبة لجماعات اتركوت وبني مرغنين وأولاد أمغار، وترتفع إلى 35% في جماعة بودينار أما تزاغين فتسجل اسوء نسبة وهي 36%.

تجسد الهشاشة واللامساواة تكاملا مع المحدد السابق (البطالة)، والتي تشكل تهديدا للاستقرار البشري، حيث يضل المجال القروي لإقليم الدريوش، مجالا خصبا لهذه الإشكالات ولمشاكل أخرى قد تكون أقل تعقيدا وأحيانا أكثر تعقيدا مما يخل بالتوازن الديموغرافي والاجتماعي الأصلي للمجال، مولدة إشكاليات أخرى كالهجرة الخارجية التي أصبحت حلما يراود معظم شباب المنطقة.

أرياف إقليم الدريوش من الهجرة القروية الى الهجرة الخارجية:

تشخيص وضعية الدينامية السكانية

يبدو ان موسم الهجرة نحو الشمال قدر له ان يكون لا نهائيا في ضفة الجنوب، فالدراسات السوسيولوجية التي أجريت بالكثير من الدول المغاربية، تؤكد ان نسبة عالية من الشباب وغيرهم من الكبار والصغار يجعلون من الهجرة السرية الهدف الأوفق والأثير. إن هناك 130 مليون شخص يغادرون بلدانهم الاصلية للإقامة في بلد آخر في إطار هجرة قانونية، وأخرى سرية81.

81 عبد الرحيم العطري،2012، تحولات المغرب القروي واسئلة التنمية المؤجلة، الطبعة الثالثة، طوب بريس الرباط.

الجدول 4: تطور السكان خلال النصف الأول من القرن العشرين

	1900	1928-1927	1930	1950
كبدانة	25000	17000	18000	23319
بني سيدال	10000	14900	12500	13216
بني سعيد	29000	19800	19800	23387
تمسمان	25000	21900	24700	30492
تفرسيت	3500	5200	5000	6827

المصدر: أرشيف وزارة الإسكان والتعمير.

يتضح من خلال الجدول أن ساكنة قبائل الريف الشرقي عرفت تراجعا مهما خلال الفترة الممتدة من سنة 1900 و 1928، لترتفع بعد ذلك بشكل بطيء بعد سنة 1930 و للبحث عن تفسيرات لهذا النمو الديمغرافي الذي طبع المنطقة طيلة نصف قرن من الزمن فإنه لا بد من استحضار بعض الأحداث التي شهدتها المنطقة وكان لها دور بارز في تراجع عدد السكان فعلى سبيل المثال فان فترة القرن 19م شهدت انطلاق حركات الهجرة الأولى للسكان المحليين خارج منطقتهم، ففي هذه المرحلة شهدت عدة مناطق جبلية تحركات سكانية نحو المناطق المنخفضة و الغنية. كما تطوع الريفيون في الجيش لتحرير مدن الريف الغربي. وقدر عدد المهاجرون الذين استقروا فيما بعد بفحص طنجة ما بين 2000 و3000 رجل، ينتمي اغلبهم لقبيلة تمسمان وقلعية وايت سعيد وآيت توزين ومطالسة.

دور الهجرة الخارجية في التراجع السكاني بأرياف إقليم الدريوش

تؤشر الهجرة دوما على نوع من الحراك الاجتماعي داخل المجال، والذي يفرض انتقالا اجتماعيا من فضاء لآخر ومن ثقافة لأخرى مما يعني أن الهجرة في مطلق الأحوال تنتج ظواهر وحالات مجتمعية أخرى، بحكم انطوائها على أسلوب السبب والنتيجة، وفي نفس الوقت، فهي نتيجة منطقية لتظافر عوامل متعددة، فبالرجوع إلى رصد ظاهرة الهجرة القروية نحو الخارج، نكتشف حضورية قصوى للعوامل الطبيعية والسوسيواقتصادية، التي تكمن وراء انبراز الظاهرة وتناميها خصوصا في العقود الأخيرة نحو بلدان الضفة الأخرى لاسيما اسبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا.

كما ان المجال القروي لإقليم الدريوش لا يخرج عن هذه الحركية السكانية التي تؤدي إلى إفراغ المجال من سكانه عامة، وكوادره(أطره) خاصة. فالموارد البشرية من فاقدة للشيء إلى باحثة عن الذات بعيدا عن بوادي الاقليم، وهكذا فالمجال المدروس يفقد سنويا المئات من موارده البشرية بواسطة القوارب أو الهجرة القانونية.

إن ظاهرة الهجرة من الأرياف (القرى) إلى الخارج (اروبا) ظاهرة قديمة في معظمها، هجرة اضطرارية تتسبب فيها عدة عوامل محلية وخارجية. وتكمن العوامل الأولى في نقص التجهيزات الاجتماعية وقلة الشغل، ومشكل الماء والتربة والنمو الديموغرافي

السريع والمستوى الثقافي، أما العوامل الخارجية فتكمن في جاذبية الحياة الأوربية وما توفره من خدمات صحية وتعليمية وإدارية وترفيهية متنوعة82.

الخريطة 2: تطور السكان في الجماعات الترابية لإقليم الدريوش.

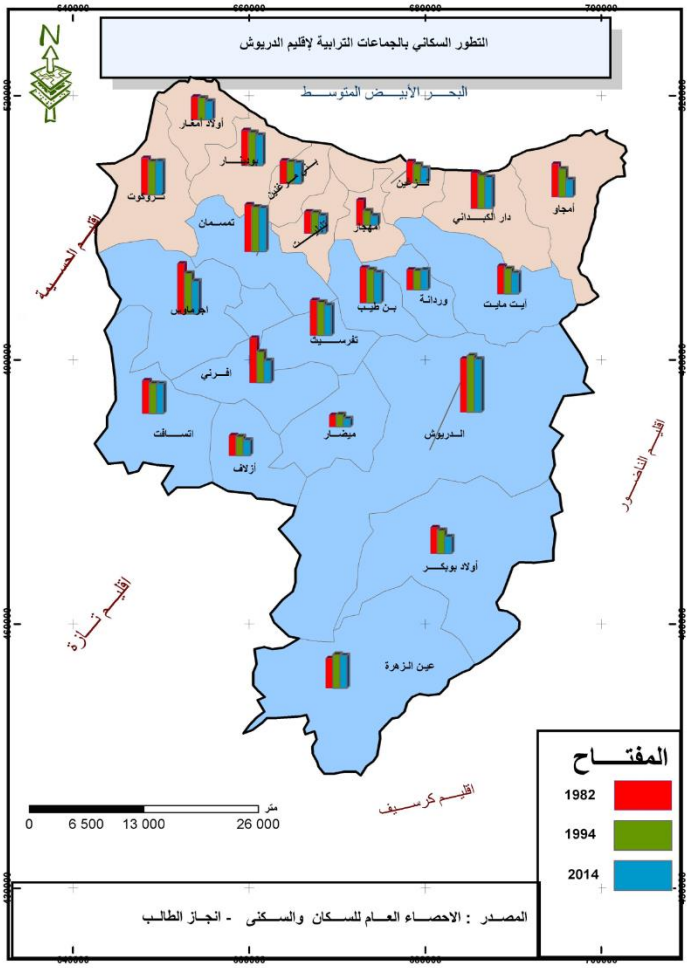

إن أول ما يمكن أن يلتفت إليه الباحث الجغرافي فيما يخص نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى من سنة 1994 إلى 2014 هو التراجع الملحوظ لساكنة معظم الجماعات القروية بالإقليم، حيث بينت الدراسة الميدانية، ان المجال يصدر

82 عبد اللطيف فضل الله، محمد القوات، تأملات حول مشكل هجرة الأرياف، الرباط 1977 ص 7- 9، بتصرف

أكثر من ساكنته أو بالأحرى الراغبين في الهجرة يصلون إلى 68%. بينما الذين استقروا ولا يرغبون في الهجرة فإن نسبتهم تبقى في حدود 32%، وهذه الأخيرة تتشكل أغلبها من النساء حيث يتخوفون من تغيير الأجواء خارج القرية، وكذلك من أصحاب الأعمال والمشاريع الخاصة التي يديرونها داخل المنطقة كنموذج التجار، وهؤلاء أغلبهم يرغبون في الاستقرار وعدم التفكير في الهجرة83.

إن الهجرة إلى الخارج (خارج المجال) تجنى منها أموال طائلة لا توظف في المجال، إضافة إلى فقدان المجال للعديد من الكوادر البشرية التي هي في أمس الحاجة إليها، خاصة إذا اخذنا بعين الاعتبار ان استثمارات الدولة تتم انسجاما مع العدد السكاني والمناطق القابلة لاسترداد الاستثمارات العمومية على شاكلة ضرائب ومداخيل عمومية.

الجدول 5: طرق الهجرة المعتمدة ببعض الدواوير بجماعات إقليم الدريوش خلال سنة 2018

الجماعة	عدد سكانها (2014)	الدوار	عدد سكانه(2014)	طريقة الهجرة	العدد	%النسبة
بودينار	9860	اتهاميا	1243	عقد عمل	11	6.39%
				تجمع عائلي	14	8.13%
				تأشيرة سياحية	6	3.48%
				هجرة سرية	141	81.9%
				المجموع	172	100%
أولاد امغار	6009	اعبوثن	688	عقد عمل	4	7.4%
				تجمع عائلي	9	16.66%
				تأشيرة سياحية	2	3.70%
				هجرة سرية	39	72.22%
				المجموع	54	100%
تزاغين	4323	سيدي احساين	521	عقد عمل	00	00%
				تجمع عائلي	00	00%
				تأشيرة سياحية	2	8.69%
				هجرة سرية	21	91.03%
				المجموع	23	100%

استثمار معطيات البحث الميداني-2018-

83- نتائج تحليل الاستمارة الميدانية.

يبين الجدول أعلاه ان الهجرة السرية كان لها القسط الوافر من نصيب الهجرة، حيث تعددت الوسائل المعتمدة فيها مؤخرا بين الدراجات المائية والقوارب المطاطية وقوارب الصيد المسروقة. فعلى سبيل المثال تم تهجير 141 نسمة بدوار اتهاميا بجماعة بودينار بالطرق السرية بنسبة 81 %من مجموع المهاجرين سنة 2018. والأكثر من ذلك أصبحت الجماعات الساحلية للإقليم بؤرا مهمة لجذب المهاجرين السريين. وبالتالي أصبحت الهجرة سلوكا بيئيا له محددات طبيعية واجتماعية تؤثر على قرارات الافراد[84].

خاتمـــــــة

بالرغم من المجهودات المبذولة كما وكيفا لتنمية الأرياف، بقيت تعاني ركودا بنيويا في ارياف الجنوب الشرقي وأرياف الاطلس. إلا ان هذا لم يمنع من تمكين العالم القروي من بعض مستلزمات التنمية كالماء والكهرباء والتقليص من معدلات الامية والبطالة. والشيء نفسه، ينطبق على ارياف إقليم الدريوش حيث أدى الضعف التنموي الى اكراهات اجتماعية واقتصادية في وسط قروي وهش، هذا الوضع فَرَضَ حركة سكانية افقية قوية وبالخصوص نحو الديار الأوربية، كما تفاقمت ظاهرة الهجرة في العقدين الأخيرين الشيء الذي كرس نزيفا ديمغرافيا حادا في معظم الجماعات القروية بالإقليم.

البيبلوغـــرافيا

عبد الرحيم العطري، 2012، تحولات المغرب القروي واسئلة التنمية المؤجلة، طوب بريس، الرباط؛

عبد السلام المساوي، الجهة الشرقية: مؤهلات وآفاق، 2004 – مطبعة أطلال وجدة؛

عبد اللطيف فضل الله، محمد القوات، 1977، تأملات حول مشكل هجرة الأرياف، الرباط.

علال زروالي، 2001، التحولات الريفية والتمدن بالريف الشرقي، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب وجدة.

مصطفى اليزيدي، 2005، التنمية واعداد المجال الحضري: الجهة الشرقية بين حداثة التمدن وصعوبات التنمية، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، وجدة.

محمد الاسعد، 1999، البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب، دار القرويين، الدار البيضاء؛

مديرية إعداد التراب الوطني، 2002، نوافذ على المجال، منشورات مديرية اعداد التراب الوطني.

Ali AMHAN, 1998, Mutations Sociales dans le haut atlas : Les ghoujdama, éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris, éditions La pioste rabat.

Abdelkader GUITOUNI, 1995, LE NORD EST MAROCIAN : Réalités et potentialités d'une région excentrée, presses de BMFI, Oujda.

84 محمد الاسعد 1999، البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب نماذج في جغرافية الأنظمة الريفية. مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء. ص 39.

تأثير التغايرية المناخية على الموارد المائية بعيون واد سبو الأعلى (المغرب):

عين سبو وعين تمدرين و وامندر نموذجا

Impact of climate variability on water resources in the sources of Haut Sebou (Morocco): Ain Sebou, Ain Tamedrine, and ouamender as a model

خالد الشخامي1 وجواد خشاب2

1) أستاذ الثانوي التأهيلي بمديرية تاونات، دكتور في الجغرافيا الطبيعية من جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

2) طالب باحث بمختبر الدراسات الجيوبيئية والتهيئة والتنمية المستدامة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله.

الملخص: من خلال الدراسات البيبليوغرافية و الميدانية بعالية حوض سبو، توصلنا إلى أن مجموعة من الدراسات والأبحاث أنجزت حول هيدرولوجية حوض سبوالأعلى جلها تناولت بدراسة والتحليل العوامل المناخية والطبوغرافية والبشرية المتحكمة في نظام الجريان بالحوض، وتعتبر دراسة وقع التغايرية المناخية على الموارد المائية بعيون واد سبو الأعلى اسهاما منا لإغناء تعميق البحث حول هذا الموضوع.

تعكس تغيرات الصبيب واختلاف الأنظمة الهيدرولوجية لهذه المنابع المائية، إشكالية تأثير كمية التساقطات على الموارد المائية. فهذه العيون المائية تتميز بنظامين هيدرولوجيين، في فترات الجفاف ينخفض صبيبها بشكل كبير ويتراجع مستوى سطح الفرشة المائية وبحكم تأثير عامل الجاذبية وعامل الكارستية عوض أن تقوم بتغذية الجريان تقوم باختصام كمية من صبيب الأودية لتغذية صبيبها- كما حدث في عام 1995 بعين سبو على واد كيكو- والعكس صحيح فخلال الفترات الرطبة يرتفع مستوى الفرشة المائية ويرتفع معه صبيبها فتقوم بتغذية جريان الأودية، كل ذلك يفسر تأثير النظام الكارستي والمورفولوجي وكذلك كمية التساقطات في السلوك الهيدرولوجي للمنابع المائية بالأطلس المتوسط.

كلمات مفاتيح : التغايرية المناخية، المنابع المائية، الصبيب، عالية حوض سبو.

Abstract : Through bibliographic and field studies in the high Basin of sebou , we concluded that a set of studies and research ware carried out on the hydrology of the Basin, most of which concerned the study and analysis of the climatic, topographic and human factors controlling the flow system in the basin. To enrich and deepen research on this subject.

The changes in flow and different hydrologic systems of these water sources reflect the problematic effect of the amount of precipitation on water resources. These water sources are characterized by two hydrological systems. In periods of drought, their flow decreases sharply and the water table level decreases, and by virtue of the influence of the gravitational factor and the karst factor, instead of feeding the flow, it subtracts a quantity of water from the valleys to feed its flow - as happened in 1995 in Ain Sebou on the Kiko valley - And conversely, during wet periods, the groundwater level rises and its flow increases with it, and it feeds the flow of the valleys, which explains the impact of the karstic and morphological system as well as the amount of precipitation on the hydrological behavior of water sources in the Middle Atlas.

Keywords: climatic variability, hydrological sources, flow, high basin of Sebou.

تقديم اشكالي:

تشكل التغايرية المناخية أكبر تحدي يواجه العالم المعاصر، وذلك بالنظر إلى نتائجه البيئية الكارثية الكبرى، مثل موجات الجفاف القاسية أو الفيضانات الجارفة التي تجتاح بعض المناطق من المعمور، فمعظم خبراء علم المناخ، يتنبؤون بزيادة حرارة سطح الأرض إذا ما استمرت انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري على نفس الوتيرة. وفي هذا السياق، يعتبر المغرب، بحكم موقعه في العروض الشبه المدارية وتأثره بالدورة الهوائية العامة للعروض المتوسطة، من بين البلدان الأكثر تعرضا للتغيرات المناخية، بالنظر لتواجده بين نطاقين مناخيين متناقضين (النطاق المعتدل و النطاق المداري الجاف)، الشيء الذي أثر سلبا على كمية التساقطات أولا ثم على الموارد المائية السطحية والباطنية ثانيا.

فالموقع الجغرافي لحوض سبو الأعلى داخل الأطلس المتوسط الذي يعتبر خزانا للموارد المائية و توجهه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، و كذا الارتفاعات العالية (جبل بويبلان 3172متر، وجبل تيشوكت 2794 متر) (أكثر من 1000ملم من التساقطات بالمرتفعات و50 سم من الثلوج في بعض القمم كجبل بويبلان). كل هذه العوامل الجغرافية و المناخية والطبوغرافية، ساهمت في تغذية فرشاته المائية السطحية والجوفية، وجعلته يضم أكبر وأهم المنابع المائية على مستوى المغرب: عين تمدرين وعين وامندر وعين سبو...الخ. إن تحليل ودراسة صبيب أهم المنابع المائية لواد سبو الأعلى، يبرز مدى ارتباط السلوك الهيدرولوجي لهاته المنابع بالدورة الهوائية العامة للعروض المتوسطة التي يخضع لها المغرب بصفة عامة وحوض سبو الأعلى بصفة خاصة، حيث تعتبر المسؤولة على تردد السنوات الجافة والرطبة، وتذبذب صبيب المنابع المائية. لتوضيح هذه الحالات، سنحاول دراسة أثار التغيرات المناخية على السلوك الهيدرولوجي لثلاثة منابع مائية بحوض سبو الأعلى، وهي عين سبو وعين تمدرين ووامندر.

1.المعطيات و منهجية الدراسة

اعتمدنا في دراستنا لتغايرية المناخية و تأثيرها على صبيب المنابع المائية بعالية حوض سبو على المعطيات التي مدتنا بها وكالة حوض المائي لسبو، و التي تهم الفترة الزمنية ما بين 81/1980 إلى 14/2013 بالنسبة للتساقطات المطرية لمحطة عزابة و ايت خباش، و 81/1980 إلى 16/2015 بالنسبة للصبيب عين سبو و عين تمدرين وعين وامندر.

الجدول رقم.1. الاحداثيات الكرطوغرافية للمنابع الثلاث بعالية سبو(ABHS ; 2010) .

اسم المنابع المائية	الاقليم	الرقم	خط الطول	خط العرض
عين سبو	صفرو	574/22	580300	349100
عين تمدرين	صفرو	573/22	578700	350350
عين وامندر	صفرو	615/22	578560	350000

لدراسة هذا الموضوع، تم نهج مقاربة احصائية تعتمد أولا على دراسة نقدية لمعطيات التساقطات والصبيب، والتأكد ما مدى مصداقيتها من أجل اظهار التغايرية المطرية على المستوى السنوي و الشهري، وكذا تحديد تعاقب السنوات الرطبة والجافة بعالية الحوض باعتماد على المؤشر الموحد للتساقطات ISP، وفي الأخير عملنا على ابراز مدى تأثير التغايرية المناخية على صبيب عين سبو و تمدرين ووامندر، ثم تحديد فترات تردد صبيب هذه عيون المائية خلال الفترة المدروسة باعتماد على قوانين احصائية (Loi de Gumbel).

2.الاطار الطبيعي لعالية حوض سبو

يمتد حوض سبو الأعلى على مساحة 4677 كلم^2، وهو ذو اتجاه جنوب-غربي و شمال-شرقي. ويضم ثلاث أحواض نهرية صغرى، وهي حوض كيكو وحوض العناصر وحوض زلول (الخريطة رقم.1)،كما يخترق واد سبو الأطلس المتوسط الملتوي، حيث يستقبل مياه كل من واد زلول وواد العناصر وواد كيكو.

الخريطة رقم.1. مو اقع العيون الثلاثة بعالية حوض سبو.

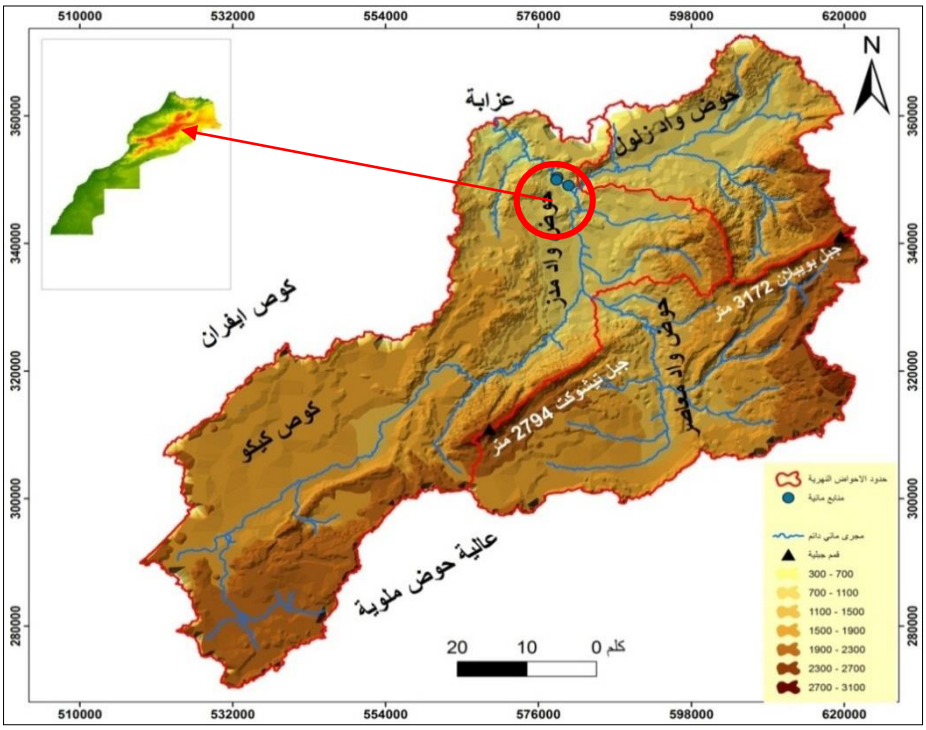

حسب MARTIN, J. (1981) و AKDIM, B. et al (2012)، وكذلك من خلال الخريطة رقم .2 ، ينقسم حوض سبو الأعلى من الناحية البنيوية إلى وحدتين أساسيتين هما :

الأطلس المتوسط البضي:يمتد على الضفة اليسرى لواد كيكو ويضم ارتفاعات متوسطة (حوالي 1600 متر) تغطيه التكوينات اللياسية كالكلس والدولومي، لهذا تتواجد به بعض المسطحات المائية كضاية عوا وحشلاف.

الأطلس المتوسط الملتوي :مجال جبلي بامتياز، يتميز بوجود مجموعة من المنخفضات (منخفض سكورة و سرغينة ...). هذه المنخفضات تتكون من ارسابات سميكة من عصر الجوراسي والكريتاسي، كما تتخلل هذه المنخفضات الواسعة بعض الارتفاعات الشاهقة (جبل تيشوكت 2794 متر وجبل بويبلان 3172 متر...) وهي عبارة عن محدبات ذات تكوينات كلسية لياسية و بعض التكوينات الترياسية، حيث يمثل هذا القسم حوالي75% من مساحة حوض سبو الأعلى.

يخضع المناخ في هذا الجزء (الضفة اليمنى) من حوض سبو الأعلى لعامل القارية والارتفاع، حيث أن المنخفضات المتواجدة ما بين السلاسل الجبلية، توجد في ظل المؤثرات الرطبة، مما يجعلها تتلقى كميات قليلة من التساقطات (لاتتعدى 500 ملم في السنة بمنخفض سكورة وسرغينة)، في حين تتأثر السفوح الشمالية الغربية الكتل الهوائية الرطبة، حيث تتجاوز كمية التساقطات 1000ملم، وتتساقط على شكل ثلوج خلال أشهر الفصل البارد.

الخريطة رقم.2. البنية الجيولوجية لحوض سبو الأعلى. (المصدر: Nejjari. A ; 2002)

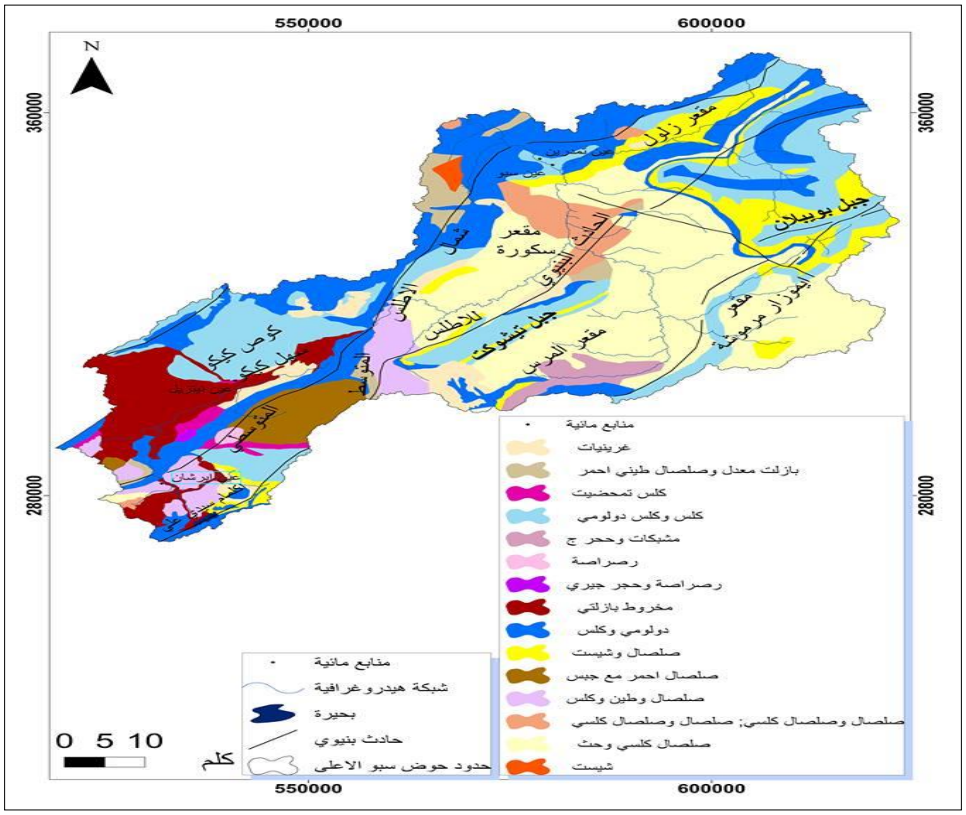

3. التغايرية المناخية بعالية حوض سبو

1.3. التوزيع السنوي للأمطار

من خلال هذا المحور قمنا باختيار محطتين مطريتين (آيت خباش وعزابة) بعالية حوض سبو على ارتفاع يفوق 1000 متر. تبين المقارنة بين محطتين أن محطة آيت خباش ،سجلت تساقطات مطرية كبيرة جدا تتجاوز المتوسط الحسابي 356.7 ملم لسلسلة الإحصائية من 81/1980 إلى 14/2013، والتي تتمثل في السنوات: 81/1980 و82/1981 و89/1988 و90/1989 و91/1990 و92/1991 و 96/1995 و97/1996 و98/1997 و02/01 و 03/2002 و 04/2003 و10/2009 و 11/2010ثم 13/2012.

المبيان رقم 1.التوزيع السنوي للأمطار بايت خباش(14/2013-81/1980).

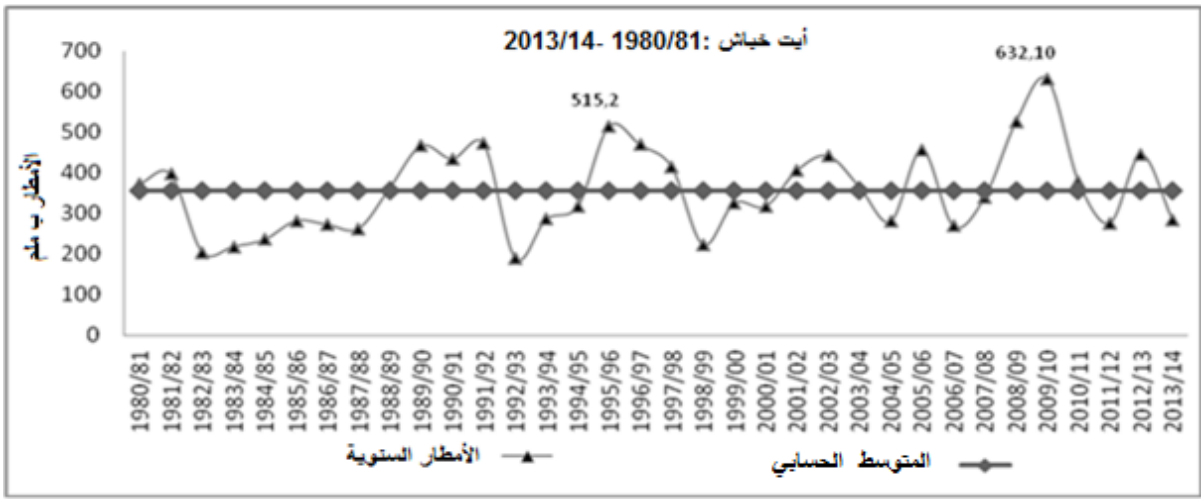

أما بالنسبة للسنوات التي سجلت أقل من المعدل السنوي، فهي كالتالي: 83/1982 و 84/1983 و 1984/ 85 و86/1985 و88/1987 و86/1986/ 87 و93/1992 و94/1993 و95/1994 و99/1998 و00/1999 و01/2000 و 05/2004 و 07/2006 و 08/2007 و 12/2011ثم 14/2013. تراوحت كميات الأمطار من 632.10 ملم كحد أقصى في 10/2009 إلى 188.6 ملم كمستوى أقل في 93/1992، وبلغ التباين بين كميتين المطريتين إلى حوالي 443.5 ملم.

تراوحت الأمطار السنوية بمحطة عزابة من 662 ملم خلال السنة الهيدرولوجية 10/2009 إلى 164 ملم في سنة07/2006، الشيء الذي أدى إلى اختلاف على مستوى مؤشر التغايرية بين الفترتين إلى 498 ملم.

المبيان رقم.2.التوزيع السنوي للأمطار بعزابة (14/2013-81/1980).

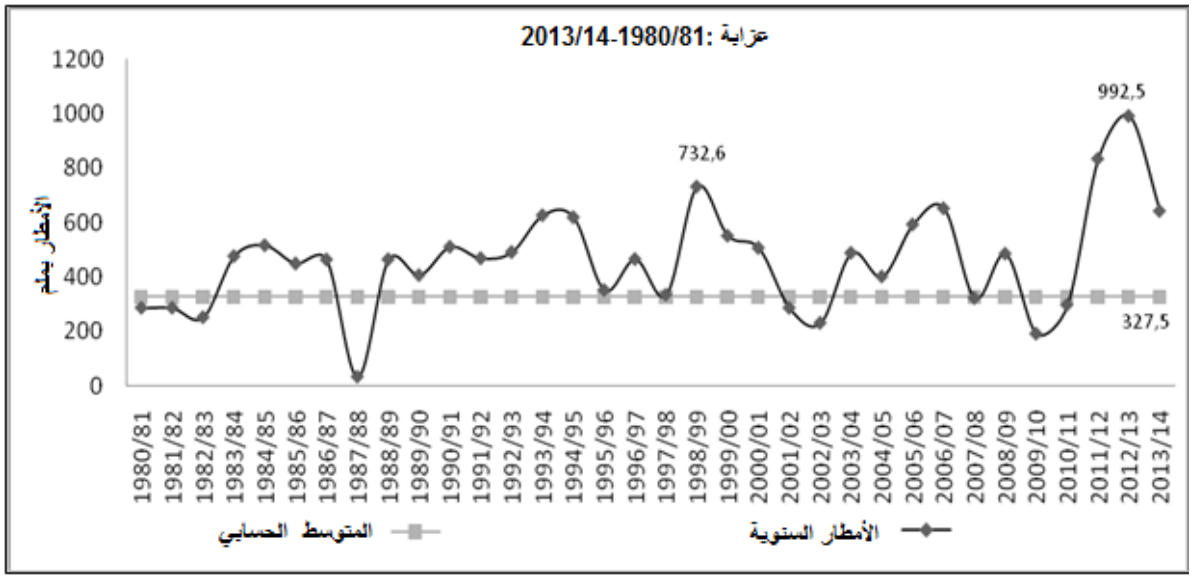

تتجاوز السنوات الرطبة المتوسط الحسابي 327.5 ملم، حيث يرجع لها الفضل في زيادة صبيب العيون بعالية سبو، هي كالتالي:84/1983 و85/1984 و88/1987 و90/1989 و91/1990 و92/1991 و96/1995 و98/1997 و02/2001 و03/2002 و04/2003 و06/2005 و09/2008 و10/2009 و2011/2010 ثم 13/2012.أما السنوات الأكثر جفافا التي لها دور كبير في تراجع صبيب العيون بعالية سبو، فهي سنوات لا تتجاوز متوسط الحسابي، كسنوات: 99/1998 و 05/2004 و 07/2006 و08/2007 و12/2011 ثم 14/2013.

ويمكن تفسير زيادة صبيب العيون المائية بالأطلس المتوسط إلى تردد حالات التساقطات المطرية التي من شأنها أن ترفع من حجم الفرشة المائية بوسط جيولوجي كرستي، حيث تظهر سيطرة الاضطرابات الجوية المطرية من الشمال الغربي والغرب والشمال الغربي والتي سجلت نسبتها 55٪. هذا راجع إلى توجيه السفوح الأطلسية إلى التأثيرات البحرية الرطبة. أما الاضطرابات الممطرة الجنوبية الغربية والغربية والجنوبية الغربية فقد شكلت 18.3٪ فقط. من ناحية أخرى، تبقى التدفقات الرطبة الأخرى أقل أهمية بكثير مثل الاضطرابات الجوية الممتدة من الشمال الشرقي التي وصلت نسبتها إلى 5.3٪. أما والاضطرابات القادمة من الشمال فقد ناهزت 4.6٪. وبحكم أن جبال الأطلس المتوسط، تعرف نشاط الظواهر الجوية ذات الطابع العاصفي، فقد سجلت هذه الأخيرة بدورها ما نسبته 16.8٪ من مجموع الطقوس المطرية التي عرفها حوض عالية سبو خلال الفترة الممتدة من 81/1980- 14/2013. وعموما، يمكن أن نستشف أن سنوات 82/1981 و91/1990 و02/2001 و10/2009 هي أكثر السنوات الرطبة، وبالتالي فان زيادة تكرار السنوات الرطبة، يرجع لها الفضل في الرفع من صبيب العيون المائية بالأطلس المتوسط (CHKHAMI . K ; 2020).

2.3. التوزيع الشهري للأمطار

التوزيع الزمني للتساقطات المطرية حسب الشهور، هو معطى هام في تفسير السلوك الهيدرولوجي لعيون المائية، كما يمكن كذلك من تحديد عدم انتظام كميات الأمطار داخل السنة(باحو عبد العزيز(2002) . من خلال الوهلة الأولى، نلاحظ أن هناك تباينات على مستوى التساقطات المطرية الشهرية في المحطات المدروسة، فشهر يونيو ويوليو وغشت وأحيانا شتنبر، تتلقى كميات قليلة من الأمطار في المقابل يعرف شهر يناير و فبراير وأبريل و مارس تساقطات مطرية جد مهمة مصحوبة بكميات كبير من الثلوج.

المبيان رقم3.التوزيع الشهري للأمطار بعالية حوض سبو(14/2013-81/1980).

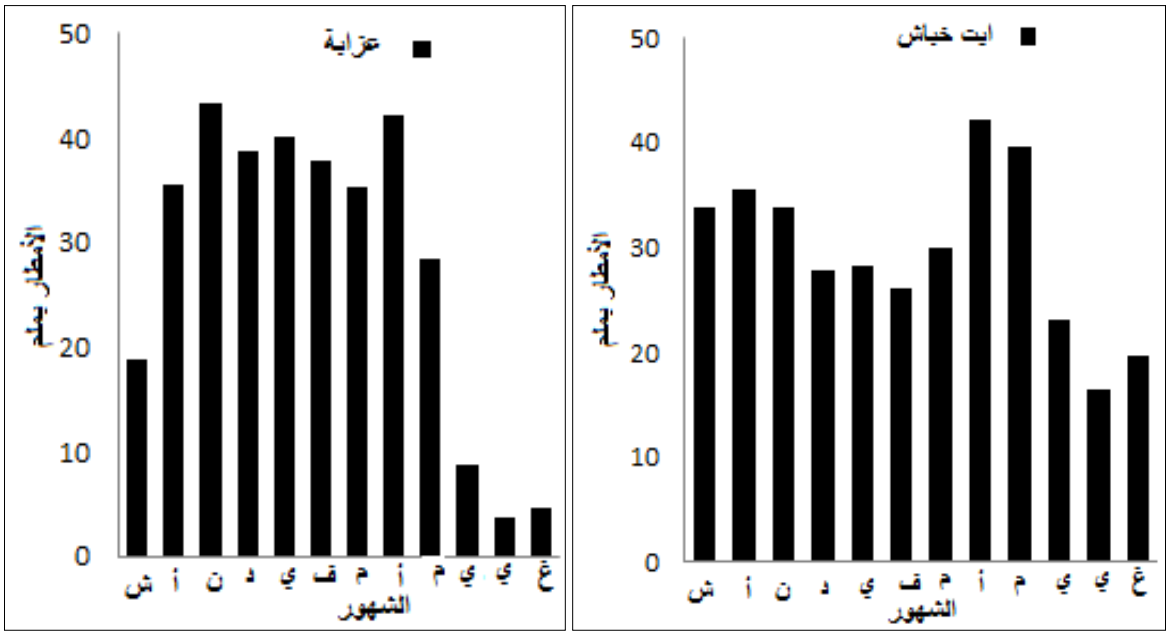

يبدأ الفصل الرطب في عالية حوض سبو من شهر أكتوبر، ويستمر حتى أبريل. يسجل شهر نونبر القيمة القصوى بمحطة ايت خباش، حيث يبلغ المتوسط الشهري 42.3 ملم. يختلف الشهر الأكثر جفافا حسب المحطات المطرية المدروسة، حيث أن أقل الكميات المطرية، سجلت في شهر يوليوز أقل من 3.6 ملم بمحطة عزابة. بالإضافة إلى ذلك، فإن شهري يونيو وغشت تعد من الشهور التي تعرف ترددا كبيرا للزخات المطرية، لأنها تتطابق مع فترة الاضطرابات ذات الطابع العاصفي في بداية الصيف ونهايته (NEJJARI, A. (2004) و(2001) AKDIM, B.al).

يعكس النظام الهيدرولوجي لصبيب العيون بالأطلس المتوسط ارتباطا وثيقا بتردد الاضطرابات الجوية الممطرة ذات الطابع الشهري والفصلي. إذ من خلال الدراسة التي قمنا بها لأوضاع الطقوس المطرية على حوض عالية سبو . (CHKHAMI

(K ; 2020 بينت أن فصل الخريف يعرف هيمنة هذه الطقوس الجوية الممطرة بنسبة وصلت إلى 32.3٪ من إجمالي الاضطرابات الطقسية الرطبة، والتي يمكن أن تلعب دورا كبيرا في الرفع من صبيب العيون المائية خلال الأشهر الأكثر رطوبة؛ 10.5٪ في شتنبر،و11.3٪ في أكتوبر، و10.5٪ في نونبر. أما الاضطرابات الجوية الشتوية فتمثل ما نسبته 24.1٪ من اجمالي الطقوس الجوية الرطبة. وتنقسم هذه الاضطرابات الرطبة على المستوى الشهري إلى 9.8٪ في دجنبر، و11.3٪ في يناير، و 3٪ في فبراير. إذ نلاحظ أن هاذين الموسمين يتميزان بهبوب الرياح البحرية الشمالية الغربية و الغربية الشمالية الغربية بشكل متكرر. تمثل جميع حالات هطول الأمطار الربيعية نسبة 29.3٪ من مجموع الطقوس الممطرة. تتركز حالات الغلاف الجوي المضطربة في شهر مارس بنسبة. 7.5٪، وأبريل؛ 12٪ وماي؛ 9.8٪. وأخيرًا، تشكل حالات الاضطراب الجوي الصيفي ما نسبته 14.3٪، وذلك راجع إلى -كما سبقت الاشارة اليه- نشاط الأوضاع ذات الطابع الرعدي بالأطلس المتوسط، حيث سجل شهر يونيو 8.3٪، و يوليوز 2.3٪، وغشت 3.8٪ من الطقوس الجوية المطرة خلال هذه الفترة المدروسة.

4. تحديد التغايرية المطرية باعتماد مؤشر الموحد للتساقطات (ISP)

هناك العديد من الطرق من أجل تحديد السنوات الجافة و المطيرة، لكننا اقتصرنا فقط على **مؤشرالموحد للتساقطات ISP** في دراسة تغايرية المطرية بمحطتين مطريتين عزابة و ايت خباش بعالية حوض سبو. بالنظر إلى التغايرية المطرية التي يعرفها عالية حوض سبو، ارتأينا حساب **مؤشرالموحد للتساقطات** Indice de standardisé des précipitations بالمحطتين، وذلك من أجل تحديد العجز المطري خلال فترة الدراسة باعتماد على المعطيات المطرية السنوية. يتيح مؤشر الموحد للتساقطات (ISP) قياس فارق كميات الأمطار على مدى فترة زمنية معينة مقارنة بمتوسط التساقطات. ويحسب على النحو التالي : $IPS = (Pi - Pm) / \sigma$

بحيث أن: **Pi** : التساقطات السنوية و **Pm**: متوسط التساقطات: ايت خباش: 356 ملم وعزابة :462,43 ملم، و **σ**: انحراف المعياري: ايت خباش: 105,50 ملم و عزابة :188,95 ملم. لهذا فقد اعتمدنا على تصنيف MCKEE et al (1993) المبين في الجدول رقم:3 لتحديد شدة الجفاف باستخدام مؤشر الموحد للتساقطات، حسب الكاتب، يحدث الجفاف عندما تكون (ISP) سلبية على التوالي وتصل قيمتها إلى شدة 1- أو أقل وتنتهي عندما يصبح (ISP) إيجابيًا. يتم الحصول على شدة الجفاف بجمع جميع قيم (ISP) خلال الفترة الزمنية الجافة.

الجدول رقم 3. شدة مؤشر الموحد للتساقطات (ISP).

مؤشر الموحد للتساقطات(ISP)	نوعية الجفاف
2 فأكثر	رطوبة عالية جدا

1.50 الى1.99	رطوبة عالية
1.0الى1.49	رطب
0.99- الى0.99	شبه رطب
1.0- الى 1.49 -	شبه جاف
1.50-الى 1.99-	جفاف قوي
2.0-فأقل	جفاف جد قوي

المبيان رقم 4. توزيع الفترات المطيرة والجافة اعتمادا على مؤشر الموحد التساقطات ISP.

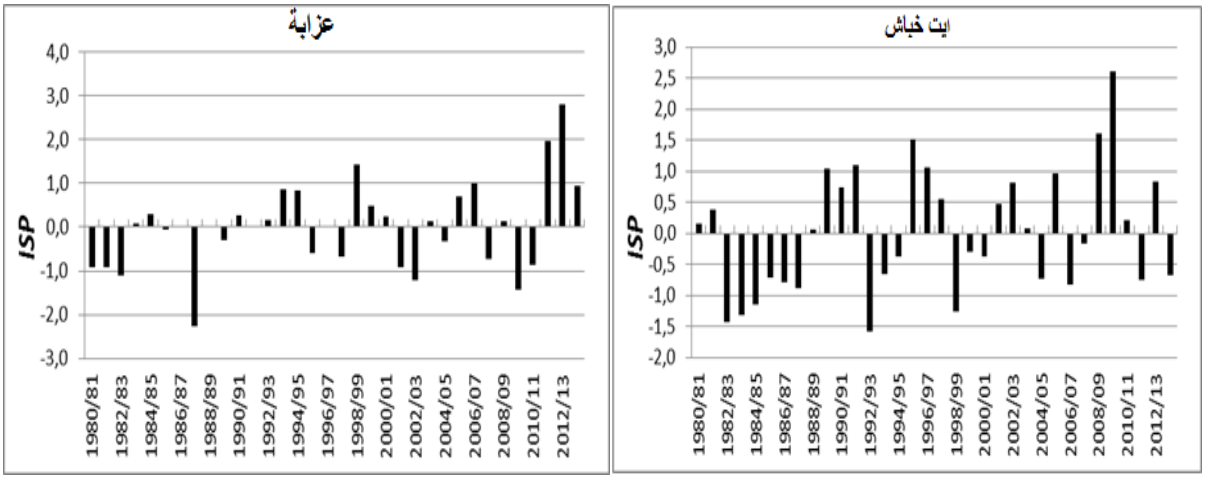

تشير دراسة نسبة الفترات الرطبة والجافة، باعتماد مؤشر الموحد للتساقطات (ISP) خلال الفترة ما بين 81/1980 و14/2013 بعالية حوض سبو إلى مجموع 85,29% من السنوات المطيرة المسجلة بمحطة ايت خباش، حيث تهيمن عليها السنوات الشبه الرطبة بنسبة 67,65. أما مجموع السنوات الجافة فقد وصل إلى 14,7%، منها 11,76 % من سنوات شبه الجافة. أما محطة عزابة، فقد سجلت ما مجموعه 87,35 %من السنوات المطيرة، حيث تسيطر عليها السنوات الشبه الرطبة بنسبة 73,53%. أما مجموع السنوات الجافة فقد وصل إلى11,74 %، منها 8,8 % من السنوات الشبه الجافة (الجدول رقم. 4).

الجدول رقم 4. نسبة مؤشر الموحد للتساقطات(ISP) بمحطة ايت خباش و عزابة.

ISP	رطوبة جد عالية		رطوبة عالية		رطب		رطوبة عادية		جفاف عادي		جفاف قوي		جفاف جد قوي	
المحطات	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%

ايت خباش	1	2,94	2	5,88	3	8,82	23	67,65	4	11,76	1	2,94	0
عزابة	1	2,94	2	5,88	2	5	25	73,53	3	8,8	0	0	1	2,94

يرجع اختلاف توزيع السنوات المطيرة والجافة بين المحطتين إلى وجود محطة ايت خباش في منطقة جغرافية (تحجب عليها الاستفادة من التساقطات المطرية(effet d'abri) خصوصا منها الأمطار الشمالية الغربية، عكس محطة عزابة التي تعرف زيادة في السنوات المطيرة نظرا لعامل التوجيه واستفادتها من الكتل الهوائية الرطبة سواء منها الشمالية الشرقية أو الشمالية الغربية.

5.دور الأيام المطيرة في زيادة صبيب العيون بعالية حوض سبو

لقد اعتمدنا في دراستنا لتردد الأيام المطيرة بعالية حوض سبو على السلسلة الاحصائية لمحطتين ايت خباش و عزابة من 81/1980 إلى 14/2013، وكذا على خرائط الطقس التي حصلنا عليها من الموقع الألماني .http://www1.wetter3.de

نستخلص من الجدول أسفله ومن بعض الدراسات التي قام بها كل من DRIOUECH F. (2010) و JANATI IDRISSI. A (2010)، أن هناك تركز في عدد الأيام المطيرة بالفئات من 6 إلى 9.9 ملم بعالية الحوض بسبب تأثره بالاضطرابات الشمالية و الشمالية الغربية، و كذا الاضطرابات الجنوبية الغربية.

الجدول رقم 5 .عدد أيام المطيرة حسب فئات التردد بمحطة ايت خباش(81/1980- 14/2013).

فئات التردد	عدد الأيام المطيرة
0.1 -2.9	847
3-5.9	478
6-9.9	269
10-19.9	211
20-49.9	70
50-99.9	3
<100ملم	0

إذا حاولنا مقارنة عدد الأيام المطيرة بعالية الحوض، نلاحظ أن فئة التساقطات المطرية [0.1-2.9] ملم جد مهمة بمناطق الأطلس المتوسط بلغ عدد أيامها المطيرة حوالي 847 يوم مطير خلال الفترة (81/1980- 14/2013)، ويرجع زيادة كميات الأمطار بهذه المناطق إلى عامل الارتفاع، و الاستفادة من تردد الكتل الهوائية الرطبة المحيطية. بينما تشكل الزخات المطرية القوية المركزة والكتل الهوائية الرطبة الشمالية الشرقية بعالية حوض سبو أهم عوامل زيادة صبيب العيون، وهذا ما

يترجمه توالي الفئات المطرية من 10 الى 19.9 ملم في مدة زمنية تصل الى 211 يوم خلال الفترة الزمنية المدروسة، أما باقي الفئات المطرية فلها تأثير ضعيف يعكسها الجدول أعلاه.

6. تأثير التغايرية المناخية على صبيب عيون سبو الأعلى

1.6.الصبيب السنوي للمنابع المائية وتردده بعالية سبو

تظهر المبينات رقم: 5و6و7 و كذلك الجدول رقم .6 عدم انتظام واضح لمتوسط الصبيب السنوي لجميع المنابع المائية التي تمت دراستها بعالية حوض سبو، حيث يتراوح معامل التغير ما بين 45.6 و 53.2%، كما أن أعلى صبيب سجل بمنابع عالية سبو يوم 03 يونيو 1986: 8790 ل/ث بعين سبو، وأقل صبيب سجل بالحوض يوم 28 نونبر2011: 33 ل/ث بعين وامندر.

الجدول رقم .6: الخصائص الهيدرولوجية لصبيب بعض العيون بعالية سبو خلال فترة (1981-2016).

اسم المنبع المائي	الصبيب الادنى	الصبيب الأقصى	متوسط الصبيب	الفارق النوعي	معامل التغير(%)
عين سبو	900	8790	2419,9	1180	48,8
عين وامندر	33	551	281,5	148,5	53,2
عين تمدرين	151,8	5977	932,1	425	45,6

عين سبو:



يتذبذب النظام الهيدرولوجي لعين سبو تبعا لنوعية الحالات الجوية المهيمنة و لكميات التساقطات المطرية خلال هذه الفترة (مبيان رقم.5 والجدول رقم .6)، تدريجيا ليصل إلى متوسط الصبيب السنوي 2419,9 ل/ ث، وأعلى متوسط صبيب سنوي إلى 4358ل/ث، كما أن أقل صبيب يومي سجل في 03 أبريل 1985، حيث وصل إلى5 ل/ث، حيث تميزت الحالة الجوية في هذه الفترة بالاستقرار الجوي الذي وصل إلى hPs1025 والصبيب اليومي الأقصى 8790

ل/ث المسجل يوم 03 يونيو1986 بسبب تشكل منخفض صغير في عالية حوض سبو http://www1.wetter3.de . من جهة، تظهر الفترة من 1982 إلى 1985 تراجع كبير للصبيب، وذلك راجع إلى فترات الجفاف المعمم في جميع أنحاء المغرب حسب باحو عبد العزيز (2002). ومن جهة أخرى، فالسنوات 1981 :(4358 ل/ث)و 1986:(3346ل/ث) و1997 (3556 ل/ث) هي فترات تتميز بارتفاع الصبيب (الصورة رقم.1).

الصورة رقم1.عين سبو.



من خلال المبيان أسفله، نلاحظ أن عين سبو خلال الفترة الزمنية من 1980 إلى 2001، عرفت تراجع مستمر في الصبيب المائي، لكن هذا التراجع يظهر جليا خلال سنوات 1982و1983و1984و1985 نظرا لتأثره بفترات الجفاف بشكل واضح.

المبيان رقم 5. التوزيع السنوي لصبيب عين سبو (1980-2001).

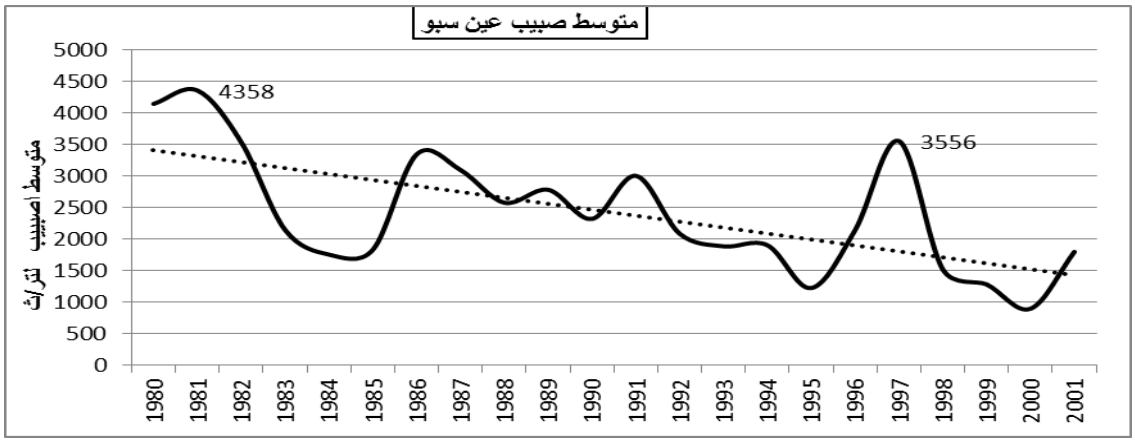

أما فيما يخص فترات احتمالية تردد صبيب منابع بعالية حوض، فقد اعتمدنا على قوانين احصائية منها La loi de Gumbel. من أجل الشروع في تطبيق هذا القانون قمنا بعملية ترتيب تصاعدي للسلاسل الزمنية لصبيب العيون الثلاث، قبل أن نستخرج التكرار الجمعي باعتماد القاعدة الرياضية التالية :

$$fi = \frac{n - 1}{N}$$

fi=التكرار ؛ n=الرتبة ؛ N=عدد السنوات المكونة لسلسلة القياس؛

بعد القيام بعملية الاسقاط بين الصبيب المرتب والتكرار الموافق له حيث تم الحصول على نقط موزعة بشكل شبه مستقيم حول المنحنى على ورقة Gauss حيث نلجأ إلى تقدير كمية الصبيب المحتمل:

$$P(t) = \bar{Q} + (\mu f . \sigma P)$$

$\bar{Q}$ = متوسط الصبيب وμf = متغير كوس مصفر وσP = الانحراف المعياري، والنتائج المحصل عليها يلخصها الجدول التالي :

الجدول رقم .7. مختلف فترات الرجوع لصبيب بعض العيون بعالية سبو.

فترات الرجوع / صبيب لتر/ث	2	5	15	20	25	50	75	100
عين سبو (1980-2001)	1461	3578	5770	6324	6750	8064	8827	9948
عين تمدرين (1980-2016)	126	426	738	816	877	1063	1172	1331

عين اومندر(1980-2016)	603	1446	2320	2540	2710	3234	3538	3984

يتضح لنا من خلال الجدول رقم.7، أن صبيب العيون يختلف من فترة زمنية إلى أخرى، حيث نجد على سبيل الذكر أن صبيب عين سبو وصل خلال فترة التردد خمس سنوات إلى 3578 ل/ث، بينما سجل خلال فترة تردد 50 سنة حوالي 8064 ل/ث، الشيء الذي يعكس أهمية الموارد المائية بعين سبو رغم تذبذب صبيبها من سنة لأخرى.

عين تمدرين:

عرفت عين تمدرين تذبذبا في النظام الهيدرولوجي (المبيان رقم.6 والجدول رقم .5) الشيء الذي يترجمه التراجع الحاصل على مستوى معامل التغير 45.6%،لكن تبقى النزعة العامة لصبيب العين في اتجاه التطور الايجابي بعد عودة السنوات المطيرة 2010 و2014. سجلت عين تمدرين متوسط الصبيب السنوي 92.1ل/ث، كما سجلت أقل صبيب يومي في 03 أبريل 1985،حيث وصل إلى0.5 ل/ث، والصبيب اليومي الأقصى 5977 ل/ث المسجل يوم 20 فبراير2013. وتظهر الفترة من 1982 إلى 1990 صبيب منخفض متأثر بفترات الجفاف. ومن ناحية أخرى فإن سنوات 81/1980 و من 1995 إلى 1998 ومن 2008إلى2010، هي فترات تتميز بصبيب عالي جدا، حيث وصل الصبيب اليومي إلى 5977 ل/ث بعين تمدرين في يوم 21أبريل 2014(المبيان رقم.6)، نظرا لتردد الاضطرابات الجوية غير المستقرة التي هيمنت خلال هذه السنوات.



الصورة رقم2.عين تمدرين.

المبيان رقم 6. التوزيع السنوي لصبيب عين تمدرين (1980-2016).

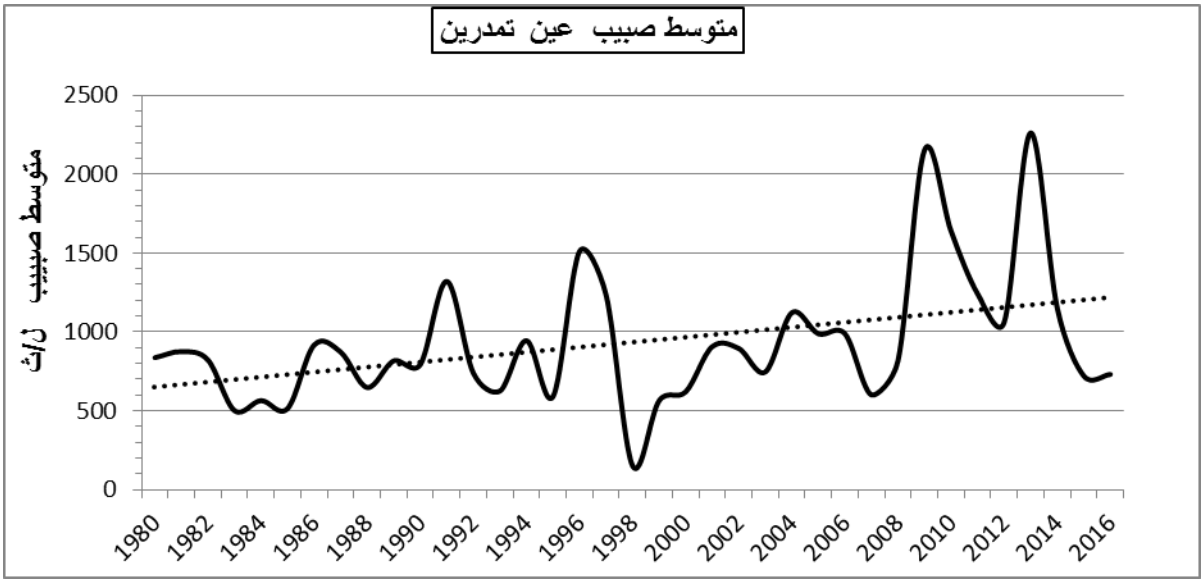

نلاحظ من خلال المبيان رقم. 6، أن عين تمدرين قد عرفت ارتفاعا في الصبيب المائي خلال هذه الفترة الزمنية (1980-2016)، و يعزى هذا الارتفاع في الصبيب إلى الوضعية الطبوغرافية للعين ولتشكيلاتها الصخرية المكونة من اللياس و الكلس التي تسمح بتدفق كميات كبيرة من المياه نحو السطح خلال نزول الزخات المطرية المركزة بعالية حوض سبو. ومن خلال الجدول رقم.6، قمنا بدراسة فترات تردد صبيب عين تمدرين خلال هذه الفترة الزمنية(1980-2016)، اتضح لنا أن صبيب يختلف من فترة زمنية إلى أخرى، حيث نجد أن صبيب عين تمدرين وصل خلال فترة التردد خمسة عشر سنة إلى 738 ل/ث، بينما سجل خلال فترة تردد 75 سنة حوالي 1172 ل/ث.

عين وامندر:

يظهر تحليل متوسط الصبيب السنوي بعين وامندر عدم انتظام ملحوظ بين السنوات (المبيان رقم . 7 والجدول رقم.6)،حيث يعرف صبيب العين اختلافا كبيرا من سنة إلى أخرى بمتوسط صبيب وصل إلى 350.8 ل/ث، لكن هذا الصبيب يبقى ضعيفا مقارنة مع متوسطات الصبيب لكل من عين سبو وعين تمدرين. سجلت عين وامندر أقل صبيب يومي في 28 نونبر2011 ،حيث وصل إلى33 ل/ث والصبيب اليومي الأقصى 551 ل/ث المسجل يوم 27 مارس 2013(المبيان رقم . 7).

طبقا للمبيان أسفله، نلاحظ أن عين وامندر قد عرفت ارتفاعا ملموسا خلال الفترة المدروسة (1980-2016)، ويمكن تفسير هذا التطور الايجابي في الصبيب إلى النظام الكارستي المكون من اللياس والكلس الذي يسمح بتدفق كميات كبيرة من المياه نحو السطح خلال توالي الفترات الجوية الرطبة بعالية حوض سبو. انطلاقا من الجدول رقم. 6 تم تحديد فترات

الرجوع لصبيب عين وامندر خلال الفترة الزمنية المحددة من 1980إلى 2016، يتبين لنا أن فترات التردد جد مختلفة، حيث نجد أن صبيب عين وامندر، سجل خلال فترة التردد عشرون سنة 2540 ل/ث، بينما قارب خلال فترة تردد 100 سنة حوالي 3984 ل/ث.

المبيان رقم 7. التوزيع السنوي لصبيب عين اومندر (1980-2016).

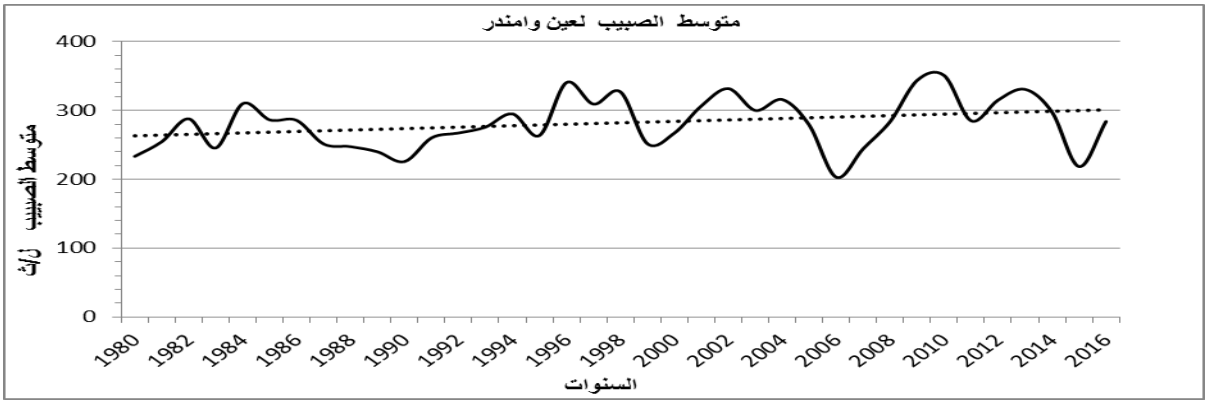

2.6.الصبيب الشهري

عين سبو:

يتوزع متوسط الصبيب الشهري ما بين شهر يناير 1980 إلى شهر يوليوز من سنة 2001، حيث وصل متوسط صبيب العين إلى 2674,04 ل/ث. فالمبيان رقم .8 يظهر تطور الصبيب الشهري لعين سبو خلال المدة الزمنية 21 سنة، والتي لها علاقة بتوزيع التساقطات المطرية خلال هذه الفترة (المبيان رقم. 3) و التي تعرف تركز الأمطار في فصل الشتاء والربيع بفعل توالي الكتل الهوائية الرطبة. كما نلاحظ تراجع صبيب عين سبو من شتنبر إلى فبراير، ويعزى هذا التراجع أساسا إلى توالي الشهور الجافة التي هيمنت بداية من سنوات 1983(ثاني شتنبر: 104ل/ث) إلى حدود سنوات 1985(22ماي: 7090ل/ث)، بينما نرى زيادة صبيب عين سبو ابتداء 3 مارس 1986، حيث سجل هذا الشهر حوالي 8790 ل/ث بعد توالي التساقطات المطرية الشهرية المهمة (40 ملم في11 فبراير 1986) التي عملت على تعبئة الفرشة المائية، و يعد شهر ماي من الشهور التي تعرف فيه عين سبو تدفقا كبيرا وصل إلى حوالي 5601 ل/ث، بينما يعتبر شهر أكتوبر من بين أشهر السنة الذي يقل فيه صبيب عين سبو حيث ينحدر إلى 1176ل/ث.

المبيان رقم 8. التوزيع الشهري لصبيب عين سبو (1980-2016).

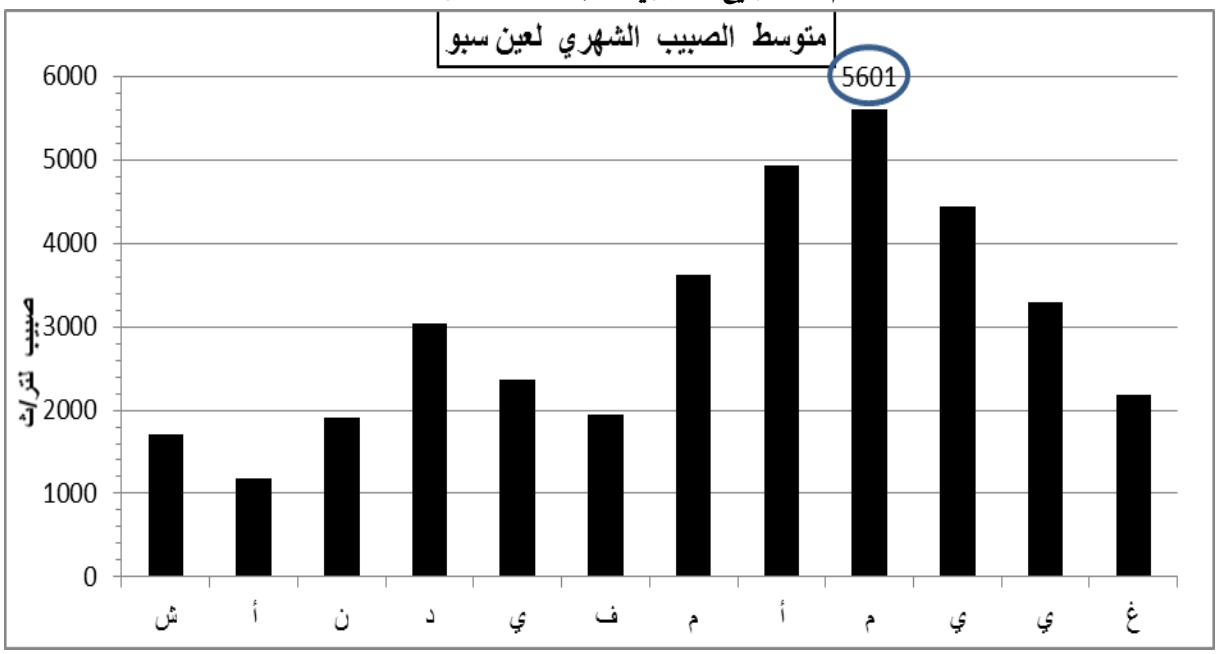

عين تمدرين:

يصل متوسط الصبيب الشهري بعين تمدرين ما بين شهر فبراير 1980إلى شهر اكتوبر من سنة2016 إلى 879 ل/ث. فالمبيان رقم .9 يظهر تطور الصبيب الشهري لعين تمدرين خلال 36سنة، والتي لها علاقة بتوزيع التساقطات المطرية الشهرية خلال هذه الفترة المدروسة(المبيان رقم. 3)، كما نلاحظ أن التوزيع الشهري لصبيب عين تمدرين عرف تركز كبيرا خلال شهر أبريل حيث وصل صبيب العين إلى 1498 ل/ث، بينما تعد شهور شتنبر و أكتوبر و نونبر من الشهور التي تعرف تناقصا كبيرا في صبيب العين حيث يتراوح ما بين 517ل/ث و 539ل/ث.

المبيان رقم 9. التوزيع الشهري لصبيب عين تمدرين (1980-2016).

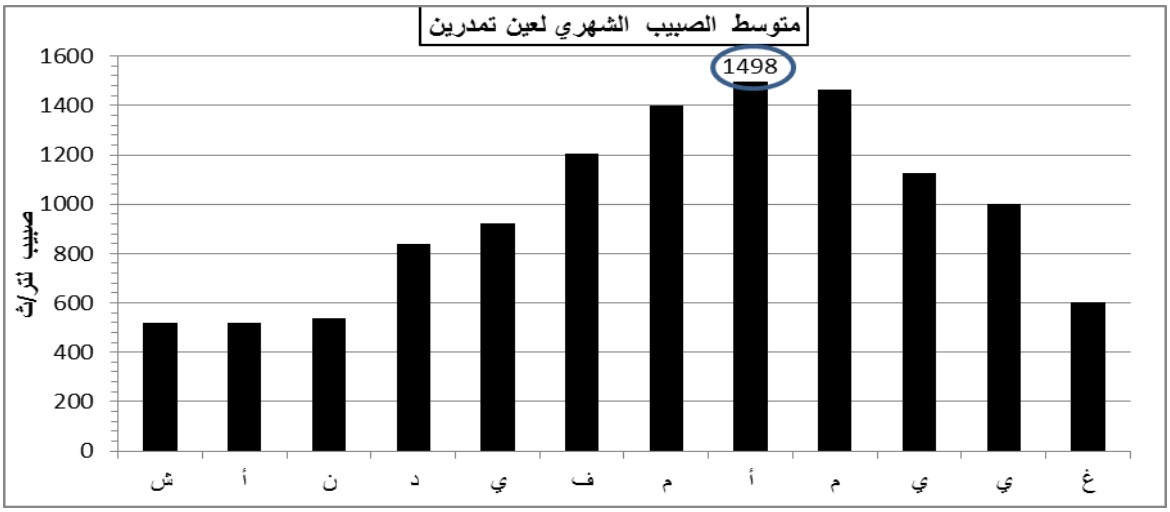

يعزى تراجع صبيب عين تمدرين أساسا إلى توالي الشهور الجافة التي هيمنت بداية من سنة 1980 (10فبراير:508ل/ث) إلى حدود سنة1986(18مارس :2750 ل/ث)، و كذا إفراغ الفرشات المائية الكارستية خلال فصل الصيف، بينما نرى زيادة في صبيب عين تمدرين خلال الفصل المطير من شهر دجنبر إلى ماي ابتداء من سنة 1991(6 فبراير : 3195ل/ث).

عين وامندر:

وصل متوسط الصبيب الشهري خلال الفترة المدروسة من 1980 إلى2016 حوالي 285 لتر/ث. فالمبيان رقم .10 يبين تطور الصبيب الشهري لهذه المحطة الهيدرولوجية. كما نلاحظ زيادة خفيفة لصبيب عين وامندر، حيث عرف تطورا ايجابيا من بداية السنة الهيدرولوجية : شهر شتنبر وأكتوبر نظرا لمرور بعض الزخات المطرية العاصفية خلال هذه الفترة من السنة، تم تلتها فترات تراجع صبيب عين إلى 241 ل/ث في شهر أكتوبر1989 ليعيد ارتفاعه ابتداء من 22 ماي 1993 ب 329 ل/ث، ويرجع هذا التطور الايجابي أساسا إلى ارتفاع صبيب عين وامندر بعد توالي الفترات الرطبة التي تتراوح كميات الأمطار ما بين 40و 45 ملم في شهر أبريل من هذه السلسلة الاحصائية المدروسة، و التي كان لها الفضل في تعبئة الفرشة المائية بعالية حوض سبو.

المبيان رقم 10. التوزيع الشهري لصبيب عين اومندر(1980-2016).

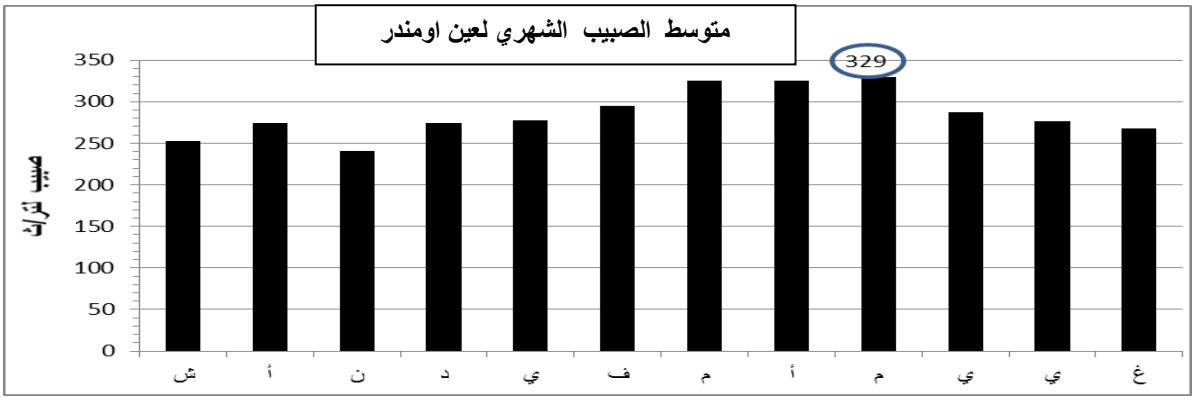

وفي ختام هذه الدراسة، يمكننا أن نستنتج من خلال تحليلنا لمجموعة من الحالات الجوية المهيمنة على عالية حوض سبو انطلاقا من الموقع الألماني http://www1.wetter3.de ، أن هناك هيمنة للحالات الجوية غير المستقرة بعالية حوض سبو، حيث وصل ترددها إلى 11.9% من مجموع حالات الطقس المضطربة التي عرفها حوض سبو خلال الفترة الزمنية (من 81/1980 إلى 14/2013)، وتوزيعها على فترات مختلفة من السنة، الشيء الذي يترجم تذبذب في صبيب العيون المدروسة من سنة إلى أخرى، تبعا لتوالي السنوات الجافة والمطيرة.

نستنتج كذلك أن صبيب عين سبو و تمدرين و وامندر له ارتباط كبير بكميات التساقطات المطرية و الثلجية التي يعرفها عالية حوض سبو، وكذا بتغير السلوك الهيدرولوجي لصبيب هذه العيون بفعل عامل الكارستية(عين سبو) التي تعمل على خصم كميات من صبيب واد سبو عند تراجع مستوى الفرشة المائية والتدخل البشري (ضخ المياه) بسبب تزايد الزراعات الورديات بالمنطقة و التغيرات المناخية الذي تترجمه التطور السلبي في صبيب بعض العيون (عين سبو) بفعل طول مدة الفترات المناخية الجافة التي يعرفها المغرب، الشيء الذي أدى بشكل كبير إلى تناقص و نضوب صبيب بعض العيون خلال هذه السنوات.

البيبليوغرافية:

Agence hydraulique du bassin du Sebou,(2010): Evénements hydrologiques des mois de décembre 2009 et janvier 2010. Royaume du Maroc.

Akdim, B. & Sary, M. (2001): La sécheresse hydrologique récente dans le bassin du Haut Sebou (Moyen Atlas, Maroc). – Mosella 25(3–4): 71–84.

Akdim, B. et al (2012): Influences hydro karstiques du système sourcier Aïn Sebou-Timedrine-Ouamender Sur l'hydrologie de l'oued Sebou. Article in Zeitschrift für Geomorphologie.19P

Amraoui, F. Razack, M. & Bouchaou, L. (2004): Comportement d'une source karstique soumise à une sécheresse prolongée: la source Bittit (Maroc). – C.R.Geoscience 336: 1099–1109.

CHKHAMI. KH (2020): Les caractéristiques hydroclimatiques du bassin versant de Sebou et études des crues inondables: (Genèse Atmosphérique, Spatialisation et Impact sur la plaine du Gharb). Thèse de doctorat, CED: Langues, patrimoine et aménagement spatiale. Faculté des lettres Sais- Fès.

MCKEE, T. B, DOESKEN, N. J. & KLEIST, J.(1993) "The relationship of drought frequency and duration to time scales. Preprints". Eight Conf. on Applied Climatology (Anaheim,California, USA).

Driouch, F. (2010). Distribution des précipitations hivernales sur le Maroc dans le cadre d'un changement climatique. Thèse de Doctorat de l'Institut national polytechnique de Toulouse, 163 p.

El Kahlki, Y. & Hafid, A. (2001): Contribution à l'étude hydrologique de quelques sources karstiques du Moyen Atlas: Aïn Timedrine – Ouamender. – Mosella 25: 153–164.

Gumbel, E. (1956) : Méthodes graphiques pour l'analyse des débits de crues. La Houille blanche. Nov.1956, pp.709-717.

Jannati Idrissi . A, (2010) : Situations pluviométriques extrêmes et impacts engendrés au Maroc : Cas de l'année 2008-2009 .Article de revue géomaghreb ; Vol n 6 /2010. Faculté des lettres Sais Fès.

Martin, J. (1981): Le Moyen Atlas septentrional: étude géomorphologique. – Mém. S. Géol., Rabat 258, 445 p.

Nejjari, A. (2004): La Sécheresse, l'eau et l'homme dans le Bassin Versant du Haut Sebou (Moyen Atlas Septentrional - Maroc). Thèse de doctorat, CEGUM, Université de Metz, 350 p.

باحو عبد العزيز(2002): الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه و علاقته بأليات الدورة الهوائية واثره على زراعة الحبوب. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا تخصص: علم المناخ. جامعة الحسن الثاني –كلية الآداب و العلوم الانسانية –المحمدية، 618ص.

موقع ألماني خاص بنمذجة حالات الطقس :http://www1.wetter3.de

التخطيط العمراني ومسألة إدراج البعد البيئي بضاحيتي مدينتي فاس ومكناس– المغرب-

Urban Planning and the Incorporation of the Environmental Dimension in the Suburbs of the Cities of Fes and Meknes

خالد العلوي*، سعيد الصغير**

***طالب باحث بسلك الدكتوراه**، مختبر البحث في التدبير الترابي والتواصل والنمذجة، الكلية المتعددة التخصصات خريبكة، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال.

****أستاذ التعليم العالي**، مدير مختبر البحث في التدبير الترابي والتواصل والنمذجة، الكلية المتعددة التخصصات خريبكة، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال.

kh.elalaoui@yahoo.fr . sghirs@yahoo.f .

ملخص: تعتبر البيئة منظومة معقدة لها اهميتها عند القيام بالتخطيط العمراني، لان اعتمادها يساهم في خفض التلوث وحماية المجال البيئي وتثمينه. لهذا فالرهان الأساسي بالمجال عموما والمجال الضاحوي بالخصوص هو تحقيق تنمية مستدامة تنبني على ادراج البعد البيئي في جميع مراحل الإعداد والتخطيط العمراني، حيث إن حضوره بالمخططات ووثائق التعمير، لا يتعدى الدراسة والتشخيص، دون تنزيل او تفعيل ما نصت عليه وثائق التعمير، فتظل المساحة المخصصة للمجالات الخضراء مثلا فارغة إلى أن تصبح متجاوزة.

يحاول هذا المقال مقاربة الوضع البيئي من خلال البحث في مدى استحضاره في مخططات ووثائق التعمير، وكذا البحث في الواقع البيئي بالمراكز الضاحوية التابعة لمدينتي فاس ومكناس.

الكلمات المفاتيح: البيئة – التخطيط العمراني – المجال الضاحوي – تنمية مستدامة

Abstract : The environment is a complex system that is important when urban planning is undertaken, because adopting it contributes to reducing pollution, protecting and valuing the environmental area. Thus, the crucial challenge in the space in general and the suburban space in particular is to achieve sustainable development based on the incorporation of the environmental dimension in all stages of urban preparation and planning, as its presence in the schemes and reconstruction documents does not go beyond study and diagnosis, without applying or implementing as provided for in the reconstruction documents, so the space allocated to the green fields, for example, remains empty until it becomes overridden.

This article attempts to approach the environmental situation by examining the extent to which it is evoked in reconstruction schemes and documents, as well as researching the environmental reality in the suburban centers of the cities of Fez and Meknes.

Key words: environment - urban planning - spatial suburb - sustainable development

مقدمة:

يعد المخطط المديري للتهيئة العمرانية وثيقة استشرافية، تتضمن المكون البيئي، خاصة فيما يتعلق بالأحزمة الخضراء والبيئة الحضرية عموما، لكن تنزيل هذه المعطيات البيئية تقتصر على الوثائق التنظيمية (تصميم التهيئة)، الامر الذي يدعوا إلى طرح السؤال: إلى أي مدى تحترم تصاميم التهيئة مضامين ومقتضيات الوثيقة التوجيهية المتمثلة في المخطط المديري للتهيئة العمرانية؟ بالإضافة إلى ذلك فهناك إشكالات أخرى ترتبط بعدم تنزيل المشاريع البيئية، كقوانين الاستثناء، فغالبا ما يتم بمقتضاها تغيير وظيفة الأراضي المخصصة للمجالات الخضراء، الساحات العمومية أو التجهيزات والمرافق العمومية...، وضعية يزيد من تفاقمها ضعف الاحتياطات العقارية.

بناء على ذلك يمكن القول بان الاهتمام بالمجال البيئي بالضاحية يكاد يكون منعدما، باستثناء بعض المراكز الضاحوية الحضرية التي تستفيد من التدبير المفوض في جمع النفايات المنزلية، وبعض المجالات الخضراء الخجولة، مما يجعل الضاحية مجالا للسكن فقط.

خريطة 1:حالات الدراسة بالمجال الضاحوي التابع لمدينتي فاس ومكناس

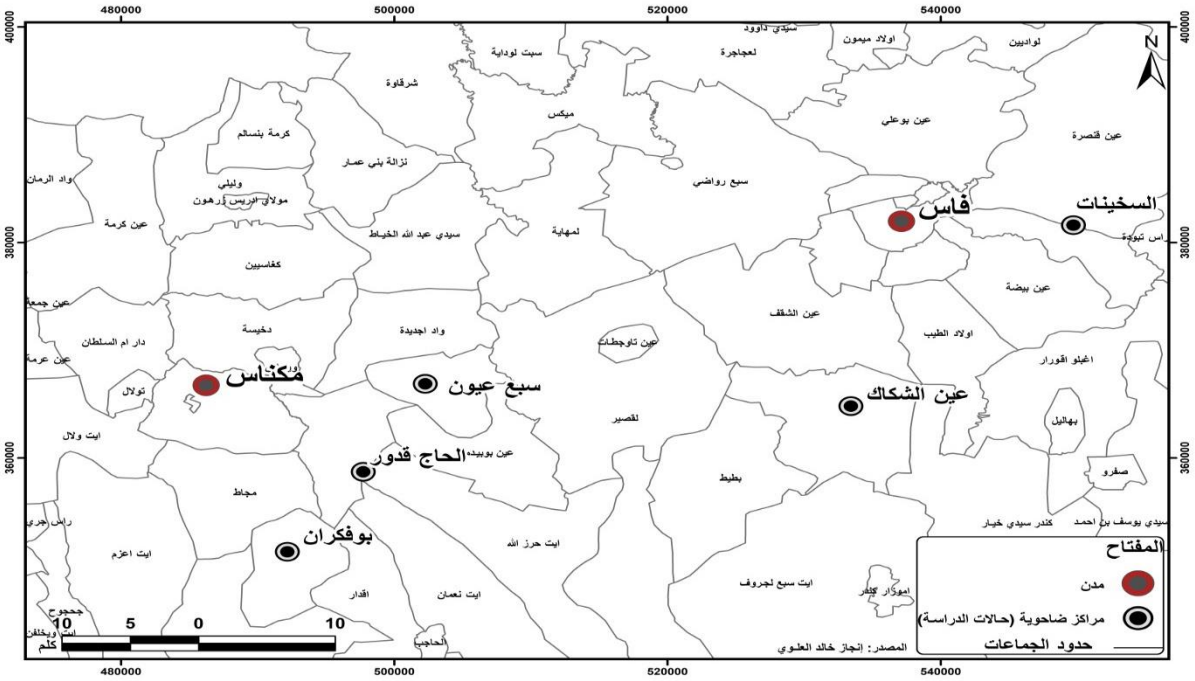

وضع بيئي حرج بالمجال الضاحوي

يهدف الإطار الإداري للجماعات الترابية والسلطات العمومية إلى حماية البيئة عن طريق تأهيل المجالات المتأزمة، وإدماج التخطيط البيئي ضمن السياسات العمومية، كسياسة التزود بالماء الصالح للشرب، والصرف الصحي...، والتخطيط الحضري، لتفادي التخطيط العشوائي لضواحي المدن. وبالرغم من هذه السياسات والإجراءات، مازال المجال الضاحوي، يعاني من تردي الوضع البيئي، من خلال ضعف التردد على جمع النفايات، والتغطية بشبكة الصرف الصحي.[85]

تردي الوضع البيئي بالضاحية رغم التردد على جمع النفايات:

يعتبر تدبير النفايات من المشاكل اليومية التي تواجه المسؤولين عن تدبير الشأن المحلي والساكنة، حيث الارتفاع المتزايد في أعداد سكان الضاحية واتساع مساحة المجال البيئي، يرافقه تطور منظومة عيش السكان وتزايد الاستهلاك، الأمر الذي يؤدي إلى تراكم النفايات المنزلية في كل مكان داخل المراكز، مما يؤثر على صحة الساكنة وتلويث الشوارع والأزقة لتصبح في حالة غير لائقة.

مبيان1: التردد على جمع النفايات %

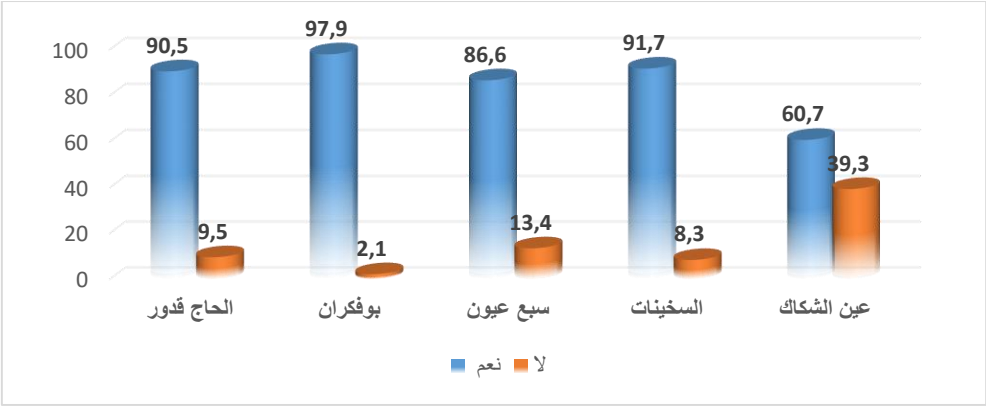

المصدر: بحث ميداني 2018

[85] أنفلوس محمد. (2000): تحولات البيئة الحضرية المغربية: مدخل لمستقبل جغرافية الصحة. المدينة المغربية في أفق القرن الواحد والعشرين بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات رقم12. ص 108-109

اتضح بأن نسبة التردد على جمع النفايات مرتفعة، وهذا لا ينفي الاشكالات المرتبطة بمسألة تدبير جمع النفايات ف 97.9% من المستجوبين صرحوا بتردد المستخدمين في مجال النظافة على المنازل لجمع الأزبال ببوفكران، و86.6% بسبع عيون، 90.5% بالحاج قدور، في حين أن هذه النسبة بلغت 91.7% بالسخينات و 60.7% بعين الشكاك، ورغم ذلك تبقى بعض الأحياء غير مشمولة بعملية جمع الأزبال.

تعرف المراكز الضاحوية عدة اختلالات تتمثل، في كون عدد المستخدمين بالنظافة غير كافي خاصة بسبع عيون وبوفكران، الأمر الذي يؤدي إلى تراكم النفايات، في ظل نقص عدد الحاويات الخاصة بذلك، أما بمراكز أخرى كالحاج قدور والسخينات فالجماعة هي من تتكلف بجمع النفايات، لكن هذا غير كافي رغم صغر حجم هذه المراكز. وتعرف عملية جمع النفايات تماطلا من قبل المسؤولين، حيث تتميز بالتقطع والتأخر وعدم الانتظام، مما يؤثر على المشهد العام للمراكز، وبالتالي فالجهود المبذولة ستكون من طرف الجماعات المحلية التي لها احتكاك مباشر ويومي بالمجال، في إطار مقاربة تشاركية بين الجهة والساكنة لتصل إلى مراكز ضاحوية نظيفة.

يجب ادراج البعد البيئي بشكل عام ضمن مخططات التهيئة، والحرص على تنزيل مقتضياتها، حيث أن التدخل لمعالجة الاشكالات البيئية أصبح أمرا في غاية الأهمية، لأن السكان يقصدون الضاحية هروبا من التلوث والضجيج وبحثا عن مجال أكثر هدوء ونظافة.

صورة 1: ضعف الاهتمام بجمع النفايات وتدبيرها بالمجال الضاحوي



المصدر: صورشخصية 2018

2.1. نقص واضح في توفر المجال الأخضر بالمراكز الضاحوية:

يشكل المجال الأخضر أبرز أركان البيئة الحضرية، ذلك للأدوار المتعددة التي يلعبها داخل المراكز الضاحوية، كتنظيف الهواء، وإضافة نوع من الإنسجام بداخلها.

تعاني الضاحية من نقص واضح فيما يخص تزويدها بالمجالات الخضراء، فهي تعرف عدة مشاكل أدت إلى الإجهاز عليها، من بينها التقليل من أهمية المجال الأخضر ضمن التخطيط العمراني بكونه عنصرا كماليا وجماليا فقط، إضافة إلى حسابات الربح والخسارة في قطاع التعمير، فيتم تعويض المساحات الخضراء الكبرى بمناطق وتجزئات للسكن، ليقتصر المجال الأخضر على بعض من الأشرطة الضيقة بجنبات الطرق، كما أن وثائق التعمير لا تخصص مناطق كافية للمجال الأخضر، وهذا يعتبر من مظاهر الإهمال الذي تعانيه الضاحية التي يقصدها السكان من المدينة-المركز رغبة في الراحة وهروبا من ضجيج المدينة-المركز.

خريطة 2:تقييم المجال الأخضر بالمراكز الضاحوية

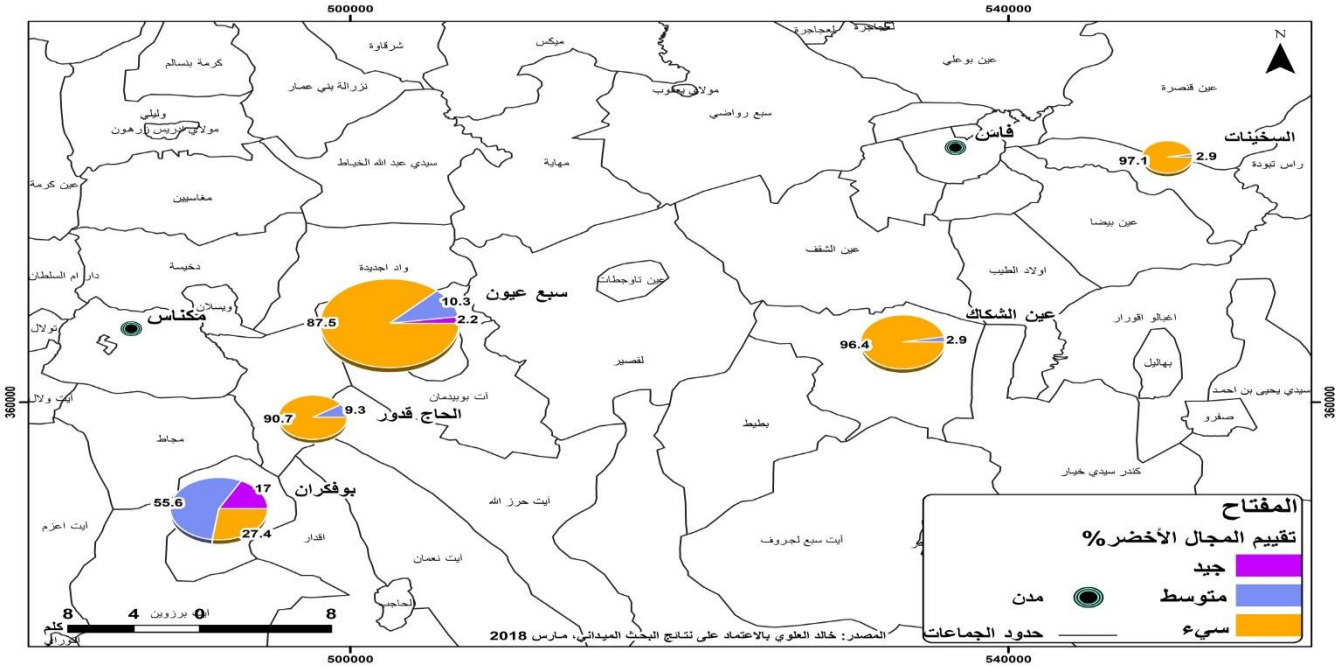

يعبر السكان عن عدم رضاهم عن وضعية المجال الأخضر، ف97.1% من أرباب الأسر صرحوا بضعف وسوء مستوى المجال الأخضر بالسخينات، حيث لا يتم استحضاره في التخطيط العمراني الذي يقتصر بالمجال الضاحوي على إعادة الهيكلة وبرمجة مشاريع سكنية، نفس النسب سجلت بعين الشكاك تقريبا حيث بلغت 96.4%.

صورة 2: مساحات خضراء جد متواضعة بالمجال الضاحوي





المصدر: صورشخصية 2018

تعرف ضاحية مكناس نفس الوضعية، بنسب أقل بقليل خاصة بسبع عيون 87.5%، والحاج قدور 90.7 %، حيث عبر السكان عن سوء وضعف مستوى المجال الأخضر الذي يقتصر فقط على مساحات ضيقة جدا تدهورت بفعل الإهمال، لكن المركز الضاحوي لبوفكران سجل نسبة 55.6% اعتبر من خلالها السكان المجال الأخضر متوسط، وذلك بتوفر بعض المساحات الضيقة على جنبات الطريق لكنها غير كافية في نظر السكان لتغيير وجه المركز والترويح عن النفس.

تزايد الضغط على المجال البيئي بالضاحية

تعرف الضاحية دينامية ديموغرافية متسارعة، ناجمة عن سلسلة الهجرات من الأرياف، والأزمة الحضرية التي أصبحت تشهدها مدن اليوم. مما أدى إلى ارتفاع الضغط على هذه المجالات، في ظل ضعف بنيات الاستقبال بها والبنيات التحتية، وجعلها تعاني من إشكالات بيئية مرتبطة أساسا بضعف تدبير النفايات الصلبة والسائلة، وانعكاساتها على المشهد العام للمراكز الضاحوية.

1.2. تؤثر النفايات الصلبة والسائلة على البيئة بسبع عيون:

تغطي مجال سبع عيون شبكة للصرف الصحي تتجاوز نسبتها 50%، ورغم ذلك فإنها تبقى ضعيفة بحيث أنها تطرح عدة مشاكل بفعل تقادمها، وعدم تغطيتها لجزء مهم من الأحياء السكنية الهامشية، كحي "آيت يحيى" الذي لا تتجاوز نسبة تغطيته 4.3% هذا فضلا على أن الشبكة جد مهترئة، و"حي الدندون" الذي لا يتوفر على شبكة للتطهير السائل، وحي "بوكنا" الذي تصل نسبة تغطيته إلى 20%....[86]

هذه الوضعية وما يرافقها من اكراهات، دفعت المجلس المحلي المسؤول على تدبير الشأن البيئي ومنذ سنة 2006 إلى سنة 2016، أن يقوم بتفويض قطاع التطهير السائل للمكتب الوطني للماء عن طريق التعاقد الدائم، مما سيسرع من انجاز محطة لمعالجة المياه المستعملة ومحاولة تعميم الشبكة على جميع الأحياء السكنية.

يشهد المركز دينامية ديموغرافية ارتفع على إثرها حجم النفايات الصلبة، الأمر الذي يطرح عدة صعوبات للجماعة الترابية في تدبير هذا القطاع، متمثلة اساسا في غياب سياسة واضحة في هذا الإطار، وضعف الامكانات التقنية والمادية والبشرية، مما دفع بالجماعة إلى التعاقد مع شركة أوزون في إطار التدبير المفوض بموجب عقد تمتد مدة صلاحيته على سبع سنوات من سنة 2014 إلى حدود دجنبر 2020[87].

يصل حجم النفايات اليومية إلى 20 طن، يتم الإلقاء بها في مطرح عشوائي جنوب سبع عيون، وسط مجال فلاحي خصب، مما سيؤثر سلبا على التربة والانتاجية الفلاحية بالمنطقة، وبما أن التربة بهذا المجال تمتاز بنفاذيتها، فهذا سيسهل تسرب الملوثات الناتجة عن المطرح إلى الفرشة الباطنية لتصبح مهددة بالتلوث، مما يستدعي إعادة النظر في موقع المطرح والعمل على تقنينه.

[86] المملكة المغربية وزارة الداخلية ولاية جهة فاس-مكناس عمالة اقليم الحاجب جماعة سبع عيون. (2018): برنامج عمل جماعة سبع عيون 2018-2023. ص24

[87] المملكة المغربية وزارة الداخلية ولاية جهة فاس-مكناس عمالة اقليم الحاجب جماعة سبع عيون. (2018): المرجع نفسه. ص25

يعاني مجال سبع عيون من مشكلات بيئية أخرى مرتبطة ببعض الوحدات الصناعية المجاورة، حيث ترمي بمخلفاتها السائلة في الطبيعة "كمعمل نورا" الذي يلقي بمخلفاته الناتجة عن تشغيل الأفران في موسم تحويل بعض الفواكه الجافة إلى مصبرات كالبرقوق والزيتون، ومخلفات معاصر الزيتون اثناء الجني.

شكل ضعف الربط بشبكة التطهير السائل بالنسبة لبعض الأحياء السكنية، تهديدا واضحا على المجال البيئي، وذلك لكون 80% من شبكة التطهير السائل بحي "آيت يحيى" تصب بالقرب من حي "دوار اجديد"، وتبقى 2000 متر من هذا الأخير وصولا إلى تجزئة بنسعيد غير مجهزة ومكشوفة، مما سبب ضررا على الأحياء المجاورة كتجزئة "بنسعيد" التي تقع بقرب مصب حي "آيت يحيى".

شكل إقدام شركة العمران عل مد قنوات الصرف الصحي لتجزئة البستان، وربطها بالوادي الذي يتوفر على عيون وآبار تزود الدواوير والأحياء المجاورة بالمياه، تأثيرا سلبيا على جودة المياه الجوفية التي أصبحت ملوثة، وغير صالحة للاستعمال، أما بالنسبة للأحياء التي لا تتوفر على شبكة للصرف الصحي فتلجأ للحفر، مما يؤثر على الفرشة الباطنية والتربة الخصبة بالمنطقة.

اتضح أن انتشار السكن العشوائي بسبع عيون كان له بالغ الأثر على المستوى البيئي، حيث جل هذه الأحياء لا تستفيد من شبكة للتطهير، مما يشكل خطرا بيئيا بمجال يمتاز بتربة خصبة وإنتاج فلاحي مهم بالإضافة إلى فرشة باطنية غنية، وهذا ما يدفع بالفاعلين المحليين والاقليميين لإيجاد حل بيئي للساكنة والأحياء المتضررة، من خلال تجهيز الأحياء الناقصة التجهيز.

التطهير السائل: مشروع ينتظر التعميم بمركز عين الشكاك

تعتبر محطة المعالجة للمياه المستعملة بفاس التي تم انشاؤها في نونبر 2014، من بين المشاريع المهمة للتقليص والتخفيف من أثر المياه العادمة على المجال والانسان، خاصة أنها جاءت لغرض الرفع من جودة مياه واد سبو، وتحسين الوضعية

الصحية لأزيد من 5 مليون نسمة تستقر بسافلة الوادي (اقاليم مولاي يعقوب، تاونات، سيدي قاسم، القنيطرة)، انطلاقا من معالجة مجموع المياه المستعملة قبل وصولها للواد[88].

تظل محطات المعالجة للمياه المستعملة جد متواضعة، بحيث ان جلها لا يشتغل بطريقة جيدة، ولا تغطي مجموع احياء المدينة كما هو الحال بالنسبة لمحطة المعالجة بمدينة مكناس التي لا تشتغل بصفة جيدة، ولا يستفيد منها سوى السكان والأراضي الفلاحية القريبة، إضافة إلى أن المياه ليست معالجة بكيفية جيدة، وبالتالي فهي تؤثر على المزروعات والفرشة الباطنية.

يعتبر التطهير السائل نقطة سوداء بالمجال الضاحوي تنتظر مجهودات وبرامج ترمي إلى تدبير جيد يستفيد منه السكان، فجميع المراكز الضاحوية تعاني من هذا المشكل لكن بتفاوت. يتوفر مركز عين الشكاك على نظام للتطهير السائل مزدوج، الأول خاص بمياه الأمطار والثاني للمياه المستعملة داخل المنزل، فقنوات مياه الامطار تتجه لتلقي بمقذوفاتها بواد" شكو"، في حين أن 57.4% من المساكن تعمل على تدبير المياه المستعملة بشكل فردي حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، الامر الذي يفرض جهود كبيرة لوضع شبكة عمومية للربط والتطهير السائل، كما تستعمل 33.4% من الأسر الحفر، و9.1% تلقي بالمياه المستعملة في الهواء الطلق، خاصة بين المساكن، أو ينتهي بها الامر بواد شكو.[89]

تشكل هذه الوضعية خطرا على البيئة وصحة السكان، فهذه المياه تلوث الفرشة الباطنية التي تستعمل في السقي عن طريق حفر الآبار، والمياه السطحية التي تستعمل بدورها لأغراض متنوعة. وبالتالي أصبح من الضروري وضع مخططات للتطهير السائل بعين الشكاك والضاحية عموما، ووضع محطات للمعالجة تستفيد منها الضاحية التي أصبحت في وضعية بيئية جد متدهورة نتيجة الاهمال والضغط المتواصل للسكان والمشاريع الاستثمارية، دون الانتباه إلى التبعات

[88] Cabinet BENMIMOUN M'hamed. (2017): Etude relative a la révision du plan d'aménagement du centre ain cheggag sis commune ain cheggag- province de sefrou- phase1: diagnostic territorial, orientations d'aménagement et projet de plan d'aménagement. Royaume du Maroc ministère de l'urbanisme et de l'aménagement du territoire. Agence urbaine et de sauvegarde de Fés.

[89] Cabinet BENMIMOUN M'hamed. (2017) .Op. Cit. P23

والمضاعفات البيئية الحالية والمستقبلية على السكان والمجال، والحيلولة دون بلوغ تنمية مستدامة بالضاحية من خلال خلق مجال قابل وملائم للعيش ووضع برامج ومشاريع تنموية تراعي المقومات الطبيعية والبشرية المتوفرة بالمجال الضاحوي.

تتوفر بالمجال الضاحوي وعين الشكاك على الخصوص مواقع طبيعية مهمة مهددة بالتلوث الناتج عن مقذوفات التطهير السائل، ومسألة الحفاظ عليها أصبحت ضرورية لخلق توازن بيئي ووسط طبيعي ملائم للعيش، هذا بالإضافة إلى كون هذه المواقع تلعب دورا رياديا في تنمية عدة أنشطة خاصة السياحية منها، لذلك وجب العمل على التحسيس بالمخاطر البيئية ووضع برامج استباقية لتلافي التدهور البيئي بالمجال.

التطهير السائل وحماية البيئة بالمجال الضاحوي السخينات

يعاني المجال الضاحوي عموما ومركز السخينات على وجه الخصوص من ضعف في شبكة التطهير السائل، بالرغم من أن الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 أوضح بأن نسبة الربط تصل إلى 96.1% مقابل 67.2% من مجموع الجماعة، حيث أن الأحياء الهامشية لا تتوفر على الربط بشبكة التطهير، إضافة إلى تنامي وحدات سكنية عشوائية بهامش المركز لا تتوفر على التجهيزات الضرورية، ومنها شبكة التطهير السائل، فضلا عن مخلفات الصرف الصحي التي تصب في الهواء الطلق بمركز السخينات مما يؤثر على المجال الطبيعي المحيط بالمركز، والذي هو عبارة عن أراضي زراعية ضيقة ومغروسات متنوعة إضافة إلى غطاء نباتي كثيف يغطي التلال المجاورة.

تجدر الإشارة إلى أنه من المرتقب إعادة هيكلة شبكة التطهير السائل بالسخينات وحل وضعية الأحياء الهامشية التي توجد في وضعية صعبة جدا تؤثر على صحة السكان والمجال البيئي، للحد من التلوث الناتج عن غياب هذه الشبكة، قصد حماية الموارد المائية السطحية والباطنية من خطر التلوث البيئي، من هذا المنطلق تمت دراسة مشروع بمبلغ 22 مليون درهم من أجل استفادة مركز سيدي حرازم والسخينات من محطة لمعالجة المياه العادمة التابعة للوكالة المستقلة للماء والكهرباء بفاس[90]، هذا المشروع سيكون له تأثير مهم على الوضعية البيئية بالمنطقة، حيث سيقلص بشكل كبير من المقذوفات والملوثات الناتجة عن مياه التطهير السائل ويساهم في اعادة استعمال المياه العادمة في السقي. لكن السؤال

[90] المملكة المغربية وزارة الداخلية ولاية جهة فاس مكناس جماعة سيدي حرازم. (2018): تقرير برنامج عمل جماعة سيدي حرازم. ص 34

المطروح هو إلى أي مدى سيتم تفعيل هذا المشروع؟ مع العلم أن التجارب في انجاز محطات المعالجة بالمغرب متواضعة جدا حيث أن فئة منها لا تشتغل، ولا يستفاد منها، وفئة أخرى لم يكتب لها الانجاز.

خاتمة:

تبين أن الوضع البيئي مقلق للغاية بضاحيتي مدينتي فاس ومكناس، ويتطلب تظافر الجهود من الفاعلين والمتدخلين لتجاوز مختلف الاشكالات البيئية التي تعانيها الضاحية، فالأمر يتطلب ادراج وتنزيل البعد البيئي ضمن مخططات ووثائق التعمير، حيث لا يتم التعمق في الاشكالات البيئية ولا يتم تفعيل مقتضيات البيئة الواردة بهذه المخططات، لتبقى الوضعية البيئية دون تدخل وتصبح الضاحية مرتعا لشتى أنواع المخالفات والتجاوزات البيئية. تعاني الضاحية عموما والمراكز الضاحوية الصاعدة على وجه الخصوص من ضعف واضح في جمع النفايات، حيث نجد الأزبال منتشرة بشكل كبير بفعل محدودية عدد المستخدمين والموظفين، وعدم إمكانية التعاقد مع شركة لجمع النفايات في إطار التدبير المفوض.

يتضح من خلال هذا المقال أن المجال الضاحوي يعاني من ضعف المجالات الخضراء، فرغم توفر هذه المراكز على وثائق للتعمير فهي تفتقد لمساحات خضراء تضيف جمالية للمراكز وتساهم في الحد من التلوث البيئي. كما يعتبر التطهير السائل نقطة سوداء بالضاحية المدروسة، نظرا لضعف تغطية المجال بقنوات الصرف الصحي، وما يفرزه من إشكالات بيئية تؤثر على المجال والإنسان.

قائمة المراجع:

أنفلوس محمد. (2000): تحولات البيئة الحضرية المغربية: مدخل لمستقبل جغرافية الصحة. المدينة المغربية في أفق القرن الواحد والعشرين بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات

المملكة المغربية وزارة الداخلية ولاية جهة فاس مكناس جماعة سيدي حرازم. (2018): تقرير برنامج عمل جماعة سيدي حرازم.

المملكة المغربية وزارة الداخلية ولاية جهة فاس-مكناس عمالة اقليم الحاجب جماعة سبع عيون. (2018): برنامج عمل جماعة سبع عيون 2018-2023.

Cabinet BENMIMOUN M'hamed. (2017): Etude relative a la révision du plan d'aménagement du centre ain cheggag sis commune ain cheggag- province de sefrou- phase1: diagnostic territorial, orientations d'aménagement et projet de plan d'aménagement. Royaume du Maroc ministère de l'urbanisme et de l'aménagement du territoire. Agence urbaine et de sauvegarde de Fés.

الماء الصناعي بين الاستهلاك و الترشيد: دراسة حالة مدينة القنيطرة "المغرب"

The industrial water between consumption and rationalization : The Kenitra city as a case study « morocco »

أكوتيم زكرياء، طالب باحث بسلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

z.agoutime@gmail.com

هدى مدني، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب

Houda.madani@gmail.com

ملخص:تعتبر مدينة القنيطرة من بين أهم المدن المغربية، نظرا للمكانة الاستراتيجية التي تحتلها، والدور الذي تلعبه كصلة وصل بين مدن شمال ومدن شرق المملكة المغربية، واحتوائها على الميناء النهري، الذي كان وراء ازدهار المدينة ديمغرافيا حيث كان عدد السكان 86775 نسمة سنة 1960، في حين بلغ سنة 2014، 423890 نسمة.

كما عرفت المدينة تطورا اقتصاديا تمثل في النشاط الصناعي، حيث بلغ عدد الوحدات الصناعية بالمدينة في حدود سنة 2015 ما يناهز 185 وحدة صناعية، يرتبط هذا القطاع بالماء ارتباطا وثيقا حيث يعتمد بالأساس عليه في جميع مراحل تصنيعه، و تقوم العديد من الصناعات أساسا على وجود هذه المادة الحيوية التي تتعدد استعمالاتها.

و من بين هذه الصناعات المستهلكة للماء بمدينة القنيطرة، نذكر: صناعة الورق و الكارطون، الصناعة الكيماوية وشبه الكيماوية، الصناعة الغذائية...، في حين نجد بعض المصانع التي تهتم بترشيد استهلاك الماء كنموذج مصنع الورق والكرطون CMCP.

الكلمات المفاتيح: الماء، الصناعة، الاستهلاك، الترشيد.

Abstract: The city of Kenitra is considered as the most important Moroccan cities, due to the strategic position it occupies, and the role it plays as a link between the cities of the north and the eastern cities of the Kingdom of Morocco. And, it contains the river port, which was behind the demographic boom of the city, as the population was 86775 inhabitants in 1960, while it reached 423890 inhabitants in 2014.

The city also knew an economic development represented in industrial activity, as the number of industrial units in the city reached around 185 industrial units within the year of 2015, most of which consume large quantities of water, as this sector is closely related to water, and many industries are mainly based on the existence of these biological material that has multiple uses.

Among these water-consuming industries in the city of Kenitra, we mention: paper and cartoons industry, chemical and quasi-chemical industries, food industry ..., while we find some factories that are interested in rationalizing water consumption, namely the CMCP paper and cartoons.

Keywords: Water, industry, consumption, rationalization.

الإشكالية:

يختلف حجم استهلاك الماء من وحدة صناعية لأخرى، و ذلك حسب نوع الإنتاج، فهناك وحدات صناعية تعتمد على مياه الآبار و بالتالي الضغط على الفرشة المائية المتمثلة في فرشة المعمورة التي تعتبر مياهها ذات جودة عالية.

في حين تعتمد وحدات صناعية أخرى في انتاجها على مياه واد سبو، و هنا نجد أن للصناعة تأثير كبير على المياه السطحية و الباطنية ، و هو الشيء الذي يجعلنا نتساءل حول الصناعات الأكثر استهلاكا للماء بمدينة القنيطرة؟

إن الطلب المتزايد على الماء الصناعي و ارتفاع كلفته، يستوجب ترشيد استعماله من خلال معالجة المياه العادمة و استعمالها مرة أخرى.

في ظل تزايد الضغط على الموارد المائية، هل هناك صناعات تعمل على ترشيد استعمال المياه، و بالتالي التقليص من الطلب المتزايد على الموارد المائية، و كذلك الحد من التلوث الناتج عن المقذوفات الصناعية السائلة.

المنهجية:

لقد تطلب منا إنجاز هذا المقال و إخراجه إلى حيز الوجود، المرور من مجموعة من المراحل التي همت كل من:

ربط الاتصال بعدد من الإدارات التي تتدخل في المنطقة و التي لها علاقة بالقطاع الصناعي و مصالح المياه، خاصة مع غياب مراجع و دراسات تقنية تربط القطاع الصناعي و تأثيره على الموارد المائية خاصة من ناحية كمية الماء المستهلك.
انجاز مقابلات مع مجموعة من الفاعلين بالقطاع الصناعي خصوصا المصانع التي تستهلك كمية كبيرة من المياه في إنتاجها، و كذلك قطاع الماء قصد تعميق تشخيص المنطقة و شرح مع بلورة تصورات تهم كمية الماء المستهلكة من طرف بعض المنشآت الصناعية بمدينة القنيطرة.
البحث الميداني الذي هم تعبئة الاستمارة الخاصة بعدة معامل و التي تتمثل في:

- مصنع الكارطون و الورق CMCP.
- مصنع لصناعة الكرطون و الورقGPC CARTON .
- معمل الطاقة الحراريةONE.
- Fabrication d'huiles et graisses lubrifiantes Chameslub تصنيع زيوت التشحيم والشحوم.

و يرجع السبب في اختيار هذه المصانع لكونها من أهم المصانع استهلاكا للماء الصناعي بمدينة القنيطرة.

و قصد تحقيق هدف البحث الميداني، ألا و هو تعبئة الاستمارة، فقد كان من اللازم علينا الانتقال لعين المكان و الاتصال المباشر بمسؤولي المصانع .

الاستمارة الأولى و همت (مسؤولي المصنع و عددها 10 استمارات).

الاستمارة الثانية و همت (عمال المصنع 20 استمارة).

تفريغ الاستمارة: تم الاعتماد على عدة برامج من بينها EXCEL و SPSS وتمثيلها على شكل مبيانات.

العمل الكرطوغرافي: نظرا للعلاقة البديهية التي توجب ترجمة بعض الظواهر من الميدان إلى خرائط، ومن أجل قراءتها و تسهيل تفسيرها، قمنا بالاستعانة بنظم المعلومات الجغرافية système d'information géographique وخاصة ArcGis.

تقديم:

تقع مدينة القنيطرة بجهة الرباط سلا القنيطرة، على خط عرض ′34°7 شمال خط الاستواء، و خط طول ′34°6 غرب خط غرينيتش، تبعد عن العاصمة الإدارية ب 40 كلم و تبلغ مساحتها 103 كلم^2.

تتميز مدينة القنيطرة بمؤهلات طبيعية متنوعة أهمها الموارد المائية السطحية كواد سبو، الذي تتموقع على ضفته اليسرى و الذي يعتبر مصدر مياه لأهم الصناعات بها. والموارد المائية الباطنية المتمثلة في فرشة المعمورة عن طريق الآبار، بالإضافة إلى كونها محاطة بغابة المعمورة من الشرق و الجنوب.

كما تتوفر المدينة على بنية تحتية مهمة متمثلة في شبكة طرقية و سككية أهمها الطريق السيار الرابط بين الدار البيضاء و طنجة.

من الناحية الديموغرافية، بلغ عدد السكان حسب الإحصاء العام للسكان و السكنى لسنة 2014، 423890 نسمة.

الشكل رقم 1 : حدود مجال الدراسة "مدينة القنيطرة"

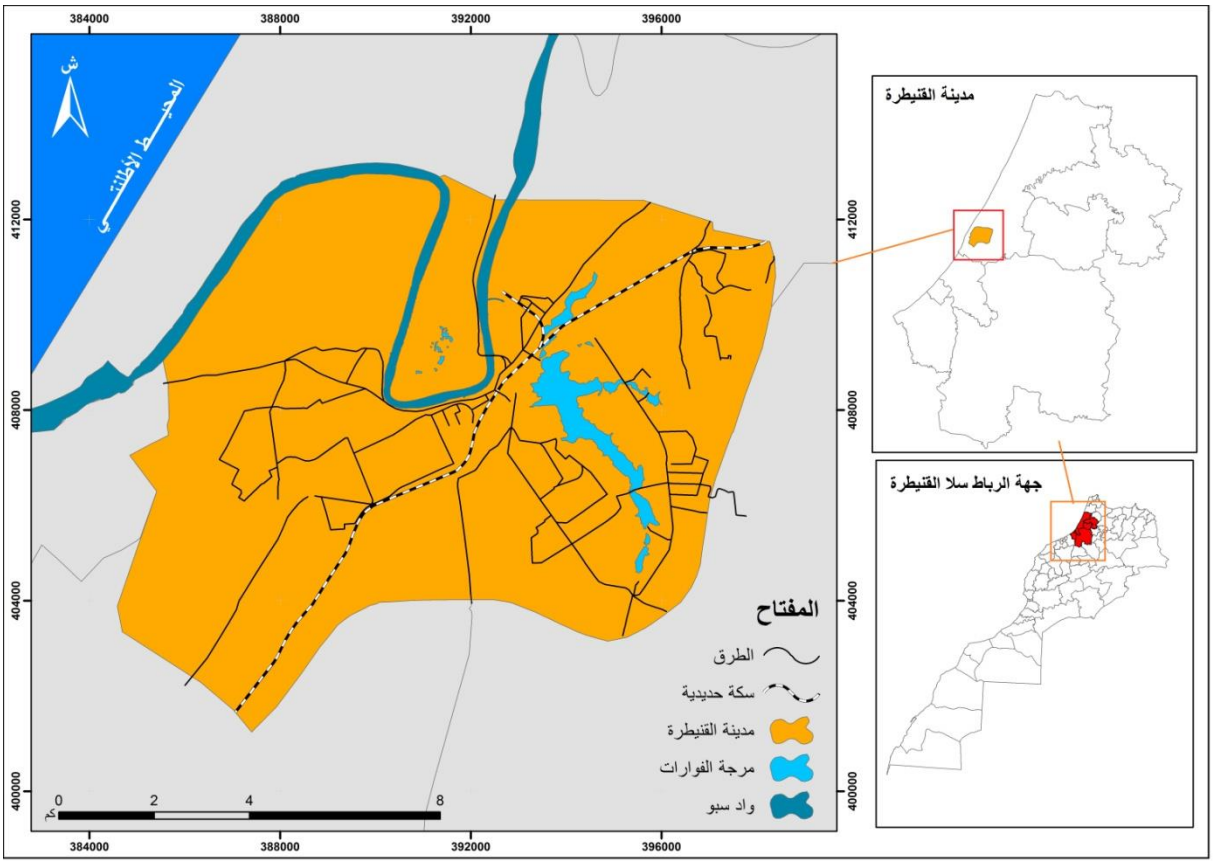

المصدر: التقسيم الجهوي 2014

الصناعة بمدينة القنيطرة:

تضم الجماعة الحضرية لمدينة القنيطرة مناطق صناعية بمساحة تقارب 247هكتارا، من أهمها الحي الصناعي القديم بمساحة 85 هكتار، والمنطقة الصناعية الجديدة بئر الرامي بمساحة 47 هكتار. وتحتضن مدينة القنيطرة 185 مؤسسة صناعية تعمل في أنشطة مختلفة.

تنتشر و تتوزع المعامل و المصانع على مجموعة من الأحياء و الأماكن بل و حتى في بعض النقط المتفرقة هنا وهناك عبر تراب المدينة.

الشكل رقم2: توزيع الأحياء الصناعية داخل مدينة القنيطرة

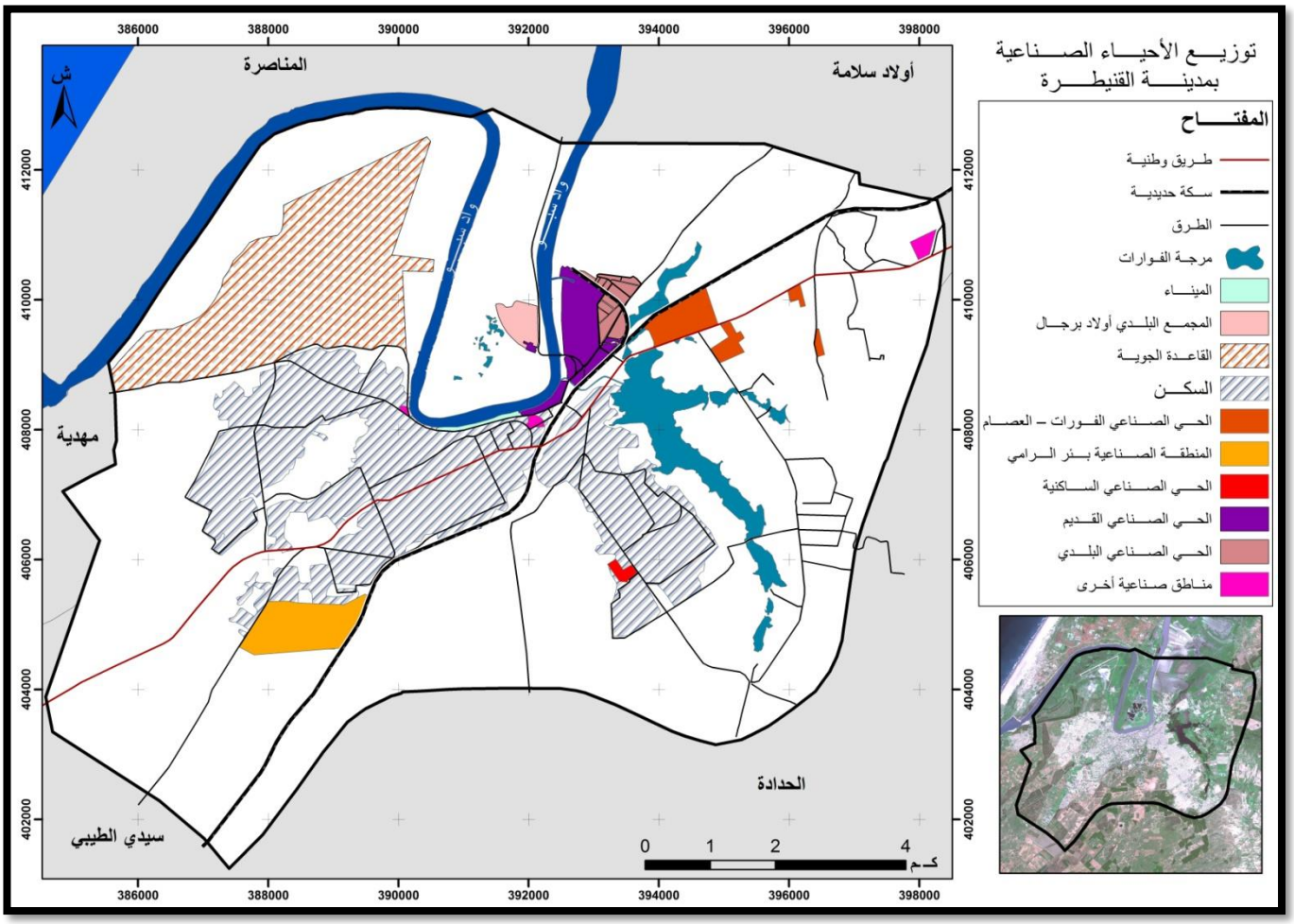

مصدر: تصميم حضري 2007(الوكالة الحضرية القنيطرة-سيدي قاسم)

الشكل رقم 3: الأحياء الصناعية بمدينة القنيطرة و مساحاتها

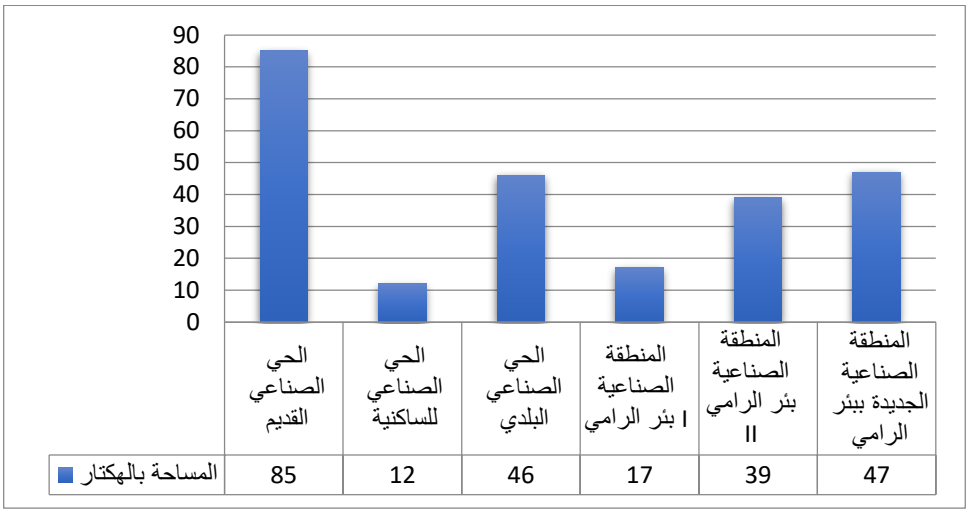

المصدر: - الوكالة الحضرية القنيطرة سيدي قاسم.

الحي الصناعي القديم:

و هو الحي الواقع أساسا بين مثلث شرق الميناء من جهة ، و غرب شارع محمد الخامس إلى حدود قنطرة وادي الفوارات و الطريق الثانوية في اتجاه سيدي علال التازي و شرق نهر سبو من جهة أخرى. و ينقسم هذا الحي من حيث تاريخ توطين واستقرار الأنشطة الصناعية إلى حيين صناعيين و هما :

الحي الصناعي القديم الأول: امتدت فترة تعميره من سنة 1920 إلى سنة 1945، تمركزت به بعض الصناعات الغذائية : مثل الفواكه ، و المطاحن : كالمركب 1942 ، وشركة التبغ 1935، بالإضافة إلى صناعات حديدية مثل ساميطال 1942، و أيضا الكيماويات مثل سميت 1943 و الإسمنت.

الحي الصناعي القديم الثاني: يمتد شمال شرق الميناء، و قد بدأت المنشآت الصناعية تظهر فيه خلال الحرب العالمية الثانية، آنذاك خلفت به 17 وحدة صناعية من بينها معامل الأرز أهمها مشيش في سنة 1940 و ناتاف سنة 1950، شركة الحليب مثل كولي سنة 1954 و معمل النسيج مافاكو الذي أسس سنة 1947 ، بالإضافة إلى معمل الكارطون و الورقCMCPسنة 1946 و معمل الحديد و الصلب 1945 ، ثم معمل ابكو للبناء سنة 1948.

الحي الصناعي البلدي:

يعد هذا الحي امتدادا للحي الصناعي القديم، يقع بين شرق الطريق الثانوية في اتجاه سيدي علال التازي و غرب السكة الحديدية في اتجاه طنجة فاس. و على عكس الحي الصناعي الأول، فإن هذا الحي يضم وحدات صناعية صغيرة أو متوسطة الحجم تشغل ما بين 20 و 100 عامل، و تشتغل هذه الوحدات في عدة صناعات منها الصناعة الحديدية والكهربائية و الميكانيكية و الصناعة الغذائية و النسيجية ثم الصناعة الكيماوية ومواد البناء.

المنطقة الصناعية بئر الرامي:

تقع هذه المنطقة في الجنوب الغربي لمدينة القنيطرة بين غرب السكة الحديدية و شرق الطريق الوطنية رقم 1 في اتجاه الرباط، و حسب إحصائيات تعود إلى سنة 2000 ، فإن هذه المنطقة تمتد على مساحة تفوق 100 هكتار، و هي مقسمة إلى ثلاثة أشطر : المنطقة الصناعية لبئر الرامي 1 ، المنطقة الصناعية لبئر الرامي 2 ، و المنطقة الصناعية لبئر الرامي 3 . و تهتم بمجالات متعددة نذكر منها الصناعة الحديدية و الميكانيكية و الكهربائية و الصناعية الغذائية، صناعة الورق والمطابع، صناعة مواد البناء، صناعة الخشب و التأثيث، و يتفاوت حجم التشغيل بهذه الوحدات من 20 إلى 100 عامل و مستخدم.

الحي الصناعي الفوارات – العصام :

يقع شرق السكة الحديدية و على جانبي الطريق الوطنية رقم 1 في اتجاه طنجة – فاس و هو حي صناعي حديث العهد مقارنة مع الحي الصناعي القديم، يتميز بوجود مصانع مهمة، يشغل البعض منها ما بين 200 و 500 عامل ومستخدم و تهتم بأنشطة مختلفة.

و من بين هذه الصناعات، نجد صناعة مواد البناء (كروسيرام الشركة الجديدة للأعمال)، صناعة الخز (سيتكزام)، الصناعة الغذائية (مركز الحليب) و الصناعة الحديدية و الميكانيكية و الكهربائية.

حي التنشيط بالساكنية:

يقع هذا الحي بالجنوب الشرقي للمدينة، في منطقة آهلة بالسكان، تضم مجموعة من الوحدات الصناعية الصغيرة التي لا يتعدى عدد العاملين بها 50 عاملا في أحسن الأحوال، و تهم صناعة النسيج أساسا و بعض الصناعات الغذائية و الحديدية و صناعة الخشب والأثاث، أما المنطقة الثانية إن صح تسميتها بذلك فتقع بأطراف حي البام سابقا و حي الشباب حاليا ، تتمركز بها صناعة النسيج بالأساس.

المناطق أو النقط الصناعية الأخرى:

إلى جانب المناطق الصناعية الرئيسية السالفة الذكر ، يمكن أن نحصي بعض النقط الصناعية الأخرى و هي في الغالب مؤسسات صغيرة الحجم تشغل ما بين 20 و 50 عاملا، تشغل في مجالات متعددة أهمها صناعة المواد الغذائية وصناعة الورق و المطابع و صناعة مواد البناء و الصناعة النسيجية و الحديدية و الكهربائية و حتى الكيماوية ثم صناعة الخشب و التأثيث، بمعنى أن جل الصناعات العصرية ممثلة بهذه النقط الصناعية المتفرقة.

و تستقر معظم هذه المعامل في النسيج الحضري وسط الأحياء السكنية ب 23 % من مجموع الوحدات الصناعية العصرية بالقنيطرة و تشغل 13 % من اليد العاملة بهذا القطاع ، مقابل 3 % بطريق المهدية عند معمل فريمات لعصير الفواكه و 2.7 % بأولاد برجال.

أنواع الصناعات:

الشكل رقم 4 : المؤشرات الإقتصادية للوحدات الصناعية بالمدينة حسب القطاعات سنة 2006

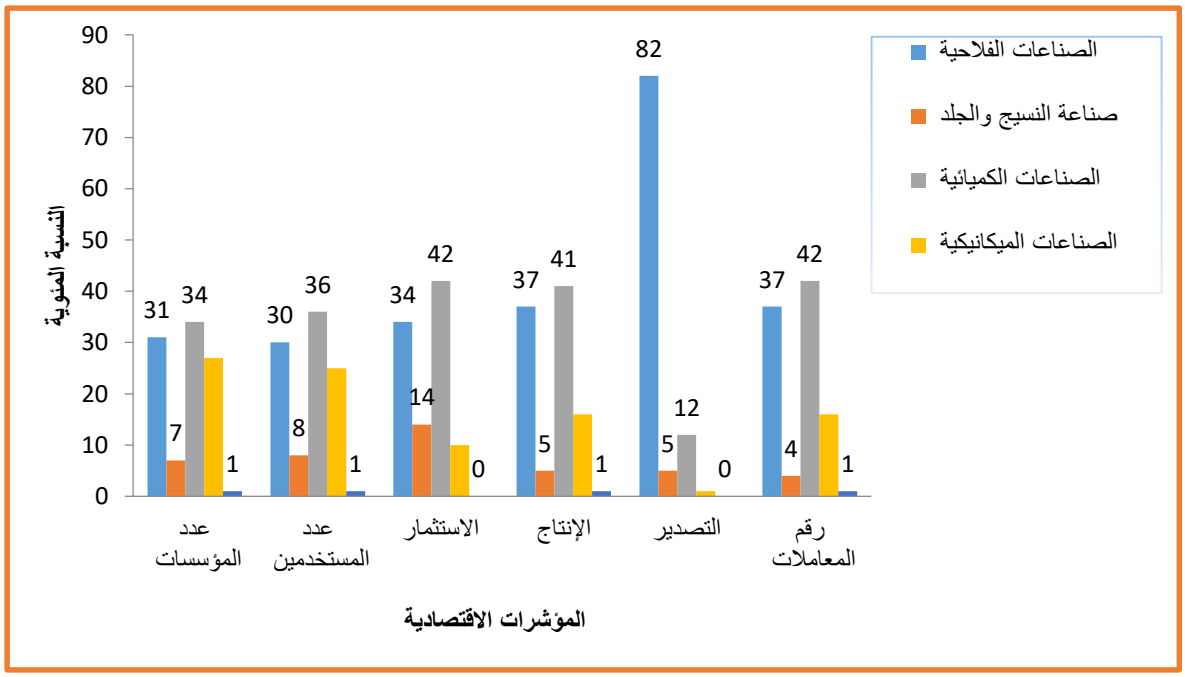

مصدر: المندوبية الإقليمية لوزارة التجارة والصناعة القنيطرة

نلاحظ من خلال الشكل رقم 4 أن من بين أهم الصناعات المهيمنة بالمدينة:

قطاع الصناعات الفلاحية: بحكم أن مدينة القنيطرة تقع ضمن منطقة فلاحية بامتياز، الشيء الذي يوفر مواد أولية مختلفة لهذه الصناعة.

قطاع الصناعات الكميائية وشبه الكيميائية: يتشكل أساسا من صناعة الورق والسيراميك.

يستحوذ هذين القطاعين على الحصة الأكبر من المؤشرات الاقتصادية للقطاع الصناعي بالمدينة:

الإنتاج : 78%

التصدير : 94%

الاستثمار: 76%

التشغيل : 66%

الصناعات المستهلكة للماء:

الشكل رقم 5: الاستهلاك اليومي للماء بالمتر مكعب لبعض الشركات

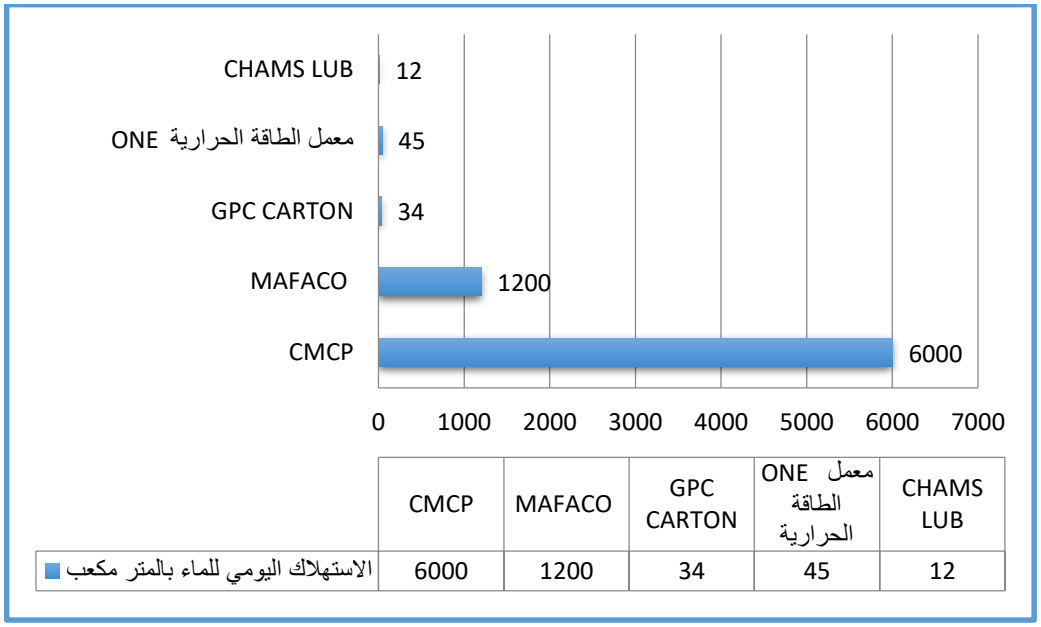

المصدر: استمارة ميدانية شخصية 2016

الشكل رقم 6: الاستهلاك الشهري للماء بالمتر مكعب لبعض الشركات

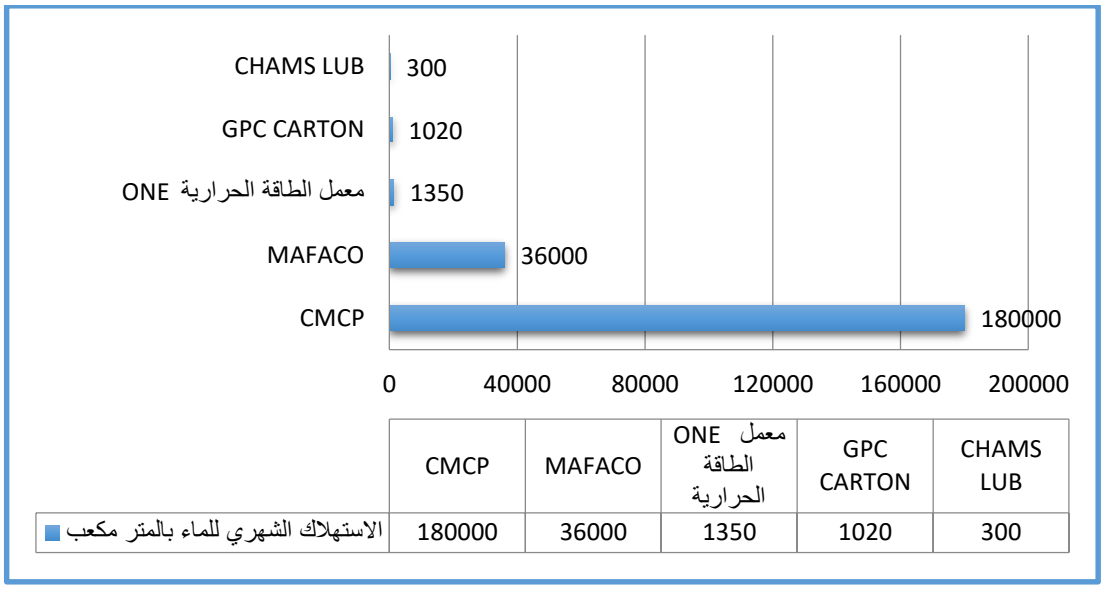

	CMCP	MAFACO	معمل الطاقة الحرارية ONE	GPC CARTON	CHAMS LUB
الاستهلاك الشهري للماء بالمتر مكعب	180000	36000	1350	1020	300

المصدر: استمارة ميدانية شخصية 2016

يتبين من خلال القراءة الأولية للشكلين السابقين، تصدر كل من معملي CMCP لصناعة الكرطون و الورق و MAFACO الخاصة بصناعة النسيج استهلاك الماء في الإنتاج الصناعي، إذ يعتبر كمادة خام في صناعاتها، فنجد أن مصنع CMCP يستهلك حوالي 6000 متر مكعب في اليوم في حين نجد مصنع MAFACO يستهلك ما يقدر ب 1200 متر مكعب في اليوم.

كما يظهر من خلال الشكلين أن الصناعة تتطلب موارد مائية مهمة في انتاجها الصناعي، تختلف من معمل لآخر حسب نوعية النشاط السائد، إذ تقوم العديد من الصناعات أساسا على وجود هذه المادة الحيوية، فهي تستعمل إما كمادة أولية في الإنتاج كما سبق الذكر، أو تستخدم في تبريد بعض الآلات بشكل أساسي خاصة في معمل الطاقة الحرارية ONE التي تمثل 45 متر مكعب في اليوم.

رغم هذه الإحصائيات المحصل عليها، إلا أنه يصعب تحديد حجم و الكمية الحقيقية لاستهلاك الماء من قبل هذه المصانع نظرا لتعدد مصادر التزود بالماء، فباستحضارنا لحالة المعملين GPC CARTON و CMCP ،و بالرغم من انتاجهما لنفس المنتوج، إلا أنهما يختلفان من حيث استهلاكهما للماء، و ذلك نظرا لاختلاف مصادر التزود لكل مصنع؛ و يعزى ذلك إلى صعوبة تقدير حجم المياه المستمدة من الآبار و واد سبو، و هذا ما يخفف من تكلفة الماء المستعمل.

الشكل رقم 7 :مصادر المياه المستعملة في الصناعة بمدينة القنيطرة

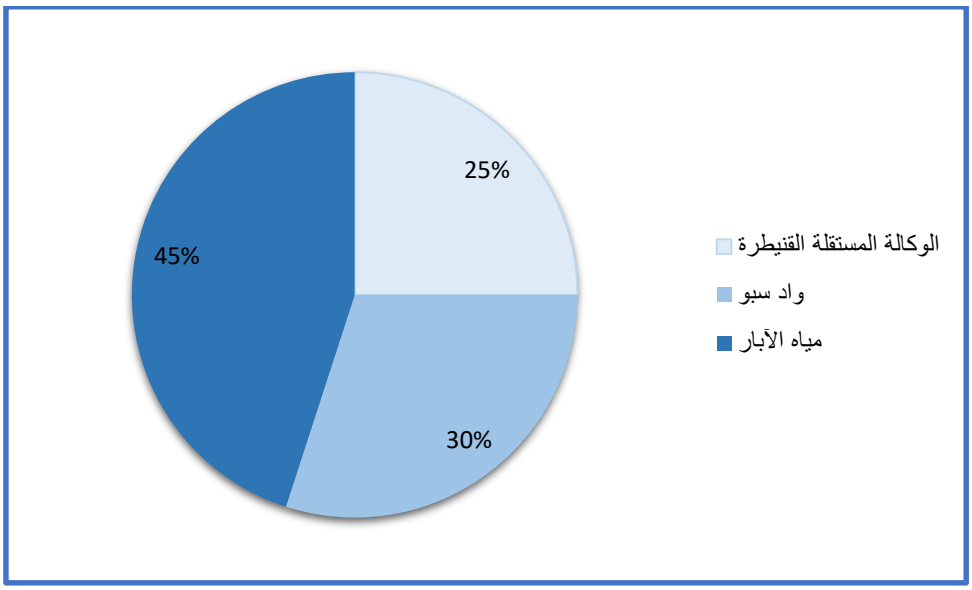

المصدر: استمارة البحث الميداني 2016

حسب الاستمارة الميدانية، نجد أن أغلبية مصادر المياه المستعملة في الإنتاج الصناعي هي مياه الآبار التي تمثل45%، فمجموعة من الوحدات الصناعية تعتمد على هاته المياه في انتاجها الصناعي التي تستعمل كمادة أولية إلى جانب المياه المستمدة من الوكالة المستقلة التي تمثل 25 %، في حين نجد مياه واد سبو تستعمل أساسا في عمليات غسل و تبريد بعض الآلات و التي تمثل نسبة 30 % من مصادر المياه المستعملة.

إن الزيادة في الطلب على الماء الصناعي و ارتفاع كلفته، يستوجب إعادة استخدام المياه المستعملة مرة أخرى بعد معالجتها، و هذا ما تقوم به شركة CMCP.

المصانع التي تهتم بترشيد استهلاك الماء، نموذج معمل الكارطونCMCP:

تعريف الشركة المغربية للورق و الكارطون CMCP :

صورة رقم 1 : الشركة المغربية للورق و الكرطونCMCP



المصدر: البحث الميداني الشخصي 2016

هي شركة أنشئت سنة 1949، تقع تحديدا على الضفة الجنوبية لواد سبو بمدينة القنيطرة على بعد 150 متر، يقع هذا المعمل بالمنطقة الصناعية القديمة بعيدا عن مركز المدينة ب 5 كيلومترات. تشغل الشركة مساحة 20 هكتار، ويتمثل نشاطها الأساسي في صناعة الورق و الكرطون.

هذا الموقع سيساعدها على الاستفادة من مياه واد سبو و كذا تموقعها فوق الفرشة المائية المعمورة القريبة من سطح الأرض ما سيمكنها من الاستفادة من مياه الآبار.

الشكل رقم 8: مستويات الفرشات المائية بمدينة القنيطرة

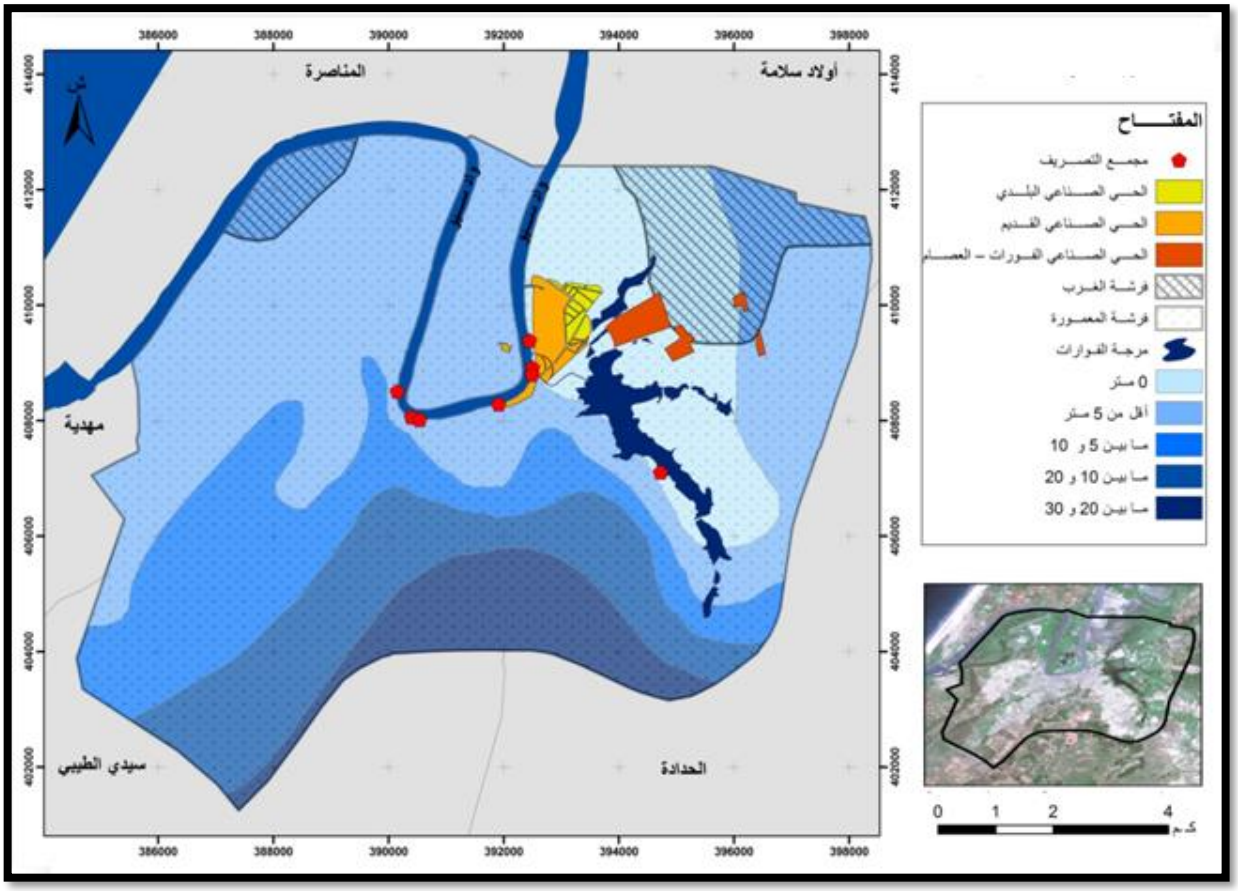

المصدر: Cartographie de la vulnérabilité a la pollutions des eaux souterraines application a la plaine du Gharb 2007

Carte piézométrique de la plaine du Gharb nappe phréatique période d'étiage relèves de 1963-1964

وقد وضعت لهذا الغرض (الاستفادة من المياه) 6 أحواض للمياه، إضافة إلى مضخة تعمل على تزويد الشركة بما معدله 380000متر مكعب في الشهر من مياه الواد و الابار.

الشكل رقم 9: موقع الشركة المغربية للورق و الكرطونCMCP

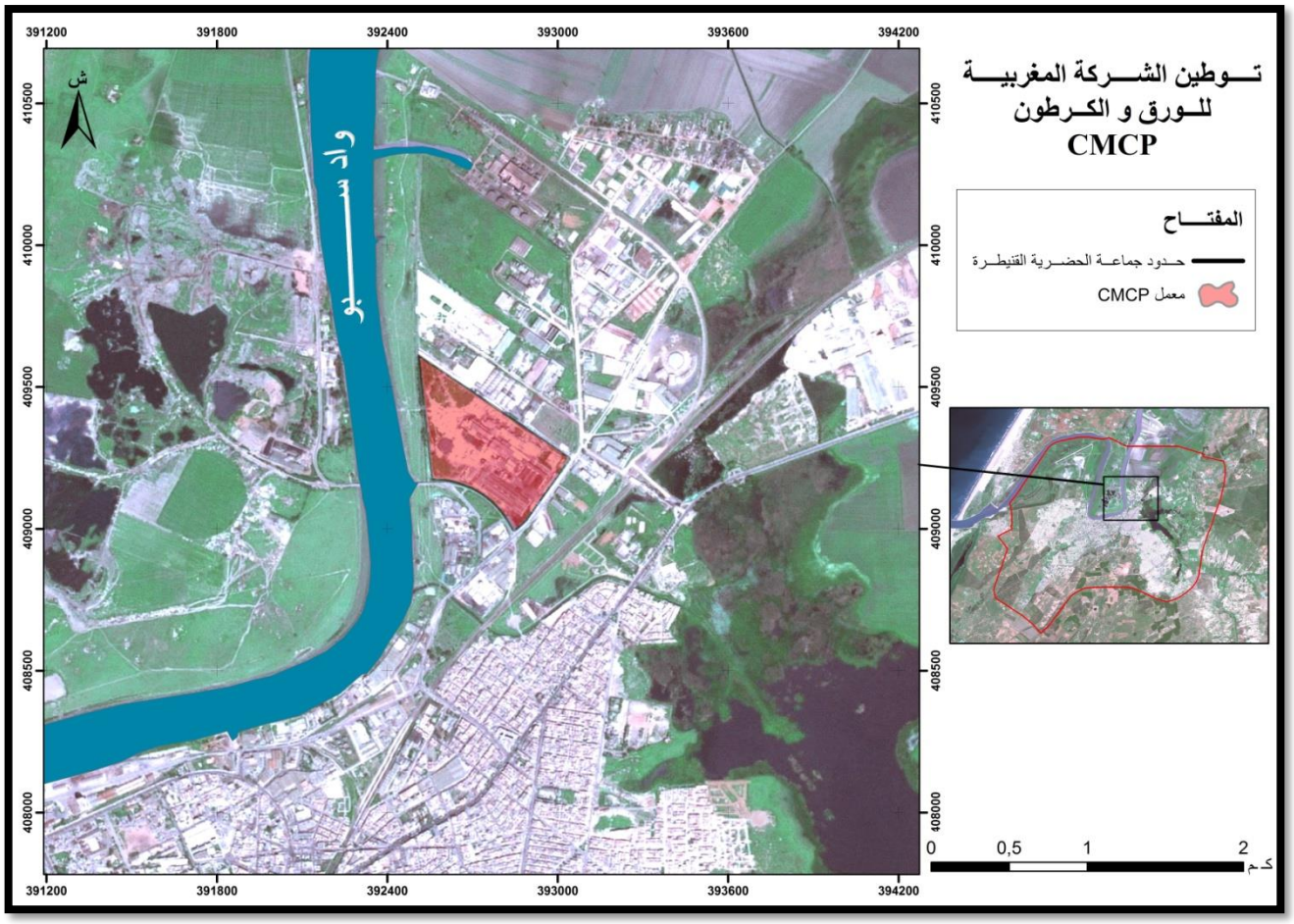

المصدر : صورة جوية لمدينة القنيطرة بتصرف

أهمية محطات معالجة مياه الصرف الصناعي:

تنظر الصناعة إلى معالجة مياه الصرف على أنها ضرورة ملحة، خاصة عندما تؤثر مياه الصرف على مجارى المياه المستقبلة لها بشكل واضح.

لقد قامت الشركة المغربية للورق و الكرطونCMCP بمجموعة من الإجراءات في سنة 2010 للمساهمة في الحد من تأثير مياه صرفها الصحي، هذه الفكرة جاءت لمعالجة المخلفات الصناعية السائلة بطرق علمية سليمة و آمنة بيئيا تسعى إلى تحقيق :

حماية البيئة.

ترشيد استهلاك المياه عن طريق إعادة التدوير في المصنع.

حماية المياه السطحية و الجوفية من التلوث.

توفير مصادر جديدة للمياه من خلال استخدام المياه العادمة الملقاة في ري الأشجار مثلا.

إستعمال الماء في المعمل:

يتم إستعمال الماء تقريبا في جميع مراحل صناعة الورق في المعمل CMCP، حيث يستعمل حسب المواد المستعملة، الكمية المراد إنتاجها و كذا مدى فعالية الإستراتيجية الداخلية لتدبير الماء داخل المعمل؛ حيث تتراوح كمية الماء التي يتم إستعمالها ما بين 1.5 متر مكعب في الطن الى 100 متر مكعب في الطن و ذلك حسب المنتوج و حسب المرحلة التي وصل إليها المنتوج المراد تصنيعه، كذلك يختلف إستعمال الماء حسب التقنية المستعملة في التصنيع حيث هناك تقنيات قديمة و حديثة و هذا ما سنوضحه في الجدول التالي:

جدول رقم 1 : إستعمال التقنيات القديمة و الحديثة للماء في بعض المنتوجات الصناعية بمدينة القنيطرة

نوعية الإنتاج	التقنيات القديمة	التقنيات الحديثة
الكرطون	35	1-20
ورق الصحيفة	30	6-20
نسيج الورق القطني	60	10-50
ورق الطباعة و الكتابة	200	5-50
أخرى	-	10-300

المصدر:ETUDE D'IMPACT SUR L'ENVIRONNEMENT : Group CMCP

من خلال الجدول يتبين لنا أن التقنيات الحديثة المستعملة في صناعة الورق هي أقل استهلاكا للماء مقارنة مع التقنيات القديمة، و هذا يسمح بحسن تدبير المياه .

الشكل رقم 10: إستهلاك الماء من الآبار ما بين 2007 و 2009 بالوحدة الصناعية CMCP بمدينة القنيطرة

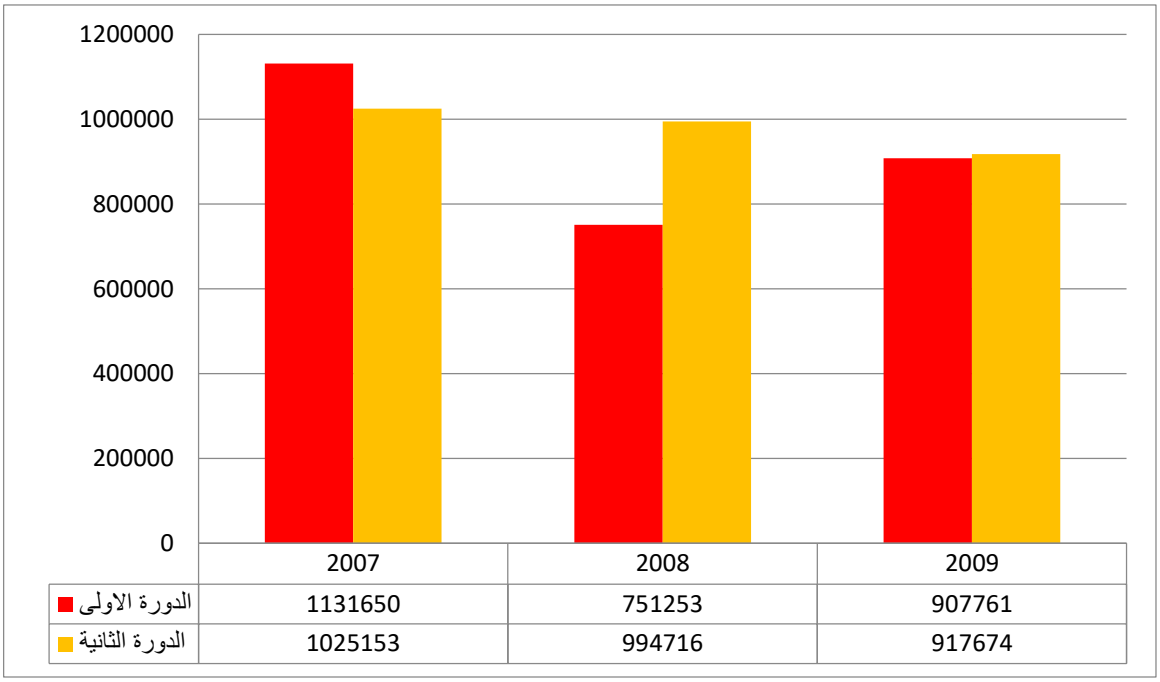

	2007	2008	2009
الدورة الاولى	1131650	751253	907761
الدورة الثانية	1025153	994716	917674

المصدر: ETUDE D'IMPACT SUR L'ENVIRONNEMENT : Group CMCP

الشكل رقم 11 : استهلاك الماء من واد سبو ما بين 2007 و 2009 بالوحدة الصناعية CMCP بمدينة القنيطرة

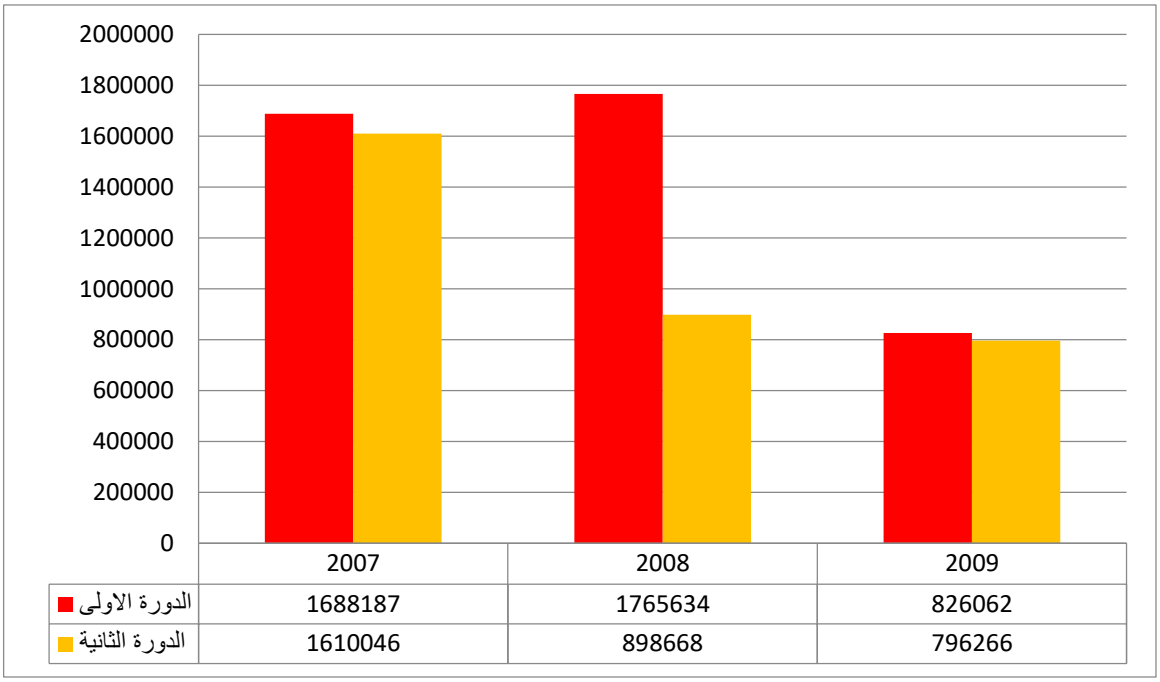

	2007	2008	2009
الدورة الاولى	1688187	1765634	826062
الدورة الثانية	1610046	898668	796266

المصدر:ETUDE D'IMPACT SUR L'ENVIRONNEMENT : Group CMCP

إن الماء المستهلك من طرف معمل CMCP له ثلاث مصادر أساسية و هي واد سبو، الآبار و الوكالة المستقلة القنيطرة، حيث نجد أن كمية الماء المستهلكة من واد سبو تمثل نسبة 46%، أما المياه المستهلكة من الآبار فهي تمثل 50%. أما بخصوص الماء المستمد من الوكالة المستقلة القنيطرة فهو يمثل نسبة 4% فقط من حجم المياه المستهلكة بالمعمل .

فمن خلال الشكلين السابقين الذين يمثلان تطور استهلاك الماء بالمعمل من سنة 2007 إلى غاية سنة 2009، نجد أنه في حدود سنة 2009 تم تقليص حجم استهلاك المياه المستعملة بالمعمل بنسبة 36%، و هذا راجع إلى السياسة المتبعة من طرف المعمل و التي يسعى من ورائها إلى الانخراط في مسلسل التنمية المستدامة و الحفاظ على البيئة والاقتصاد على الموارد الطبيعية، مستعملا بذلك تقنيات حديثة تواكب الأساليب المستعملة على المستوى العالمي من أجل الحفاظ على الموارد الطبيعية .

مميزات مشروع معالجة مياه الصرف الصناعي الخاص بمعمل CMCP:

إنشاء مشروع الصرف الصحي للوحدة الصناعية CMCP القنيطرة كان له وقع بيئي إيجابي و سلبي:

خفض نسبة المواد العضوية والكيماوية في المياه المستعملة التي يطرحها المصنع.

تراجع ضخ المياه من واد سبو، و ذلك راجع لإعادة تدوير جزء من مياه الصرف.

تقليص استهلاك الطاقة الكهربائية بعد إنشاء محطة المعالجة التي مكنت من استخراج الطاقة العضوية من مختلف مراحل معالجة المياه المستعملة.

دعم القدرات الداخلية لتحقيق تدبير جيد لمحطة المعالجة STEP تحت إشراف مهندس مختص.

اِنفتاح المصنع على أخر المستجدات الوطنية في مجال الصناعة و حماية البيئة.

مساهمة مصنع CMCP في تفعيل الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة.

فيما يخص التقييم العام للأثار المتوقعة، أكدت الدراسة على أن المصنع يتميز بقيمة صناعية عالمية، و ذلك باحترامها للبيئة و التنمية المستدامة فيما يخص الموارد و كذا صحة العمال.

أما فيما يخص الآثار السلبية الناجمة عن مشروع معالجة مياه الصرف الصحي لمصنع CMCP فإنها تعتبر مرحلية و مؤقتة (مرحلة ما قبل البناء و مرحلة البناء):

مرحلة ما قبل البناء:

الإضرار وتدمير المسكات العليا للتربة.

تدهور الثروة الحيوانية و النباتية.

تلوث التربة و الماء عن طريق تسرب بعض المواد البترولية و الإسمنت المسلح.

تلوث الهواء (الغبار، الروائح و الغازات المنبثقة).

تغيير و تراجع المنظر العام.

خطر على صحة و سلامة العمال.

خطر انهيار البنيات الناتج عن الفيضانات.

من خلال معطيات المدة المحددة لمرحلة ما قبل البناء ، جميع الأثار الناجمة على مرحلة ما قبل البناء و مرحلة البناء هي مراحل مؤقتة.

مرحلة الاستغلال:

هي مرحلة تبدأ مباشرة عند بداية العمل، ينتج عنها آثار هي كالتالي:

الإزعاج الناتج عن الضجيج (آلات المصنع و اهتزاز المحركات).

الخطر الناجم عن تسرب مياه الصرف في المجالات الطبيعية في حالة وجود خلل أو عطب.

انتشار و انبثاق روائح كريهة.

خطر صحي و أمني بالنسبة للعمال.

خاتمة:

تستخدم الصناعات المختلفة كميات مهولة من المياه خاصة حيث تفوق كمية الاستهلاك في بعض الحالات الاستهلاك الزراعي، وتستخدم المياه في الصناعة لعدة أغراض حسب نوع المنتج ، فمنها ما يستخدم للتبريد أو التسخين أو الغسيل أو في العمليات الإنتاجية أو كجزء من المنتج وغيرها من الأغراض. ومع انتشار ثقافة الحفاظ على البيئة الطبيعية واتساع رقعة مناطق ندرة المياه في العقود الأخيرة، أصبحت مسألة ترشيد استخدام المياه في الصناعة من الأمور التي تحظى باهتمام كبير من الدول والمنظمات والجمعيات، وأصبح السعي نحو صناعة خضراء متطلب أساسي من الجميع. و هذا ما قمنا بعرضه في مقالنا هذا، من خلال إدراج المصانع التي تعمل على ترشيد استهلاك الماء و أخذنا نموذج معمل الكارطون و الورق CMCP، إذ يعتبر نموذجا ناجحا في هذا المجال كمثال يمكن الاقتداء به في مجال ترشيد استهلاك الماء الصناعي.

المراجع:

المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لمدينة القنيطرة وضواحيها مارس 2010؛

المخطط الجماعي للتنمية الجماعية الحضرية لمدينة القنيطرة 2011-2016؛

التنشيط الاقتصادي بمدينة القنيطرة 2009 .2013، الجماعة الحضرية للمدينة القنيطرة.

الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004؛

مونوغرافية مدينة القنيطرة 2005_2006؛

عبد القادر كعيوا، النشاط الصناعي بالقنيطرة : بنيته وآفاق تطوره 1995

Groupe cmcp :étude d'impact sur l'environnement. Version FINALE AOUT 2010.

الحالة المورفولوجية و الإرسابية للمجال النهري بوادي سبو الأوسط،
بين واد إناون و واد بوشابل (مقدمة الريف) - المغرب

The morphological and sedimentary state of the middle Sebou River space, between Inaouen River and Bouchabel River (Prérif) –Morocco

يزمي زطايط محمد[1]، الطاوس عالي[2]

باحث في الجغرافية الطبيعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس؛

أستاذ التعليم العالي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس.

mohammed.yazamiztait@usmba.ac.ma , taousali61@gmail.com

تعتبر الخصائص المورفلوجية ذات أهمية بالغة، لمعرفة حالة المجرى وسهله الفيضي، فيتميز واد سبو الأوسط سافلة فاس بين ملتقى هذا الأخير بواد إناون إلى ملتقاه بواد بوشابل بمورفلوجية تختلف بين عالية المجال وسافلته، حيث يرسم هذا الأخير منعطفات تزيد تعرجا كلما توجهنا نحو السافلة، ويتسع السهل الفيضي من العالية نحو السافلة.

تتباين الخصوصيات المورفلوجية والمورفومترية والمورفوديناميةلهذا المجال بين مكان وآخر، وتتباين المكونات الإرسابية له بين ضفتي المجرى على امتداد السهل الفيضي من حيث مكوناتها ونسيجها وبنيتها، ويتعرض هذا المجال لدينامية نهرية عنيفة، مما يؤدي إلى تطور وتغير مورفلوجيته على المدى القريب والبعيد.

اعتمادا على العمل الميداني (الملاحظة وأخذ الصور وأخذ العينات) والعمل المخبري (القياس والتحليل الحبيبي والمجهري)، تبين لنا أن هذا السهل ذو مورفلوجية تختلف بين عالية الجزء وسافلته، فيما تختلف تكويناته الإرسابية من حيث توضعها في الطبقات، وقد اتخذنا نموذجا يمثلها بشكل جيد، نهدف من خلال هذه الخصائص إلى ضبط المكونات المورفلوجية والتكوينات الإرسابية لهذا الأخير.

الكلمات المفتاحية : الحالة المورفلوجية والإرسابية، المجال النهري، سبو الأوسط، مقدمة الريف.

The morphological characteristics are of great interest in demonstrating the state of the watercourse and its alluvial plain. The middle watercourse of the Sebou wadi presents at the level of the confluence of the Inaouen wadi and the Bouchabel wadi, a developed meandering morphology and the alluvial plain becomes wider downstream.

The morphological, morphometric and morphodynamic characteristics of this space vary from one site to another. In this section heavily attacked by fluvial erosion, the sedimentary elements of the two banks show variability in their structures and their texture throughout the fluvial plain. This causes their dynamics in the short and long term.

Based on fieldwork (direct observation, photography and sampling), and laboratory work (sedimentology), we confirmed spatial morphological variability and differentiation at the level of sedimentary facies. A typical section was taken as an example to highlight its morphological and sedimontological characteristics.

Keywords: The morphological and sedimentary state, the fluvial space, middle Sebou, Pré-rif.

مقدمة :

سندرس في هذا المقال الحالة المورفلوجية والإرسابية للمجال النهري لواد سبو الممتد بين الرافدين واد إناون و واد بوشابل ، و هو مجال يمتد على حوالي 36 كلم (الشكل 4)، و يرسم بهذا الجزء منعطفات نهرية طليقة بالسهل الفيضي الممتد بقعر وادي سبو.

سنعمل في هذا المقال في البداية على دراسة الخصائص المورفلوجية للسهل الفيضي، ثم المجرى المائي لواد سبو و ضفافه. و نهدف من خلال ذلك إلى تشخيص الحالة المورفلوجية والإرسابية (M.G. Wolman ; A. V. Bacchi., ; ., 1954 ; Taous., 1994 ; 2011 ; C. Castanet et al 2007 ; R. Tony., 2006 ; L. Champagnac., 2005 ; J. Corbonnois et al (2011; J. Deferne et N. Engel., 2010 ; X. Devleeschouwer., 2009 ;N. Galliot., 2007)، و ذلك من خلال العمل الميداني و المخبري و تحليل الخرائط الطبوغرافية.

المجال المدروس

يقع المجال المدروس شمال شرق مدينة فاس، من ملتقى واد سبو بواد إناون حتى ملتقاه بواد بوشابل، بين خطي عرض 34 درجة و05 دقائق، 34 درجة و25 دقيقة شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 4 درجات و50 دقيقة، 5 درجات 20 دقائق غرب خط غرينتش (خرائط فاس شرق وفاس غرب وقلعة سلاس وقرية با محمد 50000/1).

يدخل هذا المجال ضمن تضاريس مقدمة الريف، التي تنضم لفرشة وازان وفرشة مقدمة الريف، لذلك فجيولوجيته يغلب عليها طابع التكوينات الطينية والصلصالية، إلا أنه يعرف بعض الاختلافات نظرا لموقعه عند قدم جبال الأطلس المتوسط. من تم فإن مكونات هذا الأخير ينتشر بها الصلصال الأبيض الذي يعود لزمن الأيوسين بكلا ضفتي المجرى. فيما تطغى التكوينات الطينية والصلصالية العائدة لزمن الكريطاسي، وقليل من الجبص الذي يعود لزمن الترياس، ويبقى الرباعي الحديث الذي يغطي بالمواد الإرسابية كل السهل الفيضي للواد.

تتميز المنطقة المدروسة بتضاريس مختلفة ومتنوعة من حيث توزيعها وانتظامها، حيث تتكون من وحدات مورفولوجية ناتجة أساسا عن تقطع التلال الميوسينية ذات التكوين الطفلي، الذي أدى إلى تكوين تلال يتراوح ارتفاعها بين 200 و500م، وهي تتوزع بشكل متباين بين الجهة الشرقية والجهة الغربية للمجرى. يتكون هذا المجال من شبكة هيدرولوجية وفيرة وقوية، تتمثل في أودية دائمة وأخرى موسمية(M. Yazami Ztait, et *al.*, 2020)، إضافة إلى وجود مسيلات سطحية كثيفة. هذا ويتميز الغطاء النباتي هناك بضعفه، حيث تغطي شجرة الزيتون والكروم أغلب المجال، إضافة إلى قليل من السدر والدوم ونبات الكبار...الخ

اســتقر ســكان هذا الأخير منذ القدم، إلا أنهم في تزايد مســتمر، ويلاحظ أن أغلب الســكان الوافدين على المنطقة من الجبال أو التلال المشــرفة على المجرى.تقدر ســاكنتها بحوالي 74794 فرد (إحصــاء الســكان والسـكنى 2014، يقطنون في ســتة مراكز قروية بكثافة ســكانية تصــل حوالي 91,7 ن/كلم2 وهي تتعدى المعدل الوطني للســكان القرويين الذي يصــل 42,10 ن/كلم2، (منوغرافيات الجماعات 2000-2016).

يعتبر وادي سـبو مقر عيش هؤلاء السـكان وهو المجال المناسـب لمزاولة أنشـطتهم، لذى يسـتغلونه في الفلاحة البورية فوق السفوح المطلة على المجرى أو الفلاحة السقوية بالسهل الفيضي.

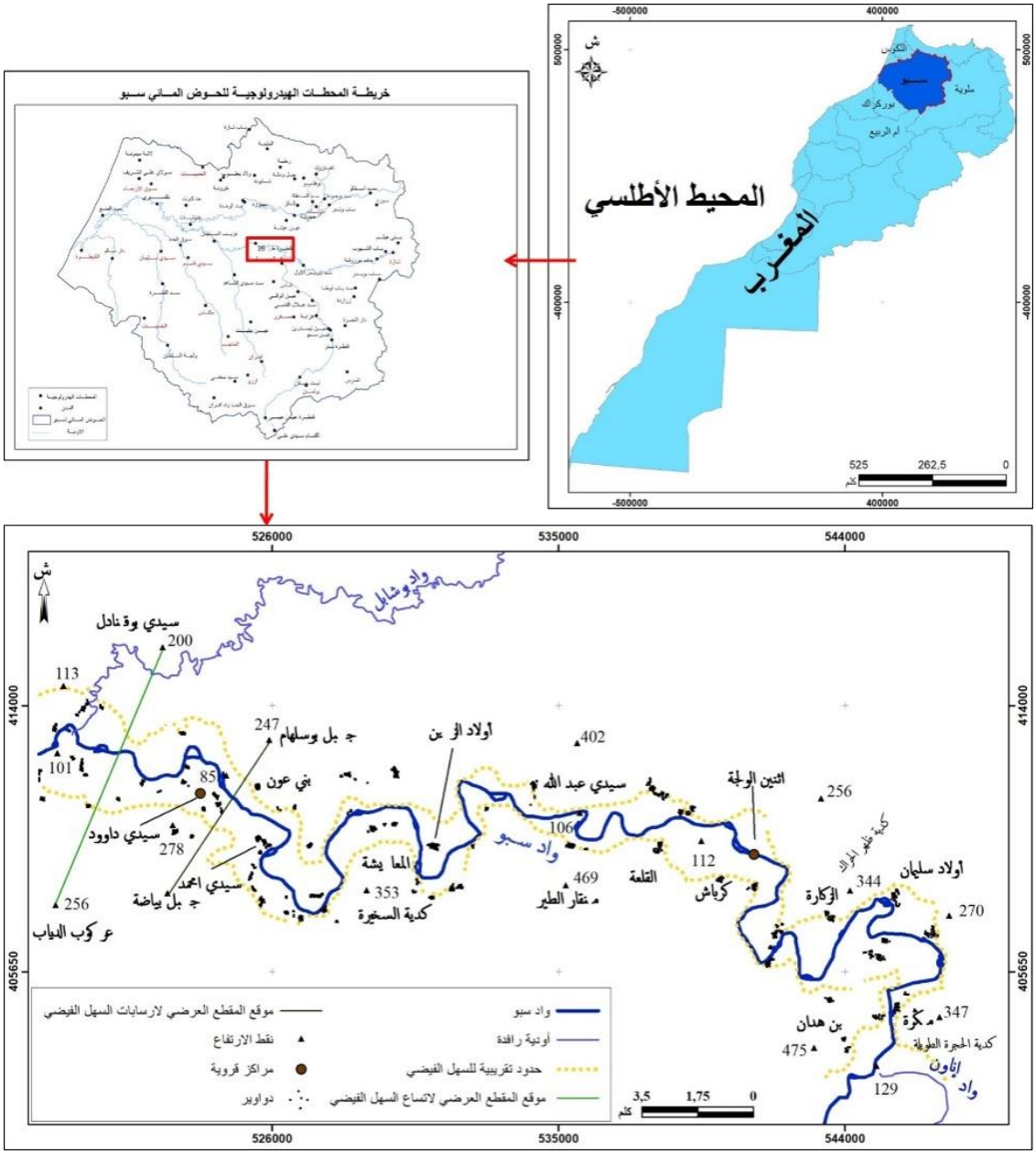

الشكل 1: موقع مجال الدراسة

الطريقة والأدوات

لدراسة وضبط هذا العمل، اعتمدنا على العمل الميداني، بما فيه الملاحظة الميدانية قصد تحديد أماكن المقاطع العرضية لإتساع السهل الفيضي والمجرى المائي وكذا تحديد أماكن المقاطع العرضية للمكونات الإرسابية، وكذا أخذ عينات المكونات الإرسابية للمجرة المائي والسهل الفيضي، وقياس قد العناصر الخشنة للمواد الإرسابية بالمجرى والسهل الفيضي، وأخذ الصور الفوتوغرافية لتقديمها كدليل لذلك، واعتماد الخرائط الطبوغرافية لرسم المقاطع العرضية وتحديد أماكنها أيضا، وحساب المتغيرات المورفومترية للمجرى المدروس.

وقد اعتمدنا على العمل المخبري لتحليل المكونات الإرسابية الدقيقة للمجرى المائي والسهل الفيضي، والتحليل المورفوسكوبي لحبيبات الكوارتز.

النتائج

3-1- مورفلوجية السهل الفيضي

يمتد السهل الفيضي لواد سبو بهذا المجال في الوسط الجيومرفولوجي لتلال مقدمة الريف (Larue J.P., 1983 et 2004, Donattela P. et al, 2019, Valenza J. M. et al, 2020, Peijia W. et al, 2020)، حيث يتباين اتساعه حسب طبيعية الصخور المحيطة به، بين مقاطع ضيقة يقدر اتساعها بحوالي 400 م وأخرى واسعة قد تتعدى 2500 م، خصوصا عند التقاء سبو بواد إناون وبمنطقة أولاد سليمان، وكذلك سافلة مركز سيدي داوود بعد الالتقاء بواد بوشابل (الشكلين 2و3). كما أن الانحدار العام للسهل الفيضي يبقى ضعيفا ويقدر ب0,2 %، وعرضيا يميل انحدار هذا السهل في الغالب من أقدام التلال تجاه المجرى المائي، ومن الشرق تجاه الغرب من كل ضفة، مع وجود بعض المنخفضات وسط وآخر السهل كالمنخفض الموجود بالضفة اليمنى بين دواري أولاد سليمان والزكارة. وتظهر بهذا الجزء بقايا المنعطفات المهجورة بالضفة اليمنى الشمالية غرب دوار أولاد سليمان عند قدم كدية ظهر الحراك،وشمال غرب دوار القلعة وأيضا جنوب دوار لالة عربية عند قنطرة سبو وآخر عند ملتقى واد سبو بواد بوشابل.

ونقدم في الشكل 2 مقطعا طبوغرافيا عرضيا لوادي سبو بمنطقة سافلة سيدي داود بين مرتفعين تلين يتمثلان في سيدي بوقنادل في الشمال وعركوب الدياب في الجنوب، ويبين المقطع مدى اتساع السهل الفيضي بهذا المجال النهري لسبو حيث يفوق 2500م، وهو يوجد على ارتفاع مطلق بحوالي 90م، وتشرف عليه سفوح ذات انحدارات قوية.

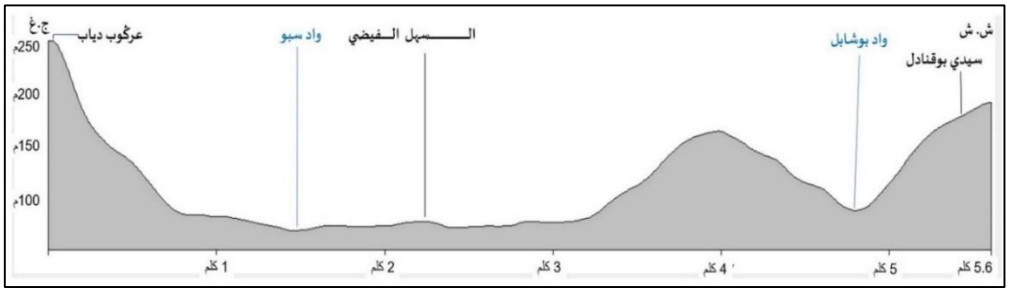

الشكل 2: نموذج لمقطع عرضي يبين اتساع السهل الفيضي سافلة سيدي داوود، بين سيدي بوقنادل وركوب الدياب بوادي سبو (MNT30m) (المقطع أ بالشكل 4-1)

نبين في الصورة 1 ومقطع الشكل 2 تفاصيل السهل الفيضي، الذي يتكون من رواسب نهرية خشنة أساسا، وهي عبارة عن حصى وحصيم ورمال يتباين سمكها على العموم ما بين 2 و3 أمتار، وتغطي هاته الرواسب الخشنة رواسب غرينية دقيقة سمكها ما بين 0,5 م و 2م، وهي تحمل سمكة ترابية خصبة.

يوجد في هذا المجال غطاء نباتي طبيعي بضفتي المجرى في بعض الأماكن فقط، بحيث نجد مثلا نبات تامريكس (Tamarix) منتشر بالضفة اليمنى الشرقية عند ملتقى واد سبو بواد إناون جنوب دوار مكّرة و تحت قنطرة سبو عند آخر الجزء شرق دوار لالة عربية بالضفة الشمالية، وبالضفة المقابلة يوجد نبات البردي شرق دوار بنهدان، فيما ينتشر النبات الشوكي (السيبري) (Trèfles) شرق دوار الفتاحة ونبات الأوكاليبتوس (Eucalyptus) والصفصاف (Salixmucronata) جنوب شرق و شمال دوار كرباش بالضفة اليسرى الغربية و الجنوبية، وجنوب دوار أولاد الزين بالضفة الشمالية، هذا مع انتشار نبات النجم (Dactylon Cynodon) على طول ضفتيه،مع وجود نبات القصب (Phragmites frutescens) والصبار (Cactus) و نبات البردي(Cyperus papyrus)و السدر (Jujubier/Ziziphus Jujuba)، أما ما عدا ذلك فينتشر الغطاء النباتي المغروس الذي لا يحمي الضفاف من التعرية.



الصورة 1: مشهد عام لقعر وادي سبو يبين السهل الفيضي بمنطقة سيدي داوود (نظرة من الشمال الغربي)

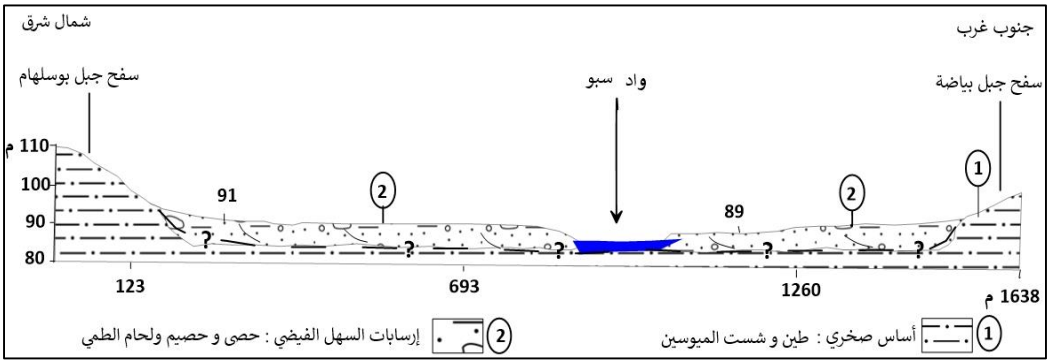

الشكل 3: مقطع عرضي عام يبين البنية الإرسابية للسهل الفيضي بمنطقة سيدي داوود

يتميز هذا المجال بالانتظام والانحدار العام يبقى ضعيفا (0,2%)، وحيث يتراوح الارتفاع بين 129م بعاليته بمنطقة أولاد حافظ و72م بسافلته بمنطقة سيدي داوود (الشكل 4)، ويصل الطول الحقيقي للمجرى حوالي 63 كلم، مقابل 36 كلم في الطول الأفقي.

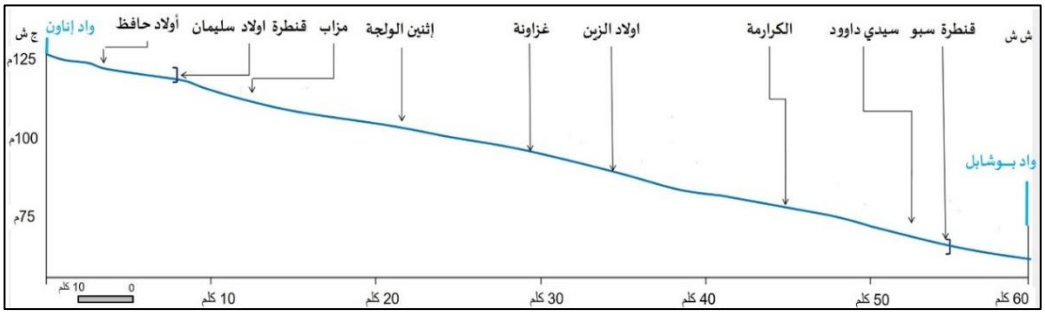

الشكل 4: المقطع الطولي للمجرى المائي لواد سبو بين إناونوبوشابل (عن الخرائط الطبوغرافية - فاس شرق وقلعة سلاس وقرية با محمد 50000/1)

تتعدد الأشكال المورفلوجية الحالية للمجرى بتعدد المتغيرات التي تميزها عن بعضها، وذلك ما سنراه من خلال المعطيات المحصل عليها من خلال التحليل المورفومتري لشكل المجرى في الجدول 1:

المتغير المورفومتري	الرموز		سنة 2016
الطول الحقيقي للمجرى بالجز 2	L		63,10 كلم
الطول الأفقي للمجرى	lh		36,11 كلم
انحدار المجرى	p		% 0,2
طول موجة الانعطاف Longueur d'onde	λ	ق. قصوى	5148 م
		ق. دنيا	975م
		متوسط	3062 م
مدى الانعطاف Amplitude	A	ق. قصوى	2538م
		ق. دنيا	554م
		متوسط	1529م
طول المجرى بين نقطتين متعاكستين من نفس المجرى Longueur du talweg entre deux inflexions de sens contraire	L	ق. قصوى	8228 م
		ق. دنيا	1589 م
		متوسط	4908 م
عرض المجرى Largeur	W	ق. قصوى	271م
		ق. دنيا	32م
		متوسط	152م

شعاع الانعطاف Rayon de courbure	R	ق. قصوى	1503م
		ق. دنيا	147م
		متوسط	825م
مؤشر الانعطاف Is = L/ lhL'indice de sinuosité	Is		1,74م

الجدول 1: المتغيرات المورفومترية لمجرى واد سبو الجزء الثاني (2016 Google Earth)

تتميز مورفومترية المجرى الحالي بهذا المجال بالاختلاف، نظرا لازدياد طول المجرى الحقيقي على الأفقي، ما يؤكد على كثرة الانعطافات، حيث يبلغ طول المجرى الحقيقي سنة 2016 حوالي 63,10 كلم أما الطول الأفقي فيصل 36,11 كلم، زيادة على عدة متغيرات توضح بشكل جلي تنوع وتغير واختلاف مورفلوجيته (الجدول 1).

كما ازدادت قيمة المتغيرات المورفومترية بالمنطقة المدروسة، ليصل متوسط موجة الانعطاف به حوالي 3062م، وبلغ مدى الانعطاف حوالي 1529م، وسجل طول المجرى بين نقطتين متعاكستين من نفس المجرى ما قيمته 4908م، فيما تضاعف شعاع الانعطاف ليصل حوالي 825م، وازداد مؤشر الانعطاف إلى 1,74 م، عوض 1،18 بالجزء الأول، مما يؤكد أن مورفلوجية هذا الجزء يغلب عليها طابع الانعطاف القوي، مقارنة بالعالية.

3-2- التكوينات الإرسابية للسهل الفيضي

تختلف المكونات الإرسابية للسهل الفيضي، فتتشكل من مواد مكونة من غلبة الرمال والحصى والحصيم بقاعدة المقطع وغلبة الطين والطمي بأعلاه (الشكل 5). والهدف من وصف المقطع هو التعرف على نوع المواد الخشنة والحبيبية المكونة لهذا الجزء، والوقوف على خصوصياتها، مع محاولة التوصل للحالة التي كان عليها الجريان حينذاك، لكن قبل الدخول في تفاصيل التحليل نقدم وصفا أوليا للمقطع المدروس كالآتي.

يقع المقطع المدروس جنوب غرب دوار مكّرة بالضفة الشرقية اليمنى عند الإحداثيات x= 545471,786، y= 404503,408، z= 125م، ويصل سمكرواسبهحوالي 5,6 م، ويتكون من أربع مستويات كما يبينها الشكل 2-64.

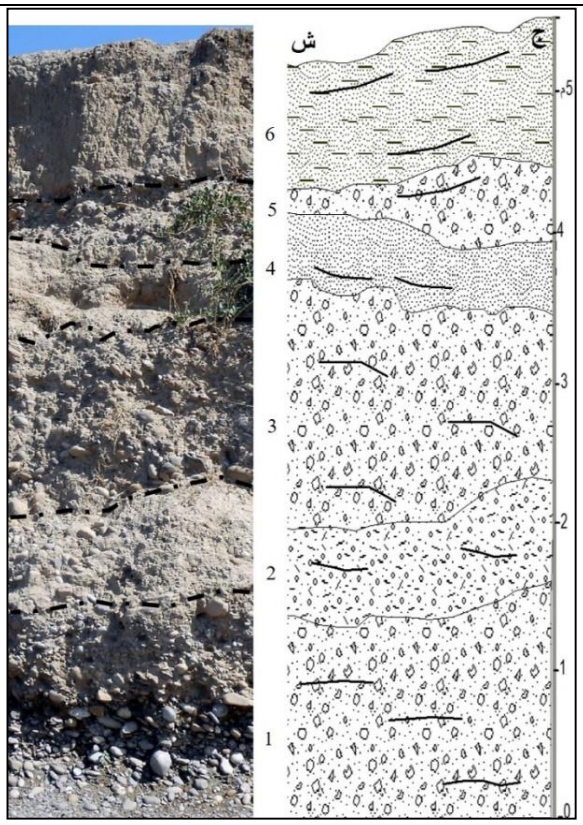

- المستوى 1: في أسفل المقطع، يبلغ سمكه 1,47 م، مكون من حصيم وحصى ملتحم بالرمل والطين والطمي؛
- المستوى 2: يبلغ سمكه 54 سم، مكون من خليط الحصى والرمل والطين والطمي؛
- المستوى 3: يبلغ سمكه 1,49 م، مكون من حصيم وحصى ملتحم بالرمل والطين والطمي؛
- المستوى 4: يصل سمكه 47 سم، ويتكون من رمل بني فاتح؛
- المستوى 5: يقدر سمكه61 سم، مكون من حصيم ملتحم بقليل من الرمل؛
- المستوى 6: يبلغ سمكه حوالي 1,05 م، وهو مستوى بني داكن بغلبة الطين والطمي مع وجود الرمل؛

الشكل 5: مقطع يبين رواسب السهل الفيضي بالضفة اليمنى للمجرى غرب دوار مكّرة بمنطقة بن هدان

3-3- أنواع الضفاف وطبيعة مكوناتها الارسابية

تتكون ضفاف هذا المجال من مواد الحصى والحصيم والطين والصلصال والرمل، إذ منها ما تكون أغلب مكوناته الرمال ومنها ما تغلب عليه مكونات خشنة حصوية، لذلك سنعمل على دراسة وتحليل نماذج مختلفة من هذه الضفاف على طول المجال المدروس بهذا الفصل.

وتختلف الضفاف النهرية لواد سبو بهذا الجزء من حيث خصائصها المورفولوجية، ومن حيث ارتفاع حافاتها ومكوناتها الإرسابية، ونقدم في الشكل 6 بعض النماذج من مقاطع الضفاف التي تميز مجال الدراسة.

+ ضفاف يقل علوها عن مترين 2 >:

- نموذج ضفاف جنوب دوار سدي عبد الله بالضفة اليمنى للمجرى (x= 542015,377، y= 406539,974، z= 120م): يقدر علو هذه الحافة بحوالي 1,80 م، تتكون قاعدتها من مكونات حصوية مختلطة بقليل من الطمي و الرمال بسمك يقدر

بـ30 سنتم، في حين تتكون باقي الضفة من تكوينات إرسابية رملية، وهي ضفة موازية أيضا للتيارات المائية، بحيث تتعرض لتعرية سريعة لكونها هشة وغير مقاومة (الشكل 6- أ).

+ ضفاف يتراوح ارتفاعها بين مترين وأربعة أمتار:

- نموذج ضفاف جنوب شرق دوار كرباش بالضفة اليمنى (عند الإحداثيات x= 541681,642، y= 407725,84، z= 118م): يقدر ارتفاعها بحوالي 2,70 م حيث يتكون المستوى السفلي لها من مواد رملية هشة بعلو يصل حوالي 1,50 م، يعلوه مستوى مكون من مواد حصوية ملتحمة بقليل من الرمل و بسمك متوسطه يقدر بحوالي 50 سنتم، فيما يتكون المستوى الأعلى من مواد رملية بعلو يبلغ حوالي 70 سنتم، وهي بذلك حافة معرضة على الدوام للتعرية النهرية، لكونها ذات مكونات هشة و توضعت بضفة موازية للتيارات المائية، وهي ذات غطاء نباتي ضعيف (الشكل 6- ب).

+ ضفاف يتعدى ارتفاعها 4 أمتار:

- نموذج ضفاف جنوب دوار مزاب بالضفة اليمنى (عند الإحداثيات x= 534104,904، y= 410456,742، z= 105م)، يقدر ارتفاع الضفة هنا بـ 5,30 م، وتنقسم إلى قسمين، القسم السفلي بطبقة ذات مواد مكونة من الحصى والحصيم يصل سمكها حوالي 3,25 متر، يعلوها مستوى يتكون من مواد رملية متصلبة يصل ارتفاعها حوالي 2,05 م، وهذه المواد عبارة عن إرسابات سفحية تراكمت فوق الطبقة السفلى المكونة من مواد نهرية.

ترتطم التيارات المائية بهذه الضفة القريبة من موضع المقعر، خصوصا عندما يزيد صبيب المجرى عن كميته العادية، وبذلك تتعرض للتعرية الجانبية وانهيار ضفافها، وتتميز بكونها عارية من الغطاء النباتي (الشكل 6- ج).

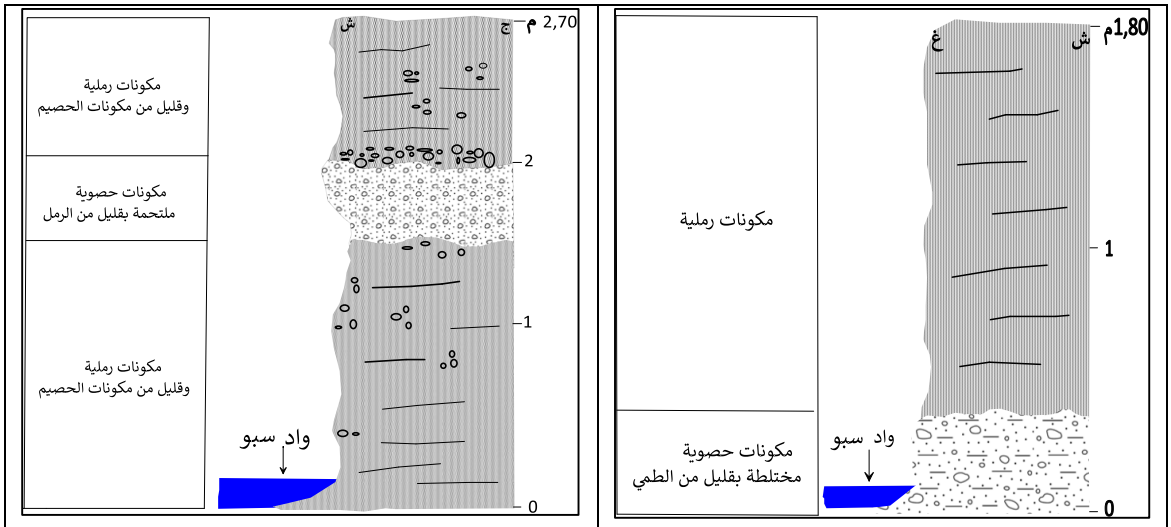

أ- مقطع مبسط لإرسابات الضفة اليمنى جنوب دوار سدي عبد الله

ب- مقطع مبسط لإرسابات الضفة اليمنى جنوب شرق دوار كرباش

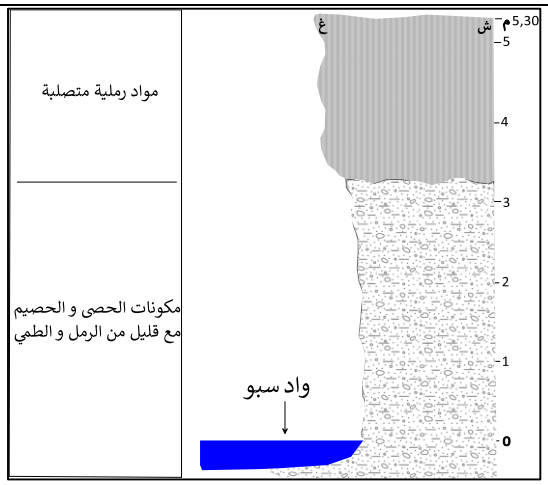 ج- مقطع مبسط لإرسابات الضفة اليمنى جنوب دوار مزاب	الشكل 6: نماذج مقاطع إرسابات الضفاف بواد سبو الأوسط

3-4- دراسة قد العناصر الرسابية الخشنة

قمنا بدراسة رواسب المستويين 1 و3 من مستويات المقطع، وهي مواد خشنة كلسية –دولوميتية بالأساس، واعتمدنا على نفس المنهجية المذكورة في الجزء الأول لدراسة أحجام العناصر المكونة لهذه الرواسب وذلك بقياس قد كل عنصر في العينة (الشكل 6)، وتختلف أحجام مكونات المستويين كما أشرنا لذلك من قبل:

- يتشكل المستوى 1 في الغالب من مكونات الحصيم (الدقيق والمتوسط والخشن) بنسبة 77% لتكون النسبة الأوفر للحصيم الخشن بنسبة 40%، أما ما تبقى فللحصى (الدقيق والخشن) بنسبة 23% بغلبة الدقيق منه بنسبة 20%، مع غياب الجلاميد، ما يبرز أن توضع هذه الإرسابات حدث في مرحلة كان فيها الجريان قويا نسبيا.

- يتكون المستوى 3 من رواسب الحصيم فقط (الدقيق والمتوسط والخشن)، فيشكل الحصيم الخشن فيه نسبة 65%، وبذلك فقد توضع في مرحلة كان فيها الجريان قويا نسبيا أيضا إلا أنه أقل من سالفه حسب هذه الإرسابات.

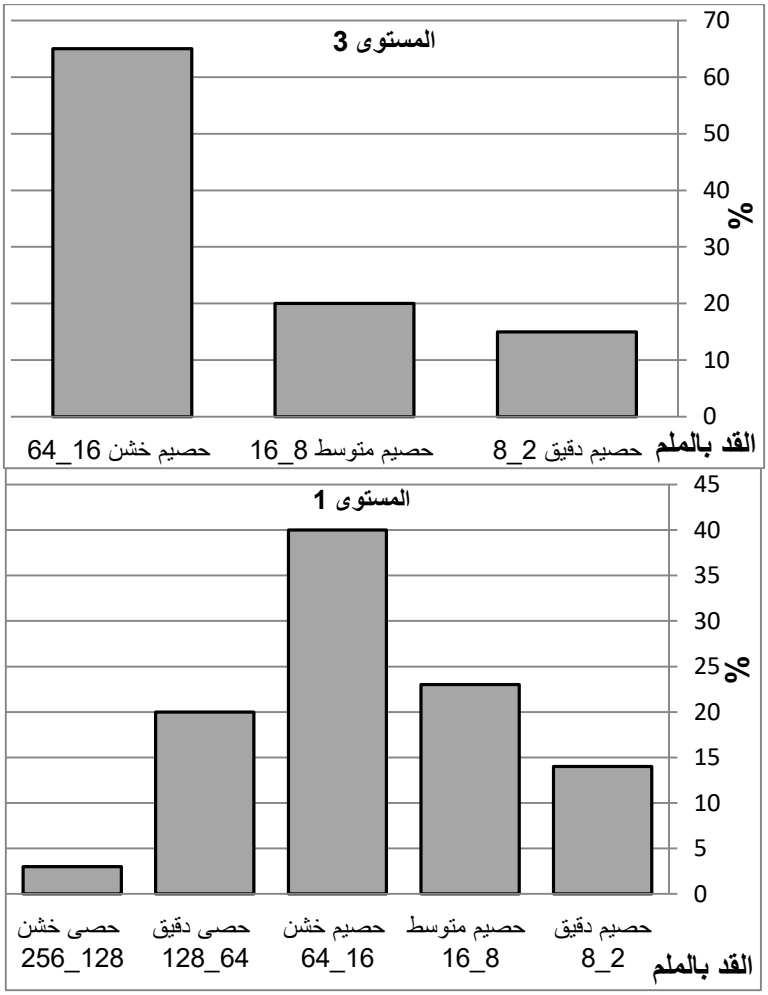

الشكل 7: نتائج دراسة قد العناصر الخشنة في رواسب السهل الفيضي بمقطع مكْرة

3-5- دراسة المواد الإرسابية الدقيقة

اعتمدنا على أخذ عينات من المواد الدقيقة من الميدان لدراستها بالمختبر، واهتمت الدراسة بالتحليل الحبيبي والتحليل المورفوسكوبي لهذه المواد.

تتشكل أغلب حبيبات الكوارتز من ثلاثة أنواع، نتعرف عليها فيما بعد، وقد اعتمدنا على الملاحظة المجهرية بغية معرفة أهم الأنواع التي يتميز بها مجال دراستنا، كما سنرى.

التحليل الحبيبي للإرسابات الدقيقة

قمنا في البداية بعزل المواد الرملية من المواد الدقيقة من الطين والغرين، ونبين في الجدول 2 النتائج المحصل عليها في مختلف مستويات المقطع، بحيث تتباين نسب الرمال بين 34,5%و75,52 % مقابل 65,5 %و24,48 %من الطين والغرين، وبذلك تؤكد هذه النتائج اختلاف وتفاوت الإرسابات المكونة لكل مستوى، بحيث تستحوذ نسبة الرمل على المستويات 1 و2 و3 فتساوي الثلثين بالمستوى 1، وتتعدى النصف بالمستويين 1 و2، ما عدا المستوى 4 الذي تتعدى فيه نسبة الطين والطمي نسبة الرمال (الجدول 2).

المستوى	النسبة المئوية للمواد الرملية	نسبة الطين والطمي
1	75,52	24,48
2	58,06	41,94
3	58,85	41,14
4	34,5	65,5

الجدول 2: نسب الرمال والطين والطمي بالعينات المدروسة

وعملنا بعد ذلك على التحليل الحبيبي للرمال وحصلنا على النتائج المقدمة في الجدول 3 والشكل 8، ومن تم تبين هذه النتائج أن الرمال الخشنة تتوفر بنسب أكثر في المستويين اللذين يتكونان من مواد خشنة بالمقطع كما يلي: 1 بـ 23,78 %، و3 بـ 21,34 %، ويتأكد ذلك من خلال قيم الوسيط على التوالي: 0,21 ملم بالمستوى 1 و0,12 ملم بالمستوى 3. فيما تسود الرمال الدقيقة بالمستويين 2 و4 لتتعدى 90 %، لكن الوسيط يأخذ في هذين المستويين قيما دنيا تتساوى في الثاني مع الثالث وتقل عنهما في الرابع فتساوي فقط 110,ملم.

المستوى	رمل خشن%	رمل متوسط%	رمل دقيق%	قيمة الوسيط - ملم
1	23,78	20,32	55,90	0,21
2	0,52	3,22	96,26	0,12
3	21,34	11,63	67,04	0,12
4	1,58	4,07	94,35	0,11

الجدول 3: نتائج التحليل الحبيبي لعينات الرمال برواسب مقطع مكّرة

تمثل المنحنيات المتراكمة المقدمة في الشكل 8 هذه الرواسب، وهي تبين أن منحنيات الرمال في المستويات الخشنة 1 و3 غير متماثلة وذات ترتيب عام سيئ، فيما الثانية مكونة من المستويات الدقيقة 2 و4 جيدة الترتيب ومتماثلة، وهذا يدل على اختلاف الظروف الهيدروديناميةخلال الإرساب: جريان قوي بالنسبة للمستويين 1 و3 وهادئ نسبيا في حالة المستويين 2 و4. وهذا ما تؤكده كذلك مؤشرات الترتيب والتماثل في هذه العينات، حيث يمكن استنتاج ما يلي:

- بالنسبة للمستويين الخشنين 1و3:

- في المستوى 1: يصل الوسيط في 0,21 ملم، وبذلك فالترتيب جيد حسب مؤشر TRASKالذي يساوي So= 2,07 لأن So<2,5، وتعتبر هذه الإرسابات مرتبة بشكل جيد أيضا حسب مؤشر INMAN لكونه يساوي σ°= 0,31،نفس الشيء حسب مؤشر FOLKوWARK الذي يساوي σ1=0,33. أما معامل التماثل حسب TRASK فهو SK=-1,71، وبذلك فهو توزيع غير متماثل وذو ترتيب جيد تجاه الرمال الخشنة لأن SK<1.

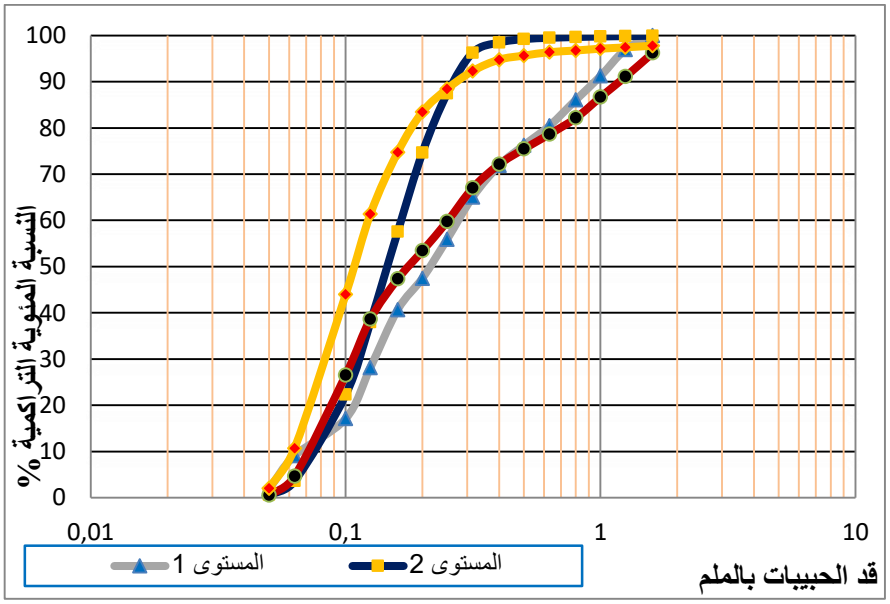

الشكل 8: المنحنيات التراكمية للتحليل الحبيبي لرواسب مقطع مكرة

- في المستوى 3: يبلغ الوسيط 0,12، وترتيب إرساباته جيد جدا حسب TRASK لكون مؤشر الترتيب يصل فيه So=2,59، وتعتبر إرساباته معزولة ومرتبة بشكل جيد جيدا حسب مؤشري INMAN الذي يبلغ σ°=0,32 و FOLK وWARK لكون مؤشره يصل σ= 0,341.وتتوزع إرسابات هذا المستوى بشكل غير متماثل لكنها ذات ترتيب جيد للرمال الخشنة لأن معامل TRASK يصلبه SK=-2,63.

حسب الشكلين 7 و8 وتحليل معطيات هذا المستوى، فإن حالة الجريان خلال مرحلة توضع مواده كانت متوسطة القوة إلى قوية شيئا ما لكونها رسبت مختلف المواد الخشنة والدقيقة.

- بالنسبة للمستويين الدقيقين 2 و4:

- في المستوى 2: يبلغ وسيط هذا المستوى 0,12، فتغلب على مكوناته المواد الدقيقة، وإن ما يميزه عن سابقه هو أن إرساباته ذات ترتيب وعزل جيد إلى جيد جدا حسب مؤشري TRASK، نظرا لأن مؤشر ترتيبه يساوي فيه So=1,26. وهو الأمر الذي يؤكده مؤشرINMAN الذي يساوي فيه المعدل σ°= 0,06 و FOLKوWARK الذي وصل مؤشر الترتيب فيه σ1= 0,05. أما معامل التماثل فيساوي في هذا المستوى SK=-0,50 حسب TRASK، وبذلك فتوزيعه غير متماثل لكنه ذو ترتيب جيد للرمال الخشنة.وهذا المستوى لا يتوفر على إرسابات حصوية، مما يبين أن حالة الجريان كانت ضعيفة إلى متوسطة القوة خلال توضع مواده.

- في المستوى 4: يساوي وسيط هذا المستوى 0,11، فتغلب على مكوناته المواد الدقيقة التي تصل نسبتها 94,35%، مما يظهر أن ترتيب مواده جيد جدا حسب مؤشر الترتيب لـ TRASK الذي وصل So=1,22، وتعتبر إرساباته معزولة ومرتبة بشكل جيد جدا حسب مؤشري INMAN لكونه يساوي σ°=0,05 و FOLKوWARK لأنه يساوي σ= 0,071.ويعتبر توزيع إرساباته غير متماثل حسب معامل التماثل لـTRASK الذي يساوي SK=-0,36، وترتيب المواد جيد نحو الرمال الخشنة.

وتشير كل هذه النتائج إلى أن توضع الإرسابات حدث في حالة جريان ضعيف نسبيا، لكون المواد المرسبة دقيقة في أحجامها ونظرا لأن المستوى تنعدم به الإرسابات الحصوية وفيه حوالي 94,35% من الرمال الدقيقة.

التحليل المورفومتري لحبيبات الكوارتز

بعد التحليل المورفوسكوبي لحبيبات الرمال حصلنا على معطيات الجدول 4 الذي يبين أن حالة نقل وإرساب هذه الحبيبات يجعل منها مواد مختلفة من حيث الشكل، لتبلغ نسبة الحبيبات الغير محتكة وذات الأجزاء الحادة 18% بالمستوى 1 و20% بالمستوى 3 و17% بالمستوى 4 مشكلة النسبة الأقل بين الحبيبات، وهي إشارة على أن مسافة نقل واحتكاك هذه المواد قصيرة لذلك لم تتعرض للاحتكاك. لكن نسبة الحبيبات اللامعة تختلف بين مستوى وآخر، حيث تحتل النسبة الأكثر بـ 42% بالمستوى 1 والرتبة الثانية بنسبة 38% بالمستوى 3 و29% بالمستوى 4، ما يحيلنا على أنها نقلت مسافة أطول من سالفتها فتعرضت لاحتكاك أكثر من سابقتها، (Ph-H. Kuenen, et al., 1959 و A. Alali, et al., 2014) وذلك ما يظهر على زواياها المحتكة والمتميزة باللمعان. فيما تتمثل النسبة الأوفر في الحبيبات المكورة بنسبة 42%، بالمستوى 3و 54% بالمستوى 4، لكنها تحتل الرتبة الأخيرة بالمستوى 1 بنسبة 40%، لذلك فهذه الحبيبات ربما موروثة من صخور قديمة بحوض سبو.

نوع الحبيبات	المستوى 1	المستوى 3	المستوى 4
حبيبات غير محتكة Non usés%	%18	%20	%17
حبيبات مدملكة لامعة Emoussés luisants%	%42	%38	%29
حبيبات مستديرة Grains arrondis%	%40	%42	%54
المجموع	**% 100**	**%100**	**%100**

الجدول 4: نتائج الملاحظة المجهرية والتحليل المورفوسكوبي لحبيبات الكوارتز

4- خصائص رواسب المجرى

تختلف الرواسب بالمجرى وتتنوع بين مكان وآخر، فتتكون أساسا من مواد خشنة مكونة من الحصى والحصيم ومواد دقيقة مكونة من الطين والطمي، وتختلف قليلا أنواع المواد المرسبة بهذا الجزء عن الجزء السابق، وتختلف وتتعدد أوساط إرسابها، وذلك مانوضحه في لوحة الصور 2 كالتالي:

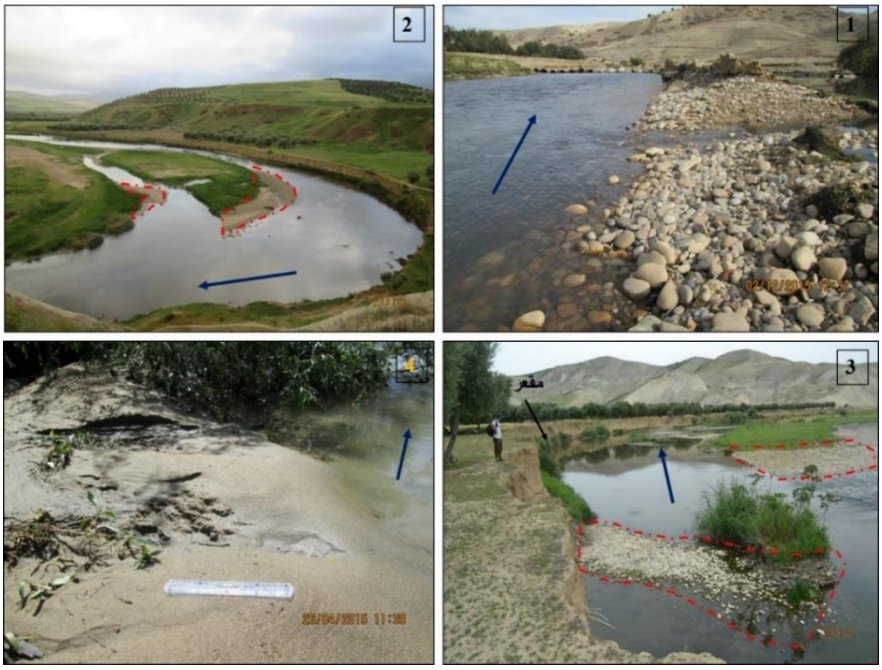

لوحة الصور 2: نماذج من أنواع الإرسابات السائدة بمجرى سبو

1-رواسب متكونة من الحصى والحصيم وبعض الجلاميد بلحام من الرمل الخشن، متوضعة بجانب من ضفة محدبة (جنوب دوار كرباش)؛ 2- رواسب رملية خشنة متوضعة بالضفة المحدبة فوق الرواسب الحصوية (غرب دوار مكْرة)؛ 3 - رواسب خشنة مكونة من الحصى والحصيم، توضعت بموقع عتبة، ببداية المقعر وفي وسط المجرى (شمال دوار مكْرة)؛ 4- رواسب دقيقة مكونة من الرمل والطمي، ترسبت بالجانب الأيسر للمجرى نتيجة وجود حاجز نباتي، وبعد تراجع التيار المائي (جنوب دوار حوض الخنزير).

4-1- تحليل رواسب المجرى

لتقييم حجم العناصر الرسابية الخشنة، عملنا على دراسة بعدها الطولي من خلال القياس للعناصر الحصوية، كما عملنا على التحليل المورفومتري لعناصر الحصى، بغية ضبط مؤشرات التجانس والتفلطح الدملكة في الميدان، زيادة على التحليل الحبيبي والمورفوسكوبي لعينات الرمل في المختبر.

4-1-1- قد العناصر الخشنة

تشكل العناصر الإرسابية مواد حصيمية ذات أحجام مختلفة بالمجرى المائي، فيغلب عليها طابع الحصيم بفئاته الثلاث (الدقيق والمتوسط والخشن)، ونجد كذلك بعض عناصر الحصى، كما يوضحه الشكل 9.

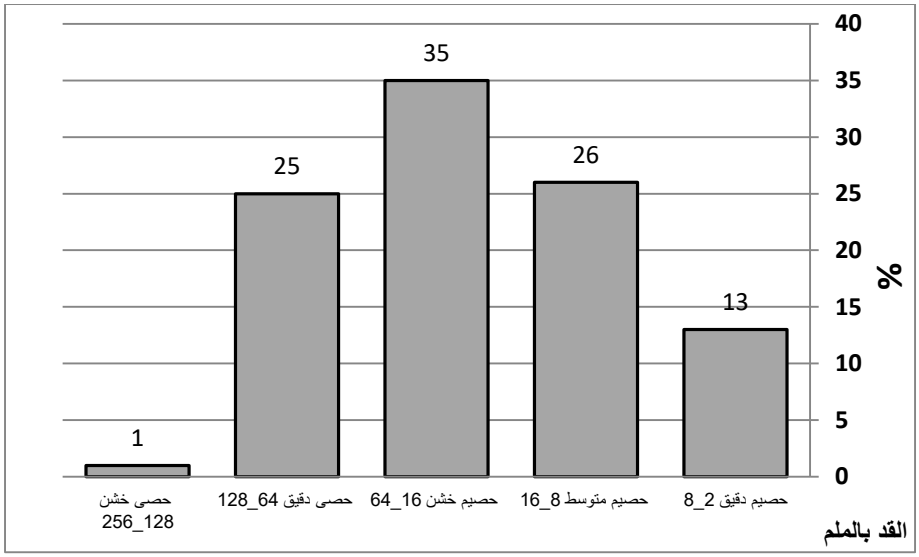

الشكل 9: نتائج دراسة قد العناصر الخشنة في إرسابات المجرى، بمنطقة مكّرة

تختلف الإرسابات الخشنة قليلا فيما بينها بهذا المجال، لتشكل نسبة الحصى (الدقيق والخشن) حوالي 26% ونسبة الحصيم (الدقيق والمتوسط والخشن) حوالي 74% بغلبة الحصيم الخشن، ويظهر المنوال في طول الفئة 16-64 ملم.

4-1-2- التحليل المورفومتري للحصى

قمنا بحساب مؤشرات التفلطح والدملكة والتجانس، واعتمدنا 100 عنصر في كل عينة.

أ- مؤشر التسطح أو التفلطح (Ia) L'indice d'aplatissement

يحسب المؤشر باستعمال المعادلة التالية : Ia=(L+I) /2E

بحيث أن : (L = الطول، I = العرض، E = السمك)، ففي حالة كان الحصى مستديرا فإن : Ia= 1، وكلما ارتفع هذا المؤشر ابتعد شكل الحصى عن الاستدارة، و عموما يتراوح مؤشر التسطح بين 1 و4. الشكل 10.

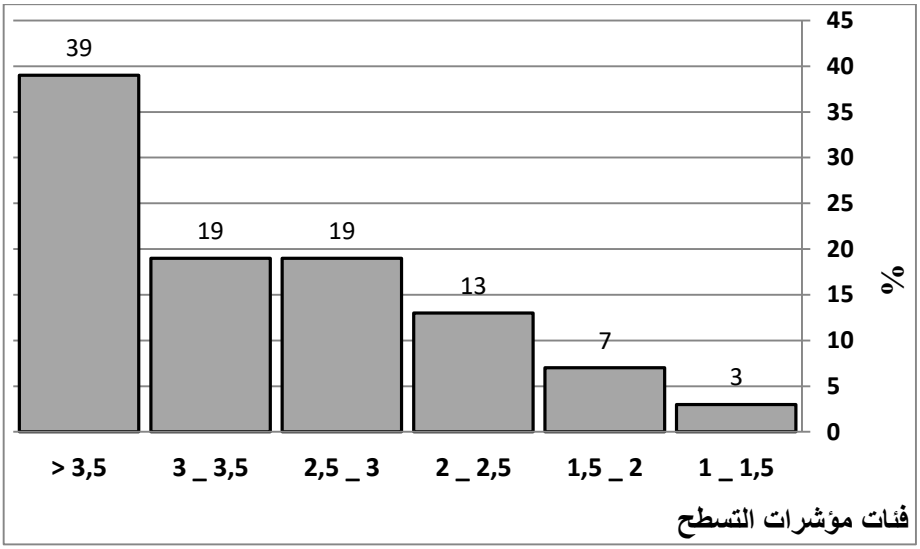

الشكل 10: النسبة المئوية لفئات مؤشرات التسطح

لا يتوفر هذا المجرى على حصى مستدير تماما، لكن تطغى عليه الفئة التي تتخذ شكلا شبه بيضوي إلى شبه مسطح بمؤشر يتراوح بين 2 و 3,98 بنسبة 83%، مع تراجع بنسبة 7% في الفئة المتأرجحة بين 2,00 و 3,00 وزيادة بنسبة 9% في الفئة المتراوحة بين 3,00 و 3,98، إلا أن حوالي 12% منها شبه مستديرة، لأن مؤشرها يتأرجح بين 1,39 و 1,98 فيما 5 % شبه مسطحة تقريبا لكون هذا المؤشر يساوي فيها 4,00، فيشكل منوالها الفئة التي تتجاوز 3,5 بمتوسط يقدر بـ 0,62، وهو الأمر الذي يؤكد أنها منقولة من مكان بعيد شيئا ما (الأطلس المتوسط عالية واد سبو أو عالية واد إناون) بنفس العامل.

ب- مؤشر الدملكة (IE) L'indice d'émoussé

يطبق هذا المؤشر على الحصويات التي يظهر على واجهتها أنها معرضة للدملكة، ولتجنب الأعداد الكسرية نحسب بالمعادلة التالية : IE = 2r/L أو IE= (2r x1000)/L

r = شعاع أصغر دائرة على الحصى. L = طول الحصى.

ففي حالة إذا كان الحصى دائريا و جد مدملك فإن IE=1، (أو 1000 x1) و كلما قل هذا المؤشر عن ذلك إلا و كان الحصى أقل تدملكا (الشكل 11).

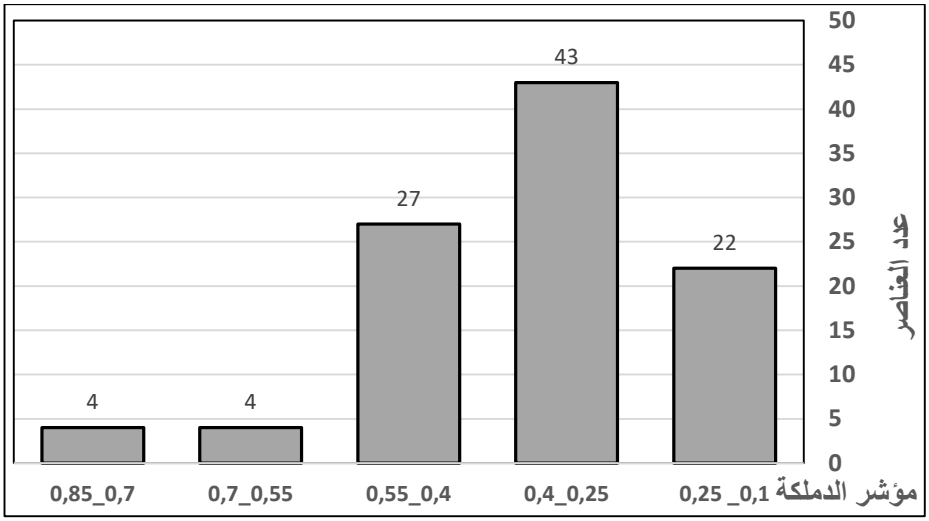

الشكل 11: مؤشر دملكة المواد الإرسابية

يعتبر مؤشـر الدملكة في هذا المجرى أقل تشـتتا، إذ أنه لم يتعدى الحد المحدد له 1 (1000)، ما يبرز أن كل الحصـويات تتراوح بين الشـكل المسـطح والبيضـوي، لأن المؤشـر فيها يتراوح بين 0,15 و0,77، بمنوال يتأرجح بين 0,25 و0,4، ومتوسـط يقدر بـ0,80، الأمر الذي يجعلنا نؤكد ما تحدثنا عنه من خلال المؤشر السالف.

ج- مؤشر التجانس أو اللاتجانس L'indice de dissymétrie (Id)

يحسب هذا المؤشر بتطبيق المعادلة التالية : Id= Ac/L أو Id= (Ac*1000) /L

بحيث Ac : المسافة الفاصلة بين أعلى و أبعد نقطة في الصخرة أو الحصى (الشكل 3-16)، و كلما زاد هذا المؤشر ارتفاعا في Ac>L/2 كلما أصـبح الحصـى غير متجانس، وليكون الحصـيم مسـتديرا تماما فإن Id=0,5 أو 500 إذا ضـربنا 0،5 في 1000 (الشكل 12):

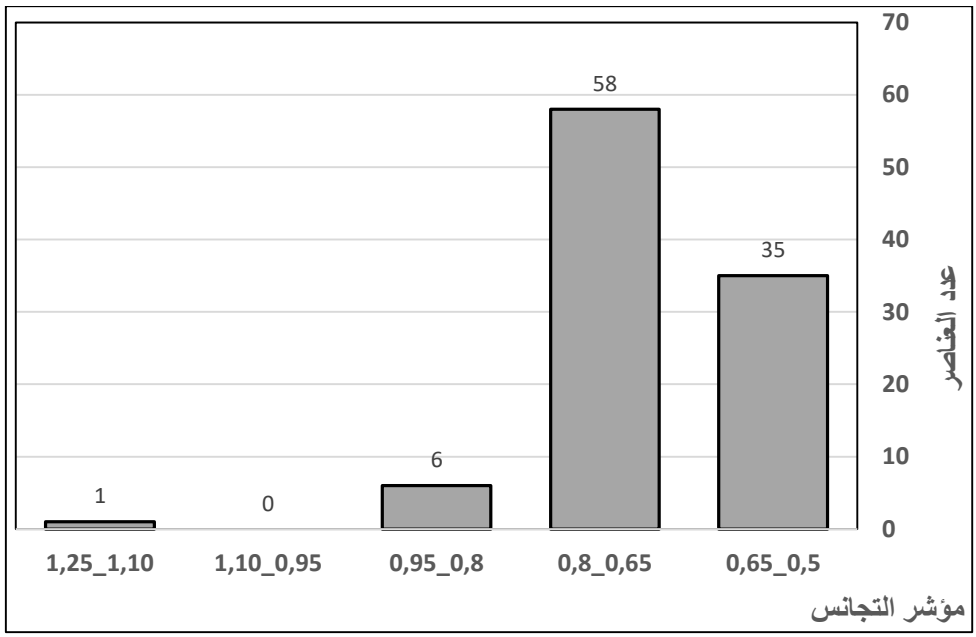

الشكل 12: مؤشر تجانس المواد الإرسابية

تتراقص المكونات الإرسابية الخشنة (الحصى) بين 1,25<Id<0,5، لتتجاوز كلها معدل الاستدارة المحدد في Id=0.5 ما عدا واحدة منها بلغت 0,50، بمنوال تأرجح بين 0,65 و0,8 ومتوسط قدر بحوالي 0,68، وبذلك فهي غير متجانسة تماما، الشيء الذي يجبرنا على القول بأنها نقلت من مجال بعيد شيئا ما بنفس الطريقة التي نقلت بها مواد الجزء الأول، ولربما مع ازدياد قوة الصبيب شيئا ما عن سالفه كما ذكرنا سابقا، وبذلك فحالة النقل والإرساب والجريان التي تحدثنا عنها تجرنا لإقحام الإرسابات الدقيقة الآتية للتأكد من ذلك.

4-1-3- التحليل الحبيبي للإرسابات الدقيقة بالمجرى المائي

قمنا بدراسة عينة رملية من رواسب المجرى المائي أخذت من قعر المجرى، وبعد التحليل الحبيبي للعينة حصلنا على المبيان التراكمي في الشكل 13.

ويبلغ وسيط المواد الرملية 0,21 ملم، وهي ذات ترتيب جيد وتماثل متوسط حسب شكل المبيان، كما تؤكده كذلك مؤشرات الترتيب. فالمعطيات تبرز أن ترتيب إرساباته جيد جدا حسب TRASK لكون مؤشر الترتيب يساوي به So=2,11، ويعتبر عزل وترتيب المواد جيد جدا حسب INMAN لكونه يساوي $\sigma° =0,35$ وحسب FOLK وWARK لأنه يصل $\sigma_1=$ 0,35 أيضا.

أما معامل التماثل حسب TRASK يساوي SK= -2,14، وبذلك فتوزيع إرساباته غير متماثلة لكن ترتيبها جيد تجاه الرمال الخشنة.

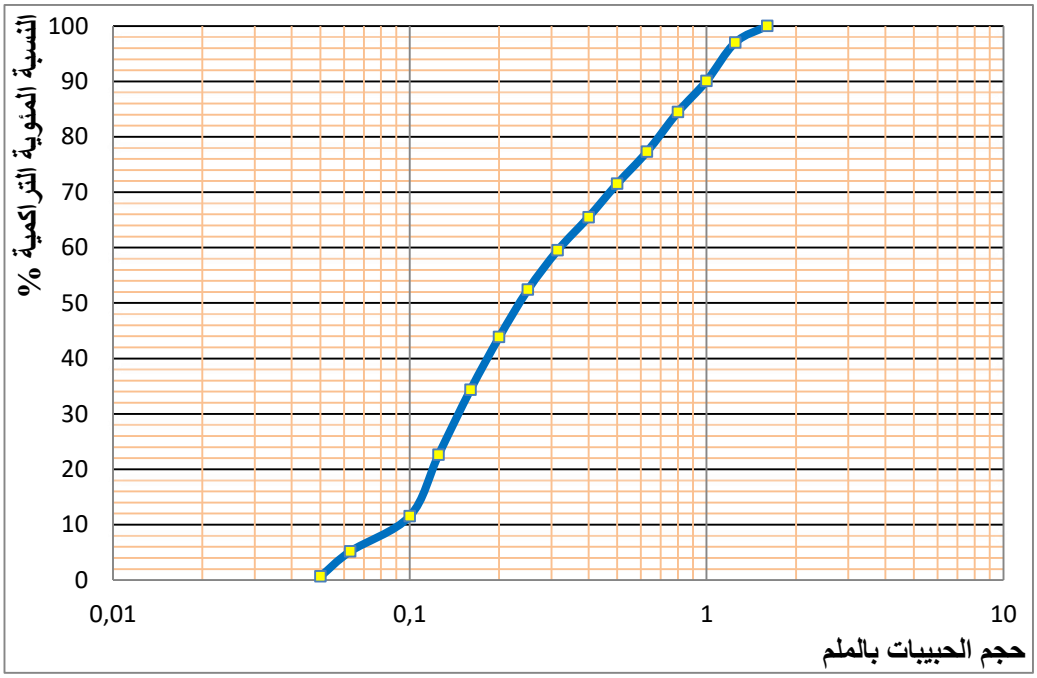

الشكل 13: نموذج لمنحنى تراكمي لنتائج التحليل الحبيبي للرواسب الرملية بقعر مجرى واد سبو شمال غرب دوار مكّرة

4-1-4- التحليل المورفوسكوبي لحبيبات الرمال

بعد التحليل المورفوسكوبي لحبيبات الرمال توصلنا للنتائج المبينة في الجدول 5، بحيث تعتبر الحبيبات المستديرة هي السائدة بنسبة 46%، تليها الحبيبات المدملكة اللامعة بنسبة 34 %، ثم الحبيبات الغير محتكة وذات الزوايا بنسبة 20%. وهذا يدل على أن الرواسب الرملية للمجرى تتميز بخليط من الرواسب الواردة من العالية ومن السفوح المجاورة، مع وجود حبيبات مستدير سائدة تعود ربما لموروثات إرسابية قديمة.

حبيبات غير محتكة Non usés	%20
حبيباتمدملكة لامعة Emoussés luisants	%34
حبيبات مستدير Grains arrondis	%46
المجموع	%100

الجدول 5: نتائج التحليل المورفوسكوبي لحبيبات الرمال بقعر مجرى واد سبو شمال غرب دوار مكّرة

الخاتمة

يمتد السهل الفيضي لواد سبو بالجزء الثاني في الوسط الجيومرفولوجي لتلال مقدمة الريف، حيث يتباين اتساعه حسب طبيعية الصخور المحيطة به، بين مقاطع ضيقة يقدر اتساعها بحوالي 400 م وأخرى واسعة قد تتعدى 2500 م، كما أن الانحدار العام للسهل الفيضي يبقى ضعيفا ويقدر ب0,2 %.

يتكون السهل الفيضي من رواسب نهرية خشنة أساسا، وهي عبارة عن حصى وحصيم ورمال يتباين سمكها على العموم ما بين 2 و3 أمتار، وتختلف هذه المكونات ليتشكل هذا السهل من مواد مكونة من غلبة الرمال والحصى والحصيم بقاعدة المقطع وغلبة الطين والطمي بأعلاه.

تستحوذ نسبة الرمل على المستويات 1 و2 و3 فتساوي الثلثين بالمستوى 1، وتتعدى النصف بالمستويين 1 و2، ما عدا المستوى 4 الذي تتعدى فيه نسبة الطين والطمي نسبة الرمال، وتشير النتائج المحصل عليها إلى أن توضع الإرسابات حدث في حالة جريان ضعيف نسبيا، لكون المواد المرسبة دقيقة في أحجامها ونظرا لأن المستوى تنعدم به الإرسابات الحصوية وفيه حوالي 94,35% من الرمال الدقيقة.

تختلف الإرسابات الخشنة قليلا فيما بينها بهذا المجال، لتشكل نسبة الحصى (الدقيق والخشن) حوالي 26% ونسبة الحصيم (الدقيق والمتوسط والخشن) حوالي 74% بغلبة الحصيم الخشن، وتتميز الرواسب الرملية الدقيقة للمجرى بخليط من الرواسب الواردة من العالية ومن السفوح المجاورة، مع وجود حبيبات مستدير سائدة تعود ربما لموروثات إرسابية قديمة.

المراجع :

Bacchi V., 2011. Etude expérimentale de la dynamique sédimentaire d'un système à forte pente soumis à des conditions hydrauliques faibles. Thèse de doctorat. Univ de Grenoble, École Doctorale Terre Univers Environnement. Paris. 209p.

Castanet C, Camerlynck C, Vella M-A, Garcin M. & Burnouf J., 2007. Approche géographique, sédimentologie et géomorphologique intégrée pour la caractérisation des dynamiques fluviales de la Loire survenue durant les derniers 25000 ans (Val d'Orléans, Loiret). Univ Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France. Univ Pierre et Marie Curie, Paris, France. BRGM, 2 Av. Cedex. France. 6ème colloque Géofcan. Bondy, France. Pp. 99-102.

Champagnac L., 2005. Dynamique des formations superficielles et analyse morphologique du Val de Ruz. Univ de Neuchâtel. Institut de géographie et de géologie. 149p.

Corbonnois J, Jacquemot Th, Giovannaci L, Beck Th. & El Ghachi M., 2011. Les indicateurs de l'évolution actuelle des lits fluviaux. Etude de cours d'eau du Nord-Est de la France. Univ de Maine, UFR Lettre, Langue, et Sc Humaines. Bureau d'étude Inddigo, Toulouse. Chargé de mission au Parc naturel des Ballons des Vosges. Univ Paul Verlaine-Metz, UFR Sciences Humaines et Arts. Univ Sultan Moulay Slimane, FLSH, Beni Mellal. Revue Géographique de l'Est. Vol 51/3-4. Pp. 1-16.

Deferne J. & Engel N., 2010. Des débris de l'érosion aux roches sédimentaires. Extrait de « Le monde fascinant des roches ». 16p.

Devleeschouwer X., 2009. Cours de sédimentologie (GEOL-F-204), Processus d'érosion mécanique. Univ Libre de Bruxelles. Univ d'Europe. 110p.

Donatella P. Claudio C, Stevo L, and Attilio T., 2019. The Long-Term Effects of Land Use and Climate Changes on the Hydro-Morphology of the Reno River Catchment (Northern Italy). Water 2019, 11, 1831; doi:10.3390/w11091831. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/). Pp. 1-16.

Dridri A. & Fedan B., (2001). Origine et distribution des argiles des formations superficielles du moyen Sebou (Maroc). Université Sidi Mohammed Ben Abdellah, FSD Géologie, Fès, Université Mohammed V. Agdal, ISDG, Maroc. Bulletin de l'institut scientifique. Rabat. 2001. N° 23. Pp. 55 – 65.

Dridri A. & Fedan B., (2001). Rôle du contrôle structural dans la mise en place du réseau hydrographique de Sebou et Inaouen entre Fès et Oued Amlil (Maroc). Université Sidi Mohammed Ben Abdellah, FS. Université Mohammed V, Agdal, Institut Scientifique. Bulletin de l'institut scientifique, Rabat, section sciences de la Terre. N°23. Pp. 67-77.

Galliot N., 2007. La dynamique géomorphologique du méandre de la basse vallée de la Bruche (Bas-Rhin) : Approche historique. Mémoire d'ingénieur de l'ENGEES. Ecole nationale du génie de l'eau et de l'environnement de Strasbourg. Univ Louis Pasteur, Strasbourg. Centre national de la recherche scientifique. 69p.

HCP., (2004). Recensement de la population et de l'habitat de 2004, Population légale du Maroc. 25p.

Larue J.P., (1983). La dynamique des cours d'eau dans les zones de confluence au cours du Quaternaire. In: Norois. N°118. Pp. 227-244.

Larue J.P., (2004). Morphodynamique fluviale actuelle d'origine anthropique: exemples dans le Bassin de la Lpire (France). Univ de Paris. Article géomorphologie: relief processus, environnement. Volume 10. N°2. Pp. 127-138.

Miramont C, Jorda M. & Pichard G., (1998). Évolution historique de la morphogenèse ET de la dynamique fluviale d'une rivière méditerranéenne: l'exemple de la moyenne Durance (France du Sud-Est). Article de géographie physique ET quaternaire. Vol 52. N°3. Pp. 381-392.

Peijia W, Kaidao F, Jiangcheng H, Xingwu D. & Zaizhi Y., 2020. Morphological changes in the lower Lancang River due to extensive human activities. Review PeerJ. Jul 23; 8: e9471. doi: 10.7717/peerj.9471. eCollection. Pp. 1-21.

Peiry J.L., (1986). Dynamique fluviale historique ET contemporaine du confluent Giffre-Arve (Haute-Savoie), In: Revue de géographie de Lyon. Vol 61. N°1. Pp. 76-96.

Peiry J.L., (2011). Le Transport sédimentaire sur l'Allier ET la problématique des captures de gravières. Univ Blaise Pascal. Séminaire technique. 21p.

Taous A., 1994. Le système alluvial de la moyenne terrasse de la Moselle en Lorraine méridionale (approche morphosédimentaire et pétrographique). Thèse Doct, Univ. Nancy 2, 201p.

Tony R., 2006. Dynamiques hydro-sédimentaires en petite Camargue à l'Holocène. Thèse de doctorat en géographie. Univ Montpellier III-Paul Valery, Art et Lettre, Langue et Sciences Humaines et Sociales. 309p.

Valenza J. M, Edmonds D. A , Hwang T & Roy S., 2020. Downstream changes in river avulsion style are related to channel morphology. Revue nature communications. https://doi.org/10.1038/s41467-020-15859-9 | www.nature.com/naturecommunications. Pp. 1-8.

Wolman M.G., 1954. A method of sampling coarse bed material. American Geophysical Union. Transactions, 35 : Pp. 951-956.

Yazami Ztait M, Samaa I, El Ghachi M, Taleb A, Ouali Alami F T., (2020). Ressources en eaux à la lumière de la variabilité climatique dans le moyen Sebou, entre les deux stations Azzaba et Dar El Arsa. Revue African Scientific Journal, Volume 3, Numéro 3, pp : 111-135.

العلاقات التجارية الليبية البريطانية من خلال الوثائق الأرشيفية1951-1969

Libyan-British trade relations through archival documents 1951-1969

1. أسمهان ميلود معاطي أستاذة وباحثة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، الزاوية .ليبيا ـ a.sahboun@zu.edu.ly

الملخص: احتضنت ليبيا نشاطا متوسطيا وأقامت علاقات تجارية متعددة ومتنوعة مع الدول المتوسطية والأطلسية اتسمت بالاستمرارية وفق السياقات التاريخية، ولا تهدف هذه الورقة وصف التجارة المتوسطية بتشابكاتها وتعقيداتها بل تستهدف الوصول إلى ترسيمه للعلاقات التبادلية بين الدولة الليبية المستقلة وبريطانيا في الفترة المعاصرة. لذا تم اختيار مسائل تطال أبعاد العلاقة التجارية بين الطرفين، وهذه المسائل هي: التوظيف الاستراتيجي للموانئ الليبية في بناء شبكة العلاقات التجارية والحركية الاقتصادية للدولة الليبية، والسلع التجارية التبادلية والتي عكست الظروف الاقتصادية لكلتا الدولتين، والاختراق التجاري البريطاني للسوق الليبية بسبب الفرص التشجيعية والتسهيلات التجارية الممنوحة من قبل المؤسسة السياسية.

ويخلص البحث إلى أن المصالح التجارية كانت رهينة للأغراض السياسية والمنطلقات النفعية التي شكلت محددات السياسة الاقتصادية البريطانية. ذلك أن فاعلية الشراكة التجارية اختلفت من فترة إلى أخرى فاعتراها التغير والتبدل وفق الظرفية الاقتصادية للدولة الليبية فتضعف تارة وتتقوى تارة أخرى. في الوقت الذي تمكنت فيه بريطانيا من تحقيق تفوقا تجاريا في الحوض المتوسطي بسبب تقدمها الصناعي وجودة منتجاتها وأسطولها البحري الذي سيطر على عملية النقل التجاري في الموانئ الليبية. ونتج عن المبادلات التجارية إغراق السوق الليبية بالبضائع الأوربية؛ مما أدى إلى ضرب أنماط الانتاج التقليدية وتفككها، وفرض الهيمنة الرأسمالية على الاقتصاديات الليبية.

الكلمات المفتاحية: المبادلات، الفرص التجارية، الاختراق، الهيمنة، الوفرة الإنتاجية.

Abstract; Libya has embraced Mediterranean activity and has established multiple and varied commercial relations with the Mediterranean and Atlantic countries that have been characterized by continuity according to historical contexts. This paper does not aim to describe Mediterranean trade with its intertwines and complexities, but rather aims to reach its demarcation of the reciprocal relations between the independent Libyan state and Britain in the contemporary period, so we will choose issues that affect the dimensions of the relationship. Trade between the two parties, and these issues are: the strategic employment of the Libyan ports in building a network of commercial relations and economic mobility of the Libyan state, and the exchange of commercial goods that reflected the economic conditions of both countries, and the British commercial penetration of the Libyan market due to the incentive opportunities and commercial facilities granted by the political establishment

The research concludes that commercial interests were hostage to political purposes and utilitarian perspectives that formed the determinants of British economic policy, as the effectiveness of the commercial partnership varied from one period to another, so it considered from change to another change according to the economic circumstance of the Libyan state, thus weakening and strengthening at other times. At a time when Britain was able to achieve a commercial advantage in the Mediterranean basin due to its industrial progress. The quality of its products, and its maritime fleet that dominated the commercial transport process in the Libyan ports. As a result of the commercial exchanges, the Libyan market was flooded with European goods, which led to the hitting and disintegration of traditional production patterns, and the imposition of capitalist hegemony on the Libyan economies

Key words: tradeoffs, trade opportunities, penetration, dominance, productive abundance

المقدمة

ارتبطت ليبيا بشبكة من العلاقات التجارية مع الدول المتوسطية بحكم موقعها الاستراتيجي، فقربها من أهم موانئ بلدان البحر المتوسط، جعل منها منطقة تجارة وتبادل سلعي مع الدول الأوربية، وكانت بريطانيا تسيطر على جزء كبير من هذه المبادلات التجارية بحكم العلاقات المميزة بين الطرفين، وقد شكلت المعاهدة الليبية البريطانية وثيقة دبلوماسية مهمة تتضمن أسس المصالح البريطانية في ليبيا عند قيام الدولة الوطنية في خمسينيات القرن العشرين.

وأضحت ليبيا في الفترة المعاصرة ذات وضعية اعتبارية خاصة فالاقتصاد الليبي استقر به الحال بعد عجز تجاري وفقر اقتصادي إلى وفرة إنتاجية في الصناعات الاستخراجية. هذه التحولات تبعها تغيرات هيكلية في البنية الاقتصادية من خلال زيادة حجم التجارة الخارجية لتلبية الطلب المتزايد في السوق المحلية، وبالتالي زادت حدة المنافسة الخارجية على هذا السوق فكان لزاما على بريطانيا تعزيز مصالحها وفق التطورات المستحدثة عبر الروابط التجارية، فتشكلت العلاقات الليبية البريطانية في الفترة المعاصرة وفق هذه المحددات الاقتصادية.

وتكتسي دراسة العلاقات التجارية بين ليبيا وبريطانيا أهمية معرفية وقد بقى هذا البعد محدود التناول والبحث مقارنة بالدراسات السياسية والاستراتيجية، وظلت البحوث الخاصة بالتجارة بين البلدين نادرة ولا تتناسب وأهمية الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي تلعبه، والوظائف المتعددة التي تقوم بها في، وتأثيرها على المجتمع والدولة في آن واحد.

إن موضوع التبادل التجاري بين الساحل الليبي والمتوسط يعد مجالا رحبا للبحث قد يبوح بعدة معطيات ثرية وغنية عن الحياة الاقتصادية من خلال استقصاء المصادر المحلية والتنقيب في الارشيفات الأوربية من أجل تحديد طبيعة المبادلات التجارية، وما نراه اليوم من تنافس غربي على ليبيا ما هو إلا صورة تدلل على أن المنطقة تشكل في بعدها الاستراتيجي والاقتصادي أهمية كبرى في السياسة الدولية.

ويتمحور هذا البحث ضمن إشكالية أساسية محورها فهم ظاهرة العلاقة التجارية بين الطرفين خلال الفترة المعاصرة في الفضاء المتوسطي، وتوظيفها في فرض الهيمنة الرأسمالية الاقتصادية من خلال طرح عدة تساؤلات فرعية أهمها: كيف تمكنت بريطانيا من الحفاظ على مصالحها الاقتصادية وتعزيزها في ضوء الاتجاهات الجديدة للتجارة الليبية؟ وما هي آليات السيطرة وأشكال التدخل التي انتهجتها في المجال التجاري؟ وهل كانت الموانئ ووسائل النقل المتوفرة كافية لضمان تبادل سلعي منتظم بين البلدين لنقل البضائع والمنتوجات بين مختلف مناطق الانتاج والاستهلاك؟

وماهي أهم التحديات والمعوقات التي واجهت التبادل التجاري بين الطرفين وحدت من فاعليته؟ وماهي الفرص التسويقية للسوق الليبية والتي جعلت منه ميدان للتنافس التجاري من قبل كافة الدول الأوربية المتوسطية والأطلسية.

إن البحث في طبيعة العلاقات التجارية يطرح عدة اشكاليات منهجية تتعلق بطبيعة المادة المصدرية، فالوثائق البريطانية هي عبارة عن مراسلات وتقارير للبعثة الدبلوماسية في طرابلس إلى وزارة الخارجية البريطانية تتضمن معلومات وبيانات مستقاة من الواقع ومن لقاءاتهم وحواراتهم مع المسؤولين الليبيين آنذاك. وتمكننا هذه الوثائق من إعطاء صورة مستخلصة للتبادل التجاري وهو ما يجعل هذه الدراسة أكثر دقة في التحليل، ورسم صورة شاملة لمحددات العلاقة التجارية بين الطرفين.

أما بالنسبة للوثائق الليبية فهي عبارة عن مجموعات إحصائية متعلقة بالنشاط الاقتصادي في المملكة تتضمن بيانات ثم جمعها من مختلف الوزارات والمصالح الحكومية تلقي الضوء على التطورات التجارية والعلاقات التبادلية مع الآخر، وعلى الرغم من أهميتها فلا نستطيع الجزم بأن كل ما جاء فيها كان بالدقة المرجوة.

وستحاول هذه الورقة البحثية من خلال استنطاق الوثائق الأرشيفية أن تستجلي مسار هذه العلاقات من خلال تتبع المبادلات التجارية بين الطرفين خلال الفترة قيد الدراسة، ومحاولة تقديم رؤية توضيحية عن مسارات التجارة وحركة الاستيراد والتصدير وتباينها من فترة زمنية إلى أخرى.

.الموقع الجغرافي وأهميته في التجارة المتوسطية

تنفرد ليبيا بمزايا استراتيجية هامة فهي تتوسط الساحل الشمالي للقارة الإفريقية، وتشرف على الساحل الجنوبي للمتوسط بطول يقدر بحوالي 1900كم، مما جعل الموقع الليبي يكتسي أهمية كبيرة في حركة التبادل التجاري بين ليبيا والدول الأوربية عبر وجود خطوط ملاحية تربط الموانئ الليبية بنظيراتها في الحوض المتوسطي وخاصة ميناء طرابلس الذي كان يمثل الميناء الرئيسي للتبادل التجاري البحري عموما بَعده أقصر الخطوط التجارية للموانئ الأوربية، الأمر الذي ترتب عليه انخفاض تكلفة البضائع الصادرة والواردة منه وإليه. وتصف المصنفات التاريخية مدى أهميته التجارية بقولها: أنه ممتاز وقادر على إيواء أعداد كبيرة من السفن قد تصل الى أربعمائة سفينة، ومع ذلك لا يصلح الا للقطع الصغيرة والمتوسطة في حين أن مياهه الضحلة فرضت على السفن الكبيرة الرسو خارجه على بعد ثلاثة أميال[91].

[91] - كابوفين، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر، ترجمة عبدالسلام مصطفى باشا إمام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988، ص 300.

ومما زاد في أهميته كونه يقع في نطاق إقليم الكثافة السكانية، والوفرة الإنتاجية سواء كانت زراعية أو صناعية، فضلا على أنه لا يخدم الإقليم الطرابلسي لوحده بل يعد المنفذ الرئيسي لواردات فزان وصادراتها أي أن حوالي 80% من مجموع الصادرات والواردات كانت تمر عبر الميناء الطرابلسي[92].

ولم تكن علاقات ليبيا التجارية الخارجية مرتبطة فقط بميناء طرابلس رغم أهميته، بل كانت هناك مرافئ إقليمية أخرى تسهم بدورها في تنشيط العلاقات ومنها: ميناء بنغازي الذي شكل المحطة التجارية الثانية لرسو السفن الأوربية التجارية، على الرغم من تعرضه للتدمير والتخريب خلال الحرب العالمية الثانية لكن الضرورات الاقتصادية بتزايد حركة الواردات التجارية اقتضت إعادة تشغيله رغم محدودية طاقته الاستيعابية التي بلغت في سنة 1958 نحو 81 ألف طن[93].

وتمتد على طول الساحل الليبي مرافئ أقل أهمية استقبلت سفت تجارية محدودة العدد لعدم كفاية عمق البحر في أحواضها كدرنه وطبرق، ويعد ميناء طبرق ذا أهمية من الناحية الطبيعية ولكن ظهيره صحراوي مجدب فهو ذا قيمة تجارية محدودة، وقد أشار لهذه الظاهرة البنك الدولي في تقريره الاقتصادي" ورغم وجود مرفأ طبرق الواسع نسبيا فأن وقوعه في الأطراف الحدودية البعيدة عن مناطق الصناعة والتجارة قد قلل من أهميته"[94] .

وعرفت ليبيا عبر تاريخها المتوسطي عدة طرق بحرية تجارية أسهمت في إنماء وإنعاش الحركة التجارية داخلها وخارجها عبر توفير اتصال تجاري بحري واسع بين القارات، وأهم هذه الخطوط البحرية هي:

1. الخط الذي يربط طرابلس بالموانئ المغربية مثل جربه صفاقس وبجاية وطنجة، وهي موانئ قريبة من بعضها بعض؛ مما سهل عملية التبادل التجاري فيما بينها.

2. الخط الذي يربط طرابلس بموانئ جنوب غرب أوربا وتكون بذلك جزيرة مالطا المحطة الأولى (ميناء فاليتا) نظرا لقربه الجغرافي حيث تقع على مسافة 425 كيلومتر شمالا، وقبل استخدام السفن البخارية كانت الرحلة تستغرق مابين 3. 10 أيام حسب حال البحر والمراكب التجارية، ومن مالطا في اتجاه الموانئ الأوربية الأخرى كإيطاليا وفرنسا واسبانيا[95].

---

[92] - عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا منشأة المعرف بالإسكندرية، ط2، 1971، ص 319.

[93] - البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقرير التنمية الاقتصادية والاجتماعية 1960، ص 16.

[94] - إبراهيم زرقانة ، المملكة الليبية، القاهرة ، دار النهضة العربية، 1964 ص 317.

[95] - حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، الجزء الاول، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،2003، ص 223.

3. خط شمال أوربا ويربط الموانئ الليبية ببلجيكا وهولندا وألمانيا، بل وهناك خطوط ملاحية تربطها بالدانمارك والسويد وغيرها من الدول الأوربية.

4. خط الجزر البريطانية .ليبيا وهذا الخط الذي قامت عليه العلاقات التجارية بين الموانئ الليبية المتوسطية وبين الأطلس البريطاني، حيث ساعد في نقل المواد الأولية والمنتوجات من مراكز الإنتاج إلى موانئ التصدير ومنها إلى أسواق الترويج.

5. خطوط شرق المتوسط حيث كانت هناك خطوط تجارية تربطها بالإسكندرية واللاذقية واسطنبول، وموانئ أوربا الشرقية فشرق ليبيا لا يبعد عن جنوب اليونان الا بمسافة 210 ميلا فقط [96] .

إن النشاط التجاري الليبي يبدو انعكاسا طبيعيا للإمكانات الاستراتيجية للدولة، الأمر الذي أسهم في توجيه سكانها نحو مزاولة التجارة مستفيدين من الموقع الجغرافي الذي اتاح لهم الاتصال بجهات مختلفة من العالم، فشح الموارد الاقتصادية، وتدني مردود الإنتاجية أسهم في توجيه السكان للاضطلاع بدور تجاري مهم بفعل حركة الاستيراد والتصدير القائمة بين مناطق الوفرة الانتاجية ومناطق القلة.

.التبادل السلعي وأزمة العجز التجاري

تفيد الدراسات الاقتصادية أن العجز التجاري الهيكلي مع الخارج كان عاملا قارا وملازما للمبادلات الخارجية الليبية منذ تأسيس الدولة وحتى التصدير النفطي، فعند قيام الدولة سنة 1951 لم يكن حجم التجارة الخارجية وخاصة التصدير كبيراً حتى الستينات، فبالنسبة للصادرات الليبية كانت المنتوجات الزراعية تشكل أساسها، حيث قدرت سنة 1952 ب 4.5 مليون دينار ليبي ،وفي عام 1955 بـ 4.6 مليون، وفي عام 1960 بـ 3 مليون دينار، في حين كانت الواردات تلعب دورا كبيرا في التجارة الخارجية وكانت السلع الغذائية في مقدمة الواردات وكان توريدها يزيد عن استيراد الاليات والمعدات والتي شكلت 20% فقط من قيمة الواردات سنة 1956 [97] .

وبناء عليه تفاقم عجز الميزان التجاري فالواردات تتجاوز باستمرار الصادرات لأسباب ظرفية: تكمن في مناخ البلاد شبه الجاف؛ مما يحتم استيراد كميات من الحبوب والمواد الغذائية في سنوات الجفاف، وليس ذلك فحسب بل يرد أيضا إلى التبادل غير المتكافئ الذي يحكم أسعار الصادرات الليبية بواردتها، حيث فاق ثمن الطن المستورد أضعاف مضاعفة ثمن الطن المصدر، فشروط التبادل لا تخدم بالمرة التجارة الليبية، فالصادرات عبارة عن مواد أولية وخامات زراعية أسعارها

[96] - محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1998، ص.374..

[97] - بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988، ص.353.

منخفضة، وتتحمل تكاليف الشحن على ظهر السفن الملاحية، فضلا عن إجراءات التأمين وهي غير قادرة تبعا لذلك في توفير نفقات واردات المنتوجات المصنعة ذات القيمة المضافة والأسعار المرتفعة.

هذه الاختلالات الاقتصـــادية الليبية بســـبب العجز الملازم للميزان التجاري وميزان المدفوعات، حيث بلغ معدل العجز الســـنوي3.5 مليون دولار ســـنويا عند قيام الدولة، مما جعل التقارير الدولية * تصـــنفها بأنها من أفقر دول العالم فهي مفلســـة ومســـتوى الدخول الفردية فيها منخفضـــة جدا. هذه التقارير التي اكتســـت طابع التأكيد بالتركيز على هشـــاشـــة الدولة الليبية وتخلفها الاقتصادي، وبالتالي حاجتها إلى معونات مالية كفيلة بنقلها إلى وضع أكثر تماسكا وأبعد تقدما من الناحية الاقتصـــادية، ولقد أعطى مفهوم المعونات أفاق أوســـع لبريطانيا للاســـتمرار في الوجود والتأثير وفق منطلقات نفعية، وقد بلغ إجمالي المساعدات البريطانية التي حصلت عليها الخزينة الليبية في العشـر سـنوات الأولى من عمر الدولة حوالي 28 مليون جنيه ليبي [98] .

وفي سنة 1956 ظهر اتجاه جديد في التجارة الخارجية، حيث تظافرت أسباب هيكلية وظرفية أعطت دفعا قويا لنسق الواردات، تمثل في نشاط الشركات النفطية بعد صدور التشريع النفطي 1955، وتزايد نفقاتها المالية التي كان لها دورا مهما في تنشيط الاقتصاديات المحلية، وخلق حال من الرواج التجاري في السوق المحلية؛ مما أدى الى زيادة فاعلية التبادل التجاري بين ليبيا والدول المتوسطية لتوفير مستلزمات تلك الشركات من الاليات ومعدات النقل بصفة خاصة.

* وضح التقرير السنوي لمندوب أمم المتحدة أدريان بلت هذه الصورة المأسوية بقوله" مالم توجد الوسائل لتحسين لتحسين الزراعة وخلق رأس مال استثماري جديد فهناك خطر كبير في انهيار الاقتصاد الليبي وتحوله الى اقتصاد رعوي مع مايترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية تعرض وجود الدولة الجديدة للخطر ". وفي توصيف أخر لهذا التخلف يورد بنجامين هيجنز مانصه" إن ليبيا دولة متخلفة اقتصاديا فهي فقيرة وأساليب العمل والانتاج فيها بدائية .... كما أن أدوات الانتاج محدودة جدا" ، أسمهان معاطي، "المعونات الأجنبية بين التبعية السياسية والتطوير الاقتصادي"، مجلة عصور ،جامعة وهران الجزائر، العدد 26، ديسمبر 2015، ص346.347.

8- Thomas (Tripoli) to Ramsdin (London) 2 April 1955,11115l8l55,F.O.371l113915,P.R.O.

** النفوذ البريطاني في ليبيا في عهد دولة الاستقلال ارتكز على المعاهدة الليبية البريطانية 1953 والتي تعكس هما أمنيا واستراتيجيا ببقاء القوات البريطانية داخل البلاد وخاصة في ولاية برقة بسبب أهميتها بالنسبة لبريطانيا. هذا الهاجس الاستراتيجي الذي تخلل بنود المعاهدة، وحكم مضمونها لم تغب الابعاد الاقتصادية والمالية عن واضعي بنود المعاهدة، حيث كان الاتفاق المالي ملحقا أساسيا لبنودها. الاتفاقية العسكرية بين ليبيا وبريطانيا 1953، وثيقة 156، ملف 15، المركز الليبي للدراسات التاريخية.

وهنا لنا أن نتسأل تساؤلا دقيقا نعتبره بالنظر إلى قيمته استفهاما تاريخيا: ليبيا وعلاقاتها التجارية مع بريطانيا كيف كانت وضعيتها ضمن حقبة الاستقلال هل ظلت مرتبطة ومتفاعلة مع القوى المتوسطية والأطلسية؟ أو أنها منعزلة ومغلقة ضمن اقتصاد تجاري محدود؟

إن الالمام بحيثيات هذه المسألة يقودنا إلى جملة من الحقائق مفادها تداخل الأبعاد التاريخية والاقتصادية التي واكبت تشكل العلاقة التجارية ضمن المجال المتوسطي في عهد دولة الاستقلال الذي هو رهين للأحداث التاريخية التي شهدتها الأقاليم الليبية خلال العرب العالمية الثانية والتطورات السياسية التي تلتها، فمقابل التحالف الليبي البريطاني والذي أفضى لقيام الدولة الليبية كمحصلة نهائية، فأن ديمومة المصالح واستمراريتها أدى إلى تزايد النفوذ البريطاني** لكل ما يهم اقتصادات ليبيا على صعيد الانتاج والتبادل والاستهلاك.

فالتغيرات البنيوية والنوعية التي شهدتها البلاد الليبية والتي تحمل في طياتها بذور التحول الاقتصادي زادت من تهافت بريطانيا على نهج سياسة من شأنها ضمان بقاء ليبيا في فلك السياسة البريطانية، وتحقيق أكبر قدر من المصالح فكانت الشركات البريطانية ممثلة في شركة بريتش بترليوم وشركة شل تسعى للحصول على أفضل الامتيازات التنقيبية من خلال ربط شبكة من العلاقات مع صناع القرار السياسي والمتنفذين في الدولة، وقد تراوحت أصولهم الاستثمارية في ليبيا بين 10. 15 مليون جنيه استرليني [99].

وتساعدنا الوثائق الأرشيفية على رصد الاهتمام البريطاني بالملف التجاري الليبي، حيث أوردت معلومات تفصيلية عن حجم المبادلات التجارية الدولية، من خلال الصادرات والواردات، واحتوت مضامينها على قائمة بالسلع المصدرة من ليبيا سنة 1958 حسب أهميتها التصديرية على النحو التالي:

السلع	القيمة بالألف جنيه إسترليني	النسبة الاجمالية للصادرات المحلية
فول سوداني	1020	23.6
زيت زيتون	447	10.4
إبل	357	8.3
حلفاء	272	6.3
ماشية(بقر)	253	5.9
جلود غير ممشطة	219	5.1

9- .Wakefield to Michael Stewart (L0ndon) 2 October 1968

لوز جوز وفواكه	207	4.8
بذور خروع	205	4.7
سمك تونة (مملح أو مدخن)	190	4.4
خراف وغنم	171	4
اسفنج	134	3.1
اجمالي كل الصادرات	**4.312**	**100**

* المصدر: Principal Libya Exports. 1958. FO 371 138754

تشير معطيات الجدول أن المنتوجات الزراعية كانت من أهم السلع التجارية في التبادل الدولي، فتوفر الفائض الانتاجي في السنوات الجيدة مكن البلاد من استثماره في العمليات التجارية، وذلك بالتركيز على الزراعات التصديرية بهدف توفير موارد نقدية للصرف على قطاعاتها المختلفة، فإن الظروف الطبيعية والبيئية كانت تؤثر في قيمة هذا النشاط ازدهارا في لحظات الانفراج وتراجعا في مواسم القحط والجفاف.

بل أن الوثائق ذاتها حددت خارطة التوزيع الجغرافي للصادرات الليبية، والتي أكدت اعتماد الليبيين على مجالاتهم المتوسطية على النحو التالي:

البلد	القيمة بالألف الجنيه الإسترليني	النسبة المئوية لأجمالي الصادرات المحلية
إيطاليا	1.596	37.0
مصر	722	16.7
المملكة المتحدة	654	15.1
المانيا	327	7.6
مالطا	240	5.6
هولندا	180	4.2
اجمالي كل البلدان	**4.312**	**100**

أولى الملاحظات التي يمكن إدراجها ونحن نستقري إحصائيات التجارة الخارجية أن ايطاليا احتلت المرتبة الأولى في المبادلات التجارية في حين اقتصرت بريطانيا على المرتبة الثالثة فيما يخص الصادرات المحلية. هذا التراجع البريطاني له مايفسره في

التقارير الدولية حيث تعد ايطاليا أكبر سوق للصادرات الليبية لآنها أوجدت تقليدا يقضي بإعفاء منتجات ليبية معينة من الضرائب الجمركية بما في ذلك زيت الزيتون والتمر والبذور الزيتية والسمك الطازج والمعلب وفقا للاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة (GATT)[100] .

ومقتضيات البحث وضروراته المنهجية لا تسعفنا في التدقيق على حيثيات التبادلات التجارية مع الآخر الأوربي لذا سنكتفي بالتركيز على العلاقات التجارية مع بريطانيا التي تؤكد في مجملها قوة التفاعل بين موانئ ليبيا المتوسطية والأطلس البريطاني.

والتفصيلات الاجمالية التي تضمنها الوثائق حول التجارة بعيدة المدى اعقبتها تفصيلات فرعية عن نوعية الصادرات الليبية للملكة المتحدة وهي كالآتي:

الصنف	القيمة بالجنيه الإسترليني
برتقال	750
يوسفي	68
ليمون	852
جوز لوز والفواكه المشابهة	118.789
بطاطس	26300
خضر مجففة	625
حلويات سكرية	11
نبيذ بما فيه العنب	5
جلود غير ممشطة	4710
فول سوداني	197056
بذور الخروع	5102
صوف ووبر وحيوانات	6982
مواد متخلفة من النسيج (ألياف وأبسطة)	1394
خردة وحديد	4500
خردة غير حديدية	14395
الحلفاء	272344

[100] - البنك الدولي لإنشاء والتعمير، المصدر السابق، ص 219.

زيت الخروع	260
سلع أطقم الخيول	15
إجمالي	**654158**

*المصدر: Principal Libya Exports. 1958. FO 371 138754

وفي محاولة أولية لتفسير معطيات الجدول الرقمية يتضح لدينا ملاحظات عدة أهمها:

.تستورد بريطانيا جل الانتاج الليبي من الحلفاء وهو يمثل 10% من إجمالي الصادرات وهذه السلعة مردودها الاقتصادي ضعيف لانخفاض سعرها بسبب المنافسة مع البدائل الكيماوية التي يتم استخدامها في الصناعة الورقية بشكل متزايد.

.إن تجارة الفول السوداني تشكل بند مهم في الصادرات الليبية فجملة الأرقام تتضمن دلائل تشير الى ازدهار تصديره، على الرغم من الإشارات التي تضمنها الوثائق بضعف قيمته المصدرة لبريطانيا لعدم قدرة ليبيا من زيادة حصتها أمام الدول الأخرى بسبب قوتها الزراعية وقدرتها التنافسية.

. عدم إمكانية ضمان سوق ثابت لمحصول البطاطا رغم ارتفاع نسبة المصدرة منه.

.أما ما يتعلق باللوز والطماطم والموالح فانخفاض قيمتها راجع الى صعوبة دخول ليبيا الى سوق تلك التجارات بسبب تعاقد شركات المملكة المتحدة مع موردين أساسيين تقليديين.

اذا لقد قامت الحركة التجارية بين ليبيا وبريطانيا على عدد من السلع والمواد المتنوعة سواء المصدرة منها أو الموردة إليها، وشكلت المنتوجات الزراعية نسبة كبيرة في قائمة التبادل التجاري بين الطرفين. هذه الأنماط التجارية المحددة تدلل على أن المنتجين في المناطق الليبية يبيعون فوائض انتاجهم لتوفير حاجياتهم المعيشية ولا ينتجون من أجل السوق وتحقيق الأرباح خاصة في ظل تفاوت الانتاج الزراعي من سنة إلى أخرى نتيجة لعدم انتظام التساقط المطري.

أما السلع المستوردة من بريطانيا فقد أثبتتها أحد الوثائق بالأف الجنيهات الإسترلينية بالشكل الآتي:

السلع	1957	1958
مواد غذائية	634	707
مشروبات	125	120
مواد خام غير غذائية وغير الوقود	35	27
وقود معدني وزيت المحركات	146	85

زيت ودهن معدني أو نباتي	16	3
منتجات كيمائية	574	866
مواد مصنعة	1.344	1.522
معدات وموارد للنقل	2.515	3.553
منتجات متنوعة	497	749
إجمالي	**5.886**	**7.632**

*: المصدر: Import and Export Between Libya and Britain1958: FO 371 138754

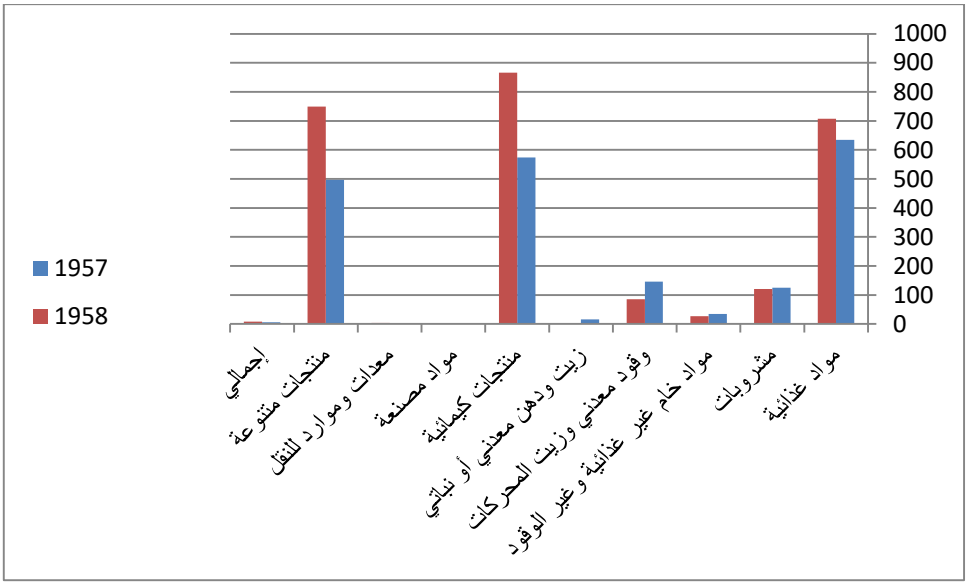

كشفت جملة هذه البضائع سواء منها المصدرة أو الموردة عن طبيعة اقتصاد البلاد الذي ظل يتأرجح بين بنيته التقليدية وبين الاندماج في نسق الاقتصاد الرأسمالي الذي أسهم في استنزاف موارد البلاد بإيعاز كبير من الدولة التي انساقت وراءه بحكم طلباتها ولجوئها إلى البحث على السيولة النقدية لتغطية نفقاتها ومصاريف مؤسساتها.

وأشارت الوثائق ذاتها الى تقلص حصة ليبيا في السوق البريطانية بسبب عوامل عدة منها: الاستيراد بواسطة موردين تقليديين يفتقرون للخبرة التجارية، وانخفاض معايير التصنيف والتنظيف للمنتجات المحلية، وعجز العقلية التجارية على تبني الأسعار التنافسية، الأمر الذي أدى إلى تراجع قيمة الصادرات الليبية في السوق البريطانية حيث انخفضت الأرقام الاستيرادية من 1.651.000 جنيه في عام 1954 إلى 1.056.000 جنيه عام 1958م .

هذه القلة في الصادرات المحلية قابله ارتفاع في السلع المصدرة لليبيا بشكل ثابت ومنتظم من 3.268.000 جنيه في عام 1954 إلى 7.330.000 جنيه عام 1958 بل أن الارتفاع مستمر وفقا للطلب المتزايد في السوق الليبية على السلع المستوردة بهدف تغطية متطلبات الشركات النفطية العاملة في ليبيا.

وفي محاولة من الحكومة الليبية لدعم التجارة قامت بإبرام اتفاقية تجارية بين ليبيا وبريطانيا. لكن ما مدى تجاوب الطرف البريطاني للمقترحات الليبية؟[101].

كان الرد البريطاني ايجابيا إلى حد ما بقبول إحالة المقترح الليبي للحكومة البريطانية شريطة تقديم تفاصيل للمنتجات الليبية التي تشملها الاتفاقية التجارية[102]. في حين حسم الرد النهائي المسألة باستحالة عقد مثل هذه الاتفاقية التجارية لأن الالتزامات التجارية تفرض رسوم جمركية باهظة وهو مالا يتحمله الانتاج الليبي الذي لا يتمتع بحصانة ضد الرسوم الجمركية التي يعطيها التفضيل الرأسمالي لبعض السلع مثل الفول السوداني النيجري، فضلا عن افتقار المنتج الليبي في أغلبه لمعايير الجودة، مما يجعلهم غير قادرين على المنافسة التجارية في السوق البريطانية.

على أن التبرير البريطاني لهذا الرفض يتبلور في استمرارية المبادلات التجارية بين الطرفين التي هي قائمة أساسا وفق متطلبات السوق البريطانية من المنتجات الليبية وبالتالي فلا حاجة لتكبيلها باتفاقيات تجارية لا تجني من وراءها أي ميزة تفاضلية، ووفق هذه الرؤية وتأسيسا عليها صاغت بريطانيا سياستها التجارية مع الطرف الليبي[103] .

وثمة ملاحظة منهجية وهي أن ليبيا لم تعقد اتفاقيات تجارية ثنائية خاصة تربطها بأي بلد أخر سوى بلدين اثنين هما ايطاليا ومصر، وهذه الأخيرة كانت مكلفة مادية حيث تحملت ليبيا أعباء مالية فوق طاقتها فكان التنويع في التبادل مطلبا وطنيا للقضاء على كافة أشكال الاحتكار التجاري " وقد تجمع لدى ليبيا رصيد دائن كبير بموجب الاتفاقية المصرية؛ مما يجعل اجراء المعاملات الخارجية بموجب اتفاقيات متعددة الاطراف أكثر جدوى اقتصادية بتبني سياسة تنويع أسواق التصدير"[104].

---

[101]- U:K OF Libya, Ministry of foreign Affairs to H:B:M ; Embassy in Libya, Benghazi,1 September,1959,F:O 371l 138754.

[102] - Benghazi to Ministry of foreign , 4 September, 1959, F:O:371l 13854,P.R.O British Embassy in Libya

[103]- Thom Esq African Department Foreign office to Board of Trade Commercial Relations and Exports Department,22 December,1959,F:O371l138754,P.R.O.

[104] - البنك الدولي للإنشاء والتعمير ، المصدر السابق ، ص 219 .

أما المجموعات المتحكمة في توجيه مسار العمليات التجارية أو المؤسس الفعلي والرسمي لهذا التعامل فهو الجاليات الأجنبية. ذلك إن تجارة البحر المتوسط البعيدة المدى التي كانت توفر الأرباح الكبيرة من حيث أهميتها كمصدر لتكوين فائض القيمة، وتراكم رأس المال سيطر على تسيرها وتنظيمها التجار اليهود والأجانب فهم كانوا أداة الربط التجاري؛ الأمر الذي يعكس خبرتهم التجارية وتمويلهم النقدي من المصارف الأجنبية، ورغم ندرة المعطيات وقلة مصداقيتها فأن هناك محاولات متفننة قدمت في إحصاء القائمين بالعمليات التجارية ، والتي قدرت عدد الوكلاء التجاريين الإيطاليين في سنة 1958 .1959 م قرابة ستين وكيلا، في حين بلغ عدد المصدرين اليهود سنة 1958 حوالي 28 مصدرا [105].

.وسائل النقل التجاري

بين انفتاح البلاد الليبية على البحر وامتلاكها لشاطئ يعد الأطول من نوعه مقارنة ببلدان الشمال الأفريقي، وازدهار حركية الاتجار بموانئها وامتداد تعاملاتها التجارية إلى أقاصي الموانئ المتوسطية والاطلسية لم يكن بمقدور السلطة السياسية الليبية إنشاء أسطول تجاري يوازي في حركته الأساطيل الأوربية؛ مما أحدث فراغا هائلا يسر لأصحاب السفن الاجنبية وخاصة الانجليزية احتكار عمليات النقل التجاري في موانئها.

في ظل هذه المفارقة لم يكن للسلطة بد من التعويل على الشركات البريطانية لنقل بضائعها عبر كل المحطات وعلى امتداد مجالها البحري، ومن أهم الشركات التي كانت تؤمن رحلات دورية منتظمة هي شركة ميتشل كوتس(Michelle Coats) وغوردون ذروف(Gordon Zrouf) التي كانت تؤم الميناء محملة بالمنتوجات القطنية والأقمشة والمواد المصنعة وتبارحه بعد شحنها بكميات من المنتوجات الليبية، وكان تحميل البضائع يتم لصالح ادارات المصالح بطرابلس المكان الرئيس لاستقبال البضائع البريطانية، واعادة توزيعها الى بنغازي وطبرق بواسطة السفن الشراعية الصغيرة.

إن النسق التاريخي أدى إلى التفوق البريطاني في مسألة النقل التجاري البحري والتي تعود بدورها الي نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تمكنت فروع الشركتين التجاريتين الانجليزيتين سيتيكس كومباني ليمتد وميتشل كوتس وبدعم من إدارة العسكرية البريطانية من إخضاع تجارة ليبيا الخارجية لرقابتهما (استيراد مواد البناء، السيارات، آليات النقل والزراعة، المواد والتجهيزات الكهربائية، المواد الغذائية، الملابس والاحذية، إضافة الى تصدير المواد الأولية) حيث امتلكت متشيل

[105] - من الوكالات التجارية إلى ميناء طرابلس، المصدرين اليهود، وثيقة 323، ملف 423، دار أحمد النائب الأنصاري؛ عياد محمد قداد النشاط الإيطالي للجالية الإيطالية في ليبيا، (رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، كلية العلوم الاجتماعية، 1989) ،ص 158 .230.

كوتس لوحدها حوالي 350 وكالة تجارية، وكانت فروع هاتين الشركتين تقوم بالجزء الأكبر من النقليات البحرية البرية الجوية، كما كانت تقوم بعمليات التأمين[106] .

ولا نحيد هنا عن ذكر بعض المساهمات الاستثنائية للسفن المحلية في شحن وتفريغ البضائع داخل الموانئ الليبية وهي سفن ذات أحجام صغيرة غير مهيئة للإبحار نحو المسافات البعيدة. وعلاقات ليبيا التجارية مع بريطانيا لم تكن مرتبطة بمرسى طرابلس فقط على الرغم امتلاكه امكانات أهلته لاحتلال مركز الصدارة في التبادل التجاري، فأن ميناء بنغازي كان له نصيب لا يستهان به في عملية التبادلات، حيث أشار تقرير البنك الدولي الى ميناء بنغازي وخطوطه المنتظمة التي تستعمل سفنا تبلغ حمولتها 4000 طن والتي أدارتها خمس شركات (اثنتان بريطانيتان واثنتان ايطاليتان وواحدة ألمانية) وتقوم برحلات دورية منتظمة تقدر بحوالي سبع أو ثماني زيارات في الشهر الواحد، وتنقل هذه السفن معظم الشحنات الكبيرة المستوردة لبنغازي (كالحبوب والسكر والإسمنت والفولاذ ومعدات النقل) ويحتضن هذا المرفأ أقل من خمس تجارة البلاد[107].

وتوجد إشارات مقتضبة حول رسوم النقل التجاري بين الموانئ الليبية والبريطانية حيث بلغت في سنة 1959 حوالي 6 جنيهات استرليني للطن الواحد من البضائع لأي من البلدين، في حين أن الخطوط الأخرى قدرت تكلفتها بجنيس استرليني فقط بسبب قربها الجغرافي من الساحل الليبي، وهناك بعض البضائع الاجنبية التي يتم تفريغها في ميناء طرابلس ثم تنقل بالسيارات إلى مدينة بنغازي وخاصة القادمة من الولايات المتحدة وأسيا[108].

وأبرمت الحكومة الاتحادية الليبية اتفاقا مع مصر لتطوير النقل التجاري في سنة 1956 نصت المادة السادسة منه على شحن البضائع على متن السفن المصرية الليبية. تعامل السفن التجارية التابعة لكلا الدولتين معاملة الأفضلية وتشجيع نقل البضائع بالسفن التجارية المختصة لكل من البلدين. مما شكل تهديدا للمصالح البريطانية في عمليات النقل التجاري حيث لايمكن للسفن العالمية منافسة سفن التجارة البريطانية في الخطوط الدولية.

---

[106] - أسمهان معاطي، الإدارة البريطانية في ليبيا 1943.1951، رسالة ماجيستير غير منشورة جامعة الزاوية، 1997، ص150 ؛ ابروشين، المرجع السابق، ص 238.

[107] - البنك الدولي، المصدر السابق، ص 163.

[108] - المصدر نفسه، ص164.

على أن ما جاء من شحن البضائع على سفن تحمل العلم الوطني هو أمر مبالغ فيه من وجهة النظر البريطانية فهي لا تملك سفن عاملة بالمحيط وأكثر من ذلك فأن رأس ماله المتاح لتكوين اسطول خاص بها محدود ومن الافضل استثماره في مشروعات التمية الاقتصادية العاجلة بدلا من تأسيس خطوط للشحن [109].

إن الرغبة البريطانية في المحافظة على عمليات النقل التجاري لشركاتها العاملة في ليبيا أمر يفسره كثرة البواخر التجارية الداخلة للموانئ الليبية والتي يمكن ايضاحها من خلال الجدول التالي:

السنة	طرابلس	بنغازي	درنه	طبرق	رأس الهلال
1953	642	496	-	-	-
1954	694	509	-	-	-
1955	786	476	-	-	-
1956	807	483	-	-	-
1962	1402	645	47	132	
1963	1510	648	49	147	
1964	1749	792	38	88	2
1965	2002	1064	65	177	
1966	24011	1390	132	196	
1967	2474	1441	229	208	37
1968	2445	1712	285	238	57
1969	2408	1908	190	178	46

* المجموعة الاحصائية 1966.المجموعة الاحصائية 1968.ابراهيم زرقانة ، المرجع السابق، ص319

وبنظرة فاحصة ودقيقة لهذه المؤشرات الكمية رغم غياب البيانات الاحصائية لموانئ درنة وطبرق في الخمسينيات فأن ميناء بنغازي شهد في الفترة ذاتها رواج تجاري محدود بسبب البضائع العسكرية القادمة من بريطانيا حسب احتياجات القوات البريطانية المعسكرة في ولاية برقة، في حين كان الانتعاش التجاري الذي شهدته موانئ طبرق ورأس الهلال كان نتيجة حتمية للتوسع في الصادرات النفطية، وساهم ميناء درنة رغم ضآلة نصيبه بالنسبة لمجموع التجارة الخارجية بدور أكثر فاعلية من ميناء طبرق في السنين الأخيرة كونه يقع في منطقة غنية بإنتاجها الزراعي والرعوي (منطقة الجبل الأخضر)، فضلا عن

[109]- Dunipace، to Reynolds ، British Embassy in Libya ، Tripoli ، 2 July، 1957.M.T، 59، 2960

ذلك مرفأها يعد المركز الرئيس لتجمع زوارق صيد الإسفنج التي تصل من اليونان في فصل الربيع من كل سنة مما أسهم في تفوقها التجاري .

إن حركة النقل التجاري كان لها دور في الانتعاش المعاشي لبعض الفئات الاجتماعية حيث تطلبت عمليات شحن البضائع وتفريغها من السفن وجود عمال مأجورين يقومون بهذا المهام مقابل الحصول على أجور يومية أو شهرية.

وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول إن المساهمة الليبية في النقل التجاري معدومة فهي لا تسهم في عمليات التصدير والاستيراد وفق الإشارات التي اوردتها الوثائق، في حين كانت الشركات البريطانية تمتلك الاحتكار التجاري للمجال المتوسطي بفعل تقدم الملاحة الانجليزية تقنيا، مما مكنها من السيطرة على النقليات التجارية بعيدة المدى.

وفي محاولة محتشمة للولوج إلى عالم النقل، والتخلص من الاحتكار الأوربي عملت الحكومة الليبية على إدخال أحد السفن في النقليات التجارية وهي السفينة إدريس الأول، وقد وصفتها الوثائق بأنها تزن حوالي 950 طن وحوالي 60000 قدم مكعب من السعة للبضائع وهي مؤمنة بشركات تأمين بريطانية. وبرغم ذلك فهناك تخوف من استعمالها في نقل البضائع من بريطانيا الى بنغازي لذلك عملت بريطانيا على التقصي والاستفسار حول مقدرتها الاستيعابية لحمل البضائع وتخزينها، والمؤهلات التدريسية لربان السفينة وطاقمها مما يدلا دلالة قاطعة على الحرص على توفير ظروف ملائمة للنقل التجاري بين البلدين، وعلى الرغم من العراقيل البريطانية فالطرف الليبي بذل مجهودات مستميتة لإقناع خطوط الشحن للحصول على الترخيص الدولي محاولة تعزيز قدرتها في النقل التجاري أسوة بشركات الشحن الدولية[110] .

.التحديات والتهديدات التجارية

اعترت التبادلات التجارية بين ليبيا وبريطانيا عدة تحديات ومعوقات حدت من تطوير حجم المبادلات بينهما، وكانت تلك التحديات انعكاسا لظروف السوق ومعطيات التجارة العالمية، ذلك أن ضيق السوق المحلية الليبية بسبب انخفاض الكثافة السكانية التي لا تتعدى حوالة 1.6 مليون نسمة موزعين على رقعة جغرافية واسعة تفتقر لبنية التواصل؛ مما يحد من عملية الترويج والتسويق التجاري، فضلا على أن القوة الشرائية للأفراد منخفضة في الأساس وخاصة في الخمسينيات، وعلى الرغم من ارتفاع هذه القوة بسب ارتفاع الدخول المحلية بعد التدفقات المالية في الستينيات، فإن هناك تخوف بريطاني من قبل الفاعلين اقتصاديا وخاصة صناع السلع الاستهلاكية من توسيع نطاق تعاملهم مع السوق الليبية.

[110]- Barron: Peninsular Mediterranean Committee to Le Goy : Ministry of Transport: Civil Avision: 29th October: 1953: MT. 59 2960،P.R.O

والتركيز البريطاني على رجال الصناعة أمرا اقتضته الضرورات الاقتصادية للعلاقة التبادلية بين التجارة والصناعة، فالتجارة تقوم بجلب مواد أولية للإنتاج مما يفتح قطاعات انتاجية جديدة، وحالما تتقوى الصناعات فأنها تخلق لنفسها سوقا لتصبح التجارة خادمة الانتاج الصناعي الذي يشترط التوسع المستمر للسوق بل هو شرط حيوي له، فالسوق الصناعية حاضرة دوما في ذهن صاحب رأس المال الصناعي.

هذه المؤشرات السلبية يمكن تجاوزها بدراسات وافية عن السوق الليبية لتحديد الكلفة المادية والجدوى الاقتصادية من الاستثمار في تصدير البضائع الاستهلاكية لليبيا وخاصة الملابس الجاهزة. الهدايا. لعب الأطفال. أدوات الحمام. البضائع الجلدية وذلك من خلال إرسال بعثات استكشافية للسوق الليبية [111].

وثمة إشارة في وثائق أخرى الى تزايد مستوى الدخول الفردية حيث يبلغ دخل الفرد 300 استرليني سنويا مقارنة بـ170 جنيه استرليني في عام 1964. ولا شك أن انتعاش الاقتصاد المعاشي للأفراد سيسهم في زيادة قوتهم الشرائية، وتهافت غير مسبوق على كافة السلع الاستهلاكية. هذه الطفرة النوعية كانت نتاج لارتفاع عائدات البلاد من الصادرات النفطية بمعدل يفوق 300 مليون استرليني سنويا.

وأسفرت كل هذه المجهودات على ارتفاع نشاط المصدرين البريطانيين لاختراق السوق الليبية بعمق، لكن هذا الفاعلية التجارية أخفقت في تحقيق السيطرة السوقية بسبب الحرب العربية الاسرائيلية سنة 1967، وتنامي الشعور الشعبي بالعداء والكراهية تجاه الانجليز، مما أدى الى تراجع فرصهم التجارية فترة من الزمن تقدر بحوالي ستة أشهر، فقام المنافسين الفرنسيين باستغلال الوضع الراهن لصالحهم بتعزيز روابطهم التجارية مع الطرف الليبي.

وفي محاولة استباقية للخروج من التأزم في العلاقات التجارية عملت البعثات الوزارية في كلا الاتجاهين، فضلا على البعثات البريطانية التجارية والاسهام الكبير في معرض طرابلس الدولي 1968، إضافة للدور الذي قام به وفود الغرف التجارية في كل من طرابلس وبنغازي لبريطانيا على تسوية المسائل الخلافية، فأدى ذلك الى استعادة القبول الشعبي للسلع البريطانية وهو الأمر الذي يفسر ارتفاع الصادرات البريطانية لليبيا بمعدل 63 مليون جنيه استرليني في سنة 1968 مقارنة مع اجمالي 21 مليون جنيه استرليني عام 1965 [112].

---

[111]- Visit to U.K of first secretary commercial Tripoli ، 12th November 1968. FO.39 408،P.R.O

[112]- Report about British exports to Libya، 1968 F.C.O، 39_ 408،P.R.O

*** لم تعقد ليبيا أي اتفاقيات تجارية خاصة تربطها بأي بلد سوى ايطاليا والجمهورية المتحدة واليونان والتي وقعها عبدالرزاق شقلوف مع رئيس الوفد اليوناني ارستومانيس ميليار يسيس في طرابلس 23 مايو 1960. الجريدة الرسمية للمملكة الليبية ، العدد 10، 1 يوليو 1960

على أن التنافس التجاري الدولي شكل هو الأخر مشكلة لايستهان بها فعلى الرغم من أن بريطانيا من الشركاء التجاريين الأساسين، وتمكنت طيلة العهد الملكي من الحفاظ على العلاقة واستمراريتها لكن الصيرورة التاريخية تخضع للتحولات والتبدلات، ذلك أن الفرص التجارية التي أتاحتها البلاد جعل منها مركز استقطاب تجاري وحاولت كل الدول جاهدة اختراق السوق الليبية، وفي الوقت ذاته عملت الدولة الليبية على توظيف هذا التسابق بتوسيع نطاق التعامل التجاري وتنويعه وتعزيزه بعقد بعض الاتفاقيات التجارية***.

وتفسر لنا بعض الوثائق قلق السلطات البريطانية وتخوفها من الأساليب التي تتوخها السلطات الليبية لدعم علاقاتها التجارية مع الفضاءات الجغرافية المجاورة. هذه الهواجس البريطانية من انفراد بعض الدول في تحقيق امتيازات تجارية تجلت في الاتفاقية التجارية الليبية المصرية التي تم توقيعا في 23 سبتمبر 1956 ونصت بنودها على تسهيل عمليات الاستيراد والتصدير بين الطرفين، وتخفيض نسبة الرسوم الجمركية الى حوالي 25%، وتسهيل عملية العبور للسفن التجارية. هذه الاتفاقية أثارت قلق السلطات البريطانية في فرض السيطرة التجارية المصرية على ليبيا، وتحديد تعاملاتها التجارية مع الأخر وفق الرؤية المصرية [113].

إن الاعتراض البريطاني على عقد معاهدات تجارية مع الدول الأخرى يفسر السياسة البريطانية القائمة عن الدفاع عن مصالحها الاقتصادية، فليبيا ليس لها الحق في إبرام معاهدة مع دولة تعطيها حق الاحتكار التجاري للسلع والبضائع خاصة وأن مصر تتمتع بأفضليات تجارية من حيث الفضاء الجغرافي المجاور، والروابط المجتمعية الوثيقة مما يسهل التبادل التجاري بين الطرفين.

وثمة ملاحظة جوهرية يجب التنويه عليها وهي أن هذه الرؤية التجارية لم تكن قاصرة على الطرف البريطاني فحسب بل أن التقارير الاقتصادية الأممية أشارت إلى عدم جدوى الاتفاقيات التجارية الثنائية بقولها:" إن إجراء المعاملات الخارجية بموجب اتفاقيات متعددة الأطراف دونما تمييز أي بلد وآخر يعتبر خير ما يخدم مصلحة ليبيا اقتصاديا. ومن المرغوب فيه تنويع أسواق التصدير إلى أقصى حد ممكن للحيلولة دون الاعتماد على بلد واحد دون مبرر لذلك" [114].

إن المعضلة الحقيقية التي أعاقت التطور التجاري بين البلدين التي تعد من التحديات الأساسية التي واجهت الشركات البريطانية هي طبيعة النظام الاداري الليبي كون البلاد لها عاصمتين: طرابلس وبنغازي على مسافة 600 ميل ومما زاد الأمور تعقيدا وجود الحكومة في البيضاء التي تعد من وجهة النظر الملكية العاصمة الثالثة، وإقامة الملك شبه الدائمة بطبرق في

[113] - Wakefield، First secretary commercial to British embassy ، Cairo، 26 September 1956، M.T.59_ 2960

[114] - تقرير التنمية الاقتصادية والاجتماعية، المصدر السابق، ص219.

ظروف انعزالية بعيدا عن التقلبات السياسية والانفجارات الاجتماعية المتمثلة في التظاهرات الطلابية، هذه الظروف الاستثنائية استلزمت التنقل المستمر للوزراء والمسؤولين وبصورة فجائية في كثير من الأحيان؛ مما أدي الي تعطيل الاجراءات المحلية للشركات التجارية القادمة من بريطانيا. فضلا على أن التواصل مع الادارات المحلية والشركات المحلية سيئ للغاية، اضافة الى سوء الخدمات البريدية، على أن التغيرات الوزارية والوظيفية المستمرة أدت الى فقدان المصداقية والثقة في المعلومات المقدمة للمستثمرين الأجانب والذين لم يجدوا أمامهم الا البدء من الصفر في معاملاتهم الإدارية مع كل تغير وزاري وإداري وتعد هذه أهم معضلة في الهيكلية الليبية حتى الوقت الراهن [115] .

. الوفرة المادية والاستثمارات البريطانية

1.آليات التمكن التجاري

كانت سنوات منتصف الستينات فاتحة عهد جديد في العلاقات التجارية حيث كانت ايذانا بتدشين المرحلة الثانية والتي تميزت بالتطور والانفتاح التدريجي وفق منحى تصاعدي، وقد جاء هذا الانفتاح نتيجة المطالب المتنامية التي ما لبثت تطرح من قبل المسئولين البريطانيين وذلك بسبب الصعوبات الاقتصادية والعجز في الميزان التجاري البريطاني، حيث شهدت البلاد ركود اقتصادي تميز بانخفاض الأسعار والمداخيل، وتكدس فوائض الانتاج الصناعي ،وانسداد أفاق الترويج بسبب تشبع الأسواق الداخلية، ولتجاوز الأزمة شرعت حكومة حزب العمال في انتهاج سياسة إعطاء الأولوية لعلاقاتها التجارية مع ليبيا لضمان بقاءها كسوق كبير للصادرات البريطانية.

ضمن هذه الظرفية التاريخية نفهم الإصرار البريطاني على اختراق السوق الليبية بفاعلية خصوصا وأن هناك مؤشرات على زيادة حجم الفائدة المادية من التبادل التجاري، ومع النمو الهائل في انتاج النفط والثروة الناتجة عنه سعى البريطانيون لاستغلال الفرص التجارية في البلاد ففي عام 1967 وأثناء المعرض السنوي التجاري الذي نظم في طرابلس كان هناك وجود بريطاني كبير حضره العديد من الشخصيات البريطانية منهم السيد والستون (Wellston) أحد أعضاء البرلمان البريطاني ووكيل مجلس التجارة البريطاني لزيادة حجم الاستثمار التجاري.

وقد توج هذا التطور بتأسيس المركز التجاري البريطاني في ليبيا في مايو 1967 للتمثيل التجاري، لتعزيز الروابط التجارية بين البلدين والذي ألحق بمجلس التجارة، وأسندت له مهمة البحث في إمكانات السوق الليبية، وتم توسيع هذا النشاط

[115]- Report about British exports to Libya، IOC .cit

بافتتاح فروع إقليمية في طرابلس وبنغازي، وقد قاد هذا العمل كل من القنصل العام ورئيس الديوان في السفارات البريطانية في طرابلس وبنغازي[116] .

وافتتح المكتب التجاري في طرابلس بالقرب من مكتب البريد الرئيسي في 4 مارس 1969 ليتولى رعاية المصالح البريطانية بالترويج لبضائعها في السوق الليبية، وبتوفير بيانات مصورة للمعروضات البريطانية بهدف عرضها على رجال الأعمال الليبيين ، فضلا عن المؤلفات التجارية للقطاعات التي لها صلة مباشرة بتنمية الاقتصاد الليبي، وقد حضر الافتتاح عمدة طرابلس علي جمعة الزروقي ووكيل وزارة الاقتصاد ورئيس الغرفة التجارية بطرابلس، وأشرف على الافتتاح السفير البريطاني رودريك ساريل ((Roderick Sarell) والسيد دافنبورت(Dafinbort) من غرفة التجارة البريطانية [117] .

وعبر السفير في خطابه عن عمق العلاقات التجارية بين البلدين والرغبة البريطانية في التطوير التجاري بما يخدم مصلحة الطرفين، واوضح في سياق حديثه أن بريطانيا اشترت في عام 1968 بما يقدر بحوالي 157 جنيه استرليني من زيت البترول الليبي في مقابل تصدير بضائع بقيمة 35 مليون جنيه استرليني لليبيا. واكد في الوقت ذاته التجاوب الذي تبديه الادارة التجارية بالسفارة البريطانية في تقديم الخدمات للمؤسسات التجارية الليبية الذين يحاولون ترسيخ أنفسهم بنجاح في قاعدة التجارة العالمية[118] .

لعل الاستنتاج الأساسي الممكن استخلاصه من خلال قراءة مفهوم الخطاب هو الإصرار البريطاني على سياسة الاختراق التجاري باقتدار باستخدام المكاتب التجارية أداة للتوظيف والاستقطاب للفاعليين بالعملية التجارية، حيث مثلت خطوة إضافية نحو تعميق اندماج ليبيا في دائرة النفوذ التجاري البريطاني.

وتتمحور أهم الخدمات التي يقدمها المكتب التجاري التابع للإدارة التجارية فيما يلي:

.توفير قاعدة بيانات عن الحركة التجارية والقائمين بها لإمداد المراكز البريطانية المختصة بالمعلومات والمساعدات حول رجال الأعمال الليبيين، وكيفية توظيفهم للاستفادة منهم في ترويج البضائع البريطانية في الفضاءات السوقية الليبية.

---

[116] - علي عبدالسلام عبدالله خليفة، "تاريخ العلاقات الليبية البريطانية" ،مجلة العلوم الانسانية، جامعة سبها. 2018،ص9.

[117]- British embassy in Libya Tripoli to Export promotion Department London . 18 March 1969. F.C.O 39/ 408 249005،P.R.O

[118]- Visit to U.K of first secretary commercial Tripoli ، 12th November 1968. FO.39 408،P.R.O

.تقديم تسهيلات للبريطانيين للاتصال والتواصل الفاعل وتجاوز عقبة التفاهم اللغوي بواسطة مترجمين يشرفون على عقد اللقاءات والمواعيد مع التجار الليبيين.

.تجهيز قاعات مطالعة ليتمكن الزوار من تصفح مجلات التجارة والأعمال البريطانية وكذلك المنشورات الدولية ليتمكنوا من معرفة آخر التطورات في منتوجات الصناعية العالمية.

.عرض بعض المواد ذات السمات الخاصة مثل الكتالوجات ومجلات التجارة والمال والكتيبات والمنشورات المصورة التي لها صلة بالموضوعات المختارة لتنمية الاقتصاد الليبي[119].

إن الاهتمام بما جلبته التدفقات المالية على الخزينة الليبية بعد الشروع في التصدير النفطي من حيث انعكاسها في زيادة القوة الشرائية لكافة الشرائح المجتمعية مسألة أساسية استحوذت على التفكير التجاري البريطاني من خلال اجتماعات المجلس الاستشاري للتجارة في الشرق الأوسط والتي أكدت بما لا يدع مجالا للشك بأن التحولات أفضت إلى تبدل العادات الاستهلاكية المجتمعية بتخلي شرائح عريضة من الليبيين عن شراء المنتوجات المحلية، والإقبال على البضائع والسلع الأوربية.، فضلا على الشروع في تنفيذ الخطة التنموية الخماسية 63 .1968 التي استلزم تنفيذها زيادة في حركة الاستيراد الخارجي لتوفير المعدات الأساسية للبنية التحتية ؛ الأمر الذي فرض على السلطات البريطانية ضرورة زيادة التمثيل التجاري وخاصة في طرابلس التي تعد أكبر سوق استهلاكية للمنتجات الأوربية[120].

وتستمد طرابلس أهمية الدور التجاري الذي تضطلع به من عوامل عدة من بينها :ثقلها السكاني فهي مركز الاستقطاب البشري للمنطقة الغربية والجنوبية، حيث بلغ عدد سكانها سنة 1964 حوالي 379.925نسمة أي بنسبة 40% من مجموع السكان[121]،واستوجب هذا العدد من المستهلكين تركيز هياكل تجارية بها قادرة على الاستجابة للطلب، فبلغت مؤسساتها التجارية حوالي 7456 مؤسسة في سنة 1964 مقابل 3458 مؤسسة في بنغازي، ويكمن العامل الثاني في كونها مقر إقامة رجال الدولة والعائلات الميسورة والجاليات الأجنبية الفئة الأساسية المستهلكة للمنتوجات الأوربية المستوردة، فضلا عن كونها سوقا توزيعية لبقية المناطق الليبية بعدها تأوي الميناء الرئيسي للصادرات والواردات؛ الأمر الذي يعكس سر الاهتمام التجاري البريطاني بها[122] .

---

[119] - Reeve، British trade office، Tripoli، 28 February، 1969، F.C.O،39l 408،P.R.O

[120]- Pumphrey، British Embassy in Libya، Benghazi to F0reign office ، 20 November 1959، F.O، 371- 138754،P.R.O

[121] - مصلحة الإحصاء والتعداد، التعداد العام للسكان 1964، صـ17.

[122] - الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات ،المسح الاقتصادي 1964.1968،صـ109.

فالمدن تعد مراكز أساسية فهي عصب المبادلات التجارية المحلية والمتوسطية فتحت أي ظرف تكون استجابة التجمع السكاني المكثف للحوافر الاقتصادية أكثر سرعة من استجابة التجمعات السكانية المتناثرة فاستهلاكهم الحقيقي والمتنوع ساعد التجار على التبادل التجاري والاغتناء المادي. وثمة ملاحظة أساسية يجب التنويه عليها ففي الوقت الذي كان فيه سكان المدن يعتمدون على التجارة في توفير متطلباتهم السلعية بسبب تزايد وتيرة الانماط الاستهلاكية ولكن علينا الا نبالغ في حافز الاستهلاك لأنه لا يشمل كل الناس وبنفس الدرجة من الكثافة، فالعوز والفقر لم يختفيا كلية من البلاد الليبية، والازدهار الاقتصادي لم يكن متساويا، فالقوة الشرائية اقتصرت على فئات دون غيرها من شرائح المجتمع.

إن المناخ المفضل والاستثنائي القائم في ليبيا للمصالح التجارية البريطانية يجب ديمومته والمحافظة عليه بل تنميته واستخدامه كلما أمكن للاستفادة المباشرة للمصدرين البريطانيين من خلال مسألة الترويج التجاري، وتمثلت أهم الوسائل المتبعة لتحقيق السياسة التجارية البريطانية في الآتي:

. تبادل الزيارات للوزراء والمسئولين الليبيين ورجال الاعمال لبريطانيا من خلال دعوات رسمية ومحاولة اقناعهم بشراء مستلزمات تجارية بريطانية وإن كان بصورة سرية كصفقة شراء المعدات لمحطة التلفزيون الجديدة.

. الدعاية والإعلام من خلال جمع ما تم نشره عن التوقعات المستقبلية الهائلة للسوق الليبية في الصحف الأجنبية وتوظيفها لتحقيق هدفين في آن واحد: تشجيع المصدرين البريطانيين للاستثمار في السوق الليبية، والدعاية المحلية للتجارة الانجلو ليبية لدفع المستوردين المحليين للتوجه للبريطانيين كمصادر جديدة للإمداد التجاري تحقق لهم معدلات ربح عالية.

. محاولة الحصول على معلومات تفصيلية حول الخطط المستقبلية للتنمية الليبية من خلال المستشارين البريطانيين العاملين في الإدارات الليبية، فكانوا بمثابة شبكة استخباراتية تدعم سياسية الهيمنة والسيطرة التجارية في ظل تداعي النفوذ السياسي والعسكري.

على أن نتائج الترويج التجاري يمكن تحقيقها من خلال البعثات التجارية لليبيا، وبلغ عددها خلال ثلاث سنوات 8 بعثات متنوعة من غرف التجارة البريطانية كمانشستر وبرمنجهام زارت معرض طرابلس الدولي مقابل بعثة ليبية واحدة لبريطانيا[123]. مما يعكس قوة المنظومة التجارية البريطانية التي استهدفت اختراق السوق الليبية للتسرب التجاري متكئة على قوتها الصناعية وجودة منتوجاتها بعدها سلع تبادلية غاية في الأهمية في التجارة المتوسطية. في حين أن انفراد الليبيين ببعثة تجارية واحدة يحمل دلالة اقتصادية هامة وهي قلة التجار الليبيين الذين حاولوا اكتساح الأسواق البريطانية لكن دون أن

[123] -Report about British exports to Libya، IOC .cit

يأملوا منها الربح الوفير نظرا للمزاحمة التي تعتري بضائعهم من جهة، وقلة صادراتهم المحلية التي تمكنهم من بسط نفوذ تجاري يخولهم اقتحام السوق بقوة.

2.المبادلات التجارية

شهد النشاط التجاري الذي كان مرتبطا ارتباطا شرطيا بالمنتجات الزراعية والحيوانية هو الآخر ركودا وانتعاشا تطورا من الناحية الكمية والنوعية وخاصة في مجال التعاملات الخارجية استجابة لمتطلبات السوق الداخلية، حيث ارتفعت قيمة الواردات من 14 مليون جنيه سنة 1955 الى حوالي 114 مليون جنيه سنة 1966[124] .ولا شك أن الارتفاع الكمي كان مصحوبا بتغيير نوعي في السلع المستوردة بدخول سلع أخرى غير معروفة من قبل في قائمة الواردات مثل الاجهزة الالكترونية، وقد أشارت بعض الدراسات الاقتصادية الى ان عدد السلع الرئيسية المستوردة زادت من 15 سلعة سنة 1950 الى 66 سلعة سنة 1968. هذا التنوع السلعي جاء استجابة لتغيير الانماط الاستهلاكية وزيادة القوة الشرائية لدى المواطنين[125].

فصناعة البناء وأدواته المختلفة تفاقمت نسب استيرادها لتلبية حاجة السوق إليه بسبب التوسع في المباني السكنية الأهلية والمشاريع الحكومية وما تحتاجه مؤسساتها من أدوات مختلفة، والشروع في شق الطرق المعبدة لربط المدن بعضها ببعض، فارتفع حجم استيرادها من 13.3 مليون دينار سنة 1960 الى 32.9 مليون دينار سنة 1966. هذه المتطلبات السوقية فرضت على المسئولين التجاريين البريطانيين الاتصال بمستوردي مواد البناء لاستغلال الفرص، وتوفير مستلزمات البناء في السوق الليبية [126].

أما بضائع الترف كالملابس المستوردة والأثاث والمقتنيات المنزلية والتي اقتصر اقتناءها في السابق على أصحاب الامكانيات المادية من أجانب ومحليين خولهم وضعهم الاجتماعي التمتع بها بعدها من الكماليات والبضائع الفاخرة ازدادت نسبة الاقبال عليها من فئات اجتماعية أخرى مكنتهم دخولهم المتوسطة من شراءها والتمتع بها أسوة بالفئات السابقة. ونظرا

---

[124] - مصلحة الإحصاء والتعداد ،المجموعة الاحصائية ، 1966، ص228.

[125] - مصلحة الاحصاء والتعداد، دراسة تحليلية لقيمة واردات المملكة الليبية 1960.1966 ، ص1.

[126] - ابروشين ، المرجع السابق،355؛ IOC. Cit،Report about British exports to Libya

**** الرسوم الجمركية مخفضة على العموم بل أن الشركات البترولية تتمتع بإعفاءات ضريبية بالنسبة للسلع التي لا تتوفر في السوق المحلية، كذلك تتمتع المشاريع الصناعية بإعفاءات من المواد الخام لتنمية أعمالها، فضلا على أن التخفيض شمل ايضا بعض السلع المعمرة كالأجهزة الكهربائية والتلفزيون من 30% الى 5% مما زاد من حدة المنافسة للسوق الليبية. عبد الأمير قاسم كبة، المملكة الليبية صناعتها البترولية ونظامها الاقتصادي، بغداد، دار الاندلس للطباعة والنشر، 1966، ص45.

لقلة المعلومات وندرة الاحصاءات حول هذه البضائع سواء في اقتنائها أو مكاسبها فقد تعذر علينا متابعة الكميات الموردة منها ومبالغ استثمارها.

والزيادة الاستيرادية يمكن تفسيرها بقرارات السلطة السياسية وأثرها في تنشيط العلاقات التجارية، حيث ساهمت الامتيازات الممنوحة للتجار بالبلاد من تركيز نفوذ تجاري برزت معالمه خاصة في ميدان الاداءات الجمركية ****فالرسوم التجارية التي فرضت على بعض السلع كادت أن تكون رسوم رمزية لا تتعدى نسبتها 5% على بعض السلع مما أسهم في زيادة انسياب البضائع الأوربية والانجليزية، وزيادة نسبة التبادل الخارجي ، وأن كان الغاية الاساسية لهذه القرارات تهدف لدفع حركة التجارة الخارجية وتنشيطها وتزويد السوق الليبي بالمواد اللازمة لحركة التحول الاقتصادي، فإنها كانت على حساب البنية الاقتصادية المحلية، حيث انعكس تدفق السلع على العديد من المنتوجات الزراعية والحرفية التي ركد بعضها واضمحل بعضها الآخر.

إن الانتعاش الذي شهده التبادل التجاري بين الطرفين البريطاني والليبي في الستينيات تعكسه البيانات الرقمية التي وضحت بجلاء ارتفاعه، ففي عام 1960 وصلت قيمة الصادرات البريطانية الى ليبيا 12 مليون جنيه استرليني، ثم الى 22 مليون استرليني بحلول عام 1966 لتصل في 1968 حوالي 26 مليون جنيه استرليني[127] .

وشكل معرض طرابلس الدولي الذي افتتح سنة 1962 نافذة هامة للترويج والتسويق التجاري، مما ساهم في زيادة الصادرات والواردات، وفي توفير حالة من المنافسة بين البلدان المتسابقة على السوق الليبية، وبذلك توسعت رقعة التوزيع الجغرافي للواردات الليبية[128].

وتسعفنا الإحصائيات المحلية بإعطاء نسب توضيحية عن حجم التبادل التجاري مع بريطانيا مقارنة بالدول الأخرى حسب الجدول التالي:

توزيع قيمة الواردات والصادرات سنة 1965 بالنسبة للبلدان الرئيسية

الصادرات			الواردات		
البلد	القيمة	النسبة المئوية	البلد	القيمة	النسبة المئوية

[127] - المسح الاقتصادي، المصدر السابق، ص 71 ؛ Export service bulletin: 16th October. 1967: MT 59_ 2960

[128] - نوري بريون، قراءات في الاقتصاد الليبي 1968.1969، طرابلس، مكتبة الفكر، 1971، ص161 ، أوراق خاصة بمعرض طرابلس الدولي1962، وثيقة 29 دار أحمد النائب الانصاري .

المانيا الغربية	106712	37.8	ايطاليا	29019	25.4
بريطانيا	58147	20.6	الولايات المتحدة	19517	17.1
إيطاليا	27676	9.8	بريطانيا	16974	14.8
فرنسا	26089	9.3	المانيا الغربية	11724	10.2
هولندا	22125	7.8	فرنسا	5985	5.2
اسبانيا	9149	3.2	اليابان	4300	3.8
الولايات المتحدة	8989	3.2	هولاندا	3328	2.9
بلجيكيا	7977	2.5	الصين الشعبية	1714	1.5
مصر	4046	1.4	بلجيكيا	1435	1.3
الدانمارك	3248	1.2	لبنان	1367	1.2
			سيلان	1322	1.2
			اليونان	1314	1.1

* المصدر: المجموعة الاحصائية لعام 1965، مصلحة الإحصاء والتعداد، ص 181

يحيلنا هذا الجدول إلى توسع دائرة التبادل التجاري وتنوع المسارات التجارية ووجهتها مما يدلل على قدرة الطرف الليبي على إقامة علاقات تجارية مع فضاءات بعيدة الدول الأوربية المتوسطية والامريكية بدرجة أساسية في حين كانت علاقاتها الإقليمية مع محيطها العربي محدودة وهامشية مقارنة بالأولى لافتقارها لأغلب السلع الرئيسية التي تحتاج إليها ليبيا، فضلا عن الحواجز الجمركية المعقدة. هذا التنوع في الخارطة الجغرافية للتبادل التجاري كان انعكاسا للتحرر الذي حققته البلاد في علاقاتها التجارية بسبب توفر العملة القابلة للتحويل من القطاع النفطي؛ مما مكنها من الدخول إلى الأسواق العالمية بدلا من الاقتصار على دول بعينها في السابق بسبب التسهيلات التجارية، ويعكس في الوقت ذاته حدة التنافس على السوق الليبية بين الدول الرأسمالية والاشتراكية على حد سواء.

وحاولنا رصد علاقة ليبيا التجارية مع بريطانيا من خلال بعض الرسوم التوضيحية التي أردنا بها تحديد كثافة تلك العلاقات بالنسبة المئوية وابراز حجم السوق خلال مرحلة التحولات استنادا الى الوثائق الارشيفية والدراسات الاحصائية:

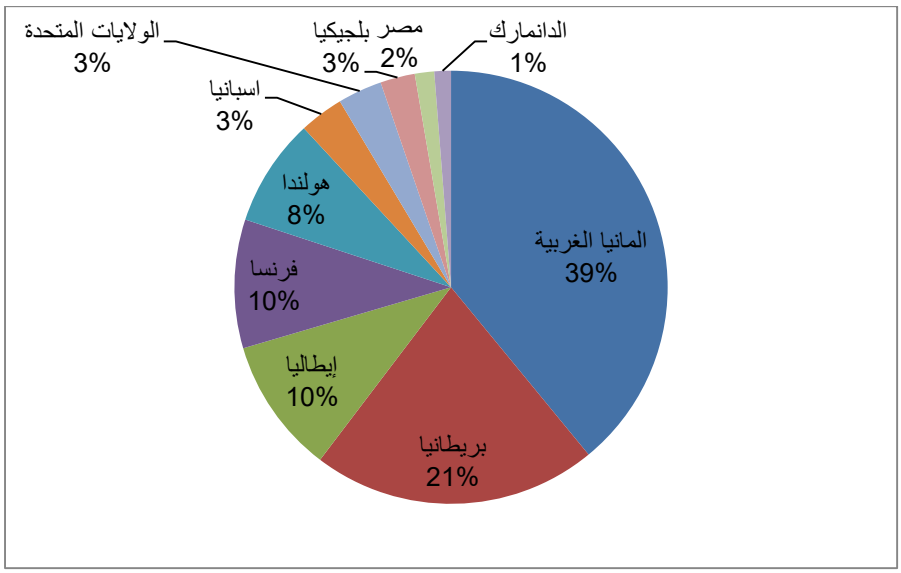

الصادرات الليبية

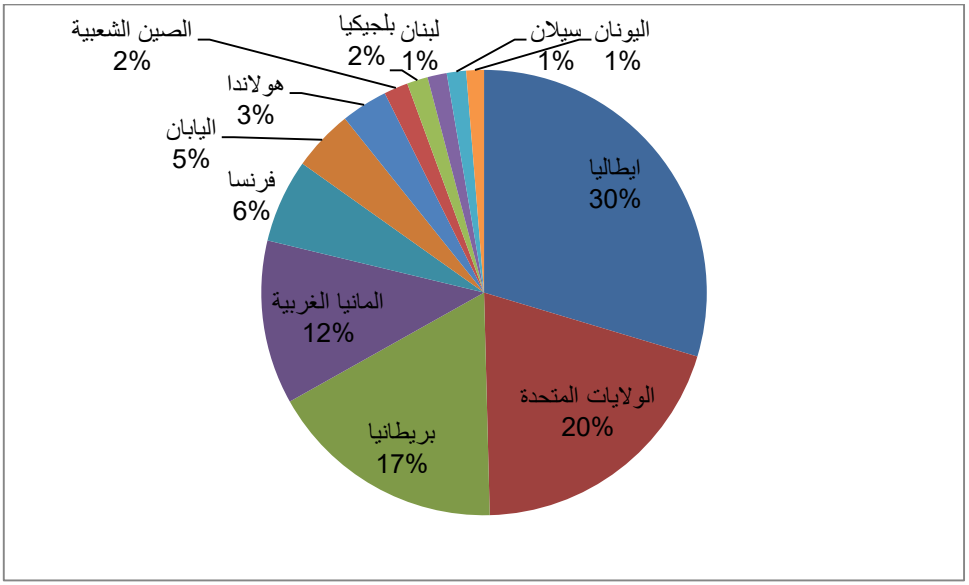

الواردات

وهنا لن أن نتسأل عن المكانة التجارية للشركاء التقليديين أمام المنافسين الجدد على الامتيازات الليبية. هل اتسمت بالثبات، والحفاظ على مواقع التمكن والسيطرة؟ أم كانت عرضة للتحول والتبدل وفق السياقات الاقتصادية؟

الإجابة على التساؤل تتحد في طبيعة العلاقة البراغماتية التي تربط كافة الشركاء التجاريين مع الدولة الليبية، ذلك أن أكبر المتنافسين على السوق الليبية هم : ايطاليا، الولايات المتحدة انجلترا والمانيا، وفي الوقت الذي فسر فيه التفوق الايطالي كما أشرنا أنفا بالتسهيلات التجارية التي منحتها اتفاقية التعريفات التي جعلت المنتجات الليبية لا تخضع للضرائب الجمركية التي تفرضها الدول الأخرى ،مما سهل عمل المصدرين والموردين، وكانت حصة امريكيا التجارية مرتفعة بسبب التفوق العددي لشركاتها النفطية المتواجدة على الأرض الليبية والتي امتلكت غالبية امتيازات التنقيب والتصدير ففرضت واقعا اقتصاديا جديدا في السوق الليبية، في حين حققت ألمانيا شراكة تجارية فاعلة في هذه المرحلة كونها تعد أكبر المستوردين للنفط الليبي بسبب جودته، وقربه الجغرافي من الموانئ الأوربية .

أما استمرارية العلاقات التجارية مع بريطانيا فأمر يفسره احتياجها للمواد الخام الليبية، وتوفر منتجاتها الصناعية، وامتلاكها لأسطول تجاري ضخم يقوم بعمليات النقل التجاري بين الموانئ المتوسطية. وعلى الرغم من المنافسة الدولية فإن ليبيا تشكل تاسع أكبر سوق في العالم للمركبات التجارية البريطانية التي حصلت على أكبر حصة في السوق الليبية وخاصة من شاحنات برفورد وأوستين ولاندروفر، ولا تخلو الوثائق الأرشيفية من ضرورة التأكيد في المحافظة على هذه المبيعات القوية أمام المنافسة الايطالية واليابانية والفرنسية[129] .

لعل أهم ما يلفت النظر الحصيلة المترتبة على هذا النضج المتنامي للتبادل التجاري والمتمثلة في تعزيز الفرص التشغيلية، حيث أفرزت العلاقات التجارية بين البلدين وكلاء وممثلين تجاريين محليين يتقاضون نسبا من الارباح لم نتوصل الى تحديدها نظير الخدمات التجارية التي يسدونها، واستمراريتهم في رعاية المصالح التجارية البريطانية تتوقف على معدل أداهم لأنهم عرضة للاستبعاد والاستغناء في حالة الإخفاق الوظيفي[130].

أما السلع التجارية المتبادلة بين الطرفين فتباينت وفقا للتغيرات الاقتصادية ومكنتنا الاحصائيات المحلية بالوقوف على أنواعها وأثمانها بالعملة الليبية من خلال الجدول التالي:

[129]- Report about British exports to Libya ، IOC . cit

[130]- Commerce Council to Bengazi،4 February، 1958، 1102|2|58، F.O،371|131796، P.R.O.

السلعة	الواردات البريطانية	الصادرات الليبية
صفقات وسلع لم تصنف حسب النوع	1904	
مصنوعات متنوعة	1594286	
الآت ومعدات النقل	9433707	
مصنوعات صنفت على أساس المواد التي صنعت منها	3141868	10
مواد كيمائية	1517488	
زيوت وشحوم حيوانية ونباتية	27255	
وقود معدنية ومواد تشحيم	238043	57955536
مواد خام غير صالحة للأكل باستثناء الوقود	78282	191933
مشروبات وتبغ	311091	
مواد غذائية وحيوانات حية	630270	4
المجموع	**16974194**	**58.147.483**

*: مصلحة الإحصاء والتعداد، المجموعة الإحصائية 1966، ص 199 . ص204

وبقراءة متأنية ودقيقة لمعطيات الجدول الرقمية من خلال التركيب السلعي للتبادل التجاري بين الطرفين يتضح أن الواردات الليبية من بريطانيا قد تعددت أنواعها وأشكالها وأحجامها، وقد عبر تنوعها عن افتقار الساحة التجارية إليها، وزيادة الطلب عليها، وارتكزت بصفة أساسية على السلع المعمرة والمواد الغذائية والملابس المستوردة.

واتسمت الصادرات الليبية بالارتفاع، فكان النفط في مقدمة السلع المصدرة لبريطانيا وتراوحت الحصة البريطانية بين الهبوط والارتفاع، ففي بداية التصدير كانت 57% تم هبطت إلى 20% سنة 1965 وإلى 18% سنة 1968. هذا الأمر يمكن

تفسيره بأن تزايد الشركات المنتجة وتنوعت جنسياتها وارتفاع الكمية المصدرة يفرض بطبيعة الحال معطيات جديدة بازدياد عدد الدول المستوردة وتنوع الأسواق وتغير أهميتها[131].

وتمدنا المادة الوثائقية المتوفرة لدينا بمعلومات وافية عن السلع التجارية الليبية التي خضعت للتبدل والتغير في أهميتها التصديرية للسوق البريطانية كالفول السوداني الذي انخفضت قيمته بسبب الطلب المتزايد عليه في السوق المحلية، وأما الحلفاء والخروع التي حققت في السابق رواجا تجاريا بدأت بالاختفاء التدريجي، فقيمة صادرات الحلفاء سنة 1960 كانت 144 ألف جنيه استرليني ونبات الخروع 211 ألف جنيه هبطت هذه القيمة إلى 15 ألف و11 ألف جنيه عام 1966 وهي أخر سنة تدخل فيها هذه السلع قائمة الصادرات[132].

تأسيسا على ما سبق يمكننا القول إن مشاكل الوفرة تختلف عن مشاكل الندرة، الوفرة التصديرية الليبية لبريطانيا ارتكزت على سلعة تصديرية أحادية وهي السلعة النفطية في حين اعتمدت الندرة على هامشية القطاعات التقليدية، وتحولها لسلع موردة استجابة لمتطلبات السوق المحلية، فالتجارة لم تعد أداة مكملة للإنتاج تعمل على ترويج المنتجات الوطنية رغم محدوديتها في الأسواق الخارجية بل تحولت إلى قناة للتسويق الاستهلاكي للمنتجات البريطانية والأوربية.

الخاتمة

يمكن أن نخلص في نهاية هذه الورقة إلى مجموعة من النتائج نرى إمكانية إدراجها على النحو التالي:

-العلاقات التجارية الليبية البريطانية جزء من العلاقات المتوسطية بتشابكاتها وتعقيداتها ضمن السياقات التاريخية فقد اختلفت من حيث القوة والكثافة من فترة زمنية إلى أخرى وفق متطلبات السوق التجارية المحلية، والقوة الشرائية للشرائح المجتمعية.

- ظهور اتجاهات تجارية جديدة أدت إلى التوسع في إقامة الشبكات التجارية مع مختلف بلدان العالم، وصارت السوق الليبية ميدان صراع تنافسي حاد للاحتكارات والشركات الدولية لعدد من الدول الرأسمالية.

[131] - علي عتيقة، أثر البترول على الاقتصاد الليبي ، بيروت، دار الطليعة، 1972، ص201، Daily news. No358. 4 March 1969: p:8 ، fco39- 408

[132]- British Embassy in Benghazi to African Department London30 October1122- 59، F.O. 371_ 138784، P.R.O ،

- الفرص التجارية التي اتاحها السوق الليبي جعل الشركات التجارية البريطانية تتسابق على التنافس مع بقية الدول لتصريف منتجاتها، وتهافت المستهلكون الليبيون على اقتناء منتجات الشرق والغرب لتعويض الحرمان الذي عاشوه حقبا من الزمن دون إدراك لما آلت إليه أمورهم بعزلهم عن قطاعاتهم الانتاجية التقليدية.

-ظلت بريطانيا طيلة فترة الدراسة تتصدر طليعة الشركاء التجاريين لليبيا رغم التنويع في الشركاء والمبادلات التجارية ولم تصل العلاقات التجارية بين ليبيا وبريطانيا في أحلك مراحلها الى القطيعة الاقتصادية بحكم التداخل الكبير في المصالح، وحرص بريطانيا على الحفاظ على مكانتها ونفوذها بالمنطقة.

وعلى العموم فأن العلاقات التجارية الليبية الانجليزية عكست مصالح بريطانيا لضبط علاقاتها التجارية بمختلف الطرق الدبلوماسية لضمان مصالحها الاقتصادية خاصة ازاء عملية التوسع الجغرافي لخارطة التجارة الليبية، التي كانت سببا في اتخاذ العديد من القرارات والمبادرات والمواقف السياسية، وعكست كذلك خصوصيات الظرفية السياسية والاجتماعية لطرفي التبادل التجاري.

إن الاقرار بقوة الآخر في التفوق المادي الصناعي والتجاري قد غدا ثابتا ملازما لتفكير النخب الليبية التي أقبلت دون هوادة في استيراد كافة أنواع التقنية الصناعية، والسلع المعاشية دون أدنى محاولة لتطوير أنماط الإنتاج وأدواته وتبني سياسة تنمية وطنية متمحورة حول الذات؛ مما يعكس ظاهرة التخلف التي بقي الاقتصاد الليبي رهينا لها حتى الوقت الراهن.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادروالمراجع العربية

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقرير التنمية الاقتصادية والاجتماعية 1960.
-أوراق خاصة بمعرض طرابلس الدولي1962 ، وثيقة 29 دار أحمد النائب الانصاري.
- مصلحة الإحصاء والتعداد، التعداد العام للسكان 1964.
- الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، المسح الاقتصادي 1964.1968.
- مصلحة الإحصاء والتعداد ،المجموعة الاحصائية ، 1966.
- مصلحة الاحصاء والتعداد، دراسة تحليلية لقيمة واردات المملكة الليبية 1960.1966 .
- إبراهيم زرقانة ، المملكة الليبية، القاهرة ، دار النهضة العربية، 1964 .
- ابروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988.
- أسمهان معاطي، الإدارة البريطانية في ليبيا 1943.1951، رسالة ماجيستير غير منشورة جامعة الزاوية، 1997.
- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية ، الجزء الاول ،طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،2003.
- عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا منشأة المعرف بالإسكندرية، ط2، 1971.

- علي عبدالسلام عبدالله خليفة، "تاريخ العلاقات الليبية البريطانية" ،مجلة العلوم الانسانية، جامعة سبها. 2018.
- علي عتيقة، أثر البترول على الاقتصاد الليبي ، بيروت، دار الطليعة، 1972.
- كابوفين، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر، ترجمة عبدالسلام مصطفى باشا إمام، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988.
- محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1998.
- نوري بريون، قراءات في الاقتصاد الليبي 1968.1969، طرابلس، مكتبة الفكر،1971.

ثانيا : المصادروالمراجع الأجنبية

- Thomas (Tripoli) to Ramsdin (London) 2 April 1955،11115/8/55، F.O.371|113915 ،P.RO.
- Wakefield to Michael Stewart (L0ndon) ، 2 October 1968،9911، F.O.39| 408،P.R.O.
- U.K. of Libya ، Ministry of Foreign Affairs to H.B.M. Embassy in Libya، Benghazi، 1 September، 1959، F.O371 138754
-British Embassy in Libya، Benghazi to Ministry of foreign ، 4 September،1959 F. O. 371 13854،P.R.O
-Thom Esq، African Department، Foreign office to Board of Trade Commercial Relations and Exports Department، 22 December. 1959، F.O 371 138754،P.R.O
- Dunipace، to Reynolds ، British Embassy in Libya ، Tripoli ، 2 July، 1957.M.T، 59، 2960
- Barron: Peninsular Mediterranean Committee to Le Goy : Ministry of Transport: Civil Avision: 29th October: 1953: MT. 59 2960،P.R.O
-Visit to U.K of first secretary commercial Tripoli ، 12th November 1968. FO.39 408،P.R.O
-Report about British exports to Libya، 1968 F.C.O، 39_ 408،P.R.O
- Wakefield، First secretary commercial to British embassy ، Cairo، 26 September 1956، M.T.59_ 2960
- (British embassy in Libya Tripoli to Export promotion Department London . 18 March 1969. F.C.O 39/ 408 249005،P.R.O
- Visit to U.K of first secretary commercial Tripoli ، 12th November 1968. FO.39 408،P.R.O
(- Reeve، British trade office، Tripoli، 28 February، 1969، F.C.O،39l 408،P.R.O
- Pumphrey، British Embassy in Libya، Benghazi to F0reign office ، 20 November 1959، F.O، 371- 138754،P.R.O
- Export service bulletin: 16th October. 1967: MT 59_ 2960
- Commerce Council to Bengazi،4 February، 1958، 1102|2|58، F.O،371|131796، P.R.O.
- Daily news. No358. 4 March 1969: p:8 ، fco39- 408
- British Embassy in Benghazi to African Department London ،30 October ، 1122- 59، F.O. 371_ 138784، P.R.O.

في جذور العلاقات الجزائرية الإفريقية، دراسة لتطور العلاقات زمن الثورة التحريرية 1954. 1962

in the roots of Algerian-African relations, a study of the development of relations during the liberation revolution 1954-1962

الأستاذ الدكتور مقلاتي عبد الله. مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، قسم التاريخ جامعة المسيلة/ البريد الالكتروني: abdalah19@yahoo .com

الملخص: هذا البحث يتناول تطور العلاقات الجزائرية الإفريقية في جذورها البعيدة وخلال الثورة التحريرية، وهي الأرضية الممهدة لبناء علاقات وثيقة زمن الاستقلال، والى اليوم، والإشكالية الرئيسية تبحث في تطور تلك العلاقات التي بنيت عليها سياسة الجزائر المستقلة، وعلى الرغم من أن كثيرا من وثائق ومصادر الموضوع ما تزال مغيبة عن الباحثين إلا أن الجهد الذي بذلناه في تقصي المضان التي تفيد موضوعنا مكننا من الإلمام بكثير من جوانب الموضوع، وذلك اعتمادا على المصادر والشهادات والبحوث الأكاديمية.

وقد تبين لنا بعد البحث والتقصي أن الثورة الجزائرية لعبت دورا أساسيا في نشر فكرة التحرر في إفريقيا، وذلك من خلال تركيزها على البعد الإفريقي في نضالها، وربطها لعلاقات وطيدة مع الزعماء الأفارقة ودعوتها لمشروع التضامن والوحدة الإفريقية، وتمخض عن ذلك انتشار حركات التحرر واستقلال كثير من الدول الإفريقية، إذ اضطرت فرنسا أن تمنح الاستقلال لدول غرب افريقية عام 1960 لتتفرغ للثورة الجزائرية، غير أن الثورة الجزائرية استطاعت أن توحد الأفارقة للوقوف في وجه الاستعمار والامبريالية.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، إفريقيا، الثورة الجزائرية، التحرر.

Abstract: This research deals with the development of Algerian-African relations in their distant roots and during the liberation revolution, which is the paving ground for building close relations during the time of independence, and to this day, and the main problem examines the development of those relations on which the independent policy of Algeria was built, despite the fact that many documents and sources The topic is still absent from researchers, but the effort we made in investigating the fluorescence that benefit our topic enabled us to be familiar with many aspects of the topic,.

After research and investigation, it became clear to us that the Algerian revolution played a fundamental role in spreading the idea of liberation in Africa, through its focus on the African dimension in its struggle, its strong ties with African leaders and its call for the project of African solidarity and unity, and that resulted in the spread of liberation movements and the independence of many African countries, as France was forced to grant independence to West African countries in 1960 to devote itself to the Algerian revolution,.

Key words: Algeria, Africa, the Algerian revolution, liberation

مقدمة:

لقد أسهم تطور حرب الجزائر بتلك القوة والثورية المتأججة في الضغط على السياسة الفرنسية من جهة وفي تثوير الأفارقة من جهة أخرى، وبذلك لعبت الثورة الجزائرية دورا حاسما في استقلال البلدان التي تخلت عنها فرنسا لتتفرغ للجزائر عام 1960، كما أن ثورة الجزائريين على الاستعمار الاستيطاني عد أنموذجا مشجعا لحركات التحرر الإفريقية التي كانت تعاني من الاستعمار الاستيطاني، فنهضت شعوب روديسيا وجنوب إفريقيا وكينيا وشعوب المستعمرات الفرنسية والبرتغالية في إفريقيا لتقتفي أثر الثورة الجزائرية وتكسر قيود الاستعمار الاستيطاني الذي يعد من اخطر أنواع الاستعمار إطلاقا.

ولا شك أن مبادئ ثورة الفاتح نوفمبر 1954 الإنسانية وأبعادها الإفريقية أسهمت بشكل فاعل في التأثير على الأفارقة، فقد كان شعار الثورة الجزائرية هو تخليص الشعب من ربق الاحتلال والاستغلال وتحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم، وهي مبادئ إنسانية تريد أن تجعل إفريقيا للإفريقيين، وقد عرفت الثورة الجزائرية كيف تجعل من موقعا الاستراتيجي وعلاقاتها الإفريقية وأبعادها الثورية تصب كلها في خدمة التضامن والوحدة الإفريقية.

إن مقالنا هذا يحاول أن يجيب عن إشكالية رئيسية ما تزال تحظى بنقاش الباحثين، وهي ما هو حجم تأثير وتأثر الجزائر بإفريقيا في مرحلتي الثورة والاستقلال؟. وللامساك بخيوط هذه الإشكالية يتوجب علينا أن نبرز أولا البعد الإفريقي للثورة الجزائرية وثانيا مظاهر تطور العلاقات الجزائرية الإفريقية.

1. البعد الإفريقي للثورة الجزائرية

حظيت الثورة الجزائرية بفضل المساندة التي وجدتها في دول العالم الثالث بمكانة مميزة في إفريقيا، وقد كان صداها وتأثيرها بالغا على تراجع الاستعمار الغربي في إفريقيا خاصة الاستعمار الفرنسي، وبالموازاة مع ذلك لقيت تضامنا وتعاطفا واسعا بين الشعوب الإفريقية والدول المستقلة، وهو تضامن شمل مختلف المجالات السياسية والعسكرية، المادية والمعنوية، وكان له ابلغ الأثر على دعم الثورة الجزائرية، وهذا ما سنحاول استيضاحه في هذا الفصل، وذلك من خلال توضيح أبعاد العلاقات الجزائرية. الإفريقية وأشكال الدعم المقدمة للثورة الجزائرية.

1.1: البعد الإفريقي في اهتمامات الثورة الجزائرية:

الجزائر بلد إفريقي بامتياز، وعلى الرغم من ارتباطها الوثيق بالعالمين العربي والإسلامي فإن الجغرافيا والتاريخ جعلا منها بلدا إفريقيا متميزا، فهي تحتل موقعا استراتيجيا في الاتصال بإفريقيا واتصلت منذ القديم بشعوب الصحراء السودانية عن طريق الجنوب، كما كانت الجزائر بوابة لاحتلال إفريقيا من جهة ومتنفسا لتحررها من جهة أخرى، فقد دخل

الاستعمار الفرنسي إلى غرب إفريقيا عبر صحراء الجزائر، ونقل إليها بعض العاملين الجزائريين لمساعدته في إدارة شؤون هذه البلاد الإسلامية، وخططت ثورة الجزائر عام 1960 لإنشاء الجبهة الصحراوية لتفسح المجال أمام الأفارقة خاصة الماليين والنيجيريين ليتواصلوا مع الثورة الجزائرية ويخلقوا من العدم الوحدة الإفريقية،

وعلى الرغم من الاتصال الوثيق لسكان جنوب الجزائر ببلدان غرب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، ومن وجود علاقات قبلية ودينية قديمة إلا أن الحركة الوطنية الجزائرية لم تولي هذه العلاقة أهميتها، وان كانت لها مبرراتها كبعد المسافة وعدم توفر الاتصالات من جهة، وسياسة الفصل والتمييز التي يفرضها الاستعمار الواحد، الذي جند الجزائريين ليخدموه في إفريقيا الغربية واستقدم السنغاليين السود ليقمع به انتفاضات الجزائريين، ليس معنى هذا انه لم تكن هناك علاقات البتة، ففد التقت النخب من مختلف الأقطار الإفريقية للدراسة في باريس، وظل سكان توات والتوارق والقبائل الجزائرية الأخرى محافظين على علاقاتهم الأسرية والتجارية مع إفريقيا الغربية[133]، ويوضح محمد حربي انه كان واحدا من الوطنيين الجزائريين الذين انفتحوا على البعد الإفريقي، باعتبار تأثره بحركة اليقظة والوحدة الإفريقية، وعلاقاته مع مناضلي الفدرالية الطلابية لإفريقيا السوداء الفرنسية، لقد أكد اهتمامه بترسيخ البعد الإفريقي المفروض على الجزائر بقوله:" كان للجزائر بعد إفريقي محسوس من خلال اختلاط سكانها، فالسكان الملونون في الجنوب الجزائري يحتفظون بذكريات حية عن أصولهم..."[134]، وعلى الرغم من عدم وجود ارتباط للحركة الوطنية الجزائرية بالحركات الوطنية الإفريقية إلا أن ثورة الفاتح نوفمبر 1954 أكدت أن كفاح الشعب الجزائري هو كفاح الشعوب المستضعفة الواقعة تحت نير الاستعمار وعلى رأسها الشعوب الإفريقية.

لقد ضلت الجزائر نموذجا واضحا لحركة الاستعمار الاستيطاني في العصر الحديث، وشعر المناضلون الأفارقة بثقل وبطش السياسة الاستعمارية في الجزائر وعدو ثورتها انتفاضة في وجه الاستعمار تحتاج إلى تضامن الأفارقة ودعمهم لها لتأكيد مبدأ إفريقيا للأفارقة، وفي هذا الشأن يؤكد الدبلوماسي المصري محمد فائق "إن الثورة الجزائرية بالنسبة لهؤلاء جميعا هي ثورة على هذه الأوضاع جميعا، ثورة على الاستعمار الاستيطاني، وثورة على فكرة امتداد الدولة الاستعمارية إلى ما وراء البحار" [135].

---

133 انظر عن أوجه العلاقات التي جمعت الصحراء الجزائرية بالسودان الغربي مقلاتي عبدالله: دور توات في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا الغربية، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009

134 محمد حربي : حياة تصدي وصمود مذكرات سياسية، ترجمة عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص.ص356

135 محمد فائق : عبد الناصر والثورة الإفريقية، ط4، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2002، ص 42

كما كان للثورة الجزائرية دور هام في تثوير القارة الإفريقية، وذلك بفضل نشرها لقناعة العنف من أجل التحرر بين أوساط المناضلين الأفارقة، والذين كانوا ما يزالوا يؤمنون بالنضال السياسي، وارتبطت بعلاقات مع مناضلي جنوب إفريقيا والكونغو منذ لقاءات سنة 1957 بالقاهرة، كما رجحت جبهة التحرير الوطني في مؤتمر أكرا في أفريل 1958 خيار العمل المسلح كوسيلة أساسية لتحرير القارة، وقد شجعت تصريحات قادة الثورة الجزائرية هذا الخيار، فقد كتب فرانس فانون يقول: " والشعب الجزائري ...رفع منذ 1954 شعارا له "التحرر الوطني للجزائر وتحرير القارة الإفريقية"[136].

إن النجاحات التي حققتها الثورة الجزائرية في الميدان وصداها الإفريقي والدولي وردود فعل السياسة الفرنسية تجاه الموقف من المستعمرات أعطى لها سمعة نضالية باهرة في إفريقيا، حتى أنها أصبحت بحق نموذجا لحركات التحرر خاصة من خلال طرحها لمفهوم إعادة النظر في الموقف من الاستعمار الأوروبي لإفريقيا ودعوتها لانتهاج الكفاح المسلح، لقد كان القانون الإطار ومشروع الكنفدرالية الذي طرحته الجمهورية الرابعة عام 1956 كما هو الحال استقلال تونس والمغرب نتيجة لتطور وتأثير الثورة الجزائرية الشمولي على السياسة الفرنسية، وقد أكد فرانس فانون على ذلك التأثير بقوله: "إن حرب الجزائر قد هزت التوازن الاستعماري هزا عنيفا في إفريقيا، فلا يوجد في إفريقيا جهاز واحد لم تدخل على أجهزته تغييرات قرأت حسابا لحرب الجزائر"[137].

إن النقاش الذي أثاره استفتاء سبتمبر 1958 في المستعمرات الفرنسية الإفريقية بلور ظهور توجهين رئيسيين للحركات التحررية، الأول يدعو إلى الانخراط في الإتحاد الفرنسي والثاني يدعو إلى التحرر، وأدى استقلال غينيا إلى تشجيع أنصار الاتجاه الثاني الذي كانت تدعمه أفكار الثورة الجزائرية وطروحاتها عبر المنتديات الإفريقية والصحافة، وفي هذا الشأن يقول محمد حربي احد دبلوماسيي الثورة التحريرية في إفريقيا: " أصبحت غينيا تحت قيادة أحمدو سيكوتوري الأمين العام السابق للاتحاد العام لنقابات إفريقيا السوداء إلى جانب غانا الحرة منذ 1957، بقيادة كوامي نكروما، تشكلان محور استقطاب الحركات التحررية والقوى المعارضة في الدول الواقعة تحت التأثير الفرنسي، ووجد بلدنا الذي عجل كفاحه ظهور الحركات التحررية في إفريقيا الفرانكفونية في هذا القطب بطبيعة الحال ميدانا مناسبا للصداقة، وأكثر من ذلك نجح في وضع الدبلوماسية الفرنسية أمام صعوبات حقيقية، ففي هذا السياق عينت الحكومة المؤقتة عمر اوصديق لتمثيلها في كوناكري، وبعد عام خلفته في هذا المنصب"[138].

---

136 فرانز فانون : من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 152

137 فرانز فانون: المرجع نفسه

138 انظر محمد حربي : المصدر السابق، ص 358

2.1 : نشاط الحكومة الجزائرية المؤقتة الإفريقي و أبعاده:

لقد أعلنت الحكومة الجزائرية المؤقتة منذ إنشائها عن توجهها الإفريقي، وحثت على مسألة التضامن الإفريقي، فجاء في أول تصريح لرئيس هذه الحكومة فرحات عباس قوله :" وراءنا إفريقيا الحرة، إفريقيا قمة اكرا "[139]، وفي ذلك تأكيد على أهمية التضامن الإفريقي وحاجة الثورة إليه، خاصة بعد أن أبدى الأفارقة في قمة اكرا تجاوبا رائعا مع الثورة الجزائرية، إن المتغيرات الدولية التي أفرزتها سنة 1958 على القارة الإفريقية جعلت سياسة الحكومة الجزائرية المؤقتة تزاحم الإستراتيجية الديغولية الهادفة إلى تنويم حركات التحرر والوصول مع المناضلين الأفارقة إلى استقلال شكلي لا يمنح إفريقيا حريتها، وقد ركزت الحكومة الجزائرية المؤقتة في سياستها الخارجية على أفرقة المشكلة الجزائرية، فعملت على تكثيف الاتصالات بالمناضلين وتدعيم أنصار معسكر التحرر، وحضور التجمعات الإفريقية واستغلالها في التعريف بالقضية الجزائرية والدعوة إلى التضامن والوحدة بين الأفارقة، وهكذا تحولت إفريقيا إلى ميدان مواجهة حادة بين الثورة الجزائرية والاستعمار الفرنسي بلغت أوجها بالتقاء جبهة التحرير الوطني مع سيكوتوري الذي أعلن أمام الرئيس ديغول كلمته المشهورة : "نحن نفضل الفقر مع الحرية على الثراء مع العبودية"، وأعلن مباشرة بعد استقلال بلاده الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة[140]

وكان مؤتمر أكرا الذي جمع البلدان الإفريقية المستقلة لأول مرة في أفريل 1958 مسرحا للمجابهة، خاصة عندما اختلفت الدول الإفريقية في تحديد الموقف من القضية الجزائرية، لقد كان لجهود فرانس فانون وخطاب محمد يزيد وتحالف المعسكر المؤيد للقضية الجزائرية (سيكوتوري، موديبوكايتا ونيكروما) دور في تأييد حق الجزائريين في نيل استقلالهم ودعم كفاحهم التحرري، وذلك أمام تحفظ رؤساء دول المجموعة الفرنسية الواقعين تحت تأثير فرنسا، والذين عارضوا مبدأ الثورة بالعنف، ووقفوا فيما بعد إلى جانب فرنسا في الأمم المتحدة رغم تحذيرات جبهة التحرير الوطني[141]، وفي أول مؤتمر للشعوب الإفريقية في أكرا المنعقد أيام 5. 12 ديسمبر 1958، حققت الثورة الجزائرية مكاسب معتبرة: الاعتراف بحقها في الاستقلال، وإنشاء مجموعة افريقية داخل الأمم المتحدة مناصرة للقضية الجزائرية، وكذا تشكيل بعثة افريقية للتوجه إلى أمريكا اللاتينية والدول الاسكندينافية للتعريف بالقضية الجزائرية[142]. ولا شك أن المكاسب المحققة كانت نتيجة

---

139 انظر المجاهد : العدد 34 (10 اكتوبر 1958)، ص7.

140 محمد فائق: المرجع السابق، ص 43

141 المجاهد : العدد ،73(24 نوفمبر 1960)

142 CHIKH. Slimane ;L´Algérie en armes ou le temps des certitudes , OPU,ALGER, 1981.p 472 .

مساعي وجهود الوفد الجزائري، وقد صدر التأكيد خلالها "إن الجزائر إنما تدافع عن حرية إفريقيا، لان جيش الاحتلال جمع 800 ألف جندي على أراضيها "[143].

وعلى الرغم مما كرسه مؤتمر أكرا من نصرة وتأييد للقضية الجزائرية فقد كان على الحكومة الجزائرية المؤقتة وحلفائها أن يبذلوا جهودا مكثفة لتعزيز معسكرهم وإنجاح طروحاتهم وإسماع أصواتهم للشعوب.

وخلال الحملة التي قامت بها من أجل الاستفتاء وجهت جبهة التحرير الوطني بيانا للإفريقيين، أوضحت فيه موقفها المناهض للاستعمار والداعي إلى الاستقلال، مؤكدة " بأن المساهمة في التصويت هو أخيرا التعرف إلى الذات كعضو من نفس الأسرة، ونفس الأمة ذات المشكلات المشتركة، على حين أن كل إفريقي سيصوت في الاستفتاء سيكبل أكثر شعبه وبلاده بقيود الاستعمار الفرنسي[144]، وعلى الرغم من نتائج الاستفتاء الذي كان في صالح الفيدرالية فإن الأفارقة بدؤوا يطالبون بحقوق أكثر، مما أدى إلى انشقاق داخل المجموعة السودانية وخلق تيارات معارضة لفكرة الفيدرالية، فقد حصل الاختلاف بين الفيدراليين وخصومهم عندما قام "هوفويه . بوانبي" في وجه الاتحاد الفيدرالي لمالي، لكن الفيدراليين أقروا في مؤتمر حزبهم " الاتحاد الفيدرالي الإفريقي " تأكيد مبادئهم المتمثلة في إنشاء الاتحاد المالي(السنغال والسودان)، والاستقلال، وستعرف هذه المجموعة تطورا سريعا في بداية 1960، حيث اضطرت فرنسا للتنازل عن استقلالها [145].

وكان طبيعيا أن يسجل استقلال عشر دول إفريقية في سنة 1960 انتصارا لفكرة التحرر التي دافعت عنها جبهة التحرير الوطني، وقد أحست الدول المستقلة حديثا أنها مدينة لحركات التحرر المسلحة التي كانت أينما وجدت تشكل ضغطا على الإدارة الفرنسية، وهكذا بدأت هذه الدول المستقلة تبدي تضامنا مع الشعوب الخاضعة للاستعمار وتشجع على التضامن مع الشعوب التي تناضل من أجل الاستقلال ومنها شعب الجزائر .

كان عام 1960 هو عام إفريقيا، حاولت الحكومة الجزائرية المؤقتة أن توسع نشاطها باتجاه القارة لكسب مجموع الدول المستقلة حديثا ومحاصرة الدبلوماسية الفرنسية، تم الاعتماد على شخص فرانز فانون باعتباره مناضلا ملتزما ومعبرا عن أفكارها، وقد بذل نشاطا سياسيا وجهدا معتبرا لدى الدول المستقلة حديثا من أجل كسب تعاونها ودعمها للقضية الجزائرية، وأسهم في كسب تعاون السلطات المالية والنيجيرية لفتح جبهة كفاح عسكرية تنطلق من شمالي البلدين لتساهم في دعم كفاح الجزائر، كان الرجل مخلصا لفكرة الوحدة الإفريقية ومقتنعا بمبادئ الثورة الجزائرية، وبعد أن اسمع قضية

143 انظر كلمة رئيس الوفد الجزائري للمؤتمر احمد بومنجل : المجاهد : العدد 34(24 ديسمبر 1958)

144 المجاهد، العدد 29، (17. 9. 1958)

145 CHIKH. Slimane .op.cit. p p .465- 466.

الجزائر لأركان القارة الأربعة ها هو ينسق ويعمل مع قادة الثورة الجزائرية من اجل أفرقة الحرب الجزائرية، لقد اقتنع أن توحيد إفريقيا الحقيقي يتم في جبهة المقاومة التي يخوضها الإفريقيون صفا واحدا، كما بذل محمد حربي باعتباره مثقفا ماركسيا ودبلوماسيا للثورة الجزائرية جهودا معتبرة لتوطيد العلاقة مع سيكوتوري وقادة الدول الإفريقية المستقلة وأحزابها وتنظيماتها السياسية، وربط علاقات مع زعماء بعض الدول وقادة حركات التحرر المتواجدون في غينيا، ومنهم الزعيم المستقبلي لغينيا والرأس الأخضر "أميلكار كابرال "، وقادة انغولا " ماريو دو اندرادي، وخوزي ايدواردو"، وقادة الموزمبيق " مارسيلينو دوس سانتوس" وقادة غوا "اكينو دي برانغتسا"، وقد أسس هؤلاء القادة والمثقفين تنسيقية للحركات المناهضة للإمبراطورية البرتغالية، وذلك قبل أن تؤسس حركة تحرير الموزمبيق في جوان 1961، ويذكر حربي أن العلاقة مع هؤلاء امتدت من التضامن والتنسيق إلى تبني طروحات فكرية مشتركة بما في ذلك الإيديولوجية الماركسية،" قضيت مع قادة تنسيقية الحركات المناهضة للاستعمار للإمبراطورية البرتغالية أياما لا تنسى في مناقشة آليات السلطة في إفريقيا والتوجهات الفعلية للتجمعات الجهوية المشاركة في السباق نحو الوحدة الإفريقية " مجموعة الدار البيضاء " ومجموعة منروفيا"، كنا نعتقد أن تمييز الدول على أساس معيار واحد هو . موقفها تجاه الاستعمار. يشجع التفسيرات الإيديولوجية التي تحرف وتشوه الواقع وتضلل قوى التقدم، فمحاربة خطاب النخب حول طبيعة الدول التي يقودونها كان ضروريا في رأينا لتجمع العناصر الراديكالية في القارة "[146].

إن أهمية التضامن الإفريقي جعل الحكومة الجزائرية المؤقتة تولي أهمية خاصة للقارة الإفريقية، ولهذا رسمت سياسة وزارة الخارجية الأهداف الآتية في إستراتيجية نشاطها:

.وضع قاعدة عمل مشترك مع غينيا وغانا باعتبارهما في طليعة الدول الداعية للتضامن الإفريقي مع قضية الجزائر، بعد أن أصبحت عامل فرز داخل مجموعة إفريقيا الغربية الفرنسية.

.دعم حركات التحرر الثورية التي تستند إلى قواعد شعبية .

.النضال من اجل إضعاف وتفكيك مجموعة الدول الواقعة تحت النفوذ الفرنسي[147].

---

146 انظر محمد حربي : المصدر السابق، ص 363

147 انظر تقرير كريم بلقاسم وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة(صيف 1961). HARBI Mohammed: Les Archives de la revolution Algerienne ,ed, jeune Afrique ,Paris, 1981.p-p.399-400

وهكذا يتجلى لنا أن السياسة المنتهجة مع الدول الإفريقية وإرساء علاقات وطيدة مع الدول الحليفة مكن من تحقيق نتائج مهمة، وذلك على صعيدي دعم القضية الجزائرية ومواجهة السياسة الفرنسية في إفريقيا.

2. تطور العلاقات مع إفريقيا وتأثيرها على دعم القضية الجزائرية.

على الرغم من الصعوبات التي واجهتها الثورة الجزائرية في تحقيق أهدافها الإفريقية فان حصاد العمل الدبلوماسي كان ايجابيا، فقد مكن من توفير السند القوي للقضية الجزائرية ودعم الثورة الجزائرية في مجالات مختلفة، وبذلك أصبحت قضية الجزائر قضية محورية بالنسبة للأفارقة، تحضر في مؤتمرات الشعوب والدول المستقلة، وتقام من اجلها مهرجانات التضامن وتلقى التأييد الشعبي والرسمي، وفي هذا الفصل سنحاول رصد نتائج التضامن المحققة والتأكيد على أن السياسة المنتهجة والجهود المبذولة لم تذهب سدا.

1.1. دعم القضية الجزائر في المحافل الإفريقية:

كانت الثورة الجزائرية في حاجة ماسة إلى مناصرة الأفارقة لقضيتها، وقد حققت مكاسب معتبرة منذ مؤتمر أكرا، ومع استقلال مجموعة الدول الإفريقية الفرنسية عام أصبحت الجزائر قضية محورية في اهتماماتها، وشيئا فشيئا ضمنت الثورة الجزائرية تأييد الدول الإفريقية لقضيتها في الأمم المتحدة والمنابر الدولية، كما كانت مؤتمرات الشعوب والدول الإفريقية مناسبة لتأكيد الالتزام بدعم ومناصرة حركات التحرر وعلى رأسها القضية الجزائرية، واثر فشل مفاوضات افيان الأولى في جوان بسبب قضية الصحراء كان الموقف الإفريقي المساند للجزائر حاسما في تسريع المفاوضات وتراجع فرنسا عن سياسة فصل الصحراء، وقد أبدت الشعوب والدول الإفريقية أشكالا من التضامن والمؤازرة في المجالات السياسية والدبلوماسية والتعبوية، ووقفت مواقف مشرفة من الثورة الجزائرية أشادت بها جبهة التحرير الوطني واعتبرتها دينا في جبين الجزائريين وحافزا لها على المضي في مساندة حركات التحرر وبناء الوحدة الإفريقية.

أ. دعم الثورة الجزائرية في مؤتمرات الشعوب الإفريقية:

جمعت هذه المؤتمرات بتشجيع من القوى الثورية وفودا من القارة الإفريقية، وبلورت تصورات راديكالية من الاستعمار، حيث كانت تدعوا إلى تحرير الشعوب ومناصرة القضايا الإفريقية، وحظيت باهتمام الثورة الجزائرية التي حرصت على حضورها وتكريسها لدعم قضيتها التحررية، عقد المؤتمر الأول أيام 5 .13 ديسمبر 1958 في أكرا، نوقشت فيه مسائل مختلفة أهمها قضية العنف والتحرر، وتم التأكيد خلاله على مناصرة حركات التحرر والقضية الجزائرية، حيث صدرت لائحة تؤكد على حق الشعب الجزائري في الاستقلال، وتدعوا إلى الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة وإلى تنظيم يوم خاص

بالتضامن الإفريقي مع الجزائر [148]، وفي أكتوبر 1959 عقدت لجنة المؤتمر اجتماعا تحضيريا، طرحت خلاله تطورات المشكل الجزائري بعد إعلان حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وبعد مناقشة مختلف التطورات تبنت لائحة طالبت فيها من الحكومة الفرنسية بالدخول في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الجزائرية المؤقتة للوصول إلى استقلال الجزائر[149].

وعقد المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية بتونس أيام 25 .30 جانفي 1960، وقد تعرف خلاله الأفارقة على الثورة الجزائرية عن قرب، وناقشوا بايفاض القضية الجزائرية، وأعلنوا في ختامه عن دعمهم ومساندتهم لمواقف الحكومة الجزائرية المؤقتة، وتأكيدا منهم على أهمية القضية الجزائرية صادقوا على لائحة خاصة بالجزائر تضمنت جملة من التوصيات أهمها:

.على الحكومات الإفريقية المستقلة التي لم تعترف بعد بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الاعتراف بها.

.على جميع الحكومات الإفريقية المستقلة أن تخصص من ميزانيتها مساهمة منتظمة لفائدة الجزائر المكافحة .

. الإلحاح على سحب عشرات الآلاف من جنود إفريقيا السوداء الذين تحتفظ بهم فرنسا ضمن جيشها بتواطىء مع قادة بلادهم، ودعوة كافة الدول الإفريقية والشعوب الإفريقية إلى بذل كل ما في وسعها لإنهاء هذه الفاجعة البغيضة بين الإخوان الأفارقة.

. إنشاء فرقة من المتطوعين الأفارقة للمشاركة في حرب استقلال الجزائر وعلى جميع الدول الإفريقية المستقلة تيسير تحقيق ذلك.

. نظرا لاستفحال خطورة الحالة في الجزائر بصورة مباغتة فالمؤتمر يوجه حثيث للأمم المتحدة من اجل فرض السلم والاعتراف باستقلال الجزائر[150].

وأما المؤتمر الثالث للشعوب الإفريقية فقد احتضنته القاهرة أيام 25. 30 مارس 1961، وضم وفودا من مختلف الدول الإفريقية، ألقى ممثل الجزائر بومنجل خطابا عرض فيه تطورات القضية الجزائرية، وأكد على وجوب تكتل إفريقيا لنصرة قضايا التحرر والوحدة، ومواجهة الحلف الأطلسي، وأن تقوم الشعوب الإفريقية بواجبها في الضغط على الحكومات التي

148 EL MOUDJAHID .N° 34 (24 decembre1958)

149 EL MOUDJAHID .N° 53 (1 er Novembre1959)

150 انظر المجاهد : العد 61، (8 فيفري 1960) ص 7.6

ما تزال موالية للاستعمار على حساب القضايا الإفريقية ومؤكدا في الأخير انه " من واجب المؤتمر تصفية التناقضات الداخلية بين الإفريقيين حتى يصبح للوعي الإفريقي فاعليته الكاملة"[151]، وجاءت قرارات المؤتمر لتؤكد تضامن الشعوب الإفريقية التام مع الحكومة الجزائرية المؤقتة بخصوص موقفها من المفاوضات، وتدعو الدول الإفريقية لتعزيز ومضاعفة " تأييدها السياسي والدبلوماسي والمادي للشعب الجزائري في المرحلة الراهنة ومساندة وجهة نظر الحكومة الجزائرية حول الصحراء التي تشكل جزء لا يتجزأ من الوطن الجزائري" [152].

لقد عبرت مؤتمرات شعوب الدول الإفريقية عن مواقف مساندة للقضية الجزائرية، وقد كانت باستمرار تدعوا الدول الإفريقية للتضامن مع الجزائر، وتوفر بحكم توجهها الراديكالي مساندة معنوية حقيقية وتشكل أداة ضغط على الأنظمة الحكومية.

ب. مؤتمرات البلدان الإفريقية المستقلة:

بادرت الدول الإفريقية الثمانية المستقلة إلى عقد أول مؤتمر لها في أفريل 1958 بأكرا، ووجه الرئيس نيكروما دعوة للجنة التنسيق والتنفيذ من أجل حضور المؤتمر، حيث ألقى محمد يزيد كلمة الجزائر. ناقش المؤتمرون القضية الجزائرية وأكدوا على وجوب دعمها ومؤازرتها، وتم التأكيد على " حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير "، ودعوة الدول الإفريقية إلى القيام بالمساعي التي من شأنها أن تمكن الشعب الجزائري من الحصول على استقلاله، وقررت إرسال وفود إلى مختلف العواصم للتعريف بالقضية الجزائرية[153]، وخلال المؤتمر الثاني للدول الإفريقية المستقلة المنعقد أيام 4 .8 أوت 1959 بمنروفيا لقيت القضية الجزائرية دعما ومؤازرة من مختلف الأطراف، ووافق المؤتمر على توصيات مهمة، منها دعم القضية الجزائرية وتقديم الدعم للثورة الجزائرية والدعوة إلى الاعتراف بالحكومة الجزائرية المؤقتة [154].

وقد حدث اختلاف في مواقف الدول الإفريقية بخصوص القضية الجزائرية في نهاية عام 1960، تمخض عنه قيام مجموعتين من الدول الإفريقية، واحدة ثورية مناصرة للحكومة الجزائرية المؤقتة والأخرى معتدلة وموالية لفرنسا، وقد بادرت المجموعة الأولى بعقد مؤتمر لها بالدار البيضاء أيام 7.3 جانفي 1961، حضرته سبع دول إفريقية وناقشت المشاكل التي تعرفها القارة ومنها قضية الجزائر، حيث أوصى المؤتمرون بدعمهم للحكومة الجزائرية المؤقتة ولمطالبها الشرعية،

151 انظر المجاهد : العدد 93 (10 افريل 1961)، ص.ص 6 .7، 11

152 المصدر نفسه، ص 11

153 EL MOUDJAHID .N° 23 (5 Mai 1958)

154 EL MOUDJAHID .N° 48 (17 Avril 1959)

ونددوا بالتجارب النووية الفرنسية بالجزائر، وطالبوا بسحب الجنود الأفارقة المحاربين في الجزائر[155]. أما المجموعة الثانية فقد عقدت اجتماعا في منروفيا في مارس من نفس السنة، وان كانت قد شجبت موقف دول مجموعة برازافيل فإنها حاولت أن توفق بين الدول الإفريقية وان توحدها، ولم يتحقق ذلك إلا بعد فض المشكلة الجزائرية التي سببا في الاختلاف، حيث اتفقت المجموعتين على مشروع لإرساء منظمة الوحدة الإفريقية في مؤتمر اديس أبابا عام 1963، وذلك بحضور متميز للجزائر المستقلة.

2.1.شجب التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية:

عمدت فرنسا في فيفري 1960 للقيام بتجارب نووية في منطقة رقان، فقامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بحملة دعائية واسعة لشجب هذا العمل الإجرامي، وأبرقت الى الدول الإفريقية للتعبير عن موقفها وإدانة هذا العمل الإجرامي الذي تمتد أثاره الى الدول المجاورة ويضر بإفريقيا، وجاءت حملة الشجب والإدانة من مختلف الدول، حيث أدانت الأحزاب والمنظمات النقابية والحكومات هذه الجريمة، فأعلنت غينيا أن علاقات مع فرنسا ستقطع إذا ما تمادت في تفجيراتها النووية، واتخذت غانا موقفا جريئا عندما أعلن نكروما تجميد الأموال الفرنسية الى غاية معرفة النتائج الحقيقية لهذه التجارب. ونسقت الدول الإفريقية موقفها في الأمم المتحدة لتطالب بوقف التجارب النووية الفرنسية ومسائلة فرنسا[156]

3.1.سحب الجنود الأفارقة من الجيش الفرنسي وتشكيل فيالق افريقية لدعم الجزائر:

شنت جبهة التحرير الوطني حملة لدعوة المجندين الأفارقة في جيش الاحتلال للعزوف عن القتال في الجزائر، والانسحاب من هذا الجيش الذي يحتل الأرض الإفريقية، مستغلة في ذلك رابطة الوحدة الإفريقية والعلاقات الدينية والإقليمية التي تربطها بأقطار السودان الغربي، خاصة وأن أغلب المجندين كانوا من السنغال ومالي، وقد بلغ عددهم في سنة 1959 ما يناهز الثلاثين ألف جندي. واستعملت في البداية الطرق المباشرة للاتصال بهؤلاء الجنود كما هو الحال مع فرق اللفيف الأجنبي، وكذا توجيه نداءات عامة عبر صحيفة المجاهد التي نشرت في فاتح نوفمبر 1960 نداءا لجيش التحرير الجزائري، يدعوا فيه المجندين الأفارقة لرفض القتال في صفوف الجيش الفرنسي مرددا شعار: "عيشوا لإفريقيا ولا تموتوا فرنسيين"[157].

---

155 المجاهد : العدد 87(16 جانفي 1961) 12

156 انظر مجموعة باحثين التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، سلسلة الندوات، منشورات المركز ود ب ح ث 1954، الجزائر، 200، ص31

157 المجاهد: عدد 81 (1 نوفمبر 1960)

وازدادت حدة الدعاية التي خاضتها جبهة التحرير الوطني مع حصول بلدان السودان الغربي على استقلالها، فأصبحت تطالب من الحكومات سحب جنودها من الجبهة الجزائرية ومؤكدة أن التعاون مع جيش الاحتلال يعد نقطة سوداء في العلاقات بين فرنسا والدول الإفريقية، وأمام حملة الدعاية والاتصالات المباشرة بهذه الدول تم التعهد بالعمل على سحب هؤلاء الجنود وإعادتهم إلى وطنهم، وهذا ما أعلنه رئيس الحكومة السنغالية "ممادو ضياء" في أكتوبر 1960 [158]، وبالموازاة مع ذلك طالبت الحكومة الجزائرية المؤقتة في بداية عام 1960 من الدول الإفريقية المتضامنة مع الجزائر إنشاء فرق من المتطوعين لنصرة الثورة الجزائرية، وقد تبنى المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية المنعقد بتونس في بداية عام 1960 قرارات مهمة في هذا الشأن، حيث طالب في لائحة خاصة بالجزائر سحب الجنود الأفارقة العاملين ضمن صفوف الجيش الفرنسي، " وإنشاء فرقة من المتطوعين لنصرة جيش التحرير الجزائري" [159]، وقد استجاب كثير من الأفارقة لهذه الدعوة، وأنشئت فرق خاصة بهم بمراكز جيش التحرير بالمغرب، كما تدرب كثير من شبان حركات التحرر الإفريقية بهذه المراكز ومنهم الرئيس نلسن منديلا الجنوب إفريقي وثوار الكونغو ...الخ.

4.1.دعم إنشاء الجبهة الجنوبية

عندما قررت قيادة الثورة في عام إنشاء جبهة عسكرية على الحدود المالية النيجيرية أوعزت الى فانون لمحادثة سيكوتوري في الموضوع، وقام هذا الأخير بمخاطبة موديبوكايتا والمسؤولين النيجيريين، واستطاع إقناعهم بضرورة تقديم المساعدة لثورة الجزائر، وتكلف فرانز فانون بإجراء اتصالات ميدانية في مالي والنيجر، وقد ذكر أن الرئيس موديبوكايتا استقبل الوفد الجزائري في باماكو وأكد له استعداد بلاده لتقديم كامل الدعم والمؤازرة، وفعلا وجه الأوامر لوزير الدفاع من اجل الاستجابة لطلبات الجزائريين[160]، وبعد أن أرسلت قيادة الأركان العامة بعثة بقيادة النقيب عبد العزيز بوتفليقة لفتح هذه الجبهة حصلت البعثة على مساعدات ثمينة، فقد استقبل سيكوتوري سفينة أسلحة هربت عبر رأس الرجاء الصالح ووضح عدة شاحنات تحت التصرف لنقل هذه الشحنة، وقدمت السلطات المالية مساعدات مادية ولوجستيكية، وخصصت عدة مراكز للجزائريين في شمال البلاد انطلاقا من قاو، وبدورها قدمت السلطات النيجيرية موافقتها لفتح مراكز للثورة الجزائرية بشمال البلاد وقدمت عدة مساعدات وان لم ترقى الى مستوى المساعدة المالية، وذلك خشية من أن ينكشف أمرها وهي ترتبط مع فرنسا باتفاقيات تعاون، وقد قبلت الدولتين مبدأ تجنيد الأفارقة انطلاقا من أراضيها، وان كانت الجبهة الجنوبية لم تعول على الأفارقة المتطوعين بل اعتمدت أساسا على تجنيد الجزائريين المتواجدين بكثرة هناك،

158 المجاهد: عدد 79 (10 أكتوبر 1960)

159 انظر المجاهد : عدد 61 (8 فيفري 1960)

160 انظر : فرانز فانون : المرجع السابق، ص 190

واستقدام الشبان من توات والهقار لتفسح المجال أمامهم لتشكيل فرق وكتائب عسكرية، كما استضافت مجندي بعض حركات التحرر الإفريقية وكونتهم في مجال الاتصالات وفنون القتال والقيادة العسكرية والسياسية، وعموما فان مشروع الجبهة حقق أهدافا إستراتيجية كبرى منها: فتح جبهة عسكرية بأقصى الجنوب الجزائري. وإدخال الأسلحة عبر هذا المنفذ الصحراوي، وقد أعطت هذه الجبهة تأكيدا على حضور الثورة الجزائرية في أقصى جنوب الصحراء، وكرست مبدأ التضامن والوحدة الإفريقية ميدانيا في جبهات الكفاح المسلح[161].

5.1. مساندة الحكومة المؤقتة في قضية الصحراء:

إن إفريقيا ستكون معنية بقضية الصحراء التي تتمسك جبهة التحرير الوطني بأنها جزء من التراب الوطني وتدعي فرنسا أنها ملك مشاع تشترك الدول المحيطة بها في استغلالها، ولهذا حاولت الحكومة الجزائرية المؤقتة أن تعطي للمشكلة الصحراوية بعدا إفريقيا، خاصة بعد تعطل مفاوضات إفيان بسبب مشكلة الصحراء، فقامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بمساع حثيثة لكسب مواقف الدول إلى جانبها، ووجهت لها مذكرة حول الصحراء نداءا عاجلا لدعم موقفها في مواجهة الامبريالية الفرنسية، وهكذا تضامنت كثير من البلدان والشعوب الإفريقية مع الجزائر يوم 5 جويلية 1961، الذي كان يوما وطنيا ضد التقسيم وقام أعضاء الحكومة المؤقتة بزيارات إلى مختلف العواصم الإفريقية، إذ سافر فرحات عباس إلى الرباط، وانتقل محمد يزيد إلى كوناكري وباماكو، وكريم بلقاسم إلى بنغازي والقاهرة [162]، وأعرب الرئيس المالي موديبوكايتا عن موقف مدعم للحكومة الجزائرية المؤقتة، حيث صرح في يوم 13 جوان 1961 قائلا " إن الصحراء لم تكن في أي يوم من الأيام مستقلة، إنها ليست كيانا جغرافيا وسياسيا مستقلا، ولقد أكدنا دعمنا للحكومة الجزائرية ولشعبها، ودعمنا موقفها فيما يخص وحدة أراضيها وهنا نفكر بالصحراء الجزائرية، فهناك صحراء مغربية، وأخرى مالية وثالثة جزائرية،الخ، ونحن نعارض وجود صحراء مستقلة تابعة لفرنسا[163]، ورفض من جهته "هاماني ديوري" التعاون مع حمزة بوبكر بخصوص مشروع جمهورية الصحراء المستقلة معربة عن تأييدها لموقف الحكومة الجزائرية المؤقتة. ووجه كوامي نكروما رسالة إلى الحكومة المؤقتة معربا عن حقها في الدفاع عن سيادتها، وصرح الرئيس السينيغالي بما يؤكد حق الجزائر في سيادتها على الصحراء[164].

---

161 انظر بتفصيل عن الجبهة الجنوبية، مقلاتي عبدالله : الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي إبان الثورة التحريرية، دار السبيل، الجزائر، 2009

162 انظر المجاهد العدد 86، 19 جويلية 1961

163 انظر المجاهد عدد 82، 25 جوان 1961

164 انظر المجاهد العدد 83، 19 جويلية 1961

6.1. تأييد القضية الجزائرية في الأمم المتحدة

وأثمن مساندة كانت تسعى إليها الثورة الجزائرية هي تأييدها في الأمم المتحدة، وقد قدمت الدول الإفريقية دعما معتبرا للجزائر في المجال الدبلوماسي خاصة بعد عام 1960، وإن كانت الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة شهدت تصدع المجموعة الإفريقية بوقوف بعض الدول إلى جانب فرنسا فإن الدورة السادسة عشر شهدت تزايد قوة التضامن مع دعم القضية الجزائرية، ولكن موقف المجموعة الإفريقية المرتبطة بفرنسا ظل يثير تحفظ الطرف الجزائري[165]، حتى أن صحافة الثورة شنت حملة شعواء ضد هذه المجموعة التي سمتها بالفرنسية[166]. وقد تسببت المشكلة الجزائرية في انقسام القارة الإفريقية إلى مجموعتين، واحدة ثورية مؤيدة للحكومة الجزائرية المؤقتة (مجموعة الدار البيضاء) والأخرى إصلاحية تتبنى الطروحات الفرنسية وتريد استبعاد الحكومة الجزائرية المؤقتة من حضور الاجتماعات الإفريقية (مجموعة برازافيل)، ولن تعمر هذه الأزمة طويلا بعد أن لاحت تباشير حل القضية الجزائرية، وعادت الدول الإفريقية للمطالبة بوحدة القارة الإفريقية التي ستسهم فيها الجزائر المستقلة بدور فاعل، خاصة وأنها وضعت الفكرة في قائمة أولوياتها، وأعربت عن التزامها بدعم حركات التحرر التي تناضل من اجل استقلالها، وقد تم ترسيم ذلك في برنامج طرابلس :" لقد عملت حرب التحرير بحدتها وقوتها على الإسراع في إتمام عملية تصفية الاستعمار في إفريقيا على وجه الخصوص، وستقدم الجزائر المستقلة مساعدة كاملة للشعوب التي تناضل فعلا لتحرير بلادها، ومن واجب الجزائر أن تولي اهتماما خاصا بالوضع في انغولا، وجنوب إفريقيا، وبلدان شرق إفريقيا، فالتضامن الفعال ضد الاستعمار سيمكن بلادنا من توسيع جهة النضال ودعم حركة الوحدة " [167].

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن العلاقات الجزائرية الإفريقية متأصلة وممتدة في القدم، حيث استثمرتها الجزائر في كفاحها التحرري، وهو ما تجلى في الإستراتيجية الآتية:

. انتهاج الثورة الجزائرية سياسة حكيمة من خلال إعطائها للبعد الإفريقي أهميته في مبادئها وسياستها الخارجية، وخاصة من خلال إرساء علاقات وثيقة وتنسيق العلاقات.

---

165 CHICk Slimane, op cit, p 474- 475

166 المجاهد، العدد 76، 5 جانفي 1961

167 جبهة التحرير الوطني : النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص 96

. اكتسبت الثورة الجزائرية شهرة وسمعة طيبة في إفريقيا بتجسيدها لشعارات التحرر وتحقيق الوحدة الإفريقية، وعليه فان الشعوب والدول الإفريقية قدمت أشكالا مختلفة من الدعم والمساندة للجزائر المكافحة، وهي لم تقتصر على الدعم المعنوي بل تعدت إلى الدعم المادي، ولم تبقى حبيسة الأقوال والشعارات بل جسدت أفعالا في الميدان.

. لقد استفادت الجزائر من تجربتها الثورية في إرساء مبادئ الوحدة الإفريقية والتضامن والدعوة للتحرر ومحاربة الامبريالية، وكان لها دور حاسم في مساعدة حركات التحرر الإفريقية وحمل لواء الوحدة الإفريقية، وما تزال إلى اليوم تهتم بالفضاء الإفريقي لبناء تحالفاتها الإقليمية ومواجهة المخاطر والصعوبات التي تسببها القوى والخارجية

قائمة المصادر والمراجع:

أ.المصادر والمراجع باللغة العربية :

1.الوثائق

وثائق الأرشيف الوطني الجزائري: علبة رقم 182 ملف رقم2،

2 .الكتب

.بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد وأمجاد، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995،

.جبهة التحرير الوطني: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، 1979،

.زبير سيف الاسلام: صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988،

.فرانز فانون : من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،

.عبد الملك عودة: السياسة والحكم في إفريقيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1959

.عبد القادر رزيق المخادمي: منظمة الوحدة الإفريقية التحدي والأمل، موفم للنشر، الجزائر،

.عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005،

.محمد بوعشة: الدبلوماسية الجزائرية وصراع القوى الصغرى في القرن الإفريقي وإدارة الحرب الإثيوبية .الارترية، ط1، دار الجيل، القاهرة، 2004،

.محمد حربي: حياة تصدي وصمود مذكرات سياسية، ترجمة عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004،

.محمد فائق: عبد الناصر والثورة الإفريقية، ط4، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2002،

.محمد الميلي: المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت ،1983.

.محمد الميلي: مواقف جزائرية، ط1، م وك، الجزائر، 1984،

.محمد المبروك يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية.الإفريقية، ط1، مطابع الثورة العربية، طرابلس، 1988،

.مجموعة باحثين: التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، سلسلة الندوات، منشورات المركز ود ب ح ث 1954، الجزائر، 2000،

.مقلاتي عبدالله : الجهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي ابان الثورة التحريرية، دار السبيل، الجزائر، 2009

.مقلاتي عبدالله: دور توات في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا الغربية، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009

.نيلسون منديلا : مسيرة طويلة نحو الحرية، السيرة الذاتية لنلسن منديلا، ترجمة فاطمة نصر، كتاب الهلال، العدد 534، دار الهلال، القاهرة، 1995 .

3.الرسائل الجامعية:

. احمد بن فليس: السياسة الخارجية للحكومة الجزائرية المؤقتة، رسالة ماجستير، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولة، جامعة الجزائر,1986.

.عكاشة محمد حسن محمد: حرب التحرير الجزائرية أهميتها على سياسة فرنسا تجاه الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1979،

.عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2001،

4.المقالات والصحف

.مولود قاسم نايت بلقاسم: دور فاتح نوفمبر في استرجاع ليبيا فزانها والمغرب وتونس استقلالهما بل إفريقيا كلها حريتها، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد سنة 1984،

.حسن رويبح: مكانة الثورة الجزائرية في إفريقيا، جريدة الشعب، عدد4973 ليوم 31 أكتوبر 1979.

. الرأي العام، المغرب، عدد يوم 22 جانفي 1960

.مجلة المجاهد، لسان حال جبهة التحرير الوطني ، أعداد متفرقة.

ب.المصادر والمراجع باللغات الاجنبية

-CHIKH. Slimane ; L´Algérie en armes ou le temps des certitudes , OPU,ALGER, 1981. .
_ HARBI Mohammed: Les Archives de la revolution Algerienne ,ed, jeune Afrique ,Paris, 1981.
_ Ptrick Charles renaud. ,Les combats Sahariens 1955-1962 ; ed Grancher ,Paris, 1993
- Farantz Fanon : Pour la Révolution Africaine , ed francois maspero , paris , 1979
- Nicole Grimaud, La Politique exterieure de l'Algérie , éd Rahma, Alger,1994

-Bruno Etienne ; L'Algérie et la IV conférence des non-alignés : de la solidarité des idées a la solitude dans la stratégie ; revue Maghreb-Machrek; n°60, novembre –décembre 1973

- Guentari Mohamed. Organisation Politico –Administrative et Militaire de la révolution Algérienne de 1954 –1962 ; OPU. Alger. 1994. T2

Senoussi saddar : ondes de choc .editon ANEP , Alger, 2002

- EL MOUDJAHID .

التدبير الجماعي بين رهانات التنمية وإكراهات الواقع (حالة الجماعات الترابية لضاحية مدينة مكناس)

The collective measure between the stakes of development and the constraints of reality(case of the Territorial commons of the suburb of Meknes)

خالد بقالــي: باحث في الجغرافيا، المملكة المغربية
Beqqali@hotmail.fr

ملخص:أضحى ربح رهان التنمية يرتبط بشكل كبير بدور الجماعات الترابية، باعتبارها الأقرب إلى واقع تراب الجماعة، إلا أن المجالس المنتخبة للجماعات الترابية لم تستطع مواجهة التحديات نتيجة قلة إمكانياتها المادية والبشرية، وضعف التعاون البيجماعي والتنسيق بين تدخلات الفاعلين.

أمام هذا الوضع، فإن تحقيق التنمية المحلية يرتبط برفع العوائق التي تحد من نجاعة التدبير الجماعي، والتي من خلالها يمكن إعادة الثقة للساكنة المحلية في السياسات العمومية، وذلك بالعمل على تطوير أداء المنتخبين المحليين وتوفير إطار للتنسيق يحدد التمفصلات بين مختلف المستويات المجالية والإدارية، بهدف تجاوز إشكالية ضعف الالتقائية.

الكلمات المفاتيح: الجماعة الترابية،التنمية، الحكامة، التدبير الترابي، اللاتمركز الإداري

Abstract

The winning of the development stakes has become closely related to the role of the territorial groups, as they are the closest to the reality of the community's soil. However, the elected councils of the territorial groups were unable to face the challenges due to their lack of material and human capabilities, and the weakness of inter-group cooperation and coordination between the interventions of the actors.

Faced with this situation, achieving local development is linked to raising the obstacles that limit the effectiveness of collective management, through which it is possible to restore confidence to the local population in public policies, by working to develop the performance of local elected officials and providing a framework for coordination that defines the articulations between the various field and administrative levels, in order to bypass The problem of prophylactic impairment

Key words: territorial commune, Development, governance, territorial management, Administrative decentralization

مقدمة

تعتبر العودة إلى المحلي توجها استراتيجيا لمقاربة قضايا التنمية ومواجهة التحديات الراهنة، فالمجالس الجماعية بما تتمتع به حاليا من صلاحيات، تعد الإطار الأنسب لبلورة المشاريع التنموية الجديرة بالتطبيق نظرا لاحتكاكها أكثر من غيرها بواقع تراب الجماعة، وتتجلى أهمية هذا التوجه في تراجع دور الدولة، وتفويض المزيد من الصلاحيات للمؤسسات المحلية في إطار توسيع الحقل الديمقراطي ومجال اللامركزية. كما لا يمكن عزله عن عوامل جديدة أخرى أهمها ظهور فاعلين محليين جدد، والنزوع نحو اندماجية وتوطين المشاريع مع ما يفرضه من شروط التفاوض والتشارك والتعاقد، هذا إضافة إلى تنامي دور المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني في تسيير برامج التنمية وتدبير الشأن المحلي، كما وجدت العودة إلى المحلي مرتكزا حقيقيا في المعارف المحلية التي باتت تكتسي أهمية متزايدة في مشاريع التنمية الموجهة للعالم القروي[168]، وأن إقرار الديمقراطية يقوم على التدبير المحلي لشؤون السكان بأنفسهم، من خلال تقسيم ترابي يتم تعريفه وتحديده وتنميطه من منطلق أن كل دوار أو مدشر أو حي يجب أن يكون موضوع جماعة محلية، تضم مجموعة من السكان لهم حدود معروفة ومضبوطة، ولهم خصوصيات ومميزات، وقيم اجتماعية وعادات وتقاليد وأعراف وأمجاد، أفرزتها الوضعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تميزهم عن الآخرين[169].

في هذا السياق يأتي هذا المقال لإبراز أهمية التدبير الجماعي في إحقاق التنمية، وتحديد الاكراهات التي يواجهها ويحد من نجاعة العمل الجماعي، باعتباره ركنا أساسيا في إعداد المجال وتدبيره وتنظيمه، والذي اتخذنا من الجماعات الترابية لضاحية مكناس عينة لهذه الدراسة، انطلاقا من عمل ميداني اعتمدنا من خلاله على الاستمارة والمقابلات الشفهية.

التدبير الجماعي مدخل أساسي لتحقيق الحكامة الترابية

[168]. جنان لحسن (2010): العالم القروي في البحث الجغرافي، سلسلة دفاتر جغرافية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس، العدد 10، ص.14.

[169]. شنفار عبد الله (2015): الفاعلون المحليون والسياسات العمومية المحلية، دراسة في القرار المحلي، مطبوعات المعرفة مراكش، الطبعة الاولى. ص 47.46

1. التدبير الجماعي وتطور مسلسل اللامركزية

تكاد تجمع مختلف التعريفات التي تطرقت لمفهوم الحكامة" la Gouvernance " أنها الطريقة التي تباشرها السلطة السياسية والإدارية في تدبير شؤون المجتمع وموارده، ويمكن اعتبارها فن تدبير الشأن العام، ويعد مفهوم الحكامة من المصطلحات التي تم تداولها في الحقل التنموي خلال العقود الأخيرة نظرا لأهميتها في تحقيق التدبير الرشيد القائم على التنسيق والتشاور بين مختلف الفاعلين، حيث يتدرج مفهوم الحكامة ضمن شبكة مفاهيمية متشعبة لكونه يرتبط ارتباطا عميقا بمجموعة من المفاهيم من قبيل مفهوم التنمية، مفهوم المجتمع المدني، مفهوم المواطنة، مفهوم دولة الحق والقانون،... ولذلك أصبح لفظ حكامة يفيد معنى الرقابة والوصاية والتدبير، وأصبح منظرو الليبيرالية الجديدة يلحون على أن المقصود بالحكامة هو الجمع بين الرقابة من الأعلى، الدولة، والرقابة من الأسفل، المجتمع المدني[170].

وقد جاء هذا التصور بعدما فشلت الدولة الممركزة في تحقيق أهدافها التنموية، وسياسيا لم تعد الدولة بمفهومها المركزي قادرة على إرساء قواعد الديمقراطية، التي تقتضي القرب من المواطن وإشراكه في تسيير شؤونه بنفسه[171]، بل أضحى تشجيع وتقوية الإدارة المحلية بشقيها المعينة في إطار التبعية واللاتمركز والمنتخبة في إطار اللامركزية خيارا لا محيد عنه، ولتحقيق التنمية الشمولية المستدامة والمنشودة أصبحت المراهنة أكثر من أي وقت مضى على المستوى الترابي أو ما يسمى بالمقاربة الترابية للإشكال التنموي[172].

عرف المغرب منذ الاستقلال إعداد إطار مؤسساتي لتحقيق مقومات الحكامة الجيدة، من خلال وضع اللبنات الأساسية للامركزية، حيث أعلن بتاريخ 23 يونيو 1960 اعتماد أول ميثاق جماعي تزامن مع أول دستور للمملكة سنة 1962 الذي

---

[170]. أبركان عماد (2016): النموذج المغربي للتنمية المحلية ومتطلبات الحكامة الترابية، ضمن أشغال الندوة العلمية الوطنية: المسألة الترابية ورهان التنمية المستدامة، مجلة العلوم القانونية العدد السادس، ص.8

[171]. الغمري العرابي (2004): تحديث الإدارة الترابية للدولة في المغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وجدة، ص.51

[172]. أبركان عماد (2016): مرجع سابق، ص.7

أقر بوجود الجماعات المحلية وفتح آفاق نظام اللامركزية. إلا أن هذا الميثاق شابته العديد من مظاهر القصور تتمثل في: جعل الجماعات المحلية مجرد وحدات إدارية تخضع لوصاية مشددة من طرف ممثلي السلطة، مما أفرغ هذه المجالس من دورها التمثيلي.

ووعيا بأهمية الجماعات المحلية ودورها في ممارسة ديمقراطية القرب تم سنة 1976 تبني ميثاق جماعي جديد من خلال تعزيز وسائل اللامركزية وتحويلات الضريبة على القيمة المضافة، واعتماد نظام جبائي محلي وتخلي الدولة عن بعض الضرائب لصالح الجماعات المحلية.

وفي سنة 2002 تم تعديل الميثاق الجماعي، الذي شكل منعطفا بارزا في سياق التحولات التي عرفها المغرب (حكومة التناوب) والتي همت:

إدخال تحسينات على النظام الأساسي للمنتخب المحلي؛

إعادة تموقع لجان المجلس وتحديد مهامها وعلاقاتها؛

تخفيف سلطة الوصاية والرجوع إلى نظام وحدة المدينة؛

وتعزيزا لهذا المسار عرف الميثاق الجماعي تعديلا جديدا سنة 2009 سعى إلى تحسين الحكامة المحلية وعصرنة التدبير المالي للجماعات المحلية من خلال ممارسة المجلس الجماعي لاختصاصات ذاتية واختصاصات تنقلها إليه الدولة[173].

وأمام التحولات الخارجية والتطورات السياسية والاجتماعية التي عرفتها البلاد، جاء دستور 2011 والذي أعطى لسياسة اللامركزية بعدا متقدما، حيث أقر أن "يرتكز التنظيم الجهوي والترابي على مبادئ التدبير الحر، وعلى التعاون والتضامن، ويؤمن مشاركة السكان المعنيين في تدبير شؤونهم، والرفع من مساهمتهم في التنمية البشرية المندمجة والمستدامة[174]، كما

[173]. أنظر المادتين 36 و43 من الميثاق الجماعي 2009

[174] . الفصل 136 من دستور 2011

تم تحديد صلاحيات الجماعات الترابية بناء على مبدإ التفريع باختصاصات ذاتية واختصاصات مشتركة مع الدولة واختصاصات منقولة إليها من هذه الأخيرة[175]، كما تم إصدار القوانين التنظيمية المرتبطة بالجماعات الترابية حيز التطبيق (القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، والقانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات).

وقد أفرز هذا التطور الذي عرفه مسلسل اللامركزية بالمغرب الاقتناع بفاعل أساسي على مستوى التنمية الترابية ألا وهو المجلس الجماعي، الذي أصبح الممثل الرئيسي للسكان ومتطلباتهم، والمجسد الفعلي لتصوراتهم والأداة الفاعلة في إبلاغها ونقلها إلى السلطات المركزية، وهذا يكرس الطابع السياسي والتدبيري والقوة الاقتراحية والتنفيذية في تفعيل الإدارة والحكم المحليين[176].

لكن رغم غنى النصوص القانونية الرامية إلى تحقيق شروط الحكامة الجيدة، فإن إشكالية تجسيدها على أرض الواقع تصطدم بمجموعة من العراقيل التي ترتبط بنزوع الإدارة نحو التصلب والتنميط المفرط بتخطيط لازال يخضع للمركز، مما جعل المواطن يشعر ببعض التحفظ إزاء السياسات العمومية وفقدانه الثقة وتشكيكه الناتج عن الهوة الملاحظة في الميدان بين جودة القوانين الصادرة وبين محدودية تنفيذها[177]، والذي انعكس سلبا على تدبير وإعداد المجال.

2. أهمية الحكامة الترابية في التدبير الجماعي

تعتبر الحكامة أحد أبرز الآليات التي تشكل مدخلا لتحقيق التنمية وتخليق الحياة العامة، لذا نجد أن دستور 2011 خصص بابا كاملا للحكامة الجيدة من 17 فصلا (الفصول 154 إلى 171)، فقد جاء ضمن الفقرة الثانية أن الأسس التي

[175]. الفصل 140 من دستور 2011

[176]. أعيسا نورالدين (2016): المجالس الجماعية ومسألة التنمية الترابية: حالة المجلس الجماعي لمدينة مارتيل، ضمن أشغال الندوة العلمية الوطنية: المسألة الترابية ورهان التنمية المستدامة، مجلة العلوم القانونية العدد السادس، ص.32.

[177]. المغرب الممكن، تقرير الخمسينية 2006، ص. 89

يقوم عليها النظام الدستوري المغربي هي فصل السلط، والديمقراطية المواطنة والتشاركية، ومبادئ الحكامة الجيدة، وربط المسؤولية بالمحاسبة.

وكرس دستور 2011 دينامية ترابية جديدة من خلال نصه في الفصل الأول أن " التنظيم الترابي للمملكة تنظيم لا مركزي، يقوم على الجهوية المتقدمة...والجهة يجب أن تشكل قطبا للتنمية المندمجة، في إطار التوازن والتكامل بين مناطقها، وبين مدنها وقراها، بما يساهم في الحد من الهجرة إلى المدن..."[178].

ظلت هذه المبادئ تتردد في الخطابات الرسمية وغير الرسمية دون أن تجد طريقها نحو الأجرأة والتفعيل بشكل عملي ومنهجي، مما يطرح إشكالية تنزيل مبادئ الحكامة الجيدة في ظل الإكراهات التي تواجهها والتي ترتبط أساسا بضعف الشفافية وطغيان التدبير البيروقراطي وتعقد المساطر الإدارية، ناهيك عن الضعف الكبير الذي نجده على مستوى الموارد البشرية سواء من الناحية الكمية أو نوعية التكوين والتأطير، وغياب التنسيق والتعاون البيجماعي وبين المصالح الخارجية، مما دفع بأعلى سلطة في البلاد تدعو إلى ضرورة انتداب "...نخبة جديدة من الكفاءات، في مختلف المسؤوليات، وضخ دماء جديدة، على مستوى المؤسسات والهيئات السياسية والاقتصادية والإدارية، بما فيها الحكومة.....، قادرة على الارتقاء بمستوى العمل، وعلى تحقيق التحول الجوهري..."[179].

بالإضافة إلى ذلك، نجد الإكراهات المالية التي تتسم بضعفها وارتباطها بشكل كبير بإمدادات الدولة وارتفاع مصاريف التسيير مما يحول دون ممارسة المجالس للصلاحيات والاختصاصات المخولة لها بمقتضى النصوص التنظيمية، مما زاد من تدهور ظروف العيش خاصة بالمجال القروي وضواحي المدن.

أمام هذا الوضع أضحى التفكير في صياغة نموذج تنموي جديد لمسايرة التحولات الراهنة مطلبا ملحا، في أفق الحد من الفوارق الاجتماعية والاختلالات المجالية، باعتباره سيشكل"... قاعدة صلبة لانبثاق عقد اجتماعي جديد، ينخرط فيه

[178]. من نص الخطاب الملكي يوم الخميس 30 يوليوز 2015، بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لعيد العرش

[179]. مقتطف من الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى العشرون لعيد العرش بتاريخ 29 يوليوز 2019

الجميع، الدولة ومؤسساتها، والقوى الحية للأمة، من قطاع خاص، وهيئات سياسية ونقابية، ومنظمات جمعوية، وعموم المواطنين"[180]

التدبير الجماعي بالجماعات الترابية بضاحية مكناس بين رهانات التنمية وإكراهات التنزيل

1. يعتبر تطوير أداء المنتخب المحلي تحديا حقيقيا للارتقاء بالتدبير الجماعي

تميز نظام التمثيلية في البوادي بهيمنة الأعيان...، إن الفلاحين يعتقدون بأن لا أحد غير الأعيان يستحق تمثيلهم بشكل مقبول. فهم يعرفون الخبايا، ويقدمون القروض، ويحلون المشاكل... إنهم يستغلون إلا أنهم يحمون[181]، ظل هذا النمط من التفكير اتجاه الأعيان هو السائد في البوادي المغربية، نظرا للحظوة التي تتمتع بها هذه الفئة والتي يتحكم فيها منطق المال، مما أدى إلى تهميش الكفاءات المحلية وفوت على الجماعات القروية فرص تحقيق التنمية والنهوض بأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

يتسم التدبير الجماعي بالمجال القروي، كما هو الحال بالمجال الحضري، بنشوب الخلافات بين أعضاء المجالس المنتخبة، كما إن هذه الصراعات تحد من الفعالية في التدبير الجماعي وسيادة التنافر وغياب التجانس بين أعضاء المجالس المنتخبة، وذلك من خلال تضارب مصالح المستشارين الجماعيين وسيادة النزعة السياسية وغياب رؤية موحدة للإشكاليات المطروحة، وهو ما ينعكس سلبا على تدبير الجماعات الترابية ويطرح برامج مندمجة تهدف إلى الارتقاء بتنمية الجماعة. ومن خلال اللقاءات المسترسلة التي قمنا بها مع مختلف موظفي الجماعات المدروسة، يروي لنا أحد المواطنين بالجماعة الترابية واد الجديدة أنه في أحد السنوات بقي للجماعة فائض بحوالي 400 مليون سنتيم وطالب جميع

[180]. مقتطف من الخطاب الملكي بمناسبة ثورة الملك والشعب بتاريخ 20 غشت 2019

[181]. العطري عبد الرحيم (2009): مرجع سابق، ص.55

المستشارين بأحقية استفادة الدوائر الانتخابية التي يمثلونها من قيمة هذا المبلغ، مما تعذر التوافق حول طريقة صرفه، وهذا ما دفعهم إلى تقسيمها حسب دوائرهم الانتخابية لتستفيد كل دائرة ب 260 متر من تعبيد الطريق.

وخلال إعداد برامج عمل الجماعات تصطدم الفرق التقنية المختصة أو مكاتب الدراسات بضغوط من المستشارين لفرض تضمين هذه البرامج لمشاريع بالدوائر التي يمثلونها حتى وأنهم يعرفون مسبقا باستحالة تحقيقها نظرا لضعف الإمكانيات المادية.

هذا الوضع يرهن مستقبل الجماعات لمدد طويلة ويفوت عليها فرص إنجاز عدة مشاريع حيوية، مما يجعل تدبيرها لا يستجيب لطموحات وحاجيات الساكنة، ويجعلها غير راضية على تدبير الجماعات الترابية كما هو الحال بالنسبة لساكنة المجال المدروس، فقد عبر 41% من العينة المستجوبة عن عدم رضاهم على ما تقوم به الجماعات الترابية، في حين 59% صرح عن رضاهم على الخدمات التي تقدمها الجماعات المنتخبة[182].

إن نجاح الجماعة الترابية في تحقيق مهامها يتوقف على قدرة واحترافية الطاقات البشرية، إذ بواسطتها يتم نقل تصورات واستراتيجيات ومداولات المجالس المنتخبة إلى حيز الوجود وعلى التطبيق الفعلي، فالسياسات المحلية من حيث الرسم والتنفيذ والتقييم هي نتاج أداء المنتخب ومرتبطة بكفاءة وتوازن عمل المجالس المنتخبة. ومن هنا تأتي أهمية المنتخبين والأطر المحلية. فكلما كانت هاته الفئة مؤهلة وذات خبرة، كلما تمكنت من طرح تصورات واقعية فعالة وقابلة للإنجاز[183].

كما أن مسألة التدبير المحلي لا تنحصر فقط في تتبع مداخيل الجماعة وفي عملية التجهيز، بل تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بالتركيبة الاجتماعية للمجالس المنتخبة، باعتبارها عاملا مهما في تفسير المواقف والقرارات المتخذة من عملية التدبير[184].

---

182 . نتائج استمارة البحث الميداني 2017

183. القستلي حميد (2013): حكامة المدن: نحو مستقبل حضري أفضل، الطبعة الأولى، ص. 29

184. محمد امدافعي (2000): دور المجالس الجماعية في التدبير المحلي حالة جماعتي مديونة وتيط مليل بظهير مدينة الدار البيضاء، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 85، ص. 63-65

إن الدولة مطالبة اليوم بتبني برنامج شامل عملي لتطوير أداء المنتخبين المحليين فيما يرتبط بالتسيير اليومي لشؤون جماعاتهم المحلية. وذلك بهدف الرفع من القدرات التدبيرية والتفاوضية لمسيريها، ... كما أن هناك أطرافا أخرى مطالبة بتسهيل عمل الدولة، ونخص بالذكر: الأحزاب السياسية المزكية للمرشحين لتولي مسؤولية تسيير الجماعات الترابية، وكذا المجتمع المدني الذي يمارس دورا رائدا في تأهيل الطاقات وتنمية الكفاءات[185].

مبيان رقم 1: المستوى التعليمي لمستشاري مجالس الجماعات بالمغرب حسب نتائج استحقاق 4 شتنبر 2015

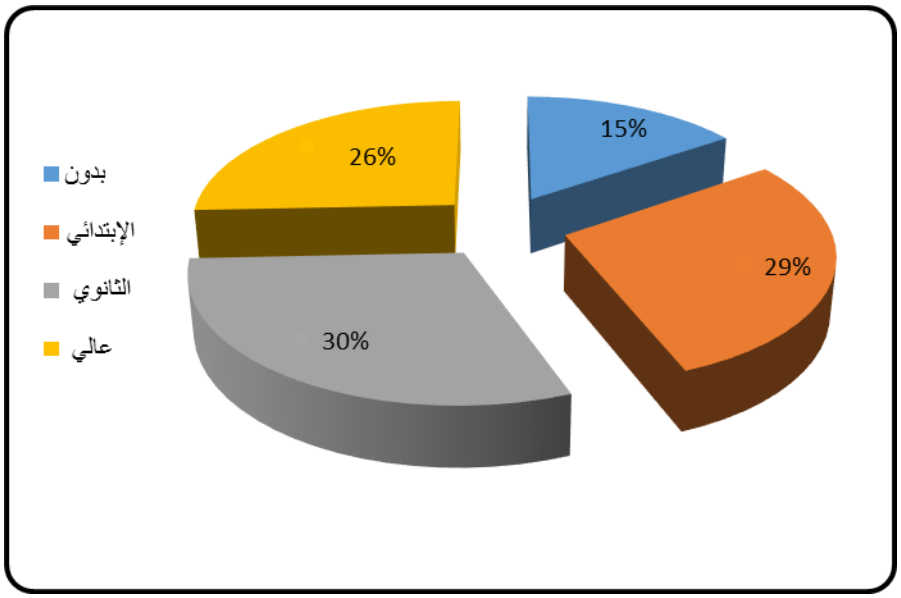

كما يجب على المنتخبين بالمجالس الجماعية أن يتوفروا على تكوين وثقافة "جماعية" وتدبيرية متينة تجعلهم في نفس الوقت قادرين على خدمة القضايا اليومية الملحة للسكان المحليين بكل استعداد وكفاءة ونزاهة، وكذلك على اقتراح وبلورة مشاريع تنموية محلية،...علما أن رئيس الجماعة بوجه خاص، يعتبر مسؤولا سياسيا ومسيرا إداريا ومنعشا للحركة الاقتصادية والثقافية....[186].

[185]. حميد القستلي (2013): مرجع سابق، ص. 31-32

[186]. المختار الأكحل (2004): مرجع سابق، ص. 116

إن تدبير الشأن العام المحلي بشكل ناجع يتطلب تطوير وتقوية قدرات المنتخبين والموظفين الترابيين، من أجل ترسيخ مقومات حكامة ترابية فعالة وتقديم خدمات جيدة للمواطنين، وبالتالي تحصين استقلالية اتخاذ القرار من طرف الهيئات المنتخبة وتعزيز مبدإ التدبير الحر الذي كرسه دستور 2011.

ونظرا لكون الجماعات الترابية، بما تتمتع به من صلاحيات، الإطار الأنسب لبلورة المشاريع التنموية الجديرة بالتطبيق، لاحتكاكها أكثر من غيرها بواقع الرقعة الجغرافية المحدودة، فهي بذلك الأدرى بطموحات وحاجيات سكانها. إلا أن معظم الجماعات الترابية حاليا لاترقى إلى مستوى التخطيط الحقيقي لعملية التنمية المحلية. فتكوين جل منتخبيها لايسمح بإيجاد نظرة شمولية للتنمية المحلية والجهوية. لذا ينبغي أن نعي هذه المسألة التي تربطنا حتما بمغزى الديمقراطية، وما يجب أن تكون عليه الجماعات الترابية، خاصة الأعضاء المنتخبين الذين يرهنون مستقبل الجماعات لمدد طويلة، ويفوتون عليها فرص إنجاز عدة مشاريع حيوية. ونلمس حاليا هذه الظاهرة من خلال التباين الواضح في وتيرة التنمية من جماعة ترابية لأخرى دون أن يرتبط ذلك بوفرة مواردها أو قلتها[187].

جدول رقم 1: المستوى التعليمي لأعضاء المجالس الجماعية بالجماعات المدروسة

الجماعة الترابية	المستوى الدراسي (%)				
	بدون	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	جامعي
الدخيسة	14,3	32,14	10,71	32,14	10,71
مجاط	5,88	29,41	29,41	5,88	29,41
س. س. مول الكيفان	3,7	14,83	29,63	29,62	22,22
دار أم سلطان	25	18,75	25	12,5	18,75
ايت ولال	-	-	28,57	57,15	14,28
واد الجديدة	5,27	15,8	26,31	26,31	26,31

المصدر: بحث ميداني 2017

[187]. جنان لحسن (1989): إشكالية التنمية المحلية في المجالات الجبلية والدير: منطقة صفرو نموذجا، الملتقى الثقافي الثاني، التنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا، ص. 209

إن المستوى التعليمي لأعضاء المجالس المنتخبة يختلف من مجلس إلى آخر، لكن السمة المشتركة هو ضعف نسبة التعليم الجامعي لدى غالبية مستشاري الجماعات المدروسة، حيث نجد أعلى نسبة بجماعة مجاط 29.41%، فالمنتخب المحلي يعد الفاعل الرئيسي في العمل التنموي المحلي باعتباره عاملا مهما في تفسير المواقف والقرارات المتخذة في عملية التدبير[188]، فالمستوى التعليمي يطرح العديد من الإكراهات في ترجمة انتظارات الساكنة وطرح تصورات عملية لاستراتيجيات التنمية المحلية.

2. توفير موارد مالية كافية وربط المسؤولية بالمحاسبة

من المهام التي تعكس الجانب المهم في عمل المجلس الجماعي هو وضع الميزانية وفهم تقنياتها، وذلك باستغلال كل الموارد سواء كانت عادية أو استثنائية، لتمكين الجماعة المحلية من تغطية كافة نفقات تسييرها ومواجهة جانب مهم من نفقات تجهيزها[189]، وتعتبر المداخيل الذاتية أهم العناصر التي ترتكز عليها مالية الجماعات الترابية، والتي تتكون من مستخلصات الرسوم المحلية والضرائب (ضريبة النظافة والضريبة على الأراضي غير المبنية داخل مدار التهيئة)، كما تضم مداخيل الممتلكات العمومية (كراء الأسواق الأسبوعية والمحلات التجارية والسكنية)، وبالتالي فالموارد المالية للجماعات الترابية تتشكل أساسا من الضريبة على القيمة المضافة. فقد منح الإصلاح الضريبي رقم 38-83-1 المتعلق بالجبايات المحلية والمؤرخ في 23 أبريل 1984 الجماعات حق الاستفادة من حوالي 30% من المبالغ المالية التي يتم تحصيلها في إطار هذه الضريبة، تعمل الدولة على توزيع هذه الحصة على الجماعات كل سنة وفق معايير محددة[190] .

---

[188]. محمد امدافعي (2000): دور المجالس الجماعية في التدبير الجماعي، مديونة وتيط مليل بظهير مدينة الدار البيضاء، مجلة المدينة المغربية بين التدبير المحلي والتنظيم الجهوي، تنسيق محمد الرفاص، سلسلة منشورات ومناظرات رقم 85، كلية الآداب الرباط، ص.65

[189]. العمري علوي وفاء (2013): واقع التنمية المحلية بالوسط القروي بجهة مكناس تافيلالت، حالة جماعتي آيت بوبيدمان والدخيسة، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، ص. 228

[190]. ازمو عبد المجيد (2006): مرجع سابق، ص.260

جدول رقم 2: تطور الموارد المالية للجماعات الترابية المدروسة

السنوات	الدخيسة		مجاط		سيدي سليمان مول الكيفان		دار ام سلطان		واد الجديدة	
	المداخيل	المصاريف	المداخيل	المصاريف	المداخيل	المصاريف	المداخيل	المصاريف	المداخيل	المصاريف
2013	1218131613	436157246	570802114	5708021.14	4625764	4625764	2498137,55	2498137,55	5287595,73	10139832,3
2014	948885431	508402516	622699889	6226998.89	5258726	5258726	2949719,44	2949719,44	5553024,62	6941389,65
2015	1035199572	599542500	824075952	8240759.52	5086202	5086201	2999663,75	2999663,75	5415920,9	6715672,79

المصدر: برامج عمل الجماعات الترابية المدروسة

في ظل ضعف الموارد الذاتية لهذه الجماعات، ونظرا لعدم وجود مداخيل مهمة، فإن هذا يجعلها تتخلف عن الالتزام بإنجاز المشاريع ضمن برنامج عملها أو اللجوء إلى البحث عن تمويلات خارجية كقروض صندوق التجهيز الجماعي. كما يلاحظ أيضا من خلال تركيبة الموارد المالية للجماعات المدروسة أن نسبة مهمة من ميزانيتها مخصصة لتسديد أجور الموظفين، باستثناء بعض الجماعات التي انتعشت مداخيلها نتيجة الدينامية العمرانية والصناعية التي تعرفها، كالجماعة الترابية مجاط وسيدي سليمان مول الكيفان.

إن ضعف الموارد المالية من شأنه أن يعرقل جهود التنمية والرهانات التي يمكن أن تلعبها الجماعات الترابية في تحقيق التنمية الترابية. وهنا يمكن أن نميز في مالية الجماعات الترابية بين، ميزانية التسيير وميزانية التجهيز:

نفقات التسيير وتشمل:

نفقات الموظفين والأعوان؛

نفقات الصيانة والأدوات والتوريدات؛

المصاريف المالية المتعلقة بإرجاع الدين؛

الإمدادات الممنوحة والمساهمات في عمليات ذات فائدة عامة؛

تحملات أخرى مختلفة؛

نفقات التجهيز:

تكاليف الأشغال الجديدة والتجهيزات ذات النفع العام؛

استهلاك رأسمال الدين المقترض؛

الإمدادات الممنوحة؛

حصص المساهمات في الإنجازات ذات الفائدة العامة؛

أمام هذا الوضع المالي الذي يعوق عمل الجماعات ويحول دون القيام بأدوارها في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فقد بات من الضروري على مجالس هذه الجماعات البحث عن بدائل تنموية، واعتماد الحكامة والتدبير الجيد للموارد المتاحة.

3. توفير الموارد البشرية ضرورة ملحة لتطوير فعالية العمل الجماعي

يعتبر المستشارون والموظفون الجماعيون الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها في تدبير وتسيير شؤون الجماعة الترابية. كما يتوقف على كفاءاتهم ودورهم الفعال في الرفع من مردودية العمل الجماعي ونجاح تطبيق برامج التخطيط[191]، إلا أنه بالجماعات الترابية المدروسة يظل عدد الموارد البشرية غير كاف لتلبية الخدمات المقدمة للساكنة التي ما فتئت تعرف تزايدا مضطردا، مما ينعكس سلبا على جودة الخدمات، لاسيما في ظل العدد المحدود في عدد الأطر العليا.

جدول رقم 3: الموارد البشرية بالجماعات الترابية المدروسة

الجماعة	الأطر العليا	الأطر المتوسطة	الأعوان
الدخيسة	9	5	17
مجاط	9	-	4
سيدي سليمان مول الكيفان	6	5	4

[191]. ازمو عبد المجيد (2006): مرجع سابق، ص.253

دار أم سلطان	7	11	-
ايت ولال	4	6	5
واد الجديدة	8	7	5
المجموع	43	34	35

المصدر: بحث ميداني 2018

بالإضافة إلى النقص المسجل في الموارد البشرية، فإنها تعرف توزيعا غير متكافئ بين الجماعات الترابية المدروسة، وفي هذا الصدد فقد رصد التقرير السنوي (2016-2017) للمجلس الأعلى للحسابات، الاختلالات التي تعرفها الجماعات الترابية من حيث الموارد البشرية، داعيا إلى التفكير بشأن التدابير التي يمكن اتخاذها لإعادة هيكلة أعداد الموظفين بالجماعات الترابية، قصد ملاءمتها مع حاجيات المرفق العمومي المحلي. وينبغي أن تسعى هذه التدابير لتحقيق هدفين: أولهما التغلب على الاختلالات التي يعرفها توزيع الموظفين، وثانيهما الحد من وزن كتلة الأجور في ميزانيات الجماعات الترابية. ولتحقيق ذلك يوصي المجلس الجماعات الترابية والسلطات المكلفة بالمراقبة الإدارية بما يلي:

- العمل، في مرحلة أولى، على إعادة انتشار أعداد الموظفين التي تشكل فائضا مع التوجه نحو مقاربة ترمي إلى تحسين الجودة ونسبة التأطير؛

- تيسير حركية وإعادة انتشار أعداد الموظفين بين الجماعات الترابية، وبين هذه الأخيرة وإدارات الدولة، والعمل على جعل الوظيفة العمومية الترابية أكثر جاذبية؛

- إعداد وتنزيل خطة لإصلاح الوظيفة العمومية على المستوى الترابي تهدف إلى إعادة هيكلتها من حيث عدد الموظفين والكفاءات؛

- العمل على مستوى كل جماعة ترابية، على تحديد المهام التي يجب أن يؤديها كل موظف من أجل تحديد العدد المناسب للموظفين؛

- إعمال التدبير التوقعي للموارد البشرية حسب الحاجيات الراهنة والمستقبلية فيما يخص الأعداد والكفاءات بارتباط مع مشاريع الجماعات الترابية والضرورات الملحة لتحسين جودة الخدمات المقدمة[192].

إن تمكين الجماعات الترابية من موارد مالية وأطر مؤهلة أضحت ضرورة حتمية لتتمكن من تدبير وتهيئة مجالها، لاسيما الجماعات الترابية الضاحوية التي تعتبر ذات خصوصية ومستقبل للمدينة. وفي ظل ضعف التعاون بين الجماعات الترابية المدروسة (الذي اتضح من خلال اطلاعنا على أشغال المجالس المنتخبة ومحاضر الاجتماعات) يظهر قصور على مستوى التعاون، رغم أن الدستور المغربي لسنة 2011 دستر مسألة التعاون بين الجماعات الترابية[193].

كما أضحى دعم التكامل البيجماعي مسألة أساسية وضرورية، إذ تمكن من خلق علاقات وظيفية متنوعة وتنمية شمولية ومستدامة وعادلة، فكل جماعة ترابية تساهم بما لديها من إمكانيات وتستفيد من إمكانيات وموارد الجماعات الأخرى، كما أن وثائق التعمير وعلى الأخص المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير بحكم أبعاده الاستراتيجية يستوجب أن يدرج ضمن تشخيصاته وتوجهاته وتوقعاته البعد البيجماعي بحكم التفاعلات الممكنة والمحتملة مع مجالات ترابية قد توجد أحيانا خارج مدار التهيئة[194].

4. برامج عمل الجماعات الترابية: مشاريع طموحة بإمكانيات ضعيفة

لعل التعديلات الدستورية وتعزيز الجهوية ومسار الدمقرطة، هي التي ستجعل القوى السياسية تعطي أهمية لدعم المبادرات التي تحفز المؤسسات المحلية، وخاصة الجماعات الترابية، وذلك لأن هذه المناطق هي الأكثر تضررا من التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المجتمع المغربي[195]. في هذا السياق، نص القانون التنظيمي للجماعات رقم 113.14 في

[192]. التقرير السنوي للمجلس الأعلى للحسابات برسم سنتي 2016 و2017، الجزء الأول.ص.162

[193]. أنظر الفصول 143، 144، 146 من الدستور المغربي الصادر في 29 يوليوز 2011

[194]. وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة (2019): دليل مرجعي حول تهيئة المجالات القروية، ص.15

[195]. امحمد مهدان (2007): السوسيولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، الطبعة الثانية، ص. 147

المواد 78 إلى 82 على أنه يتوجب على الجماعة إعداد برنامج عمل الجماعة في السنة الأولى من مدة انتداب المجلس على أبعد تقدير بانسجام مع توجهات برنامج التنمية الجهوية، ووفق منهج تشاركي.

واعتبارا لوظيفته كآلية للتخطيط، فإن الغاية من برنامج العمل الجماعي تكمن بالأساس في الأهداف التالية:

يمكن المجلس الجماعي في بداية مدته الانتخابية، من الوقوف على الأعمال التنموية الضرورية التي يجب إنجازها لتلبية حاجيات الساكنة، والأخذ بعين الاعتبار التوجهات والبرامج المعتمدة من طرف القطاعات والمؤسسات العمومية وكذا تطلعات الساكنة.

يمكن المجلس الجماعي من تحديد الإمكانيات والوسائل الضرورية لتنفيذ البرنامج الذي يعتزم القيام به، ويتعلق الأمر بما يلي:

الإمكانيات المادية التي يمكن رصدها من موارد ذاتية، واقتراضات ومساهمات الفرقاء والمساعدات المالية التي يمكن تعبئتها؛

الموارد البشرية والكفاءات التي يجب أن تتوفر عليها الإدارة الجماعية للقيام بمهامها على الوجه المطلوب؛

النمط والمقاربة التي يرتقب اعتمادها لإنجاز المشاريع المبرمجة؛

بالنسبة للفاعلين الاقتصاديين وللمستثمرين داخل الدائرة الترابية للجماعة، يعتبر برنامج العمل الجماعي وثيقة أساسية تنيرهم فيما يخص القرارات والمشاريع التي يتوخون اعتمادها[196].

وقد تميزت الرؤية التي اعتمد عليها واضعو برامج عمل الجماعات المدروسة على تعزيز دور هذه الجماعات من خلال تدبير مجالها، عبر إعداد وثائق التعمير وتفعيل مقتضياتها والقضاء على السكن غير اللائق، وتطوير البنيات التحتية والخدمات الأساسية وتسهيل الولوج إليها، وتحقيق التنمية الاقتصادية عبر دعم القطاع الفلاحي وإنعاش الاقتصاد الاجتماعي

[196]. مشروع برنامج العمل الجماعي (2016-2021): الجماعة الترابية سيدي سليمان مول الكيفان، ص.3.2.

والتضامني وتأهيل القطاع الصناعي ودعم الأنشطة التجارية بمراكز الجماعات وتشجيع قطاع الصناعة التقليدية والسياحة. ولتحقيق هذه الأهداف تم الاعتماد على ثلاث محاور رئيسة وهي:

تهيئة المجال العمراني وتأهيل البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية؛

النهوض بالتنمية الاقتصادية؛

الحكامة وتقوية قدرات الفاعليين المحليين؛

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو المنهجية التي يتم اعتمادها في تفعيل وإنجاز هذه المشاريع على أرض الواقع؟ علما أن واقع الحال يوضح عكس ذلك، خاصة وأن إنجازها يتطلب تكاليف مادية كبيرة تفوق الإمكانات المادية للجماعات الترابية. كما أن هذه المشاريع التي تضمنتها برامج عمل الجماعات نجدها تحمل في كثير من جوانبها طابع البرامج الانتخابية، هدفت إلى إرضاء المستشارين الجماعيين من خلال تضمين بعض مطالب دوائرهم الانتخابية رغم علمهم المسبق باستحالة تحقيقها، مما جعل هذه البرامج تتسم بعدم الواقعية في كثير من جوانبها[197].

بالإضافة إلى ذلك فإن تنزيل البرامج المتضمنة في برامج عمل الجماعات تعتبر من بين العوائق التي تواجهها عدم ملاءمة البرامج القطاعية التي تقترحها المصالح العمومية المنخرطة في التنمية. الأمر الذي جعل ممثلي هذه المصالح لا يشاركون إلا نادرا في وضع هذه المخططات، وذلك بسبب تقيدهم بالبرامج والاستراتيجيات القطاعية التي تضعها وزاراتهم، إذ لاتوجد اليوم أية وسيلة لربط هذه الأنشطة[198] ببرامج عمل الجماعات الترابية. وهذا ما حدا بالسلطة الحكومية إلى الإسراع على إخراج ميثاق اللاتمركز الإداري.

[197]. مقابلة مع أحد المستشارين بالمجلس الجماعي للجماعة الترابية واد الجديدة

[198]. امحمد مهدان (2007): السوسيولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، الطبعة الثانية، ص. 148

خطاطة رقم 1: خطاطة المبادئ التوجيهية للاتمركز الإداري

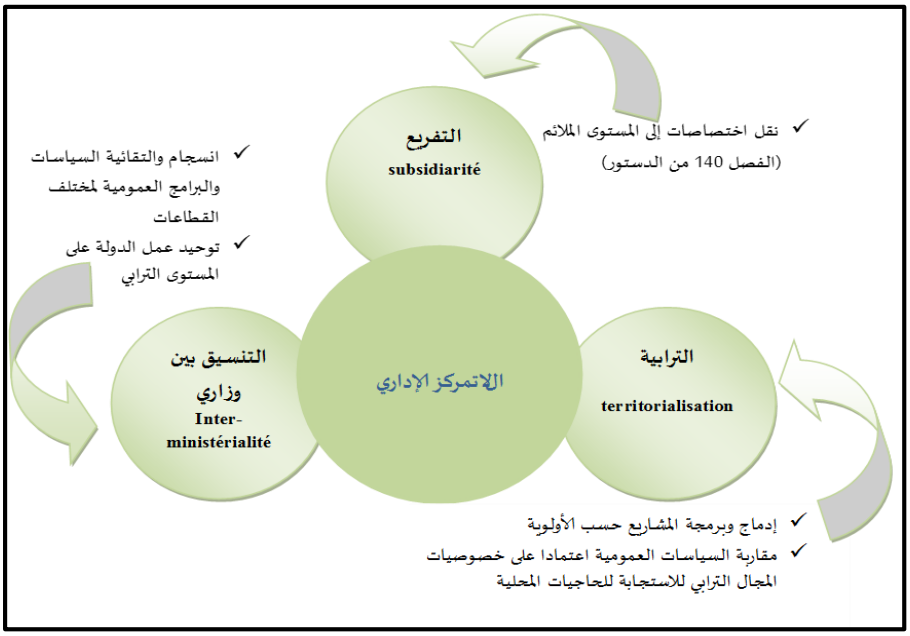

المصدر: وزارة إصلاح الإدارة والوظيفة العمومية، عرض حول اللاتمركز الإداري رافعة لورش الجهوية المتقدمة، مجلس النواب. 28 نونبر 2017، بتصرف

تنص المادة (3) من المرسوم التنظيمي على أن اللاتمركز الإداري لمصالح الدولة هو تنظيم إداري مواكب للتنظيم الترابي اللامركزي للمملكة القائم على الجهوية المتقدمة، وأداة رئيسية لتفعيل السياسة العامة على المستوى الترابي، قوامه نقل السلط والوسائل وتخويل الاعتمادات لفائدة المصالح اللاممركزة على المستوى الترابي، والهدف هو تمكينها من القيام بالمهام المنوطة بها، واتخاذ المبادرة تحقيقا للفعالية والنجاعة[199] (الميثاق الوطني للاتمركز الإداري، 2018، 9788). لكن التخوف الذي أبداه العديد من المهتمين بخصوص هذا التوجه هو إنتاج مركزية من نوع جديد من خلال تركيز تنسيق

[199] . الجريدة الرسمية، المادة 3 من مرسوم رقم 2.17.618 صادر في 18 من ربيع الأخر 1440 (26 ديسمبر 2018) بمثابة ميثاق وطني للاتمركز الإداري، 9788

مهام البنيات الإدارية واللاممركزة في يد الولاة والعمال. وهذا يطرح إشكالية تحديد التمفصلات بين مختلف المستويات المجالية والإدارية في تحقيق التقائية واندماجية التدخلات العمومية.

خاتمة

يشكل ضعف الإمكانيات البشرية والمادية للجماعات الترابية المدروسة عائقا أمام بلورة تهيئة مندمجة لهذا المجال الحيوي، مما يفرض تمكينها من الوسائل الضرورية حتى تؤدي المهام المنوطة بها، كما ينبغي تأهيل الموارد البشرية العاملة بإداراتها حتى تتمكن من استيعاب المستجدات المتعلقة بالتدبير والتسيير، عبر اعتماد المقاربة التشاركية من خلال الانفتاح على جمعيات المجتمع المدني، والاعتماد على أساليب جديدة في التنمية.

كما أن برامج التنمية المعتمدة بالمجال، تعرف ضعفا على مستوى الترابط فيما بينها، مما يجعلها تتسم بانعدام التجانس والالتقائية، ويجعل الساكنة لا تستفيد منها بالشكل الذي يضمن لها الانخراط الفعلي في المسلسل التنموي، وبالتالي فإن الحاجة أضحت تتطلب استراتيجية للتنمية، نظرا لما تتضمنه من تشارك وتعاقد والتقائية في التخطيط والتدبير، باعتبارها مشروعا يلتقي مجاليا ومنهجيا مع الإشكالات المطروحة، ومن شأنه أن ينتج قيمة مضافة، مما يقتضي تعبئة جماعية وتوفر نخب جديدة وكفاءات قادرة على كسب رهان التنمية الترابية المستدامة.

المراجع

- أبركان عماد (2016): النموذج المغربي للتنمية المحلية ومتطلبات الحكامة الترابية، ضمن أشغال الندوة العلمية الوطنية: المسألة الترابية ورهان التنمية المستدامة، مجلة العلوم القانونية العدد السادس.

- أعيسا نورالدين (2016): المجالس الجماعية ومسألة التنمية الترابية: حالة المجلس الجماعي لمدينة مارتيل، ضمن أشغال الندوة العلمية الوطنية: المسألة الترابية ورهان التنمية المستدامة، مجلة العلوم القانونية العدد السادس.

- التقرير السنوي للمجلس الأعلى للحسابات برسم سنتي 2016 و2017، الجزء الأول.

- العمري علوي وفاء (2013): واقع التنمية المحلية بالوسط القروي بجهة مكناس تافيلالت، حالة جماعتي آيت بوبيدمان والدخيسة، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة.

- الغمري العرابي (2004): تحديث الإدارة الترابية للدولة في المغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وجدة.

- القستلي حميد (2013): حكامة المدن: نحو مستقبل حضري أفضل، الطبعة الأولى.

- المصمودي نجيب (2014): الجماعات الترابية بالمغرب بين مقومات التسويق الترابي ورهان التنمية المحلية المندمجة، الطبعة الأولى، سلسلة الحكامة الترابية ودراسة السياسات، مطبعة الخليج العربي 152.

- المغرب الممكن، تقرير الخمسينية 2006.

- امحمد مهدان (2007): السوسيولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، الطبعة الثانية.

- جنان لحسن (1989): إشكالية التنمية المحلية في المجالات الجبلية والدير: منطقة صفرو نموذجا، الملتقى الثقافي الثاني، التنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا.

- جنان لحسن (2010): العالم القروي في البحث الجغرافي، سلسلة دفاتر جغرافية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس، العدد 10.

- شنفار عبد الله (2015): الفاعلون المحليون والسياسات العمومية المحلية، دراسة في القرار المحلي، مطبوعات المعرفة مراكش، الطبعة الاولى.

- محمد امدافعي (2000): دور المجالس الجماعية في التدبير الجماعي، مديونة وتيط مليل بظهير مدينة الدار البيضاء، مجلة المدينة المغربية بين التدبير المحلي والتنظيم الجهوي، تنسيق محمد الرفاص، سلسلة منشورات ومناظرات رقم 85، كلية الآداب الرباط.

- وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة (2019): دليل مرجعي حول تهيئة المجالات القروية.

الواحات المغربية، تراث حضاري بأبعاد إنسانية.

Moroccon oases , a culturel heritage with human dimensions.

زكرياء نصرالدين ،طالب باحث بسلك الدكتوراه، المغرب

zakarianasserdine@hotmail.fr

يعد التراث الحضاري تجسيدا فعليا لمقولة كون الإنسان منتجا ونتاجا للثقافة، ما يعكس ذلك التفاعل الحاصل بين الإنسان مع بيئته ومع الآخر، هذا التفاعل نجم عنه تراث ثقافي ضارب في القدم ليزداد الاهتمام به كثيرا في سياق ظاهرة العولمة وما تطرحه من إشكاليات فكرية بالخصوص سيما إشكالية المحلي والوطني، والاهتمام بالتراث الثقافي المغربي وأيضا التخصص العلمي فيه لايزال محتشما، ولن يتأتى هذا الاهتمام إلا من خلال تفكيك قضاياه الإيديولوجية والرمزية والجمالية والسوسيو-اقتصادية وفق منهجية شمولية. من هذا المنطلق سنحاول في هذه الورقة الإلمام بجوانب جديدة وربما مغيبة من التراث الثقافي المغربي وتخصيصا التراث الواحي؛ والحال هنا أن التراث الواحي يشكل جزءا مهما من التراث الحضاري المغربي على تنوع تمظهراته، ولعل التفاتة بسيطة للتراث الواحي قد تفتح سبل التفكير في إعادة إحيائه واستثماره بالشكل الأمثل.

الكلمات المفاتيح: الواحات المغربية، الموروث الثقافي، التنمية، التثمين.

The cultural heritage is the actual expression of the fact that the human person is a producer and a product of culture, reflecting the interaction between the human person and his environment and with the other. This interaction has resulted in a cultural heritage that has become increasingly important in the context of the phenomenon of globalization and the intellectual problems that it poses, particularly the local and national ones. The interest in Morocco's cultural heritage, as well as its scientific specialization, is still well preserved and can only be achieved through the dismantling of its ideological, symbolic, aesthetic and socio-economic issues in a holistic manner. It is in this spirit that we will try in this paper to learn about new and perhaps absent aspects of Moroccan cultural heritage and to specialize in Oasis.

Keywords : Moroccon oases , cultural heritage, development, valuation.

يعكس التراث الثقافي المغربي بوضوح عمق تاريخ المغرب وغنى الثقافة المغربية على مستويات عدة، سواء تعلق الأمر بالتراث المادي أو اللامادي، هذا الغنى الذي لازال لحد الآن حبيس بعض الإكراهات التي تحول دون بروزه واستثماره في التنمية، وعلى رأس هذه الاكراهات نجد غياب سياسة واضحة لحماية وتثمين المقومات الثقافية المغربية، فالتراث الثقافي في مراحل عديدة من التاريخ كانت النظرة إليه قاصرة كثيرا بفعل غياب مفهوم التوظيف التنموي للموروث الثقافي وحصر النظرة إلى هذا التراث فيما هو رمزي فقط، لتكون الضرورة اليوم مرتبطة بقراءة الموروث الثقافي -كرأسمال بالمعنى الواسع للكلمة- لفهم شبكة العلاقات التي كانت تربط الإنسان بمجاله.

في ورقتنا هاته سنحاول أن نبرز أهمية الموروث الثقافي عامة والواحي خاصة، في بناء سيرورة التنمية. ولعل وقفة تأمل في الموروث الواحي سيجعلنا قادرين على الجزم برقي تعامل الإنسان الواحي مع مجاله بما يضمن استخلاص العديد من العبر، يبقى أهمها تدبير أزمة الندرة في ظل تغير ملامح عالم اليوم. ومن أبرز ملامح تدبير أزمة الندرة هاته قدرة الأجيال السابقة على حماية الموارد الطبيعية والثقافية من الاندثار، ومنه خلق ممارسات اجتماعية تزكي معطى الندرة وضرورة التعامل معها.، و ستكون محاولتنا هاته عبارة عن خطاطات أفكار نبين من خلالها الدلالات والأبعاد الإنسانية في التراث الثقافي الواحي. فما هي يا ترى الخصوصيات الطبيعية والثقافية المميزة للواحة؟ وماهي أهم تجليات التراث الحضاري بالواحات؟ وما الأبعاد الإنسانية التي تتميز بها الثقافة الواحية ويعكسها إنسان الواحة؟

الواحة، التعريف والخصائص:

تعتبر الواحة منظومة إيكولوجية، تتمحور تركيبتها حول ثلاثة عناصر أساسية: الأرض والماء والإنسان. ومن هذه العناصر الثلاث ، تتفرع مكونات طبيعية وثقافية، تجعل من الواحة فصلا فريدا يجسد ملحمة تأقلم الإنسان مع محيطه الطبيعي، ومشهدا ثقافيا، تجتمع فبه كل معايير التراث العالمي، كما أن الظروف الطبيعية التي تكون الواحة وتحيط بها تجعل منها أكثر البيئات هشاشة من جهة، وأغناها من حيث الزخم الثقافي والزخم الحضاري، من جهة أخرى، تتلخص فيه كل المبادئ والقيم الإنسانية في عمق معناها، وفي تجذر أصولها، وفي ارتباطها القوي بالأرض، إذ تدور الحياة في الواحات حول الماء والنخلة والمجتمع المتراص والمتين، بفضل علاقات أفراده وأعرافه القديمة قدم الإنسان نفسه.

ولعل نظرة تأمل في المجال الواحي يجعلنا نقر أنه يختزل كل المعايير التي تجعل منه تراثا عالميا، وإرثا حضاريا وإنسانيا، بدون منازع.[200] وتتجلى تلك المعايير –خاصة- في توفر كل المبادئ المرتبطة بمفهوم التنمية المستدامة والأمن الغذائي، والمحافظة على التنوع البيولوجي، وتمرير الموروث الثقافي للأجيال الصاعدة، والانسجام في كل تجلياته وأشكاله،

[200] يظهر هذا الأمر جليا من خلال تعدد الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي تدعو إلى ضرورة الحفاظ على الموروث الثقافي والطبيعي بكل أشكاله.

بين الإنسان ومحيطه الطبيعي. إضافة إلى مبادئ وقيم حضارية ضاربة في عمق التاريخ؛ وهي كلها أفكار ومساع إنسانية، نادت بها الفلسفات المثالية و الإيديولجيات الاقتصادية في ظل الأزمات والتغيرات الكبيرة التاي يعرفها عالم اليوم[201]

تعرف الواحة من الناحية الطبيعية والجغرافية، بأنها رقعة مجالية، توجد وسط الصحارى والمناطق القاحلة التي تتميز بوفرة أشجار النخيل، وبعض الفواكه الأخرى الموسمية والزراعات البعلية خاصة الشعير والقمح والذرة.[202].

بناء على كل ما سبق تشكل الواحة منظومة بيئية من نوع خاص، يتصف بالهشاشة ويعتمد على الماء، العنصر الأساسي المحدد والمتحكم في استمرار الحياة في الواحة. وتتسم هذه المنظومة البيئية بالندرة على جميع المستويات حتى كادت تسمى المجتمعات الواحية بمجتمعات الندرة: ندرة الماء، وندرة الأراضي الصالحة للزراعة وندرة الموارد الطبيعية. ومن هذا المنطلق، تتمحور الحياة داخل الواحات حول تدبير هذه الندرة[203]، بكل أشكالها، ويتجلى هذا التدبير في ميدان الماء الذي يعد عملة أساسية ونادرة، فقد اهتدت مجتمعات الواحات، منذ الأزمنة الغابرة، إلى سن أعراف وقوانين محلية تلزم الجميع بتطبيقها، وتضمن الانتفاع بهذه المادة الحيوية، دون تهديد استمراريتها، ودون الاسراف في استغلالها إلى الزوال. تتقاسم جميع الواحات، في الجنوب المغربي المواصفات الكبرى لطرق استغلال المياه، مع اختلافات نوعية، بحسب المناطق تهم التوزيع المحكم للماء والزامية الاعتناء بالمجاري والأحواض، تطبيقا لأعراف محددة، ودون تدخل الإدارات العمومية في ذلك، انسجاما مع ما أتت به "إلينور أوستروم Elinir Ostrom" في نظريتها حول استغلال الملك المشترك[204].

تتحدد مصادر مياه الواحات في ثلاثة مصادر أساسية هي العيون والآبار والوديان، و استغلال هذه المصادر يستجيب لمجموعة من الابتكارات والمهارات والمعارف التي امتاز بها أهل الواحة دون سواهم، فقد توارثوا تلك المهارات عبر الأجيال، و استمراريتها لقرون عدة يؤكد نجاعتها ونجاحها. ففي الجنوب المغربي-مثلا- نجد ان هناك مصادر تاريخية هي عبارة عن وثائق كثيرة تتحدث عن كيفية توزيع المياه بين سكان الواحات[205]، وهذه طرق لازالت سارية المفعول إلى اليوم.

---

[201] Chegraoui, K, Les itinéraires du commerce carvanier transsaharien entre le Maghreb et le Soudan In la route de l'or, éd ministére de la culture, rabat 2003 p 16.

[202] مبارك آيت عدي والمحفوظ أسمهري، واحات طاطا، سحر المجال وغنى التراث، سلسلة تاريخ مجتمعات المغرب الصحراوي، تقديم حسن أوريد، وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية، أكتوبر 2017، ص 12.

[203] عبدالرحيم العطري، الحكاية الشعبية و "تقديس" الماء في مجتمعات الندرة، مجلة "المأثورات الشعبية" القطرية، العدد 87، السنة 23، يوليو 2014 ص 31

[204] مصطفى نامي وأدريم مصطفى، مفهوم "الملك المشترك": قراءة في نظرية "إلينور أوستروم Elinir Ostrom"
منشورات الملتقى الثقافي
لمدينة صفرو، الدورة 25، الشركة العامة للتجهيز والطبع، 2014 فاس ص 69.

[205] أحمد البوزيدي، توزيع الماء بواحة درعة من خلال الوثائق المحلية، ندوة "الماء في تاريخ المغرب" أيام 10-12 دجنبر 1996، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11 ص 24.

غالبا ما يستعين ساكنة الواحات بتحويل مجاري المياه القادمة من العالية، في شكل أودية متقطعة الجريان مطعمة بمياه العيون، ويتم توزيع تلك المياه داخل الواحة بشكل متوافق عليه ضمن منطق الملكية الفردية، خلال الصيف، ومنطق التناوب خلال فصل الشتاء.[206] ويسهر على تطبيق هذه الضوابط، التي تدون، في أحيان كثيرة، على ألواح خشبية محفوظة داخل المخازن الجماعية، رجل تعينه الجماعة وفق شروط من قبيل النزاهة والمعرفة الدقيقة بالحصص المائية الموزعة بحسب السكان المالكين. وفي الحالات التي تجف فيها المجاري المائية الطبيعية يستعين سكان الواحات بأسلوبين أساسيين: حفر الآبار واستغلال مياهها، عن طريق تقنية الناعورة المنتشرة والمعروفة منذ القدم، في مجمل الواحات. وهي بطبيعة الحال طريقة تعكس مدى استماتة الإنسان الواحي في البحث عم الماء ومدى معاناته من أجل البقاء.[207]

جلب المياه الجوفية من الفرشة المائية عن طريق حفر قنوات تحت الأرض، تتخللها منافذ نحو السطح في شكل آبار يتقلص عمقها تدريجيا إلى أن تصبح القناة في مستوى سطح الأرض. وهي بذلك نظام تقليدي يعتمد على العبقرية والخبرة في استغلال الموارد المائية الجوفية، وتعرف هذه التقنية الفريدة باسم الخطارات[208].

خصوصيات ثقافة الواحات وموروثها:

[206] بحث استطلاعي أنجزناه حول منطقة إقليم تنغير في الفترة الممتدة من 25 ماي إلى 07 غشت 2017، بمناسبة انجاز بحث الماستر. مقابلة أجريت مع السيد م.ن شيخ قبيلة آيت اسنان إقليم تنغير يوم الثلاثاء 29 غشت 2017.

[207] بحث استطلاعي، مرجع سابق

[208] بحث استطلاعي، مرجع سابق

الواحة كمفهوم في مضمونه الواسع مرتبط بقالب ثقافي متميز وبمكونات تراثية عريقة تدور في غالبيتها حول ارتباط الإنسان الواحي بالأرض. وعلى هذا الأساس تتوفر الواحات على زخم وفير من عناصر الموروث الثقافي غير المادي: من تراث شفهي، وفنون تقليدية وممارسات اجتماعية ومعارف كونية ومهارات حرفية... إلخ. ويتضح جليا أن الندرة في الموارد الطبيعية الضرورية للحياة تجعل الإنسان الواحي يهتدي إلى ابتكار طرق فريدة في مواجهة التحديات والصعوبات ومن ثم الاستمرار في الحياة. وكنتيجة لهذا الصراع بين الطبيعة والإنسان تتكون أنماط عيش معينة وسلوكيات ومهارات ومعارف وعلاقات اجتماعية تؤسس لثقافة ولموروث ثقافي مادي وغير مادي يكتسيان طابعا التميز والتفرد، ويتجلى هذا التأثير في كل مناحي الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية وفي الطقوس والمعتقدات والممارسات كالاحتفالات والأعراس[209].



صورة 1 قصبة تزروين ببومالن دادس إقليم تنغير بحث لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع من إنجاز زكرياء نصرالدين 2018 تصوير شخصي

ولعل هذا التعايش الصعب مع ما تمليه الطبيعة الواحية من ظروف قاسية قد أدى إلى تراكم موروث ثقافي متميز: ففيما يتصل بالعمارة والبناء، نجد أن واحات الجنوب الشرقي المغربي تتميز بتراث معماري فريد، أصبح اليوم محط أنظار المهتمين بالموروث الثقافي عامة وبالهندسة المعمارية خاصة، وكذا محط اهتمام منظمات دولية كاليونسكو التي صنفت في هذا الصدد قصر "آيت بن حدو" بورزازات تراثا ثقافيا عالميا، منذ سنة 1987[210] ، وهو أنموذج من بين المئات من هذا النوع، تنتشر في الواحات المغربية. وانتشارها هذا كان محط اهتمام العديد من الكتابات التاريخية أو حتى السوسيو أنثروبولوجية منها تلك الكتابات الخاصة بكل من هنري تيراس Henri Terrasse ، جون هنسن Jean Hensens ، إميل لاوست emile laoust وغيرهم كثير. وعليه تتميز العمارة التقليدية في واحات الجنوب المغربي بوجود نمطين أساسيين هما: القصور والقصبات. يتعلق الصنف الأول (القصور) ،أو ما يصطلح عليه باللسان المحلي "إغرم/تغرمت/إغرمان"، بمساكن متماسكة فيما بينها، يحيط بها سور خارجي دفاعي، تتخلله أبواب رئيسية

[209] إيمان صالح محمد حسن، عادات الزواج وتقاليده في الواحات البحرية، مكتبة الدراسات الشعبية، عدد 151، القاهرة، 2013 ص 281؛

[210] قصبة أيت بن حدو الواقعة على بعد حوالي 30 كيلومتر من مدينة ورزازات، التي تتميز بهندسة معمارية فريدة من نوعها، إذ تضم مجموعة من البنايات من الطين المحاطة بالأسوار، وذلك في نسق دقيق، أعطى جمالية لهذه المنطقة التي أصبح يحج اليها يوميا عدد كبير من السياح المغاربة والأجانب لمعاينة هذا التراث القيم عن قرب.

كانت فيما مضى تغلق خلال الليل لحسابات أمنية، في حين يرتبط الصنف الثاني(القصبات) بمساكن خاصة بالأعيان وتتخذ شكل بناية فخمة تعرف بأبراجها الأربعة التي تكون زواياها. ويمكن تلخيص الأبعاد التراثية والخصوصيات المعمارية لهذا النوع من البناء التقليدي في النقاط الآتية:

الاعتماد بصفة أساسية على المواد الطبيعية ولايتم الرجوع إلى صنف مغاير من مواد أخرى إلا بصفة نادرة تهم بالخصوص بنايات بعض الأعيان الذين يفضلون أحيانا استيراد مواد معينة كالخشب لإضفاء طابع الانفرادية على قصباتهم. أما دون ذلك فإن البناء في الوسط الواحي يرتكز على التراب المدكوك أو على اللبن أو الحجر أو على كليها معا، بالإضافة إلى أخشاب النخيل الذي يستعمل في بناء السقوف.[211]



صورة 2 بقايا قصبة بجي أفانور إقليم تنغير بحث لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع من إنجاز زكرياء نصرالدين 2018

تصوير شخصي

كل ذلك ينجز بطبيعة الحال بطرق وتقنيات ومهارات ومعارف فريدة تتوارثها الأجيال. فبالإضافة إلى البناء الذي يتميز بالدقة في اختيار الأبعاد والمسافات، فإن إنجازه يعتمد على مجموعة من مكونات زخرفية غاية في الروعة والإتقان تتركز على وجه الخصوص في الواجهات الخارجية للأبواب الرئيسة وكذا بسقوف بعض المنازل والمساجد.

تستجيب العمارة التقليدية في واحات الجنوب المغربي لضوابط اجتماعية خاصة، إذ يمكن للقصر مثلا، بفضل تماسكه وتوفره على السور الخارجي والأبواب الرئيسية المحروسة، ضمان الأمن والأمان لساكنته في فترات معينة، كالتي كانت تسود فيها الحروب والصراعات بين القبائل. "فثقافة الندرة التي تطبع المجال الواحي، هي التي أوجبت الانتظام سكنيا في إطار القصر عند الواحيين. فالأرض والماء هما أعز ما يطلب في ظل هذه الثقافة، ومن أجل حماية هذا الرأسمال الطبيعي تطلب الأمر من ثم رفع أقصى درجات الأمن والاستنفار والسكن في إطار القصر كوحدة مجالية دفاعية"[212]. وعلى عذا الأساس، فإن العمارة تنسجم بشكل فعلي مع الحياة الجماعية التي تميز نمط الحياة الواحية، ومن ثم فإنها تعبر عن رصيد ثقافي رصين ومتجدد.

وهكذا فاعتمادا على التحكم في المجال وتطويعه ليستجيب لمتطلبات الحياة، والاستعانة بالسكن المتماسك والاحتكام إلى ترسانة عرفية تضبط المعاملات داخل منظومة القبيلة، فإن الإنسان الواحي يكون بذلك قد وفق عبر الزمن

[211] بحث استطلاعي، نفس المرجع

[212] عبدالرحيم العطري، الحكاية الشعبية و "تقديس" الماء في مجتمعات الندرة، مرجع سابق ص 38

في خلق تناغم وثيق بينه وبين الطبيعة. فكانت الحاجة إلى ابتكار حلول وأجوبة مناسبة، غايتها الأسمى الإبقاء على التوازنات الكبرى سواء من حيث التنوع الإيكولوجي أو استدامة الموارد الطبيعية أو ضبط العلاقات الاجتماعية، وإجبارها على الالتزام بمبادئ الحياة الجماعية التي ترتكز على الاستغلال المشترك لمختلف الموارد. فأضحى الإنسان والمجال والماء والنخلة من العناصر الأساسية والضرورية لاستمرار الحياة الواحية وسط قفر الصحراء وعنت الطبيعة. وعليه فإن النخلة هي العنصر الحيوي الذي تدور حوله منظومة العيش داخل الواحات، إذ اهتدى الانسان إلى التدخل الإيجابي في عملية تلقيحه، وهي عملية من المفروض أن تتكفل بها الطبيعة؛ ذلك أن الإنسان يعمد سنويا في بداية فصل الربيع إلى تلقيح القنوان الفتية، حتى يضمن غلة وافرة ومكتملة من التمر. ويصاحب عملية التلقيح هاته طقوس ومعتقدات وممارسات معينة تضفي على العملية طابعا رمزيا، يجسد المكانة الرفيعة التي تحتلها شجرة النخيل في معتقدات الإنسان الواحي وحياته.

أدى تدخل الإنسان الواحي في لقاح النخلة إلى علاقة روحية بينهما (الإنسان والنخلة)، واكتست طابعا رمزيا اختلفت قراءته من منطقى إلى أخرى، إلا أنها تتفق كلها على قدسية النخلة وعلى المكانة الرفيعة التي تتبوؤها ضمن المعتقد والمخيال؛ وتمتد أهمية النخيل في الثقافة الواحية لتكون موروثا ثقافيا غنيا، من خلال استعمال جل مكوناته في المنتجات التقليدية التي تعكس مدى مهارة الصناع التقليديين الواحيين. فرغم الاعتماد بشكل أساسي على ما تدره الثمار والزراعات البعلية التي تنتجها الضيع الصغيرة في الواحات، فإن السكان يلتجئون إلى تنويع مواردهم ودخلهم، بفضل منتجات الحرف التقليدية. وتشكل المنتجات المصنوعة من النخيل القسط الأوفر من تلك الحرف؛ ذلك أن شجرة النخيل تسمح طبيعتها باستغلال كل مكوناتها سواء في التغذية أو في صناعة بعض الأدوات. وعلى هذا الأساس نجد مكونين بارزين يستعملان في هذا المجال بكثرة: يتعلق الأول بجذوع النخيل التي تتميز بصلابتها وبمقاومتها لكل أسباب التلف والضياع، تصنع منها الكثير من الأدوات المستعملة في الحياة اليومية لدى سكان الواحة: فمنها تستخرج كل العناصر الخشبية الضرورية في البناء، من قبيل السقوف والأوتاد والدعامات بل وحتى في الربط بين ضفاف الأنهار "أزقور" ....إلخ. ويسترعي انتباهنا إلى اليوم وجود نماذج من تلك الجذوع ضمن بنايات عمرت لقرون "إغرم أقديم". أما العنصر الثاني فيرتبط بسعف النخيل، وفي هذا الصدد قد لا يسعفنا السياق للإحاطة بكل ما يصنع من هذه المادة. ففي الواحة تمارس صناعة الخوص بشكل مكثف، فيمكن إنتاج مجموعة من الأواني المنزلية والفلاحية كالقفاف والسلال والأطباق والحصائر وأشياء عديدة أخرى سمكن أن تستعمل في السياحة.

من الخصوصيات التراثية الثقافية للواحات، والتي تعكس تراكما معرفيا وممارسة مستمرة واستغلالا عقلانيا للموارد الطبيعية المتاحة، مايتعلق بفنون الطبخ؛ ذلك أن هذا الأخيرة يمكن عدها من الأوجه الغنية والمهمة للموروث الثقافي اللامادي باختلاف المناطق والمجتمعات، فثمار الواحة ورطبها وخضرواتها وكل ما تنبته الأرض الواحية يصبح قابلا لان يكون عنصرا لأطباق وأكلات تتفنن نسوة الواحة في إعدادها وتحضيرها وتقديمها للضيوف ، وهي أطباق لها قيمة غذائية مهمّة، وهنا يجب أن نركّز على خصوصيتها الطبيعية الصرفة، ف"تانورت" و"إفنوزن" و"أبلبول" أو"أفضوز" و"أحرير" و"تاروايت" أو "تالخشا" وغيرها من الأطباق جواب لكل أخطار السكر والكوليسترول والضغط الدموي وغيرها من أمراض العصر. كلها أطباق يجب التفكير في إحيائها مع عصرنتها بشكل أو بآخر يمكّن من الإقبال عليها. وحتى يتسنى للأسر الواحية الاستفادة من منتجات الواحة على طول العام، لجأت ولا زالت تلجأ إلى ابتكار طرق ومهارات دقيقة في تخزين المواد لاستهلاكها في الأيام العجاف وفي البرد القارس: من ذلك مثلا أن من عادات أهل الواحات بالجنوب الشرقي عند انتهاء موسم الحصاد وجمع المحصول الزراعي السنوي من الحبوب كالقمح والشعير والذرة، الحرص على تحضير المؤونة من خلال استدعاء بعض نساء القبيلة من أجل إعداد المادة الأساسية والضرورية لتحضير أكلة الكسكس أو ما يصطلح عليه "أفتال"، فيقمن بذلك في جو من المرح تتخلله الأهازيج والدعابات.



صورة 3 خبز محلي الصنع بإقليم تنغير يطلق عليه باللسان المحلي "أخباز" بحث لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع من إنجاز زكرياء نصرالدين 2018

و لا يفوتنا الحديث أيضا عن تعدد الألوان الموسيقية وطرق الأداء عند الإنسان الواحي الذي يستلهم إبداعاته الفنية من صميم البيئة الواحية فمن منّا لا يتذكر رقصات ويحفظ أشعار "أحيدوس"،"باهبي"، "بايّادا"، "تيكي"؛ من منا لا يتذكّر أمسية بإيقاعات "إمديازن" الفنية والفكاهية التي تحترم القيم وخصوصياتنا الثقافية داخل الأعراس والاحتفالات الجماعية والمواسم التي تشكل مناسبة لردع الخلافات بين القبائل.



صورة 4 رقصة أحيدوس يجسدها أطفال منطقة بومالن دادس إقليم تنغير في إطار مهرجان "تملسا" بحث لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع من إنجاز زكرياء نصرالدين 2018

الأبعاد الإنسانية في ثقافة الواحات

إن الحديث عن الابعاد الإنسانية والقيم النبيلة لثقافة مجتمعات الواحات قد يصعب اختزالها في سطور أو بضع صفحات؛ ذلك أن الكلمات لا تفي، في غالب الأحيان بسبر عمق المفاهيم والدلالات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالحديث عن أخلاق وممارسات معيارية، ومما لاشك فيه ،كما أشرنا سالفا، أن البيئة كيفما كان نوعها ومعلمها فإنها تحدد بشكل كبير المرجعيات الثقافية للمجتمعات، دون القدرة على استصدار نوع من التفاضل بين تلك البيئات وتلك الثقافات. وعلى هذا الأساس تنفرد بيئة الواحات بكثير من الخصوصيات الثقافية التي نتجت بشكل واضح عن تأثير الظروف الطبيعية عليها. ومن مميزات هذه المعالم الثقافية أنها تعكس أشكالا متعددة من القيم الإنسانية التي تطمح كل شعوب العالم إليها خاصة في الوقت الراهن، ونتحدث هنا عن الابعاد الإنسانية لثقافة الواحات، وسنقتصر في حديثنا هنا عن شكلين أساسيين وملموسين، يتعلق الأول بمبدأ التنمية المستدامة، من حيث كونها مبتغى إنسانيا بامتياز في الوقت الحاضر، ويتعلق الثاني بمبدأ التلاحم الاجتماعي الذي يعد بدوره عملة بدأت تتسم بالندرة في جل المجتمعات.

استنادا إلى تقرير برونتلاند Prontland 1987[213] فقد تم التأسيس لمفهوم التنمية المستدامة بماهي دعوة لكل مجتمعات العالم إلى الاستفادة من الموارد الطبيعية واستغلالها بكيفية تأخذ في الحسبان أحقية الأجيال القادمة في الاستفادة من الموارد نفسها. ليتكرس هذا المفهوم بشكل واضح خلال قمة الأرض 1992، والتي حددت أسس التنمية في المناحي الآتية: البيئة، الاقتصاد، المجتمع لينضاف منحى رابع متعلق بالمورد الثقافي خلال أشغال قمة جوهانسبورغ سنة 2002، ويتضمن المفهوم شقين أساسيين، يرتبط الشق الأول بالتنمية، والشق الثاني والمحوري يرتبط بضرورة ضمان استمرارية قدرة كل الموارد الطبيعية على تلبية حاجيات كل الأجيال.

أمام هذا المعطى يثير انتباهنا هنا أنماط العيش السائدة لدى مجتمعات الواحات؛ ذلك أن طبيعة الندرة التي تسود في غالبية الواحات قد أملت على الإنسان الواحي اتخاذ تدابير تروم التدبير العقلاني للموارد الطبيعية خاصة مايتعلق بالماء والأرض وبما تنتجه هذه الأخيرة. ولم ينتظر أهل الواحة تقرير (برونتلاند) ولا قمم الأرض لكي ينتبهوا إلى ضرورة ضمان استدامة مواردهم الطبيعية، وبالإضافة إلى الأعراف والضوابط المتفق عليها، كما يضفي أهل الواحة على عنصر الماء بعدا قدسيا ترسخ في الأذهان و المخيال ساهم في المحافظة عليه.

البعد الإنساني الثاني الذي نسوقه في حديثنا عن ثقافات الواحات هو ما يمكن تلخيصه في مبدأ التلاحم الاجتماعي، وهي خاصية قلما نجد لها أصداء في أيامنا هذه التي تطغى فيها الفردانية والتنافس الفاحش وتصادم المصالح والمفارقات الاجتماعية؛ فارتباطا بمبدأ الندرة التي تطبع الحياة الواحية، استطاع سكان الواحة أن يجسدوا أنماط عيش تتفاعل إيجابيا مع هذه الندرة، ولا أدل على ذلك إلا مانشهده مع ظاهرة آيت/إيست تقبيلت، باعتبارها ظاهرة تسمو

[213] كانت مهمة لجنة برونتلاند، التي عُرفت سابقًا باسم اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية (WCID)، توحيد البلدان لتحقيق التنمية المستدامة للموارد الطبيعية والبشرية.

بالتلاحم الاجتماعي إلى أنبل تجلياته، فالكل مجند وراء الكل سواء في الأفراح أو الأقراح، وكم جميل حينما نشاهد موسم الأعراس الجماعية بألنيف والدالة على معاني التعاون والتضامن والتكافل؛ وهي مظاهر كثيرة لن نستطيع الإحاطة بها في بضعة أوراق.

خاتمة:

انطلاقا مما سبق ذكره، من خلال هذه الورقة يتضح أن الواحة تكون وحدة إيكولوجية فريدة ومتميزة تتداخل فيها مجموعة من التوازنات الطبيعية والثقافية، تجعل منها نسقا وبنية في غاية الهشاشة. وأمام هذه الهشاشة استطاع الإنسان أن يروض طبيعة الواحة ويعيش وسطها في تناغم تام، على مدى قرون عدة لا تكسره سوى الكوارث الطبيعية أو الهجمات الخارجية العنيفة. وإذا كانت المكونات الطبيعية أكثر ضعفا وتتعرض للتغيرات بسهولة كبيرة، نجد في المقابل أن الثقافة التي تنتجها الواحة في تفاعلها مع هذه الظروف أقوى وأمتن، بل هي التي تقف وراء استمرار الإنسان في الاستقرار والإنتاج.

إلا أنه وللأسف الشديد تعاني الواحات في الوقت الراهن، أزمات متعددة و أشكالات معقدة تنبئ بإمكانية زوالها، وقد تعصف بكيانها أو-على الأقل- تسهم في إحداث شرخ عميق في التوزان القائم داخل منظومتها الإيكولوجية والثقافية. وتتجلى تلك الرهانات الحقيقية في التغيرات المناخية العامة، والمضاربات العقارية والتوسع العمراني المهول، وهيمنة العولمة الكاسحة والتنميط الفكري، والاستلاب الثقافي، كما نشهد ظهور أنماط عيش حديثة وأشكال جديدة للاستهلاك وتزايد مطرد لظاهرة الهجرة، والتهور في استغلال الموارد الطبيعية المحدودة، واندثار الموروث الثقافي وعدم اكتراث السياسات العمومية باهتمامات المناطق الواحية ومشاكلها. وهي كلها عوامل وأسباب تؤثر بشكل سلبي على الإنسان وعلى الماء وعلى المجال والتي تكون القلب النابض للواحات.

وعليه أضحى لزاما بذل مجهود أكبر، وبتظافر للجهود، للإجابة عن عديد الإشكالات الراهنة علنا نكون فكرة عن ماضي الواحة وحاضرها لاستشراف مستقبلها. هل كان بمقدور الإنسان الواحي أن يؤسس لقيمه ومبادئه في غياب مبدأ الندرة، بمعنى آخر لو كانت الغزارة والتنوع سمة المجال الواحي هل سنلحظ هذه القيم والمبادئ التي يعيش بها ومن أجلها إنسان الواحة؟ ألا تستحق الواحات أن تحظى باهتمام المسؤولين وان تجد لنفسها مكانا في "برامج التنمية" على كثرتها وتنوعها؟ كيف يمكن أن نعيد للواحة -ومن خلالها إنسان الواحة- مكانتها الاعتبارية وهي التي جسدت مفاهيم التنمية المستدامة وأزكت روح التكافل والتضامن؟.

لائحة المراجع:

مبارك آيت عدي والمحفوظ أسمهري، واحات طاطا، سحر المجال وغنى التراث، سلسلة تاريخ مجتمعات المغرب الصحراوي، تقديم حسن أوريد، وكالة الإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية، أكتوبر 2017، ص 12.إيمان صالح محمد حسن، عادات الزواج وتقاليده في الواحات البحرية، مكتبة الدراسات الشعبية، عدد 151، القاهرة، 2013.

حسين بن الطاهر، التنمية المحلية والتنمية المستدامة، مجلة "العلوم الإنسانية" جامعة محمد خيضر ، بسكرة، العدد 24 مارس 2012، ص 453-468.

أحمد البوزيدي، توزيع الماء بواحة درعة من خلال الوثائق المحلية، ندوة "الماء في تاريخ المغرب" أيام 10-12 دجنبر 1996، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 11؛

الطيب العماري، النخلة في البيئة الصحراوية: قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية، مجلة "الوحات للبحوث والدراسات"، العدد 15 سنة 2011.ص 21-33

بحث استطلاعي حول منطقة إقليم تنغير من إنجاز زكرياء نصرالدين في القترة الممتدة من 25 ماي إلى 07 غشت 2017.

عبدالرحيم العطري، الحكاية الشعبية و "تقديس" الماء في مجتمعات الندرة، مجلة "المأثورات الشعبية" القطرية، العدد 87، السنة 23، يوليو 2014، ص31-41

مصطفى نامي وأدريم مصطفى، مفهوم "الملك المشترك": قراءة في نظرية "إلينور أوستروم Elinir Ostrom" منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الدورة 25، الشركة العامة للتجهيز والطبع، 2014 فاس ص 69-80؛

Chegraoui, K, Les itinéraires du commerce carvanier transsaharien entre le Maghreb et le Soudan, In la route de l'or, éd ministére de la culture, rabat 2003 p 16-20.

المؤهلات الطبيعية والتاريخية بالجماعات الترابية الساحلية جنوب مضيق جبل طارق: حالة جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز (إقليم الفحص–أنجرة، المغرب)

The natural and historical qualifications of coastal municipalities south of the Strait of Gibraltar: the case of the two municipalities of Ksar Sghir and ksar al-Majaz (province al-Fahs - Anjra, Morocco)

زكرياء بوشلوش، باحث في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان (المغرب)

إلياس أردة، حاصل على الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان (المغرب)

الملخص: يشكل المجال المدروس، قطبا سياحيا الأكثر جاذبية داخل إقليم فحص أنجرة، حتى وإن كان يعاني من الطابع الموسمي لهذا النشاط. فاعتبارا للواجهة البحرية المشرفة على مضيق جبل طارق، وللظهير الخلفي الجبلي ولتنوع الغطاء الغابوي وما تزخر به المنطقة من مناظر خلابة وشواطئ رملية صالحة للاستجمام إلى جانب حفاظها على الإرث التاريخي، كل ذلك يشكل رصيدا لدعم القطاع السياحي وجعله قاطرة للتنمية المحلية المستدامة. ويظهر ذلك جليا بالخصوص خلال فصل الصيف، حيث تعرف المنطقة توافد أعداد متزايدة من الزوار، خاصة من المناطق المجاورة لها بهدف الاستمتاع بشواطئ المنطقة وغيرها.

لكن رغم ذلك فإن هذا القطاع لم يعرف انطلاقة حقيقية بهذه المنطقة، لأن مجمل الإمكانيات السياحية المتوفرة بجماعة القصر الصغير تصطدم بعدة إكراهات هيكلية تحد من الأثر الإيجابي لهذا القطاع، ويتمثل ذلك على الخصوص في ضعف بنية الاستقبال يجب التذكير هنا إلى أن الجماعة لا تتوفر سوى على فندقين غير مصنفين ومخيم صيفي غير منظم فهذه البنيات غير كافية ولا تسمح باستقبال عدد مهم من السياح وتوفير الخدمات الأساسية التي يتطلبها هؤلاء السياح، وعدم خلق تنوع في المنتوج السياحي يأخذ بعين الاعتبار المكون الطبيعي ويسمح باستقبال سياح حتى خارج الفترة الصيفية المحدودة ما بين نصف شهر يوليوز و أواخر شهر غشت من كل سنة.

الكلمات المفاتيح: المؤهلات التاريخية، المؤهلات الطبيعية، السياحة، التنمية المحلية.

Abstract:The studied area is the most attractive tourist attraction within the Region of The province al-Fahs - Anjra, even though it suffers from the seasonal nature of this activity. Given the seafront overlooking the Strait of Gibraltar, the mountain backside, the diversity of forest cover, the area's stunning views and sandy beaches, as well as the preservation of historical heritage, all of this is an asset to support the tourism sector and make it a locomotive for sustainable local development. This is particularly evident during the summer, as the region is known for increasing numbers of visitors, particularly from its surrounding areas, in order to enjoy the region's beaches and others.

However, this sector did not know a real start in this area, because the total tourist potential available in the small palace community collides with several structural constraints that limit the positive impact of this sector, and this is especially in the weak reception structure it should be remembered here that the group has only two unclassified hotels and an unregulated summer camp these structures are insufficient and do not allow to receive a significant number of tourists and provide basic services required by these tourists, and not to create a diversity in the tourist product takes Consider the natural component and allows the reception of tourists even outside the limited summer period between half of July and late August of each year.

Keywords : Historical qualifications, natural qualifications, local development.

مقدمة:

يتميز المجال المدروس، باعتباره مجال قروي بخصائص جغرافية تطبع المناطق الجبلية الضاحوية للتجمعات الحضرية. وبحكم موقعه المجاور لمدينة طنجة، الفنيدق ومدينة تطوان، قد تأثر بهذه المدن بشكل كبير وارتبط بها اقتصادياً واجتماعياً. تلعب هذه المدن دوراً مهما في تطور المجال الجغرافي لمجالنا المدروس، فقد كان لها أثر كبير في التحولات التي عرفها هذا الأخير على المستوى الاجتماعي والسكني وعلى المستوى الاقتصادي الذي تأثر إلى حد كبير بطبيعة الأنشطة المتواجدة بهذه المدن وبموقعه الجغرافي الحدودي.

في حين أن النشاط الفلاحي بهذا المجال القروي لازال يحتفظ بالخصوصية التقليدية والطابع المعاشي حيث التضاريس الجبلية ومحدودية الأراضي الصالحة للزراعة، وطبيعة البنية العقارية...، كلها عوامل نتج عنها سيادة الاستغلاليات المجهرية والفلاحة المعاشية. مما دفع العديد من السكان الذين كانوا يعتمدون على النشاط الفلاحي، إلى مزاولة أنشطة أخرى تكميلية غير فلاحية مشروعة خاصة منها قطاع البناء والتجارة والخدمات وأنشطة أخرى غير مشروعة كالتهريب.

في ظل هذه الدينامية التي يشهدها مجال دراستنا في إطار ما يسمى بمشروع ميناء طنجة المتوسط، أصبح لزاما على الجهات المسؤولة بما فيها الجماعات الترابية المعنية أن تمارس مهمتها التنموية على مختلف المستويات كي تتماشى مع متطلبات وانتظارات الساكنة المحلية من قبيل تطوير الأنظمة الإنتاجية تتماشى والخصوصيات المجالية والرهانات السياسية التي تطمح لها الجهات المسؤولة من جهة ومن جهة أخرى لزاما علها تثمين المؤهلات التاريخية والطبيعية التي تزخر بها المنطقة وتوظيفها في التنمية المحلية، وخلق فرص جديدة للساكنة المحلية.

ويقع المجال المدروس بين خطي طول ′30 °5 و′45 °5 غرب خط غرينتش، وبين خطي عرض ′45 °35 و′55 و°35 شمال خط الاستواء، أي يقع في أقصى الشمال الغربي للمغرب (الخريطة رقم: 1).

فهو يشرف من الجهة الشمالية على الواجهة البحرية لمضيق جبل طارق، ويحد من الجهة الشرقية بجماعة تغرامت، ومن الجنوب تحده كل من جماعتي أنجرة وملوسة، ومن الجهة الغربية يحد بجماعة البحراويين. وبالتالي يتبين لنا من خلال ذلك أن الجماعتين التابعتين للمجال المدروس، جماعتان ساحليتان بامتياز، وهو مجال يحظى بموقع جغرافي استثنائي على المستوى الوطني والعالمي، ولعل ذلك هو الذي أهل المنطقة لاستقبالها لأحد أهم وأكبر المشاريع الوطنية المتمثلة في مشروع ميناء طنجة المتوسط.

ومن الناحية الإدارية، يندرج المجال المدروس بجهة طنجة – تطوان – الحسيمة، وبالضبط تحت نفوذ إقليم الفحص – أنجرة.

الخريطة رقم 1: توطين المجال المدروس داخل إقليم فحص-أنجرة وجهة طنجة -تطوان-الحسيمة

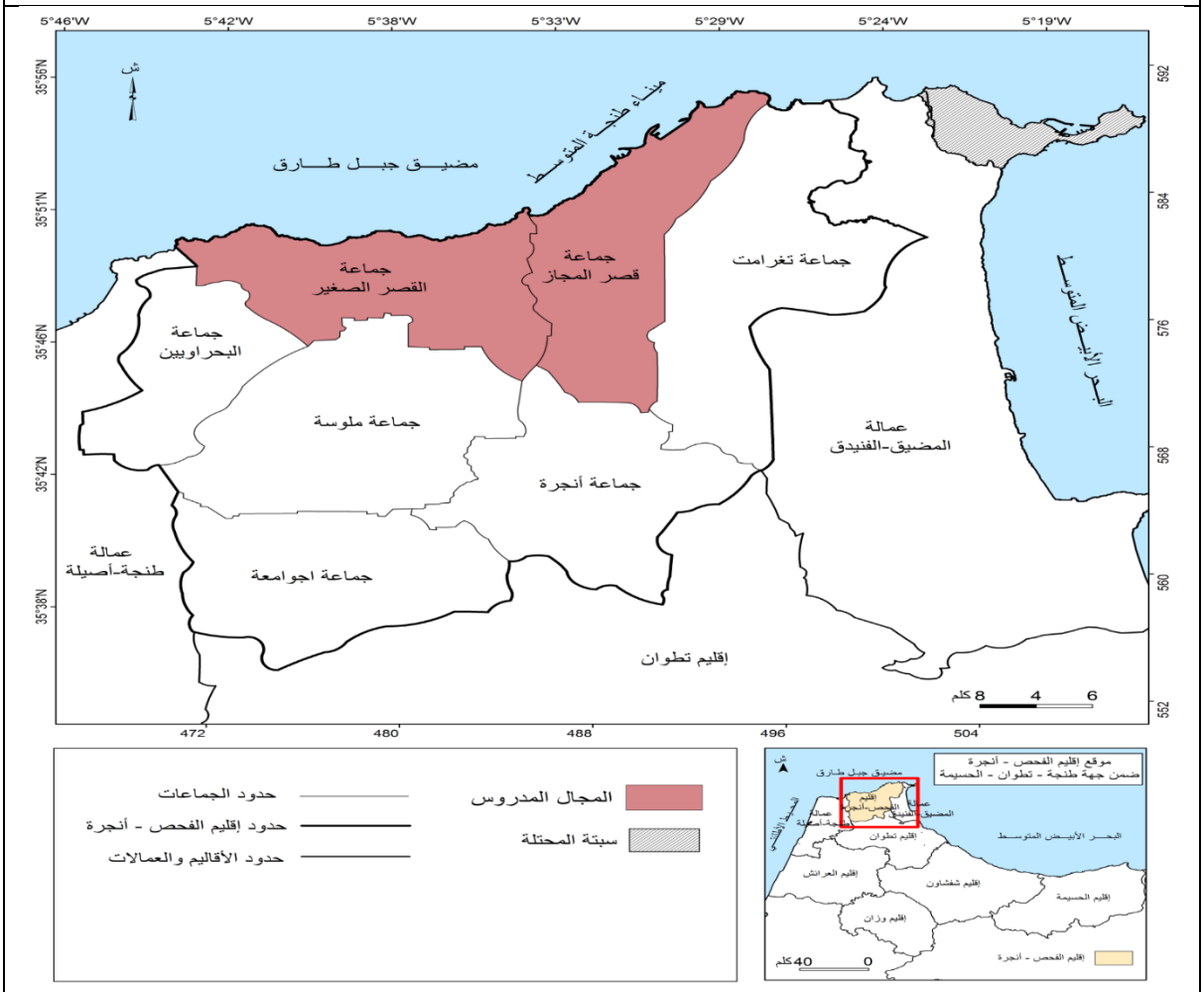

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على معطيات الوكالة الحضرية لطنجة لسنة 2015

الإشكالية:

يحتوي مجال الدراسة على مجموعة من المواقع السياحية ذات مميزات ومواصفات متباينة الأهمية، أهمها: شاطئ سيدي قنقوش، واد الليان، الديكي، القصر الصغير، واد الرمل-الدالية هذا إضافة إلى مواقع أثرية فريدة بكل من القصر الصغير وقصر المجاز. كما يضم هذا القطاع مواقع ذات قيمة بيولوجية وايكولوجية عالمية.

وبحكم انتمائه كذلك للريف الغربي وإشرافه على الواجهة البحرية لمضيق جبل طارق، فقد تمكن من اكتساب نفس خصائصه الطبيعية المتمثلة في تنوع المشاهد الجغرافية التي تجمع بين البحر، الجبال، تنوع الشواطئ، والمناظر الخلابة للمجالات الغابوية والأودية وبعض الأشكال المورفولوجية للوحدات التضاريسية بالمنطقة...، هذا إلى جانب المنظر البانورامي الذي تضفيه الضفة الجنوبية لإسبانيا على مضيق جبل طارق.

وبفضل انفتاح المنطقة المدروسة على البحر الأبيض المتوسط الذي يعتبر مهد الحضارات التاريخية، فقد مكنها ذلك من احتضانها لمجموعة من المواقع التاريخية الهامة على المستوى الجهوي والوطني، تعود لحضارات إنسانية وفترات مختلفة، ونذكر على رأسها موقع القصر الصغير التاريخي، إلى جانب المواقع الأثرية المنتشرة بالجماعتين. كل هذه المؤهلات، سواء الطبيعية أو التاريخية من شأنها أن تشكل قاعدة أساسية لتحقيق التنمية المحلية بهذه المنطقة.

غير أنه يلاحظ، على الرغم من توفر المنطقة على كل هذه المؤهلات التي يمكن نعتها بالاستثنائية، فإن منطقة دراستنا لم تعرف بعد انطلاقة حقيقية في المجال السياحي، ولم يتم بعد استغلال وتوظيف هذه المؤهلات بالشكل المطلوب لخدمة هذا القطاع. الأمر الذي دفعنا للمشاركة بهذا المقال وذلك محاولة منا إبراز هذه المؤهلات والتعريف بها جهويا، وطنيا ولما لا دوليا. بغية توظيفها كأداة لتحقيق التنمية المحلية، بهذه الجماعات الترابية الساحلية، وجعلها قاطرة لتحقيق التنمية على المستوى الإقليمي، الجهوي، والوطني. ونرى من جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز نموذجا حيا ومناسبا لذلك، خاصة في ظل الدينامية المجالية التي تحظيا بها في الآونة الأخيرة في إطار مشروع ميناء طنجة المتوسط.

الفرضيات:

– تتميز المنطقة بموقع استراتيجي وكذا قربها من المجالات الحضرية، وبالتالي تتجاذبها أقطاب حضرية مهمة (طنجة، سبتة، الفنيدق، تطوان...)، مما يجعل المهتمين بهذا القطاع يسلطون الضوء على هذه المدن والاهتمام بها بشكل كبير مع اغفال المنطقة المدروسة؛

- المجال المدروس يتمتع بموقع جغرافي استثنائي على مستوى التراب الوطني، وذلك بإشرافه على مضيق جبل- طارق الذي لا يفصله عن أوربا إلا ببضعة كيلومترات (40 كلم)، وكذا قربه من مدينة سبتة المحتلة، كان هذا العامل سببا رئيسيا في بروز ظاهرة التهريب واستفحالها بقوة بهذا المجال والمجالات المجاورة له، الأمر الذي جعل المنطقة تشكل لدى البعض

صور لها صلة وثيقة بمثل هذه الأنشطة غير المشروعة، ودفهم ذلك لعدم اتخاذ إجراءات وتدابير يمكن من خلالها تثمين وصيانه المؤهلات الطبيعية والتاريخية بالمنطقة وتوظيفها في التنمية المحلية؛

- تعرف المنطقة المدروسة هي الأخرى جذبا سياحيا لا بأس به على المستوى الجهوي، غير أنه يتميز بالمحدودية والموسمية، بحث يتركز خلال فترة محددة من السنة، بالضبط خلال فصل الصيف، وتكون سياحة الاستجمام هي السائدة.

الأهداف:

يكتسي موضوع المقال راهنية وطنية تجعل منه موضوع الساعة بامتياز، بفعل الدور الأساسي الذي أصبحت تلعبه الموارد والمؤهلات التاريخية والطبيعية في التنمية المستدامة. وبالتالي، ارتأينا أن يكون المجال الذي سنشتغل عليه، ينحصر في وحدة ترابية تتميز بموقع استراتيجي وبمؤهلات طبيعية واقتصادية وسياحية واجتماعية، والتي ستشكل لامحالة أداة لتحقيق التنمية المستدامة .وعليه، تندرج هذا المقال في إطار القيام بدراسة تهدف إلى تطوير المعارف والمكتسبات حول المؤهلات المتنوعة والثروات المادية واللامادية التي تزخر بها جماعتي قصر المجاز والقصر الصغير بغية تثمينها من ناحية، ومن ناحية أخرى من أجل صياغة وسيلة ذات منهجية علمية واضحة لدعم سيرورة اتخاذ القرار بهدف الرقي والتطور وتحقيق التنمية الحكيمة.

وبهذا نهدف من خلال هذا المقال محاولة إبراز المؤهلات التاريخية والطبيعية التي تزخر بها منطقة الدراسة، وذلك بهدف تقييمها وتأهيلها لتصبح أحد ركائز التنمية المحلية التي يمكن الاستعانة بها لتنمية المنطقة المعنية.

1. أهمية القصر الصغير التاريخية

البعد التاريخي للمجال المدروس يمكن الوقوف عليه أساسا من خلال الوقوف على تاريخ مدينة القصر الصغير، لأن الأحداث التاريخية التي شهدتها هذه الأخيرة هي نفس الأحداث التي شهدها مجال الدراسة برمته، فالموقع التاريخي للقصر الصغير له أهمية جيدة ومتميزة من حيث الدور الاستراتيجي المحوري الذي كان له في مغرب الأمس، وهو الدور الذي لا يقل عن دور جبل طارق وسبتة إن لم يفتهما في بعض الأحيان.

هذا القصر الذي ينعتونه بـ "الصغير". هو في الواقع صغير بالمعنى المتعارف عليه عند الجغرافيين: يعني مساحة صغيرة الحجم، لكنه كبير وكبير بامتداد الحديث عنه عبر التاريخ الطويل للمغرب، امتداد الحديث عنه في التاريخ العسكري

للمغرب، امتداد الحديث عنه ونحن نتحدث عن شبكات الاتصالات البحرية والنهرية في بلادنا، عن الحياة السياسية والدبلوماسية في بلادنا، عن الحياة الاجتماعية والأدبية كذلك[214].

وإذا كان القصر الصغير يعيش هذه الأيام حياة المدن القديمة، المندرسة النائمة، فقد كان له من ماضيه الشامخ ما يستوقفنا اليوم لمراجعة أيامه الماضية على مختلف الأصعدة، بفضل يقظة رجال المغرب الذين قرروا أن يجعلوا منه محطة محورية حية بصناعتها وخصوصيتها.

الصورتان رقم 1 و2: وضعية المجرى المائي لواد القصر الصغير





تبرز الصورتان أعلاه الموقع التاريخي للقصر الصغير، والذي يقع على جانب واد القصر الصغير، وحسب المعاينة الميدانية له تبن لنا أنه يعرف عملية الترميم لكن في الوقت الحالي تبدو متوقفة.

(الصورتان بعدسة زكرياء بوشلوش؛ الصورة رقم 21 بتاريخ 26-05-2017، الصورة 22 بتاريخ 26-05-2017).

لقد كان "القصر الصغير" مركزا لتنفيذ الأوامر. وتحرير الرسائل إلى ممثلي القيادة العليا في سائر جهات الإمبراطورية المغربية. وكان بمثابة عاصمة يلتقي على جنباته الواردون من الأندلس والمتجهون إليها سادة وأشياخا وتجارا على نحو ما نشهده اليوم ونحن نتحدث عن قاعدة بحرية تربط قارة بقارة نحن نتحدث بالفعل اليوم عن صلة قارة إفريقيا بقارة أوربا[215].

[214] التازي (عبد الهادي)، 2012، "مدينة القصر الصغير من خلال التاريخ الدولي للمغرب" في: « Ksar Seghir 2500 ans d'échanges intercivilisationnels en Méditerranée », Première Edition, Institul des Etudes Hispanos-Lusophoes, p 155.

[215] التازي (عبد الهادي)، 2012، مرجع مذكور، ص 150.

"يبدو أن القصر الصغير والمناطق المحيطة به كان مأهولا منذ القديم، وربما منذ عصور ما قبل التاريخ، لأن موقع القصر الصغير موقع استراتيجي وجذاب، وله مؤهلات ملاحية؛ ولعب دورا محوريا بين ضفتي مضيق جبل طارق، نظرا لتوفر الماء في النهر الذي يحمل نفس الاسم، والذي يقع القصر على ضفته اليمنى عند مصب الواد، ووجود ميناء طبيعي على البحر الأبيض المتوسط، وكذا وجود الغابة".

ونظرا لأهمية القصر الصغير، فقد ذكرته العديد من النصوص الوسيطية، منها نصوص البكري وياقوت الحموي وغيرهم.

يذكر البكري، في القرن الحادي عشر، بأن القصر الصغير عبارة عن "رباط"، وأنه يتكون من مرسى وتجمع بشري، ويجعل منه الحمري: "حصن كبير، بينه وبين سبتة إثنا عشر ميلا، وهو على ضفة البحر، تنشأ به المراكب والحرارق التي يسافر بها إلى بلاد الأندلس، وهو على رأس المجاز الأقرب إلى الأندلس".

والمؤكد، أن القصر الصغير الذي كان ذا شكل دائري على هيئة مدينة بغداد، لعب دورا محوريا في تاريخ المغرب بعد اعتناق المغاربة للإسلام. فمنذ أبحر القائد الأمازيغي طارق بن زياد مع جيشه إلى الأندلس وفتحها، وكان المرابطون يجمعون المجاهدين في هذا القصر، الذي أصبح يحمل إسم قصر مصمودة، ثم يبحرون إلى الأندلس.

وعلى الرغم من أن القصر الصغير في عهد الموحدين كان ميناء محصنا بالدرجة الأولى، فإنه في الوقت نفسه كان عبارة عن مدينة، تتوفر على بنيات حضرية، كالحمامات والمساجد والمنازل والآبار والمحارف، وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية التي أجريت بالموقع سنوات 1974-1977.

وفي عهد المرينيين، أصبح القصر الصغير يحمل إسم قصر المجاز، وقد استعملوه كثيرا للإبحار نحو الأندلس، التي أصبحت مهددة وعلى وشك السقوط كلها بيد الإنسان؛ بحيث قام أبو يعقوب يوسف المريني بإحاطة المدينة بتحصينات، وإعادة بناء أبوابها، وتشييد مرافق مدينة عديدة، وتوسيع بعضها كالمسجد والحمام.

ويجب التذكير هنا، بالدور الكبير الذي لعبته قبائل أنجرة التي تسكن المنطقة، في الدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين، لذلك كانوا يتمتعون بإعفاء من الضرائب، بل ويتلقون إعانات من سلاطين المغرب لتشجيعهم على حماية الشاطئ، ومنع المسيحيين من النزول بالمنطقة. وهناك من يربط بين إسم أنجرة والنجارة، وعلى أساس أن هذه القبائل كانت متخصصة في النجارة الخاصة بصناعة السفن.

المهم، أن قبائل أنجرة، أو نجارو القصر الصغير لعبوا دورا بارزا في تاريخ المغرب وخاصة خلال تواجده بالأندلس؛ إذ أنه خلال هذه المرحلة، كان القصر الصغير نقطة انطلاق الجيوش والمجاهدين، للدفاع عن الإسلام بالأندلس والمغرب. وقد لعب الشرفاء والزوايا والأعيان دورا في هذه القبائل[216].

2. المؤهلات الطبيعية للمنطقة المدروسة

هذا المجال المدروس يتوفر على مؤهلات طبيعية فريدة – يمكن القول عنها استثنائية – جعلت منه وسطا أو وعاء يتضمن مجموعة من الثروات الطبيعية التي يمكن من خلالها تبني سياسة تنموية محلية ناجعة؛ إن تم حسن توظيفها وكيفية التعامل معها وطرق تدبيرها؛ فهو يتميز بمناخ متوسطي شبه رطب وفير التساقطات المطرية بالرغم من عدم انتظامها زمنيا، تعمل هي الأخرى على تغذية المجاري المائية السطحية وكذا الفرشة الباطنية – بالرغم من محدودية انتشارها مجاليا – الشيء الذي يجعل المنطقة تتوفر على موارد مائية مهمة قابلة للتعبئة إذا وظفت لها الإمكانيات اللازمة لذلك.

كما يتميز هذا المجال بتنوع جيولوجي كبير إذ يتشكل من تكوينات طبيعية غرينية وصلصالية، بالإضافة إلى تكوينات أخرى، مما جعله قبلة للباحثين من شتى الميادين والتخصصات. كما أعطت هذه التكوينات وحدات تضاريسية متميزة ومتفردة من حيث البنية والمرفولوجيا.

وعلى مستوى الغطاء النباتي، فإن هذا المجال يتوفر على مساحات غابوية متواضعة والتي تجمع بين البلوط الفليني، الصنوبر، المورقات... تشكل مورد إضافي للجماعة المحلية وللساكنة.

1.2. الخصائص الطبوغرافية

تعتبر منطقة القصر الصغير وقصر المجاز امتدادا لسلسلة جبال الريف في الشمال، وهو المجال الذي تنخفض فيه الارتفاعات، حيث ننتقل من الريف الأوسط الذي تصل فيه الارتفاعات إلى أزيد من 2000 متر المتمثلة في جبل تدغين إلى أقل من ذلك في المجال المدروس، الذي تتواجد فيه قمم متوسطة الارتفاع لا تتجاوز 700 متر. ففي الجنوب الغربي نجد كدية الدرادر 636 متر (الواقعة بجماعة القصر الصغير)، جبل صندوق 575 متر وكدية سيدي صالح 486 متر، وفي الشمال الغربي جبل الدور 636 متر وجبل تشكشوكة 359 متر.

[216] أعشي (مصطفى)، 2014، "موقع القصر الصغير بين البحث الأثري والتنمية المحلية"، في: <<الريف وإشكالية التنمية>>، تنسيق آيت حمزة وآخرون، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 38، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ص 282 -285.

الخريطة رقم 2: التوزيع المجالي للمستويات الارتفاعية بالمجال المدروس

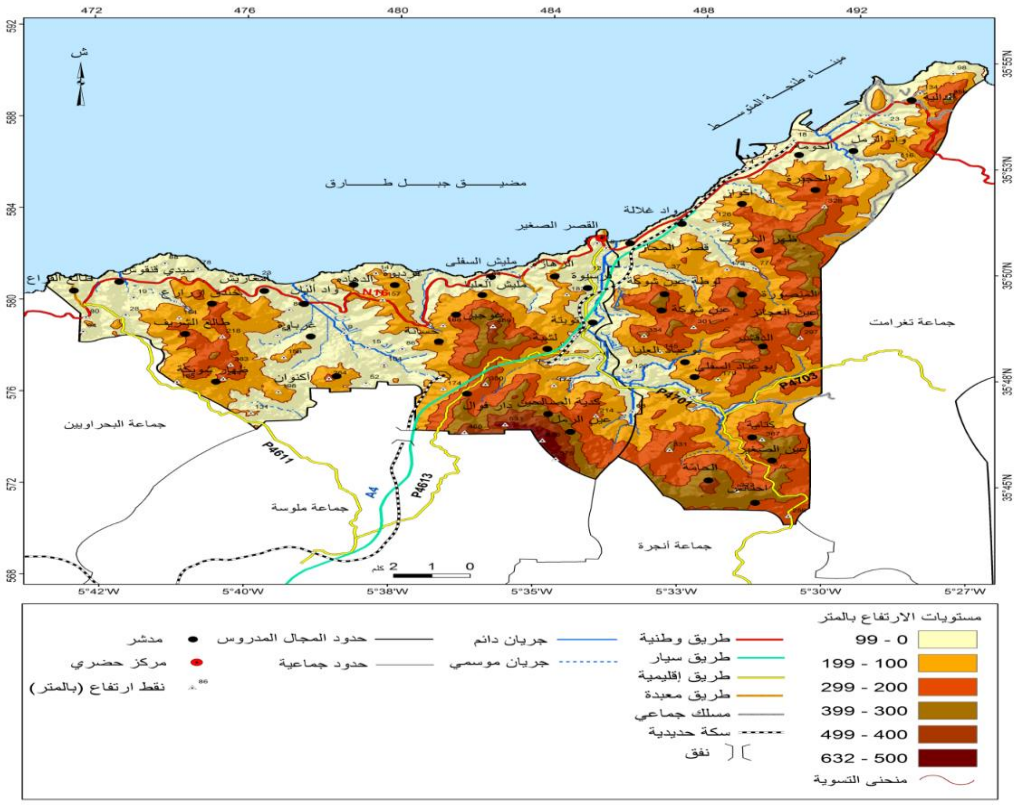

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادا على نموذج الارتفاعات الرقمي ASTER GDEM (النسخة الثانية، 2011، وزارة الاقتصاد والتجارة والصناعة باليابان بتعاون مع وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" NASA).

تنخفض الارتفاعات إلى أقل من 100 متر كلما اتجهنا نحو واد القصـــر الصـــغير بوســـط المنطقة وواد الحراني بالشـــمال الغربي، وترتفع إلى 636 متر في الجنوب الغربي والشـرق، كما تنخفض الارتفاعات كذلك بشـكل عام كلما اتجهنا من الجهة الجنوبية للمجال المدروس إلى الجهة الشمالية في اتجاه البحر.

كما تتخلل المنطقة منخفضات ذات مساحات ضيقة وضعيفة الانتشار، يقتصر تواجدها بضفاف الأودية كما هو الحال لواد أليان وواد القصر الصغير (الخريطة رقم: 2).

عموما فإن هذه المنخفضـــات عبارة عن مثلثات مفتوحة على الواجهة البحرية. في الجهة الشـــمالية عند نقطة التقائها بمضيق جبل طارق، نلاحظ وجود أشـرطة رملية سـاحلية ضـيقة ومنغلقة على ذاتها، لا تتمتع بالامتداد الكافي على مسـتوى

الطول والعرض. كما هو الحال للشريط الساحلي الذي يقع بدوار الزهرة، وكذا الشريط الساحلي المتواجد بالقصر الصغير والدالية (بجماعة قصر المجاز). إلى جانب هذه الأشكال التضاريسية، توجد كذلك أجراف تحت بحرية، وهي ناتجة عن الاتصال المباشر بين القارة والبحر، تتميز بتوفرها على صخور تأخذ شكل عمودي مائل. أغلب هذه الأجراف تستقر في الجهة الغربية من المجال المدروس. كل هذه الوحدات التضاريسية أفرزت مجتمعة فيما بينها مشاهد جغرافية متميزة وفريدة على الواجهة البحرية لمضيق جبل طارق، أضفت طابع جمالي على المنطقة.

2.2. الشريط الساحلي ذات الأشكال المورفولوجيا المتنوعة

الساحل التابع لمجالنا المدروس، هو جزء من الساحل البوغازي الذي يشرف بدوره على مضيق جبل طارق ويمتد على طول يقدر بحوالي 40 كلم. هذا الساحل يجمع بين نوعين من الشواطئ: شواطئ رملية محدودة الانتشار على مستوى الامتداد المجالي، وشواطئ صخرية غالبا ما تنتظم في شكل رؤوس تقسم الساحل إلى قطع متفاوتة، وهي الأكثر امتدادا على المستوى المجالي. ويمكن تلخيص هذه المميزات على الشكل التالي:

شواطئ رملية: عبارة عن مجالات طبيعية، كانت ولا زالت الدعامة الأساسية لقطاع السياحة بهذا الساحل. لكن ما يميز هذا النوع من الشواطئ هو محدودية انتشارها على المستوى المجالي، بل معظمها توجد بمصبات الأودية وتضم شاطئ سيدي قنقوش، واد أليان، فرديوة، الزهارة، القصر الصغير، قصر المجاز، الدالية).

شواطئ صخرية: ويتعلق الأمر بأغلب الشواطئ المشكلة لهذا الساحل والتي تمتد على مسافة كبيرة، ومن أشهرها رأس سيريس (منطقة الدالية)، وشاطئ القصر الصغير الذي ينتهي بجرف صخري، وهو من الأجراف الحية بالمنطقة، يفصل بين ساحل القصر الصغير وساحل قصر المجاز من حيث اتجاه خط الساحل ، ونظرا لشكله المورفولوجي وتكويناته الصخرية التي تتميز بالصلابة فقد استطاع الصمود أمام عوامل النحت البحري، الأمر الذي مكنه من اتخاذ شكل قوسي (هلالي) مشرف على مياه البحر، هذه الوضعية جعلت الساكنة المحلية منذ مئات السنين تستغله كميناء طبيعي للصيد البحري. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الميناء الطبيعي للقصر الصغير يعتبر من أقدم الموانئ الوطنية الذي تم توظيفه في الصيد البحري، بحيث كان ولا زال يشكل منطقة مناسبة لرسوا قوارب الصيد البحري وحمايتها من الاضطرابات البحرية.

يوفر الشريط الساحلي للجماعتين مجموعة من الإمكانات الطبيعية التي اعتمدت في صياغة المشروع المستقبلي للقطاع السياحي والوظيفي. لكن في المقابل ذلك، تجدر الإشارة إلى أن هذه المقومات لم تعتمد كإطار حقيقي يقعد لمجموعة الخصوصيات التي تطبع السواحل المتوسطية – منها الواقعة بمضيق جبل طارق بطابع خاص. بحيث أن ضيق المجال الساحلي، ومحدودية بنيات الاستقبال (علما أن هذا الساحل لم يعرف بعد انطلاقة حقيقية على مستوى إحداث البنيات التحتية الأساسية من فنادق وخدمات أخرى التي من شأنها أن تخدم القطاع السياحي بالمنطقة) تجعل منه

مجالا غير مؤهل لاستقبال التجهيزات السياحية – علما أنه تم منذ سنة 2003 الشروع في استغلاله كمجال خصب لإحداث فيه أحد أهم الموانئ الوطنية والدولية على مساحات شاسعة- نظرا لضعف المساحات العقارية المناسبة لإحداث مثل هذه التجهيزات، خاصة وأنه كما سبقت الاشارة فالمجال الساحلي يغلب عليه انتشار واسع للشواطئ الصخرية، وهيمنة الانحدارات المتوسطة والشديدة في بعض الحالات.

3.2.الشبكة المائية ذات الجريان المتنوع

توفر التساقطات بهذا المجال جريانا مائيا، تختلف شدته حسب الفصول، ففي الشتاء تتميز المنطقة بجريان مهم، وما يرافق ذلك من نقل ونحت وإرساب للمواد الترابية والصخرية المكونة للمجاري المائية، فتتعمق القعور بانزلاق جوانب المجاري، أما في فصل الصيف فتجف المجاري المائية، التي تتكون من عدة أودية:

واد القصر الصغير: يتميز بنظام هيدرولوجي متدفق وغير منتظم أثناء فترة التساقطات. يقدر طول هذا الواد ب 16 كلم، ينطلق من الجنوب الشرقي، ويشغل حوض الواد مساحة تقدر ب 100 كلم^2، وتوجد نقطته المرتفعة في الجنوب الشرقي على ارتفاع 660 متر، أما انحداره في العالية فيقدر ب 9% وينخفض إلى 0.2% في السافلة، ويتميز هذا الحوض بسيادة تكوينات فليشية غير نافذة ومتوسطة النفاذية.

واد الرمل: يقع في الشمال الشرقي للمجال المدروس، ويشغل حوض مائي تقدر مساحته ب 34 كلم^2، ويصب في البحر الأبيض المتوسط بميناء طنجة المتوسطي بصبيب يقارب 165 متر^3/ ثانية. وللإشارة فإنه تم إنشاء سد على مجرى هذا الواد يحمل نفس الاسم (سد واد الرمل)، وذلك بهدف حماية ميناء طنجة المتوسط ومنشئاته الواقعة في سافلة الحوض من أخطار الفيضانات من جهة، ومن جهة لتزيد هذا الميناء بالموارد المائية الكافية التي يحتاجها لتوظيفها في مجالات مختلفة.

واد غلالة: وهو عبارة عن واد صغير متدفق في شكل امتطاحات. وتنبع روافده ومسيلاته من مرتفعات ظهر الخروب التي توجد في وسط جماعة قصر المجاز، لتصب في البحر عند منطقة تسمى محليا "بالمريسة الجلد". يمتد حوض واد غلالة على مساحة 12 كلم^2، يتميز بنظام جريان موسمي وبفيضانات فجائية وعنيفة[217].

واد أليان: يمتد حوض واد أليان على مساحة تقدر ب 122 كلم^2، مجراه الرئيسي يتمثل في واد أليان يتميز بجريان دائم، ويعتبر هذا الواد إلى جانب واد القصر الصغير من الأودية المهمة والرئيسية بالمجال المدروس بصفة خاصة ومنطقة مضيق جبل طارق بصفة عامة (المنطقة الممتدة من مدينة سبتة إلى مدينة طنجة).

[217] ظريف (جواد)، 2015/2014، ، "تدبير مخاطر الكتلية للسفوح حالة منطقة القصر الصغير (الريف، المغرب)"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، مركز الدراسات في الدكتوراه: المجال، المجتمع والثقافة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، المغرب، ص 73.

الصورتان رقم 3 و4: وضعية المجرى المائي لواد القصر الصغير





بفضل انتماء مجال الدراسة لمنطقة الريف الغربي التي تتميز بخصائص طبيعية خاصة ومتفردة، وبحكم انفتاحه على الواجهة البحرية وتأثره بالتأثيرات البحرية المحيطية... قد ساهمت هذه العوامل في تلقي المنطقة تساقطات مطرية مهمة نسبيا كان لها وقع مهم على الجريان السطحي والذي يتجلى في كل من واد القصر الصغير وواد أليان أساسا.

(الصورتان بعدسة زكرياء بوشلوش؛ الصورة رقم 21 بتاريخ 04-2015-06، الصورة 22 بتاريخ 12-08-2015).

3. المؤهلات التاريخية والطبيعية ودورها في التنمية المحلية: تشجيع السياحة الجلية لجعلها قاطرة للتنمية

تعتبر السياحة الجبلية من بين الخيارات التنموية التي بدأت تعتمدها الدولة لتنمية وتأهيل المجالات القروية خاصة منها المجالات الجبلية التي تعاني من قلت الموارد والامكانيات، وظلت إلى وقت بعيد تعاني من التهميش وسوء التدبير.

يحتوي مضيق جبل طارق – الذي ينتمي إليه مجال دراستنا- "على مجموعة من المواقع السياحية ذات مميزات ومواصفات متباينة الأهمية، أهمها: شاطئ الأمراء، سيدي قنقوش، واد الليان، الديكي، القصر الصغير، واد الرمل- الدالية وواد المرسى وبليونش، هذا إضافة إلى مواقع أثرية فريدة بطنجة وقصر المجاز وبليونش. يضم هذا القطاع مواقع ذات قيمة بيولوجية وايكولوجية عالمية: جبل موسى وبيرديكاريس ورأس سبارتيل-مغارة هرقل[218]. ونظرا لأهمية المشاريع

[218] العبدلاوي (محمد) 2005،"المؤهلات السياحية بمنطقة الريف: واقعها، آفاق التطوير ومستلزمات الاستدامة"، ديناميات التحول والتنمية المستدامة في منطقة الريف، منشورات وزارة الثقافة، الحسيمة، المغرب، ص 135.

التي تم انجازها (ميناء طنجة المتوسط والطريق السيار وخط السكة الحديدية والمناطق اللوجيستيكية والصناعة وغيرها) فإن هذا القطاع سيعرف تحولات جوهرية على كل المستويات.

يشكل المجال المدروس، قطبا سياحيا الأكثر جاذبية داخل إقليم الفحص-أنجرة، حتى وإن كان يعاني من الطابع الموسمي لهذا النشاط. فاعتبارا للواجهة البحرية المشرفة على مضيق جبل طارق، وللظهير الخلفي الجبلي ولتنوع الغطاء الغابي وما تزخر به المنطقة من مناظر خلابة وشواطئ رملية صالحة للاستجمام، كل ذلك يشكل رصيدا لدعم القطاع السياحي وجعله قاطرة للتنمية المحلية المستدامة. تتوفر مختلف المكونات المجالية لمجال دراستنا على مؤهلات سياحية جد هامة. سواء على المستوى الكمي أو الكيفي، تشكل قاعدة أساسية لتحقيق تنمية سياحية بهذا المجال. بتوفره على مجموعة من المواقع السياحية المتميزة أهمها الشواطئ الرملية المخصصة للسباحة والترفيه خاصة تلك الواقعة بدوار سيدي قنقوش وواد أليان الممتع بتنوع مناظره الجبلية و الشاطئية و بقرب الرؤية للضفة الإسبانية المقابلة له التي تظفي على المنطقة منظر بانورامي، ومركز القصر الصغير الذي يتوافد عليه خلال فصل الصيف عدد من المصطافين للاستجمام، يتوفر على بعض الوحدات السياحية (فندقين غير مصنفين و مخيم صيفي غير منظم قد يتحمل استيعاب أكثر من 400 مصطاف)، و يسهل الوصول إليه نظرا لمرور الطريق الوطنية رقم 16 به. وتوفر قصر المجاز على فندق واحد، بالإضافة إلى الشواطئ ذات الأجراف الصخرية الممتدة على طول الشريط الساحلي للمجال. كما يتوفر على مجال غابوي هام وغطاء نباتي متنوع إلى جانب بروز وحدات جبلية بأشكال تضاريسية متنوعة ومتعددة خاصة على مستوى شكل وطبيعة القمم التي اتخذتها هذه الجبال، وتوفر الجماعة على بعض المسالك الجبلية التي تهدف إلى استغلالها في الجانب السياحة الجبلية، خاصة الممرات المحاذية لسد واد الرمل. كل هذه العناصر المجالية أفرزت لنا مشاهد جغرافية متعددة ومتنوعة تساهم إلى حد كبير في اغناء وتشجيع السياحة الجبلية والشاطئية بهذه المنطقة.

الجدول رقم 01: الوحدات الفندقية الحديثة النشأة بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز

الموقع	اسم الوحدة الفندقية	
الديكي	القروية	الجماعة الترابية القصر الصغير
سيدي قنقوش	قنقوش	
واد أليان	أفريقيا	
واد أليان	طريفا	
واد غلالة	قصر المجاز	الجماعة الترابية قصر المجاز
مركز قصر المجاز	*	

المصدر: منوغرافية جماعة القصر الصغير، 2010، ص 25 والمعاينة الميدانية صيف 2015.

*معطيات غير متوفرة

هذا ولا ننسى كذلك الارث التاريخي الذي يتمتع به مجال دراستنا، واحتضانه لعدد مهم من المواقع والبنايات التاريخية التي تعود لفترات مختلفة من التاريخ قد ساهت في إعطاء لمسة جديدة لهذا المجال، وإمكان إضافي يمكن الجماعتين من استغلاله كأحد أهم المقومات والركائز لدعم القطاع السياحي، خاصة السياحة الجبلية، وجذب أعداد متزايدة من الزوار على مدار السنة.

الصوررقم 5-6-7-8-9 و10: مشاهد لمؤهلات سياحية التي يتوفرعليها المجال المدروس





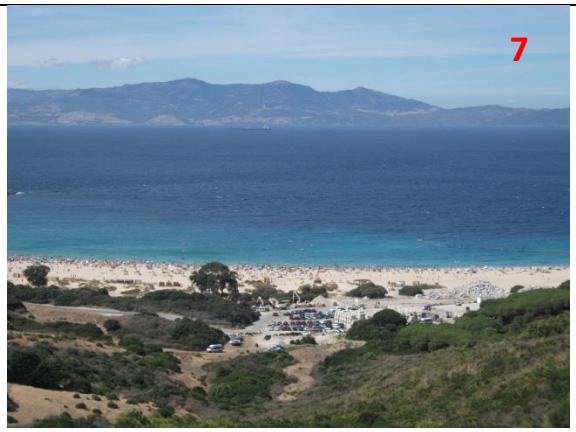




9


10

نظرا للمؤهلات الطبيعية والتاريخية التي يزخر بها المجال المدروس والتي تميزه عن باقي المجالات الترابية الأخرى، عمدت مجموعة من الجهات على استغلال هذه المؤهلات لجعل المنطقة سياحية بامتياز، وذلك عن طريق مجموعة من المشاريع كالفنادق كما توضح ذلك الصورة رقم 6 الملتقطة من واد أليان، في حين تعكس الصورة 8 أحد المآثر التاريخية التي لا زالت تشهد على تاريخ المنطقة العريق والذي ساهم بشكل غير مباشر في خلق دينامية سياحية مهمة وقد التقطت الصورة بمركز جماعة القصر الصغير، أما بالنسبة للصورتان 5 و7 فتعكسان المشهد الانتقالي المتمثل في الساحل والذي ساهم بشكل مباشر وعميق في الطفرة التي شهدتها المجالات الشمالية. أما الصورتان رقم 9 و10 فتوضحان بشكل جلي الإقبال الذي يشهده شاطئ القصر الصغير في فصل الصيف من قبل مختلف ساكنة المجال المغربي.

الصور بعدسة الطالب زكرياء بوشلوش؛ الصورتان رقم 5 و6 بتاريخ 11-07-2015، الصورة رقم 7 بتاريخ 15-08-2015، الصورة رقم 8 بتاريخ 04-06-2015، والصورتان رقم 9 و10 بتاريخ 12-08-2015.

لكن رغم ذلك فإن هذا القطاع لم يعرف انطلاقة حقيقية بهذه المنطقة، لأن مجمل الإمكانيات السياحية المتوفرة بجماعة القصر الصغير تصطدم بعدة إكراهات هيكلية تحد من الأثر الإيجابي لهذا القطاع، ويتمثل ذلك على الخصوص في ضعف بنية الاستقبال. يجب التذكير هنا إلى أن الجماعة لا تتوفر سوى على فندقين غير مصنفين ومخيم صيفي غير منظم فهذه البنيات غير كافية ولا تسمح باستقبال عدد مهم من السياح، وتوفير الخدمات الأساسية التي يتطلبها هؤلاء السياح. وعدم خلق تنوع في المنتوج السياحي يأخذ بعين الاعتبار المكون الطبيعي ويسمح باستقبال سياح حتى خارج الفترة الصيفية المحدودة ما بين نصف شهر يوليوز و أواخر شهر غشت من كل سنة. كما أن ضعف البنيات التحتية من طرق وخدمات اجتماعية وصحية تقلل من أهمية التنوع الإيكولوجي والطبيعي كرافد من شأنه تنشيط نوع آخر من السياحة إلى جانب الاستجمام الصيفي كالسياحة الجبلية والرياضية والثقافية.

خاتمة:

بصفة عامة، مجالنا المدروس آهل بالسكان وذو واقع سوسيو - مجالي وأنساق ثقافية خاصة، وهو مجال إلى حد ما فريد من نوعه، لا يتشابه ومميزات الأوساط الجغرافية، خاصة على مستوى الموقع الذي ينفرد به مع بعض التجمعات الترابية الأخرى المجاورة له (تغرامت، بليونش، البحراويين...) التي تشـــاركه نفس الصـــفة، بالمقارنة مع باقي الجماعات الترابية الوطنية. إنه مجال تتقاطع فيه أربعة أبعاد: البعد الجبلي، البعد الســـاحلي، البعد الضـــاحوي ثم البعد الحدودي بحكم قربه من مدينة سبتة المحتلة ومن شبه الجزيرة الإيبيرية. هذه الوضعية جعلت منه في السابق على وجه الخصوص مجال يتميز بنشاط التهريب بكل أنواعه بامتياز، من هنا يتضح لنا بشكل جلي الصفة التي يتمتع بها هذا المجال والتي بدأت تتغير مع التحولات التي عرفها منذ حوالي عقد ونصـــف من الزمن، ومع الدينامية التي لم تســـتقر بنيتها بعد إلى يومنا هذا التي تدخل في إطار مشـــروع ميناء طنجة المتوســـط. والمؤهلات التاريخية والطبيعية التي يتمتع بها هذا المجال إلى جانب البنيات التحتية. كلها عوامل ومؤهلات يمكنها أن تساهم في التنمية المحلية للجماعتين وتفتح فرص شغل جديدة للسكان وتصبح المنطقة ذات قيمة اقتصادية بجهة طنجة-تطوان–الحسيمة.

لائحة المراجع:

الكتب:

- الجماعة الترابية القصر الصغير، والمديرية العامة للجماعات المحلية، 2010، "منوغرافية جماعة القصر الصغير".

- العبدلاوي، محمد، (2005)،"المؤهلات السياحية بمنطقة الريف: واقعها، آفاق التطوير ومستلزمات الاستدامة"، ديناميات التحول والتنمية المستدامة في منطقة الريف، منشورات وزارة الثقافة، الحسيمة، المغرب.

الرسائل والأطروحات:

- ظريف، جواد، (2015)، "تدبير المخاطر الكتلية للسفوح حالة منطقة القصر الصغير (الريف، المغرب)"، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، مركز الدراسات في الدكتوراه: المجال، المجتمع والثقافة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، المغرب.

المقالات:

- أعشي، مصطفى، (2014)، "موقع القصر الصغير بين البحث الأثري والتنمية المحلية"، في: "الريف وإشكالية التنمية"، تنسيق آيت حمزة وآخرون، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 38، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، الصفحات 281-301.

- التازي، عبد الهادي، (2012)، "مدينة القصر الصغير من خلال التاريخ الدولي للمغرب" في: « *Ksar Seghir 2500 ans d'échanges intercivilisationnels en Méditerranée », Première Edition, Institul des Etudes Hispanos-Lusophoes, pp132 – 155*

دور الفاعلين المحليين في التحولات السوسيو مجالية بواحات باني المغربية: واحة تسينت نموذجا

The role of local actors in the socio-spatial transformations of the Moroccan Bani oases: the Tissint Oasis as an example

محمد ناسمي، طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر دينامية المشاهد والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان – بني ملال
Nsmimohamed511@gmail.com
محمد الراضي، أستاذ باحث، مسلك الجغرافيا، جامعة السلطان مولاي سليمان – بني ملال.
aradimohamed@gmail.com

الملخص: تشهد المناطق الواحية المغربية خاصة في العقود الأخيرة عدة تحولات تتخذ أبعادا متعددة، ولهذا تأتي هذه الدراسة للتركيز على التحولات الاجتماعية والمجالية في جزء من المجال الواحي المغربي، وهو واحات باني وبالضبط واحة تسينت، مع التركيز على الدور الذي يلعبه الفاعلون المحليون في إحداث عمليات التحول والتسريع من وتيرتها، بالإضافة إلى رصد أهم الإشكاليات المرتبطة بهذا التحول على واحة تسينت.

الكلمات المفتاحية: الفاعليين المحليين- التحولات السوسيو مجالية- وحات باني- واحة تسينت

Abstract:

The Moroccan oases, especially in recent decades, are witnessing several transformations that take on multiple dimensions, and for this this study comes to focus on social and spatial transformations in a part of the Moroccan oases area, which is the oases built and precisely in the Tissint oasis, with a focus on the role that local actors play in bringing about transformation processes And accelerate its pace, in addition to monitoring the most important problems associated with this transformation in the oasis of Tissint.

Keywords : local actors - socio-spatial transformations - Bani oases - Tissent Oasis

مقدمة:

تغطي الصحراء أكثر من ثلاثة أرباع من مساحة المغرب، إلا أنها لا تمثل بيئة واحدة بل تعتريها تباينات واختلافات، إذ لا توجد صحراء واحدة في المغرب بل صحاري متعددة ومتنوعة، وهو ما يفرض أنماط عيش متباينة، منها ما يتميز بالترحال والانتجاع، كما هو الحال في الصحراء الشرقية المتاخمة للقطر الجزائري، ومنها ما يتسم بنمط عيش واحي، كما هو الحال على طول نهري غريس وزيز بتافيلالت، أو على الجزء العلوي من حوض درعة، فيما يسمى بـ "لفام" وهي مجموعات من الواحات الممتدة على طول جبل باني .

كما هو الحال بالنسبة لواحة تسينت، التي كان لجداول المياه السطحية والمياه الباطنية دور كبير في إيجادها من جهة، بالإضافة إلى حسن تدبير الإنسان الواحي من جهة أخرى، نتيجة تجارة القوافل الصحراوية. إلا أن واحة تسينت في العقود الأخيرة وخاصة منذ تسعينيات القرن الماضي ستعرف تحولات اجتماعية ومجالية كبيرة خاصة مع بداية تراجع دور القبيلة وتزايد دور تدخل الدولة والفاعلين المحليين بها.

الخصوصيات الطبيعية والبشرية بواحة تسينت

في البداية لا بد لنا من وضع دراسة منوغرافية لواحة تسينت، للتعرف على المنطقة أولا وتمهيدا لدراسة الموضوع، وذلك بدراسة الجوانب الطبيعية لواحة تسينت، من خلال دراسة موضع وموقع الواحة، وخصائصها الطبوغرافية والتضاريسية، إضافة إلى دراسة مناخ الواحة ومواردها المائية. والجوانب البشرية لواحة تسينت؛ من دراسة المعطيات الديموغرافية للمنطقة، المعطيات السوسيو-إقتصادية، مميزات السكن.

مجال الدراسة

تقع واحة تسينت في الجنوب من الأطلس الصغير الشرقي، بين درعة العليا ودرعة الوسطى، وتأخذ موضع فج، إذ تحيط بها أعراف جبل باني التي تنفتح بينها عدة ممرات تسمى بـ" لفام "، في اتجاه من الشمال نحو الجنوب، وهو ما ساعد على وجود هذه الواحة هنا بالضبط، مما مكنها من أن تلعب دورا كبيرا كممر لقوافل التجارة الصحراوية في العصر الوسيط.

أما موقعها بالنسبة للإحداثيات الجغرافية فتقع تسينت في جنوب شرق إقليم طاطا، بين خطي طول، °7 و '30 و°7، غرب خط غرينتش، وبين دائرتي عرض، '30 و °29 و °30 شمال خط الاستواء[219]

وإداريا تقع واحة تسينت تحت نفوذ الجماعة القروية لتسينت، إقليم طاطا جهة سوس ماسة. وتحدها كل من الجماعات التالية:

[219] - الخريطة الطوبوغرافية تسينت سلم: 1/100000.

جماعتي أگينان وتليت في الشمال : إقليم طاطا.

الحدود المغربية الجزائرية في الجنوب: ----------

جماعة تليت في الشرق : إقليم طاطا .

جماعتي أگينان وآقا يغان في الغرب : إقليم طاطا.

خريطة رقم 1: موقع جماعة تسينت ضمن جماعات إقليم طاطا



المميزات الطبيعية:

1-2-1 الخصائص الطبوغرافية والتضاريسية لواحة تسينت:

الصورة رقم 1: تضاريس واحة تسينت



لقد عرفت واحة تسينت تغيرات مناخية طوال الزمن الجيولوجي الرابع، تحت تأثير مزدوج للتناوب المناخي، بين فترات مطيرة رطبة ومعتدلة الحرارة، وفترات بيمطيرة جافة وأكثر دفئا، وهو ما أثر في التشكيل المورفولوجي لتضاريس المنطقة، وأهم الأشكال التضاريسية بالمنطقة هي:

سلسلة جبال باني: وصفه المستكشف الفرنسي شارل دو فوكو بقوله "جبل باني ضيق جدا إنه عرف حاد، شفرة تنتأ من الأرض"[220]، وهو جزء من الأطلس الصغير الشرقي، يمتد على طول حوالي 1000 متر بشمال تسينت، يصل ارتفاعه إلى 1159 م (قمة جبل تاينزرو)، وهو يمتد على شكل عرف جبلي، منعرج وشديد التموجات، تشجه فجاج هي "الفام" الناتجة عن التعرية الانتقائية التي أتت على حساب الصخور الهشة. أما تكويناته الجيولوجية فهي كلسية ودولوميتية وكربوناتية وگرانيتية.

السهول الواسعة: وهي عبارة عن منخفضات بيجبلية واسعة منبسطة تمتد في جنوب منطقة تسينت، ويطلق عليها اسم "الفيجات"، وفي أغلبها مغطاة بالرواسب والأحجار والحصى، أما الرمال فقد أزيلت منها بفعل الرياح.

1-2-2 المناخ والموارد المائية بواحة تسينت:

[220] - شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883- 1884، ترجمة بلعربي مختار، دار الثقافة الدار البيضاء، 1999، ص 158.

المناخ: قبل 10 آلاف سنة كانت منطقة تسينت تعرف وقتئذ مناخ رطب، "والدليل على ذلك النقوش الصخرية والمواقع التي تعود إلى العصر الحجري الثاني"[221]، وقد تمت عملية التحول هذه - من منطقة مناخ رطب إلى مناخ شبه صحراوي - تدريجيا وامتدت عبر ثلاثة إلى أربعة آلاف سنة. ويسود بمنطقة تسينت حاليا مناخ شبه صحراوي وقاري جاف، شديد الحرارة صيفا، حيث تصل درجة الحرارة إلى ما بين (45° و48°)، مع هبوب العواصف الرملية الجنوبية، وبارد إلى شديد البرودة شتاء، إذ تنزل درجة الحرارة إلى أقل من 15° ويبلغ معدل التساقطات المطرية مابين 50 ملم و150 ملم سنويا.

الموارد المائية: يخترق واحة تسينت واد دائم الجريان، يبلغ صبيبه 400 لتر/ ثانية، هو أحد روافد واد درعة، ويحمل اسم واد العتيق أو واد تسينت، وهو يتشكل من ثلاثة مجار مائية، تلتقي كلها في منطقة عميقة تسمى الخنگ عند قرية آقا نيت سيدي. كما تتوفر الواحة "على فرشاة مائية باطنية غنية بالمياه الجوفية، غير أنها تعرف نسبة ملوحة كبيرة، باستثناء المنطقة الشمالية الشرقية التي توجد بها المياه العذبة".[222]

المميزات البشرية والسوسيو اقتصادية:

1-3-1 المعطيات الديموغرافية لواحة تسينت:

يمثل عدد سكان واحة تسينت حوالي 8 %، من مجموع سكان إقليم طاطا، حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014. حيث بلغ عددهم 9434 نسمة، بكثافة سكانية لا تتعدى 3.9 نسمة/ كلم2، ويفسر ضعف الكثافة السكانية بشساعة مساحة جماعة تسينت.

ويظهر من خلال تحليل معطيات الكثافة السكانية، أن الدواوير القريبة من المركز تعرف كثافة سكانية مرتفعة، وذلك راجع لتواجد التجهيزات والأراضي الصالحة للزراعة والمياه. والتي كانت سببا رئيسيا في ارتفاع الكثافة السكانية بهذه الدواوير. عكس الدواوير البعيدة عن المركز التي تعرف كثافة سكان ضعيفة وذلك راجع لضعف الموارد الطبيعية، وصعوبة العيش بهذه الدواوير، إضافة إلى الإفراغ المجالي التي تعرفه هذه الدواوير بسبب الهجرة القروية نحو المدن الكبرى والمتوسطة، للبحث عن فرص للعمل وتحسين الوضعية السوسيو- اقتصادية.

كما يعرف توزيع السكان تفاوتا حسب متغيري السن والجنس، إذ تتميز تسينت بتشبب ساكنتها إضافة إلى ارتفاع طفيف لنسبة الذكور عن نسبة الإناث. وهذا ما يوضحه هرم الأعمار أسفله.

---

[221] - محمد خطابي وشفيق أرفاك، تقديم: لماذا واحات باني، ورد في أعمال ندوة واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية، 1999، ص 23.

[222] - منوغرافية جماعة تسينت.

الشكل رقم 1: هرم أعمار ساكنة تسينت (إحصاء 2014)

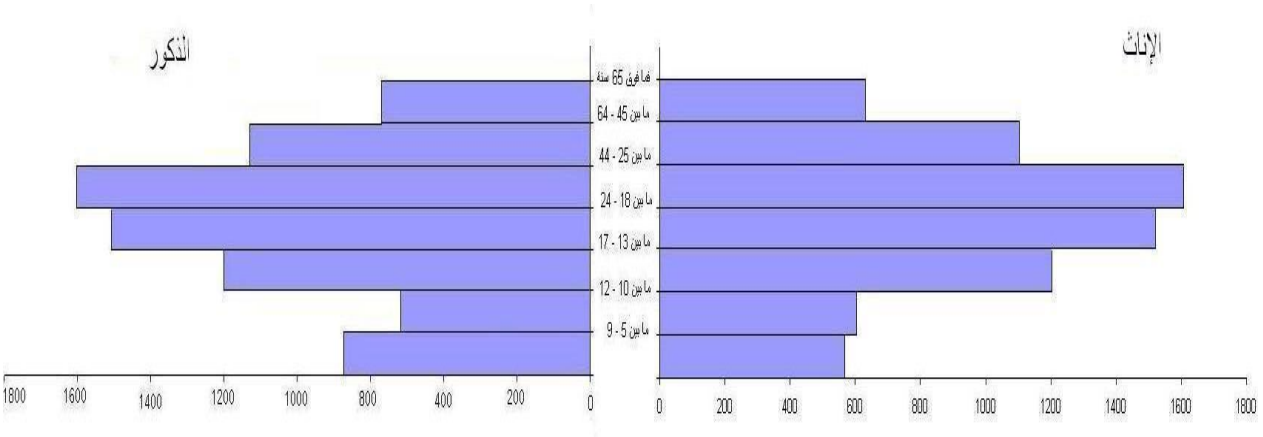

المصدر: إستمارة المخطط الجهوي لتنمية الاقتصاد الاجتماعي بتصرف

2-3-1 المعطيات السوسيو اقتصادية لواحة تسينت:

من المعلوم أن معرفة الوضعية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب ملامسة أهم القطاعات التي تضم مختلف الأنشطة وأهمها القطاع الأول: الذي يتكون من الفلاحة. وكذا القطاع الثاني والذي يتكون من الصناعة التقليدية، بالإضافة إلى القطاع الثالث الذي يضم التجارة ومختلف الخدمات المرتبطة بها. ويعتبر القطاع الاقتصادي الأول أي الفلاحة أهم القطاعات الاقتصادية بمنطقة تسينت باعتباره يضم أكبر عدد من اليد العاملة، ويأتي في المرتبة الثانية القطاع الاقتصادي الثالث أي التجارة والقطاع الثاني المتمثل خاصة في قطاع الصناعة التقليدية.

الفلاحة: تستقطب الفلاحة نسبة كبيرة من لليد العاملة من سكان واحة تسينت، بحكم وفرة المياه ووجود واحات شاسعة للنخيل. ويعتبر الانتاج الزراعي المورد الرئيسي للسكان، وخاصة إنتاج التمور والذي يبلغ معدل الانتاج السنوي للنخلة 35 كيلو غرام للنخلة. وإلى جانب إنتاج التمور يقوم السكان كذلك بإنتاج مزروعات أخرى كما هو مبين في الجدول التالي:

الجدول رقم 1: أهم المنتوجات الزراعية بمنطقة تسينت

أنواع المزروعات	المساحة المزروعة بالهكتار	حجم الانتاج بالطن
أشجار النخيل	100000	**6000**
الحبوب	410	**878**
القطاني	08	**20**
الخضروات	**120**	**1520**

المصدر: إستمارة المخطط الجهوي لتنمية الاقتصاد الاجتماعي، بتصرف.

إلا أن النشاط الزراعي بواحة تسينت يعرف عدة صعوبات، أهمها :

طبيعة البيئة الصحراوية للمنطقة المتميزة بقلة التساقطات، فقر التربة وضعف سمكها وقوامها، اكتساح الجراد خاصة في السنوات الأخيرة، ارتفاع نسبة ملوحة المياه المستعملة في السقي ...، مما نجم عنها ضآلة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، حيث تقدر بـ: 7000 هكتار منها حوالي 1400 هكتار مسقية و5600 هكتار بورية. وبالتالي ضعف الانتاج الزراعي الذي لا يكفي لسد الحاجيات الاستهلاكية لسكان الجماعة، مما يضطرها إلى تلبية حاجياتها الغذائية من مدينة أكادير. وبموازاة الزراعة تعرف المنطقة تربية المواشي، التي هي الأخرى تعرف عدد رؤوس ضعيف، مما جعل مساهمتها في إنتاج اللحوم والألبان ضعيف جدا.

الصناعة التقليدية: تزاول ساكنة تسينت عدة حرف يدوية مثل صناعة الألبسة التقليدية و"الأواني الخزفية والمعدنية، والحلي والقفاف المصنوعة من سعف النخيل، بالإضافة إلى نسج الزرابي والطرز والخياطة، وصناعة الأدوية التقليدية في إطار ممارسة الطب التقليدي المعتمد على الأعشاب، وهي حرفة تشتهر بها المنطقة"[223]. هذا إضافة إلى صناعة الحلويات والخبز والكسكس المفتول من جمعيات نسوية. إضافة إلى استخراج الملح من بلدة تغيت. إلا أن هذه الحرف مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي تعرفها المنطقة، بدأت تعرف تراجعا واضمحلالا بسب منافسة المواد الصناعية الواردة على المنطقة من المدن الكبرى رخيصة الثمن، وتغير العادات الاستهلاكية من جهة أخرى.

[223] - أوسديد مبارك، تيسينت، معلمة المغرب، ج 8، ص 2701.

التجارة: يوجد بواحة تسينت سوق أسبوعي يقام كل يوم أحد، والذي يعتبر نقطة تزود سكان الدواوير التابعة لجماعة تسينت بحاجاتهم الضرورية الأسبوعية، وتزداد أهمية السوق عند موسم جني التمور، "حيث يتم تسويق التمور نحو المدن الكبرى المجاورة، كأكادير وگلميم، مراكش"[224] ، ويبلغ عدد الدكاكين التابعة لجماعة تسينت ما مجموعه 133 دكان، بالإضافة إلى أزيد 20 دكان للخواص. إلا أن الملاحظ أن قطاع التجارة بمنطقة تسينت لازال ضعيفا كما ونوعا، وذلك نظرا لبعد المنطقة عن الحواضر الكبرى. حيث تفتقر المنطقة إلى أبسط الضروريات من المواد الاستهلاكية، هذا إضافة إلى ارتفاع أثمان المواد المروجة.

3-3-1 مميزات السكن بواحة تسينت:

يدخل سكن واحة تسينت ضمن السكن الريفي الخاص بالواحات والمناطق الصحراوية، والمعروف بتكيفه مع شروط الوسط البيئي الصحراوي. ومن أنواع السكن الموجودة؛ المنازل المبنية باللوح (التابوت)، والتي تتميز بمواد بنائها التي يغلب عليها مادة الطين، وبباسطة أساليبها المعمارية. أما داخل المنازل فيكون مغلقا نحو الخارج مع انفتاح نحو الأعلى. إضافة إلى النوع الأول من السكن. توجد الخيام التي يقطنها العرب الرحل.

صوررقم 2: مميزات السكن بواحة تسينت



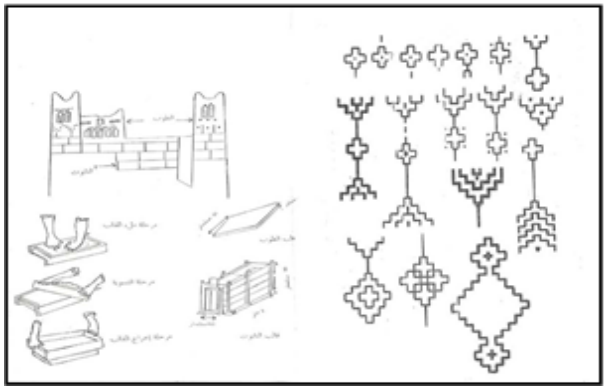

لكن في السنوات الأخيرة عرف السكن بواحة تسينت عدة تحولات موازية للتحولات السوسيو اقتصادية، والتي همت إما تجديد السكن التقليدي مع إدخال عدة تعديلات تمس الهندسة ومواد البناء المستعملة، أو ببناء سكن جديد يغلب عليه الطابع الحضري، وذلك من حيث الأهمية وحجم المساحة المبنية، أو من حيث مواد البناء (استعمال الآجر، الإسمنت

[224] - منوغرافية جماعة تيسينت.

المسلح..)، أو بإدخال التقنيات والهندسة المعمارية والزخارف حديثة، (الاهتمام بالواجهة، انفتاح السكن نحو الخارج من خلال الشرفات أو بناء النوافذ الكبيرة المشرفة على الطريق، استعمال الألوان المثيرة للنظر، وكذلك استعمال الزليج في تزيين داخل المنزل...)، كما نلاحظ أن هذه المساكن تسعى إلى الاستقرار خاصة على طول الطريق الرئيسي بمركز واحة تسينت.

صوررقم 3: التحولات التي يعرفها السكن بواحة تسينت



وقد أدى هذا التحول إلى تراجع السكن المبني بالتابوت في الجماعة الذي أصبح يمثل فقط 30 %، بينما نجد تزايدا للسكن المبني بمواد البناء الحديثة، والذي أصبح يمثل حوالي 70 %.

الشكل رقم 2: أنواع السكن حسب نوعية مواد البناء

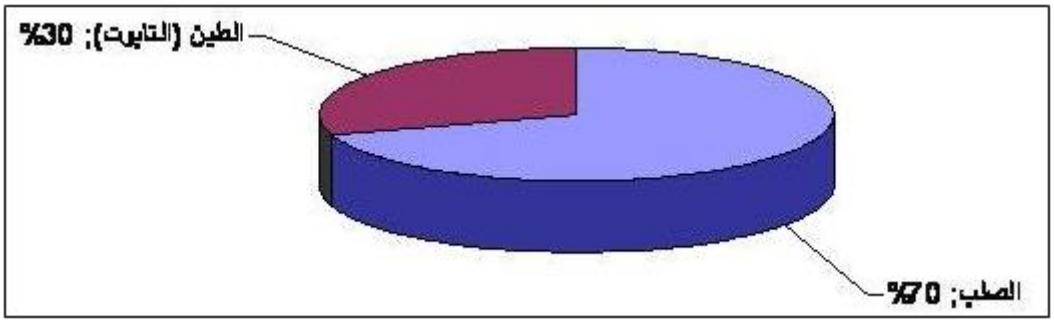

المصدر: إستمارة المخطط الجهوي لتنمية الاقتصاد الاجتماعي، بتصرف.

إلا أن تعويض مواد البناء الحديثة بمواد البناء التقليدية، له عدة عواقب سلبية على العيش داخل هذه المساكن، وخاصة من الناحية الميكرو مناخية، إذ ترتفع درجة الحرارة داخل المساكن عند ارتفاع درجة الحرارة، والعكس هو الحاصل عند انخفاض درجة الحرارة بالمنطقة. وهو عكس ما كانت توفره مواد البناء التقليدية - خاصة الطين - إذ كان يوفر العزل للمساكن أمام التغيرات في درجات الحرارة.

دورالفاعلين المحليين في التحولات السوسيومجالية بواحة تسينت:

في إطار سياسة اللامركزية واللاتركز التي نهجتها الدولة لتفويض جزء من سلط الدولة للمواطنين المحليين، فقد تم خلق المجالس الجماعية. وفي إطار هذه الحركة تم تأسيس المجلس الجماعي يتسينت، الذي قام بمجموعة من التدخلات التي همت المجال والمجتمع ، هذا إضافة إلى تأسيس مجموعة من الجمعيات بالمنطقة، كشريك استراتيجي للدولة في تحقيق مجموعة من المشاريع التنموية، كما اعتبرت أيضا أداة فعالة في ترسيخ مبادئ التعاون والتضامن.

1-2 تدخلات المجلس الجماعي في التحولات الاجتماع- مجالية بواحة تسينت:

1-1-2 في المجال الاجتماعي والثقافي:

إن الميثاق الجماعي منح الجماعات المحلية طبقا للمادة 41، عدة صلاحيات للتدخل في الميادين الاجتماعية والثقافية والتعليمية؛ من تدبير إقامة وصيانة المؤسسات التعليمية والمراكز الاجتماعية والثقافية والرياضية والمراكز النسوية، ومآوي العجزة، ودور الشباب، ومساندة ودعم الجمعيات النشيطة، وذلك لتلبية حاجات جميع شرائح المجتمع، ولتنمية روح العمل الجماعي والمواطنة. وفي هذا الإطار فجماعة تسينت تتوفر على دار للشباب تحمل اسم "دار الشباب العربي بن امبارك " تكريما لابن المنطقة لاعب كرة القدم الدولي السابق، وهي تقع بمركز الجماعة.

صورة رقم 4: دار الشباب العربي ابن امبارك



وتقوم دار الشباب بعدة أنشطة ترفيهية وتثقيفية لساكنة مركز تسينت، كما تنشط بها عدة جمعيات وأندية تربوية. وقد تعززت بإنشاء مكتبة صغيرة بعد عقد اتفاقية بين المجلس الجماعي لتسينت والمندوبية الإقليمية لوزارة الثقافة، إذ يلتزم فيها الطرف الأول بتوفير الموارد البشرية، بينما يلتزم الطرف الثاني بمد المكتبة بالمراجع والمخطوطات، وبتوفير دورات تكوينية في علم المكتبات، وتهدف هذه الخطوة إلى تطوير العمل الثقافي، باعتباره ركنا أساسيا في التنمية الشاملة محليا ووطنيا.

أما في الجانب الثقافي فتنشط بالجماعة القروية لتسينت حوالي 32 جمعية، تتعدد أنشطتها واهتماماتها. وتتجلى علاقة الجماعة بالجمعيات المحلية، في تنسيق الجماعة بين الجمعيات وبين بعض المنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى تقديم الدعم التقني لبعضها أثناء إنجازها لبعض المشاريع بالمنطقة التي تنشط بها. كما أن الجماعة وفي سياق تشجيعها للعمل الجمعوي تقدم دعما ماديا للجمعيات الأكثر نشاطا بالمنطقة، المبالغ تبقى المبالغ المقدمة للجمعيات متواضعة نظرا لضعف ميزانية الجماعة المحلية. ويبين الجدول أسفله الجمعيات المستفيدة من الدعم الجماعي لجماعة تسينت.

الجدول رقم 2: الجمعيات المستفيدة من الدعم الجماعي

اسم الجمعية	الدوار	مبلغ الدعم	رقم الحوالة
الوحدة	تغيت	3000 درهم	357
الأمل النسوية	آيت ويران	2000 درهم	358
الأمل	امغيميمة	2000 درهم	359
النخيل	مركز تسينت	3000 درهم	360
الزاوية	الزاوية	2000 درهم	361
المجموع	5	120000	5

المصدر: مصلحة الميزانية، بتصرف

وتعتبر عملية دعم الجمعيات التنموية من قبل المجلس الجماعي مسألة إيجابية، لما لها من أهمية في تذليل بعض المشاكل التي تعيشها الجمعيات، وتحفيز العمل الجمعوي للعب أدوار فعالة في تنمية المجتمع والمجال الواحي.

2-1-2 في مجال الصحة والبيئة المحلية:

إن الحفاظ على الصحة والبيئة دور هام في حياة الفرد والمجتمع، وتقوية وتنمية الرأسمال البشري، ووعيا بهذه الأمور فقد كلفت الدولة المجالس الجماعية القروية بالسهر على صحة المواطنين وذلك بضمان الوقاية والنظافة وحماية البيئة، ولأجل ذلك فقد كلف المجلس الجماعي لجماعة تسينت كباقي المجالس الجماعية، ووفق المادة 40 من الميثاق الجماعي بتداول ما يلي:

الحفاظ على جودة الماء وخاصة الماء الصالح للشرب، والمياه المخصصة للسباحة.
محاربة عوامل انتشار الأمراض المعدية.
تصريف ومعالجة المياه العادمة ومياه الأمطار.
محاربة جميع أشكال التلوث والاخلال بالبيئة والتوازن الطبيعي.
ولتنفيذ هذه المقتضيات فقد منح المجلس الجماعي وفق المواد 39 و40 و43 من الميثاق الجماعي الاختصاصات التالية:

يقرر المجلس الجماعي إحداث وتدبير المرافق العمومية، ومنها التزود بالماء الصالح للشرب وتوزيعه، وتطهير السائل، جمع الفضلات المنزلية والنفايات.

يسهر المجلس الجماعي على ضمان الوقاية الصحية والنظافة وحماية البيئة.

يمارس المجلس الجماعي، داخل النفوذ الترابي للجماعة الاختصاصات التي يمكن أن تنقلها إليه الدولة، ومنها إحداث وصيانة المستوصفات والمراكز الصحية ومراكز العلاج[225].

وفي هذا الصدد فقد عقد المجلس الجماعي لتسينت اتفاقية شراكة مع المندوبية الإقليمية لوزارة الصحة بإقليم طاطا، من أجل المراقبة والمحافظة على نظافة وجودة الماء الصالح للشرب بالجماعة. كما تم إحداث مركز صحي[226] بمركز الجماعة، ومستوصفين الأول بدوار امغيممة والثاني بدوار القصبة، يشرف عليهم طبيب و5 ممرضين ومولدة.

صورة رقم 5: المركز الصحي لجماعة تسينت



[225] - المملكة المغربية، القانون المتعلق بالميثاق الجماعي رقم 08 17، منشورات مركز الاتصال والنشر، 2009.

[226] - المركز الصحي: هو أول تشكيلة صحية قروية، يوجد بها طبيب ويستقر بمقر الجماعة، ويؤطر المركز الصحي عدد من المستوصفات التابعة له (أنفلوس محمد، بتصرف).

ويمكن الإشارة إلى أن التغطية الطبية تبقى ضعيفة بالمنطقة مقارنة مع المستوى الوطني إذ يوجد 2860 نسمة لكل طبيب، مقابل 9836 نسمة لكل طبيب بواحة تسينت، إضافة إلى ضعف البنية التحتية الصحية بالمنطقة، وهو ما يضطر معه الساكنة للتنقل إلى المدن الكبرى لتلقي العلاج.

وعلى الرغم من ذلك فقد ساهمت هذه البنية الصحية من في الحد من الأوبئة والأمراض المعدية التي كانت متفشية بالمنطقة كالتهاب السحايا والرمد الحبيبي، وذلك بفضل عمليات التلقيح والمتابعة الطبية. وهو ما ساهم في التحول المرضي بالمنطقة، إذ تراجعت الأوبئة لصالح الأمراض المزمنة. والتي من أهمها بالجماعة: "أمراض الجهاز الهضمي (المعدة، القولون)، أمراض الجهاز البولي والتناسلي، أمراض الدورة الدموية (الضغط المرتفع، الضغط المنخفض)، أمراض الجهاز التنفسي والآذان والحنجرة خاصة عند الأطفال، مرض السكري، أمراض العيون وخاصة تراكوما أو الجلالة"[227].

أما بالنسبة لمسألة تصريف ومعالجة المياه العادمة ومياه الأمطار، ومحاربة جميع أشكال التلوث والإخلال بالبيئة. فإن جميع المجالس الجماعية التي تناوبت على إدارة جماعة تسينت لم تستطع إيجاد حلول لهذه المشاكل البيئية، إذ لحد الآن لا تتوفر الجماعة على تجهيزات الصرف الصحي، وهو ما يلجأ بسكان إلى إقامة حفر لمساكنهم تصرف فيها مياه الصرف الصحي، وهو ما له انعكاسات سلبية في تلويث سديمة المياه الباطنية. كما أن الجماعة تسينت لا تتوفر على مطارح لجمع النفايات المنزلية، مما أدى إلى ظهور عدة نقط عشوائية لرمي الأزبال، وسط المساكن وعلى ضفاف نهر تسينت، الأمر الذي يسهم في زيادة التلويث وانتشار الأمراض، وتشويه المنظر العام للواحة.

3-1-2 التجهيزات العمومية بجماعة تسينت:

قام المجلس الجماعي بمنطقة تسينت بعدد من التدخلات التي تهم توفير التجهيزات العمومية الضرورية وتزويد المنطقة بالبنية التحتية اللازمة، وذلك عن طريق ربط اتفاقيات شراكة مع مؤسسات عمومية وشبه عمومية وحتى خاصة، وذلك وفقا للمواد 39 و42 و43 من الميثاق الجماعي، وهو ما أحدث تحولا في المجال الواحي التسينتي، أثر بدوره في التحول الاجتماعي بالمنطقة. وأغلب البنيات التحتية المقامة بمنطقة تسينت ابتدأت في تسعينيات القرن العشرين، تماشيا مع السياسة الحكومية في فك العزلة عن العالم القروي.

الطرق: نظرا لصعوبة الظروف الطبيعية وقلة الموارد الطبيعية المتاحة للاستغلال، لم يتشجع المستعمر الفرنسي، وبعده دولة الاستقلال على إقامة طريق معبدة بمنطقة تسينت ولإقليم طاطا عامة، لتبقى المنطقة معزولة عن محيطها، ويبقى الحال على ما هو عليه إلى تسعينيات القرن العشرين من خلال مخطط الدولة في فك العزلة عن العالم القروي. وبذلك

[227] - استمارة المخطط الجهوي لتنمية الاقتصاد الاجتماعي.

سيتم شق طريق معبدة على طول 69 كلم تخترق مجال جماعة تسينت في سنة 1993[228]، وهي جزء من الطريق الوطنية رقم 12، الرابطة بين الريصاني وسيدي إفني.

أما بالنسبة لباقي للدواويرالتابعة لجماعة تسينت فهي موصولة بمسالك طرقية غير معبدة، تتميز بحالتها المتدهورة وكثرة انقطاعاتها في فصل الشتاء وخاصة عند فيضان نهر تسينت، حيث تهدّم القناطر التي تصل بينها.

ولهذا فإن ترميم المسالك الطرقية القروية يعد أساسيا بالنظر إلى أهميتها في فك العزلة عن العالم القروية ودفع بعجلة التنمية، ووعيا بهذه القضية فإن سكان هذه الدواوير يؤخذون بزمام المبادرة عند تلف المسالك الطرقية التي تربطهم بدواويرهم، "إذ يعمل السكان أنفسهم على القيام بالإصلاح دون انتظار المجلس الجماعي؛ كما حدث مع (دوار الزاوية)، إذ قام السكان بالاتصال مباشرة بمديرية التجهيز بإقليم طاطا من أجل إصلاح الطريق الرابطة بين مركز الجماعة ودوار الزاوية في شقه الغير المعبد"[229]. وكما وقع أيضا يوم 2010/02/18، عندما حدث فيضان نهر تسينت ودمر جزء من القنطرة والطريق الرابطة بين المركز ودوار أيت ويران، حيث عمل السكان على إصلاح جزء من الطريق المتضرر.

وعلى الرغم من ذلك فإن الطريق تلعب دورا كبيرا في إحداث مجموعة من التحولات داخل جماعة تسينت، تمثلت بالخصوص في خلق نوع من التبادل والتواصل المادي مع المراكز الحضرية وبالخصوص مدينة طاطا وگليميم وأگادير وورزازات، كما مكنت كذلك من فتح آفاق جديدة وتحقيق تواصل اجتماعي وثقافي وتنشيط الحركة الاقتصادية.

الكهرباء: في إطار مصادقة مجلس الحكومة، على مخطط الكهربة القروية الشاملة (PRGE)، الممول أشغاله بالشراكة بين الجماعات والسكان والمكتب الوطني للكهرباء، بتاريخ 2 غشت 1995، والذي مكن من الإسراع في كهربة العالم القروي وتعميمها على جميع المساكن القروية في أفق 2010، عقدت الجماعة القروية لتسينت في سنة 2000 اتفاقية مع المكتب الوطني للكهرباء يتم بموجبها تزويد ساكنة الجماعة بالطاقة الكهربائية. وقد استفادت الجماعة من الكهرباء وذلك عبر عدة مراحل. كما هو مبين في الجدول التالي:

[228]- وثائق من جماعة تسينت.

[229] - العزاوي العدناني والواد عبد العالي، التنمية المحلية في المحك الجماعة القروية تسينت 'نموذجا' بحث لنيل الإجازة في القانون العام، 2006/2005

جدول رقم 3: مراحل استفادة الدواوير من الكهرباء

المرحلة	الدواوير المستفيدة
الأولى	مركز تسينت، الزاوية، تغيت، تنزيضة
الثانية	آقا نيت سيدي
الثالثة	تزنوت، بني موسي
الرابعة	آيت ويران
الخامسة	امغيميمة

اتفاقية الجماعة والمكتب الوطني للكهرباء

ووفق هذه الاتفاقية تلتزم جماعة تسينت بوضع الأراضي اللازمة لإنجاز المشروع رهن إشارة المكتب الوطني للكهرباء، وفي حال عدم امتلاك هذه الأراضي، فيتعين عليها الحصول على الرخص اللازمة لمرور الخطوط وإنجاز المنشآت المتعلقة بالمشروع[230]. كما أن الجماعة ساهمت بدفع ما مقداره 500 درهم عن كل مسكن كل سنة للمكتب الوطني للكهرباء، إبتداءا من مارس 2000 إلى غاية مارس 2008، أما المكتب الوطني للكهرباء فإنه يلتزم بالسهر على إعداد الدراسات مع إنجاز مراقبة جميع الأشغال الضرورية لكهربة الدواوير التي توجد تحت نفوذ جماعة تسينت، كما يتكلف أيضا بضمان استغلال وصيانة التجهيزات الكهربائية للمنشآت المنجزة طبقا لمقتضيات دفتر التحملات. كما أنه يتحمل واجب التنبر.

الجمعيات ودورها في التحولات السوسيو مجالية بواحة تسينت:

في منطقة تسينت عرفت الحركة الجمعوية انطلاقة كبرى خلال سنوات التسعينيات وبداية القرن الحالي، يترجم ذلك تكاثر الجمعيات والتعاونيات مما يعكس الدينامية الجديدة للمجتمع المدني التسينتي الذي يحاول سد نقائص الدولة في ميادين متعددة بشكل تشاركي تفاعلي بين كافة الأطراف المعنية. إضافة إلى أن هذه الجمعيات تعتبر تنظيمات حديثة، حلت محل التنظيمات القديمة بتسينت المتمثلة في القبيلة والجماعة وغيرها من التنظيمات التي كانت تعتمد على العرف والعادات في تسيير أمور مجتمعها ومجالها الواحي. وبذلك فهي تحضى بأهمية قصوى في كل عمل تنموي يستهدف النهوض بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، باعتبارها قريبة من السكان وتمثل امتدادا للمؤسسات والروابط، فهي إذن

[230] - البند السادس من الاتفاقية.

تصل القديم بالحديث. ويبلغ عدد الجمعيات والتعاونيات بمنطقة تسينت حوالي 32 جمعية وتعاونية، لكن هذه الجمعيات تتوزع بشكل متباين عبر تراب جماعة تسينت، إذ تعرف تركزا بمركز تسينت وخاصة دوار أگادير تسينت،

2-2-1 التدخل في المجال الواحي لتسينت:

نظرا لضعف البنية التحتية والتنمية الفلاحية بواحة تسينت، فإن هناك مجموعة من جمعيات المنطقة، ضمنت ضمن أهدافها المساهمة في إحداث بنية تحتية والتدخل في المجال الفلاحي للواحة وذلك من خلال:

صيانة عيون المياه والآبار. (جمعية دوبلال للتنمية والتعاون).
السهر على تسيير شبكة الماء الصالح للشرب وضمان جودة الخدمات للساكنة. (جمعية الوحدة بدوار تغيت).
صيانة السواقي وحماية واحات النخيل. (جمعية أگادير تسينت للتنمية).
غرس الأشجار المثمرة (جمعية أماريغ للأغراض الفلاحية والتنمية).
فك العزلة عن دوار القصبة؛ بتجهيز الدوار بالتجهيزات التي تضمن الاستقرار البشري "الماء الصالح للشرب، الكهرباء، الهاتف"، (جمعية أگارف للتنمية والتعاون).
الماء، البيئة (جمعية بني موسي للتنمية الفلاحية والاجتماعية).
العمل على خلق مرافق ذات منفعة عامة (جمعية المستقبل للتنمية تزنوت).
إحداث مرافق وتجهيزات اجتماعية (جمعية ركراگة الزاوية).
إلا أن الملاحظ هو أن هذه النقاط في أغلبها تبقى حبرا على ورق باستثناء المساهمة في تدبير توزيع الماء وذلك لتدبير المياه الصالحة للشرب وكذا مياه الري، خاصة وأن الفلاحة تعتبر أهم نشاط اقتصادي لأغلب ساكنة المنطقة، مما دفع بالجمعيات إلى التركيز على هذا العنصر. وهكذا توجهت الجهود نحو حفر الآبار وصيانة قنوات الري، أكثر من ذلك ظهرت ممارسة جديدة بالمنطقة تتمثل في الشراكة مع المكتب الوطني للماء الصالح للشرب في ربط مجموعة من الدواوير بشبكات محلية لتوزيع الماء الشروب.

ويعود ضعف مساهمة الجمعيات في إنجاز المشاريع المتعلقة بالبنية التحتية، إلى ضعف إمكانياتها المادية واللوجيستيكية والتقنية.

2-2-2 في الميدان السوسيو اقتصادي:

على اعتبار منطقة تسينت من المناطق الصعبة وقليلة الموارد، بسبب طبيعتها الصحراوية، هذه الوضعية جعلت الدولة تبحث عن شريك يساعدها في تنمية مثل هذه المناطق، فكان اختيار فعاليات المجتمع المدني وخصوصا الجمعيات

التنموية، قصد النهوض بواقع المنطقة اقتصاديا واجتماعيا، ولهذا الغرض فقد تأسست بمنطقة تسينت مجموعة من الجمعيات التي تولي اهتماما بالموضوع، والإسهام في المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أعلنت عليها الدولة في سنة 2005.

وتعمل هذه الجمعيات على إيلاء اهتمام كبير بالمرأة القروية من خلال تحسين وضعيتها الاجتماعية و الاقتصادية و ذلك عن طريق بعض الأنشطة المدرة للدخل بتشجيع الإنتاج المحلي، ومن أهم الأنشطة التي تزاولها النساء بهذه الجمعيات إنتاج الخبز، الحلويات، الكسكس المفتول؛ (مثل جمعية دوبلال للتنمية والتعاون...)، الذي يتم تسويقه بالمنطقة أو إلى إقليم طاطا، والصناعة التقليدية و خاصة نسج الزرابي؛ (جمعية النهضة، جمعية الأمل، جمعية تنمية آقا نيت سيدي، جمعية أنكيگ....)، التي تعمل على تسويق منتجاتها عبر المعارض المحلية والاقليمية والوطنية، هذا إضافة إلى تطوير تربية الماعز والدمان ، والدواجن؛ (جمعية النجاح، جمعية أفوس غفوس...).

كما تضع (جمعية بني موسي للتنمية الفلاحية والاجتماعية) من أهدافها مساعدة منخرطيها من ساكنة دوار بني موسي في إنجاز مشاريعهم الفلاحية والاقتصادية، وحاليا هناك عدد من الجمعيات التي تهتم بالتراث المحلي مثل جمعيات (جمعية السلام للتراث والتنمية، جمعية الزاوية للتربية والثقافة والرياضة والأعمال الاجتماعية والتنموية...)[231] والتي تعمل على حمايته وتطويره، من أجل استغلاله في مشاريع سياحية، التي يمكنها أن تساهم في تنمية المنطقة.

3-2-2 في الميدان الثقافي والتعليمي:

يعتبر الميدانين الثقافي والتعليمي من الميادين التي لا تخفى أهميتها على أحد، لهذا تعمل الجمعيات بواحة تسينت على جعل هذين الميدانين ضمن انشغالاتها، وبمجيء هذه الجمعيات حمل معه تفعيل الساحتين الثقافية والتعليمية بالمنطقة، بالنسبة للميدان الثقافي تعمل الجمعيات على تنظيم الندوات واللقاءات والتي تناقش مواضيع مختلفة تهم حقول معرفية متعددة، أو لتعريف ببعض القضايا الوطنية أو المحلية، والتي يتم تنشيطها بمشاركة تلامذة وأساتذة المؤسسات التعليمية، أو في شخص الأندية التربوية الفاعلة.

ثقافيا دائما تقوم بعض الجمعيات بالمساهمة بعدة أنشطة في المناسبات الوطنية والدينية، من خلال المشاركة في تنظيم وتنشيط هذه المحطات، وخاصة في ذكرى المولد النبوي حيث يقام أشهر موسم بالمنطقة وهو موسم عبد الله بن امحند بالزاوية.

[231] - تم الاعتماد على القوانين الأساسية للجمعيات الناشطة بمنطقة تسينت.

وعلى اعتبار المنطقة عرفت تعميرا منذ فترة ما قبل التاريخ، إضافة إلى تعدد ثقافات المنطقة (عربية، إفريقية، أمازيغية)، مما جعل الجمعيات تولي اهتماما كبيرا بالحفاظ على التراث المتنوع الذي تزخر به تسينت وذلك عن طريق:

التعريف بالموروث الثقافي الأصيل للمنطقة.

تجميع التراث الشفهي والمادي وتوثيقه لصيانته من الضياع.

الاهتمام بالمآثر التاريخية التي تزخر بها المنطقة.

الكشف عن المناطق الأثرية ومحاولة إصلاحها، مع إبرازها على المستويين الدولي أو الوطني..

الاهتمام بالتراث الفني.

الاهتمام بالثقافة والتراث الأمازيغيين.

الاهتمام بالتراث الشعبي العربي وإنشاء معارض للتعريف به[232].

وبالنسبة للميدان الرياضي، فباستثناء إقامة بعض الدوريات في كرة القدم ومسابقات للعدو فإن المجال الرياضي يبقى ضعيفا في منجزات الجمعيات.

إشكاليات التحولات السوسيو مجالية بواحة تسينت:

1-3 بروز أزمة القيم:

كان المغاربة ومنهم ساكنة تسينت، يستمدون أهم قيمهم من التراث العربي الإسلامي ومن التراث الأمازيغي، ومن العادات والتقاليد والأعراف الجماعية والقبلية الخاصة.

[232] - القوانين الأساسية لجمعيات (السلام، ركراكة، الزاوية، تنمية دوار آقا نيت سيدي، دوبلال للتنمية والتعاون)

الخطاطة رقم 1: أنواع القيم المغربية

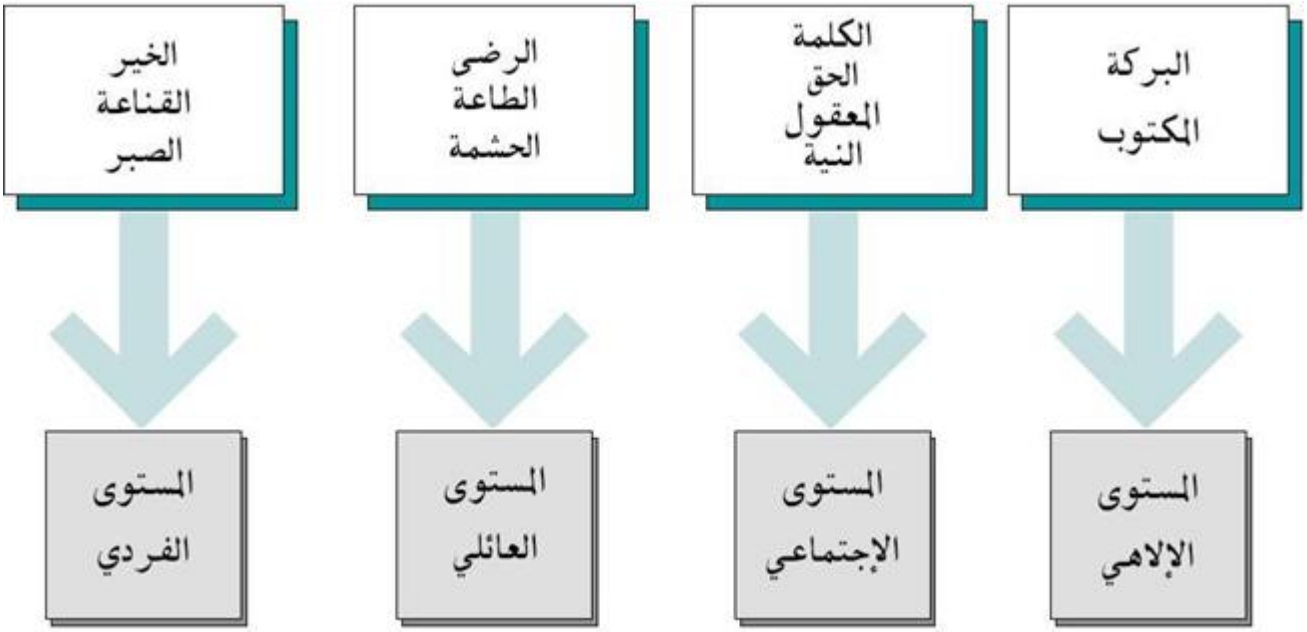

المصدر: المغرب الممكن 50 سنة من التنمية البشرية و آفاق سنة 2025.

إلا أن هذا النظام الذي ترسخ عبر الزمان وتغذى باستمرار من الداخل سيعرف خلخلة بداية عند الاتصال بالاستعمار من خلال إدخال هذا الأخير لقيمه. وستزيد هذه الخلخلة في مرحلة ثانية مع دولة ما بعد الاستقلال لإضعاف المؤسسات التقليدية وفي مقدمتها "القبيلة" حتى تحل محلها وتمد نفوذها على جميع التراب الوطني، لهذا تم خلخلة القيم التقليدية بواسطة مجموعة من التدخلات أهمها:

تعليم الجماهير الذي مس بشكل جزئي شريحة من الشباب.
الدخل والشغل اللذان ساهما في استقلالية عن الأسرة الممتدة، وبذلك ظهور طموحات جديدة، رافقتها قيم جديدة.
إقامة موظفي الدولة بالمنطقة واحتكاكهم بالساكنة، مما يجعل الأخيرين ينفتحون على قيم متنوعة من المغرب.
الحركية المجالية من خلال الهجرة القروية أو من خلال الهجرة إلى الدول الأجنبية للشغل خاصة، مما يؤدي بالفرد إلى تثمين المدينة والانتقاص من البادية.
حلول الدولة عبر مؤسساتها، في التكفل بمسار التنمية بالمنطقة، عوض القبيلة ومؤسساتها.

إدخال الجمعيات المحلية، إضافة المنظمات الأجنبية قيما جديدة للمنطقة.

إدخال وسائل الاتصال بعد كهربة المنطقة.

وهو ما أدى إلى تحول مرجعيات القيم بالمنطقة، وتراجع حثيث للقيم التقليدية، مع بروز وترسخ قيم جديدة، وهو ما يمكن وصفه بأزمة القيم. والتي من مظاهرها تنامي روح الفر دانية وبداية أزمة التضامن.

تراجع القبيلة في تدبيرواحة تسينت:

إن مؤسسة الجماعة على صعيد القبيلة ثم الفخدات، قد اندثرت تدريجيا تحت ضغوط الإكراهات السياسية والإجراءات القانونية والإدارية والتقطيعات الترابية التي ما فتئت تتعدد منذ الفترة الاستعمارية، إذ انحسرت أدوارها، "وأصبحت محصورة في بعض الجوانب ذات الطابع الديني و الاجتماعي والترفيهي داخل الدوار كجمع التبرعات لصيانة الأضرحة أو المساجد الصغرى بدواوير وتوظيف الفقيه الذي يتولى شؤونه"[233]، وكذا التدخل في حل بعض النزاعات، وتقوم كذلك بتأطير اللقاءات الاحتفالية لصالح أفراد المجموعة خلال بعض المناسبات كالزفاف والعودة من الحج أو من العودة من الخارج، لكن بالمقابل التراجع في تسيير شؤون الواحة.

الاختلالات المجالية في واحة تسينت:

كان لمجموع التحولات السوسيو مجالية التي عرفتها واحة تسينت، بروز مجموعة من الاختلالات المجالية مصاحبة لعملية التحول، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

تراجع الأراضي الصالحة للزراعة بواحة تسينت: يتبين من خلال البحث تراجع وتقلص مساحة الأراضي الزراعية الواحية، وذلك راجع إلى تظافر مجموعة من العوامل، فإلى جانب العوامل الطبيعية كالجفاف، والتملح، هناك خاصة ارتفاع الأراضي المستريحة والمجمدة التي تفسر بظاهرة البوار الاجتماعي، الناتجة عن عزوف الفلاحين عن زراعة أراضيهم، بسبب ضعف الأرباح الناتجة عن الزراعة، وخاصة إلى التحول في اعتماد أرباب الأسرة في عيشهم وإعالة أسرهم على التحويلات المالية لأبنائهم المشتغلين بالمدن الكبرى أو المندمجين في سلك الجندية، إذن أصبح الآباء يستثمرون في الأبناء عوض الأرض.

[233] - الأكحل المختار، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية: حالة هضبة بن سليمان، الرباط، 2004، ص 46.

صوررقم 6: ظاهرة البوار الاجتماعي بواحة تسينت:



الزحف العمراني بمركز واحة تسينت: على اعتبار أهمية السكن في ثقافة ساكنة تسينت، إذ تعتبر أن اكتمال رجولة الفرد تكمن في توفيره سكن يقيه وأسرته شر ما تحمل الأيام. لهذا فإن أبناء المنطقة من الأولويات لديهم هي تشييد سكن بالمنطقة. وإذا أخذنا عدد الرخص المسلمة من طرف جماعة تسينت، يتبادر إلى الذهن أن وتيرة التوسع العمراني بمركز تسينت ضعيفة، كما هو مبين في الجدول أسفله:

الجدول رقم 4: عدد رخص البناء المسلمة بمركزتسينت:

السنة	2005	2006	2007	2008	2009
عدد رخص البناء	2	5	3	2	1

وثائق من الجماعة القروية لتسينت.

لكن إذا اعتمدنا على الصور الجوية والملاحظة الميدانية، فهناك النقيض، ذلك أن هناك ظاهرة منتشرة بمركز تسينت تتمثل في أن ساكنة المنطقة نظرا لارتفاع أسعار مواد البناء، فإنهم يلجؤون إلى شراء الأرض التي هي الأهم ويحيطونها بسور، في انتظار ادخار مبلغ مالي يمكنهم من بناء دورهم.

الصوررقم 7: أراضي مسورة معدة مستقبلا للبناء.





وهو ما جعل الطلب على السكن يتزايد. لكن بالمقابل فإن الوعاء العقاري بمركز تسينت، الذي يمكن أن يتوسع عليه المجال السكني ضيق، وذلك راجع إلى موضع مركز تسينت، الذي تحده سلسلة جبال باني من الشمال والغرب، ونهر تسينت من الشرق، أما الجنوب فتقع واحات النخيل.

الصورة الجوية رقم 1: محددات التوسع العمراني بمركز تسينت

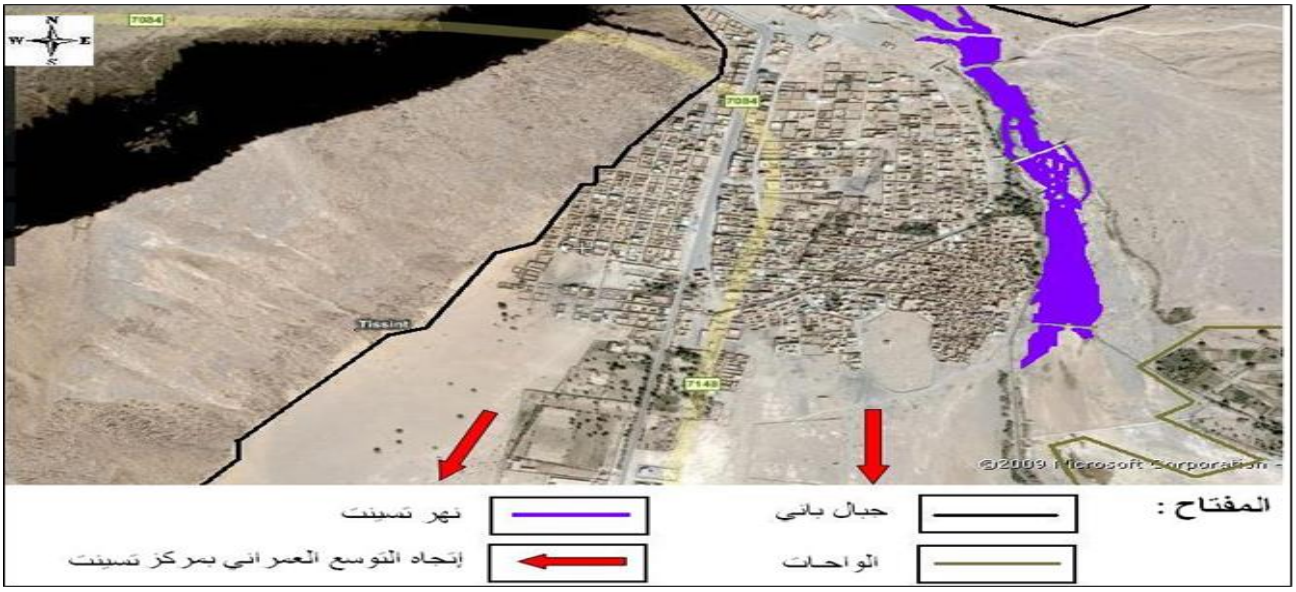

المصدر بتصرف من:www.flashearth.com

ولما كان من الصعب الامتداد في الشمال والغرب والشرق بسب حاجزي الجبال والنهر، فإن الامتداد العمراني يمتد نحو الجنوب مهددا بذلك واحات النخيل بالزوال، وهو ما سيؤدي مستقبلا إلى عدة آثار إيكولوجية سلبية ستكون خطيرة على المنطقة.

التلوث بواحة تسينت: نظرا لعدم توفر منطقة تسينت لحد الآن على بنية تحتية تهم تجميع وتصريف النفايات الصلبة والسائلة، ما جعل الساكنة على إحداث حفر للصرف الصحي لتخلص من نفاياتها السائلة، وهو ما يؤدي إلى تلويث الفرشاة المائية الباطنية للمنطقة، كما أن عدم وجود مطارح عمومية للنفايات الصلبة أدى إلى كثرة المطارح العشوائية بالمنطقة.

خاتمة: نستخلص مما سبق أن تدخلات المجلس الجماعي تماشيا مع السياسة الحكومية في فك العزلة عن العالم القروي خلال تسعينيات القرن العشرين، همت توفير البنيات التحتية والبنيات السوسيو ثقافية وذلك عبر مجموعة من الشركات مع مؤسسات عمومية وشبه عمومية وخاصة. إلا أن هذه المشاريع تتميز بضعف جودة خدماتها وعدم تغطيتها لجميع تراب الجماعة القروية لتسينت. أما بالنسبة للعمل الجمعوي فرغم أنه يساهم بمجموعة من المشاريع والأنشطة التي تهم تحسين وضعية المرأة والأسرة القروية عامة، والتوعية وخلق دينامية في المجتمع التسينتي. إلا أنه هو الآخر يبقى ضعيفا، إذ أن كثرة الجمعيات لا يوازيه كثافة في الفعالية والنشاط، وذلك راجع إلى مجموعة من الصعوبات والمشاكل التي تعيق العمل الجمعوي بالمنطقة. كما أن عملية التحول السوسيومجالي قد تمخضت عنها عدة إشكاليات مست المجتمع والمجال بواحة تسينت.

البيبليوغرافيا:

أوسديد مبارك، 1995: مادة تيسينت، معلمة المغرب، ج 8، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا.

الأكحل المختار،2004: دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية: حالة هضبة بن سليمان، الرباط.

شارل دو فوكو، 1999: التعرف على المغرب 1883- 1884، ترجمة بلعربي مختار، دار الثقافة الدار البيضاء.

محمد خطابي وشفيق أرفاك، تقديم، 1999: لماذا واحات باني، ورد في أعمال ندوة واحات باني العمق التاريخي ومؤهلات التنمية، الرباط.

العزاوي العدناني والواد عبد العالي، *التنمية المحلية في المحك الجماعة القروية تسينت 'نموذجا'* بحث لنيل الإجازة في القانون العام، جامعة ابن زهر، 2006/2005.

المملكة المغربية،2009: القانون المتعلق بالميثاق الجماعي رقم 08 17، منشورات مركز الاتصال والنشر.

وثائق من الجماعة القروية تسينت.

القوانين الأساسية للجمعيات الناشطة بمنطقة تسينت.

الخريطة الطوبوغرافية تسينت سلم: 1/100000

قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي في دولة مصر نموذجاً

The values of citizenship shared belonging and peaceful coexistence in the State of Egypt are a model

الباحثة مروة عبد الظاهر السيد محمد الليثي

جامعة الإسكندرية- جمهورية مصر العربية

mero5ellithy5558883@gmail.com

الملخص : مما لاشك فيه أن قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي تلعب دورا محورياً في بناء المواطن الصالح وإعداده للتفاعل بإيجابيه مع المجتمع، ويعني ذلك تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارستها في بيئة جغرافية معينة لها حدود محددة، وجميع المواطنين متساويين في الحقوق والواجبات، لا تمييز بينهم بسبب الاختلاف في الدين أو النوع أو العرق الموقع الاجتماعي.

ويعتبر الانتماء من الاحتياجات الهامة التي تشعر الفرد بالرابط المشترك الذي يربطه بأرضه وبأبناء وطنه، وسيؤدي هذا الشعور إلي صقل توجهاته بحيث تتحول إلي توجهات تهدف إلي خدمة الوطن والمجتمع ، والتعايش السلمي يدعو الناس إلي التسامح والتآخي، فإذا تحقق ذلك استطاعت مجتمعاتنا ، وكذلك دول العالم أجمع رسم ملامح الحضارة الإنسانية المبنية علي الحقوق والواجبات.

الكلمات المفتاحية: المواطنة ، الانتماء المشترك، التعايش السلمي

Abstract :There is no doubt that the values of citizenship common belonging and peaceful coexistence play a pivotal role in building a good citizen and preparing him to interact positively with society which means that a person enjoys rights and duties and practices them in a specific geographical environment with specific boundaries and all citizens are equal in rights and duties There is no discrimination between them because of differences in religion or Gender race or social location.

Belonging is one of the important needs that the individual feels about the common bond that binds him to his land and his countrymen, and this feeling will lead to refining his orientations so that they turn into directions aimed at serving the homeland ,society and peaceful conxistence calls people to tolerance and brotherhood if this is achieved our societies as well as the countries of the whole world can draw the features of civilization Humanity based on rights and duties.

Key words: citizenship,shared affiliation,peaceful coexistence

مقدمه:

إن مبدأ المواطنة من المبادئ التي تؤدي إلي التقارب بين المجتمع الواحد وبين المجتمعات الأخري وبعضها البعض،وأيضا بين السلطة الحاكمة والأفراد في المجتمع الواحد،وبين الأفراد بعضهم مع بعض، وأن محاولة تأصيل مبدأ المواطنة في المجتمع يحتاج إلي فهم الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية،والإشكالات التي يقوم عليها مفهوم المواطنة من أجل تحقيق تنمية وطنية.(علي محمد محمد،23،2014)

وإن المصدر الحقيقي لكلمة المواطنة علي المستوي اللغوي هو مصدره غربي أفرزته المدنية الحديثة وفكرها وفقاً لما ادركناه عندما قمنا بالبحث عن معني الكلمة باللغة العربية وأصلها ولم نجد لها معني أصيل يشير إلي محتواها الذي يتم استعماله في هذه الأيام.(مرادعودة،وآخرون،2013، 23)

وإن مفهوم المواطنة الذي استقر في الفكر السياسي المعاصر مفهوم تاريخي شامل ومعقد،لأن الفكر السياسي إنما ينتج انطلاقاً من حراك أجتماعي،كما أن ترجمة الإنتاج الحضاري عملياً من خلال الدولة؛يتخذ أبعاداً متشابكة يصعب معها نفي مجموع القيم المشكلة لتلك الحضارة، بما فيها العقائد والمتغيرات العالمية.(علاء الدين عبد الرزاق،2015، 34)

وأبعاد عملية المواطنة لم تتكون كلها في وقت واحد بل مرت بعدة مراحل،وهي:

1- في البداية كانت المساواة أمام القانون أي المواطنة المدنية.

2- ثم تحقق التمثيل السياسي في المجالس النيابية فعرفت المواطنة في بعدها السياسي.

3- ومع التطور الاجتماعي والطبقي عرفت المواطنة في بعديها المركب الاجتماعي الاقتصادي.

4- ومع تنامي صعود الهويات الثقافية الدينية والعرقية طرح مفهوم المواطنة الثقافية.(حنان كمال عبد الغني،2013، 26)

وترتكز المواطنة علي أربع قيم محورية كما هو موضح بالشكل التالي:

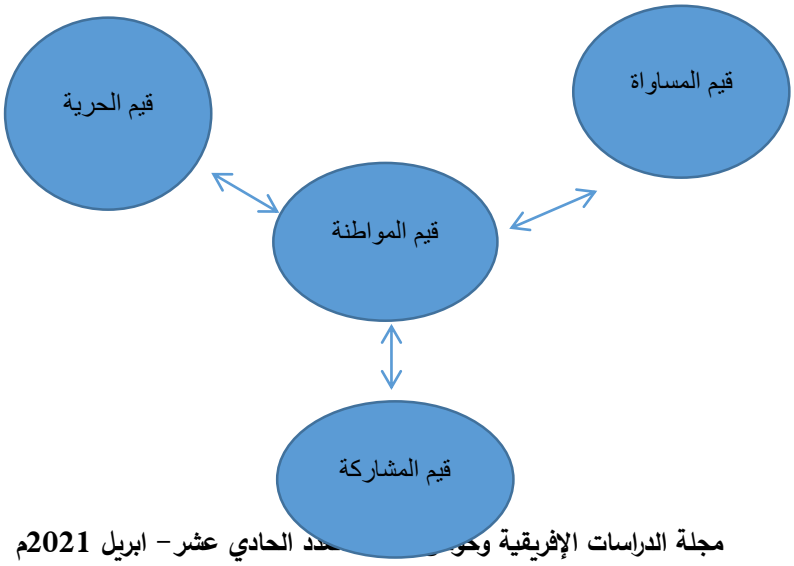

اعداد الباحثة

وتشمل المواطنة علي العديد من التقاليد والمهارات والأفعال المترابطة ،ومن أهم عناصرها نذكر:

1- الانتماء:

يمثل الانتماء شعور داخلي لدي الفرد بأنه ينسب إلي وطن معين،فيعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنة والدفاع عنه ومن مقتضياته أن يفتخر الفرد بوطنه فالانتماء هو إحساس تجاه الوطن.

ويتألف الانتماء من الأبعاد التالية:الهوية- الجماعية- الولاء- الالتزام- الديمقراطية

2- الولاء:

إن الولاء للوطن من أهم موجهات السلوك الاجتماعي وهو الذي يحدد اتجاه الفرد نحو مجنمعه ، وما يدور فيه من أحداث كما يتوقف عليه قيام الفرد بأدواره المتوقعة منه تجاه وطنه وأمته بإتقان وإخلاص في المواقف والظروف والأوضاع المختلفة.

3- الحقوق:

هذه الحقوق يجب أن يتمتع بها جميع المواطنين بدون استثناء سواء أكانوا مسلمين أم أهل كتاب أو غيرهم.

4- الواجبات:

تختلف الدول بعضها عن البعض في الواجبات المترتبة علي المواطن باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة،وهذه الواجبات يجب أن يقوم بها كل مواطن حسب قدرته وامكانياته،وعليه الالتزام بها وتأديتها علي أكمل وجه وبإخلاص.

5- الديمقراطية:

تعتبر المواطنة مفتاح لفهم الديمقراطية، ولقد أكد بعض الباحثين علي المدخل الديمقراطي للمواطنة من خلال احترام حقوق الآخرين والدفاع عن حقوقهم وحقوق الآخرين،وأن يمارس الآخرين حقوقهم بحريه.(حنان مراد، 2017، 31،33،36،41)

وبدأت مصرمعرفتها بالمفاهيم الحديثة في بناء الدولة والمجتمع عندما تعمق اتصالها بالغرب من خلال الحملة الفرنسية علي مصر تلا ذلك حقبة حاول خلالها حاكم مصر محمد علي إنشاء دولة حديثة،وشهد النصف الأول من القرن العشرين محاولات لتأسيس المواطنة علي المستوي الجماهيري،تحقق ذلك في أول ثورة شعبية عرفتها مصر.كان لها أثر فعال علي المستويين المحلي والعالمي.تبع ذلك وضع أول دستور عام 1923 الذي تضمن العديد من المبادئ التي تصب مباشرة في دعم مفهوم المواطنة.(سامح فوزي، 2007، 27،30)

وإن تحديات المواطنة في مصر تشمل اهتمام بالغ بالحقوق السياسية والمدنية في المنطقة العربية عامةً وفي مصر خاصة منذ عقد التسعينيات مع تنامي ظاهرة العولمة، وسيادة نظام عالمي يعلي من قيم المجتمع المدني، الديمقراطية،حقوق الإنسان ، وما يترتب عليها من حقوق مدنية وسياسية باعتبارها قيم عالمية تتناسق مع كل المجتمعات وهو طرح بدوره يفرض تحديات أخري بعضها مرتبط بكيفية تعاطي منظمات المجتمع المدني وغيره من المنظمات،إلي جانب مشاكل هيكلية أخري ترتبط بطبيعة النظم السياسية.(محمد العجاتي وآخرون،2014، 27)

وتعد المواطنة فكرة اجتماعية وقانونية وسياسية ساهمت في تطور المجتمع الإنساني بشكل كبير بجانب الرقي بالدولة إلي المساواة والعدل والإنصاف،وإلي الديمقراطية والشفافية،وإلي الشراكة وضمان الحقوق والواجبات.

والانتماء غريزة فطرية لا تقتصر علي البشر فقط،ولكنها ترتبط كذلك بملايين الأنواع من الكائنات الحية، وعلي المدي الواسع لفصائلها،وطبيعة حياتها،فكل هذه الكائنات تنتمي لنوعها،والأرض التي تعيش عليها والبيئة التي خرجت منها،أو تعيش فيها،وكلها تستمد قوتها ومعيشتها من هذا الانتماء،وافتقاد الانتماء يكون أحد أسباب تعاستها.(علي محمد محمد،2014، 61)

ويعتمد الانتماء علي عاطفة وجدانية،ومشاعر طبيعية،وأحاسيس غرائزية،جاء الإسلام بوسطيته لتهذيبها وتقويمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة،وأنها تقوم في أساسها علي الحب والتفاعل والتعاون مع الآخرين.(بدر بن علي، 2018، 1559)

فالانتماء عنصر يدعم العلاقات بين أفراد المجتمع ،كما أنه يزيد من تقدم الدولة في كافة المجالات، ويحمل كل فرد مسؤولية في مجال معين سواء أكانت هذه المسؤولية تجاه دولته،ويمنح الانتماء الشعور بالأمن والأمان.

وإن التعايش السلمي سوف يتحقق مع احترام الحقوق والواجبات المتفق عليها بين الطرفين.فقد نظم الإسلام حقوق وواجبات للأقليات منها حقوق دينية،وحقوق اجتماعية وحقوق سياسية،وحقوق مالية واقتصادية ومن الواجبات علي الأقليات التي لابد من أدائها هي احترام العقائد والشرائع الإسلامية.والدفاع عن الدولة، وترك ما فيه ضرر علي المسلمين وكيانهم.(أمل فتح الله، 2018، 61)

وإن فكرة التعايش يجب أن تغرس في كل جهد يبذل من أجل إعادة بناء المجتمع بعد أنتهاء النزاع سواء كان هذا البناء مادياً أو مؤسسياً،ويعني ذلك العيش المشترك مع الآخرين ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة ولا يعيش الفرد مع غيره إلا أن وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة لحمتها الألفة.(نيان نامق صابر،شيرين إبراهيم محمد،2020، 295)

ولقد خلقنا الله تعالي ، وجعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف ونتعايش وفق قيم تحترم الإنسان،وبموجب ضوابط تكفل لكل فرد حقه في العيش بسلام واستقرار.

مشكلة البحث:

تحددت مشكلة البحث من خلال الدراسات السابقة التالية:

1- حازم أحمد الشعراوي(2008):

أكدت ضرورة استخدام الوسائط المتعددة لغرس قيم الانتماء الوطني، لما لها الأثر الواضح علي الطلاب.

2- عبدأحمد يوسف حمايل(2011):

أوضحت الدراسة أن هناك اختلاف واضح في الآراء حول مفهوم الانتماء ما بين كونه حاجة إنسانية أو رغبة أوشعور أو إحساس إلا أنها كلها تؤكد جميعها علي استحالة أن يعيش الفرد بدون انتماء، هذا الانتماء الذي يولد مع الفرد منذ لحظة مولده،يهدف إشباع حاجاته الضرورية،ثم ينمو إلي أن يصبح انتماء للأسرة ثم المجتمع الكبير ثم الوطن.

3- أسامة عبد الرؤوف ديب(2012):

أوضحت الدراسة أن التنشئة السياسية قد تلعب بأبعادها المختلفة من الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والأحزاب السياسية ووسائل الإعلام دوراً في المشاركة السياسية الإيجابية والثقة السياسية والكفاءة السياسية مما قد يدعم الشعور الوطني ويزيد الانتماء للوطن ويعمق الإحساس بالمسئولية نحو المجتمع.

4- محمد عرفان فير،أغار محمد عبد الكريم(2015):

أكدت أن التعايش السلمي شريط لا غني عنه للتنمية ولا يمكن أن يصل بلد ما إلي ارتفاعاته الاقتصادية والسياسية عندما يفتقر إلي عناصر السلام والوئام والتنمية الاجتماعية؛ومن ثم أصبح من الضروري أن يلتزم بطريق السلام بين أطياف شعبه، سواء كانت متعددة الأديان أو متعددة الأعراق؛ فكيف يمكن للمجتمعات أن تحلم بالتنمية الحقيقية، وهناك آلاف مؤلفة من الناس يقتلون ويشردون بسبب فقدان لغة التعايش وثقافته بينهم.

5- ميساء محمد مصطفي (2016):

أوضحت ضرورة الاهتمام بقيم المواطنة وتضمينها بالمناهج، وتوضيح مفهوم المواطنة وأهم قيم المواطنة التي حاولت الدراسة تنميتها ومنها(الهوية والانتماء- الحرية والمسئولية- الوعي السياسي- المشاركة المجتمعية).

6- محمد فكري فتحي (2019):

خلصت الدراسة إلي أن مفهوم المواطنة الرقمية وأبعادها يتم تداوله في المؤسسات التربوية عامة والجامعية علي وجه التحديد بشكل يبرز أهميتها كمدخل يؤكد علي التزام الطلبة بواجباتهم ومسؤولياتهم أثناء معاملاتهم الرقمية، كما أنها تعمل علي إعداد مواطن رقمي مؤهل للقيام بحركة التنمية المستدامة داخل المجتمع.

وتتفق الباحثة مع الدراسات السابقة في أن للمواطنة والانتماء والتعايش السلمي ضرورة هامة في المجتمع من أجل تحقيق الاستقرار والسلام والألفة بين أفراده.

أسئلة البحث:

تحددت اسئلة البحث من خلال السؤال الرئيسي التالي:

ما ملامح قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي بجمهورية مصر العربية؟

يتفرع من السؤال الرئيسي سؤاليين فرعيين:

ما المقصود بقيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي؟

ما اسهامات جمهورية مصر العربية في تحقيق قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي؟

أهمية البحث:

تعد أهمية البحث الحالي في تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع،وحفظ الحقوق والواجبات،واحترام الاختلاف والتنوع العرقي والعقائدي والفكري، والمساهمة في ترسيخ المبادئ الأساسية كالكرامة،الحرية،والمساواة.

أهداف البحث:

استهدف البحث الحالي تحديد ملامح ومفهوم قيم المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي واسهامات جمهورية مصر العربية في تحقيق ذلك.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية ومن ثم الوصول إلي تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة علي وضع أطر محددة للمشكلة.

حدود البحث:

تمثلت حدود البحث في جمهورية مصر العربية لما لها من دور في تحقيق المواطنة والانتماء المشترك والتعايش السلمي.

مصطلحات البحث:

المواطنة:

المواطنة في اللغة: جاءت من واطنه علي الأمر مواطنة،وواطن القوم: عاش معهم في وطن واحد.وفعل واطن بمعني شارك في المكان مولداً وإقامة؛لأن الفعل علي وزن "فاعل"(علي محمد محمد،2014، 19)

أما في الاصطلاح هي تجسيد لنوع من الشعب ، يتكون من مواطنيين يحترم كل فرد منهم الفرد الآخر، ويتحلون بالتسامح تجاه التنوع الذي يزخر به المجتمع.(علي خليفة الكواري،2000، 6)

والمواطنة هي تمتع الشخص بحقوق وواجبات،وممارستها في بقعة جغرافية معينة،لها حدود محددة تعرف في الوقت الراهن بالدولة القومية الحديثة التي تستند إلي حكم القانون.(سامح فوزي،2007، 7)

وهي بأبسط معانيها التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة،فالشخص يحصل علي حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين، وعليه في الوقت ذاته واجبات يتحتم عليه أداؤها.(علاء الدين عبد الرزاق،2015، 33)

وتعرف الباحثة المواطنة علي أنها "المكان الذي يستقر فيه الفرد بشكل ثابت داخل الدولة ويحمل جنسيتها ، وتعد بذلك المكانة التي تيسر الحصول علي الحقوق والواجبات والقوي المرتبطة بها؛ حيث أنها علاقة بين الفرد والدولة يحددها قانون الدولة.

الانتماء الوطني:

في اللغة العربية يشتق الانتماء من "نمي الشيء ويقال نميته إلي أبيه أي نسبته،وانتمي إليه أي انتسب ويقال "نماه إلي جده إليه أي رفع إليه نسبه".

في الاصطلاح: شعور المدعم بالحب يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكدا وجود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن- باعتباره عضواً فيه- ويشعر نحوه بالفخر والولاء، ويعتز بهويته وإرثه الحضاري.(أسامة عبد الرؤوف،2012، 30)

وتعرف الباحثة الانتماء علي أنه:" يرتبط بتحقيق مفهوم المواطنة،فيكون تعزيز الانتماء الوطني من خلال المحافظة علي الوطن،والسعي إلي النهوض بكافة قطاعات العمل فيه من أجل نموه وتطوره".

التعايش السلمي:

جاء في المعجم الوسيط"تعايشوا:عاشوا علي الألفة والمودة".

ويعرف التعايش السلمي علي أنه اتفاق طرفين أو عدة أطراف علي تنظيم وسائل العيش- أي الحياة- فيما بينهم وفق قاعدة يتم تحديدها وتمهيد السبل المؤدية إليها.(محمد عرفان،أغار محمد،2015، 3)

ومصطلح التعايش من المصطلحات الحديثة، ويقصد به – عموما- الدعوة إلي اجتماع مشترك بدون نزاعات،اجتماع ينسجم فيه المخالفون بالتنازل عن بعض متمسكاتهم من أجل بناء مجتمع متماسك، قوامه تبادل المنافع والمصالح المشتركة.(أمل فتح الله،2018، 322)

وتعرف الباحثة التعايش السلمي علي أنه:"احترام حق الآخرين في ممارسة عباداتهم داخل أماكن العبادة،وقبول الأديان المختلفة في مجتمع واحد،ويعتبر ذلك شكلاً من أشكال السلام والتآخي مما يساهم في رسم ملامح الحضارة الإنسانية المبنية علي الحقوق والواجبات.

توصيات البحث:

تضمين قيم المواطنة في الدورات وورش العمل.

إقامة برامج تنموية وبرامج توعوية حول ما يمكن أن يعمل علي إضعاف قيم الانتماء الوطني لديهم.

إجراء المزيد من الدراسات حول قنوات التنشئة السياسية وسبل تعزيز وتقوية الانتماء لدي الشباب.

أن يرسخ المفهوم الشامل لمصطلح التعايش السلمي في ثقافة المجتمع بصفة عامة.

الخاتمة:

تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل لها البحث من خلال المصادر والدراسات،ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

لقيم المواطنة والانتماء والتعايش السلمي تأثير كبير في تقدم المجتمع.

ضرورة نشر المزيد من الأبحاث حول أهمية المواطنة والانتماء والتعايش السلمي.

المراجع:

1 - أسامة عبد الرؤوف ديب أبو ركبة، **أبعاد التنشئة السياسية وعلاقتها بالانتماء الوطني لدي طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة**، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر بغزة،كلية التربية،2012

2- أمل فتح الله زركشي، **التعايش السلمي بين المجتمعات المسلمة والغربية**،دبي،2018

بدر علي العبد القادر، **الانتماء إلي الوطن و أثره في حماية الشباب من الانحراف،السجل العلمي لمؤتمرواجب الجماعات السعودية و أثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف**،المجلد الخامس،2018

حازم أحمد الشعراوي،**أثر برنامج بالوسائط المتعددة علي تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدي طلبة الصف التاسع**،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية، كلية التربية،2008

حنان كمال عبد الغني، **المواطنة والإصلاح السياسي دراسة النظام السياسي المصري(2003- 2008)**،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013

حنان مراد،**مكانة المواطن والمواطنة في المدن، دراسة استشرافية**، رسالة دكتوراه،جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية،2017

سامح فوزي،**المواطنة**،ط1،مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان،القاهرة،2007

عبد أحمد يوسف حمايل، **دورإذاعة"أمن اف ام" في تعزيزالانتماء الوطني لدي الطلبة الجامعيين"جامعة الشرق الأوسط نموذجاً**، رسالة ماجستير،جامعة الشرق الأوسط،كلية الإعلام،2011

علاء الدين عبد الرزاق جنكو، **المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة**، العراق،2015

علي خليفة الكواري، **مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية**،الدوحة،2000

11- علي محمد محمد الصلابي، **المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة**،ط1،دار ابن كثير، سوريا، 2014

12- محمد العجاتي،**المواطنة وحقوق النساء في مصربعد الثورات العربية**،أوراق ورشة عمل،القاهرة،2014

13- محمد عرفان فير محمد،أغار محمد عبد الكريم،**تعزيزالتعايش السلمي والتنمية عن طريق مناهج التربية الإسلامية**، دروس تعليم اللغة العربية لمرحلة الأساس أداة فعالة،2015

14- محمد فكري فتحي صادق،**دورالجامعة في تحقيق أبعاد المواطنة الرقمية لدي طلابها في ضوء التحديات المعاصرة**،دراسة تحليلية،جامعة بنها،كلية التربية،2019

15- مراد عودة،وأخرون،**المواطنة**،ط3، 2013

16- ميساء محمد مصطفي أحمد، **قيم المواطنة المتضمنة في كتاب المواطنة وحقوق الإنسان للصف الثاني الثانوي**،دراسة تحليلية، كلية التربية،قسم المناهج وطرق التدريس،بنها،2016

17- نيان نامق صابر،شيرين إبراهيم محمد، **التحليل السوسيولوجي للتعايش السلمي في المجتمع الكوري**،جامعة السليمانية،كلية العلوم الإنسانية،2020

ضوابط وحدود استعمالات خرائط التوزيع الكمي للسكان

Norms and limits of use of quantitative population distribution maps

عبد السلام ابن زاهر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، المغرب

Ab.ibnouzahir@gmail.com

الملخص

تولي مواضيع جغرافية السكان عناية متميزة لدراسة التوزيعات المجالية، سواء لمعرفة مستويات التركز العددي للسكان أو تفاوت كثافاتهم أو معرفة أنماط انتشارهم في المجال. وتلعب الخرائط دورا متفردا في هذا الإطار، وخاصة منها خرائط الرموز التناسبية وخرائط الظلال المتدرجة القيمة وخرائط النقط المتساوية القياس. وقد سعت هذه المقالة إلى تسليط الضوء على مميزات كل من هذه الأنواع الثلاثة ومدى نجاعتها في تمثيل السكان وفي نقل معلومة غير مضللة للمتلقي.

الكلمات المفاتيح: التوزيع المجالي للسكان. خرائط الرموز التناسبية. خرائط الظلال المتدرجة القيمة. خرائط النقط المتساوية القياس.

Abstract

Population geography is concerned with the study of spatial distributions, in order to determine the levels of numerical distribution of the population, to knom their different densities and their modes of distribution in space. In this contect, maps play a primordial role, in particular proportional symbol maps, choropleth maps and dot maps.

The aim of this article is to highlight the characteristics of each of these three typrs of maps, and to understand their effectiveness in representing the population and conveying correct information to readers.

Keywords : Spatial distriibution of population. Proportional symbol maps. Choropleth maps. Dot maps.

مقدمة

تحظى معرفة التوزيعات المجالية للظواهر وخصائصها بمكانة هامة في الدراسات الجغرافية بشكل عام، ودراسة السكان بشكل خاص. فهي السبيل للكشف عن أنماط انتشارهم ومستويات تركزهم العددي حسب مناطق تواجدهم. وتعتبر معرفة الثقل السكاني للمناطق وتفاوت كثافات وتركز السكان بها، بغض النظر عن باقي خصائصهم، عملية قبلية وصفية تحفز على البحث عن تفسيرات لهذا التوزيع، وتكشف عن أحد أشكال تنظيم المجال، وتدفع إلى تقييم مستويات تغطية حاجياتهم، وإلى التدخل للتأثير على التوزيع الموجود.

ويشكل العمل الكرطوغرافي في هذا الإطار أداة فعالة في الكشف عن توزيع السكان، وذلك لما للخرائط من دور في تبسيط وتعميم المعلومات، وإضفاء الطابع المجالي عليها، والتمكين من قراءتها الشمولية السريعة والتي لا توفرها الجداول أو النصوص.

وتحاول هذه المقالة تسليط الضوء على ثلاثة أصناف من الخرائط هي الأكثر استعمالا في تمثيل التوزع العددي للسكان، ويتعلق الأمر بخرائط الرموز التناسبية وخرائط الظلال المتدرجة القيمة وخرائط النقط المتساوية القياس. والقصد من ذلك هو معرفة مميزات كل من هذه الأصناف الثلاثة، وضبط حدود استعمالاتها، وتقييم مدى نجاعتها في تمثيل السكان وفي نقل معلومة جيدة وصحيحة على مستوى المعالجة البيانية، وفي تسهيل عملية الإدراك والإستيعاب بالنسبة للمتلقي.

1 - خرائط تمثيل أعداد السكان باستعمال الرموز التناسبية

تُستعمَل هذه الخرائط لتمثيل أعداد السكان وإظهار ومقارنة تفاوتها بين الوحدات الإدارية التي يحتضنها المجال المدروس. وهي تَعتمد في ذلك على توظيف رموز ذات شكل موحد وقياسات متفاوتة الطول أو المساحة أو الحجم تتناسب مع أعداد السكان المُمَثَّلة بها.

شكل 1–أ: خريطة رموز تناسبية مُطْلَقة

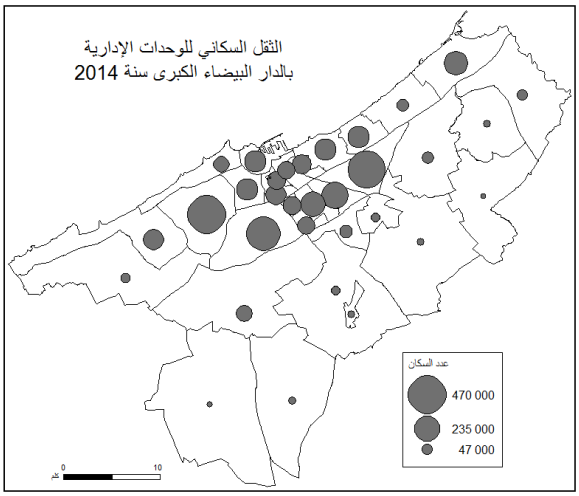

شكل 1–ب: خريطة رموز تناسبية مُصَنَّفة

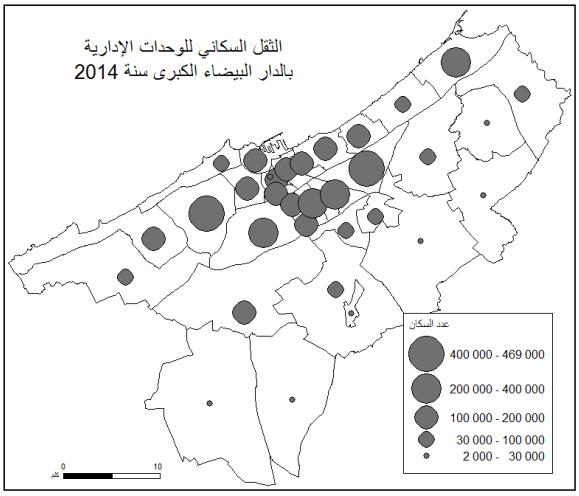

1 – 1 – تُوفِّر خرائط السكان بالرموز التناسبية معلومة عامة عن تفاوت الثقل السكاني بين المناطق

يُقَدِّم هذا التمثيل البياني للمتلقي معلومة سهلة وسريعة الإدراك طالما كان قادرا على تمييز تفاوت القياسات بين الرموز على الخريطة بما يحافظ لهذه الأخيرة على توازنها ويتناسب مع مقياسها[234].

وعلى الخريطة، قد تتخذ الوحدات المجالية المحتضنة للسكان والموجودة بمنطقة ما شَكْل تَوَطُّنَات نقطية بالنسبة للمراكز الحضرية مثلا، أو شَكْلَ توطنات مساحية مُضَلَّعَة إذا تعلق الأمر بالمناطق الإدارية أو الإحصائية. وفي حالة التوطنات النقطية، توضع الرموز التناسبية الممثلة لعدد السكان إذا كانت على شكل دوائر أو مربعات أو مثلثات مباشرة فوق هذه التوطنات (شكل 1-د)، أو بجوارها إذا كانت على شكل أعمدة. أما في حالة التوطنات المساحية، فإن الرموز التناسبية توضع في أي مكان وسط هذه التوطنات، شريطة أن يُسَهل قراءتها ولا يعيق قدر الإمكان قراءة الرموز المجاورة لها (شكل 1-أ.ب.ج).

[234] إذا كانت هذه الرموز على شكل أعمدة فإننا نستعمل مقياسا خطيا لقياس أطوالها بما يتناسب مع أعداد السكان التي تمثلها. وإذا كانت هذه الرموز بشكل دوائر أو مربعات، فإن قياس مساحتها يتطلب معرفة الجذر التربيعي لعدد السكان لوضع القياس المناسب.
على أن هناك إكراها رئيسيا ينبغي أخذه بعين الإعتبار ويتمثل في مقياس الخريطة وصِغَر أو اتساع الوحدات المجالية الممثلة عليه، وتباعدها أو تقاربها من بعضها. ولذلك لا نكتفي فقط في الحالتين السابقتين معا بإيجاد التناسب، بل ينبغي تعديله ليتوافق مع أبعاد الخريطة ومحتواها.

شكل 1–ج : خريطة تناسب الأطوال بوحدات إدارية

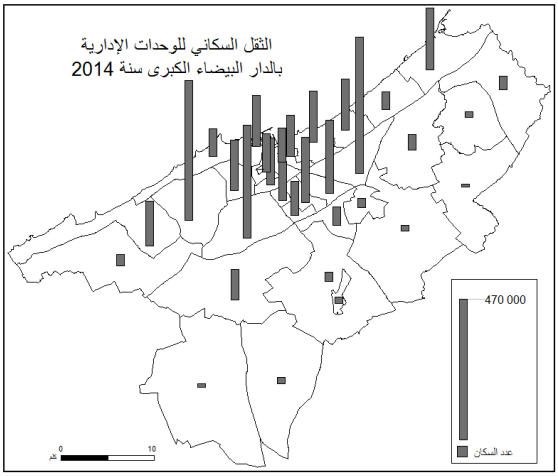

شكل 1–د : خريطة رموز تناسبية مطلقة بمراكز حضرية

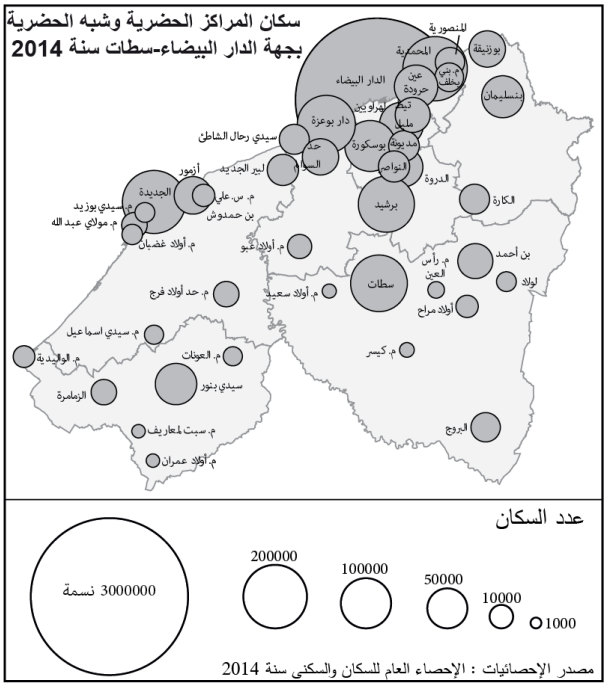

شكل 1-هـ

تجنب جمع رموز متنوعة

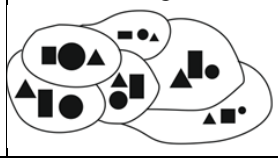

تجنب وضع رموز تصويرية

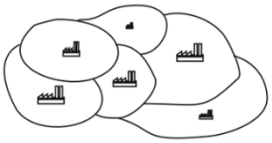

وينبغي التمييز بين نوعين من تمثيل عدد السكان على خرائط الرموز التناسبية؛ يُسَمَّى النوع الأول بالرموز التناسبية المطلقة (شكل 1-أ)، وتدل أحجام الرموز فيه على القيم الكمية الحقيقية لأعداد السكان. أما النوع الثاني، فيسمَّى بالرموز التناسبية المصنفة (شكل 1-ب)، ويقتضي تصنيفَ أعداد السكان في مجموعة محدودة من الفئات تضم كل واحدة منها الوحدات المجالية التي تحتضن أعدادا متقاربة من السكان، ويُخصص لتمثيل كل منها قياس موحد غالبا ما يتناسب مع القيمة الوسطى لعدد السكان في كل فئة.

وعموما، يتطلب اختيار مقياس التناسب مراعاة ثلاثة عناصر؛

يتجلى أولها في تفحص قيم سلسلة عدد السكان المراد تمثيلها،

ويتعلق ثانيها بتفحص هيكل الخريطة لمعرفة نمط توزيع التوطنات النقطية أو المساحية التي ستوضع عليها الرموز[235].

[235] أول هذه العناصر هو تفحص السلسلة الإحصائية المراد تمثيل قيمها لمعرفة الفرق بين أكبر وأصغر قيمة بها، ولمعرفة كيفية توزع القيم داخل هذه السلسلة لأن تقارب القيم العددية يعطي رموزا متقاربة الأحجام، والتنافر الكبير فيما بينها يؤدي إلى تباين مفرط بين أحجام الرموز. والعنصر الثاني هو تفحص هيكل الخريطة لمعرفة توزيع مواقع التوطنات النقطية أوالمساحية على الخريطة، فتقارب التوطنات النقطية ذات

أما العنصر الثالث فيتجلى في ضرورة تكييف أحجام الرموز مع مقياس الخريطة وهيكلها.

1– 2 – يتطلب وضع خرائط السكان بالرموز التناسبية تذليلا لمشكلتي التراكب وتمثيل القيم المتطرفة

تتميز خرائط السكان بالرموز التناسبية بكون تفاوت مساحات الوحدات المجالية لا يؤثر على قراءة أحجام الرموز المستعملة. ففي هذا الصنف من الخرائط لا نتحدث بشكل واضح عن توزيع السكان، لأن المجال يكاد يكون شبه مغيب فيها، وذلك لأن حجم الرمز يدل فقط على عدد السكان.

وتسهل هذه الخرائط على المتلقي معاينة التفاوت بين أحجام السكان من حيث الأهمية والتوزيع، وتُمَكنه في الآن نفسه من معرفة واسترجاع القيمة التقريبية لعدد السكان من خلال قياس أحجام الرموز ومقارنتها بأحجام مثيلاتها الموجودة في المفتاح. ونستطيع من خلال هذه الخريطة أيضا استغلال مساحات الرموز لتمثيل معطيات أخرى ذات طبيعة انتقائية أو ترتيبية كالتركيب السكاني أو متوسط التغير السنوي للسكان.

لكن تبقى هناك بعض العقبات التي تحتاج مجهودا من طرف واضع الخريطة للتقليل من حدتها؛

فتكدس وتراكب الرموز الهندسية يعيق قراءة الخريطة خاصة بالنسبة للوحدات المجالية المتجاورة الصغيرة المساحة والتي تأوي أعدادا كبيرة من السكان. ويمكن التقليل من تأثير هذا المشكل بوضع خريطة صغيرة مرافقة للخريطة الرئيسية بمقياس أكبر، يسمح بتوسيع مساحة الوحدات الإدارية وبظهور حيز أكبر من حدودها شريطة إعادة تمثيل الرموز المتناسبة بها بنفس قياسها على الخريطة الرئيسية، كما يظهر في الشكل 1-و.

القيم الكبيرة يؤدي إلى تراكب الرموز فيما بينها، كما أن صغر التوطنات المساحية ذات القيم الكبيرة يؤدي بعد تمثيل هذه الأخيرة إلى حجب حدود هذه التوطنات.

شكل 1-و : استعمال خريطة صغيرة لتوضيح مناطق التكدس

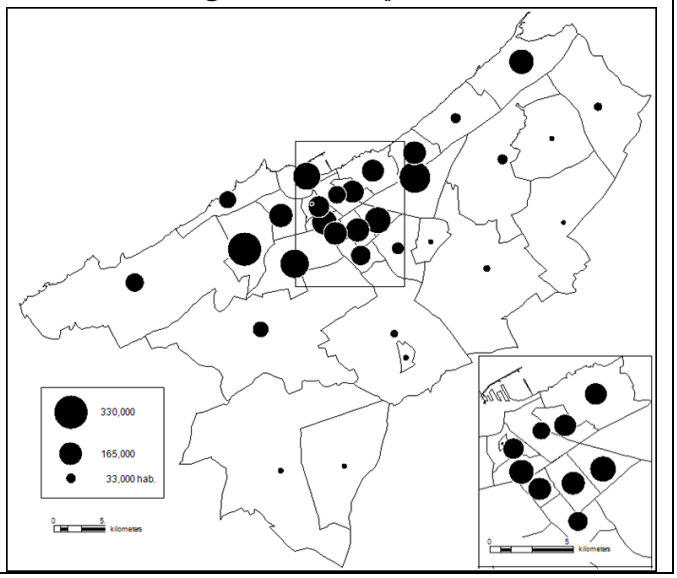

شكل 1-ز: اقتراحان لتفادي تراكب الرموز

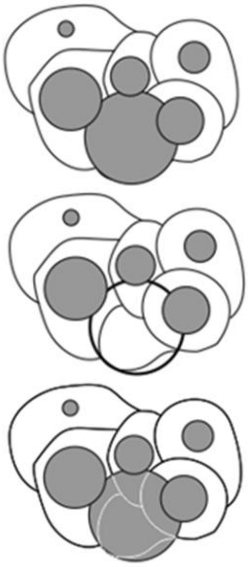

وعلى الخرائط الصغيرة المقياس، قد يؤثر وجود قيم متطرفة صغيرة جدا أو كبيرة جدا على حسن التمثيل البياني. ولذا، ينبغي مراعاة أن لا يَقِلَّ قياس الرموز الصغيرة عن 2 ملم بحيث يصعب على العين تمييزها، كما يُفترض أن لا تكون قياسات الرموز الممثلة للقيم المرتفعة كبيرة بالقدر الذي لا يتناسب مع هيكل الخريطة ومقياسها. وللتخفيف من تأثير هذا المشكل الثاني، يمكن تمثيل القيمة المتطرفة الكبرى برمز تناسبي مفرغ، أو نعيد رسم الحدود المختفية من الوحدة المجالية فوق الرمز التناسبي بلون رفيع يمكن من تمييزها دون أن يؤثر على قراءة موضوع الخريطة، (الشكل رقم 1-ز).

وإذا كان بالخريطة عدد كبير من الرموز التناسبية فإن إمكانية التمييز السريع للتفاوتات بين قياساتها تصبح صعبة، ويصح ذلك سواء في الرموز الهندسية أو التصويرية، وسواء كان تمثيل التناسب بمساحة الرمز أو بطوله.

وفي حالة قياس التناسب بأطوال الأعمدة، فإن بعض الأعمدة تخترق وحدات مجالية أخرى مما يؤدي إلى إرباك المتلقي بخصوص معرفة الوحدات التي تنتمي إليها هذه الأعمدة

ولا يجوز في خرائط الرموز التناسبية تمثيل أكثر من صنف واحد من الرموز الهندسية التي تعبر بتفاوت مساحاتها عن التناسب، لأن ذلك يربك القراءة (شكل 1-هـ).

2 – خرائط تمثيل الكثافات السكانية باستعمال الظلال المتدرجة القيمة

تعتبر خرائط الكثافة السكانية من أشهر أنواع الخرائط. تزايد استعمالها تدريجيا للتعبير عن التوزيع المجالي للسكان، ولاقت استحسانا واهتماما متميزين. وساهم تطور برامج نظم المعلومات الجغرافية في انتشارها الواسع.

شكل 2-أ :

توزيع نسبي باستعمال تدرج سمك الهاشورات

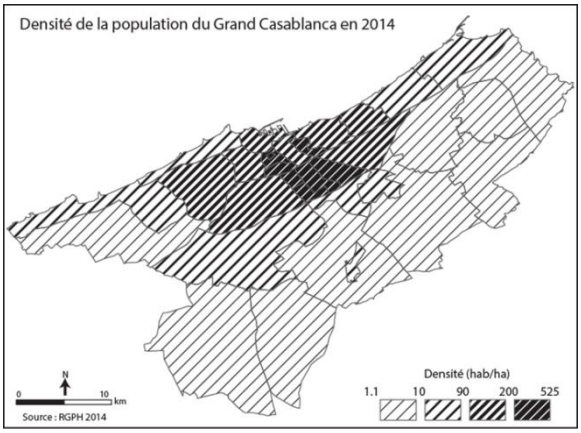

شكل 2-ب :

توزيع نسبي باستعمال تدرج اللون

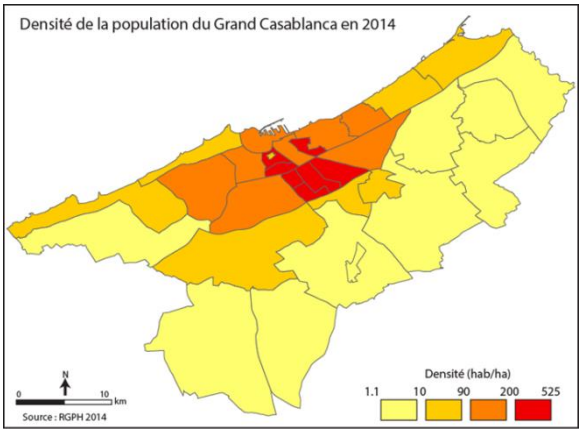

2 – 1 – توفر خرائط الكثافة السكانية معلومة مبسطة، لكن إعدادها يتطلب عناية خاصة

تدخل خرائط الكثافة السكانية ضمن مجموعة أوسع من الخرائط تسمى بخرائط الظلال المتدرجة القيمة أو خرائط التوزيع النسبي[236]. ويتطلب استعمال هذا النوع وجود هيكل خريطة مُكَون في الغالب من وحدات مجالية قد تكون إحصائية أو إدارية، ومن مُعطَى كمي نسبي يتم تقسيم قيم كثافاته إلى عدد من الفئات التي يُستعمل متغير القيمة كمتغير بصري لتمثيلها على الخريطة على شكل ظلال متدرجة الدكانة كما يظهر في الشكل 2-أ و 2-ب.

وإذا كانت الغاية من تقسيم السلسلة الإحصائية الخاصة بالكثافات إلى عدد من الفئات هي تبسيط المعلومة بغرض التعبير عنها بيانيا وتسهيل إدراكها البصري، فإنه ينبغي عدم المبالغة في هذا التبسيط إلى حد جمع كثافات ذات قيم متفاوتة في فئة واحدة أو تفريق كثافات ذات قيم متقاربة على أكثر من فئة. وبالتالي فإن وضع خريطة التوزيع النسبي للكثافات يتطلب المرور من ثلاثة مراحل:

[236] تسمى أيضا بخرائط الكوروبليث Cartes Choroplèthes أو Cartes en plages . والإصطلاح الأول مأخوذ من اللغة اليونانية ويتكون من كلمتين هما Choros وتعني مكان، و Pleth وتعني قيمة.

معاينة سلسلة الكثافات السكانية بعد إعادة ترتيب قيمها، وذلك لمعرفة عدد أفرادها، وارتباط كل من هؤلاء بإحدى الوحدات المجالية المشكلة لهيكل الخريطة، وتحديد طولها وحساب بعض قيمها المركزية[237]. إضافة إلى التعرف على كيفية توزع القيم داخل هذه السلسلة الإحصائية لأن معرفة ذلك تفيد في اختيار أسلوب التفيئ المناسب[238].

تقسيم سلسلة قيم الكثافة السكانية على عدد من الفئات. وهي عملية نستحضر عند القيام بها مجموعة من المعطيات من أبرزها معرفة نوع المتلقين، وخصائص السلسلة الإحصائية، والإكراهات الكرطوغرافية، وتتطلب هذه العملية ما يلي: تحديد عدد الفئات التي سنوزع عليها قيم الكثافة، ويضطلع مصمم الخريطة بهذا الدور في إطار سعيه إلى التوفيق بين الضرورة الإحصائية والضرورة الكرطوغرافية. ذلك أن وضع عدد كبير من الفئات يتطلب مزيدا من الرموز يصعب التمييز فيما بين تدرجاتها، كما أن الإفراط في تقليص عدد الفئات يؤدي إلى حجب الاختلافات الموجودة بين قيم الكثافات. وتوجد بعض الصيغ الرياضية المساعدة على تحديد عدد الفئات بالنسبة للجداول الإحصائية، والتي يمكن لواضع الخريطة الإستئناس بها[239] في تحديد عدد الفئات، شريطة أن لا يتجاوز هذا العدد عتبة معينة تجعل من الصعب التمييز بين تدرجاتها على الخريطة، إذ ينبغي أن يتراوح عدد هذه الفئات بين 3 و 7 إلى 8 فئات حسب عدد قيم سلسلة الكثافات.

توزيع هذه القيم على عدد الفئات المقررة وضبط حدود كل منها. وهنا ينبغي الإشارة إلى وجود العديد من أساليب التوزيع التي تختلف منطلقاتها بين المنطلق الرياضي أو الإحصائي أو البياني أو المبني على مرجعية أخرى منطقية.

وتقترح برامج نظم المعلومات الجغرافية التي توفر إمكانية إنجاز خرائط التوزيع النسبي مجموعة من هذه الأساليب التي تتطلب من واضع الخريطة معرفة بحدود استعمالاتها. وفي هذا الإطار يمكن اقتراح الشكل 3 الذي يدرج بعض هذه الأساليب:

---

237 - تحديد طول أو مدى السلسلة الإحصائية: وهو الفرق بين أعلى وأدنى قيمة بها.

- تحديد بعض القيم المركزية كالمتوسط الحسابي Moyenne وهو مركز الثقل داخل السلسلة الإحصائية،

والوسيط Mediane وهو القيمة التي توجد في منتصف السلسلة الإحصائية،

والانحراف المعياري Ecart Type وهو متوسط المسافة بين مختلف قيم السلسلة والمتوسط الحسابي

238 وضع رسم بياني

- إما لإظهار كيفية تشتت القيم داخل التوزيع الإحصائي، باستعمال مبيان التوزيع Diagramme des distribution
- أو لإظهار هيأة التوزيع الإحصائي وكيفية انتظام القيم داخله، باستعمال مبيان الترددات Diagramme de fréquences
- أو لتلخيص شكل التوزيع الإحصائي لتسهيل فهمه، بجمع القيم في فئات، واستعمال المدرج التكراري L'histogramme

239 صيغة Huntesberger وتحدد عدد الفئات في K حيث : $K = 1 + 3.3 \log(n)$ مثال $n = 32 \Rightarrow K = 6$

صيغة Brooks-Curruthers وتحدد عدد الفئات في $K <= 5 \log(n)$ مثال $n = 32 \Rightarrow K <= 7.5$

صيغة Yule وتحدد عدد الفئات في $K = 2.5 N0.25$ مثال $n = 32 \Rightarrow K = 6$

حيث n هي عدد قيم الكثافات السكانية، و k هي عدد الفئات

شكل رقم 3 : أنواع التوزيعات الإحصائية وبعض أساليب التفيئ المناسبة

أنواع التوزيعات الإحصائية بعض أساليب التفييء المناسبة	منتظم	متماثل	ملتو سالب	ملتو موجب	
الانقطاعات المرئية Seuils naturels	○	○	○	○	●
الفئات متساوية الطول Classes d'amplitude égale	●	○			
الفئات متساوية الأفراد **C**lasses d'effectifs égaux	●	○			○
التقسيم المعياري La discrétisation standardisée	○	●			
المتوسطات المتداخلة Moyennes emboîtées	○	○	○	○	○

وإلى جانب هذه الأساليب الواردة، يمكن الإعتماد كذلك في عملية التفيء على بعض القيم المرجعية لتحديد حدود الفئات مثل المتوسط الوطني أو المتوسط الجهوي للكثافات السكانية.

وفي حالة مقارنة تطور الكثافات السكانية في نفس المنطقة خلال سنتين مثلا؛ يمكن جمع القيم الخاصة بكل السنوات في سلسلة واحدة قبل تقسيمها إلى فئات. أو يمكن كذلك وضع خريطة للكثافة السكانية في إحدى السنتين وأخرى لتمثيل فارق الكثافة السكانية بين سنتين[240].

[240] تجدر الإشارة إلى ضرورة احترام مجموعة من القواعد عند عملية وضع الفئات وضبط الطرف الأكبر والطرف الأصغر لكل منها:

- تغطية حدود الفئات لكل القيم الإحصائية
- احتواء كل فئة على عدد معين من القيم. بحيث لا نجد فئة فارغة
- تجنب وجود تفاوت كبير بين القيم المدرجة داخل نفس الفئة، ونستثني من ذلك الفئة الأخيرة، لأنها قد تتضمن قيما متطرفة
- لا يجوز أن نضع فئات بينها ثقوب
- إدراج كل قيمة إحصائية في فئة واحدة ووحيدة. وعدم تداخل الفئات فيما بينها
- تجنب الإفراط في عدم توازن الفئات، من حيث عدد القيم المدرجة في كل واحدة منها
- تجنب وضع قيمتين متقاربتين في فئتين مختلفتين.

التمثيل الكرطوغرافي لفئات الكثافة السكانية

يعتبر المتغير البصري "القيمة" أنسب المتغيرات لتمثيل المعطيات الكمية النسبية ومنها تلك الخاصة بالكثافة السكانية. ويعتمد متغير القيمة على مبدأ الترتيب وتدرج الظلال من الظل الفاتح الذي يناسب فئة القيم الصغيرة إلى الظل الداكن الذي يناسب فئة القيم الكبيرة مرورا بباقي التدرجات الأخرى بينهما. وهو يوفر أكثر من إمكانية لتمثيل هذا التدرج بالتوطنات المساحية، على أن أكثرها استعمالا هي:

- الخطوط والنقط المتفاوتة التباعد أو المتفاوتة السمك فيما بينها، وينبغي الحرص على أن تظهر تدرجاتها بوضوح في كل الوحدات الموجودة على الخريطة سيما الصغيرة منها.

- قيمة أحد الألوان أو عدد من الألوان التي يمكن الإحساس بوجود تراتبية فيما بينها كالأحمر والبرتقالي والأصفر وتدرجاتها. ويوفر استعمال الألوان إمكانية تمثيل معطيات أخرى على نفس الخريطة أو الكتابة فوقها.

وفي كل الحالات، يجب أن تكون التدرجات واضحة بالقدر الذي يسهل على العين إدراك محتوى الصورة الكرطوغرافية ويُمَكِّن من سرعة استخلاص المعلومة، كما أن من المستحب تجنب حشر اللونين الأبيض والأسود ضمن التدرجات وتوظيف الأول في التعبير عن غياب المعطيات والثاني في الكتابة.

2 – 2 - تعطي خرائط الكثافة السكانية انطباعا مشوشا عن توزيع السكان في المجال

على العكس من خرائط السكان بالرموز التناسبية التي تهتم بإبراز الكم السكاني، فإن خرائط الكثافة السكانية تربط السكان بالمجال ولو بشكل أولي.

ترتبط خرائط الكثافة السكانية بحدود الوحدات الإدارية ومساحاتها التي قد تتميز بالتفاوت الكبير. ويؤثر ذلك على القياس الحسابي للكثافة العامة من جهة، حيث تتحكم مساحة هذه الوحدات في تحديد ارتفاع أو انخفاض الكثافة. كما أنها تؤثر على رؤية الكثافات على الخريطة، ذلك أن المساحات الكبيرة هي التي تلفت الانتباه أكثر من المساحات الصغيرة ولو كانت ألوانها داكنة.

وإذا كان من الممكن تمثيل الكثافة السكانية بالوحدات الإدارية كجهات البلد أو أقاليم الجهة أو جماعات الإقليم على خرائط صغيرة المقياس، فإن هذا التمثيل تزداد رداءته كلما كبر مقياس الخريطة المستعملة ويتطلب ضرورة تمثيل الكثافة في وحدات مجالية أصغر وعرض المزيد من التفاصيل عن الكثافة بها.

ينبغي استعمال خرائط الكثافة السكانية بنوع من التحفظ، لأن قياس الكثافة السكانية سواء العامة أو النوعية يتجاهل خصوصيات المجال المدروس سواء بالوسط الحضري أو الريفي على المستويين الطبيعي أو البشري، وينطلق من مسلمة

تعتبر المجال متجانسا والسكان يتوزعون فيه بشكل منتظم، بحيث أن كل كلم مربع أو هكتار يضم نفس العدد من الأشخاص، وهذا مجانب للواقع.

اعتماد حساب الكثافة السكانية على مساحة كل وحدة إدارية في المجال المدروس بشكل مستقل عن باقي الوحدات، حتى تلك المجاورة لها، يؤدي إلى وجودها في فئات كثافة سكانية متباعدة عن بعضها، ويظهر ذلك على الخريطة على شكل انقطاعات فجائية في تدرج الظلال بين الوحدات المجالية المتجاورة.

يتسبب اعتماد خرائط الكثافة السكانية على أسلوب التوزيع النسبي وتقسيم قيم الكثافات بين عدد من الفئات في تعميم المعلومة وطمس قيم الكثافات الحقيقية. فالمتلقي لا يعرف عن فئة الكثافة سوى ترتيبها بين باقي الفئات ومداها الذي يتحدد بطرفها الأصغر وطرفها الأكبر، وغالبا ما لا تكون قيمتاهما ضمن قيم الكثافات الحقيقية الموجودة بهذه الفئة.

تتدخل ذاتية واضع خريطة الكثافة السكانية في تكييف المعلومة التي يراد إبلاغها للمتلقي، ويصدق ذلك على باقي خرائط الظلال المتدرجة. فواضع الخريطة هو الذي يحدد عدد الفئات وأسلوب التفيئ المستعمل، وبالتالي يتحكم في توجيه فهم المتلقي وإدراكه خاصة إذا كان هذا الأخير يجهل واقع حال المجال المدروس. وتستفحل خطورة ذلك عندما تستعمل مثل هذه الخرائط بشكل تلقائي في المساعدة على اتخاذ القرارت خاصة في ميدان التهيئة.

وإثارة الإنتباه إلى هذه المسألة أمر ضروري عندما يصبح الإقبال على وضع واستعمال هذا النوع من الخرائط كبيرا، من دون وجود دراية جيدة بقواعد السيميولوجيا البيانية أو بحدود استعمالاته، وخاصة مع سهولة بنائه في برامج نظم المعلومات الجغرافية التي لا توفر أي منها إمكانية لتوجيه المستعمل إلى النوع الأنسب لوضع خريطته.

3 - خرائط توزيع السكان باستعمال النقط المتساوية القياس

يهدف هذا النوع من الخرائط إلى تمثيل عدد سكان الوحدات المجالية بمجموعة من النقط ذات القياس المتساوي، تعبر كل نقطة منها عن عدد متساوي من السكان، وذلك من أجل التعريف بتوزيع السكان وبأنماط انتشارهم في المجال المدروس، كما يظهر بالشكل 3-أ.

شكل 3-أ : توقيع النقط على الخريطة في أماكن تواجد السكان

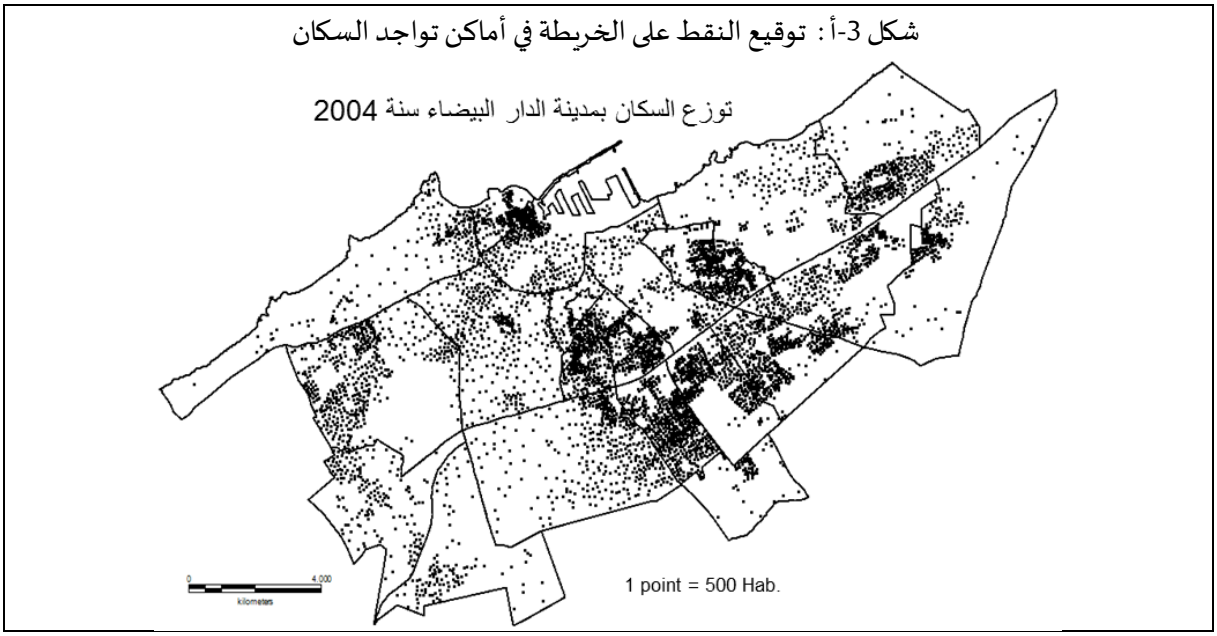

3 – 1 – يخضع وضع هذه الخرائط لعدد من الضوابط التي تمكن من حسن استغلالها

يتطلب إنجاز هذه الخريطة هيكلا به مضلعات تعبر عن الوحدات المساحية (إدارية أو إحصائية ...)، وجدولا خاصا بقيم الظاهرة المدروسة في كل من هذه الوحدات. ويقسم عدد السكان بكل وحدة إلى عدد من القيم الصغيرة المتساوية والتي يتم وضعها على الخريطة على شكل نقط متساوية القياس يتناسب عددها مع عدد السكان الكلي بها.

شكل 3-ب : توزيع السكان بالدار البيضاء الكبرى سنة 2004 : (تأثير القيمة العددية للنقط على قراءة الخريطة)

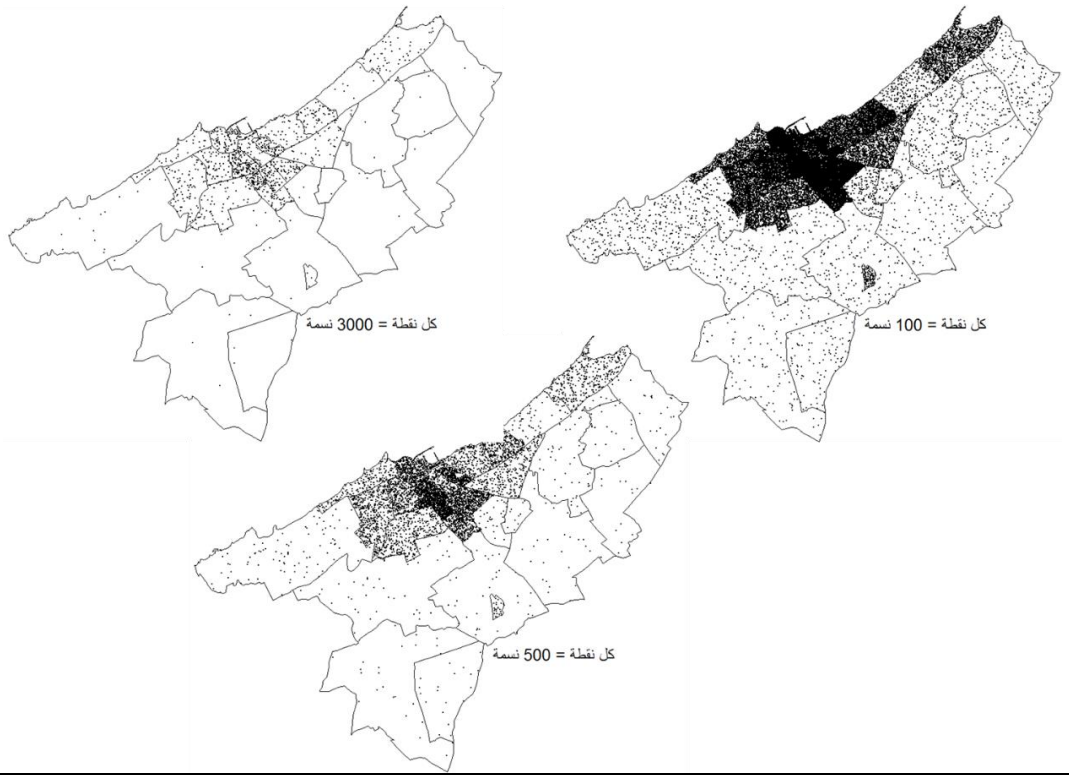

ويراعَى عند وضع هذه الخرائط ما يلي:

أن يكون المدلول الكمي لقيمة النقطة (أي عدد السكان الذي تمثله) مناسبا حتى تنقل بشكل جيد المعلومة التي تحملها الخريطة. فاختيار قيمة صغيرة لكل نقطة يعطي عددا مفرطا من النقط الموضوعة بشكل يؤدي إلى التقارب الشديد أو التراكب بينها، كما أن اختيار قيمة كبيرة لكل نقطة يقلص من عدد النقط ويؤدي إلى ظهور مساحات بيضاء واسعة على الخريطة أو عدم وضع نقط في بعض الوحدات التي يقل فيها عدد السكان عن القيمة المأخوذة لكل نقطة، (شكل 3-ب).

أن يكون حجم النقطة مناسبا، فاختيار نقط كبيرة الحجم يعطي انطباعا خاطئا عن توزيع الظاهرة في المناطق الضعيفة والمتوسطة الكثافة، كما أن اختيار نقط صغيرة الحجم يجعل التوزيع متشتتا وربما غير مرئي كما يظهر في الشكل 3-ج.

شكل 3-ج : توزيع السكان بالدار البيضاء الكبرى سنة 2004 : تأثير تفاوت أحجام النقط على قراءة الخريطة

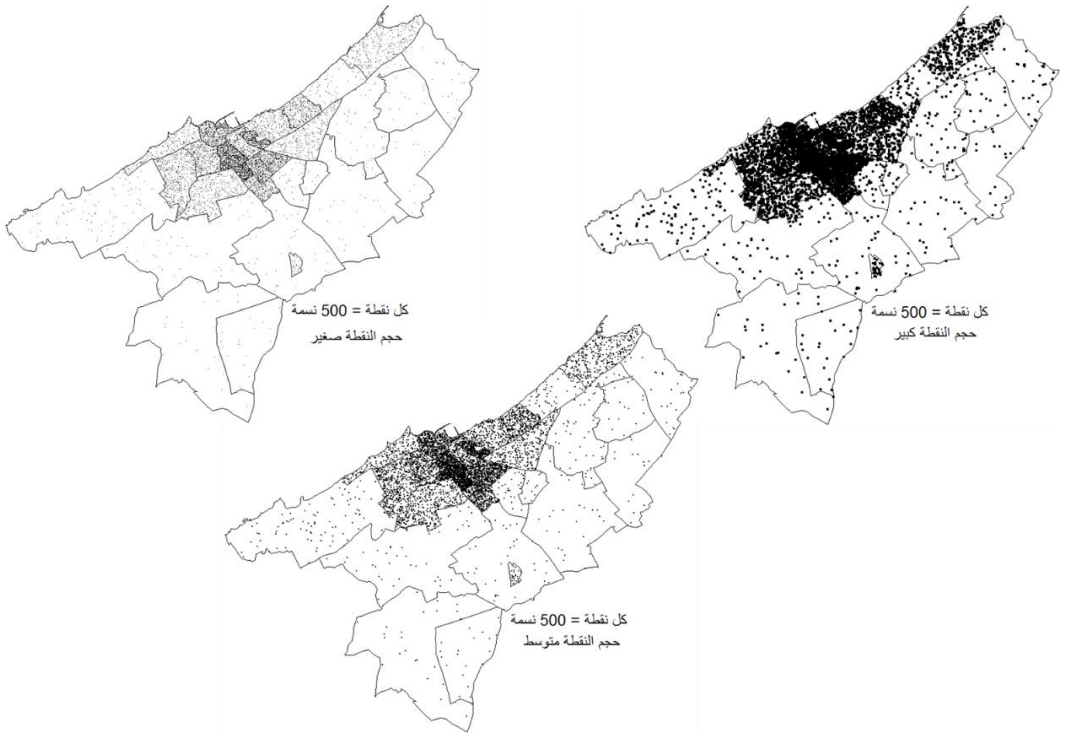

عدم وضع النقط على الخريطة بشكل عشوائي يضلل المتلقي، والحرص على توقيعها في أماكن تواجد السكان. ويتطلب ذلك معرفة جيدة بالمجال المدروس، أو الإعتماد على الصور الجوية والمرئيات الفضائية، أو الاستعانة بالخرائط الطوبوغرافية وخرائط استعمال الأرض، (الشكل رقم 3-أ).

3 – 2 – خرائط التمثيل بالنقط المتساوية القياس أسلوب جيد للتعبير عن الإنتشار المجالي للسكان

لاشك أن هناك عددا من النقائص التي ينبغي تجاوزها لكي لا تشكل نقط ضعف بالنسبة لهذا الصنف من الخرائط، ومن أبرزها :

ضرورة العناية بعنصرين متلازمين يحددان وضوح الظاهرة السكانية على هذه الخرائط ويؤثران على إدراك المتلقي واستنتاجاته هما السمك المناسب للنقط من جهة وقيمتها العددية من جهة ثانية.

التقارب الشديد بين النقط إلى حد تحولها إلى بقعة ممتدة في مناطق التجمعات السكانية الكبيرة العدد والصغيرة المساحة سيما بالوسط الحضري، مما يحول دون تمثيل معطى آخر على هذه الخرائط، ويجعل من المستحيل حسب بعض المنتقدين حساب النقط لمعرفة عدد السكان التقريبي بتلك المناطق[241].

إلا أن لهذا النوع الكثير من المحاسن التي ينبغي الكشف عنها؛

فأسلوب التمثيل الكرطوغرافي بالنقط المتساوية القياس يشترك مع أسلوب الرموز التناسبية في كونهما يستعملان لتمثيل معطى كمي مطلق. ويتكامل معه لتمثيل سكان الأرياف وسكان المدن في خريطة واحدة[242]. ويتفوق عليه في أنه يعرض توزع السكان بشكل تقريبي في مناطق تجمعاتهم السكنية.

ويلتقي أسلوب النقط المتساوية القياس مع أسلوب التوزيع النسبي بدوره، في أنه يأخذ البعد المجالي بعين الإعتبار. ويمكن أن يتراكب معه في خريطة للكثافات. ويتفوق عليه هو الآخر في عدم انحباسه خلف حدود الوحدات الإدارية، وإظهار امتدادات التجمعات السكانية دون اعتبار لوجود هذه الحدود.

وهذه الخرائط إضافة إلى كونها سهلة الفهم والإستيعاب حتى بالنسبة لغير الممارسين، فإن وضعها الجيد يسمح بتقديم صورة معبرة عن أنماط الإنتشار المجالي للسكان في المجال. كما أنها لا تتطلب أي عمليات حسابية على العكس من الأسلوبين الآخرين، وبالإمكان توظيفها لتمثيل السكان بالوسط الحضري كذلك شريطة استعمال مقياس أكبر يمكن من تفادي تراكب النقط.

ورغم هذه المميزات، فإن الاهتمام بخرائط توزيع السكان بالنقط المتساوية القياس ضعيف مقارنة بما كان عليه الحال سابقا، ربما لأنها تتطلب معرفة بالميدان وتحتاج إلى وقت أكثر لإنجازها بشكل منسجم مع الواقع. يكفي أن نشير إلى غياب هذا الصنف من الخرائط في السواد الأعظم من الدراسات الجغرافية الأكاديمية حتى التي تعنى بموضوع السكان، ناهيك عن شبه غيابه في الدراسات التشخيصية الممهدة لوضع وثائق التعمير. ويحدث هذا في الوقت الذي أصبح بمقدورنا

---

[241] يمكن الرد على هذا الانتقاد بكون وجود بقعة سوداء على الخريطة هو دليل على الإكتظاظ السكاني كما يدل بياض بقع أخرى على قلة السكان، وهذه في حد ذاتها معلومة جيدة لايمكن بلوغها باستعمال خرائط التوزيع النسبي للسكان.

[242] عادة ما تستعمل النقط المتساوية القياس والرموز التناسبية على خريطة واحدة لتوزيع السكان بالمدن والأرياف، بحيث:

- تخصص النقط المتساوية القياس لتمثيل سكان الأرياف كتعبير عن طابع التشتت والإنتشار والندرة الذي يطبع توزيع هؤلاء، وتستخدم الرموز التناسبية لتمثيل سكان المدن الذين يغلب عليهم طابع التجمع والكثافة المرتفعة في حيز مجالي أصغر.
- ترسم الرموز التناسبية فوق مواقع المراكز الحضرية على الخريطة وتظلل بشكل خفيف لا يغطي ما يوجد خلفها، في حين يعتمد وضع النقط المتساوية القياس على خرائط طوبوغرافية أو مرئيات فضائية لتحديد مواقع التجمعات السكانية كالدواوير الكبرى أو التجمعات الموجودة قرب نقط المياه والمجاري المائية وتقاطعات الطرق الكثيفة الحركة وقرب الأسواق الأسبوعية أو التي تحتضن بعض الخدمات الأساسية.

استعمال مرئيات فضائية مُحَيَّنة لمعرفة أشكال استغلال الأرض. وزادت برامج نظم المعلومات الجغرافية من دقة ومرونة الرسوم وسرعة إنجازها ومن القدرة على التحليل المجالي، والمساهمة في وضع خرائط معبرة لتوزيع السكان بالنقط المتساوية القياس.

خاتمة

تضمنت هذه المقالة عرضا لمميزات ثلاثة أنواع من خرائط توزيع السكان، اثنان منهما يستعملان على نطاق واسع، بينما تراجع الاهتمام بالنوع الثالث. ويبدو أن لكل منها وظيفته الخاصة؛

فخرائط السكان بالرموز التناسبية تضطلع بمهمة الكشف عن الثقل السكاني للوحدات المجالية، وتوفر للمتلقي قراءة سهلة ما لم تكن مزدحمة بالرموز المتراكبة أو التي يصعب على عينه تمييز الفوارق بينها.

وتعطي خرائط تمثيل السكان بالظلال المتدرجة القيمة للمتلقي تصورا تمهيديا عن وجود السكان في المجال، ولو أن بناءها فيه نوع من التحيز الذي يهدد مصداقيتها، لاسيما وأن واضع الخريطة هو من يتحكم إلى حد بعيد في تحديد عدد الفئات وأساليب التفيئ المستعملة.

أما خرائط تمثيل السكان بالنقط المتساوية القياس فإنها تعبر أكثر من غيرها، إن أُحسِن وضعها، عن كل من الثقل السكاني للوحدات المجالية وعن أنماط انتشار السكان بها. لكن يبدو أن حاجتها إلى توظيف وثائق أخرى وإلى معالجة متأنية لمعطياتها قد أدى إلى النفور من إنجازها، وإلى الإجحاف في حق استعمالها.

قائمة المراجع

أبو راضي ف. ع. (1998). المساحة والخرائط. دراسة في الطرق المساحية وأساليب التمثيل الكارتوجرافي.
دار النهضة العربية.

سطيحة م. م. (1972). دراسات في علم خرائط السكان. دار النهضة العربية

Cauvin C., Escobar F., Serradj A. (2010). Thematic cartography Vol.1. ISTE.

Joly F. (1976). La cartographie. Série MAGELLAN. PUF. Paris

Noin D. (1988). Géographie de la population. Masson.

Poidevin D. (1999). La carte, moyen d'action. Ellipses. Paris

Zanin C. et Tremelo M. (2003). Savoir-faire une carte. Belin Sup.

Zanin C. et Lambert N. (2016). Manuel de cartographie. Armand Colin

الشخصية في التجربة الروائية لبنسالم حميش[243]

رواية "مجنون الحكم" نموذجا

The Character in the Novels of Bensalem Himmich:

"Majnoon al-Hokm" (The Insane Desire to Rule) as a Case Study

محمد أبحير

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بجهة بني ملال خنيفرة

medabhir@gmail.com

الملخص: يندرج هذا العمل في إطار الكشف عن أبعاد الشخصيات في الأعمال الروائية، انطلاقا من رواية " مجنون الحكم" للكاتب والمفكر المغربي بنسالم حميش، إذ أصبحت الرواية ديوان العرب الجديد، ووفق هذه الرؤية صارت الكتابة الروائية لسان حال الأمة وخير ناقل لهموم الفرد والمجتمع.

وهكذا، فقد وقع اختيارنا على رواية "مجنون الحكم" للكاتب المغربي بنسالم حميش الصادرة عن مطبعة المعارف الجديدة، بالرباط، سنة 1998، رغبة في التعرف على تحولات الشخصية الروائية، وقد آثرنا الحديث عن شخصية "الحاكم بأمر الله"، لعدة اعتبارات منها: مركزيتها وحضورها الدائم في صفحات الرواية، علاوة على حضورها الدائم في حوارات باقي الشخصيات.

كلمات مفتاحية: مجنون الحكم، بنسالم حميش، الرواية التاريخية، تحولات الشخصية.

Abstract:

This work attempts to explore the different dimensions of characters in modern Moroccan novels in view of the Moroccan writer and thinker Bensalem Himmich's work ""مجنون الحكم (The Insane Desire to Rule" for it reflects how writing fiction is now the mirror of Arabs' reality, their concerns and daily affairs. Again, this novel, published in 1998 by Imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, is the subject of this study, and through which, I try to discuss and expose the transformations in Moroccan novels' characters. While I do, my focus remains on the character of الحاكم بأمر الله (The Ruler by the Order of Allah) as it is a central character in the novel, besides how it is always present in almost all the conversations among the other characters.

Keywords: Bensalem Himmich, change in characters, Moroccan novels, novel narrative

[243] كاتب ومفكر مغربي، عمل أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، شعبة الفلسفة، من إنتاجاته الروائية: مجنون الحكم (1990) محن الفتى زين شامة (1993) سماسرة السراب (1995)العلامة (1997)هذا الأندلسي (2007) وغيرها من المؤلفات.

شـهدت السـاحة الثقافية العربية تحولات جمة، وبخاصـة في الجانب المتعلق بالتراكم في مجال الكتابة الأدبية، ومن علامات ذلك الانتقال من الكتابة في الشـعر إلى الولع بالسـرد، وبعبارة أدق: صـارت الرواية ديوان العرب الجديد بدلا من الشـعر. ووفق تلك الرؤية صـارت الرواية لسـان حال الأمة وخير ناقل لهموم الفرد والمجتمع، إذ تحول مسـار التاريخ الأدبي إلى "موسم الهجرة إلى الرواية"[244].فقد صارت الكتابة السردية "متنفسا عن الآلام، ومنقذا من الضياع والضلال، ورسالة هادفة، تعمق الرؤية من أجل تغيير الواقع وتعديل المفاهيم، والتطلع إلى مستقبل أفضل"[245].

ولم تنفصـل الرواية عن هذا المسـعى، فقد اتخذ الكتاب الرواية مجالا للتعبير الفني والأيديولوجي، عن طريق اسـتحضـار مشـاغل الفرد ومشـاكله، فسـايرت الكتابة السـردية القضـايا الراهنة واسـتوعبتها انطلاقا من دروس التاريخ وعبره، فكانت الرواية التاريخية خير معبر عن هموم الفرد والمجتمع.

وعليه، لم تكن رواية "مجنون الحكم" لبنسـالم حميش، رواية تاريخية بالمفهوم التاريخي الصـارم، تروي تاريخا وتعبر عنه وتناقشـه، بل كانت رواية تضـرب في جذورها في الماضـي وتسـتقر في الحاضـر، لتعلن عن العلاقة الوطيدة بين الماضـي والحاضر[246].

كما يمتلك بنسالم حميش بحق تجربة متميزة في مجال التأصيل الروائي، والبحث عن كتابة روائية عربية تستمد مقوماتها الجمالية والموضوعية من التراث السـردي، تجعله في مصـاف روائيين عرب كبار أغنوا المشـهد الروائي العربي بروايات ذات قيمة فنية عالية، انطلاقا من الاسـتفادة من ذخيرة التراث العربي النمير، الذي أبان عن قدرته الخلاقة في إمداد مبدعينا بأسـاليب روائية، وأنماط سـردية، وقوالب فنية، ومادة حكائية ما تزال تحتفظ بجمالها الفني الآسـر، وبزخمها التعبيري عن قضايا الإنسان العربي المعاصر وتطلعاته[247].

والملاحظ في روايات بنسـالم حميش التي تفاعلت مع التراث التاريخي، شـأن كثرة كثيرة من نظيراتها العربية، هو كونها تتعرض إلى واقع الاستبداد والفساد السياسي الذي يميز الواقع العربي بوصف الاستبداد أصل كل فساد يعيث في مرافق الحياة العربية ويعيق انطلاقتها ورقيها[248].

فقد اسـتثمر الكاتب المغربي بنسـالم حميش الأحداث والوقائع التاريخية ليصـنع منها شـكلا جديدا هو: التخييل التاريخي، فراح يبحث عن حدود اللقاء بين الماضـي والحاضـر، انطلاقا من شـخصـيات رواية "مجنون الحكم". وبالتالي فإن جوهر

---

[244]طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ص: 1.

[245] نفسه، ص: 3.

[246] هاني إسـماعيل محمد إسـماعيل أبو رطيبة، الدوغمائية والتخييل السـردي: رواية مجنون الحكم لبنسـالم حميش نموذجا، آفاق فكرية، المجلد 05، العدد: 11، دجنبر 2019، ص: 143.

[247]طارق غرماوي، الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، مجلة الخطاب: المجلد: 12، العدد:1، ص: 153 و154.

[248] نفسه، ص: 155 و156.

هذا العمل الأدبي هو محاولة الكاتب مساءلة شخص الحاكم انطلاقا من وقائع سابقة حاول عصرنتها وتقديمها في ثوب جديد.

وتأسيسا على ما سبق، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أبعاد الشخصيات في الأعمال الروائية، انطلاقا من رواية " مجنون الحكم" للكاتب والمفكر المغربي: بنسالم حميش، وقد وقع اختيارنا على شخصية "الحاكم بأمر الله"، لعدة اعتبارات منها: مركزيتها وحضورها الدائم في صفحات الرواية، علاوة على حضورها الدائم في حوارات باقي الشخصيات.

بين يدي الخطاب الروائي:

يعرف الخطاب الروائي – نظريا – على أنه "بنية لغوية دالة أو تشكيل لغوي سردي دال، يصوغ عالما موحدا خاصا، تتنوع وتتعدد وتختلف في داخله اللغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلاقات والأمكنة والأزمنة، دون أن يقضي هذا التنوع والتعدد والاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدالة، بل هو يؤسسها"[249].

كما عرفت الرواية بأنها "نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا ما يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة "[250]. ومن التعريفات الأخرى القول بأنها " فن نثري، تخيلي، طويل – نسبيا – بالقياس إلى فن القصة القصيرة – مثلا – وهو فن – بسبب طوله – يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا. وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة "[251].

وتسعى الرواية التي صارت (ديوان العرب) في العصر الحديث، نحو الارتباط القوي بالواقع المعاصر، ومحاولة تصوير أدق تفاصيله، وعكس آلامه وأحلامه. والرواية – وهي تسعى نحو تحقيق ذلك – تقدم موضوعاتها بجرأة وصراحة، وتصور قضاياها مختلطة بطين الأرض، ومخضبة بقضايا الواقع[252].

إن انفتاح الرواية على القضايا السياسية انطلاقا من مكون التاريخ، لهو سعي حثيث من لدن الكتاب إلى إقناع الجمهور بالأفكار التي تراود المبدع، كما يسعى إلى تيسير شروط تحققها، "فالرواية المعاصرة حين تعبر عن قضية سياسية، قد تكون حادة وساخنة، لكن الروائي يحاول أن يقدمها بطريقة فنية هادئة، حتى تقرأ من الخصوم والأنصار، وتكون مقبولة من كليهما في آن واحد"[253].

---

[249] محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والايديولوجية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1986، ص: 11.

250 لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون / دار النهار للنشر، ط: 1، 2002، ص: 99.

[251] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 2، 2015، ص: 27.

[252] الرواية السياسية، ص: 5.

[253] نفسه، ص: 7.

كما أن إبداء الكاتب عدم رضاه عن الواقع لا يعني غياب البديل، فمما "لا ريب فيه أن الروائي حين يطرح نقدا سياسيا لمجتمعه، فإنه -في الوقت نفسه- يقدم رؤية مستنيرة وملتزمة له. معنى هذا أن الرواية -بحكم مضمونها الاجتماعي- تقدم نقدا للواقع ورؤية مستقبلية له في آن واحد"[254].مع العلم أن العلاقة بين الرواية والواقع من القضايا الخلافية، فـ" ما أشد الخلاف والاختلاف بين الخطاب الروائي والواقع، أو بين كينونة الخطاب الروائي وإيديولوجيته"[255].

الرو اية والتاريخ[256]:

يذهب الناقد غراهام هو Graham Hough إلى أن العلاقة بين الرواية والتاريخ علاقة متداخلة، بحكم أن " كل الروايات تاريخية اعتبارا بالمعنى العام للرواية وارتباطها بالواقع المعيش وتصويره"[257]، وبالتالي فإن الرواية والتاريخ لا يفترقان، بل إنها أقرب الأجناس الأدبية إلى الانفتاح على التاريخ وفتح الأبواب على مصراعيها لاحتضانه والاستئناس به.

إلا أن الروائي لا يكتفي بنقل النصوص التاريخية كما هي فقط، وإنما" يتصور عالما روائيا يعج بالحياة ليس التاريخ إلا خلفية له، ومجالا يهب هذا العالم إحداثياته"[258]. وبناء عليه، يقوم الروائي" بعملية تركيب جديدة للوقائع والأحداث والظرف التاريخي، والشخصيات المذكورة في حوليات تلك المرحلة، مضيفا إليها شخصيات متخيلة تساعده في تأثيث المكان واستعادة حرارة اللحظات الإنسانية والأزمنة الراحلة لشخصياته الحقيقية والمتخيلة"[259].

---

[254] نفسه، ص: 14.

[255] الرواية العربية بين الواقع والايديولوجية، ص: 10.

[256] غالبا ما يحضرنا السؤال: ما التاريخ؟ إن التاريخ، غالبا، علم سلطوي وعن السلطة، يدور حول مقولتين سلطويتين، هما الانتصار والهزيمة، ينتج ويعاد إنتاجه في مؤسسات سلطوية...إن ثنائية النصر والهزيمة، وهي سلطوية المنظور والغايات، تفضي لزوما، إلى تاريخين متعالقين متنافيين، يحدث أحدهما عن منتصر جدير بنصره ويسرد ثانيهما سيرة مهزوم لا يليق النصر به.

فمن سخف القول، بداهة، أن يلتمس الإنسان حقيقة "العصر الأموي" في كتابات عباسية، أو أن يقرأ التاريخ العربي في أطروحات صهيونية ترى فلسطين يهودية "منذ زمن سحيق"، أو أن ينقب عن حضارة هندية في دراسات أمريكية انتصارية، لم تكتشف أن للهنود أرواحا إلا بعد استقرارهم في قبور جماعية.

انظر: الرواية وتأويل التاريخ: نظرية الرواية والرواية العربية، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط: 1، 2004، ص: 82 و83.

[257] غراهام هو، ترجمة: محي الدين صبحي، مقالة في النقد، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، ط:1، 1973، ص: 71 و72.

[258] الرواية والتاريخ، ص: 55.

[259] فخري صالح، قبل نجيب محفوظ وبعده (دراسات في الرواية العربية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص: 70.

وتكاد تتفق الأدبيات النقدية على أن نشـأة الرواية التاريخية كانت على يد جرجي زيدان، وصـولا إلى أحدث النماذج التي صدرت ابتداء من العام 1989[260]. ويمكن تقسيم مراحل نشوء الرواية التاريخية إلى ثلاثة أقسام هي[261]:

- **القسـم الأول: رواية التعليم:** لا تتوافر فيه الأسـس والمفاهيم الفنية لبناء الرواية بشـكل كامل، أو يجعل منه أصحابه مجرد وسـيلة لتحقيق غاية أخرى مع التجاوز عن بعض مواصـفات البناء الفني للرواية، وكان الهدف منه غالبا هدفا تعليميا.

- **القسـم الثاني: رواية النضـج:** نبت على يد رواد الحرفة الفنية الناضـجة أو جيل البناة للرواية العربية الحديثة، وهو الجيل الذي اسـتوعب المقاييس الكلاسـيكية التي عرفها الأدب الغربي الحديث، فأنشـأ على هداها رواية متكاملة الأركان قوية الأسس، واستطاع أن يقدم رواية تاريخية ناضجة، نستطيع أن نطلق عليها رواية "النضج".

- **القسـم الثالث: رواية اسـتدعاء التاريخ:** يتمثل في الاسـتفادة من التاريخ كإطار يتحرك من داخله الكاتب الروائي مسـتعينا بالخيال الروائي الفضـفاض، ليعالج قضـايا معاصـرة وملحة، وهو ما نسـتطيع أن نطلق عليه رواية " اسـتدعاء التاريخ".

وقد "برزت إلى السـاحة الإبداعية عدة أعمال روائية منفتحة على السـجلات الثقافية للتراث العربي بمختلف أنماطه الأجناسـية كالمقامات والحكايات الخارقة والملاحم الشـعبية والتراثية الصـوفية والشـعر العربي والتاريخ والتراجم والسـير وغيرها"[262]. وبناء على ذلك " أضـحى التراث مادة أسـاسـية ومكونا مهما من مكونات هذه النصـوص؛ في أفق كتابة روائية عربية تتضـح أصـالة وفرادة وتميزا عن الأنماط الروائية الغربية التي هيمنت لردح من الزمن غير قصـير، على الإنتاج الروائي المغربي"[263].

والجدير بالذكر أن" العودة إلى النص التراثي هنا لا تعني الاستنساخ الفج للتراث بل تعني إعادة إنتاجه ضمن سياق جديد ورؤية مختلفة وصياغة مغايرة لملامسة قضايا الراهن وأسئلته الملحة"[264]، فلعل من مبررات استدعاء التاريخ في الكتابات المعاصـرة أن " في الماضـي كانت هناك مسـاحات مضـيئة ومشـرقة، وهذه المسـاحات مفيدة، واسـتدعاؤها ضـروري كي نستفيد من معالمها وملامحها ودروسها.. ولعلنا نضيء بها مساحات مماثلة في حاضرنا.

---

[260] حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث: دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط: 1، 2008، ص: 7.

[261] نفسه، ص: 7.

[262] الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، ص: 151.

[263] نفسه، ص: 152.

[264] الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، ص: 152.

وفي الماضي، كانت هناك مساحات مظلمة وقاتمة.. وهذه المساحات مفيدة أيضا، واستدعاؤها ضروري كذلك، كي نستفيد من عبرها وعظاتها ونتائجها.. ولعلنا بعدئذ نحافظ على ما عندنا حتى لا يشمله الظلام والقتامة"[265].

وبالجملة، آن الأوان لرفع التهميش عن هذا النوع من الكتابة السردية، إذ "يبقى هذا الكم من "الرواية التاريخية" في حاجة إلى إعادة نظر، وإلى قراءة جديدة تغوص في أعماقه، وتكشف بعض مكنوناته"[266]. فالرواية لا تبعث التاريخ إلا لاستنفار الحاضر واستنهاض قوى التغيير التي تسير به نحو الواقع المأمول[267].

الرواية والسياسة:

تعرف "الرواية السياسية" على أنها "الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي. وكاتب الرواية السياسية ليس منتميا – بالضرورة – إلى حزب من الأحزاب السياسية، لكنه (صاحب أيديولوجيا)، يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني"[268].

وقد انفتحت الرواية العربية على المواضيع السياسية انفتاحا كبيرا، " من هنا تعد السياسة محورا هاما من محاور الأدب العربي المعاصر بصفة عامة – وفنون السرد بصفة خاصة؛ إذ لم يكن أمام المثقف العربي من سبيل إلا أن يلجأ إلى فنون السرد (يحكي) من خلال منظومتها أوجاعه وآلامه، ويقص أحواله وأشجانه، ويستشرف أحلامه وآماله"[269]. لهذا يتسرب إلى الأذهان منطق يؤمن بالنضال بوساطة الفن، عن طريق إثارة القضايا المصيرية والحياتية التي تشغل بال الفرد في المجتمع ونثر تفاصيل ذلك على امتداد صفحات الرواية، أملا في إحداث التغيير المنشود.

ويمكن تسجيل الحضور اللافت للسياسة في المتن الروائي المعاصر، إذ "إن قضايا الفكر ومشكلات الأيديولوجيا أصبحت (التيمة) الرئيسة والمحور الغالب عند كثير من كتاب الرواية العربية المعاصرة...وهؤلاء الكتاب يهدفون إلى القيام بوظيفة (تسييس) للقارئ أكثر من حرصهم على إمتاعه وتسليته؛ من هنا يعمد كثير من الكتاب الطليعيين...إلى تقديم تجارب قصصية صادمة أو مدهشة على الأقل.. أملا في أن يخرجوا قراءهم من حالة الغيبوبة، التي يرون أنهم يعيشونها"[270].

تحولات شخصية الحاكم في الرواية:

---

[265] الرواية التاريخية في أدبنا الحديث: دراسة تطبيقية، ص: 6.

[266] نفسه، ص: 6.

[267] الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، ص: 160.

[268] الرواية السياسية، ص: 6.

[269] نفسه، ص: 1 و2.

[270] نفسه، ص: 2.

من نافلة القول إنه لا وجود لعمل روائي بدون شخصيات، فهي قطب رحى الأحداث ومحرك الحوار، والعنصر الأساس في التفاعل مع معطيات الزمان والمكان. ومن ثم يذهب الباحث حميد لحميداني إلى أن الشخصية هي الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية والثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوك الشخصيات[271].

وتعد الشخصية أساس الكتابة الروائية، إذ لا يمكن تخيل رواية بدون شخصيات، فهي أهم عنصر يشد عضد الكتابة السردية، لهذا فدراسة الشخصية الروائية من أهم الوسائط الرامية إلى إضاءة عوالم الرواية ويكون ذلك من خلال مستويين:

الأول: فني جمالي، إذ يدخل رسم الشخصية في صلب ما يعطي الرواية قيمتها الفكرية والجمالية، وبلغ من عناية الروائيين برسم الشخصية أنها اعتمدت أساسا لتصنيف بعض الأنماط الروائية، فعرف الاصطلاح الأدبي "رواية الشخصيات" التي استخدم فيها الروائيون براعتهم الحرفية، وخبراتهم المعرفية لعرض شخصيات تمتلك قابلية الرسوخ في ثقافة الإنسان، فقد كان الروائيون يشعرون دائما أن في الشخصية شيئا شيقا وممتعا.

الثاني: فكري معرفي، باعتبار الشخصية نافذة مترعة للإطلالة على البنى المتجاورة في القطاع الإنساني، الاجتماعي، التاريخي مما تشمله الإطلالة[272].

وبناء عليه، يفترض أن يتم انتقاء شخصيات العمل الروائي بعناية فائقة، لهذا فالشائع أن "يختار الكاتب شخوصه من الحياة عادة (الحياة الحاضرة أو الماضية في التاريخ أو المستقبلة في الخيال) كما هو الحال في الأحداث، وقد يعيد رسم الشخصية بإضافة صفات جديدة خيالية، أو يكثف سلوكه ليظهره على حقيقة معينة. وهو إذ يقدم شخصيته يكون حريصا على أن يعرضها واضحة الأبعاد، وهذه الأبعاد هي:

[271] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط:1، 1991، ص: 51.

[272] صلاح صالح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط: 1، 2003، ص: 102 و103.

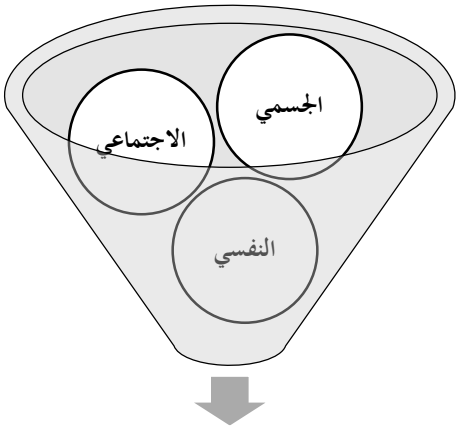

أبعاد الشخصيات

أ- **البعد الجسمي:** ويتمثل في صفات الجسم المختلفة من طول وقصر، وبدانة ونحافة، ويرسم عيوبه وهيئته وسنه وجنسه...أثر ذلك كله في سلوك الشخصية حسب الفكرة التي يحللها.

ب- **البعد الاجتماعي:** ويتثمل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية. وفي نوع العمل الذي يقوم به في المجتمع، وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه وجنسيته وهواياته...

ج- **البعد النفسي:** ويكون نتيجة للبعدين السابقين في الاستعداد والسلوك، من رغبات وآمال وعزيمة وفكر، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها. ويشمل أيضا، مزاج الشخصية من انفعال وهدوء، وانطواء أو انبساط"[273].

كما يمكن أن تبنى الشخصية اطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها، أو تسند لها من شخصيات أخرى أو من قبل السارد.

[273] عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون/عمان، ط:4، 2008 / 1428، ص: 133.

ويتم التمييز بين هذه الملفوظات بحسب طبيعة المعرفة (المعلومات) التي تقدمها عن الشخصية. إجرائيا يمكن التمييز بين المواصفات التالية:

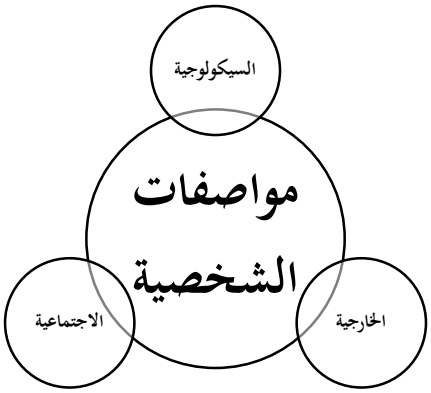

أ- **المواصفات السيكولوجية:** تتعلق بكينونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الانفعالات، العواطف...).

ب- **المواصفات الخارجية:** تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية (القامة، لون الشعر، العينان، الوجه، العمر، اللباس...).

ج- **المواصفات الاجتماعية:** تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي، وإيديولوجيتها، وعلاقتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية: عامل/طبقة متوسطة/برجوازي/إقطاعي، وضعها الاجتماعي: فقير/غني، إيديولوجيتها: رأسمالي، أصولي، سلطة...)[274].

لهذا فالشخصيات ليست على منهج واحد، فاختلاف مرجعياتها الفكرية واصفاتها النفسية وما إلى ذلك، يفرض حتما اختلافا في وظائفها داخل المتن السردي، وهذا ما سنحاول بيانه انطلاقا من المحاور الموالية.

إن التركيز على الشخصيات في الرواية يتمظهر منذ الوهلة الأولى، أقصد انطلاقا من عتبة العنوان، فـــ"العنوان مفتاح أساسي للدخول إلى تفسير عالم النص الأدبي، وإن كان بعض الدارسين لا يولونه الاهتمام الكافي. وهناك بعض العناوين

[274] محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف/دار الأمان، ط: 1، 2010، ص: 40.

تشـي بمحتوى الشـكل"[275]. وبالتالي فالعنوان "مجنون الحكم" إحالة على الشـخصـية التاريخية الأبرز في الرواية، وهي شخصية أبي علي منصور الفاطمي.

التحولات الفكرية/السياسية:

تعد الأسـس الفكرية والعقدية لكل دولة أو جماعة هي الموجه الحقيقي لحركاتها وسـكناتها، وفي ضـوء ذلك تكشـف التحولات الفكرية عن نفسـها من خلال رصـد علامات الاسـتبداد والتعلق بالسـلطة من قبل أبي علي منصـور، ولعل من الصـور الدالة على شـذوذ الحاكم السـلطوي ادعاؤه الربوبية: "إن سـألتموني عن علة فعلتي تلك، وما شـابهها، فاسـألوا إلهكم لم هو على كل شـيء قدير، وما الحكمة في تعذيبه للبهائم والأطفال، وإرهاقه للثكالى أو اختطافه للأرواح، أفواجا وكتلا"[276].

يصور الاستشهاد كيف يتصور أبو علي منصور علاقته مع الآخرين، فهو مختار من السماء، وطاعته قدر مقدور، وبالتالي "تعكس عبارات الحاكم منطقه وغرابة تفكيره، ودوغمائيته السلطوية، التي حولها إلى جنوح وادعاء للربوبية أسس به لكل أفعاله الشاذة. فالرؤية الرئيسة للخطاب تتمحور حول السكوت على الظلم، الذي يدفع الظالم للمزيد من الممارسات التي تجاوز الشـطط والفجور في اسـتباحة الدماء والأعراض والأموال، إن الرؤية الفلسـفية للرواية لا تتوقف أمام الماضـي لترصده إنما تسقط الأقنعة عن الماضي والحاضر ومنتجاتهما القمعية"[277].

لهذا لا يمانع الحاكم في التعبير عن جنونه بالسـلطة وممارسـة التسـلط على العباد والبلاد، بل وتأليه نفسـه، لأنه يعتقد بأن "كل حاكم بأمر الله لا يحاكي الله في صـفاته لهو سـاقط عن الولاية مزيف الشـارات والإمارات"[278]، كما أن التماهي بالذات الإلهية يدفع الحاكم إلى الاعتقاد بأن علاقته مع رعيته لا تختلف في شيء مع العلاقة التي بين العبد وخالقه "أركب إليكم وأشـد الرحال إلى خفاياكم. فلا تهربوا ولا تفزعوا. فما أدراكم إن أتيت مع الفرج بعد الشـدة، أو عممت إنعاماتي حيث ترقبتم القتل[279]".

---

[275] الرواية السياسية، ص: 14.

[276] بنسالم حميش، مجنون الحكم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط:2، 1998، ص: 23.

[277] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، ص: 154.

[278] مجنون الحكم، ص: 23.

[279] نفسه، ص: 24.

وبالتالي تتكشف إيديولوجية الحاكم، إنه يسعى إلى فرض دين جديد يغاير ما تعودت عليه الرعية وألفته، "تسألونني عن الحكمة في أمري بهدم كنيسة القيامة التي ببيت المقدس، وكنائس أخرى، بمصر والشام...لا ليس فقط لأن ضرب النواقيس كنباح الكلاب يفسد علي في قعر ديني وديباري مناجاتي مع ملكوت السماء"[280].

إن الإسلام الذي يغار عليه الحاكم ليس الإسلام الذي نعرفه، إنما الإسلام الذي يريد هو، أو يعتنقه ويهيئ له شطحه الفكري والديني وأحاديثه"[281]، ولعل في إقرار القوانين الشاذة في الحسبة وقلب المواقيت خير مثال على هذا الدين الجديد[282].

وبالجملة، فقد حاول الروائي بنسالم حميش التأكيد على أن الاستبداد مازال يحتفظ براهنيته، فلا يزال ثمة من يعتقد أن كل ما يفعله هو حق يجب أن يسود حتى ولو كان جرائم شائنة، بينما يعتقد في الوقت نفسه أن كل مناوئ له هو باطل يجب أن يدحر ويزهق بكل وسيلة على حد تعبير الكاتب زكريا تامر[283].

التحولات الاجتماعية:

سايرت الرواية العربية مختلف التحولات الاجتماعية، التي شهدها ولازال يشهدها الوطن العربي، وتنتصب الثورات وحالات التمرد نموذجا بينا لهذه التحولات، على الرغم من الاختلاف القائم بين الباحثين بخصوص مفهوم الثورة[284].

فقد ثار أبو ركوة على حكم أبي علي منصور الفاطمي ودعا الناس إلى قتاله " هذا الحاكم الفاطمي منكر كله، ينسى الله وما فعله بعاد وثمود وفرعون. وترونه يفتك بالبعيد والقريب، والفقيه والصوفي، وبكل من رفع رأسه احتجاجا أو سار يريد حباءه. وكم من موؤودين بيديه المجرمتين ماتوا غصبا وظلما! إن هذا لهو العبث الأعظم! لاوعظ ينفع في الطاغوت ولا نصح. وكيف ذلك وجلد الخنزير لا يندبغ"[285].

---

[280] نفسه، ص: 38.

[281] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، ص: 155.

[282] انظر: مجنون الحكم، ص: 30 و51.

[283] شهادة زكريا تامر في الرواية (انظر ظهر الرواية).

[284] يعرفها عبد الإله بلقزيز قائلا : "[إن] مفهوم الثورة، في وضعه الاعتباري النظري، يعني التغيير الجذري للنظام الاجتماعي – الاقتصادي وليس للنظام السياسي فحسب"(ثورات وخيبات: في التغيير الذي لم يكتمل، عبد الإله بلقزيز، منتدى المعارف، بيروت، ط: 1، 2012، ص: 20)، بينما يحصر عزمي بشارة مفهوم الثورة في التغيير السياسي لا غير، إذ يقول : "الثورة هنا هي الثورة السياسية التي تهدف إلى تغيير نظام الحكم بالتحرك الشعبي من خارج الدستور"(عزمي بشارة، المثقف والثورة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة: كراسات الكلية، رقم: 6، 2013، ص: 25).

[285] مجنون الحكم، ص: 136.

ومن المعلوم أن عقيدة المستبد الاجتماعية تتأسس على نشر الخوف والتخويف من الآخرين، طمعا في إطالة عمر الحكم والتحكم في البلاد والعباد، ويمكن بيان هذا الأمر انطلاقا من شيوع أمر ثورة أبي ركوة، فقد استهل الكاتب الحديث عن هذا الأمر بخبر منقول من كتاب "الكامل في التاريخ" جاء فيه: "وأقام أبو ركوة ببرقة وترددت سراياه إلى الصعيد وأرض مصر. وقام الحاكم من ذلك وقعد. وسقط في يديه. وندم على ما فرط، وفرح جند مصر وأعيانها، وعلم الحاكم ذلك فاشتد قلقه، وأظهر الاعتذار عن الذي فعله. وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه، وكتب إليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد، فسار عن برقة إلى الصعيد، وعلم الحاكم فاشتد خوفه وبلغ الأمر به كل مبلغ"[286].

ومما لا شك فيه أن هذا الخبر الاستهلالي كان يهدف " إلى إبراز حالة الخوف التي انتابت الحاكم بأمر الله جراء هذه الثورة، التي كانت بديلا دوغمائيا لدوغمائيته، التي بالغت في الانحراف والشطط"[287]. إنه يكشف في نهاية المطاف عن " خوف الحاكم من ضياع ملكه وملك آبائه...فأعاد للناس بعض حقوقها، وخفف عنها بعض الضرائب والمراسيم الغريبة، لكن الناس لم تقنع بهذا، ومالوا للثورة والثوار"[288].

وعلى الرغم من انتظارات الناس من ثورة أبي ركوة وما كانت ستحمله لهم من بشائر النصر والتمكين، إلا أن هذه الثورة" لم يقدر لها أن تطيح بالحاكم الذي نجح في إعمال الحيلة لإحباطها"[289].

التحولات النفسية:

حبلت الرواية بنصوص تفسر الحالة النفسية للحاكم، فقد كانت نفسيته تجمع بين الشيء ونقيضه، من ذلك ما ورد في كتاب " الخطط" للمقريزي، إذ يقول: "وكانت سيرته من أعجب السير، وخطب له على منابر مصر والشام وإفريقية والحجاز، وكان يشتغل بعلوم الأوائل وينظر في النجوم، وعمل راصدا واتخذ بيتا في المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك،

---

[286] نفسه، ص:99 .

[287] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، ص: 160. يقصد الباحث بـ"الدوغمائية": أحادية الفكر التي تمنع صاحبها من التفكير العميق، ومن تقبل الفكر المخالف له، أو بمعنى آخر:"هي عدم قدرة الشخص على تغيير جهازه التفكيري، أو العقلي عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، وعدم القدرة على إعادة ترتيب أو تركيب حقل ما تتواجد فيه عدة حلول لمشكلة واحدة، وذلك بهدف حل المشكلة بفاعلية أكبر". نفسه، ص: 142.

[288] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، ص: 161.

[289] الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، ص: 159. ولئن تمكن الحاكم من قمع بعض حركات التمرد والثورة التي اندلعت ضده، فإنه قد عجز عن مواجهة مؤامرة حاكتها أخته السلطانة ست الكل التي طالها هي الأخرى عدوانه وجبروته فدبرت نهايته التراجيدية التي أراحت الشعب منه ومن فساده. نفسه، ص: 159 و160.

ويقال إنه كان يعتريه جفاف في دماغه، فلذلك كثر تناقضه، وما أحسن ما قال فيه بعضهم: كانت أفعاله لا تعلل، وأحلام وساوسه لا تؤول"[290].

كما ورد في كتاب "مرآة الزمان" لسبط ابن الجوزي قوله: "وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام، وجبن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء، وكان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط"[291].

وهكذا، " لقد أسس الاستهلال الروائي بالأخبار الموثقة لصورة بطل الرواية/الحاكم بأمر الله الدموية، التي تجمع بين تناقضات الذات النفسية المريضة، فهو رغم دمويته يبدو تواقا للتسامح والسلم، ومع شجاعته وافتراسه، يتراجع ويميل للجبن والتخاذل، ومع ولعه بالعلم والعلماء، تجده يطاردهم ويقتلهم في كل مكان"[292].

وتتوالى النصوص المفسرة للصراع النفسي الذي يعيشه الحاكم، فقد اقتبس الكاتب من كتاب "أخبار الدول المنقطعة"، القولة التالية: "وكان الحاكم بأمر الله سيء الاعتقاد، كثير التنقل من حال إلى حال...وكان مؤاخذا بيسير الذنب، حادا، لا يملك نفسه عند الغضب، فأفنى أمما وأجيالا وأقام هيبة عظيمة وناموسا"[293].

وحق لنا أن نتساءل كيف استطاعت هذه " الشخصية المتناقضة، غريبة الأطوار، أن تخضع مصر والشام لسلطانه، وتستمر قرابة الربع قرن، ويبدو هذا تناقضا عجيبا، كيف لرجل بتلك الصفات الأقرب للجنون أن يستطيع أن يسود دولة كبرى، مترامية الأطراف دون أية منازعة من داخل أسرته أو من قواده، وكيف ينصاع له الجميع"[294].

وبالجملة، تعد رواية "مجنون الحكم "استنطاقا لسيرة الحاكم بأمر الله، وتأويلا لأفعاله، والبحث في ذاته النفسية العميقة، لرصد كل ما ترسخ في وجدان الحاكم، وبنى عليه رؤيته الفلسفية للحكم والقداسة. فلقد ارتأى الحاكم أنه لا سبيل للحكم وامتلاك زمام الأمور إلا عبر خلق القداسة لذاته، ولم تكن تلك الرؤية ببعيدة عن أجداده، بل كانت حاضرة لديهم ومسيرة لهم ولحكمهم[295].

---

[290] مجنون الحكم، ص: 11.

[291] نفسه، ص: 11.

[292] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، ص: 146.

[293] مجنون الحكم، ص: 11.

[294] الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، هاني إسماعيل محمد إسماعيل أبو رطيبة، آفاق فكرية، المجلد 05، العدد: 11، دجنبر 2019، ص: 146.

[295] نفسه، ص: 151.

ولا ننسى دور المقربين أو حاشية الحاكم في بناء تناقضاته النفسية، فقد جاء في الرواية "هو: من ألهه دعاته، وقالوا بنزول الآية العاشرة من سورة الدخان متنبئة بظهوره، وساروا، مأذونين ومكالبين، في سبيل جذب النفوس إليه، وعقد العهود والمواثيق على الايمان بمطلق عصمته وحلول اللاهوت في ناسوته"[296].

وقد بذلت جهود من أجل تفسير سر الانحراف النفسي الذي استبد بالحاكم، فكان من أسباب ذلك"إصابته أثناء شبابه بضرب من المالنخوليا أو جفاف الدماغ وفساد المزاج، مما حمله على الاسراف في القتل وسفك الدماء بشتى أنواع السلاح وبالإحراق. وقال فيه المنجمون أقوالا كثيرة وأجمعوا على رد طبعه الدموي إلى كونه كان يخدم زحل وطالعه المريخ، فيتقرب إليها بذبح الآدميين وإزهاق أرواحهم"[297].

تركيب:

ملاك الأمر، إن جوهر العمل الأدبي الموسوم بـــ "مجنون الحكم" هو محاولة الكاتب بنسالم حميش مساءلة شخص الحاكم انطلاقا من وقائع سابقة حاول عصرنتها وتقديمها في ثوب جديد، عن طريق الكشف عن إيديولوجية أبي علي منصور الفاطمي وكيف كان يتصور العالم المحيط به، وما تجليات نظرته إلى الرعية.

فقد تبين من خلال الدراسة أن الروائي بنسالم حميش أضفى على التاريخ لمسة فنية، سمحت بالانتقال من العالم الواقعي التاريخي، إلى العالم الفني التخييلي، فنقل إلينا صورة مصغرة عن واقع فساد السلطة السياسية في الرقعة العربية قديما، وامتدادات ذلك إلى وقتنا الراهن.

وبالتالي تجسد رواية "مجنون الحكم" لبنسالم حميش، أرقى صور التوظيف الإبداعي للتراث، فقد وفق الكاتب إلى حد بعيد في الكشف عن تحولات شخصية الحاكم، انطلاقا من عنصرين أساسيين هما: التخييل الروائي والنصوص التاريخية.

ختاما، تعد رواية "مجنون الحكم" إحدى أهم المتون في مشروع بنسالم حميش الروائي، بل يمكن اعتبارها كتابا مفتوحا على مصراعيه، يكشف عن استمرارية آليات التسلط والقهر، الممارس من قبل السلطة السياسية إلى يومنا هذا.

لائحة المصادروالمراجع:

الكتب:

آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 2، 2015.

بنسالم حميش، مجنون الحكم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط:2، 1998.

[296] مجنون الحكم، ص: 13.

[297] نفسه، ص: 13.

حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث: دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط: 1، 2008.

حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط:1، 1991.

صلاح صالح، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط: 1، 2003.

طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة.

عبد الإله بلقزيز، ثورات وخيبات: في التغيير الذي لم يكتمل، منتدى المعارف، بيروت، ط: 1، 2012.

عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون/عمان، ط:4، 2008 / 1428.

عزمي بشارة، المثقف والثورة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالربط، سلسلة: كراسات الكلية، رقم: 6، 2013.

غراهام هو، ترجمة: محي الدين صبحي، مقالة في النقد، المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، ط:1، 1973.

فخري صالح، قبل نجيب محفوظ وبعده (دراسات في الرواية العربية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.

فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط: 1، 2004.

لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون / دار النهار للنشر، ط: 1، 2002.

محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف/دار الأمان، ط: 1، 2010.

محمد القاضي، الرواية والتاريخ: دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط:1، 2008.

محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1986.

المقالات:

طارق غرماوي، الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، مجلة الخطاب: المجلد: 12، العدد:1.

هاني إسماعيل محمد إسماعيل أبو رطيبة، الدوغمائية والتخييل السردي: رواية مجنون الحكم لبنسالم حميش نموذجا، آفاق فكرية، المجلد 05، العدد: 11، دجنبر 2019.

الأساس المعرفي اللساني في تعليم اللغة

Linguistic cognitive basis in language teaching

الدكتور عبد الله معروف

أستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال/ المغرب

abdelahmaarouf@gmail.com

ملخص: يشكل التعليم والتعلم، عموما، محورا أساسيا في حياة الأمم والشعوب، وبالخصوص تعلم اللغة لأنها الوسيلة لتعلم المهارات والكفايات الأخرى. وللوصول إلى تعليم ناجح ذي مردودية وفاعلية لابد من الاعتماد على أسس معرفية رصينة. وتعدد الأسس المعرفية والمرجعيات العلمية أدى إلى اختلاف وجهات النظر بين الباحثين والعلماء وهم يبحثون عن الآليات العلمية الأكثر نجاعة لتحقيق تعليم ناجح للغة، فابتكرت على مر العصور مناهج وطرائق متعددة ومتنوعة.

وتهدف مادة هذه الدراسة إلى رصد الأسس المعرفية اللسانية لتعليم اللغة، وإبراز أهمية تلاقح خلاصات اللسانيات وخصوصا اللسانيات التطبيقية وعلوم التربية في ظهور طرائق ومذاهب متنوعة لتعليم اللغة، وتتّبع تطور هذه الطرائق والمناهج عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: أسس معرفية، اللسانيات التطبيقية، تعليم اللغة، مناهج.

Abstract : Teaching and learning, in general, constitute an essential axis in the lives of nations and peoples, especially language learning because it is the means for learning other skills and competencies. In order to reach a successful, cost-effective and effective education, one must rely on solid knowledge. The multiplicity of knowledge foundations and scientific references has led to different views among researchers and scientists as they search for the most effective scientific mechanisms to achieve successful language education. Over the ages, many and varied approaches and methods have been invented.

The subject of this study aims to monitor the linguistic cognitive foundations of language education, and to highlight the importance of cross-fertilization of the essays of linguistics, especially applied linguistics and educational sciences, in the emergence of various methods and doctrines for language teaching, and to follow the development of these methods and approaches throughout history.

Key words: Cognitive Foundations, Applied Linguistics, Language Teaching, Curricula.

مقدمة:

ظهرت اللسانيات النّظرية بعيدا عن الاهتمامات التّعليمية، لأنّها اختارت دراسة اللغة في ذاتها ولحد ذاتها مند سوسير أب اللسانيات الحديثة. وبفضل انفتاح اللسانيات على حقول معرفية متعددة، وبتتبعها للظاهرة اللغوية موضوعا وعلما ومعرفة وتعليما، ظهرت حقول معرفية جديدة من قبيل: اللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات الحاسوبية، واللسانيات التداولية واللسانيات التعليمية. وتمثل اللسانيات التطبيقية الخيط الناظم بين هذه الحقول المعرفية وغيرها فيما يتعلق بتعليم اللغات، حيث تنتقي منها ما تحتاجه من أجل حل مشكلات تعليم اللغات من مثل : تعلّم اللغة الأولى وتعليمها، تعليم اللغة الأجنبيّة، التعدّد اللغويّ، التخطيط اللغويّ، علم اللغة الاجتماعيّ، علم اللغة النفسيّ، علاج أمراض الكلام.

وإن من الإشكالات التي تدعو إلى التأمل والتفكير تعدد مناهج وطرائق التعامل مع تعليم اللغة مند القدم، من حيث طرق اكتسابها، وآليّات تعليمها؛ فقد كانت النظريات التربوية القديمة تَعُدُّ اللغة مادّة دراسيّة تعلّم لذاتها، وأدت هذه المقاربة إلى أخطاء في وضع المناهج التي أغرقت بالمفردات والألفاظ المعجمية والمصطلحات الجافّة، والقواعد النحويّة – حتّى المهجورة منها - والألفاظ الغريبة التي يندر استعمالها. ومن انعكاسات تلك المقاربة على طرائق التدريس أنّها ركّزت على المدرّس دون المتعلّم، فأصبح المدرّس يعتمد الإلقاء والتلقين، بينما ظلّ المتعلّم سلبيّاً، بعيداً عن المبادرة والإبداع، وتأثّر تقويم الدارسين تبعاً لذلك، فأصبح المتفوّق منهم هو الذي يحفظ أكبر قدر من المفردات بغض النظر عن قدرته في استعمالها والإبداع في توظيفها، وبالتالي ضمور الذكاء اللغوي للمتعلم.

وخلافا لما سبق، ترى التربية الحديثة أنّ اللغة وسيلة لا غاية، فهي أداة للنجاح في التكيّف ضمن البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه مستعملها. ونتيجة لهذه النظرة عمل المنظرون والمهتمون بهذا المجال على إبداع طرائق ومناهج جديدة لتعليم اللغة والتعامل معها في الحقل التربوي، وتنمية الذكاء اللغوي في مراحل التعليم المختلفة. وقد ظهرت برامج تسعى إلى إكساب المتعلّمين المهارات اللغويّة الأربع (الاستماع والحديث والقراءة والكتابة) محدّدة المهارات الفرعيّة لكلّ من تلك المهارات الأساسيّة الأربع في كلّ مستوى تعليميّ، مع الحرص على تقديم المادّة اللغويّة من البيئة المحليّة، وترك كلّ غريب أو بعيد عن الاستخدام، والتركيز على المقاربة الوظيفية للغة لفسح المجال أمام مستعمل اللغة للإبداع من خلالها ولا يكون هذا إلا بتنمية ذكائه اللغوي.

فما الذي أنتج هاتين المقاربتين المتباعدتين؟ وما هي الدوافع المعرفية والأسس الأبستمولوجيا التي أدت إلى ظهور طرائق متعددة للتعامل مع تعليم اللغة؟

لعل تلاقح اللسانيات وحقول معرفية أخرى لها علاقة بالتربية والتعليم وخصوصا علوم التربية وخلاصاتها من النظريات التعليمية التي تهم التعامل مع اللغة في سياق تعليمي تربوي باعتبارها وسيلة لاكتساب وتعلم مهارات وتنمية قدرات متنوعة، أدى إلى ظهور طرائق ومذاهب متعددة ومتنوعة في تعليم اللغة، ومعالجة التعثرات والأمراض اللغوية. وما يهمنا في هذا المقام هو تحديد الأسس المعرفية اللسانية وتطبيقاتها في تعليم اللغة. وعرض بعض الطرائق والمذاهب في تعليم اللغة.

1 - اللسانيات التطبيقية دراسة في المفهوم و النشأة والتطور

1 مفهوم اللسانيات التطبيقية:

إن المعتبر في تحديد مفهوم اللسانيات التطبيقية كونها مجالا واسعا يهتم بمعالجة القضايا اللغوية في ارتباطها بمناحي الحياة جميعها. وإذا كان البعض يقول باستقلالية هذا العلم المتمثلة في توفره على إطار معرفي خاص به ومنهج ينبع من داخله، فإن البعض الآخر يرى أنه يلعب دور الوسيط[298] بين العلوم التي تعالج النشاط اللغوي من قبيل: اللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ويستثمر نتائج هذه العلوم في تحديد المشكلات ووضع الحلول لها. كما هو الشأن بالنسبة لإعداد البرامج، وعلاج أمراض النطق speech therapy، وتعليم اللغات والتخطيط اللغوي...[299]. فستورن Stern ينظر إلى اللسانيات التطبيقية باعتبارها "ذلك العلم الوسيط بين التطور النظري في مجال اللسانيات النظرية وممارسة تعليم اللغة"[300]. أما ريتشاردزRichards فيقدم مدخلين لهذا المفهوم: " اللسانيات التطبيقية دراسة تعليم وتعلم لغة ثانية وأجنبية. دراسة اللغة واللسانيات في علاقة بمشاكل تطبيقية من قبيل: صناعة المعاجم، والترجمة، وأمراض الكلام...وتستخدم اللسانيات التطبيقية المعلومات التي توفرها حقول معرفية أخرى من قبيل: علم الاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، ونظرية المعلومة إضافة إلى اللسانيات النظرية من أجل تطوير نماذج نظرية خاصة باللغة وباستعمالها، ثم استخدام تلك المعلومات وتلك النظريات في حقول تطبيقية من قبيل: إعداد البرامج، وأمراض الكلام، والتخطيط اللغوي، وعلم الجمال وتعليم اللغات وتعلّمه... "[301].

2 نشأة اللسانيات التطبيقية وتطورها:

298- Cook, G, Sheidlhofer, B. (2001): An applied linguists in principale and practice. P: 43.

299- Richards,J.C. (1992): Longman Dictionary of Language teaching and Applied Linguistics. P :19.

Stern,H.H. (1983): Fundamental Concepts Of Language Teaching Oxford Universty Press. P: 35..

301- Richards,J.C. (1992): Longman Dictionary of Language teaching and Applied Linguistics. P :19

ارتبط ظهور اللسانيات التطبيقية بمجال تعليم اللغة الإنجليزية بجامعة ميتشجان سنة1946[302] قبل أن يعرف انتشارا منقطع النظير في العالم بأسره. فقد "برزت الإرهاصات الأولى لتأسيس اللسانيات التطبيقية، بوصفها علما جديدا ومستقلا عقب الحرب العالمية الثانية، في معهد ميتشيجان لتعليم اللغة الإنجليزية، تحت إشراف تشالز فريز وروبرت لادو، حيث أصدر هذا المعهد مجلة language learning: journal of applied linguistics، ثم أُحدثت مدرسة اللسانيات التطبيقية بجامعة إدنبره سنة 1958، وتأسست الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية سنة 1964، ثم توالى إنشاء جمعيات اللسانيات التطبيقية بكل من بريطانيا وأستراليا سنة 1976 وبأمريكا سنة 1977. ومنذ لحظات التأسيس هذه بذلت جهود لتعريف هذا الضرب من المعرفة الإنسانية، وتحديد موضوعاته ومناهجه، وضبط علاقاته بالعلوم الإنسانية الأخرى، وفي طليعتها اللسانيات النظرية، ومن أوائل تلك الجهود المائدة المستديرة التي عقدت بميامي سنة 1977، والتي أعقبتها إسهامات الباحثين في اللسانيات التطبيقية والمهتمين بتعليم اللغة الثانية"[303].

وقد كانت اللسانيات التطبيقية في بداية ظهورها، تحيل على أفكار اللسانيين البنيويين والوظيفيين التي يمكن تطبيقها في مجال تعليم اللغات الثانية. وفي الستينيات، سيستمر ربط المفهوم بتطبيق اللسانيات في تعليم اللغات (Halliday, McIntosh and strevens 1964 ; Rivers 1968)، في الوقت نفسه اقتحمت اللسانيات التطبيقية حوزة تقويم تعلم اللغات والسياسة اللغوية. ومع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، عرفت انتشارا واسعا في كل المجالات التي لها ارتباط باستعمال اللغة حتى أضحت "شركة ذكية لحل المشاكل" genuine problem-solving entreprise على حد تعبير وليام جرايب William Grabe [304]. ومع ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي اتسعت رقعة مجالات تدخل اللسانيات التطبيقية وتعددت الحقول المعرفية التي تتوسل بها من أجل حل المشاكل اللغوية، وظهر جيل جديد من اللسانيين التطبيقيين من أمثال: كابلان Kaplan، وجرايب Grabe، ووداوسن Widdowson.

هكذا شكل ظهور اللسانيات التطبيقية مجالا لاشتغال عدد من اللسانيين الذين ولوا وجوههم قِبله بانصرافهم إلى الاهتمام بالجوانب التطبيقية؛ حيث انتقلوا من مجال التنظير إلى الميدان التطبيقي، نذكر من بينهم: " سابير وبلوم فيلد وفريز ودولاتر الفرنسي De Lattre، وقد أسهم هؤلاء كلهم في إنجاز بحوث لسانية تطبيقية، مولتها الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن اعتبار بعضهم، مثل سابير وبلومفيلد، من مؤسسي اللسانيات التطبيقية"[305].

---

[302] - علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية،1995، ص: 8.

[303] - تحليل الأخطاء: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية، المصطفى بنان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، 2015، ص:25.

[304]- Grabe, W. (2002) : Applied linguistics : An emerging discipline for the twenty-first centry. P: 4.

[305] - تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، المصطفى بن عبد الله بوشوك، الهلال العربية للطباعة والنشر، ط:2، 1994، ص:.40.

2 – علاقة اللسانيات التطبيقية بتعليم اللغة

يتسم حيز اشتغال اللسانيات التطبيقية بالتعدد والتنوع لتداخل العلوم الفرعية التي تندرج تحتها. وفي محاولة لحصر مجالات اشتغال اللسانيات التطبيقية، حددها كوردر Corder في ثلاث مجالات رئيسية: "مجال اللغة والتعليم، ومجال اللغة والعمل والقانون، ومجال اللغة والمعلومة. ويضم المجال الأول تعليم اللغات سواء أكانت أولى أم ثانية، واختبارات اللغة، واللسانيات الإكلينيكية. أما المجال الثاني فيتضمن التواصل في العمل، والتخطيط اللغوي، واللسانيات القضائية. ويدخل ضمن المجال الثالث الأسلوب الأدبي، وتحليل الخطاب، والترجمة الفورية، وتصميم المعلومة، وصناعة المعاجم"[306]. وبالرغم من تعدد حقول اشتغال اللسانيات التطبيقية، إلا أن تعليم اللغات وتعلمها يبقى أهمها؛ فهي تحاول الإجابة عن سؤالين محوريين هما: ماذا نتعلم؟ وكيف نتعلم؟ ومفاهيمها مرتبطة دوما بالفعل التعليمي.

إن اللسانيات علم نظري يسعى إلى الكشف عن حقائق اللسان البشري والتعرف على أسراره، بينما علم تعلم اللغات علم تطبيقي يهدف إلى تعليم اللغات سواء كانت من منشإ الفرد أو مما يكتسبه من لغات أجنبية. وإذا تأملنا الحقلين، تبين لنا مدى الصلة القوية القائمة بينهما، فكلاهما يحتاج إلى الآخر باستمرار، فاللساني يجد في حقل تعليم اللغات ميدانا عمليا لاختبار نظرياته العلمية، والمربي بالمقابل يحتاج في ميدان تعليم اللغات أن يبني طرقه وأساليبه عل معرفة القوانين العامة التي أثبتها علم اللسانيات الحديث[307].

وقد استفاد علم تعليم اللغات استفادة كبيرة من اللسانيات البنيوية والنحو التوليدي واللسانيات الوظيفية؛ حيث أصبح المربون المنشغلون بتعليم اللغات يعتمدون النظريات اللسانية في ميدان اختصاصهم، وهكذا أدى التأثر المتزايد إل ظهور العديد من المناهج في تعليم اللغات وهي مناهج مبنية على نظريات لسانية تهم طرائق تدريس اللغات.[308] ثم انفتحت على حقول مرجعية مختلفة طورت مجالات البحث في ديداكتيك (تعليمية اللغات)، وأصبحت تهتّم بمتغيرات عديدة من متغيرات العملية التربوية، وأهمها:[309]

المتعلّم من حيث الاستراتيجيات التي يكتسب بها اللغة، والأخطاء التي يرتكبها، وآليات استيعاب وفهم اللغة وإنتاجها.

---

[306] -Corder, S. P. (1973) : Introducing Applied Linguistics. P:13.

[307] - مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط:1،2002 ص: 9.

[308] - محاضرات في اللسانيات التطبيقية، لطفي بوقربة، جامعة بشار، الجزائر، ص:9.

[309] - معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، عبد اللطيف الفارابي، محمد آيت يحي، عبد العزيز الغرضاف، عبد الكريم غريب، سلسلة علوم التربية، 9 - 10، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1994، ص: 69

محيط الاجتماعي وبالأخص علاقة اللغة بالجماعات وأساليب استعمالها في المجتمع، ووصفها ضمن لغات الأخرى.

المادة التعليمية، وقد اتجه البحث في هذا الصدد إلى النظريات والمقاربات اللسانية، ومحاولة استثمارها في بناء وضعيات ديداكتيكية لتدريس اللغات

التدريس وما يرتبط به من تكوين المدرسين وطرائق تعليمية، واستعمال الوسائط وأساليب التقويم.

و"بالنظر إلى المؤثرات المختلفة في التعلم اللغوي، لغوية ونفسية واجتماعية وتربوية وغيرها، فإن اللسانيات التطبيقية أقامت صرحها على علاقات وثيقة مع اللسانيات النظرية وعلم النفس والاجتماع والتربية"[310]، وهذا التعدد في أبعاد الظاهرة اللغوية يجعل من فاعلية اللسانيات التطبيقية العملية التربوية أمرا ذا أهمية بالغة. لأنها تسعى إلى حل المشكلات التربوية التعليمية اللغوية بناء على نتائج الحقول المعرفية السالفة الذكر.

فاللسانيات النفسية تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة نفسية عند المتكلم والسامع على حد سواء، كما ترصد العمليات الذهنية عند اكتساب اللغة، أو عند استخدامها وعلاقة ذلك بالفكر والثقافة. وتتحدد أهمية اللسانيات النفسية من حيث "طبيعة الإشكالات التي تثيرها حول طبيعة اللغة وعلاقتها بالمعرفة، وهي تهتم بدراسة العلاقة بين بنية اللغة واستخدامها. لذلك تسعى إلى استكشاف ثلاثة موضوعات أساسية هي:

إنتاج اللغة (language production)،

فهم اللغة (language comprehension)،

الاكتساب اللغوي (language acquisition).

حيث يشكل الموضوعان الأول والثاني ما يدعى ميدان اللسانيات النفسية التجريبية، أما الموضوع الثالث فإنه يمثل مجال اللسانيات النفسية التي تهتم بالنمو"[311].

وإذا كانت اللسانيات النفسية تُعنى بالظاهرة اللغوية باعتبارها ظاهرة نفسية، فإن اللسانيات الاجتماعية تنظر إليها بوصفها إنتاجا وفعلا اجتماعيا، وتهتم أساسا بالتفاعل بين المجتمع والإنتاجات اللسانية. وتكمن أهمية اللسانيات الاجتماعية في الكشف عن العلاقات الاجتماعية بين اللغة بوصفها إنتاجا حضاريا، وبين المجتمع نفسه. فاللغة تدل على

[310] - تحليل الأخطاء اللغوية: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية، ص:26.

[311] - Matthews, P.H. (1997) : The Concise Oxford Dictionary of Linguistics. P: 303.

أنماط العلاقات الإنسانية، وتحمل طوابع الحياة التي يحياها المتكلمون الطبيعيون لها. كما أنها تستهدف الملاحظة العينية، ووصف تحولات اللسان انطلاقا من متغيرات ممارسته الاجتماعية. وتتولى اللسانيات التداولية النظر في الاستعمالات اللغوية في ارتباطها بمقامات الكلام، كما تهتم بالقدرة التواصلية خلافا للمقاربة التوليدية التحويلية التي تولي عناية قصوى بالقدرة اللسانية.

ولما كان خطاب تعليم اللغات يقتضي "اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط بقواعد تحدد فائدتها الإخبارية أو قل «فائدتها التواصلية»، نسميها بقواعد التبليغ، علما بأن مصطلح التبليغ موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالإنسان، كما لزم أن تنضبط هذه الأفعال بقواعد تحدد وجوه استقامتها الأخلاقية أو قل «التعاملية». نسميها بقواعد التهذيب، مع العلم بأن مصطلح التهذيب موضوع للدلالة على التعامل الأخلاقي"[312].

وفي ظل الثورة المعلوماتية التي يعرفها عصر المعرفة الذي نعيش تفاصيله، نشأت اللسانيات الحاسوبية نتيجة للتمازج بين حقلين معرفيين هما اللسانيات وعلوم الحاسوب. فـ"الحاجة إلى الحَوْسَبة أدت إلى ظهور اللسانيات الحاسوبية التي تحاول محاكاة العقل البشري في فهم الظواهر اللغوية تنظيرا وإنجازا. ولذلك جمع هذا الحقل من المعرفة بين اللسانيات والذكاء الاصطناعي والإعلامية والرياضيات والمنطق بهدف نقل الذكاء البشري إلى الذكاء الحاسوبي، مما يمكنه من تحليل النظام اللغوي تحليلا آليا متعدد المستويات وبأسرع وقت ممكن"[313]. وقد أضحت الحاجة ماسة لهذا الحقل المعرفي مع تنامي التعليم الإلكتروني والرغبة في تطوير برامج تعليمية تفاعلية.

إن التفكير في الحلول الناجعة لإشكالات تعليم اللغة استدعى، بالإضافة إلى الاعتماد على الأسس المعرفية اللسانية بتعدد فروعها مما ينضوي تحت اللسانيات التطبيقية للانفتاح على علوم التربية لكونها العلم المؤطر للتربية في علاقتها بالمراحل النمائية للمتعلم. وقد عرفت نظريات علوم التربية بدورها تطورات واكبت تطور العلوم كلها؛ ابتداء بالاتجاه السلوكي، مرورا بالاتجاه المعرفي مع المدرسة الجشطلتية، وصولا إلى الاتجاه البنائي مع جون بياجي والسوسيوبنائية مع فيكوتسكي. وفي تعالق بين هذه النظريات وخلاصات فروع اللسانيات التطبيقية ظهرت مجموعة من طرائق ومذاهب تعليم اللغة. سنوردها بإيجاز.

3 - طرائق ومذاهب تعليم اللغة

[312]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط:1، 1998، ص: 237.

[313]- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات ضفاف والاختلاف، ط:1، 2013، ص:30.

3 – 1 مدخل معرفي لساني تربوي لتعليم اللغة

"مر مجال تعليم اللغات من ثلاث مراحل أساسية: مرحلة الضبط السلوكي مع المدرسة السلوكية وتفرعاتها السيكولوجية الميكانيكية الميكانيكية والإجرائية والمعرفية الجشطالتية واللسانيات الشكلانية. **مرحلة الضبط اللغوي** مع المدارس النحوية والدرس اللساني البنيوي التوزيعي عموما بزعامة بلومفيلد وهاريس، وأولى الدراسات ذات الاتجاه التوليدي ابتداء من نموذج 1957 الذي اعتني بمعرفة قواعد اللغة ودراسة طبيعة نظمها اعتمادا على منهج علمي يتجلى في التفسير الذهني للمقولات النحوية بالنظر إلى معرفة المتكلم الضمنية بقواعد اللغة التي يتعلمها. **مرحلة الانفتاح التواصلي** على المدارس اللسانية الوظيفية خصوصا مع ظهور مصطلحات ومفاهيم تحيل على مركزية المتعلم في العملية التعليمية التعلمية عموما من مثل «القدرة التواصلية» و«الملكة اللغوية» و«الطرق التواصلية» و«التفاعلية» و«المهام الوظيفية» وغيرها من المفاهيم والمصطلحات ذات الدلالة التطبيقية الوظيفية"[314]. واستنادا إلى هذه المراحل يمكن الحديث عن التطورات التي عرفتها طرائق ومقاربات تعليم اللغات.

لقد عرفت نظريات ومقاربات تعليم اللغة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعد استقلالها عن علم تدريس اللغة تطورا مهما باعتبارها حقلا بحثيا مستقلا، على الرغم من أن العمل النظري في ميدان تعلم اللغة الثانية لم يخرج في مرحلة الخمسينيات وأوائل الستينيات عن كونه تابعاً بشكل كبير للجانب العملي من تدريس اللغة. إلا أن فكرة احتياج منهجيات مبررة عبر نظرية بحثية في التعلم لتدريس اللغة كان أمراً ثابتاً منذ قيام حركات الإصلاح التربوي في أواخر القرن التاسع عشر على الأقل.[315] وقد تضمنت كتابات المتخصصين في تدريس اللغة في الخمسينيات والستينيات اهتماماً جاداً بنظرية التعلم بوصفها أساساً لتقديم توصياتهم العملية، وقد اعتمد التيار «التقدمي» في مجال تدريس اللغة في الخمسينيات من ناحية محتواه اللغوي على صيغة من صيغ النظرية التركيبية التي تشكلت على يد اللغوي البريطاني بالمر Palmer في العشرينيات ثم على يد فرايس Fries وزملائه في Michigan في الأربعينيات. ويلخص هوويت[316] هذا المذهب على النحو الآتي:

الإيمان بأن نظام اللغة يتكون من مجموعة من الأنماط أو البنى التي تعمل باعتبارها نماذج لإنتاج عدد غير محدود من الجمل المبنية على نحو مشابه.

[314] - بلقاسم اليوبي (2015): الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات وتطبيقاته في تطوير مهارات اللغة العربية للمستويين ب 1 وب 2؛ ص. 73.

[315] - انظر Howatt, 1984: 169-208.

[316] - المرجع نفسه.

الاعتقاد بأن التكرار والتدريب يؤديان إلى تشكيل عادات الدقة والطلاقة في اللغة الأجنبية.

طريقة تدريسية تعمل على تدريس «الأساسيات» قبل تشجيع المتعلمين على الاتصال للتعبير عن أفكارهم وآرائهم.

وتوضح هذه الخلاصة أن النظرية التعليمية التي لجأ إليها خبراء تعليم اللغة والمجددون في ذلك الوقت هي النظرية السلوكية التي كانت تمثل النظرية العامة للتعلم السائدة حينذاك في أوساط علم النفس.

ويعد تعلم اللغة عند السلوكيين، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ضرباً من تكوين العادات، مثله في ذلك مثل أي نوع آخر من أنواع التعلم. وقد تحدرت هذه النظرية من الأبحاث النفسية التي تنظر إلى التعلم كأي نوع من أنواع السلوك على أنه قائم على مفاهيم المثير والاستجابة. وهذه النظرية تبدو مقبولة عندما يتعلق الأمر بتعلم اللغة الأم، إذ كل ما علينا فعله حينئذ هو أن نتعلم مجموعة من العادات الجديدة أثناء تعلمنا للاستجابة إلى المثيرات في بيئتنا. ولكن الأمر يصبح أكثر إشكالاً عندما نتصدى لتعلم لغة ثانية؛ فنحن هنا نكون قد انتهينا من تكوين مجموعة من الاستجابات الأكيدة في لغتنا الأم ولهذا فإن عملية تعلم اللغة الثانية حينئذ يتطلب إحلال مجموعة من العادات الجديدة مكان العادات القديمة. ويكمن التعقيد هنا في أن عادات اللغة الأولى القديمة تتدخل في هذه العملية إما بالمساعدة أو بالتثبيط. فعندما تكون تراكيب اللغة الثانية مشابهة لتراكيب اللغة الأولى فإن التعلم عندها يحدث بسهولة ويأخذ مكانه بشكل طبيعي. أما إذا كانت التراكيب تتحقق على نحو مختلف في اللغتين الأولى والثانية فإن التعلم حينئذ سيكون صعباً.

وقد وصل الصراع بين الآراء المتعلقة بالطريقة التي نتعلم بها اللغة إلى ذروته في أواخر الخمسينيات إثر إصدارين هما كتاب السلوك اللغوي لسكينر في عام 1957، والذي يحتوي على تفاصيل النظرية السلوكية في التعلم مطبقة على اللغة، ومراجعة تشومسكي لكتاب سكينر التي ظهرت في عام 1959، وتضمنت نقداً عنيفاً لآراء سكينر. حيث ركز نقد تشومسكي على عدد من القضايا، من أهمها: ابتكارية اللغة وتجريديتها وقواعدها المعقدة.

وقد عُدَّ النقاش الدائر في المرحلة السابقة دافعاً قوياً للبحث في اكتساب اللغة الأولى عند الأطفال، كما نجد عند كليما وبيلوجي (Klima and Bellugi, 1966)، أودان سلوبن (Dan Slobin, 1970), وروجر براون (Roger Brown, 1973). وقد لاحظ هؤلاء تشابهاً قوياً في سلوك تعلم اللغة من قبل الأطفال الصغار بغض النظر عن اللغة التي يتعلمونها، إذ يبدو أن الأطفال في كل أنحاء العالم يمرون بمراحل متشابهة، ويستخدمون مركبات متشابهة للتعبير عن معان متشابهة، ويقعون في النوع نفسه من الأخطاء.

وقد توصل البحث إلى نتائج مشابهة عند دراسة الوقت الذي تظهر فيه بعض التراكيب في اللغة الإنجليزية حيث لوحظ أن هناك تدرجاً ثابتاً للاكتساب order of acquisition. ولعل دراسة روجر براون المعروفة بـ «دراسة الوحدات الصرفية» «morphemestudy» أشهر دراسة عن اللغة الأولى تمكنت في ذلك الوقت من أن تؤثر بشكل كبير في أبحاث اللغة الثانية. وقد تتبع براون في هذه الدراسة بشكل معمق ثلاثة أطفال من خلفيات مختلفة مقارناً تطور أربع عشر وحدة صرفية من ذات الوظائف النحوية في اللغة الإنجليزية لدى كل منهم، وقد وجد أنه على الرغم من اختلاف الأطفال في معدل سرعة اكتسابهم للوحدات الصرفية المختارة إلا أن الترتيب الذي تم به الاكتساب بقي موحداً لدى الجميع.[317]

من هذا التتبع المختصر والمبسّط لأبحاث مرحلة السبعينيات في اكتساب اللغة الأولى، نخلص إلى أن تعلم اللغة عند الأطفال يتم عبر بمراحل تتشابه تشابهاً كبيراً لدى سائر الأطفال في اللغة المعينة، على الرغم من أن معدل تقدم كل منهم يختلف من شخص لآخر. كما تتشابه هذه المراحل لدى الأطفال في جميع اللغات. وأن لغة الطفل مبنية على قواعد منتظمة، ولا تتطابق القواعد التي يتخذها الأطفال بالضرورة مع القواعد المتبعة من قبل الراشدين. كما أن الأطفال لا يستجيبون للتصحيح. وتُحدِّد قدرة الأطفال على التحليل عدد القواعد التي يطبقونها في مرحلة من المراحل، ويعودون إلى فرضياتهم السابقة عندما تتنافس أكثر من قاعدة.

وتبدوا هذه النتائج مؤيدة لما زعمه تشومسكي؛ من أن الأطفال يتبعون نوعاً من المخطط الداخلي السابق الإعداد عند اكتسابهم للغة «الملكة الفطرية». وهذه النتائج نالت اهتمام الباحثين والمدرسين المعنيين باكتساب اللغة الثانية. ولم يكن ذلك راجعاً فقط إلى جاذبية تلك النتائج في ذاتها، بل أيضاً إلى عجز نظرية التحليل التقابلي عن تحقيق توقعاتها في الواقع العملي. ونظرا لهذه التطورات الحاصلة في اكتساب اللغة الثانية والتحرر من وهم نظرية التقابل اللغوي، فقد وجه الباحثون اهتمامهم للغة التي ينتجها المتعلم، ومن هنا نشأت نظرية تحليل الأخطاء Analysis Error، أي التحليل المنظم لأخطاء متعلمي اللغة الثانية. وبدأ الباحثون ينظرون إلى اللغة التي ينتجها المتعلمون على أنها نظام لغوي مستقل جدير بالتوصيف.

وفي منتصف الثمانينات لم يعد حقل الأبحاث المتعلقة بتعليم اللغة الثانية تابعاً للمتطلبات العملية المباشرة الخاصة بتخطيط المنهج وتعليم اللغة، ولكنه على العكس من ذلك تحول إلى مجال بحثي أكثر نضجاً واستقلالاً، مشتملاً على عدد من البرامج البحثية الضخمة ذات المنهجيات والمنطلقات النظرية الخاصة. ومع هذا، فإن روابط هذا الحقل مع الحقول المعرفية الأخرى ذات العلاقة لم تختف إطلاقاً، فمازال الاعتماد على أبحاث تراكيب اللغة واستخداماتها قائماً، وكذلك

[317] - انظر :Ellis. R, 1994: 78

الشأن بالنسبة للأبحاث في ميدان التنوع والتطور اللغوي. كما ظهرت ارتباطات جديدة مع العلوم المعرفية وكذلك مع علم النفس العصبي كما في النموذج الارتباطي، وأيضاً مع الأطر الاجتماعية الثقافية، مما أسهم بفاعلية في إغناء جوانب اكتساب اللغة الثانية. وأدى إلى ظهور مناهج متعددة في تعليم اللغة. ومن بين هذه المناهج نورد بإيجاز هذه النماذج:

مناهج تعتمد على شكل اللغة، وفيها يَتمُّ تقسيم اللغة إلى أجزاء صغيرة بناء على مبدأ التدرج من السهل إلى الصعب. ويُعاب على هذه المناهج أن المتعلم لا يستطيع بواسطتها اكتساب القدرة الوظيفية للغة.

المناهج التي تركز على المحتوى، وهي تركز على الموقف والموضوع وذلك بتقديم ما يحتاجه المتعلم أكاديمياً أو مهنياً.

المناهج التي تركز على المهارات، ويقصد بالمهارات، المهارات اللغوية الأربع (استماع، وكلام، وقراءة، وكتابة).

المناهج التواصلية، وهي تنقسم بدورها إلى قسمين هما:

المنهج القائم على الوظيفة الاتصالية للغة نحو: إعطاء التعليمات، التحية، السؤال.

المنهج القائم على الفكرة ويركز هذا المنهج على المفاهيم نحو: الوقت، والفراغ، والكمية، والمكان.

وقد عملت هذه المناهج المختلفة على ظهور طرائق ومذاهب متعددة لتدريس اللغة بمستوياتها المختلفة. سنتعرض بإيجاز لأهم هذه المذاهب والطرائق، وعلى وجه الخصوص تلك التي هيمنت على برامج تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى ردحاً من الزمن في شرقي العالم العربي أو غربيه. وعلى اعتبار أن ما يشغل البال هوتدريس اللغة العربية في المؤسسات التعليمية للمتعلمين باعتبارها لغة أولى أو لغة ثانية فإننا نرى توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بمستويات اللغة قبل توضيح طرائق ومذاهب تعليمها. فما هي المناهج المقترحة لتعليمها؟

3 – 2 طرائق تعليم اللغة ومذاهبها

طريقة القواعد والترجمة

اختلف الدارسون في أصل هذه الطريقة، وفي أول من ارتبطت باسمه سواءً في ميدان اللغة أو ميدان التربية، إلا أن المعروف عنها أنها أقدم طرائق تعليم اللغات؛ إذ يرجع بعض الدارسين تاريخها إلى حضارات قديمة مثل الصين، والهند، وبلاد الإغريق. ويعتقد بعض الباحثين "أن لها تاريخاً بعيداً في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها؛ إذ انتشرت مع انتشار

الإسلام، وكانت محور العمل في الجهود التي بذلت لتعليم اللغة"[318]. ولا تزال هذه الطريقة معمولاً بها في برامج تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى خارج نطاق العالم العربي.

ومن أهم منطلقات هذه الطريقة حسب رشدي طعيمة ما يأتي [319]:

اللغة أساساً نظام من القواعد التي يمكن استقراؤها من النصوص اللغوية، والإلمام بهذه القواعد شرط أساسي لممارسة اللغة.

تعليم اللغة تدريب عقلي يمكن النظر إليه بشكل ضمني على أنه نشاط ذهني يشتمل على تعلم القاعدة وتذكرها وربطها بما لدى الطالب من خبرة في لغته الأولى وذلك عن طريق الترجمة.

اللغة الأولى للدارس هي النظام المرجعي في اكتساب مهارات اللغة الثانية.

ومن العيوب التي أخذت على هذه الطريقة، أنها لا تساعد المتعلمين على التواصل واستعمال اللغة مع أبناء اللغة لأنها تغفل مهاراتي التحدث والاستماع. وأنها تقصر وظيفة اللغة على مهارتي القراءة والكتابة مما لا يساعد في تنمية الكفايات اللغوية في المهارات الأخرى، وقد يقود ذلك إلى أن يفقد الطالب الدافعية في تعلم اللغة، لذا نجد أن "عدد المتسربين من برامج اللغات الأجنبية التي تستخدم هذه الطريقة أكثر من زملائهم الذين يتعلمون هذه اللغات بطرق أخرى".[320]

الطريقة المباشرة

من الواضح أن هذه الطريقة نشأت ردا على طريقة النحو والترجمة، فهي تناقضها في أساسياتها. وتُنسَب هذه الطريقة إلى علماء اللغة الألماني فيلهلم فيكتور، الذي دعا إلى استخدام علم الصوتيات في تدريس اللغات الأجنبية. وتعتمد هذه الطريقة على الربط بين الكلمات والجمل في اللغة الأجنبية دون أن يستخدم المعلم وتلاميذه اللغة الأم، وأطلق عليها اسم الطريقة المباشرة.

تقوم هذه الطريقة على عدد من المداخل أهمها: أن متعلم اللغة يمكن أن يتعلم منذ البداية أن يفكر بوساطة اللغة الهدف (الأجنبية) عن طريق "ربط الموضوعات والأشياء والمواقف والأفكار ربطاً مباشراً بما يطابقها أو يماثلها من الكلمات أو

[318] - طعيمة، رشدي، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص348.

[319] - نفسه، ص 349.

[320] - طعيمة، رشدي، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص 356.

المصطلحات، ... وهي تقدم مهارة الحديث على مهارة القراءة"[321]. ومن المداخل التي تستند إليها هذه الطريقة أيضاً أن المتعلم يستطيع أن يتعلم أي لغة أجنبية بنفس الطريقة التي يتعلم بها الطفل لغته الأولى، كما تستند في إطارها النظري إلى أفكار علماء النفس الترابطيين، وجعلت ترتيب تعلم المهارات في برامج تعليم اللغات الأجنبية كالتالي: الاستماع، فالكلام، فالقراءة، ثم أخيراً الكتابة.

ومن حسنات هذه الطريقة أنها "تقدم اللغة في مواقف حية يستطيع الدارس من خلالها فهم المفردات (الألفاظ) والتراكيب"[322] ، كما كانت هي الرائدة في استخدام الحوار والسرد القصصي في تدريس مهارات اللغة. كما أنها ترفض استخدام أي لغة وسيطة في صفوف برامج اللغة؛ مما يؤدي إلى تعزيز عملية تعلم اللغة، ويقلل من آثار ما يسمى بالتداخل اللغوي. كما لا ننسى أنه يرجع لهذه الطريقة الفضل في انتشار استخدام أساليب تعليمية لأول مرة في تعليم اللغات الأجنبية مثل: الحوارات، والتقليد، واستنتاج القاعدة من خلال النصوص التي تعرض.

وعلى الرغم من هذا كله، فهي "تغرق الدارس بشكل سريع في عملية التعبير عن نفسه باللغة الأجنبية، وفي مواقف لم تعد بشكل جيد ... مما يجعله يميل إلى تنمية طلاقته اللغوية دون دقة، ... كما لا يوجد في الطريقة المباشرة استعداد كافٍ للتدريب المنظم على التراكيب يأخذ شكل خطة متسلسلة ومتلاحقة، ومن ثم فغالباً ما يفقد المتعلمين إدراك الهدف أو الفكرة التي تكون من وراء ما يقومون به، ومن ثم يعملون بطريقة ارتجالية"[323].

طريقة القراءة

يعزى أول ظهور لهذه الطريقة إلى البحوث التي كانت تجرى لتجريبها وتطويرها في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة عام 1867م على يد فريق كان يقوده كلور مارسيل.[324] وهي تستند إلى فلسفة نفسية تعليمية تنص على أن إتقان المتعلم القراءة وفهم ما تحتويه النصوص المقروءة، يعدان أفضل الوسائل لإتقان بقية مهارات اللغة كالكلام والاستماع والكتابة. كما ترى هذه الطريقة أن جهود المعلمين ينبغي أن تكرس للمهارة التي يحتاج إليها المتعلم فعلاً والتي يمكن أن يتعلمها بسهولة في حدود البيئة المكانية التي يعيش فيها. ومن المعلوم أن حاجة الفرد لمهارة القراءة تكون أكثر من حاجته لمهارتي الاستماع والكلام في البيئات التي تدرس فيها اللغات خارج أوطان اللغة وبعيداً عن متحدثيها.

---

[321] - الناقة، محمود. تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، مكة، 1985م، ص76.

[322] - طعيمة، رشدي. المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص 365

[323] - الناقة، محمود. تعليم اللغة العربية، مرجع سابق. ص 80-81.

[324] - العصيلي، عبد العزيز، أساسيات تعليم اللغة العربية، ص 310.

ومن مزايا هذه الطريقة، أنها يعود لها الفضل في ضبط المادة الدراسية التي تقدم في برنامج اللغة؛ فكان أن ضبط عدد الألفاظ وكذلك التراكيب التي تقدم في صفوف اللغة بطريقة متدرجة. كما كانت هذه الطريقة أول من نبّه إلى شيئين مهمين: أولهما ضرورة أن تتضمن برامج اللغة مجموعات كتب القراءة الحرة. وثانيهما أنها كانت هي أول من جعل علماء اللغة يتجهون إلى التفكير فيما يسمى ببرامج تعليم اللغة لأغراض خاصة. كما ساعدت المتعلمين على تكوين عادات قرائية جيدة، خصوصا القراءة باللغة الأجنبية مما يقودهم إلى استقبال كمٍّ هائل من الدخل اللغوي المفهوم، واكتساب ملكة التذوق ومعالجة عناصر اللغة وقواعدها تلقائياً من خلال القراءة المكثفة والقراءة الموسعة. ومن نقائص هذه الطريقة، اقتصارها على مهارة واحدة (القراءة) وإهمالها مهارات اللغة الأخرى كالكتابة والحديث والاستماع، ومن المشاهد -في الواقع الحالي- أن الاهتمام في كل العالم صار منصباً على التواصل والاتصال (مهارتيْ الكلام والاستماع) أكثر من مهارة القراءة.

الطريقة السمعية الشفهية

نشأت هذه الطريقة، على النقيض من الطرق الأخرى، في الولايات المتحدة الأمريكية لتلبية حاجات الجيش الأمريكي في النصف الأول من القرن الماضي للاتصال بالشعوب التي يتعامل معها أصدقاء كانوا أم أعداء. وهناك عاملان أسهما إسهاماً مباشراً في ظهور هذه الطريقة أولهما "قيام عدد من علماء النفس واللغويين بدراسة اللغات الهندية غير المكتوبة في الولايات المتحدة. وثاني هذين العاملين هو تطور وسائل الاتصال بين الشعوب مما قرب المسافات بين أفرادها، وخلق الحاجة إلى تعلم اللغات الأجنبية؛ ليس لاستخدمها في القراءة فقط، وإنما أيضاً لاستخدامها في الاتصال المباشر بين الأفراد بعضهم وبعض"[325] . وتستند هذه الطريقة على النظرية السلوكية التي تؤمن بأن تعلم اللغة يعتمد اعتماداً كبيراً على المثير والاستجابة.

ومن مميزات هذه الطريقة، حسب رشدي طعيمة، " أنها تولي الاتصال بين الناس الأهمية الكبرى في تعليم لغات بعضهم للبعض. ولا شك أن الاهتمام بمهارتيْ الاستماع والكلام في تعليم اللغة الثانية أمر يتفق مع ظروف المجتمع الإنساني المعاصر ... وأن الترتيب الذي يتم به تدريس المهارات اللغوية الأربع: استماع فكلام فقراءة فكتابة، ترتيب يتفق مع الطريقة التي يتعلم الإنسان بها لغته الأولى"[326]. وكذلك اهتمامها بثقافات اللغات المستهدفة من خلال تقديم ملامح هذه الثقافات سواء عبر الأفلام أو الأشرطة المسموعة أو المرئية الصامتة منها والمتحركة، ولعل في ذلك تلبيةً لبعض الحاجات النفسية لدى المتعلمين؛ فإن تركيزها منذ البداية على الجانب الشفوي يمكنهم من استخدام اللغة وتوظيفها في وقت قصير. كما

[325] - طعيمة، رشدي. المرجع في تعلم اللغة العربية، مرجع سابق ص 383.

[326] - طعيمة، رشدي. تعليم العربية والدين بين العلم والفن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، ص 280.

تحرص هذه الطريقة على إعداد تدريبات متنوعة ومتعددة الأهداف من شأنها أن تثبت الكثير من المهارات اللغوية لدى المتعلمين وبخاصة أن هذه الطريقة تُعنى باستخدام تقنيات التعليم والأنشطة التربوية المختلفة، وأن تعليم اللغة يتم من خلال اللغة الهدف ذاتها وليس بوساطة لغات أخرى فإن "من الحقائق التي أثبتها تعليم اللغات الأجنبية على مدى السنين، أن أقصر طريقة، وأوضح سبيل لكي يفكر الدارس باللغة التي يتعلمها، هو أن يتعلمها من خلال قواعدها وأصولها، فالوقت القصير الذي يقضيه المتعلم متحدثاً العربية، ولا شيء غيرها، أجدى بكثير من الوقت الطويل الذي يقضيه المتعلم نفسه متحدثا العربية من خلال الترجمة عن لغته الأولى"[327].

ومن العيوب التي ذكرها الخبراء في علم اللغة التطبيقي، أن هذه الطريقة لا تلبي حاجة المتعلمين كلهم بفصلها التام بين مهارات اللغة، الذي ليس له أصل في الواقع، وأن تأخير مهارتي القراءة والكتابة قد يعيق فهم الطلاب لما يسمعون؛ إذ إن هذه الطريقة تترك وقتاً طويلاً بين تقديم المادة التعليمية في شكلها المنطوق وشكلها المكتوب. وكثير من الدارسين لا يفهمون معاني الكلمات إلا إذا رأوا شكلها مكتوباً مقترناً بسماعها. وقد هيمنت هذه الطريقة على برامج تعليم اللغات الأجنبية حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي، ولا تزال هي المهيمنة في كثير من برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ سواء في طرق التدريس أو إعداد المادة التعليمية أو عمليات التقييم والتقويم.

الطريقة السمعية البصرية

لقد كان لظهور الوسائل السمعية والبصرية أثر كبير في حقل تعليم اللغات، حيث تم دمج هذه الوسائل في العملية التعليمية التعلمية انطلاقا من الحاجات التعليمية للفئة المستهدفة. وقد "بدأت هذه الوسائل في الولوج إلى ميدان التربية والتعليم، على شكل مخابر تجريبية باهضة التكاليف، حيث يعمل المدرس على نطق مقطع صوتي، يوزع على التلاميذ بواسطة آلة تسجيل وتجهيزات إلكترونية، وفي نفس الوقت تصاحب هذا المقطع صورة خطية، تكون دعامة بصرية للتفريق بين النطق الصحيح وغير الصحيح"[328].

المذهب المعرفي

تعود جذور هذا المذهب إلى بداية النصف الثاني من القرن العشرين عندما أصدر أوزوبل مؤلفه في علم النفس التربوي عام 1968م وكان بعنوان: علم النفس التربوي: من منظور معرفي. يرى أوزوبل أنه ينبغي أن يكون التعلم "ذا معنى حقيقي

[327] - طعيمة، رشدي. المرجع السابق ص 280.

[328] - المصطفى بن عبد الله بوشوك (2000): المرجع السابق؛ ص. 54.

عميق لدى المتعلم؛ مرتبطاً بتكوينه وفكره، وجزءاً مهماً من شخصيته، وأن يكون عوناً له على فهم الحياة والعالم من حوله. ويعتقد أن هذا النوع من التعلم لن يتم ما لم تقدم المعلومات للمتعلم بطريقة مترابطة متناسقة؛ بحيث تتصل معلوماته الجديدة بمعلوماته السابقة"[329].

بناء على ما سلف، فإن هذا المذهب يعتمد على النظرية المعرفية في علم النفس، وينطلق من أسس النظرية التوليدية التحويلية التي تبناها نعوم تشومسكي ونظرتها إلى تعلم اللغات؛ حيث حاولت "إثبات أن علم اللغة جزء من علم النفس المعرفي. وقد ركز تشومسكي على هذا المبدأ في كثير من كتاباته، وبخاصة في كتابه: اللغة والعقل الذي صدر عام 1968م، وكتابه: القواعد والتمثيلات، الذي صدر عام 1980م"[330]. وطرح في نظريته هذه عدداً من القضايا المثيرة للجدل من قبيل البنية السطحية والبنية العميقة للغات، والإبداعية في اللغة، والكفاية اللغوية والأداء اللغوي، والفرضية الفطرية التي يرى من خلالها أن اللغة لا تكتسب بالتعليم والدربة فحسب، بل هي فطرة عقلية، وأداة اكتساب اللغة «الصندوق الأسود» الذي يتصور وجوده في الدماغ البشري.

ومن مزايا هذا المذهب "اهتمامه بالفروق الفردية لدى المتعلمين، وبخاصة في المهارات الأربع؛ لأن كل إنسان لديه قدرة خاصة في تعلم مهارات معينة دون غيرها؛ ... فهي تمنح الطلاب فرصة المشاركة من خلال إدارة الحوارات والأنشطة اللغوية؛ مما يساعد على بناء الكفاية اللغوية"[331] بالإضافة إلى اهتمامه بالكفاية اللغوية؛ حيث يقضي الطلاب معظم وقت الدرس "في التدرب على القواعد والكلمات الجديدة، واستعمالاتها في سياقات ومحادثات، وأنشطة يغلب عليها الابتكار والإبداع لا التقليد والتكرار، وبخاصة في نهاية البرنامج ... والتأكيد على التعلم الواعي من خلال الفهم الكامل لما يُقَّدم في الفصل"[332]. ومرونته حيث إنه "لا يتقيد بنمط معين في تعليم اللغة، بل يستثمر كل أسلوب أو وسيلة ناجحة لتوصيل معلومة أو فهم قاعدة؛ فقد يرى المعلم أن استنباط المعنى أو القاعدة هو الأسلوب الناجح في التعامل مع نوعية من المتعلمين في ظروف معينة، وقد يرى أن أسلوب الاستقراء أفضل مع نوعية أخرى من المتعلمين في ظروف مختلفة، وقد يجمع بين الأسلوبين إذا دعت الضرورة"[333]. ومما يعاب على هذا المذهب أن تعلم اللغة وفقاً لأسسها يستغرق وقتاً طويلاً؛ إذ يشترط هذا المذهب تفصيل القواعد (نحواً أو صرفاً) تفصيلاً مسهباً ودقيقاً. ومن المآخذ التي اشتهرت عنه اهتمامه "بالجوانب العقلية المعرفية

---

329 - العصيلي، عبد العزيز. أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص 339.

330 - العصيلي، عبد العزيز. النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، مرجع سابق، ص 70.

331 - طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه، وأساليبه، الإيسيسكو، الرباط، 1990م، ص 142/141.

332 - العصيلي، أساسيات تعليم اللغة العربية، ص 345.

333 - العصيلي، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، ص 109.

في تعليم اللغة، قد يؤدي إلى إهمال المهارات اللغوية الأخرى، وبخاصة مهارات الاتصال"[334] وهذا ما جعل بعض اللغويين يسدد هذا القصور فيما عرف بالكفاية الاتصالية.

المذهب الاتصالي

اختلف الباحثون في تاريخ نشأة هذا المذهب. إلا أننا نرى أن الحاجة إلى اتصال الشعوب بعضها ببعض التي ظهرت في أوجها خلال منتصف القرن الماضي هي التي أسرعت ببيان الحاجة إلى إعداد برامج لتعليم اللغات لتلبية هذه الحاجة إلى الاتصال، وكذلك النقد اللاذع الذي وجهه بعض اللغويين المعاصرين لتشومسكي انطلاقاً مما أطلق عليه «الكفاية اللغوية». فقد رأى هؤلاء اللغويون "أن الكفاية اللغوية التي نادى بها تشومسكي وأتباعه، ما هي في الحقيقة سوى كفاية نحوية Grammatical Competence مقصورة على معرفة القواعد؛ لهذا نادى كثير منهم بما أسموه الكفاية الاتصالية Communication Competence، وهذه الكفاية تشمل المعرفة بأصول الكلام وأساليبه، ومراعاة طبيعة المخاطبين، مع القدرة على تنويع الكلام حسب مقتضى الحال من طلب واعتذار وشكر ودعوة ونحو ذلك، بالإضافة إلى المعرفة بقواعد اللغة ومفرداتها. فهذه الكفاية إذن تعني المعرفة بقواعد اللغة وقوانينها النحوية والصرفية والصوتية، مع القدرة على استعمالها بطريقة صحيحة لغويا مقبولة اجتماعياً"[335] في مقامات مختلفة.

وينطلق هذا المذهب من مفهوم "أن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال والتواصل، وأن الهدف من تعلم اللغة هو تطوير الكفاية الاتصالية بدلاً من التركيز على الكفاية اللغوية "[336]. ومن أهم أهداف الكفاية الاتصالية ووظائفها: الوظيفة الأدائية، والتنظيمية، والتفاعلية، والشخصية، والاستكشافية، والتخيلية، والتمثيلية. فالوظيفتان الأولى والثانية يستخدم الفرد فيهما اللغة بهدف الحصول على الأشياء والتحكم في سلوك الآخرين، والثالثة والرابعة للتفاعل مع الآخرين، وللتعبير عن الأحاسيس والمعاني الشخصية، والخامسة والسادسة يستخدمهما الفرد للتعلم والاستكشاف ولخلق عالم في الخيال، أما الوظيفة الأخيرة فيستعمل فيها الفرد اللغة لإيصال المعلومات.

ويقوم هذا المذهب على مبدأ أساس مفاده أن اللغة ظاهرة اجتماعية ووسيلة من أجل التفاعل والتواصل بين أفراد مجتمع بشري معين. وبالتالي فالهدف من تعليمها هو تطوير القدرة التواصلية لدى المقبل على تعلم اللغة. هذا المفهوم «القدرة التواصلية»، الذي اقترحه هايمز Hymes (1972) في معارضة لفكرة تشومسكي Chomsky حول مفهوم القدرة، الذي

[334] - العصيلي، أساسيات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 347.

[335] - العصيلي، أساسيات تعلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ص 357-358.

[336] - الصديق، عمر، أثر استخدام الوسائل التعليمية في تدريس اللغة العربية، ص 16.

يحيل على المعرفة المجردة للبنيات النحوية اللازمة لإنتاج جمل صحيحة في اللغة. ويرجع الفضل في نضج هذا المفهوم لإسهامات مجموعة من الحقول المعرفية من قبيل: علم الاجتماع، وفلسفة اللغة، وعلم النفس الإكلينيكي، والإتنوغرافيا، ليشمل ملكة الفهم وإنتاج رسائل ملائمة لوضعيات اجتماعية ونفسية وثقافية. وتكمن أطروحة "هايمز (1982) في ضرورة توسيع مجال اللسانيات لتشمل مظاهر تداولية وخطابية ونصية. ولكن ذلك لا يمكن – في نظره- طالما ظل موضوع التحليل هو اللغة خارج سياقها، وطالما ظل هدف التحليل هو تحديد ما هو ممكن نسقيا (نحويا) في لغة من اللغات، وطالما ظل التحليل منصبا على وظيفة واحدة من الوظائف الأساسية المدروج على تعيينها بالوظيفية الإحالية أو المعرفية، وطالما ظل النحو هو الإطار المرجعي الذي تدرس داخله اللغة"[337]. وبالتالي فمن وجهة نظر هايمز Hymes فمفهوم "القدرة التواصلية" لا يقتصر على معرفة النسق اللغوي، وإنما يتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية استعمال اللغة في السياق الاجتماعي.

وكان لتصور هايمز حول مفهوم "القدرة التواصلية" الفضل في تطور المفهوم على يد مجموعة من الباحثين، نذكر من بينهم: كنال وسوين Canale and Swain (1980)، وكنال Canale (1983)، وباخمان Bachman (1990) وديك Dick (1989)...الذين حاولوا تحديد مكونات القدرة التواصلية. ويتضمن نموذج كنال وسوين، الذي تم توسيعه من طرف كنال (1983)، أربع قدرات تدخل ضمن القدرة التواصلية: القدرة النحوية والقدرة السوسيولسانية، والقدرة الاستراتيجية، والقدرة الخطابية. أما فيما يخص القدرة التداولية فتندرج ضمن القدرة الاجتماعية، لكن مع نموذج باخمان Bachman (1990) ستصبح هذه القدرة مكونا أساسا للقدرة التواصلية.

أما أنموذج ديك (1989) فينبني على افتراض مفاده «أن القدرة التواصلية تتكون من عدد محدود من الطاقات. وهذه الطاقات خمس على الأقل؛ وهي:

الطاقة اللغوية المسؤولة عن إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها،

والطاقة المعرفية المسؤولة عن تخزين المعلومات وتنظيمها،

والطاقة المنطقية المسؤولة عن استنتاج معلومات جديدة من معلومات معطاة،

والطاقة الإدراكية المسؤولة عن إدراك المحيط واكتساب المدركات واستعمالها،

[337] - عز الدين البوشيخي (2012): التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية؛ ص. 25.

والطاقة الاجتماعية المسؤولة عن مراعاة الأوضاع الاجتماعية لكل من المتكلم والمخاطب أثناء قيام التواصل اللغوي بينهما[338].

وقد أضاف الدكتور عز الدين البوشيخي (2012) إلى طاقات القدرة التواصلية طاقة سادسة هي "الطاقة التخيلية"[339]. إنها «الطاقة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقي أهداف تواصلية محددة»[340].

ويرتكز تعليم اللغات وفق المقاربة التواصلية على جملة من المبادئ، نجملها في الآتي:

يجب أن يكون محكوما بالسياق؛

يتطلب وضع المتعلمين في الحمام اللغوي؛

يراعي حاجات المتعلم النفسية والمعرفية؛

يفترض الاهتمام بالقدرة التواصلية"[341].

وتنضاف إلى هذه المبادئ مسألة التركيز على المهارات اللغوية الأربع: الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة، فضلا عن إعادة النظر في الأدوار التي يضطلع بها كل من المتعلم والمعلم، والتقويم الذي لم يعد ينصب فقط على الدقة والضبط اللغويين، ولكن على الطلاقة اللغوية في الوقت نفسه. كما أن الأخطاء أضحت، في ظل هذه المقاربة، تلعب دورا مهما في بناء التعلمات.

ومن مميزات هذا المذهب أنه جمع كثيراً من مزايا الطرق السابقة، وزاد عليها في ضوء ما وجده فيها من عيوب. ولعل مما سهل مهمة أصحاب هذا المذهب، هو استفادتهم من شتى النظريات والمذاهب التي ظهرت خلال القرن الماضي، ولم يقتصر ذلك على نظريات علم اللغة وعلم النفس فحسب، بل تجاوزت تلك الاستفادة إلى علم الاجتماع، والتربية، والأنثروبولوجيا، وعلوم المعلومات والاتصال. كما أن مرونته تجعل المعلم حُرّاً في الاستفادة من مذاهب وطرائق لغوية أخرى في التدريس متى

---

[338] - المرجع السابق؛ ص. 46.

[339] - المرجع السابق؛ ص.91.

[340] - المرجع السابق؛ ص. 92.

[341] - اليوبي بلقاسم (2002): التكنولوجيا المعلوماتية وتعلم اللغات: اللغة العربية نموذجا؛ ص. 53-54. (بتصرف)

رأى ذلك مناسباً للقيام بأنشطة متنوعة تصلح لجميع المستويات في برامج تعليم اللغة (التمهيدي - المبتدئ - المتوسط - المتقدم).

ومن المآخذ التي أخذت على هذا المذهب أنه لا يعتد بمهارات اللغة من حيث ترتيبها وإعطاء الأولوية لإحداها على الأخرى، وإنما يكون ذلك رهين المواقف الاتصالية التي يدرب عليها المعلم متعلميه. وأن "تدريس اللغة وفقاً لهذا المذهب، لا يحقق أهداف بعض المتعلمين من تعلم اللغة، وبخاصة من يرغبون مواصلة دراساتهم في الجامعات والمراكز الأكاديمية، بمن فيهم متعلمو اللغة العربية لأغراض دينية"[342].

وفي نظري فإن هذا المذهب هو الأنجع لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، لأن ما اعْتُبِر من نقائص فيه يمكن تجوزه في اختيار المادة المدرسة والمناهج والبرامج. وهذا لن يكون متاحا إلا عبر التركيز على المتعلم وحاجاته وأغراضه من تعلّم اللغة. وهذا التحول دفع المهتمين بمناهج تدريس اللغات الثانية إلى طرح أسئلة من قبيل:

من هو المتعلم الذي يرغب تعلم اللغة؟

لماذا يود المتعلم تعلمها؟

ما هو المستوى اللغوي الذي يرغب تعلمه؟

ما المنهج الممكن استخدامه؟

كيف يمكن أن يتعلمها؟

ما مواصفات المعلم المطلوب؟

ما طُرق التقويم المستخدمة؟

هذه الأسئلة وغيرها، تساعد في تحديد أغراض المتعلم وحاجاته وحاجته من تعلم اللغة، وتعمل على انتقاء منهاج أمثل للتعلم. ولا شك أن اعتماد هذا المذهب سيرتقي بوضع تدريس اللغة العربية، وسيساهم في إخراج مقررات تلبي أغراض المتعلم وحاجاته في تعلم اللغة العربية بمستوياتها المختلفة.

مقاربة الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات

[342] - العصيلي، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، مرجع سابق، ص 372.

تعتبر المقاربة الإجرائية «العملياتية» من التجديدات التي جاء بها الإطار الأوروبي المرجعي المشترك لتعليم اللغات. وتشكل هذه المقاربة استمرارا للمقاربة التواصلية، إلا أنها تختلف عنها في الانتقال بالمتعلم من التفاعل باللغة داخل القسم إلى التفاعل بها داخل الوسط الاجتماعي وذلك باعتباره فاعلا اجتماعيا. وبالتالي فالمقاربة الإجرائية لا تركز على اللغة في حد ذاتها، وإنما توظفها في حل المشكلات.

وتقوم هذه المقاربة على مفهومين أساسيين، المهمة والفعل؛ فالمهمة تتجسد من خلال الفعل الذي يتمثل في دمج متعلم اللغة لكفاياته من أجل الوصول إلى هدف محدد سلفا. كما يعرفها الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات بكونها "عبارة عن نشاط ينجزه المتعلم بطريقة واعية داخل عدة معطاة بغرض تحقيق هدف من الأهداف. إنها نقطة انطلاق التعليم، ونقطة وصول المتعلم"[343].

وتوفر المهمة سياقا اجتماعيا من أجل تعلم لغة، وذلك من خلال جملة من الأنشطة والأفعال التي تقود إلى منتوج نهائي موجه للتقديم شفويا أو كتابيا أمام جمهور حقيقي. فالمهمة والفعل لا تجمعهما علاقة ترادف، وإنما علاقة تكامل؛ كما أن المهمة تكون دائما موجهة من أجل تحقيق نتيجة. إنها عبارة عن مجموعة من الأفعال النهائية ضمن مجال محدد، إضافة إلى أن هذه المهمة بإمكانها أن تتضمن مجموعة من المهام الصغرى المتنوعة التي تتطلب أنشطة لغوية بسيطة أو مركبة.

وتستند هذه المقاربة إلى مجموعة من المبادئ، منها:

عَدُّ المتعلم فاعلا اجتماعيا ومحورا للعملية التعليمية التعلمية؛

التركيز على حل المشكلات بالتوسل باللغة «أداتية اللغة»؛

اعتماد بيداغوجيا الأهداف وبيداغوجيا حل المشكلات بوصفهما مدخلين للمنهاج الدراسي؛

التواصل ليس هدفا في حد ذاته، ولكنه يلعب دور الوسيط في التفاعلات الاجتماعية مما يجعل المتعلم يتكور على المستوى السوسيو وجداني؛

التركيز على البناء التعاوني للمعنى انطلاقا من قطب المجموعة.

---

[343]- CECRL 20(0(1.. :15 P

هكذا نكون قد قدمنا مجموعة من الطرائق والمذاهب لتعليم اللغة، وتعددها ناتج عن اختلاف رؤى الباحثين والمهتمين بهذا المجال لتعدد مشاربهم المعرفية، وكذا للتطور الذي عرفته علوم التربية، وتطور النظريات اللسانية وفروع اللسانيات التطبيقية المتعددة.

إن تنوع واختلاف الأسس الإبستيمية لمقاربة الإشكالات المطروحة حول مجال تعليم اللغة أدى ولا شك إلى ظهور نظريات وطرائق متنوعة؛ وخير مثال على ذلك ما أوردناه سالفا في هذه الدراسة.

خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لعلم اللسانيات التطبيقية من حيث المفهوم والنشأة والتطور، وأسسها المعرفية وعلاقتها بعلوم التربية وخصوصا نظريات التعلم، وما نتج عن تلاقح خلاصات هذه العلوم من طرائق ومذاهب تعليم اللغة، نخلص في النهاية إلى أن عملية تعليم اللغة لن تكون له النتائج المرجوة إلا باعتماد المعارف اللسانية وخلاصات علوم اللسان من وصف وتفسير وتقعيد للغة؛ لأن اللسانيات بتفاريعها تدرس اللغة للكشف عن أنساقها الذاتية، وكذا في علاقتها بالمتكلم وبالمجتمع وغيرها من الجوانب الحياتية لمستعمل اللغة، كما تبتكر فروعا لها لمسايرة تطور العصر، لذلك لا مناص من استحضار الأساس المعرفي اللساني في تعليم اللغة.

وعلى اعتبار أن كل عملية تعليمية لابد لها من العودة إلى المتعلم وخصائصه النمائية، فإن تعليم اللغة لابد له من الارتكاز إلى خلاصات علوم التربية ومبادئ نظريات التعلم. لهذا نؤكد على أهمية اعتماد نظرة تكاملية في تطبيق المقاربات والنظريات في الأنشطة التعليمية عموما، وتعليم اللغة بالخصوص كما نركز على أهمية مراعاة حاجيات الفئة المستهدفة في إنتاج مقررات تدريس اللغة. ولن يتاح ذلك إلا من خلال التحديد الدقيق لخصائص المتعلمين، وصياغة رؤية خاصة للتعلم، وتوضيح دور كل من المتعلم والمعلم من خلال ميثاق تربوي. والعمل على تحليل مواقف التعلم؛ أي تحليل المهام التي يقوم بها المتعلم للكشف عن مدى تعلمه، خصوصا في التقويمات المرحلية، وتحليل الموقف المستهدف؛ ويقصد بذلك تحديد مواقف الاتصال التي يحتاج إليها المتعلم. وتحديد حاجات وغايات المتعلمين واتجاهاتهم نحو التعلم وتوقعاتهم وإمكاناتهم العلمية وتمثلاتهم السابقة وخبراتهم اللغوية في سياق التوجه العام والرسمي للمؤسسات، وتحديد المهارات والكفايات اللغوية المطلوبة لكل مرحلة تعليمية. ثم وضع خطة دراسية (أهداف المقرر، المحتوى اللغوي/الثقافي/العلمي/، عدد الساعات ... التقويم).

ونختم بالقول إن تعدد الذاهب وتنوع طرائق تدريس وتعليم اللغة نتيجة حتمية لتلاقح المعرفة اللسانية ومعارف علوم التربية، وتم تكييف الخلاصات مع التطورات المعرفية والتكنولوجية التي عرفتها المجتمعات. ويبقى السؤال المطروح هل

يمكن الجزم في القول بأن المقاربات والطرائق القديمة غير صالحة للعصر الحديث؟ أم إن بعضها يبقى صالحا. وهل يمكن الدمج بين الطرائق المختلفة للحصول على نتائج مرضية في تعليم اللغة؟ وكيف يمكن تكييف المذاهب والطرائق القديمة لتساير عصر التكنولوجيا الحديثة؟

لائحة المراجع

أحمد حساني، 2000، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.

أحمد مومن، 2002، اللسانيات النشأة والتطور، ط/1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.

بلقاسم اليوبي، 2002، التكنولوجيا المعلوماتية وتعلم اللغات: اللغة العربية نموذجا.

بلقاسم اليوبي، 2015، الإطار الأوروبي المرجعي المشترك للغات وتطبيقاته في تطوير مهارات اللغة العربية للمستويين ب1 وب2.

حسين حمدى الطويجى، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، جامعة إنديانا: كلية الآداب والتربية بجامعة الكويت.

خليفة الميساوي، 2013، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف والاختلاف، ط:1.

خولة طالب الإبراهيمي، 2002، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط:1.

زكريا، إبراهيم، 1999، طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

الصديق، عمر، أثر استخدام الوسائل التعليمية في تدريس اللغة العربية.

طعيمة، رشدي، 1986، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

طعيمة، رشدي، 1990، تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه، وأساليبه، الإيسيسكو، الرباط.

طعيمة، رشدي، 2001، تعليم العربية والدين بين العلم والفن، دار الفكر العربي، القاهرة.

طه عبد الرحمن، 1998، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.

طه عبد الرحمن، 1998، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط:1.

عبد اللطيف الفارابي، محمد آيت موحى، عبد العزيز الغرضاف، عبد الكريم غريب، معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا الديداكتيك، ط:1، المغرب.

عبده الراجحي، 1995، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية.

عز الدين البوشيخي، 2012، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية.

العصيلي، عبد العزيز، 2002، أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

العصيلي، عبد العزيز، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

محمود إسماعيل صيني، 1991، دليل المعلم إلى استخدام الصور والبطاقات في تعليم العربية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

محمود، حجازي،1992، النظريات الحديثة في علم اللغة وتطبيقاتها في تعليم العربية على المستوى الجامعي، مجلةالتعليم، المركز العربي للتدريب والترجمة والتأليف والنشر، السنة الثانية، العدد4، دمشق، سوريا،

المصطفى بن عبد الله بوشوك، 1994، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الهلال العربية للطباعة والنشر، ط:2.

المصطفى بنان، 2015، تحليل الأخطاء اللغوية: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية.

المصطفى بنان،2015، تحليل الأخطاء: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.

ميمون مجاهد، 2015، الظاهرة اللغوية بين مناهج البحث ومقاربات التعليم، مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب.

الناقة، محمود، 1985، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى، مكة.

نهاد الموسى، 2003، الأساليب: مناهج وأساليب في تعليم اللغة العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

هامرلي، هكتر، 1994، النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائجها العمليّة، ترجمة: راشد عبد الرحمن، جامعة الملك سعود الرياض.

Bento, M. 2013 : regards théoriques sur la perspective actionnelle dans l'enseignement des langues en France. Education et didactique.
CECRL (2001) Cadre européen commun de référence pour les langues (CECRL)
Cook, G. Sheidlhofer, B. 2001: An applied linguists in principale and practice.
Corder, S. P. 1973: Introducing Applied Linguistics.
Ellis. R, 1994, the study of second languages acquisition, Oxford : Oxford University Press.
Grabe, W. (2002) : Applied linguistics : An emerging discipline for the twenty-first centry. P: 4.
Howatt. A, 1984, A History of English Language Theaching, Oxford : Oxford University Press.
Matthews, P.H. 1997: The Concise Oxford Dictionary of Linguistics.
Richards, J. C. 1992: Longman Dictionary of Language teaching and Applied Linguistics.
Stern, H.H. 1983: Fundamental Concepts Of Language Teaching Oxford University Press.

التنمية الترابية بالمنهاج والكتب المدرسية المغربية
مادة الجغرافيا، السنة الأولى باكالوريا نموذجا

Territorial development in the Moroccan curriculum and textbooks
Geography: The first year baccalaureate as a model

فعرس عبد العزيز (استاذ باحث) و امبارك حيروش (طالب باحث)
كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط المغرب

ملخص: اذا كانت الجغرافية المدرسية مدعوة إلى تبني مقاربة بيداغوجية قائمة على تمرير هذا الخطاب الترابي التنموي للمتعلمين، فإننا نتساءل في هذا المقال عن ما مدى حضور مفاهيم وقضايا التنمية الترابية بالمنهاج والكتب المدرسية لمادة الجغرافيا للسنة الأولى باكالوريا شعبة الآداب والعلوم الإنسانية؟

هذه الاشكالية المحورية حاولنا الإجابة عنها اعتمادا على المنهج الوصفي الكمي، بتحليل الوثائق التربوية الرسمية عن طريق استخراج دلالات التنمية الترابية بها، كما اعتمدنا في تحليلنا للكتب المدرسية على شبكة تحليل المضمون باعتبارها الوسيلة المثلى لذلك، وفي هذا الإطار قمنا بتحليل جميع الكتب المدرسية لمادة الجغرافيا للسنة الأولى لسلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، لكونها تعتبر الدعامة الديداكتيكية والقناة الأنسب لترسيخ تربية مجالية قوامها تمكين المتعلم من أليات التنمية الترابية، وتعزيز قيم المواطنة لديه وتكوين مواطن فاعل متفاعل مع مجاله المعاش.

ولتحقيق هذا المبتغى قدمنا جملة من المقترحات تؤكد على أن المدرسة أضحت مدعوة إلى مواكبة الإصلاحات الترابية باعتبارها رافدة للتنمية الشاملة والمستدامة للبلاد، و تبني مقاربة تطويرية لمنهاج الجغرافيا ليواكب التطور الحاصل في السياسة العمومية وإعداد التراب الوطني

الكلمات الدالة: التنمية الترابية، المنهاج، الكتاب المدرسي، الجغرافية المدرسية.

Abstract:
In this article we are raising the question about the extent to which the concepts and issues of territorial development are present in the curriculum and the first year baccalaureate arts and humanities stream geography textbooks.

We tried to answer this problematic based on the quantitative descriptive approach via means of analyzing official educational documents and by extracting indications of territorial development in them. We adopted a content analysis checklist in the analysis of the textbooks as the best means available. In this respect we analyzed all first year baccalaureate arts and humanities stream geography textbooks for the possibility they offer didactically to consolidate the education of territorial development awareness among learners, to promote citizenship values and form active and socially engaged citizens.

To that end, we presented a set of proposals to emphasize that school is called upon to sustain the territorial reforms as they are crucial to the country's comprehensive sustainable development and to improve the geography curriculum to keep pace with the development in the public policy and national territory planning.

Keywords: Territorial development, curriculum, textbook, school geography.

مقدمة:

اكتسى موضوع التنمية الترابية اهتماما متزايدا، لما حظي به من مكانة في الدراسات والأبحاث الجغرافية فانصب الباحث الجغرافي على تشخيص وتحليل التراب بهدف تنميته، لذلك اصبح "التراب" مفهوما مهيكلا للخطاب الجغرافي خاصة الجغرافية الاجتماعية. و بما أن التراب كمجال اصبح يعرف ضغوطات متشعبة منها ذات اصل داخلي كالضغط على المواد الطبيعية؛ التلوث بأنواعه؛ التباين المجالي؛ غياب العدالة المجالية؛... ومنها ما هو خارجي خاصة العولمة، باعتبارها منظومة عالمية تتجاذب داخلها مجموعة من التدفقات والتيارات (التيارات المالية والتجارية، البشرية...) جعلت الدول النامية ومن بينها المغرب يولي الاهتمام للمنظومة الترابية لكسب رهان التنمية الشاملة والمندمجة متجاوزا بذلك التدبير الترابي التقليدي المبني على المقاربة المركزية إلى مقاربة تدبيرية عصرية قوامها الانطلاق من حاجيات المجتمعات المحلية (Hadjou Lamara, 2009, p20).

في هذا السياق باشرت الدولة المغربية مجموعة من الإصلاحات منذ الاستقلال؛ آخرها دستور 2011 الذي أولى الأهمية للجماعات الترابية ومكنها من مكتزمات الاشتغال والتدبير ، كما أكد على دورها في التنمية الترابية وتفعيل السياسة العامة وفي إعداد السياسات الترابية، من خلال ممثليها في مجلس المستشارين (الفصل 137 من الدستور 2011) وأكد على أهمية المقاربة التشاركية والبعد الالتقائي في إعداد وتدبير المشاريع الترابية، ووضع على عاتق مجالس الجماعات الترابية أمانة إرساء الآليات التشاركية للحوار والتشاور وتيسير مساهمة المواطنين والمواطنات والمجتمع المدني في إعداد البرامج التنموية وتتبعها، كما أقرت القوانين التنظيمية للجماعات الترابية ضرورة تبني المقاربة التشاركية عن طريق تشكيل هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع لتوسيع قاعدة التشاور والحوار بين جميع الفرقاء في مجال التنمية الترابية، وهذا ما يعطي الحق للمواطنات والمواطنين والمجتمع المدني بأن يشاركوا في إعداد وتنفيذ المشاريع الترابية بل مراقبة سيرها وتتبع تنفيذها. أمام هذه الأوراش الإصلاحية التي باشرتها المملكة لمنظومتها الترابية فقد واكب ذلك اصلاح المناهج التربوية بغية تزويد المجتمع بالكفاءات من المؤهلين الصالحين للإسهام في البناء المتواصل لوطنهم على جميع المستويات، كما ينتظر المجتمع من النظام التربوي أن يزوده بصفوة من العلماء وأطر التدبير، ذات المقدرة على ريادة نهضة البلاد عبر مدارج التقدم العلمي والتقني والاقتصادي والثقافي (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 2002، ص9).

لذا أصبح من الضروري تعلم مفاهيم وقضايا التنمية الترابية لما لذلك من أهمية استراتيجية للوطن عن طريق تربية مجالية بجعل المدرسة الوطنية قلب هذه الانشغالات المجتمعية، وبالتالي أصبح موضوع التنمية الترابية يفرض نفسه في المناهج التعليمية عامة و منهاج الجغرافية خاصة اذ تشكل هذه الأخيرة ركنا أساسيا في التكوين الفكري والمدني والاجتماعي للناشئة.

الإشكالية:

بما أن التوجهات التربوية أقرت بأهمية مادة الجغرافيا في التكوين الفكري والمدني والاجتماعي للناشئة، ودورها في التربية المجالية، واسهامها في ترسيخ الهوية والمواطنة لدى المتعلمين وكذا تنمية كفايات التخطيط وإعداد التراب والتنمية المستدامة (التوجهات التربوية - تخصص الاجتماعيات- ثانوي تأهيلي، 2007، ص6) .

و انطلاقا من وعينا بأهمية هذه الكتب المدرسية في العملية التعليمية التعلمية بكونها الدعامة الديداكتيكية والقناة الأنسب لترسيخ تربية مجالية قوامها تمكن المتعلم أليات التنمية الترابية، وتعزيز قيم المواطنة لديه وتكوين مواطن فاعل متفاعل مع مجاله المعاش.

و اذا كانت الجغرافية المدرسية مدعوة إلى تبني مقاربة بيداغوجية قائمة على تمرير هذا الخطاب الترابي التنموي للمتعلمين، فإننا نتساءل في هذا المقال عن ما مدى حضور مفاهيم وقضايا التنمية الترابية بالمنهاج والكتب المدرسية لمادة الجغرافيا للسنة الأولى باكالوريا شعبة الآداب والعلوم الإنسانية؟

المفاهيم المهيكلة

التنمية الترابية:

تعتبر التنمية الترابية عملية متشعبة ومتعددة الأبعاد وهي تشمل استراتيجيات واعية وعمليات ذات غايات وأهداف محددة وطويلة الأمد، ذات هدف عام وشامل لعملية ديناميكية تحدث بالمكان وتظهر بسلسلة من التغيرات البنائية والوظيفية التي تصيب مكونات ذلك التراب (مصطفى جليل إبراهيم، 2009 ص04)، إنها مجموعة من العمليات والنشاطات الوظيفية التي تهدف إلى النهوض بالمجتمع المحلي في كافة المجالات والقطاعات بهدف تنمية مهاراتهم وقدراتهم الإنتاجية، والتي تنصب في حيز جغرافي محدد وإعادة تأهيله بتكاثف الجهود بين الدولة والمؤسسات المحلية والمجتمع المحلي وفق خطة تشاركية منسجمة مندمجة، وذلك عن طريق الاستخدام الأمثل لموارده، وتحسين كفاءاته و إمكاناته البشرية(احمد محمد عبد العال، 2003 ، ص11-27) في حين يرى بيير نويل دونيي Pierre –Noel Denieuil على أنها تعبئة القوى العاملة والموارد الاقتصادية LARES (lares.2001.p35) .

فالتنمية الترابية لا تتحقق إلا بتظافر المعطى الجغرافي والتاريخي، والثقافي؛ والاقتصادي وكذا الدينامية الداخلية، أما محمد ألويز فحددها في عملية وحركة ديناميكية يجب الأخذ بناصيتها وتوجيهها نحو خدمة المتطلبات الاجتماعية والإنسانية (محمد ألويز ، 2017، ص 179) أي سياسة ديناميكية للاستفادة من الموارد البشرية والمادية للمجتمع المحلي بهدف تحقيق تنمية متوازنة-متكاملة- شاملة مع استدامة هذه الموارد، كما أكد ذلك آن سيل دويليت ANNE-CÉCILE DOUILLET التي اعتبرتها السياسات العامة التي تتناسب مع ما هو محلي باحترام خصوصياته ومعرفة حاجيات المجتمع المحلي لكل إقليم (Anne-Cécile Douillet, Emmanuel Négrier, Alain Faure.2015 .p319-348) .

بالتالي نستنتج مما سبق أن التنمية الترابية تتبلور من خلال إعطاء مساحة أكبر للفاعلين المحليين وتعبئتهم لتحقيق تنمية مستدامة بمجال محدد وتجاوز الرؤية العمودية أي التنمية من الأعلى (التنمية المفروضة من الفوق) إلى التنمية التشاركية، وبالتالي هي أسلوب للتدخل الذي يعطي أهمية قصوى للمجال المحلي كمصدر من مصادر التنمية الترابية.

الكتاب المدرسي:

يعد الكتاب المدرسي" Manuel scolaire" وثيقة تربوية وديداكتيكية، كما يعد مصدرا من مصادر المعرفة لدى المتعلم، ويعتبر من الدعامات الأساسية لتنفيذ المنهاج التربوي وقد تعددت تعاريفه:

فرانسوا ريشودو "François Richodo"، الكتاب المدرسي هو مطبوع منظم موجه للاستعمال داخل عمليات التعلم والتكوين المتفق عليها (عبد الحق منصف، 2007، ص236).

لاندشير Landsheere : الكتاب المدرسي عبارة عن مؤلف ديداكتيكي تم إعداده لأجل تعلم المعارف والمهارات التي أعدت داخل المقرر الخاص بمادة دراسية أو مجموعة مواد متقاربة فيما بينها(عبد الحق منصف، 2007، ص 237).

3.2 المنهاج:

يرجع أصل مصطلح المنهاج Curriculum إلى أصل اللغة اللاتينية (أحمد حسين اللقاني، 1995، ص 25) الذي يشير إلى مضمار السباق، بينما في المعجم العربي فالمنهاج يعني طريق واضح(ابن منظور، 1990 ، ص 122) ويعتبر المنهاج مكونا من مكونات الرئيسية للعملية التعليمية التعلمية، وإطارا بيداغوجيا يحدد السياسة التربوية بالمؤسسات التعليمية، كما يمثل أحد الدعامات الأساسية لنجاح هذه السياسة، و قد تعددت تعاريفه حسب المدارس والتيارات التربوية، فهناك من يعرفه بكونه مجموعة من المعارف والمعلومات والموضوعات والقيم والحقائق التي تصاغ في قالب محتوى علمي تهيؤه المؤسسات التعليمية للمتعلم بهدف النمو الشامل المتكامل للفرد في جميع النواحي العقلية والنفسية والحركية لمواكبة الحياة وتطورات العصر بعقل واع ومبدع (نسيم نصر خميس مصلح، 2010، ص15)، بينما محمد الدريج عرفه بكل ما تقدمه المدرسة من معارف ومهارات واتجاهات لمساعدة المتعلم على النمو المتوازن والسليم في جميع جوانب شخصيته (محمد الدريج ،2015، ص 159)؛ إنه بنية تربوية وتعليمية متكاملة تحدد حاجيات المجتمع من المؤسسة التعليمية وغاياتها وفلسفتها واختياراتها العامة، وكذا المرامي والمواصفات المنتظرة في نهاية كل موسم دراسي، وذلك وفق تخطيط منهجي مضبوط (مولاي المصطفى البرجاوي، 2014، ص 39) مع تحديد القدرات والكفايات التي يراد استهدافها للمتعلم حسب كل مرحلة تربوية.

اذا فالمنهاج عبارة عن تخطيط بيداغوجي شامل وأكثر اتساعا من المقرر التعليمي، يتضمن المقررات الدراسية، و الغايات و الاختيارات التربوية و أشكال التقويم.

تتداخل فيه عوامل داخلية كالأبعاد الفلسفية للأمة والقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والنفسية التي يراد تمريرها و تلقينها للمتعلم، والعوامل الخارجية منها قيم العولمة واقتصاد السوق، وتطور العلوم و التكنولوجيا.

4.2: الجغرافية المدرسية:

يقصد بها مادة الجغرافيا التي تدرس بالمؤسسات التعليمية، فالأدبيات التربوية ترى أنها لم تعد تكتفي بالتركيز على معرفة الأماكن والمجالات الملموسة، بل تعطي الأولوية لإبراز القواعد العامة المتحكمة في تنظيم المجالات (لحسن الحيداوي، 2005، ص 42)، بل أصبحت مادة للفهم والتفسير والتحليل وبالتالي تمكن المتعلم من أدوات التحليل وفهم القوانين المتحكمة في إنتاج المجال، فالجغرافية المدرسية استفادت من التطور الابستمولوجي لعلم الجغرافية وما ركمته من معرفة سواء على مستوى مفاهيمها ومنهجها؛ ووظيفتها، كما راكمت منهجية إعداد المجال بمقاييسه المختلفة وإنتاج نظريات ترابية.

3: التنمية الترابية: المقاربة، المخططات

1.3: من التنمية التقليدية إلى النموذج العصري

تعتبر التنمية الترابية من القضايا التي احتلت حيزا مهما داخل الأبحاث والدراسات الجغرافية، إذ برزت بالخصوص في السنوات الأخيرة بسبب فشل السياسات التنموية من الأعلى التي كانت تضع نفس الأهداف ونفس البرامج و تنظر إلى التراب بنظرة مجردة دون اعتبار للخصوصيات المحلية و كذا الحاجيات الساكنة المحلية واحتكار المركز كل القرارات التنموية، وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مقاربة جديدة في تدبير المنظومة التنموية المرتكزة على التنمية من الأسفل كنمط تدبيري جديد يراعى الخصوصيات المحلية ومتطلبات الساكنة المحلية، و تتأسس هذه المقاربة على استغلال الموارد الترابية بشكل يسمح بتحسين ظروف عيش الساكنة المحلية والنهوض بالقطاعات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والبيئية عن طريق التنسيق والانسجام بين المتدخلين، ونجمل ذلك في الجدول التالي:

الجدول 1: من التنمية من الأعلى إلى نموذج التنمية من الأسفل

النموذج التقليدي (التنمية من الأعلى)	النموذج العصري (التنمية الترابية من الأسفل)
سياسة تخطيط قائمة على النموذج المركزي (التنمية من أعلى)؛ اختلالات وتباينات مجالية؛ مركزية الدولة؛ اقصاء الفاعلين المحليين في التنمية؛ عدم احترام خصوصيات وحاجيات و تطلعات المجتمعات المحلية؛ مشاريع فضفاضة تصعب أجرأتها وتنفيذها؛ انفراد الدولة بالتنمية؛	سياسة مجالية تعتمد على النموذج اللامركزي؛ تحقيق التنمية المستدامة؛ التنمية تنطلق من الأسفل باشراك الساكنة المحلية وتحترم حاجياتهم وخصوصياتهم؛ تعبئة الفاعلين المحليين من التصور الى التنفيذ؛ تتسم بالواقعية، الدولة لم تعد الجهة الفاعلة الوحيدة في التنمية والتخطيط المكاني؛

طغيان الهاجس الأمني على المشاريع التنموية؛ التباين المجالي بين الأرياف و المدن من جهة و بين المركز و الهامش من جهة ثانية.	القضايا الاجتماعية والاقتصادية تحتل دورا متزايد في التنمية الترابية؛ التكامل و التفاوض والتعاقد بين جميع الفاعلين المحليين وتحديد الاختصاصات ومجال التدخل؛ التضامن بين مختلف الأقاليم؛ العدالة المجالية؛ تعبئة المواطنين للانخراط في المشاريع الترابية وإدارة أمورهم لتكريس الديمقراطية المحلية؛ تعدد المقاييس المكانية للتنمية من ما هو محلي الى ما هو عالمي تعزيز التنافسية الترابية من خلال تظافر جهود الفاعلين المحليين؛ تعزيز الروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية للمجتمع المحلي.

المصدر: عمل تركيبي اعتمادا على المرجع(J.-P.Gilly et J.Perrat, septembre 2002,pp 20-30)

2.3: أصناف التنمية الترابية:

يمكن التمييز بين ثلاثة أنوع من التنمية الترابية

أ. التنمية الترابية الداخلية:

تهدف إلى استغلال كل الموارد الترابية المحلية وتعبئتها من أجل تحقيق تنمية مجال ضيق (دوار، قرية، حي، مدينة)؛

ب. التنمية الترابية القائمة على التضامن:

نظرا للتفاوت الحاصل ما بين الجهات (http://www.cg.gov.ma/details.60.1595.) حيث هناك جهات فقيرة و أخرى غنية، فتم إنشاء صندوق التضامن بين الجهات وصندوق التأهيل الاجتماعي للتضامن بين الجهات:

صندوق التضامن بين الجهات: فقد تم تحديد معايير التوزيع حسب مؤشر التنمية البشرية، والناتج الداخلي الخام الفردي، وعدد العاطلين، وعدد الساكنة القروية، وعدد الساكنة في الهوامش الحضرية، وطبيعة المشاريع الممولة حسب أولويات السياسات العمومية، على أن تحدد النسب المئوية لكل معيار من المعايير المشار إليها بمقتضى قرار لوزير الداخلية بعد التشاور مع رؤساء الجهات؛

صندوق التأهيل الاجتماعي: فقد تم تحديد معايير استفادة الجهات من مداخيله بناء على الناتج الداخلي الخام الفردي، وعدد الساكنة بالعالم القروي، وحجم استثمارات الدولة والمؤسسات العمومية المنجزة بالجهة، ونسبة الهشاشة بالجهة، وطبيعة المشاريع الممولة حسب أولويات السياسات العمومية.

ج. التنمية الترابية المستدامة:

تتوخى تجاوز الرؤية التقليدية للتنمية الترابية المبنية على المركزية المفرطة و هاجسها الأمني؛ وهذه المقاربة تعيد الاعتبار للموارد الترابية والبشرية والاقتصادية والبيئية مع ضمان الاستدامة و ترشيد الاستغلال و نجاعة التدخل

3.3: مراحل اعداد مشاريع التنمية الترابية:

تمارس الجماعات الترابية بناء على مبدإ التفريع المنصوص عليه في الفصل 140 من دستور المملكة اختصاصات ذاتية؛ واختصاصات مشتركة مع الدولة؛ واختصاصات منقولة إليها من هذه الأخيرة، و بناء على السلطة التنظيمية المحدد لها في القوانين التنظيمية للجماعات سواء قانون 111.14 المتعلق بالجهات، وقانون 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، وقانون 113.14 المتعلق بالجماعات، فان مراحل إعداد المشاريع الترابية تمر من عدة مراحل نجملها في:

التشخيص الترابي: منهجية لتشخيص التراب، والذي يعد شرطا مسبقا لأي تنمية ترابية ولأي مشروع ترابي، لكونه يوضح الصورة الحقيقة للحيز الجغرافي أي ابراز عناصر قوته و ضعفه و مؤهلاته و كذا المخاطر التي تهدده، بمعنى أخر تشخيص مؤهلاته الجغرافية والجيواستراتيجية والطبيعية والبشرية والثقافية والمناخ السياسي (Deffontaines J.-P., Marcelpoil E., Moquay P., 2001, pp 39-56)، أي ما يصطلح عليه بالثوابت المجالية (نجيب المصمودي، 2012-2013، ص84)، اذ يعتبر التشخيص مرحلة مهمة في أي مشروع تنموي، ويمر من أربعة مراحل أساسية :

الوضع الراهن للتراب: تقديم التراب بشكل كامل طبوغرافيا و ديمغرافيا... وإبراز مؤهلاته واختلالاته أي رسم صورة شاملة للمجال المراد تنميته؛

تحديد الرهانات: تقديم تصور للتنمية الترابية بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية و التفاعلات بين هذه الأبعاد و المخاطر التي ينطوي عليها؛

اختيار الاستراتيجية: هو اختيار المقاربة المناسبة لتجاوز الاختلالات بالمجال المدروس؛

اقتراح مشاريع ترابية

الشكل 1: مراحل إعداد مشروع ترابي

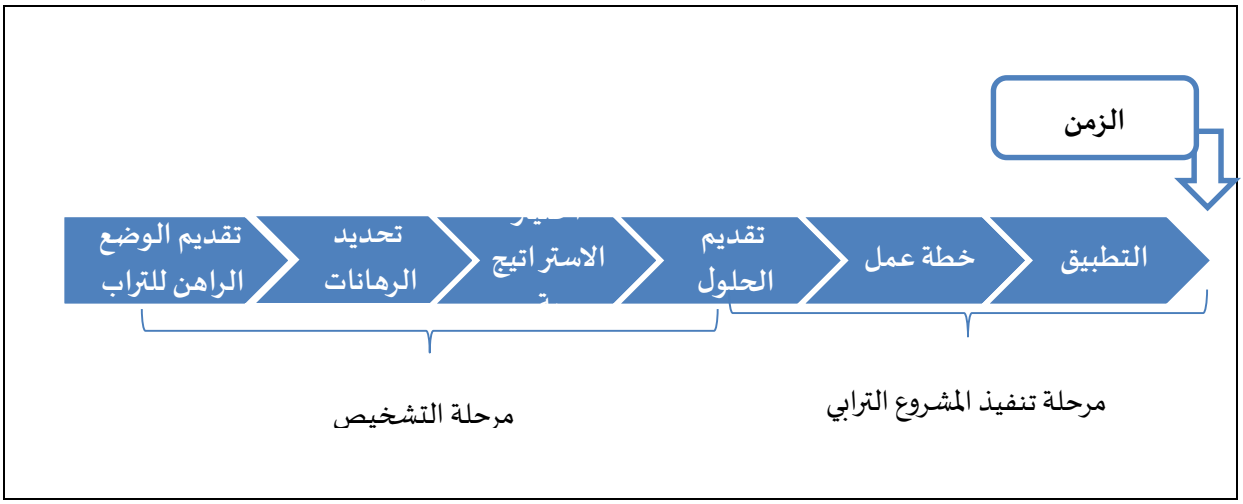

المصدر: عمل تركيبي بناء على ما نصت عليه القوانين التنظيمية للجماعات الترابية

وبالتالي فإن التشخيص الترابي يقدم لنا صورة عامة للمجال المراد تنميته بهدف اختيار شكل التدخل و المقاربة المناسبة لذلك و المتمثلة في ما يلي:

التموقع الترابي : جعل المجال هوية وعلامة تميزه عن المجالات الجغرافية الأخرى؛

التعاقد: لإنجاح أي مشروع ترابي لا بد من تعاقد بين كافة المتدخلين وفق نفس الرؤية ونفس الأهداف تفاديا لهدر المال العام، وتحديد مستويات كل تدخل؛

القيادة : تحديد من سيتولى قيادة المشروع تفاديا للفوضى والارتجالية؛

إشراك الفاعل المحلي: من صلب أي تنمية ترابية تحديد حاجيات الساكنة المحلية وتمثلاتهم و قيمهم وتصوراتهم، و يتأتى ذلك عن طريق اشراك المجتمع المدني والفاعل ممثلهم من مرحلة التشخيص إلى مرحلة التنفيذ والاجرأة ؛

استشراف المستقبل : فأي مشروع ترابي لا بد له من رسم معالم التراب بالمستقبل لضمان استدامته ونفعيته

تنفيذ المشروع الترابي : أجرأة المشروع الترابي

التتبع و التقييم : ضروري تتبع المشروع الترابي وتقديم أي حلول لمعالجة الاختلالات التي تتواجه المشروع؛

المحاسبة : وذلك بربط المسؤولية بالمحاسبة

4.3: مخططات التنمية الترابية:

حدد الفصل 135 من دستور 2011 الجماعات الترابية للمملكة في الجهات والعمالات والأقاليم والجماعات واعتبارها أشخاصا اعتباريين، خاضعين للقانون العام، تسير شؤونها بكيفية ديمقراطية، واعتبرها فاعلا في التنمية الترابية باعتبارها

المؤسسات المعنية بالتنمية المجالية خاصة بعد اصدار ثلاثة قوانين تنظيمية للجماعات الترابية سنة 2015، سواء قانون 111.14 المتعلق بالجهات، وقانون 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، وقانون 113.14 المتعلق بالجماعات، بغية تخفيف العبء على الادارة المركزية، وفسح المجال أمام النخب المحلية على تحمل المسؤولية نظرا لما تتميز به من مرونة وقدرة على الانتشار في مختلف التراب الوطني، بالإضافة إلى أنها أداة فعالة في معالجة الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية - المجالية المحلية، كالبطالة والفقر وبالتالي تلبية حاجياتهم الأساسية وتنفيذ المشاريع، ولإرساء قواعد الديمقراطية المحلية، وكذا إشراك الساكنة المحلية والمجتمع المدني في تدبير التراب المحلي بحكم ادراكهم لحاجياتهم والمشاكل المحلية ونوضح ذلك في الشكل التالي:

الشكل 2: الفاعلين في التنمية الترابية

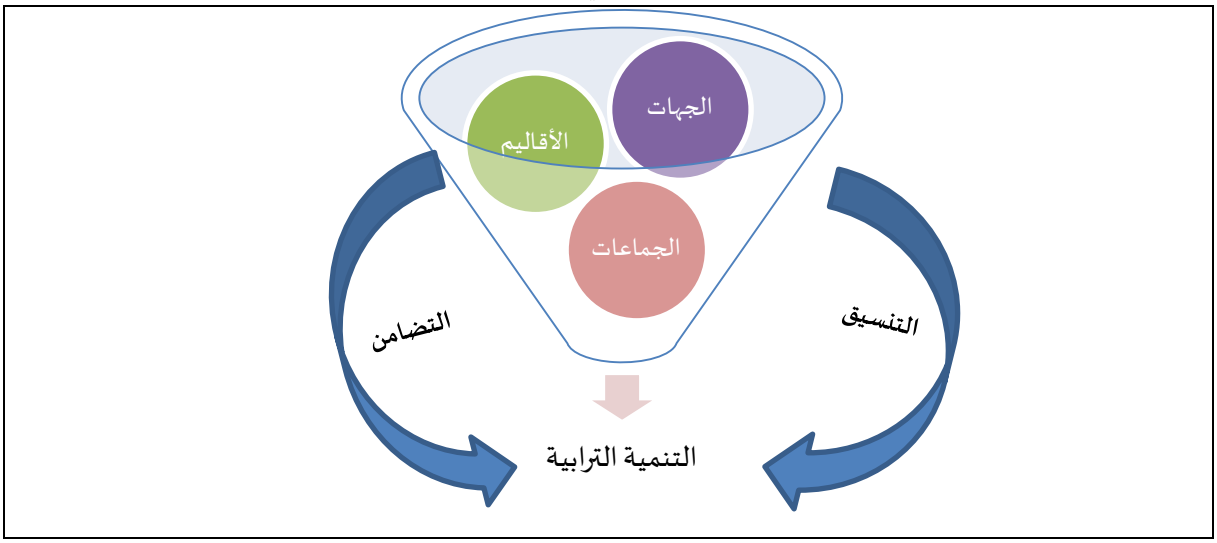

المصدر: عمل تركيبي بناء على ما نصت عليه القوانين التنظيمية للجماعات الترابية

تمارس الجماعات الترابية بناء على مبدأ التفريع، اختصاصات ذاتية واختصاصات مشتركة مع الدولة واختصاصات منقولة إليها من هذه الأخيرة والتي أقرها الفصل 140 من دستور 2011 ، كما أقرت القوانين التنظيمية مجموعة من المخططات التي انفردت بها الجماعات الترابية لأ جرأة التنمية الترابية بنفوذها وهي:

أ- التصميم الجهوي لإعداد التراب: يعد التصميم الجهوي لإعداد التراب إطارا مرجعيا للتنمية الترابية للجهة طبقا للمرسوم رقم 2.17.583 صادر في 7 من محرم 1439 (28 سبتمبر 2017) بتحديد مسطرة إعداد التصميم الجهوي لإعداد التراب و تحيينه و تقييمه و بناء على القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات ولاسيما المادة 89 منه و يهدف هذا التصميم:

إعطاء الجهات صلاحيات في إعداد مخططها التنموي بناء على التشخيص وتحليل إمكانياتها وفرصها التنموية و بالتالي يعد مخططا مرجعيا للتهيئة المجالية للجهة على مدى 25 سنة وفق توجهات السياسة العامة لإعداد التراب الوطني؛

واحتراما لمبدأ التشاور والتنسيق بين كل الفاعلين والمتدخلين في ميدان إعداد التراب الوطني على المستوى الجهوي؛

يستهدف الى تجاوز العيوب المجالية والاقتصادية لتراب الجهة؛

مواجهة التحديات الكبرى للمجال الوطني تجاوز الاختلالات المجالية وبالتالي يعد أهم وسيلة تؤطر السياسة العامة للتنمية الترابية على المستوى المحلي والجهوي، فإنها أهم أداة والذي أوكل إعداده إلى المجلس الجهوي طبقا للمادة 88 من القانون التنظيمي رقم 111.14 للجهات؛

تحقيق التوافق بين الدولة والجهة حول تدابير تهيئة وتأهيل التراب الجهوي وفق رؤية استراتيجية واستشرافية، بما يسمح بتحديد توجهات واختيارات التنمية الجهوية.

ب. برنامج التنمية الجهوية:

عبارة عن وثيقة مرجعية لبرمجة المشاريع والأنشطة ذات الأولوية المقرر أو المزمع انجازها بتراب الجهة طبقا للمرسوم رقم 2.16.299 المتعلق بمسطرة إعداد برنامج التنمية الجهوية، والذي بهدف تحقيق تنمية مندمجة و مستدامة تهم على وجه الخصوص تحسين جاذبية المجال الترابي للجهة و تقوية تنافسيته الاقتصادية، مرتكزا على نقاط القوة والضعف و كذا الفرص والمخاطر المرتبطة بالمجال الجهوي، والاعتماد على مقاربة تشاركية والنوع الاجتماعي بهدف تأهيل وتنمية المجال الجهوي والانخراط في التنمية البشرية المندمجة والمستدامة (2015-2030)، ومواكبة سياسة الدولة والعمل على بلورتها على المستوى الجهوي، مع ادماج التوجهات الواردة في التصميم الجهوي لإعداد التراب ومن أهدافه:

مواكبة برنامج التنمية الجهوية للتوجهات الاستراتيجية لسياسة الدولة والعمل على بلورتها على المستوى الجهوي، مع ادماج التوجهات الواردة في التصميم الجهوي لإعداد التراب؛

النهوض بالتنمية الجهوية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية؛

اعتماد البعد البيئي لتحقيق التنمية المستدامة؛

اختيار مشاريع ذات جودة؛

تعبئة الموارد المالية الكافية لبلورة هذه المشاريع وتعبئة الموارد البشرية و الاستعانة بالخبرة.

ج. برنامج تنمية الإقليم أو العمالة:

يعتبر برنامج تنمية الإقليم أو العمالة الوثيقة المرجعية لبرمجة المشاريع و الأنشطة ذات الأولوية المقرر أو المزمع إنجازها بتراب العمالة أو الإقليم بهدف النهوض بالتنمية الاجتماعية خاصة في الوسط القروي وكذا المجالات الحضرية، حديد برنامج تنمية العمالة أو الإقليم مجموعة من الأهداف طبقا لمقتضيات المرسوم رقم 2.16.300 الذي حديد مسطرة إعداد برنامج تنمية العمالة أو الاقليم وتتبعه وتحيينه و تقييمه وآليات الحوار و التشاور لإعداده أبرزها :

مواكبة برنامج تنمية العمالة أو الإقليم لسياسات و استراتيجيات الدولة فيما يخص توفير التجهيزات و الخدمات الأساسية و التنمية الاجتماعية في الوسط القروي ومحاربة الإقصاء و الهشاشة في مختلف القطاعات الاجتماعية؛

السعي الى تحقيق الانسجام و الالتقائية مع توجهات برنامج التنمية الجهوية؛

اعتماد البعد البيئي لتحقيق التنمية المستدامة؛

الأخذ بين الاعتبار الإمكانيات المادية المتوفرة للعمالة أو الإقليم أو التي يمكن تعبئتها، وكذا الالتزامات المتفق في شأنها بين العمالة أو الإقليم و الجماعات الترابية الأخرى و هيئاتها و المقاولات العمومية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية بالعمالة أو الإقليم.

د . برنامج عمل الجماعة:

عبارة عن برنامج للتنمية الترابية على صعيد الجماعة مكون من الأعمال التنموية المقرر انجازها بتراب الجماعة لمدة ست سنوات في أفق تنمية ترابية مستدامة ووفق مقاربة تشاركية والنوع الاجتماعي طبقا لأحكام المادة 119 من القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات و من أهداف هذا البرنامج:

انجاز تشخيص يبرز حاجيات و امكانيات الجماعة ويحدد اولوياتها في مجال المرافق والتجهيزات العمومية الجماعية و خدمات القرب؛

وضع وترتيب الأولويات التنموية للجماعة انطلاقا من سياسات واستراتيجيات الدولة في مجال خدمات القرب و انسجاما مع توجهات برنامج التنمية الجهوية و برنامج تنمية العمالة أو الإقليم؛

تعبئة الموارد البشرية التابعة للمصالح الخارجية للدولة التي يمكنها المساهمة في إعداد مشروع برنامج عمل الجماعة؛

تحديد المشاريع و الأنشطة ذات الأولوية بالنسبة للجماعة مع الأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات المادية المتوفرة لديها أو التي يمكن لها تعبئتها خلال السنوات الست التي سيتم العمل فيها ببرنامج عمل الجماعة؛

تقييم موارد الجماعة و نفقاتها التقديرية الخاصة بالسنوات الثلاث الأولى لبرنامج عمل الجماعة.

أن هذه المخططات تتكامل في ما بينها في اطار التكامل والتنسيق لتحقيق تنمية ترابية منسجمة مستدامة

الشكل 3: تكامل بين برامج الجماعات الترابية

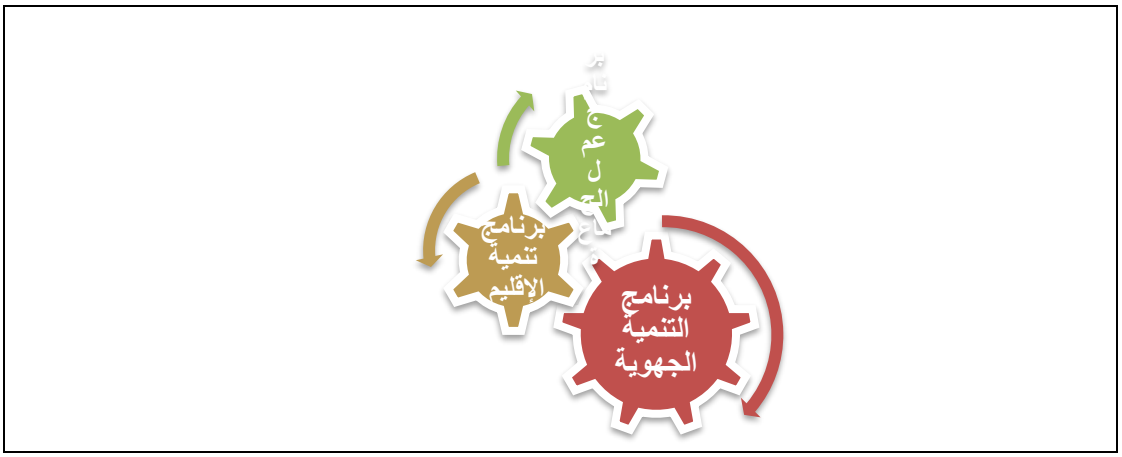

المصدر: عمل تركيبي بناء على ما نصت عليه القوانين التنظيمية للجماعات الترابية

4: التنمية الترابية بمنهاج الجغرافيا للسنة الأولى باكالوريا:

للإجابة عن الإشكالية المعنونة بمدى حضور مفاهيم وقضايا التنمية الترابية بمنهاج الجغرافيا لمستوى الأولى باكالوريا شعبة الآداب وعلوم الإنسانية، اعتمدنا على المنهج الوصفي لتحليل الوثائق التربوية الرسمية عن طريق استخراج دلالات التنمية الترابية بها:

1.4. الميثاق الوطني للتربية والتكوين:

أكد على جعل التعليم قاطرة للتنمية الترابية ودعا مجالس الجهات والجماعات إلى ضرورة الوعي بالدور الحاسم للتربية والتكوين، في إعداد النشء للحياة العملية المنتجة لفائدة الجهة أو الجماعة، وفي بث الأمل في نفوس آباء المتعلمين وأوليائهم والاطمئنان على مستقبل أبنائهم، وبالتالي حفزهم على التفاني في العمل لصالح وازدهار الجهة والجماعة" (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 2002، ص11)، و على ضرورة نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضائها البيئي والمجتمعي والثقافي والاقتصادي (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 2002، ص9)، كما أقرت المادة الخامسة عشر من الميثاق على إقرار اللامركزية واللاتمركز في قطاع التربية والتكوين، حيث تقوم سلطات التربية والتكوين بتنسيق مع السلطات الأخرى المختصة، بتسريع بلورة نهج اللامركزية واللاتمركز في هذا القطاع، باعتباره اختيارا حاسما واستراتيجيا، ومسؤولية عاجلة (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 2002، ص55).

2.4، الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 :

أكدت الرؤية الاستراتيجية في مادتها السادسة عشر على ملاءمة التعلمات والتكوينات مع حاجيات البلاد ومهن المستقبل، وربط تعلمات المتعلمين بمختلف مجالات الحياة (الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، ص 52)، و مع السياسة الترابية الجديدة والتدبير الجيد المحلي للكفاءات.

3.4. قانون الإطار51.17:

حدد قانون الإطار مجموعة من مبادئ وأهداف ووظائف المنظومة التربية والتكوين والتي أكدت على تكوين متعلم مساهم في التنمية الترابية متسلح بآليات التخطيط والتدبير "الإسهام في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، ولاسيما من خلال إكساب المتعلم المهارات والكفايات اللازمة، التي تمكنه من الانفتاح والاندماج في الحياة العملية، والمشاركة الفاعلة في الأوراش التنموية للبلاد، بما يحقق تقدم المجتمع والإسهام في تطويره" (قانون الإطار رقم 51.17، 2019، ص5625)، وتحقيق اندماج المتعلم في وسطه الجيوثقافي " تحقيق الاندماج الثقافي للمتعلم، وتيسير اندماجه وتفاعله الإيجابي مع محيطه" (قانون الإطار رقم 51.17، 2019، ص5626).

4.4. التوجيهات التربوية لمادة الجغرافية شعبة الآداب والعلوم الإنسانية السنة الأولى باكالوريا

أُقرت التوجيهات التربوية للمادة على أهمية مادة الجغرافيا في التكوين الفكري والمدني والاجتماعي للناشئة، ودورها في الترابية المجالية، واسهامها في ترسيخ الهوية والمواطنة لدى المتعلمين وكذا تنمية كفايات التخطيط وإعداد التراب والتنمية المستدامة (التوجيهات التربوية - تخصص الاجتماعيات- ثانوي تأهيلي، 2007، ص6) .

فالأهداف العامة للمنهاج المادة أقرت على اكساب المتعلم مفاهيم حول القضايا المجالية الجهوية والمحلية، وتقوية القدرات المنهجية في معالجة مكونات المجال الجغرافي واستيعاب إشكالاتهّ؛ والانخراط في اقتراح حلول مناسبة، بينما على مستوى الاتجاهات أكد على اكساب المتعلم تربية مجالية واندماج وتبني مواقف وسلوكات إيجابية اتجاه محيطه الجغرافي بمختلف أبعاده ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول 2: الأهداف العامة للمناهج

مستوى المعرفي	مستوى المنهجي/ المهاري	مستوى الاتجاهات
اكتساب رصيد مفاهيمي ومعرفي حول القضايا المجالية المحلية والوطنية والعالمية	تقوية القدرات المنهجية والتعبيرات الخاصة بالجغرافيا تمكنه من توظيف مكتسباته في معالجة مكونات المجال الجغرافي واستيعاب إشكالاته والانخراط في اقتراح حلول مناسبة	اكتساب تربية مجالية تمكنه من الاندماج وتبني مواقف وسلوكات إيجابية اتجاه محيطه الجغرافي بمختلف أبعاده.
استقلالية المتعلم في تعامله مع المجال		

المصدر: التوجيهات التربوية - تخصص التاريخ والجغرافيا- ثانوي تأهيلي، 2007، ص12

يتضح من الجدول أعلاه أن القضايا المجالية كانت حاضرة بشكل قوي ضمن الأهداف العامة للمنهاج، سواء على المستوى المعرفي أو على المستويين المنهجي/ المهاري و الاتجاهات ، في حين ان الكفايات والقدرات لم تعطي أي إشارة لذلك(الجدول

2)وبالتالي نستنتج غياب الانسجام بين الأهداف العامة للمنهاج وكفايات المادة، اذ جاءت هذه الأخيرة عامة وذات ارتباط بجغرافية العالم العربي وجغرافية المغرب في شموليتها، ويتضح ذلك في الجدول التالي:

الجدول 3: الكفايات والقدرات المنصوص عليها بالسنة الأولى من سلك الباكالوريا

الكفايات	القدرات
اكتساب مفاهيم ومصطلحات جغرافية مرتبطة بموضوعات تخص جغرافية المغرب (المجال المغربي- إعداد التراب الوطني- التهيئة الحضرية- التهيئة الريفية...)؛ **توظيف هذه المصطلحات والمفاهيم في رصد خصائص المجال وإعداد التراب الوطني؛**	تشخيص المجال المغربي على مستوى الموارد الطبيعية والبشرية وإبراز أساليب تدبير هذه الموارد تحديد التقسيمات المجالية الكبرى والتمييز بين خصائصها تعرف الاختيارات الكبرى لسياسة إعداد التراب الوطني وتقييمها؛ إبراز أزمة المدينة والريف بالمغرب وتفسيرها؛ اكتساب المتعلم تربية مجالية ليكون مشاركا ومتفاعلا مع محيطه المحلي والوطني والإقليمي.وتأهيله للمساهمة في الحفاظ على الموارد وتنميتها تمكن المتعلم من التعامل النقدي تجاه أشكال التدبير للمجال في المغرب

المصدر: التوجهات التربوية - تخصص التاريخ والجغرافيا- ثانوي تأهيلي، ص14

نستنتج من خلال الجدول أعلاه أن التوجهات التربوية أولت الأهمية لاكتساب كفايات معرفية مرتبطة بموضوعات جغرافية المغرب (المجال المغربي، إعداد التراب الوطني، التهيئة الحضرية، التهيئة الريفية...) وتوظيف هذه المفاهيم في تشخيص المجال الوطني وسياسة إعداد التراب، وبالتالي فإن هذه الكفايات جاءت عامة ولم تنص على كفايات تتناول قضايا التنمية الترابية، كما يلاحظ أيضا أن القدرات هي الأخرى جاءت عامة (تشخيص المجال المغربي على مستوى الموارد الطبيعية والبشرية و ابراز أساليب تدبير هذه الموارد، تحديد التقسيمات المجالية الكبرى، ابراز أزمة المدينة والريف بالمغرب...) وبالتالي لم تنص التوجهات التربوية على أية قدرة خاصة بالتنمية الترابية وأشكال تدبير المجال المحلي.

5: تحليل الكتب المدرسية لمادة الجغرافيا:

اعتمدنا في تحليلنا للكتب المدرسية على شبكة تحليل المضمون باعتبارها الوسيلة المثلى لذلك، وفي هذا الإطار قمنا بتحليل جميع الكتب المدرسية لمادة الجغرافيا للسنة الأولى لسلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، وعيا منا بأهمية هذه الكتب المدرسية في العملية التعليمية التعلمية بكونها الدعامة الديداكتيكية والقناة الأنسب لترسيخ تربية مجالية

قوامها تمكن المتعلم أليات التنمية الترابية، وتعزيز قيم المواطنة لديه وتكوين مواطن فاعل متفاعل مع مجاله المعاش. وتشخيصنا لجميع هذه الكتب المدرسية هو منطلق من قناعتنا أنه سيعطي لبحثنا قيمة علمية قائمة على التشخيص الشامل و الدقيق المقارن بين الكتب الثلاثة التالية:

الكتاب الأول: منار الجغرافيا، السنة الأولى باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، مسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، دار النشر نادية للنشر، رقم المصادقة 20 CB 111O7، تاريخ المصادقة 25 يوليوز 2007

الكتاب الثاني: الأساسي في الجغرافيا، السنة الأولى باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، مسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، دار النشر دار النشر مكتبة المعارف، رقم المصادقة 05 CB 11106، تاريخ المصادقة 18 يوليوز 2007

الكتاب الثالث: المسار الجغرافيا من سلك باكالوريا ، السنة الأولى باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية ، مسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، دار النشر دار النشر نادية للنشر، رقم المصادقة 20 CB 11107، تاريخ المصادقة 25 يوليوز 2007

1.5:تشخيص مدى حضور المفاهيم المهيكلة للتنمية الترابية بالكتب المدرسية

نستنتج من خلال تحليلنا للكتب المدرسية الثلاث (المسار الجغرافيا، منار الجغرافيا، الأساسي في الجغرافيا) أن هناك تباين في مستوى حضور مفاهيم التنمية الترابية بالكتب المدرسية وقد جاءت على الشكل التالي:

مفاهيم حضرت بشكل كبير: "الجهوية، اللامركزية، اللاتركيز"

مفاهيم حضرت بشكل متوسط: "التنمية"

مفاهيم حضرت بشكل ضعيف: "التراب، التنمية الترابية، الإقليم، الجماعة"

و بالتالي نستنتج أن المفاهيم التنمية الترابية جاء مغيب كليا بالكتب المدرسية الثلاث، و من هذا الباب نتساءل كيف يمكن ترسيخ قيم مجالية للمتعلم، و كيف سينخرط في التنمية الترابية وهو غير متسلح بمفاهيم المجال المحلي والجهوي في مقابل تلقينه رزمة من المفاهيم بعيدة كل البعد عن واقعه الترابي، ونجمل ذلك في المبيان الثالي:

المبيان 1: قياس مدى حضور مفاهيم التنمية الترابية بالكتب المدرسية

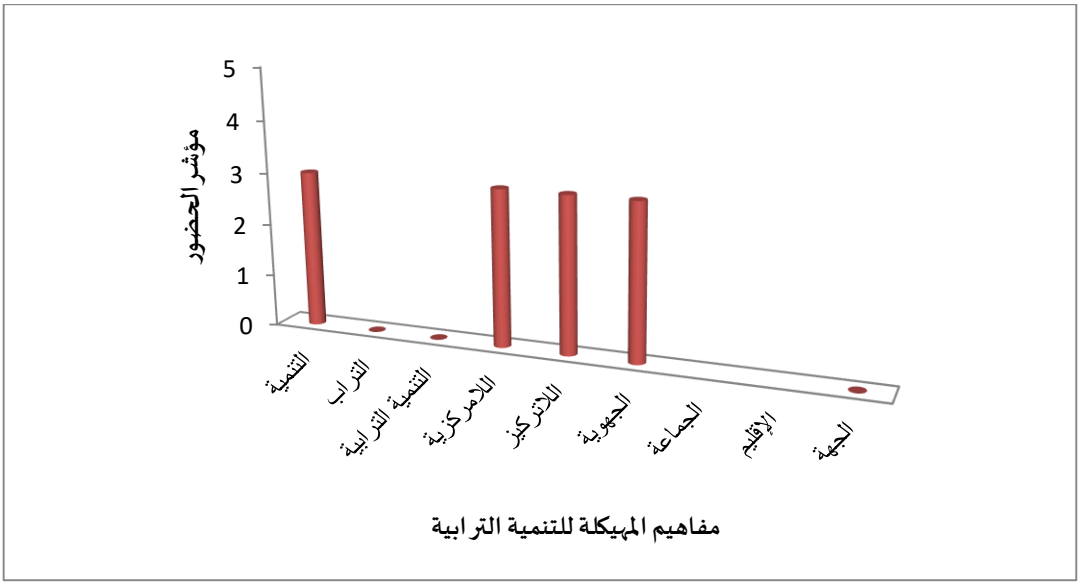

المصدر: نتائج البحث الميداني(فبراير2020) اعتمادا على اداة شبكة تحليل المضمون للكتب المدرسية عينة الدراسة

2.5.تشخيص مدى حضور برامج التنمية الترابية بالكتب المدرسية

يلاحظ كذلك من خلال عملية المسح للكتب المدرسية عينة الدراسة، أن هناك اغفال ادراج برامج التنمية الترابية المحلية والجهوية بهذه الكتب المدرسية الثلاث (المسار الجغرافيا، منار الجغرافيا، الأساسي في الجغرافيا) لمادة الجغرافيا للسنة الأولى باكالوريا شعبة الآداب والعلوم الإنسانية، بمعنى أنه تم الاقتصار فقط على البرامج الوطنية الحكومية والقطاعية، بينما تم أغفال البرامج الجهوية والمحلية : كبرنامج التنمية الجهوية، وبرنامج تنمية الأقاليم، وبرنامج عمل الجماعات، والتي تعد من أهم المخططات المعول عليها في التنمية الترابية، و الشكل التالي يلخص لنا هذا التباين المسجل:

المبيان2: قياس مدى حضور برامج التنمية الترابية بالكتب المدرسية

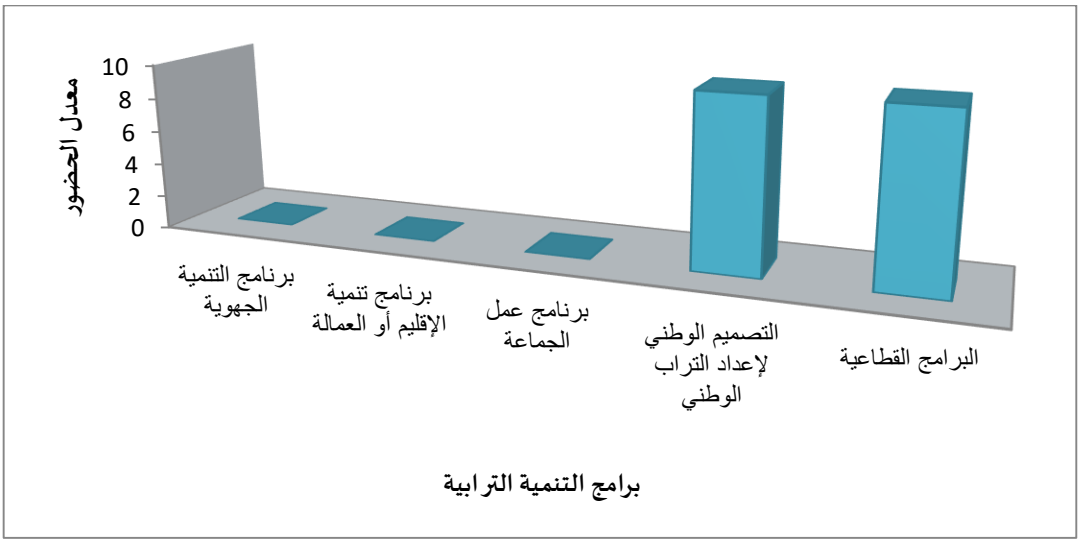

المصدر: نتائج البحث الميداني(فبراير2020) اعتمادا على اداة شبكة تحليل المضمون للكتب المدرسية عينة الدراسة

3.5. تشخيص مدى حضور المؤسسات الفاعلة في التنمية الترابية

نستنتج من خلال تحليلنا للكتب المدرسية أن الفاعل المحلي مغيب كليا بالكتب المدرسية الثلاث، فليس هناك أي إشارة لاختصاصات الجماعات الترابية (الجهة، الإقليم، الجماعة)، وليست هناك أي إشارة للفاعل المدني و كذا المصالح الخارجية (المندوبيات الجهوية والإقليمية)، مما سيطرح صعوبات معرفية لدى المتعلم في التمييز بين هذه المؤسسات وأدوارها التنموية؛ وكذا مستويات التنمية أي التنمية من الجماعة ثم بالإقليم فبالجهة وأخيرا التنمية الوطنية، إذن فالأبعاد المؤسساتية التنمية الترابية مغيبة بالكتب المدرسية الثلاث، فكيف سيميز المتعلم أهم الفاعلين في انتاج المجال وادوارهم في التنمية الترابية؟ وبالتالي لا بد من مقاربة بيداغوجية تراعي التدرج في التعلمات و تسلط الضوء على الفاعل على مستوى الترابي، مما سيمكن من ترسيخ تربية مجالية للمتعلمين قوامها المواطنة الترابية، والشكل التالي يبرز ذلك:

المبيان 3: قياس مدى حضور الفاعلين الترابيين بالكتب المدرسية

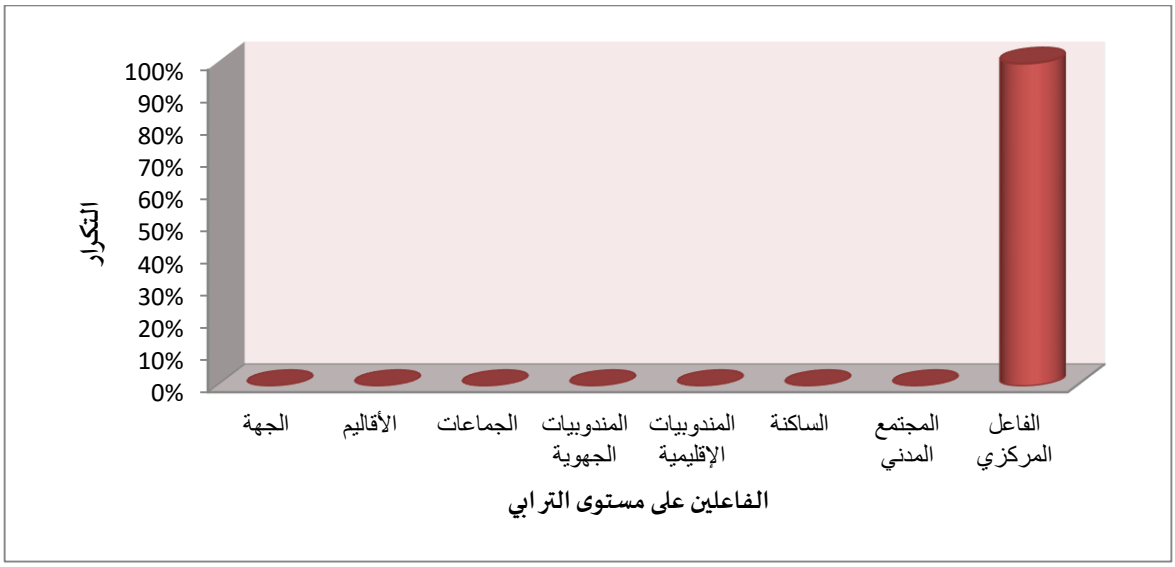

المصدر: نتائج البحث الميداني(فبراير2020) اعتمادا على اداة شبكة تحليل المضمون للكتب المدرسية عينة الدراسة

4.5.تشخيص مدى حضور قوانين الجماعات الترابية بالكتب المدرسية الثلاث

يلاحظ من خلال الشكل اسفله غياب تام لأية إشارة للإطار القانوني للجماعات الترابية، قانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، والقانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، والقانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات.

المبيان 4: قياس مدى حضور القوانين التنظيمية للجماعات الترابية بالكتب المدرسية

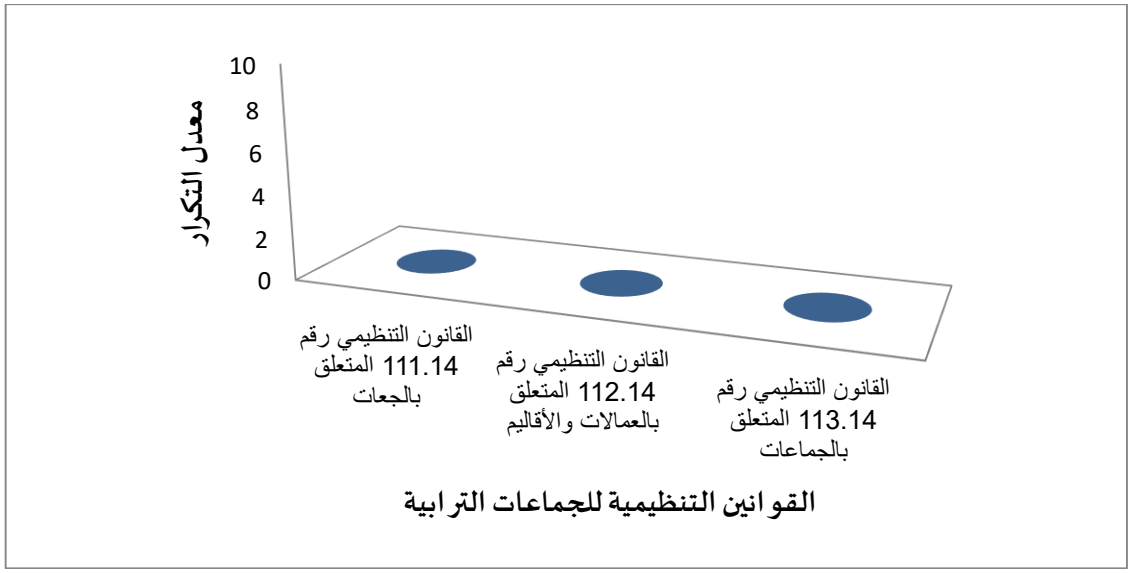

المصدر: نتائج البحث الميداني(فبراير2020) اعتمادا على اداة شبكة تحليل المضمون للكتب المدرسية عينة الدراسة

5.5. تشخيص مدى حضوروثائق التعمير بالكتب المدرسية

يتبين لنا بعد تحليلنا للكتب المدرسية الثلاث أن هناك تباين في مستوى حضور وثائق التعمير بالكتب المدرسية الثلاث، فقد ركزت هذه الكتب المدرسية بشكل كبير على التصميم الوطني لإعداد التراب الوطني، بينما يلاحظ ضعف حضور الوثائق الأخرى ذات الصلة بالمجال المحلي والجهوي كالتصميم الجهوي لإعداد التراب، تصميم التهيئة الحضرية، تصميم التنمية، تصميم التنطيق. و الشكل التالي يبرز ذلك:

المبيان 5 : قياس مدى حضوروثائق التعمير بالكتب المدرسية

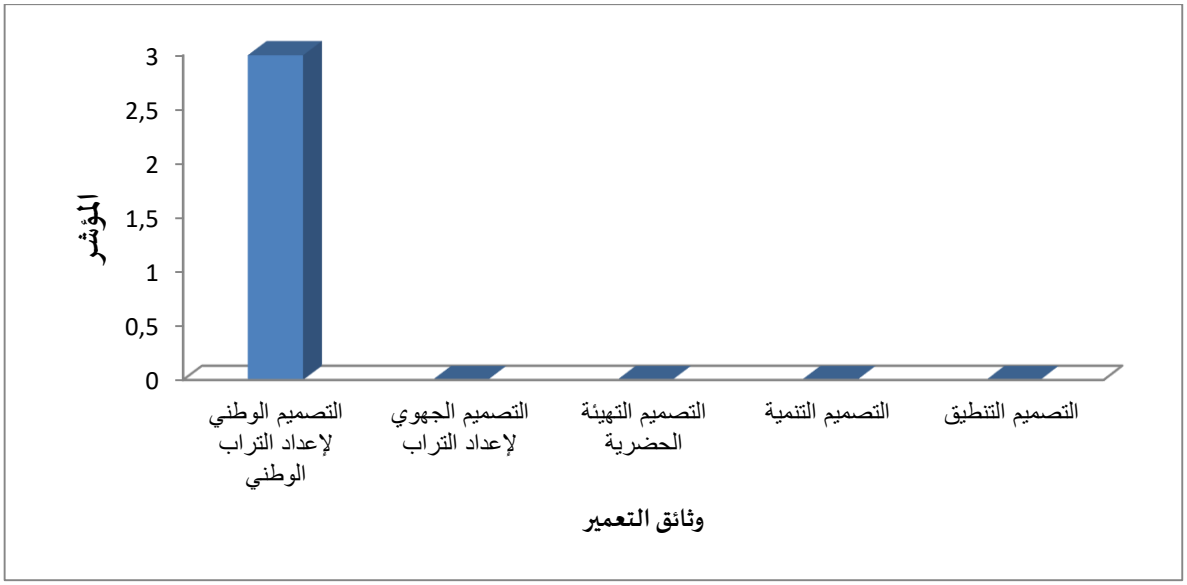

المصدر: نتائج البحث الميداني(فبراير2020) اعتمادا على اداة شبكة تحليل المضمون للكتب المدرسية عينة الدراسة

استنتاجات و اقتراحات:

اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن المدرسة أضحت مدعوة إلى مواكبة الإصلاحات الترابية باعتبارها رافدة للتنمية الشاملة والمستدامة لبلادنا، واعتبارا للأدوار التي تلعبها مؤسسات القرب (الجماعات، الأقاليم، الجهات)، والفاعلين الترابين الاخرين (المندوبيات الإقليمية والجهوية) والمؤسسات الشبه العمومية(المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب، المكتب الوطني للسكك الحديدية، المكتب الوطني للمطارات...) والشركات الخاصة، لدى أصبح من الضروري تدريس وتعلم أشكال التنمية الترابية لتواكب المدرسة مسلسل الإصلاح والنماء وخلق نوع من التوازن بين جغرافية المغرب والمجال القريب من المتعلم بمجاله المعاش، فلا يعقل أن تبقى المدرسة المغربية بعيدة كل البعد عن هذه الإصلاحات التي تعرفها البلاد خصوصا بعد تطبيق الجهوية المتقدمة ، ولتحقيق هذا المبتغى نعرض جملة من المقترحات هي كالاتي:

تبني مقاربة تطويرية لمنهاج الجغرافيا ليواكب التطور الحاصل في السياسة العمومية وإعداد التراب الوطني؛

تدريس وتعلم الجغرافية الجهوية وفق مقاربة بيداغوجية متكاملة من المجال المحلي وصولا للمجال العالمي؛

تنويع المواضيع ودروس التنمية الترابية وأشكال المؤسساتي (الجهات، الأقاليم، الجماعات)؛ وبرامج التنمية الترابية كبرنامج التنمية الجهوية، وبرنامج تنمية الأقاليم، وبرنامج عمل الجماعات؛

اكساب المتعلم معارف حول أهمية وثائق التعمير كالتصميم الجهوي لإعداد التراب، التصميم التهيئة الحضرية، التصميم التنمية، التصميم التنطيق؛ والقوانين الخاصة بالجماعات الترابية؛

تجديد الكتب المدرسية على مدى 5 سنوات لتواكب المدرسة البرامج والمخططات التنموية؛
ضرورة ترسيخ مواقف إيجابية لدى المتعلم في ما يتعلق بالمجهودات المبذولة لأشكال التنمية الترابية؛
تنويع آليات التنشيط التربوي (خرجات ميدانية، لعب الأدوار...) ؛
تفعيل الحياة المدرسية في علاقتها مع المحيط المحلي؛
تبني كتب جهوية خاصة بمادة الجغرافيا منسجمة مع أهداف المناهج الوطنية؛
تخصيص جزء من التقويم لمشروع التلميذ (عروض، مجالات حائطية، التشجير، حملات النظافة، رسم الجذريات...) التي تعد تدريبا للمتعلم على الانخراط في التنمية الترابية وبالتالي ترسيخ قيم المواطنة لدى المتعلمين؛

خاتمة

مما لا شك فيه أن موضوع التنمية الترابية يعد من القضايا التي اثارت اهتمام الفاعلين الاقتصاديين والسياسيين والاجتماعيين، وكذا الفاعلين المدنيين باعتباره نقطة التقاء جميع السياسات القطاعية بهدف الحد من التباين المجالي وتحقيق العدالة المجالية؛ بتجاوز المقاربة التقليدية في تدبير المنظومة الترابية الى مقاربة عصرية تتخدد من الفاعل المحلي شريكا في التنمية مع استحضار الخصوصيات المحلية، وبالتالي فإن التنمية الترابية رؤية وسياسة جديدة تجاه المنظومة الترابية بهدف الرفع من تنافسية المجالات المحلية بالاعتماد على موارده الداخلية والخارجية.

وفي هذا الصدد أصبح تدريس قضايا التنمية الترابية من المواضيع الراهنة التي ستسهم في التكوين الفكري والمدني للمتعلمين وتجعلهم أكثر انخراطا في أشكال التدبير الترابي على اعتبار أن مادة الجغرافيا رائدة في هذا المجال، كما أصبحت مسألة التجديد البيداغوجي أمرا ملحا ليواكب السياسات والأوراش التنموية التي أطلقها المغرب في السنوات الأخيرة ، من اجل ردم الهوة بين السياسات التنموية الترابية العمومية و ما يدرس للمتعلمين.

قائمة المراجع:

الكتب:

ابن منظور، 1990، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة مصر

احمد محمد عبد العال،(2003)، **أقطاب و مراكز النمو بين النظرية والتطبيق**، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 42، الجزء الثاني

الدريج محمد، (2015)، **المنهاج المندمج أطروحات في الإصـــلاح البيداغوجي لمنظومة التربية و التكوين**، (ط. 1)، الدار البيضاء مطبعة الجديدة

اللقاني احمد حسين، (2013)، **المناهج بين النظرية و التطبيق**، (ط. 4)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع

الويز محمد ، (2017) ، **مقاربة سوسيولوجية لأشكال التنظيم الترابي بالمغرب**، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية

فعراس عبد العزيز، (2016)، **المعجم الحساني البيئي الجغرافي**، (ط. 1)،مركز الدراسات الصحراوية، جامعة محمد الخامس، الرباط ، مطبعة ابي رقراق.

لبكر رشيد، (2003)، **إعداد التراب الوطني و رهان التنمية الجهوية،(ط. 1)**، منشورات مديرية إعداد التراب الوطني، الرباط، منشورات عكاظ

منصف عبد الحق،(2007)، **رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية**، (ط. 1)، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق

الوثائق التربوية الرسمية:

التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي،2007 نونبر، مديرية المناهج والحياة المدرسية، المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي

الميثاق الوطني للتربية والتكوين، (2000)، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، المملكة المغربية

الرؤية الاستراتيجية للإصلاح، (2015-2030)

دليل المقاربة بالكفايات،2009، وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، مكتبة المدارس، الدار البيضاء

القوانين

دستور فاتح يوليوز 2011، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.91، الصادر في 27 من شعبان 1432، الموافق ل 29 يوليو 2011، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر ، الصادرة في 28 شعبان 1432، الموافق ل 30 يوليو 2011

الظهير الشريف الصادر في فاتح جمادى الأولى 1375 الموافق ل 16 دجنبر 1955 بشأن التنظيم الإقليمي، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2458 بتاريخ 1959/12/04

الظهير الشريف رقم 1.63.273 بشأن تنظيم العمالات والأقاليم ومجالسها، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2655 بتاريخ 1963/09/13

الظهير الشريف رقم 1.63.273 بشأن تنظيم العمالات والأقاليم ومجالسها الصادر ب الجريدة الرسمية عدد 2655 بتاريخ 1963/09/13 الصفحة 2151

الظهير الشريف رقم 1.15.83 صادر في 20 من رمضان 1436 (7 يوليو 2015) بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات

الظهير الشريف رقم 1.59.162الصادر في 27 صفر 1379 (فاتح شتنبر 1959) بتنظيم انتخابات

قانون الإطار رقم 51.17 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم رقم 1.19.113 مؤرخ في 7 ذي الحجة 1440 الموافق ل 9 غشت 2019، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6805 بتاريخ 17 ذو الحجة 1440 (19 أغسطس 2019)

القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، الصادر في 20 رمضان 1436 الموافق ل 7 يوليوز 2015، والصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.83، الجريدة الرسمية عدد 6380 الصادرة بتاريخ 6 شوال 1436 الموافق ل 23 يوليوز 2015

القانون التنظيمي رقم 112.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، الصادر في 20 رمضان 1436 الموافق ل 7 يوليوز 2015، والصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.84، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6380 الصادرة بتاريخ 6 شوال 1436 الموافق ل 23 يوليوز 2015

القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالعمالات والأقاليم، الصادر في 20 رمضان 1436 الموافق ل 7 يوليوز 2015، والصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.85، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 6380 الصادرة بتاريخ 6 شوال 1436 الموافق ل 23 يوليوز 2015

المرسوم رقم 2.15.40 صادر في فاتح جمادى الأولى 1436 (20 فبراير2015) بتحديد عدد الجهات وتسمياتها والعمالات والأقاليم المكونة لها

المجلّات والدوريات والصحف:

البورقادي فاطمة و كناني أمال، (1996)، "تطور الجهة بالمغرب" **منشـــورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية**، (عدد 8)، ص(13-35).

فعراس عبد العزيز، (2018)، "إدماج الثقافة الحســانية في المنظومة التعليمية من خلال تجربة إرســاء المنهاج التربوي الجهوي، **الثقافة الحســانية: الحمولات التربوية و مطلب الادماج في المنظومة التعليمية"**، منشــورات مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، ص (150-167)

مصطفى جليل إبراهيم (2009)، آليات التنمية المكانية بين النظرية والتطبيق، **مجلة الديالي**،العدد40، ص04-15

مليح يونس ،(2018)، "نظام جبايات في الجماعات الترابية في الحاجة الى اصــلاح"، **منشــورات مجلة العلوم القانونية، سلسلة الدراسات الدستورية والسياسية**، (العدد الرابع)، ص(118-165).

اللجنة الاستشارية للجهوية،" تقرير حول الجهوية المتقدمة"، المقدم إلى الملك محمد السادس، في 2011، الكتاب الأول، التصور العام، منشورات م م إ م ت،» سلسلة نصوص ووثائق«، العدد 241

رسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه):

البرجاوي مولاي المصطفى ، (2014)، **تدريس الجغرافيا بالكفايات و أثر المقاربة التطبيقية في تطويرها مستوى الجدع المشترك الأدبي نموذجا، دراسة تربوية تقويمية** ،أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علوم التربية، الرباط، المغرب

الحيداوي لحسن ، (2005)، **المقاربة الوظيفية في ديداكتيكية الجغرافيا مرحلة التعليم الثانوي الإعدادي نموذجا**، أطروحة لنيل الدكتوراه في علوم التربية، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية، الرباط، المغرب.

الفرجي عبد اللطيف ، (2014-2015)، **النظام التربوي المغربي بين آفاق الجهوية المتقدمة ومتطلبات الحكامة الجيدة**، جامعة محمد الخامس كلية علوم التربية، الرباط، المغرب

موساوي محمد، (2004/2005)، "**تحولات العالم القروي ورهانات التنمية المحلية ببلاد المنزل** "رسالة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الأداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، المغرب

نصر نسيم ، مصلح خميس ، (2010)، رسالة ماجستير بعنوان **تقويم منهاج الجغرافيا في المرحلة الأساسية العليا في ضوء بعض الاتجاهات العالمية**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة

موقع الانترنت:

(http://www.cg.gov.ma/details.60.1595.

المراجع باللغة باللغات الأجنبيةّ:

• Book

Benbachir (S) ,(1993) :Régionalisation et décentralisation au Maroc .Impremerie Royale .Casablanca

BERGER Gaston. « L'attitude prospective » Prospective, n°1, 1958 ; Phénoménologie du temps et prospective. Paris : PUF (Presses universitaires de France)

Bernadette Mérenne-Schoumaker, (1996) , La géographie au service du développement local. Volume 40, numéro 111.

Deffontaines J.-P., Marcelpoil E., Moquay P., (2001). Le développement territorial : une diversité d'interprétations. In Représentations spatiales et développement territorial, Lardon S., Maurel P., Piveteau V. (dir.), Editions Hermès, Paris, chap. 2

Deffontaines J.-P., Marcelpoil E., Moquay P.,(2001). Le développement territorial : une diversité d'interprétations. In Représentations spatiales et développement territorial, Lardon S., Maurel P., Piveteau V. (dir.), Editions Hermès, Paris, chap. 2

Lipietz A., (1995). De la régulation des espaces aux espaces de régulation, in Boyer&Saillard, L'état de la théorie de la régulation, Ed. la découverte, paris.

Maryvonne Le Berre,(1995)« Territoires » in Antoine Bailly, Robert Ferras, Denise Pumain (dir.), Encyclopédie de géographie, Economica, (2e éd.). Voir notamment encadré p. 603 : des définitions du territoire dans les dictionnaires de géographie.

Article:

Anne-Cécile Douillet,(2015), Emmanuel Négrier, Alain Faure. Trois regards sur les politiques publiques vues du local. Laurie Boussaguet, Sophie Jacquot, Pauline Ravinet. Une ”French touch” dans l’analyse des politiques publiques?, Presses de Sciences Po).pp319-348

Hadjou Lamara,(2009),Les deux piliers de la construction territoriale: coordination des acteurs et ressources territoriales, Développement durable et territoires . p20

J.-P.Gilly et J.Perrat, (septembre 2002), « Développement local et coopération décentralisée. Entre gouvernance locale et régulation globale ».Colloque Economie Méditérranée Monde Arabe,pp 20-30

LARES.(2001),La problématique de l’intercommunalité dans le fonctionnement des communes béninoises, p35

NACIRl (Mohamed). (1988), Le Thrritoire contre la région: maillage territorial et pouvoir central. - Le Grand Maghreb. Données socio-politiques et facteurs d'intégration des Etats du Maghreb. - LECA (Jean), préf. - Paris : Economica, pp220-236 .

Offner Jean-Marc, Alain Bourdin, (2001), La question locale . In: Politiques et management public, vol. 19, n° 2, pp 148-150

Pierre Ginet , (2012) ,Le territoire un concept opératoire pour la Géographie appliquée (à l’aménagement). Documentaliste - Sciences de l’Information, pp.26-27

التربية كمدخل للمحافظة على التراث المائي، الخطارات بواحة الجرف أنموذجا

Education as a gateway to the preservation of water heritage

الحسين بلخيري (طالب باحث)،عبد العزيز فعراس (أستاذ باحث)
كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس بالرباط

تعتبر واحة الجرف من المجالات الهشة وشبه الجافة، بحيث تشكل الظروف الطبيعية الصعبة الطابع المهيمن بها، ورغم ذلك فقد استطاع الإنسان الواحي أن يتكيف معها، وذلك من خلال ابتكاره للخطارات لتدبير الموارد المائية، وقد اكتست هذه التقنية أهمية بالغة لكونها اتخذت أبعاد متنوعة، فمنها الجانب التاريخي والاجتماعي والاقتصادي، وذلك بتدبير محكم يسهر عليه مجلس القبيلة بمعية شيوخ الخطارات والمزارك، إلا أن مع توالي سنوات الجفاف وتزايد حدة الفيضانات أدت إلى ازدياد قساوة الظروف الطبيعية، كما ظهرت بعض التدخلات البشرية السلبية لمياه الخطارات كالضخ الآلي والتلوث، وقد كان لكل هذا بالغ الأثر على التراث المائي، حيث تعرضت العديد من الخطارات بواحة الجرف إلى الجفاف، وضعف صبيب النشيطة منها، كما عرفت الممارسات والتقاليد المدبرة لإدارتها تراجعا كبيرا مما أصبح يهدد أهم تراث بالواحة بالزوال.

وأمام هذه الأزمة التي يشهدها نظام الخطارات بواحة الجرف، فإنه لابد من اعتماد خطة تروم رفع درجة الوعي للساكنة الواحية، ولأجل ذلك ارتأينا نهج المقاربات التي جاءت بها منظمة اليونسكو حول التربية على الماء، واعتمادها في الحفاظ على التراث المائي بواحة الجرف، والمتمثل أساسا في الخطارات، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات ومميزات هذه الواحة، وقد همت هذه المقاربات عدة جوانب ومجالات، كالمقاربة التاريخية والجغرافية، ثم العلمية والمقاربة القائمة على حقوق الإنسان، بالإضافة إلى المقاربة القائمة على القيم، والمقاربة المرتبطة بالتنمية المستدامة.

ولنجاح هذا المدخل التربوي الذي يهدف إلى الحفاظ على التراث المائي بالواحي لابد أن يدمج في إطار دليل يهم الخطارات ومحاولة تنزيله من قبل مختلف الفاعلين والمتدخلين لأنه مدخل هام وأساسي يضم الجانب المعرفي والمهاري والقيمي فبالتالي سيسهم لا محالة في رفع درجة الوعي المائي للساكنة الواحية.

الكلمات المفاتيح: التربية، التراث المائي، الخطارات، الواحة.

Al-Jorf Oasis Is considered one of the fragile and semi-arid areas, so that the difficult Natural conditions constitue its dominant nature, and despite this, the human being was able to adapt to it, through his innovation of the khettara to manage water resources, and this technique acquired great importance because it took various dimensions, including the historical aspect Social and economic, through an elaborate arrangement that the tribal council oversees with the sheikhs of the khettara and the Mzarig, but with the successive years of droughts and the increase in the severity of the floods, the harshness of the natural conditions has increased, as have some negative human interventions to the water of the khatarats , such as automatic pumping and pollution, and this has had a great impact on Water heritage, many of the khettara of the Al-Jarf Oasis have been subjected to drought, and the weak efficacy of the active ones, and the practices and traditions to manage them have witnessed a significant decline, which has become a threat to the most important heritage of the oasis.

In the face of this crisis witnessed by the system of khettara in Al-Jarf Oasis, it is necessary to adopt a plan that aims at raising awareness of the inhabitants of the oasis, and for this reason we decided to adapt the approach by UNESCO on water éducation, and its adoption in preserving the water heritage in the Al-Jarf Oasis, which is mainly represented in the khettara Taking into consideration the peculiarities and characteristics of this oasis, these approaches have affected several aspects and areas, such as the historical and geographical approach, then the scientific and human rights-based approach, in addition to the value-based approach and the approach linked to sustainable development.

As for the success of this educational entrance, which aims at preserving the water heritage in the suburbs, it must be incorporated into a framework of a guide that concerns the khettara and try to apply it by the various actors and interveners because it is an important and essential entrance that includes the knowledge and skill side.

The value, therefore, will inevitably contribute to raising the degree of water awareness of the oasis.

Keywords: éducation, water heritage, khettara, Oasis.

تقديم

يعتبر الماء عنصرا أساسيا لجميع الكائنات الحية ولجميع مناحي الحياة، ولذلك عمد الإنسان غلى استغلاله بمختلف الوسائل والآليات، وتكتسي الموارد المائية طابعا خاصا بالمناطق الجافة وشبه الجافة كالواحات، حيث يسود الجفاف وشح الأمطار، وهذا ما جعل الإنسان الواحي يتكيف مع مختلف الظروف الطبيعية القاسية فابتكر نظام مائي يتماشى وخصوصيات الواحة، وقد اتخذ هذا النظام أسماء متعددة، ففي سلطة عمان يسمى بالأفلاج، والبامبو باليابان، أما في الجزائر فيسمى بالفجارات، ثم اتخذ اسم الخطارات بالمغرب، حيث عرفته مجموعة من واحاته كواحة الجرف، والتي تعد جزءا من واحة تافيلالت الكبرى.

وللخطارات أهمية تاريخية لكونها تقنية ضاربة في القدم، ثم أهمية اقتصادية لاعتبارها مورد رئيسي لمختلف المزروعات بالواحة، كما أن لها أهمية اجتماعية عن طريق وجود بعض القيم كالتضامن والتكافل، بالإضافة إلى الأهمية السياحية، فالخطارات تحتضن تراثا ماديا يتجلى في هندستها واشكالها العريقة، ثم تراث لا مادي، والمتمثل في الممارسات والتدابير التقليدية في تدبير مياه الخطارات.

وقد شهدت الخطارات بواحة الجرف خلال الآونة الأخيرة مجموعة من المشاكل الطبيعية والبشرية، والتي أدت إلى جفاف العديد منها، وأمام هذا الوضع فإننا أهم تراث بالواحة أصبح مهددا بالزوال، وهذا ما يتطلب إصلاحا شاملا وتدخلا عاجلا من أجل الحفاظ عليه واستدامته، وهذا الإصلاح نرى أنه يجب أن يبدأ بالتركيز على البعد التربوي كمدخل أساسي في عملية الإصلاح، لأنه يستهدف مسألة الوعي، والذي يعد مهما وأساسيا في الحقاظ على الخطارات، وبهذا فإننا نتساءل عن الدور الذي يمكن أن تقدمه التربية من أجل الحفاظ على الخطارات كتراث مائي عريق بواحة الجرف؟

1- تحديد المفاهيم الإجرائية

التربية:

تفيد التربية حسب معجم روبير كل ما يخص الرعاية والتعليم[344]، أما في الاصطلاح فهي العلم الذي يتناول سيرورة التربية والتكوين والتعلم والتنشئة بمناهج علمية لفهمها وتفسيرها والتنبؤ بها قصد تطوير الفعل

[344] Le robert, dictionnaire des combinaisons de mots, paris, 2007, p 298.

التربوي سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، وسواء تعلق الأمر بالأفراد أو المؤسسات[345]، وفي هذه الدراسة فإن المقصود بالتربية هو التربية المائية الهادفة إلى إنماء الوعي المائي وتنمية المهارات والاتجاهات والسلوكيات السليمة لدى الساكنة الواحية، انطلاقاً من إمكانية إعداد الفرد المتفهم لموارده المائية، والمدرك لظروفها، والواعي بما يواجهها من مشكلات وما يتهددها من أخطار، والقادر على المساهمة الايجابية في التغلب على هذه المشكلات والحد من تلك الأخطار، ولكون الواحة بدون موارد مائية تساوي العدم.

التراث المائي

تشير المعاجم القديمة في اللغة العربية أن كلمة تراث مرادفة للإرث والورث والميراث، وهي مصادر تدل على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حسب، وقد استعملت كلمة héritage بالفرنسية في معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما، أما اصطلاحا فالتراث هو الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني[346].

أما التراث المائي والذي يعد نوعا من أنواع التراث، فهو حسب منظمة اليونسكو فهو يضم مشاهد طبيعية وثقافية ذات قيمة عالمية استثنائية مرتبطة باستثمار واستخدام المجتمعات البشرية للماء حاضرا وماضيا[347] ، والتراث المائي في هذا المقال يهم تقنية الخطارات، خاصة في الجانب المتعلق بالممارسات التقليدية والفريدة في تدبير الماء بها.

الخطارات:

من خطر يخطر أي تدبدب، وهي عبارة عن قنوات تحت أرضية قد يصل طول الواحدة منها إلى ثمانية كيلومترات أو أكثر، وذلك حسب منبع الخطارة وحسب قرب أو بعد الفرشة المائية، وتتصف القناة بعلو يتراوح ما بين مترين و 20 مترا، ويختلف هذا العمق من منطقة إلى أخرى بحسب عمق الفرشة المائية، كما يعرف تناقصا كلما انتقلنا من العالية في اتجاه السافلة[348]، وتسمى أيضا بالقناة، والفجارة، وهي تقنية

345 عبد الجليل أميم، مدخل إلى البيداغوجيا أو علوم التربية رؤية تربوية مغايرة، في التأسيس لبيداغوجيا السياقات المغربية المركبة، الجزء الأول، سلسلة نحو مغرب عامل، ص 3 .

346 محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1991، ص 21، 22، 23.

347 منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونسكو)، التراث الثقافي للماء في الشرق الأوسط والمغرب العربي، 2019، ص 08.

348 عبد العزيز العربي وعلي فالح، نظام الخطارات تراث مائي غني يواجه إشكالية ندرة المياه وتحدي التغير المناخي، واحات المعيدر أنموذجا، منشورات مجلة التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب، 2017، ص 29.

تقوم على تصريف، عبر قنوات باطنية، مياه مدفونة في الأرض إلى أن تخرج إلى السطح عن طريق الجاذبية[349]، كما تعرف بكونها نظام تقليدي قديم للسقي عرفه الإنسان منذ عدة قرون في المناطق شبه الصحراوية وشبه الصحراوية، وتقوم تقنية الخطارة على استغلال مياه الفرشة الباطنية عن طريق نقل المياه عبر قناة باطنية من العالية نحو السافلة مستغلة الانحدار الطبوغرافي للمنطقة، وتعمل القناة الباطنية على الحد من ظاهرة التبخر وتراكم الرمال في القنوات بفعل الزوابع الرملية[350].

الواحة:

يعرف بيار جورج PIERRE GEORGE في معجم المصطلحات الجغرافية الواحة على أنها جزر صغيرة للحياة والزراعة في الصحراء مرتبطة بوجود المياه، ويكون الري الشرط المطلق لقيام كل زراعة منتظمة أو كل حياة قائمة، وإن القرية المجمعة للواحات تحمل اسم قصر في المناطق القاحلة من إفريقيا الشمالية والصحراء الكبرى[351].

ويعرفها بنشريفة على أنها ذلك المجال المنتشر على بعض المئات من الهكتارات، وتنتشر بها حضارة مائية بمكوناتها التقنية، كأشكال تعبئة المياه وتوزيعها ونظامها الاقتصادي المعتمد على تكامل الزراعة وتربية الماشية، وكذا بنظامها الاجتماعي المتمثل في حقوق المياه، وكذا التوازي بين المورفولوجيا الاجتماعية وأشكال توزيع المياه، ثم العلاقة بين قوانين المياه والتراتب الاجتماعي والهوية الفردية والجماعية[352].

كما تعرف الواحة على أنها مكانا للراحة والاسترخاء في وسط الصحراء، أرض خصبة يحاط بها ماء عذب متدفق من العيون والآبار، وتكثر به أشجار النخيل، وتتميز بالعزلة نتيجة وجود الصحراء والجبال

---

349 ليلى مزوز، صباح بوصفيح، محمد بابا خويا، الموارد المائية بواحات تافيلالت بالمغرب بين إكراهات الندرة وإشكالية التدبير، دراسة حالة واحة الجرف، مقال بمجلة العلوم الاجتماعية، العدد الخامس، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ألمانيا، 2018، ص 296.

350 ميلود وشالة، التدبير التقليدي للموارد المائية بواحات الجنوب المغربي: حالة واحة تافيلالت، مقال بمجلة international journal of environment, water, ISSN 2052-3408، 2018، ص 18

351 بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2002، ص 891.

352 امحمد مهدان، الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن الزهر أكادير، 2012، ص 12.

المحيطة[353]، وتعتبر واحة الجرف الواقعة بسهل تافيلالت مجالا لهذه الدراسة، والتي تضم الجماعات الترابية الجرف وفزنا وحنابو.

2- الخصائص الطبيعية والبشرية بواحة الجرف

2-1 الخصائص الطبيعية بواحة الجرف

2-1-1 موقع وتضاريس واحة الجرف

تقع واحة الجرف بين خطي عرض ′25 °31 و′36 °31 شمال خط الاستواء، وخطي طول ′18 °4 و′30 °4 غرب خط غرينتش، ومن الناحية الجغرافية، فالمنطقة تقع ضمن سهل تافيلالت، في الجنوب الشرقي للأطلس الكبير.(الخريطة).

خريطة (1) طبيعية لواحة الجرف

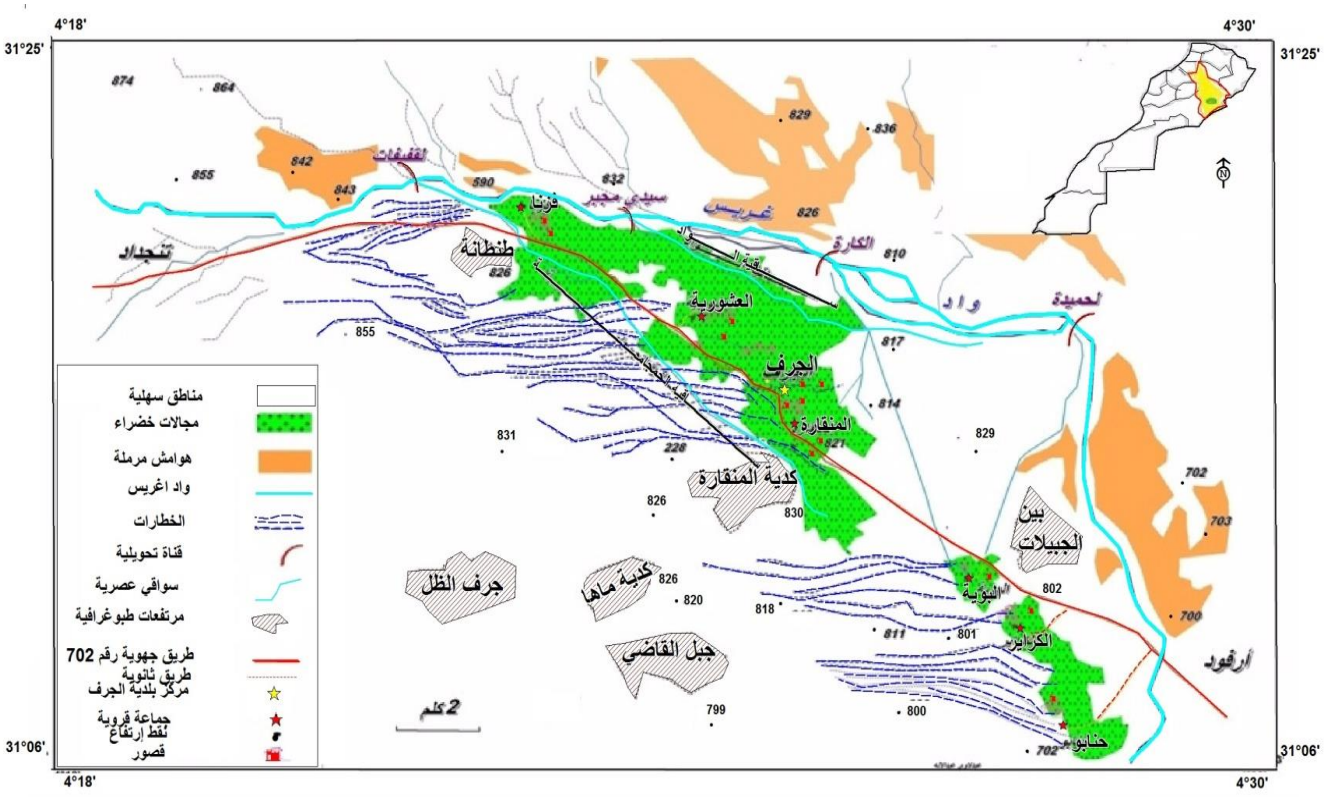

الخرائط الطبوغرافية 1/100000 لأرفود الراشيدية، جماعة امصيصي (بتصرف)

[353] علية حسن حسين، التراث الثقافي والتماسك الاجتماعي في الواحات المصرية، مقال بمجلة الفنون الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، العددان 92 و 93 دجنبر 2012 – شتنبر 2013، ص 10.

يتضح من خلال هذه الخريطة الطبوغرافية لواحة الجرف أنها عبارة عن منخفض رسوبي بالضفة اليمنى لواد غريس ويمكننا التميز في قراءتنا لها بين:

التضاريس الجبلية: تتمثل في بعض الالتواءات الصخرية أهمها طنطنة بفزنا على ارتفاع 926 متر ، وكدية المنقارة 880 متر، ثم أعلى ارتفاع يوجد بالمنطقة يتمثل في جبل الظل 1035 متر.

التضاريس السهلية: تعتبر الوحدة التضاريسية السائدة بالمنطقة مجال الدراسة، على ارتفاع يتراوح 800 متر عن سطح البحر ، تتوزع فيها بشكل متباين بعض الالتواءات الصخرية التي يتراوح 820 متر بالكارة إلى 900 متر بكدية المنقارة.

انحدار يتناقص تدريجيا من الشمال الغربي 874 متر إلى 700 متر بالجنوب الشرقي.

وبهذا فإن وجود التضاريس السهلية والجبلية ساهم في وجود انحدار ملائم لقيام الخطارات بواحة الجرف، لكون الانحدار عنصر أساسي في وجود الخطارة واستمراريتها.

2-1-2 مناخ واحة الجرف

تخضع المنطقة لمناخ قاري شبه جاف، هذا المناخ يتميز بتعاقب فصلين أساسيين، فصل شتاء ذي طقس قارس ورطوبة ضئيلة ورياح باردة وجافة، ثم فصل صيف يتميز بحرارة جد مرتفعة مصحوبة في غالب الأحيان بهبوب رياح حارة وجافة (الشركي)، وذلك أن درجات الحرارة تعرف ارتفاعات مهولة خلال فصل الصيف قد تصل إلى ما يفوق 45 درجة، في حين تنخفض إلى ما دون الصفر خلال الفصل البارد، ويتم تسجيل كمية ضعيفة من الأمطار، والتي تكون في الغالب غير منتظمة ومتذبذبة سواء من سنة لأخرى أو داخل السنة نفسها، مما يطرح إشكالا حقيقيا من حيث ندرة المياه[354].

وأمام هذه الظروف المناخية القاسية، فقد استطاع الإنسان الواحي التكيف معها، وذلك بابتكار الخطارات كوسيلة ناجعة في تدبير الموارد المائية الضعيفة، ولذلك فإن الحفاظ على استدامتها من بين الأولويات للساكنة الواحية.

[354] الجماعة الترابية الجرف، برنامج عمل الجماعة 2016 – 2021، ص 8.

2-1-3 الموارد المائية بواحة الجرف

خريطة (2): المجال المسقي بواحة الجرف

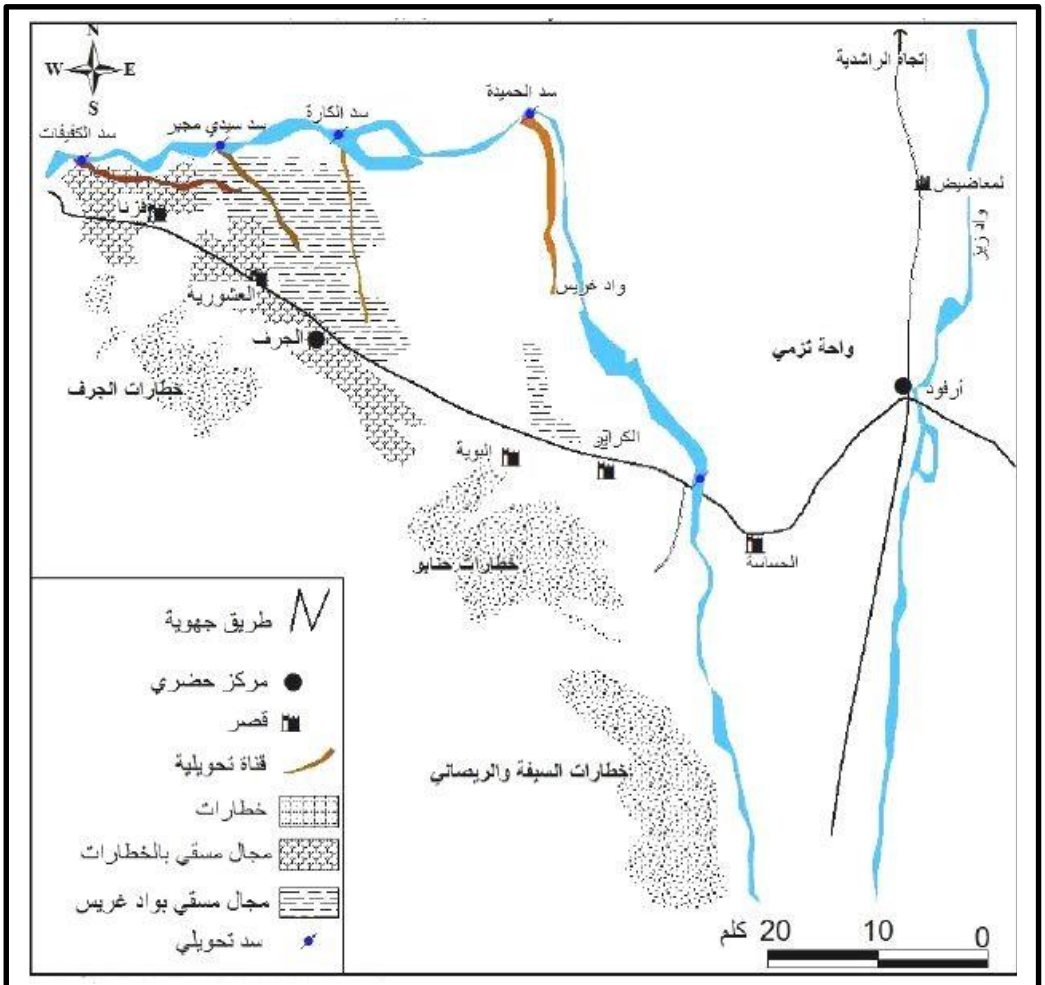

المصدر: مركز الاستثمار الفلاحي بالجرف

تتوفر واحة الجرف على شبكة مائية مهمة، فأبرز الأودية هناك واد غريس وواد البطحاء، وتشكل المياه الباطنية نسبة % 50، بالإضافة إلى احتواءها على مجموعة من الخطارات والتي تشكل العمود الفقري للمنطقة، لكن معظمها جافة[355].

[355] منوغرافية الجماعة الحضرية للجرف 2015.

صورة (1) بعض خطارات واحة الجرف

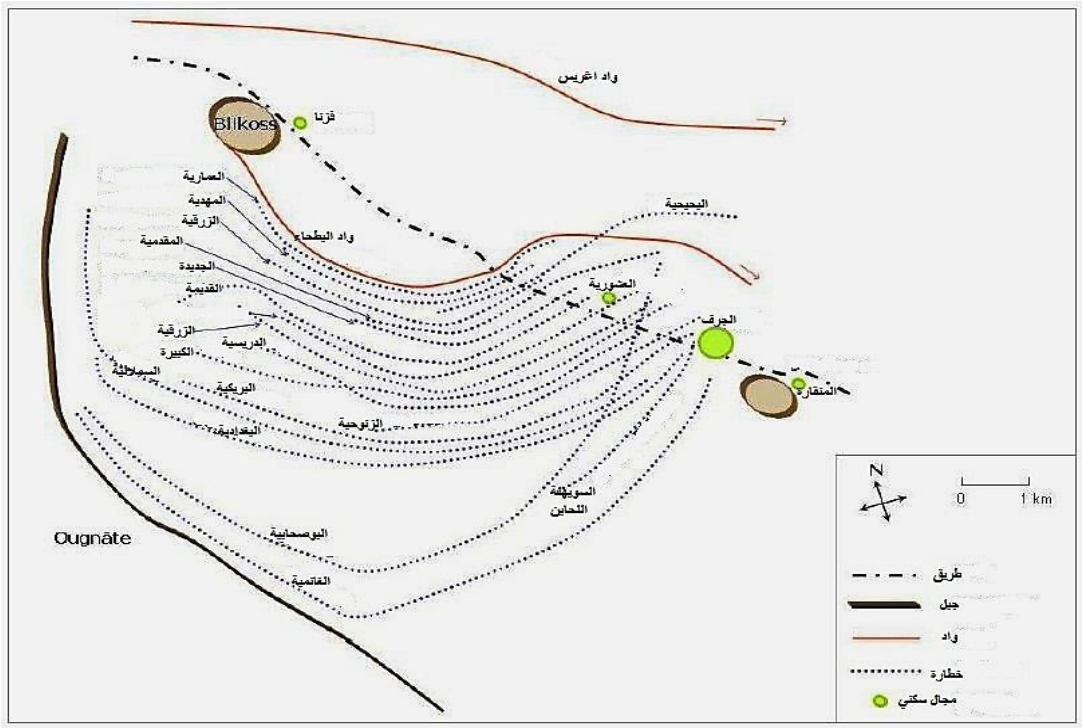

ولكي تستفيد المنطقة من مياه واد غريس أنشأت الدولة سدودا تحويلية كسد سيدي مجبر وسد الكفيفات ثم سد الكارا، وتهدف هذه السدود إلى تنمية المجال الفلاحي والوقاية من الفيضانات.

الصورة 2:السد التحويلي لكفيفات **الصورة 3 :السد التحويلي سيدي مجبر**



المصدر: تصوير شخصي 2014

وقد ساهمت هذه السدود التحويلية في حماية الخطارات من خطر مجموعة من الفياضانات، كما أسهمت في تغذية فرشتها الباطنية، وبذلك لعبت دورا فعالا في استدامة التراث المائي بواحة الجرف.

2- 2 المعطيات البشرية

2-2-1 تطورساكنة واحة الجرف

بلغت ساكنة واحة الجرف خلال سنة 2004 حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى حوالي 21.159 نسمة، وخلال 2014 وصلت إلى 21.146 نسمة .

مبيان: تطور ساكنة واحة الجرف بين سنتي 2004 و 2014:الجرف،عرب الصباح غريس، فزنا

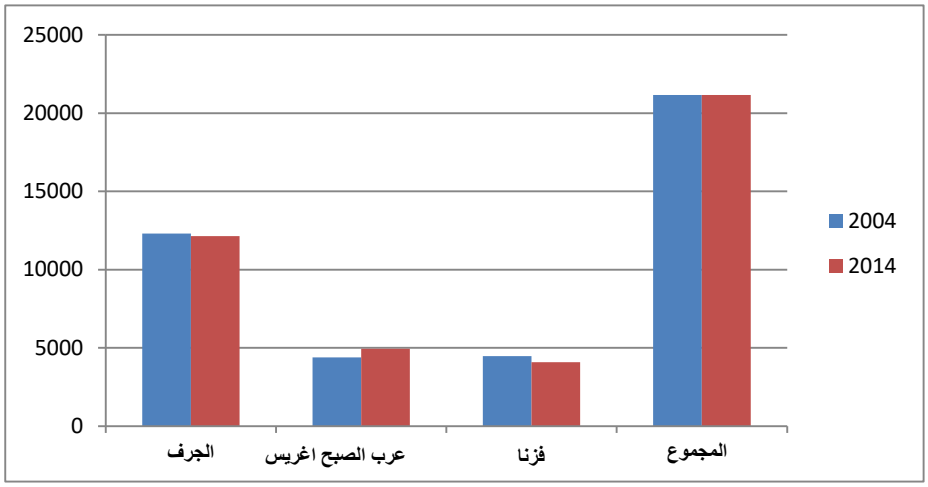

المصدر : - منوغرافية الجماعة الحضرية للجرف- المندوبية السامية للتخطيط بالرشيدية 2015 (بتصرف)

يظهر من خلال الجدول أعلاه أن مجموع ساكنة جماعات الجرف لسنة 2014 قد تراجع بالمقارنة مع سنة 2004، وكل هذا يعود بشكل أساس إلى عامل الهجرة بحيث أنه داخل كل منزل تجد فردين على الأقل مهاجرين، وهذه الظاهرة تدل على أن جماعات الجرف عبارة عن منطقة نفور وليس منطقة جذب، وهذا يعود إلى إكراهات طبيعية واقتصادية وجب التغلب عليها وذلك بخلق تنمية محلية فعالة خاصة مع وجود هيمنة لفئة الشباب على مجموع الساكنة الواحية، وهذا ما يبينه الجدول أسفله:

جدول: الفئات العمرية لواحة الجرف (%)

الجماعة	الفئات العمرية															
	0-4	9-5	14-10	19-15	24-20	29-25	34-30	39-35	44-40	49-45	54-50	59-55	64-60	69-65	70-75	75 فأكثر
الجرف	11,3	9,2	9,7	9,6	9,4	8,3	7,4	6,3	5,8	5	5,3	3,5	3,1	1,6	1,9	2,6
فزنا	12,2	10,6	11	8,7	8,8	8,1	7,1	6,4	5,6	4,3	4,3	3,6	3	1,7	1,9	2,7
حنابو	15,6	10	9,9	9,2	9,3	7,7	7,1	5,8	4,1	4,5	4,6	3,1	3	1,9	1,8	2,5

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط بالرشيدية 2015 (بتصرف)

إن هيمنة فئة الشباب على باقي الفئات العمرية يطرح مجموعة من التحديات المرتبطة بالتراث المائي، فبالنظر إلى الهجرة الكبيرة لهذه الفئة وضعف نسبة فئة الشيوخ، فإن تثمين الخطارات والمحافظة على التقاليد والممارسات المرتبطة بها ستكون مهددة بالزوال، على اعتبار أن الشباب يعتبر خير خلف وحامل لمشعل التنمية لهذا التراث.

2-2-2 المعطيات الاقتصادية لواحة الجرف

تعتبر الفلاحة أهم نشاط اقتصادي بواحة الجرف، ومن بين أهم المزروعات زراعة الحبوب والفصة والخضر، بالإضافة إلى النخيل والزيتون، وأغلب هذه المنتوجات الزراعية معاشية باستثناء التمور الذي يوجه غلى التسويق، وتعتبر تربية الماشية النشاط الثاني بعد الزراعة، حيث يكتسي هذا النشاط أهمية كبرى في مدخول الأسرة من حيث الإيرادات التي تحقق جراء بيع المواشي، أما بالنسبة للمجال الصناعي فهو ضعيف إلى شبه منعدم، وبخصوص القطاع السياحة فواحة الجرف تتوفر على مؤهلات سياحية هامة تتمثل في الطابع الواحاتي الذي تتميز به منطقة تافيلالت ككل. وتستقطب هذه المؤهلات سياحا من داخل المغرب وخارجه، إلا أنه نظرا لافتقار الجماعة لبنى الاستقبال السياحية يجعل المنطقة محطة عبور فقط تجاه أرفود وتنغير ثم ورزازات، لأن الجرف يعرف غياب تام للوحدات الفندقية والمطعمية مما يتطلب التفكير في تشجيع السياحة والمحافظة على البيئة، وتنمية الموارد المحلية، وتهيئة مدارات سياحية. كما تتواجد بالجماعة بعض المآثر التاريخية منها القصور، بالإضافة إلى التراث العريق للخطارات، وللجماعة موروث ثقافي غني يختزل ذاكرة الساكنة ويحافظ على الطابع التقليدي لها لاسيما في الفلكلور الشعبي أو ما يسمى بالبلدي[356].

وانطلاقا من هذه المعطيات الاقتصادية، يتضح أن النشاط الاقتصادي بواحة الجرف ضعيف جدا، ومن هنا تكمن ضرورة الاهتمام بالخطارات من أجل إنعاش القطاع الفلاحي والتجاري، بل وحتى السياحي من خلال رد الاعتبار لهذا التراث المائي.

[356] الجماعة الترابية الجرف، برنامج عمل الجماعة 2016 – 2021، ص 16، 17، 18، 20.

3 الخطارات بواحة الجرف كتراث مائي بين أعراف عريقة وإكراهات الاستدامة

3-1 التدبير التقليدي للخطارات تراث لا مادي بواحة الجرف

تخضع الخطارات لقوانين عرفية، بحيث ان لكل خطارة رئيسها، و يسمى بالشيخ، والذي يحتل قمة هرم غدارة الخطارة، ويتم تعيينه إلى أجل غير مسمى، ولك يحق للساكنة أن تحرمه من مهامه إذا اتضح أنه لا يفي بوظفيته الرئيسية لضمان استمرارية الخطارة، ويتم تعيين شيخ الخطارة وفقا لشروط مضبوطة كأن يكون ناضجا وذو خبرة ، وتوفره على ساعات من الماء، وأن يحظى باحترام وثقة الساكنة، ومقيما بالقرب من الخطارة[357]، ويقوم شيخ الخطارة بأدوار أساسية، ومن أبرزها اتخاذ جميع القرارات اللازمة للحفاظ على صبيب الخطارة، كما يسهر على تدبير ميزانيتها، ويتدخل في التحكيم للنزاعات التي تكون بين أصحاب الحقوق[358]، ويساعد شيخ الخطارة في مهامه مجموعة من المساعدين والذين يسمون محليا بالمزارك [359].

ويتوزع الماء بالخطارات عبر دورة كاملة تحدد حسب كل خطارة على حدة، فمثلا بعض الخطارات تصل مدة دورتها إلى 14 يوما، وأخرى إلى 20 يوما وهكذا، وداخل هذه المدة الزمنية يتم توزيع الماء بشكل دقيق ومضبوط حسب حصة كل فرد من ذوي الحقوق، بحيث يتم تقسيم الماء إلى نوبة، وهي أكبر حصة مائية ، والتي تصل إلى 12 ساعة، كما تنقسم النوبة بدورها إلى النصف والربع ثم الثمن[360] .

صورة (4): التركيب المورفولوجي للخطارة

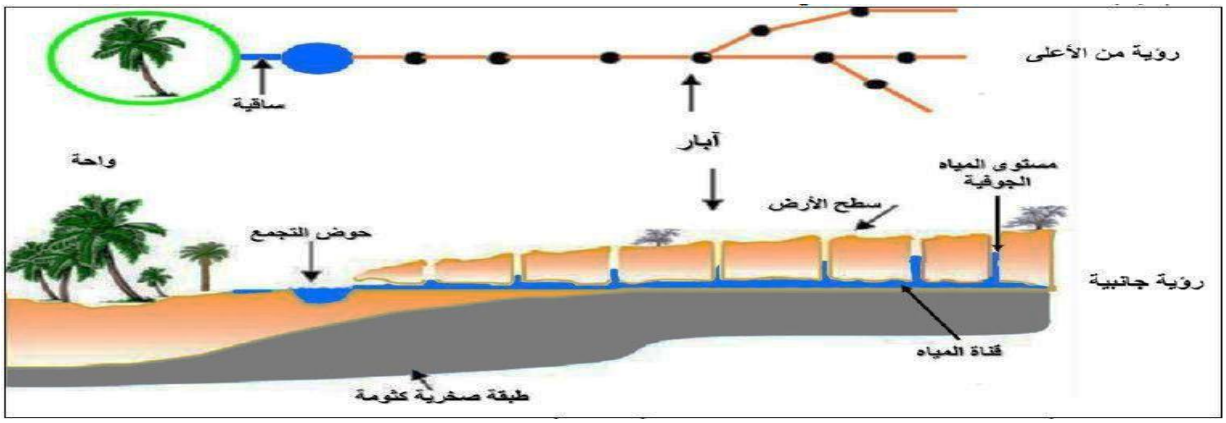

المصدر: ميلود وشالة، التدبير التقليدي للموارد المائية بواحات الجنوب المغربي: حالة واحة تافيلالت، منشورات مجلة international journal of environment, water, ISSN 2052-3408، 2018.

option gestion sociale de l'eau, programme de lutte contre la désertification et lutte contre la pauvreté par la sauvegarde et la valorisation des oasis, composante Tafilalet, association de lutte contre la desertification et pour l'environnement, 2007, p 81.

[359] Sanae bouhamid, Ibid, p 41.

[360] Spoerry Sylvie, Ibid, p 89.

وانطلاقا من الشكل أعلاه فإن الخطارة تتكون من ثلاثة أقسام رئيسية:

- منطقة التزويد: ويصطلح عليها محليا برأس الخطارة، وهي الآبار الأولى الأكثر عمقا، والتي تضم العيون المغذية للخطارة.

- مجرى المياه: وهي القنوات أو السرداب الذي يجري فيه الماء من رأس الخطارة في اتجاه السافلة، وهذا الجزء مقسم إلى مسافات محددة تسمى محليا القنطرة، وهي مسافة فاصلة بين بئرين متواليين، ولا يتعدى طولها في الغالب 40 متر.

- مجاري التوزيع: هي القنوات الصغيرة والمصارف السطحية، التي تتوزع مياه الخطارة بعد خروجها من القنوات الباطنية نحو الحقول والمزارع، ثم شق هذه القنوات الباطنية من طرف الأهالي المعنيين بري الحقول والمزارع، ثم شق هذه القنوات الباطنية من طرف الأهالي المعنيين بري الحقول بعد إنجاز الخطارة وبأدوات حفر بسيطة.

كما تعرف الخطارات بواحة الجرف أعمال صيانة مستمرة من أجل الحفاظ على صبيبها بانتظام، ويساهم كل المنتسبين إلى الخطارة في مختلف أعمال الصيانة عن طريق العمل مباشرة أو عن طريق دفع الأجر حسب حصته من الماء[361].

صورة (5): أعمال الصيانة للخطارات



Source : Spoerry Sylvie, 2007.

[361] Sanae bouhamid, Ibid, p 41.

وبهذا فقد شكل التدبير التقليدي للخطارات تراث مائي لا مادي، اكتسى أهمية وقيمة كبيرة، نظرا لبعده التاريخي، ولاحتضانه ممارسات وتقاليد تبرز مسألة التكيف مع مختلف الظروف الطبيعية القاسية، خاصة بالأوساط الهاشة والجافة كالواحات.

2-3 المشاكل التي تعيق استدامة الخطارات كتراث مائي

تواجه الخطارات بواحة الجرف عدة إكراهات تحول دون استدامة العديد منها، ومن أبرز هذه الإكراهات بروز محطات الضخ الآلي وتكاثرها على حساب الخطارات، وما سببته من تجفيف عدة خطارات كتلك المتواجدة بقصري اللحاين وأولاد غانم[362]، وترجع أولى محطات الضخ الآلي بواحة الجرف إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي، حيث قامت سلطات الحماية الفرنسية سنة 1952 بإنشاء أول محطة عمومية بمنطقة فزنا، وانتشرت بوتيرة سريعة مع بداية الثمانينات من القرن الماضي، لكنها خلفت نتائج وخيمة على خاصة على نظام الخطارات، كتراجع دور القبيلة، وتراجع العرف الذي يعتبر الماء بهذه المجالات ملكا جماعيا، بالإضافة إلى المنافسة القوية حول الماء، وتزايد الضغط على الفرشة الباطنية، وبهذا فإن صبيب الخطارات بواحة الجرف عرف تذبذبا وتراجعا واضحا وعدم استقرار، مما أثر بشكل مباشر على مساحة الأراضي الزراعية، وبالتالي على المردودية الاقتصادية للفلاحة المسقية، ذلك أن 43 % من مساحة الواحة لم تعد مزروعة، و 8 % تعاني من التملح، و 2 % غزاها العمران، كما غزت الرمال 12 % من الأراضي، ورغم ان الوكالة اليابانية للتعاون الدولي قامت بتنسيق مع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت، بإعادة ترميم مجموعة من الخطارات بواحة الجرف في إطار تمويلها لبعض المشاريع الصغرى المحلية بالمغرب خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 2003 و 2005، فإن الخطارات تواجه عدة صعوبات تعيق دورها في تأدية وظائفها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وذلك بفعل تداخل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي تهدد بزوال هذا التراث العالمي[363].

تتسم شبكة السقي بالتدهور مما يسهم في ضياع كميات كبيرة من المياه، بحيث تتعرض مياه الخطارات منذ خروجها إلى السطح بمحاذاة القصر لكثير من الضياع على مستويات مختلفة وفي ظروف متنوعة، فمعظم قنوات التوزيع مكشوفة، مما يجعل المياه تتعرض للتبخر تحت تأثير درجة الحرارة المرتفعة خصوصا في فصلي الربيع والصيف364، ينضاف إلى هذا وجود بعض المزروعات التي تساهلك كميات كبيرة من الماء كالفصة التي تستهلك 20 ألف م3 للهكتار الواحد، أي أربعة أضعاف ما يستهلكه هكتار واحد من الدلاح365.

---

362 Spoerry Sylvie, Ibid, p 109 .

363 ليلى مزوز، صباح بوصفيح، محمد بابا خويا، مرجع سابق، ص 297، 298، 299.

364 ليلى مزوز، صباح بوصفيح، محمد بابا خويا، ص 301.

365 ليلى مزوز، صباح بوصفيح، محمد بابا خويا، ص 302.

تتعرض مياه الخطارات للتلوث، بحيث لهذه المياه استعمالات متعددة، ومن ضمنها غسيل الملابس، فهذه العملية تقام بمجرى الخطارات وتحمل مواد كيميائية والتي تشكل خطرا على المياه، فبالتالي تؤثر على المحاصيل الزراعية وعلى أشجار النخيل، بالإضافة إلى ضعف معالجة مياه الصرف الصحي، ومعظم المنازل غير مجهزة بخزانات الصرف الصحي، فبالتالي تسرب مياه الصرف الصحي المنزلية مباشرة إلى التربة، والتي يمكن أن تلوث المياه الجوفية[366]

صورة (6): لعملية غسيل الملابس بالخطارات



Source : Spoerry Sylvie, 2007

إن تظافر هذه المشاكل أثر بشكل وثيق على هذا الموروث الثقافي، وأصبحت الواحة تحت تهديد الاندثار، ولذلك فمن بين عمليات الإصلاح الاهتمام بالجانب التوعوي والعلمي للساكنة الواحية.

4- التربية كمدخل للحفاظ على الخطارات

[366] Spoerry Sylvie, Ibid, p 110, 111.

بالنظر إلى المشاكل التي تعرفها الخطارات بواحة الجرف، ولكون هذا المورد بمثابة شرايين الحياة للواحة، ولاعتباره يحتضن تراث مادي والمتمثل في المنشآت والأشكال الهندسية التي تتكون منها الخطارات، ثم تراث غير مادي من خلال الأعراف والممارسات العريقة في تدبير الماء، ونظرا لاحتضان هذا التراث أبعاد تاريخية واجتماعية وسياحية وكذا اقتصادية ، لأجل كل هذا ينبغي التركيز على رفع درجة الوعي بهذا التراث المائي للساكنة الواحية وخاصة الفاعلين والمتعلمين، ولهذا فإن التربية تعتبر كأساس وكمدخل لهذه العملية، وفي هذا الصدد فإننا نروم اعتماد الدراسات التي قامت بها اليونسكو في مجال التربية على الماء ومحاولة اعتمادها على الوسط الواحي معتمدين في ذلك على مختلف الخصوصيات التي تميز هذه الواحة، والتي تميز الخطارات بالمنطقة، ويمكن جعل هذه المقاربات دليلا مرجعيا للخطارات بالجرف يساعد مختلف الفاعلين في حماية التراث المائي بالواحة، ويساعدهم أيضا في الترافع عنه لجعله تراثا عالميا للإنسانية، وهذه الدراسات التربوية تعتمد على مجموعة من المقاربات، والتي حاولت الإحاطة بموضوع التربية على الماء بجميع الجوانب والتخصصات.

4-1 المقاربة التاريخية

يلاحظ أن هناك شبه غياب لتدوين التاريخ الخاص بواحة الجرف رغم اهميته ودوره في مجموعة من الأحداث التاريخية، ولأجل ذلك فقد آن الأوان لتدوينه، وخاصة منه التاريخ المتعلق بالخطارات، وبهذا فإن هذه المقاربة تنبني على البحث والتقصي في ماضي الخطارات ، بدءا بظهورها في العالم الإسلامي ووصولا إلى المغرب، ومن ثم إلى واحة الجرف، وستمكن هذه النظرة التاريخية من فهم الكيفية التي كانت تعالج بها المجتمعات السابقة المشاكل المرتبطة بالمياه سواء كانت طبيعية أو بشرية، والغرض من ذلك هو إيصالها للجيل الحالي والإسهام في حل بعض المشاكل المرتبطة بالماء حاليا، وكذا من أجل إدراك قيمة هذا الموروث الثقافي، وبهذا ستسهم معرفة التسلسل التاريخي للخطارات بواحة الجرف من فهم مجموعة من الظواهر المرتبطة بالتراث المائي، وتمكن من خلق حلول تحافظ على استدامة هذا التراث الضارب في القدم.

4-2 المقاربة الجغرافية

أنجز العديد من طلبة واحة الجرف ذوي التخصص الجغرافي والسوسيولوجي عدة بحوث حول المنطقة، ومنها بحوث متعلقة بالخطارات، كما اهتم بعض الباحثين الأجانب بهذا الجانب، وبذلك تنوعت البحوث التي تهم الموارد المائية بواحة الجرف في مختلف الأسلاك سواء إجازة أو ماستر أو دكتوراه، وكذا دبلوم الهندسة الزراعية، لكن الإشكال هو أن مختلف هذه البحوث لا يتم الاستفادة منها في تثمين واستدامة هذا الموروث الثقافي، مع العلم أنها تحتوي على معطيات ودراسات دقيقة ومهمة يمكن أن تعود بالنفع على التراث المائي بواحة الجرف، وبهذا فإن المقاربة الجغرافية للتراث المائي بواحة الجرف تروم الاعتماد على الخرائط الطبغرافية، والتي تبرز مجال توطين مختلف الخطارات بالجرف ومسارها، وكذا مجال توطين المضخات المائية، وذلك من أجل دراسة تأثير هذه المضخات على صبيب الخطارات وانعكاسات ذلك على مستقبل

الواحة، ثم تحليل هذه المعطيات ووضعها في قاعدة بيانات، ولأجل هذا يتم الاعتماد على بعض التطبيقات الجغرافية المساعدة كـ MAPINFO و ARC GIS.

4- 3 المقاربة العلمية

انطلاقا من معاينتنا لمجال واحة الجرف يتضح أن مجموعة من الخطارات تعاني من ارتفاع نسبة الملوحة، كما يواجه البعض منها عدة أشكال للتلوث، ومن هذا المنطلق فإن المقاربة العلمية للخطارات تعتمد على جمع وتحليل وتفسير مجموعة من البيانات، ولهذا لابد من القيام بتجارب حول مياه الخطارات، وذلك من أجل تقييم جودتها وقياس حموضتها وصبيبها، وكذا تصنيفها إلى خطارات مالحة وغير مالحة، ثم دراسة تأثير هذه الملوحة وتأثير التلوث على صحة الإنسان الواحي، وفي هذا الصدد فهناك ضرورة لإنشاء شراكات مع المختبرات خاصة تلك المتواجدة بمؤسسات التعليم العالي، وتشجيع طلبة المواد العلمية لهذا النوع من التجارب.

4-4 المقاربة القائمة على حقوق الإنسان

يعتبر الماء حق من حقوق الإنسان، كما أن هذا الحق له علاقة بحقوق أخرى ، كالحق في الحياة، وفي هذا الإطار فإن تعرض الخطارات للتلوث سيسبب أمراض، والتي يمكن أن تهدد حق الحياة، لذا فالوعي بهذه المسألة تجنب المياه مختلف اشكال التلوث، فبالتالي فإن دور الفاعلين كالمجتمع المدني والمدرسة مهم وأساسي في رفع درجة الوعي للساكنة الواحية للحفاظ على هذه الموارد المائية.

4- 5 المقاربة القائمة على القيم

توجد علاقة وطيدة بين القيم والخطارات بواحة الجرف، وذلك من خلال مجموعة من الاعراف والممارسات الفريدة في تدبير الماء بالخطارات، والتي افرزت مجموعة من القيم النبيلة، وعلى رأسها قيم التضامن والتكافل، المتجسدة مثلا عن طريق تدبير أعمال الصيانة للخطارات أو عند تعرضها لخطر كالفيضانات، وهذه العملية تتطلب دعم ومجهود كبيرين، لذا يقوم ذوي الحقوق وغيرهم بالانخراط الكامل في هذه العمليات من أجل الحفاظ على استمرارية الخطارة، فبالتالي الحفاظ على أهم تراث بالجرف، كما تتضمن طرق تدبير الماء قيمة العدل، والمتجلية أساسا في الكيفية التي توزع بها حصص الماء بين ذوي الحقوق.

إن هذه القيم النابعة من خلال إدارة تدبير الماء بالخطارات بواحة الجرف بمثابة ركيزة أساسية لاستمرارية المجتمع الواحي متماسكا بتقاليده العريقة، ولذلك فإن الحفاظ عليها واجب ومفروض على الجميع من خلال التعبئة الشاملة للتعريف بها وإيصالها لأكبر فئة خاصة منها الناشئة، لكون هذا التراث المائي موروثا ماديا ولا ماديا للإنسانية جمعاء.

4- 6 المقاربة القائمة على التنمية المستدامة

برزت خلال السنين الاخيرة عدة مظاهر التي تدل على تراجع المشهد الواحاتي بالجرف، والذي يعود إلى جفاف العديد من الخطارات، وتراجع وضعف صبيب الموجودة منها، بحيث تشكل الخطارات القلب النابض للواحة، وقد ساهم تراجعها في تقلص المشهد الواحي، من خلال تزايد مختلف أشكال التصحر، والتزايد المقلق للعمران على حساب الأراضي الزراعية، وإذا كانت استمرارية لهذا التطور فإنه ينذر بفناء الواحة، لذا فإن استدامة الواحة مرتبطة باستدامة الخطارات.

ويعتبر وضع هذه المقاربات في إطار دليل خاص بالخطارات سيسهم لا محالة في وضع إضافة نوعية تروم رد الاعتبار للتراث المائي، كما سيكون تنزيل محتويات هذا الدليل من طرف كل المتدخلين والفاعلين وقع كبير في رفع درجة الوعي المائي لدى الساكنة، وإدراكهم لأهمية هذا الموروث الثقافي الذي يميز واحة الجرف، ونعرض مختلف هذه المقاربات على شكل خطاطة كما يلي:

خطاطة المقاربات التربوية للحفاظ على التراث المائي

المقاربات التربوية للحفاظ على التراث المائي بواحة الجرف (الخطارات أنموذجا)

المقاربة التاريخية
- التقصي في تاريخ الخطارات
- الإسهام في حل بعض مشاكل الماء، وإدراك أهمية هذا التراث المائي.

المقاربة الجغرافية
- دراسة المجال الواحي باعتماد خرائط وبيانات
- إبراز مجال توطين الخطارات وإدراك أهميتها المجالية للواحة

المقاربة العلمية
- الاعتماد على التجربة
- تفسير مجموعة من المشاكل وإيجاد الحلول الملائمة

المقاربة الحقوقية
- الحق في الماء = الحق في الحياة
- الحفاظ على التراث المائي

المقاربة القائمة على التنمية المستدامة
- تثمين التراث المائي
- استدامة الخطارات + استدامة الواحة

المقاربة القائمة على القيم
- استمرار الطرق التقليدية في تدبير الخطارة = قيم التضامن + التكافل + التآزر + العدل
- الحفاظ على التراث المائي اللامادي

رفع درجة الوعي المائي والحفاظ على التراث المائي

خاتمة

شكلت الخطارات بواحة الجرف أبرز تراث مائي عريق بالمنطقة، خاصة التراث الغير مادي، والمرتبط بممارسات وسلوكات تقليدية محكمة في إدارة تدبير المياه بالخطارات، فهذه التقنية والطرق المرتبطة بتدبيرها أبرزت الكيفية التي استطاع من خلالها الإنسان الواحي في التكيف مع الظروف الطبيعية القاسية، وكانت نموذجا يحتدى به في مختلف المؤتمرات العالمية حول المناخ، وبهذا فإن التراث المائي بواحة الجرف يعبر عن هوية وأصالة هذه الواحة، إلا أن هذا الموروث الثقافي مهدد بالاندثار بسبب عوامل طبيعية كالجفاف والفيضانات، وأخرى بشرية من خلال تدخلات الإنسان السلبية واللاعقلانية .

وإذا اندثرت الخطارات ستزول معها مختلف معالم الواحة، نظرا لكون هذه الخطارات شكلت القلب النابض لواحة الجرف، ولذلك فإن الحفاظ عليها يبقى على مسؤولية الجميع، فهي بحاجة ماسة إلى عملية إصلاح تشمل مبادرات وزيادة الاهتمام، وكذا رد الاعتبار، ومن منظورنا فإن هذا الإصلاح يجب أن يركز في بدايته حول رفع درجة الوعي المائي للساكنة الواحية وحول هذا التراث المائي، وللقيام بهذه العملية فإننا اعتمدنا مقاربات تربوية تلامس عدة جوانب وتخصصات.

قائمة المراجع

1- المراجع العربية

الكتب

أميم عبد الجليل ، مدخل إلى البيداغوجيا أو علوم التربية رؤية تربوية مغايرة، في التأسيس لبيداغوجيا السياقات المغربية المركبة، الجزء الأول، سلسلة نحو مغرب عامل.

عابد الجابري محمد ، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1991.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونسكو)، التراث الثقافي للماء في الشرق الأوسط والمغرب العربي، 2019.

مهدان امحمد ، الماء والتنظيم الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن الزهر أكادير، 2012.

1-2 مقالات

حسن حسين علية ، التراث الثقافي والتماسك الاجتماعي في الواحات المصرية، مقال بمجلة الفنون الشعبية، الهيئة العامة للكتاب، العددان 92 و 93 دجنبر 2012 – شتنبر 2013.

العربي عبد العزيز و فالح علي ، نظام الخطارات تراث مائي غني يواجه إشكالية ندرة المياه وتحدي التغير المناخي، واحات المعيدر أنموذجا، منشورات مجلة التغيرات المناخية والتنمية الترابية بالمغرب، 2017.

مزوز ليلى ، بوصفيح صباح ، بابا خويا محمد ، الموارد المائية بواحات تافيلالت بين إكراهات الندرة وإشكالية التدبير، دراسة حالة واحة الجرف، مقال بمجلة العلوم الاجتماعية، العدد 03، ألمانيا، 2018.

وشالة ميلود وشالة، التدبير التقليدي للموارد المائية بواحات الجنوب المغربي: حالة واحة تافيلالت، مقال بمجلة international journal of environnement, water, ISSN 2052-3408، 2018.

1-3 وثائق رسمية

الجماعة الترابية الجرف، برنامج عمل الجماعة 2016 – 2021، ص 8.

منوغرافية الجماعة الحضرية للجرف 2015.

4-1 معاجم

جورج بيار ، معجم المصطلحات الجغرافية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2002.

5-1 مصالح وإدارات

الجماعة الترابية الجرف

المندوبية السامية للتخطيط

2- مراجع باللغة الأجنبية

bouhamid Alaoui, S, Evaluation des performances technico économiques A l'échèle des exploitations Agricoles des oasis de Tafilalet, cas des permetre aoufous et jorf, projet de fin d'études pour l'obtention du diplôme d'ingénieur d'état en Génie rural, Institut Agronomique et vétérinaire Hassan2.

Le robert, dictionnaire des combinaisons de mots, paris, 2007.

Sylvie, S, le retour en eau des khettaras de jorf, une oasis du Tafilalet, SUD EST du Maroc, dynamique de gestion de l'eau, En vue de l'obtention du diplôme d'ingénieur en agronomie tropicale de L'IRC supagro, option gestion sociale de l'eau, programme de lutte contre la désertification et lutte contre la pauvreté par la sauvegarde et la valorisation des oasis, composante Tafilalet, association de lutte contre la desertification et pour l'environnement, 2007.

UNESCO, éduquer à l'eau – approches pluridisciplinaires, France, 2012.

نماذج مختارة لأنماط التعليم الإسلامي في أفريقيا
قراءة في التاريخ الاجتماعي

أ.د. الطاهر حاج النور أحمد ،أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، كلية التربية، جامعة زالنجي، السودان eltahir2015@gmail.com
د.إبن عمر عمر عبيدالله، كلية التربية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم،السودان.

الملخص: هدفت الدراسة إلى تتبع مسيرة ومعرفة أنماط التعليم الإسلامي في القارة الأفريقية من حيث أن النظام التعليمي الديني أحدث تغييراً في البنية الفكرية والثقافية للمجتمع الأفريقي وهذا ما أوضحته تقاطع الدلالات الاجتماعية والاقتصادية مع النظام التعليمي ومخرجاته للوصول للنسق الفكري الدال على مجتمع مسلم في القارة الأفريقية. وقد شهدت القارة مراكز عديدة للإشعاع الثقافي متمثلة في المؤسسات الدينية كالخلاوى والمساجد ودور العلم والمراكز كان لها الدور الأمثل في التحلي بالخلق الدينية والتربية الإسلامية التي أضحت نهجاً وسلوكاً في ثقافة الأفراد من خلال المعاملات في الأحوال العامة للناس. وبمرور الزمن تطورت تلك المؤسسات التقليدية إلى معاهد وجامعات عريقة خرجت الأجيال والمفكرين.

Abstract: This study aimed at tracing the patterns of Islamic education in African continent in path and knowledge sides. The intellectual and cultural structure of the African societies changed by religious education systems, which can be explained by the intersection of the social, economic connotations and educational system that indicates a Muslim community in the continent.

Many centers of cultural radiation such as educational cells, mosques and houses of knowledge were witnessed in the continent, which have the optimal role in the religious ethics and education, in addition to becoming an approach to behavior of individual in daily transactions in that cultural context، Those traditional institutions were developed to ancient institutes and universities in which generations and thinkers graduated.

المقدمة:

يمكن القول أن تشكيل المجتمع هو نتيجة للتربية والتعليم وكل مجتمع له قيمه المعينة وعاداته الخاصة وليست صدفة ولكن نتيجة لسير التاريخ والتجارب الإيجابية التي خاضها المجتمع الأفريقي متعلقة بأهداف واحتياجات المجتمع للتعليم الديني وإذانظرنا الآن إلى التعليم الديني فنلاحظ أنه ترك أثراً واضحاً في المجتمع الأفريقي بصفة عامة وفي العلاقات الاجتماعية وسلوك الأفراد بصفة خاصة. ومن الآثار أيضاً أنشطة الفقهاء والمتصوفة والتجار المسلمين في إنشاء المدن ونشر الحضارة الإسلامية.

دخل الإسلام إلى أفريقيا فكان العلماء هم الذين حملوا لواء هذا الدين وجاء هؤلاء من شتى أنحاء البلاد الإسلامية ونتيجة لجهود العلماء انتشر الإسلام في بقاع أفريقيا المختلفة وتأسست الممالك الإسلامية التي احتضنت الدين الإسلامي نهجاً وفكراً.

تُعد الخلوة النواة الأولى لنشر التعليم الإسلامي ثم قامت بعد الخلوة مؤسسات تعليمية أخرى كالزوايا والمعاهد العلمية والجامعات الإسلامية في أفريقيا إلى أن بلغ التعليم الديني في أفريقيا أعلى المستويات في العالم الإسلامي . ومن أجل هذا تجيء هذه الدراسة بهدف الوقوف على أنماط التعليم الإسلامي في أفريقيا التي ركزت على اللغة العربية كأساس للتعليم الإسلامي لذلك لعب تعليم العبادات وأركان الإسلام دوراً كبيراً في زمن دخول الإسلام في أفريقيا وما زالت اللغة العربية تعتبر المادة الأساسية في المؤسسات التعليمية الإسلامية علاوة على قراءة القرآن الكريم لذلك جاءت أهمية اختيارنا لهذا الموضوع "نماذج مختارة لبعض أنماط التعليم الإسلامي في أفريقيا" تتبعاً لقراءة التاريخ الاجتماعي ولا يمكن أن تفهم المجتمع دون أن تعرف نظام التعليم فيه وإخترنا أفريقيا لأن الحضارة الإسلامية موجودة ولها مميزات معينة تتعلق بموقع أفريقيا.

مشكلة الدراسة:

يعد موضوع التعليم الإسلامي في أفريقيا من الموضوعات المهمة التي تستهدف الوقوف على نشأة وتطور أنماط التعليم الإسلامي ،ووصف حالة المجتمع الأفريقي التي تقبلت الإسلام ديناً وفكراً عبر الوسائل التي انتشر الإسلام عن طريقها إذ يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

ما الأنماط السائدة للتعليم الإسلامي في أفريقيا؟

ما هي المؤسسات الدينية التي احتضنت الأنظمة التعليمية؟

هل هنالك أية مساعي طورت من نظام التعليم الإسلامي؟

ما هي مصادر نفقات التعليم الإسلامي في الخلاوى والمراكز الدينية؟

ما شكل الدور والمباني المخصصة للتعليم؟

كيف نصف النشاط والحياة البحثية في المؤسسات الدينية؟

ما هي القواسم المشتركة في المنهج التعليمي المستخدم؟

ما نتائج وتأثيرات التعليم الإسلامي على الشخصية الأفريقية ؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة الفرضيات التالية:

التعليم الإسلامي يمثل البدايات الأولى للتعليم في أفريقيا.

أسهمت المؤسسات الدينية في أفريقيا إسهاماً بارزاً في صقل الذهنية الأفريقية بمبادئ الإسلام وأسسه ومعاملاته.

توجد صلات ثقافية بين المراكز الدينية في أفريقيا ودول العالم الإسلامي الأخرى.

تطورت المؤسسات الدينية من خلال ما قدمته رابطة العالم الإسلامي.

بعض المراكز الدينية تطورت إلى معاهد وجامعات.

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية العلمية للدراسة في أن التعليم الإسلامي في أفريقيا قدم دوراً بارزاً في الإصلاح والتغيير.

ارتبطت بعض المؤسسات الدينية بالطرق الصوفية التي انتظمت القارة الأفريقية.

تزخر أفريقيا بالكثير من المؤسسات الدينية أدت دوراً عظيماً في ترسيخ معالم الحضارة الإسلامية فكراً وروحاً وهذه جديرة بالدراسة والبحث .

منهجية الدراسة:

تُعتمد الدراسة في تتبعها لأحداث الموضوع على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي.

مصادر جمع البيانات: يعتمد البحث على المصادر والمراجع العربية والأجنبية ذات الصلة.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية للدراسة: الفترة من 1900- 1991م.

الحدود المكانية: قارة أفريقيا بحدودها الجغرافية والسياسية.

محاور الدراسة:

المحور الأول: الإطار العام ويضم أساسيات البحث وهي

المقدمة.

مشكلة البحث.

فرضيات البحث.

أهمية البحث.

منهجية البحث.

مصادر البيانات

حدود البحث.

المحور الثاني:

(ا) الزوايا والربط والمحاضر.

المحضرة عبارة عن جامعة شعبية بدوية متنقلة ، تُعلم القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه والعقيدة وعلم الكلام والتصوف والفقه والسير والتاريخ والأنساب والأخلاق إضافة إلى اللغة والأدب والحساب والهندسة.

أما الربط فمفردها رباط وهي جمع (روابط) وهي مؤسسة تعليمية متقدمة من حيث الأهداف والوسائل في الإعداد والتدريب على الجهاد والقتال، قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) سورة الأنفال، الأية 6. وفي الحديث الشريف (رباط يوم في سبيل الله خير من الدينا وما فيها) ولقد عرفت سواحل بلاد المغرب في شمال أفريقيا هذه الربط الذي انتشرت بها العبادة منذ القرن الثاني الهجري وكان بعضها يضم عدد من المساجد والمساكن وقد اشتهرت عدد من هذه الربط من أشهرها رباط سلا ورباط ماسا والرباط عاصمة المغرب وارتبط جبل ماسا على وجه الخصوص بدعوى المهدية (هيتا، 1985م).

(ب) أنماط التعليم الإسلامي في شرق أفريقيا (الخلوة في أثيوبيا قديماً وحديثاً)

إن الخلوة قديماً وحديثاً هي الأصل والأساس المتين لنشر العلوم الإسلامية والثقافة الدينية والتربية الروحية، وما المدارس النظامية إلا تطور وامتداد لذلك، والخلوة بدأها الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده وبيته حتى بارك الله فيها وتفرعت عنها المعاهد والجامعات بكلياتها المتعددة، ولا تزال الخلوة إلى الآن تمد المؤسسات العلمية الكبرى حيث أن الكثيرين من طلبة العلم الوافدين إلى الأزهر وغيره من المعاهد العلمية الكبرى هم طلاب خلاوى القرآن الكريم (أمين ، 2008م).

إن الخلوة في أثيوبيا شأنها شأن رصيفاتها من الخلاوى في العالم الإسلامي عامة وفي أفريقيا على وجه الخصوص، تقوم بنشر الثقافة الإسلامية من علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه واللغة وسائر العلوم الإسلامية، وحال الخلوة في الحبشة- أثيوبيا- تختلف عن رصيفاتها في كثير من البلدان الأخرى من حيث الوسائل المعاشية والإسكانية والحصول على المقدرات في المواد العلمية(Yeuf 2005),

بداية الخلوة في إثيوبيا:

كانت بداية الخلوة في الحبشة – إثيوبيا- بالمسجد الذي أسسه الصحابة في الهجرة الأولى بإذن من الإمام أحمد النجاشي، ثم رجع الصحابة بعد أن قضوا خمسة عشر عاماً في هذه الأرض التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنها أرض صدق).

نجد أن هؤلاء الصحابة أسسوا ما نسميه الآن بالخلوة ثم هاجروا إلى الجزيرة العربية وبقي الأثر الطيب ورائهم تتسع رقعته يوماً بعد يوم وفي كل قرن وزمان حتى قامت الثقافة الإسلامية على ساحتها وأصبحت الخلاوى تُخرج فطاحلة العلم (أمين 2008م).

نظام الخلوة في أثيوبيا:

نظام الخلوة في الحبشة – اثيوبيا- نظام تقليدي بعيداً عن التكلف في التنظيم، حيث نجد أن الشيخ هو عماد الخلوة وقوامها، وتكون له أرض زراعية يقوم أهل البلدة بحراثتها وزراعتها وأحياناً يقوم بتلك الأعمال الطلبة وتختلف الحلالات باختلاف سبل العيش، ومن الشيوخ من يغلب عليه التوكل على الله ولا يهمه أمر رزقه يعيش كما يعيش الطلبة ويأكل كما يأكلون ويشرب مما يشربون ويعيش من الهدايا التي تأتية من الأفراد.

أما الخلوة عبارة عن المسجد العام الذي يقوم ببنائه أهل القرية والطلبة جداره من الأخشاب وسقفه من القش ، الطلبة ينامون فيه ويأكلون داخله وربما يصنعون القهوة للشيخ وضيوفه ، أما قهوة الصباح فيقوم بها أهل القرية.

مصادر العيش للطلبة:

مصادر العيش للطلبة هم السكان في قرية الخلوة وما حولها من القرى المجاورة فصغار الطلبة يطوفون بيوت المواطنين وربما الكبار حيث يقف الطالب على الباب شامخاً مرفوع الرأس محترماً غير ذلك فيقول: أنا متعلم دارس فأرحموني أو السلام عليكم، ما أن تسمع ذلك ربة البيت فتأتي مسرعة بما قسمه الله له فتضعه على الماعوون أو طرف ثوبه في بعض الأحيان قائلة (لوجه الله) ومنهن من تقول (غذاء أي غذاء أمي) أي أنها تتصدق على روح والديها، وهذا يختلف باختلاف طباع الأفراد.

النظام التعليمي:

أما نظام التعليم يتحرك الطالب من بيته ويبدأ الطالب بعد الالتحاق بالخلوة بتلقى القرآن الكريم حتى يختمه وهو يكتب على لوح خشب وبعضهم يقرأ من المصحف مباشرة مع أن هذه الطريقة لا يحبذها الشيوخ معظمهم فهم يرون البركة في كتابة الطالب على لوحه وذلك يساعد على تحسين الكتابة والخط لدى الطالب. ونجد أن الطالب يكتب ما تلقاه مرة أو مرتين أوثلاث ثم يقرأ من المصحف مباشرة فبعد ختمه للقرآن يتصدق بما تيسر له ثم يسمح له بقراءة أول كتاب مقرر لدى الخلاوى وهو كتاب نور الإيضاح ثم كتاب أو كتابين ثم المقدمة للعدوي ثم كتاب الرقائق ثم كتاب الوقاية، ويختلف حال الطلبة والشيوخ في القوة والضعف في التحصيل والتدريس، فمن الطلبة من يكمل المقررات ومنهم من يقطع دراسته لأسباب متعددة . ومن الخلاوى أيضاً ما تكون جامعة فيها سائر العلوم الإسلامية ومنها ما تكون متخصصه في القرآن أوالتفسير أو الحديث وعلومه أو الفقه وأصوله أو النحو ويدخل تحته الصرف والبلاغة والمنطق والنجم والهيئة والبحث والمناظرة والوضع والعروض والقوافي (الحاج عبده 1988م).

مراكز الخلوة:

أما مراكز الخلوة فهي منتشرة وسط أقاليم البلاد ولكن مراكز الخلوة في أثيوبيا إقليم (وللو) فإقليم وللو مجاور لكثير من أقاليم البلاد وتوجد فيه مراكز متعددة وأكبر المراكز فيه منطقة (إيجو) حيث توجد بها خلوة دانا الضيفة وهي الآن أكبر خلوة تُدرس فيها جميع العلوم الإسلامية على المذهب الشافعي وكذلك توجد مراكز متعددة بمختلف تخصصات الخلاوى في أقاليم آخرى.

تقوم الخلوة في إثيوبيا بتدريس المذهب الشافعي والمذهب الحنفي وهما المذهبان الوحيدان اللذان يتعبد بهما ويعتنقهما المسلمون في إثيوبيا، أما المذاهب في العقيدة فهما الماتريدي للأحناف والأشعري للشافعية وهما مذهبا أهل السنة والجماعة وليس هناك مذهب قديم أو حديث من المذاهب الحقة أو المشبوهة إلى يومنا هذا.

المقررات من الكتب في الخلوة:

المقررات هي المقررات الحنفية المذكورة آنفاً بالإضافة إلى المقررات الشافعية المتمثلة في كتاب سفينة النجاة كتاب العمدة وكتاب منهاج الطالبين ومنهج الطلاب والإرشاد مع المراجعة لشروحها مع الشيخ والطلبة الكبار، أما المقررات في الصرف فهي مجموعة الصرف للشافعية والأفعال وشروحها، ومقررات النحو هي: الأجرومية وملحة الأعراب وألفية بن مالك ويراجع الطلبة الشروح مع الشيخ ويقرأون في المنطق "إيساغوجي" والسلم المعروف مع المراجعة للشروح في الحواشي الموضوعة في هذا الفن وفي تفسير الجلالين وحاشية الجمل وحاشية الصاوي على الجلالين. وفي الحديث الكتب الستة مباشرة وما تيسر من كتب علوم الحديث ، وقد استطاعت الخلوة أن تخرج علماء وصلحاء في كل جيل وحتى أن أسرة القضاء الشرعي وأسرة الإذاعة في القسم العربي وأسرة تحرير الصحف والأساتذة في المدارس الإسلامية جل حصيلتهم من الثقافة الإسلامية مما تلقوه من هذه الخلوة قبل أن يلتحقوا بالمدارس الأكاديمية في الداخل والخارج.

(ج) حركة التعليم الإسلامي في جزر القُمر وأثرها في المناطق المجاورة.

لقد إرتكز التعليم الإسلامي في جزر القُمر على منطقة تسوين وهي بلدة ساحلية تبعد عن العاصمة (موروف) حوالي 30 كلم ثم أخذ يتوغل في القرى والمدن الداخلية والجزر الأخرى وأصبحت هذه المنطقة مضرب المثل عند القمريين لمن يجد صعوبة في حفظ القرآن الكريم من استصعب عليه فليذهب إلى تسوين وقد نتج عن ذلك هجرات قام بها أهل الجزر وخاصة من كبار علمائها إلى زنجبار في تنزانيا ولاسو في كينيا نشراً للتعليم الإسلامي ومنهم الشيخ محمد عبدالقادر المنعيي الذي بنى مسجد(سلندي بزنجبار) ويعرف هذا المسجد حتى الآن بمسجد سناره ودفن أمام محرابه ومن القمريين الشيخ فاضل بن علي بن حسن القمري وقام بالتدريس في مسجد (غوف)Gufu قبل أن يعود إلى بلدة ليموت هناك، أما الشيخ محمد بن عبدالله باوزير وهو من منطقة (اسندار مجين) بجزيرة القمر الكبرى فكان غالباً يدرس تفسير القرآن الكريم (بمسجد كيكوني) بزنجبار ومات بها ودفن في مقبرة القمريين الكبيرة، كما كان هنالك عدد من النساء القمريات اللائي كن يدرسن القرآن الكريم ومباديء الدين الإسلامي في زنجبار ضمهن المعلمة (عشة مفوح) والمعلمة (موان عشة حمد) اللتان درسهما الشيخ عبدالله وهو شيخ من بلاد فارس، عماني الأصل (1912-1982م). كانت أماكن التعليم هي

المسجد أو بيت خاص وفي الغالب ما يكون بيت المعلم. وكانت طرق التدريس والكتب التعليمية لا تختلف عن طرق التدريس والكتب المستخدمة في العالم الإسلامي وخاصة المذهب الشافعي.

المحور الثالث: نماذج التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا.

دارات تحفيظ القرآن الكريم في السنغال:

الدارة في السنغال هي مدرسة تحفيظ القرآن الكريم جمعا دارات والدارة تمثل الخلوة أو الكُتاب أي "الخلوة" أو المسيد والدكس في كل من مصر والسودان والصومال و(جوا) في اللغة السواحلية ، مما يؤكد وحدة المعطيات البنيوية الثقافية الأساسية للمجتمعات الإسلامية في أفريقيا واهتمام هذه الشعوب بمؤسسات التعليم الإسلامي والعربي عبر القرون.

لقد قامت دارات السنغال بدور فاعل في نشر الثقافة الإسلامية والعربية منذ انتشار الإسلام وذلك أن قبائل التكرور السنغالية ظلت رائدة في هذا المجال.(سيد 2006م). يعود تاريخ الإسلام في السنغال إلى القرون الأولى لانتشاره في الشمال الإفريقي وبلاد المغرب الإسلام على وجه الخصوص ثم توالت الإمارات الإسلامية بعد ذلك في الظهور وكان من الطبيعي أن تنمو الثقافة الإسلامية والعربية في البلاد وهي تتلقى المد الإسلامي المتواصل من المغرب الإسلامي ومن زوايا بلاد شنغيط بالإضافة إلى مالي وسنغي مما مكن لحوض نهر السنغال أن يصبح مركز إسلامياً فاعلاً جذب إليه بجانب الشعوب المحيطة به قبائل أخرى كقبائل الفولاني وقبائل الولوف التي تكون معظم سكان المدن في السنغال وامتد الأثر ليشمل شعوب الغرب الأفريقي الأمر الذي جعل من تاريخ الإسلام في السنغال تاريخاً قومياً لا ينفك عن تاريخ البلاد وذلك لارتباطه بتاريخ شعوبها وأفرادها عبر القرون. (ساتي1990م).

دور المد الإسلامي في ظهور دارات القرآن الكريم بالمدن:

في ظل المد الإسلامي ظهرت مدن اشتهرت بمدارسها القرآنية وعلمائها من جماعات (التوردوب) الذين ارتبط اسمهم بالعلوم الإسلامية في البلاد. ومن أشهر هذه المدن مدينة (فوتا) حيث أن شهرة فوتا السنغالية ظلت واسعة باعتبارها مدينة رائدة انطلقت منها بواكير الدعوة الإسلامية والعلوم الإسلامية الأولى في البلاد إلى جانب دورها في دفع المسلمين لاستكمال سلطانهم السياسي بتكوين الإمارات الإسلامية التي صارت مراكز مهمة للدعوة والعلوم في العمق الأفريقي وشابهت مدن الشمال الأفريقي كالقيروان وفاس وغيرهما، وبجهاد الفولاني ودعوتهم النشطة امتد نفوذ هذه المدينة الإسلامية مخترقاً بلاد السنغال جنوباً حتى غينيا وعلى امتداد النهر من أسفل من منطقة (باكل) حتى (دفنا) فصارت تضم سبع محافظات مهمة وفي قلب المدينة العامرة انشئت أهم مدرستين إسلاميتين في البلاد هما مدرسة (أب) ومدرسة (بر) (ساتي 1990م).

من الصعب الفصل بين تاريخ البلاد وتاريخ الإسلام فيها وكذلك من الصعب الفصل بين نشاطات دارات القرآن الكريم وبين انتشار الثقافة الإسلامية والعربية في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي. إن مذكرات الرحالة الأوربيين كانت

مصدراً أولياً لدارات السنغال وذلك في الفترة من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي حيث كانت مجرد إشارات عرضية مبهمة، ففي أواسط القرن الخامس عشر الميلادي أشار بعض الرحالة إلى أن وجود بعض البربر (الموريتانيين) في أقاليم مختلفة من البلاد يعود قيامهم بإدارة تلك المدارس القرآنية ، أما الرحالة في القرن السابع عشر الميلادي فقد أشاروا إلى انتشار اللغة العربية واستخدامها لدى عامة الناس مع اختلاف معتقداتهم وذلك دليل على تعليم القرآن ، أما في القرن الثامن عشر ورد استخدام بعض مصطلحات النظم الإسلامية مثل القاضي والشريعة (ساتي 1990)

الدارة ودور العلماء الموريتانيين:

يرجع تاريخ العلاقات الموريتانية السنغالية إلى عصور ضاربة في القدم، ونجد أن الصلات بين شعوب السنغال والبربر والموريتانين صلات قديمة ومتداخلة، فقد ظلت الحدود بين القطرين مفتوحة مما مكن التعايش بين الشعبين واختلاطهما عبر التاريخ من خلال الهجرات والتجارة الصحراوية التي ربطت بين بلاد السودان وبلاد المغرب القديم، ونجد أن علماء شنقيط الموريتانيين في البلاد السنغالية أنشؤوا دارات تحفيظ القرآن الكريم على امتداد القطر وكذلك أسسوا كثيراً من القرى عبر نهر السنغال وكذلك كان لهم دور بارز في تأهيل عدد كبير من أبناء البلاد وأصبحوا علماء يديرون داراتهم ، وظل الدور الموريتاني فاعلاً حيث أن النابغين كان لزاماً عليهم الذهاب إلى موريتانيا لإكمال دراستهم وخاصة الفقه والأدب والعلوم الإسلامية الأخرى ولا يزال الأثر الموريتاني حاضراً في دائرة الثقافة والعلوم الإسلامية في السنغال الي يومنا هذا.

النظام العام لدارات القرآن الكريم اليوم:

لا يختلف النظام العام لدارات اليوم كثيراً عما كانت عليه في السابق إلا أن التغيرات التي طرأت على البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية عبر قرون الاستعمار تركت آثاراً واضحة في برامج الدارات في السنغال ، واليوم أصبح للدارات نظامان هما:

نظام الطلاب المنقطعين للعلم والمقيمين فيها مثال لذلك مدرسة كوكي.

نظام طلاب المدارس الفرنسية الحكومية في مدارس الدولة الحكومية ولا تعتبر اللغة العربية لغة أساسية ، ولما كانت نسبة المسلمين في القطر تتجاوز 98% من السكان برزت الضرورة لايجاد هذا النظام ومن أشهر الدارات في الوقت الحاضر المدرسة القرآنية للخليفة العام للطريقة التجانية الشيخ الحاج عبدالعزيز سي بمدينة تيواوون مدرسة الحاج مرتضى اليكي (الطريقة المريدية) مدينة طوبى ، والمدرسة القرآنية للحاج شيخ أميك مدينة جوريك ومدرسة كوكي القرآنية الشهيرة – مدينة كوكي.

المحور الرابع: أنماط التعليم الإسلامي في تشاد

نشأة معاهد المعلمين في تشاد:

لقد وضع المستعمر الفرنسي خططاً وإستراتيجيات لتقوية نفوذه في المنطقة، منها نشر ثقافته بين أفراد المجتمع التشادي وحتى يتحقق ذلك سعى في تطوير المدارس التي أنشأها وتأهيل معلميها تربوياً ، فكان هذا هو السبب المباشر في تكوين وتأسيس معهد إعداد المعلمين في تشاد وأول مدرسة أنشأت لهذا الغرض كانت في فترة الأربعينيات من القرن المنصرم المسماة (مركز التربية) في مدينة نيغور جنوب تشاد ويوفد إليه الطلاب المعلمون من أنحاء البلاد كلها.

ثم بدأت المدارس الفرنسية في تشاد تتوسع ويلازمها النقص الحاد في المعلمين مما جعل السلطات الفرنسية تفتح مدرسة أخرى في مدينة نيقور لسد النقص ومدة الدراسة فيها عام واحد وكان ذلك عام 1954م.

بدأ خريجو المعاهد يزاولون أدوارهم ثم رأت السلطات الاستعمارية الفرنسية الحاكمة أن ترفع كفاءة المعلمين العلمية والتربوية حتى تحقق خططها المرسومة فلذا جعلت الدراسة في المعهد سنتين بدلاً عن سنة واحدة.

تزايدت أعداد السكان وصحب ذلك إقبال على التعليم بشكل عام، حيث ظهرت حاجة المدارس إلى معلمين يدرسون العلم بشكل عام، كما ظهرت حاجة المدارس إلى المعلمين يدرسون اللغة العربية مما أدى إلى إنشاء ول مدرسة تعنى بإعداد معلمين اللغة العربية فقام معهد أبشه في شمال شرق تشاد وذلك في عام 1962م أي بعد الاستقلال من فرنسا بعامين (علي مصطفى 1997م).

بدأ المعهد يؤدي دوره في إعداد المعلمين إلا أن فرص القبول فيه ضئيلة وذلك لسياسة السلطات التشادية في ذلك الوقت نحو اللغة العربية والحد من التقليل من شأنها ، متجاهلة مكانتها في نفوس الشعب التشادي ودورها الذي قامت به في عهد الممالك الإسلامية التشادية، كما أن شروط الدخول في المعهد لا تتوافر في الكثيرين من معلمي اللغة العربية ومنها إجادة اللغة الفرنسية بطلاقة ومدة الدراسة بالمعهد عامان يتلقى فيها الدارسون دراسات أكاديمية عامة إضافة إلى الدراسات التربوية المهنية.

وبعد سنوات من تأسيس المعهد بأبشه ، ألحق به قسم لإعداد المعلمين يدرسون فيه جميع مواد الصف باللغة الفرنسية على غرار المعاهد الأخرى في البلاد، أما معلم اللغة العربية في المعهد يعد لتدريسها فقط. وبموجب دستور البلاد 14 أبريل 1960م أعترف بأن تكون اللغة العربية اختيارية في المدارس الحكومية وفي عام 1987م تم الإعتراف بها رسمياً بأن تكون لغة تعليم في المدارس العربية وإجبارية في المدارس الفرنسية. وبعد ذلك تطورت سياسة الدولة التعليمية وتوسع التعليم العربي في تشاد ، فعمدت الدولة إلى إنشاء وتوسع معاهد إعداد معلمي اللغة العربية في الولايات والأقاليم.

وقامت المعاهد على غرار مدينة أبشه ، في كل من العاصمة أنجمينا ومدينة منقو في وسط تشاد. وهناك معاهد أخرى قامت على غرار معهد مدينة منقور في جنوب تشاد معهد مدينة ساو، ومندو في جنوب البلاد وفي أقصى الشمال (آدم يوسف2001م).

معهد المعلمين العالي:

تطور التعليم العربي في تشاد وخطى خطوات إيجابية ، فقد كانت تعتمد الدولة في إعداد معلمي المرحلة الإعدادية والثانوية الذين يدرسون بالفرنسية على البلدان الصديقة مثل برازفيل والسنغال وفرنسا وغيرها من الدول الأخرى.

أما بعد الاستقلال تبوأت اللغة العربية مكانتها المرموقة وبدأت الدولة في إعداد معلمي المرحلة الإعدادية والثانوية الذين يدرسون اللغة العربية مستعينة بالدول العربية.

صاحب تزايد أعداد السكان والإقبال على التعليم نقص في أعداد المعلمين، لذلك إتجهت الحكومة لسد النقص وشجعهم على ذلك وجود اختصاصيين تربويين تشاديين، قدموا من الدول العربية ، ومن ثم كان معهد المعلمين العالي في أنجمينا وذلك في عام 1982م.

يهدف هذا المعهد إلى تزويد المعلمين في المرحلة الإعدادية والثانوية بالعلوم التربوية ويستقبل خريجي جامعة أنجمينا الراغبين في مزاولة مهنة التدريس في المراحل المتقدمة (رماد محمد الأمين 2001م).

يقوم هذا المعهد بإكساب المعلم المهارات التربوية في المقام الأول إضافة إلى اختياره تخصصاً واحداً من التخصصات التي توجد في المعهد، والأقسام العلمية التي يضمها عديدة مثل: قسم الرياضيات، والجغرافيا والتاريخ والكيمياء واللغة الفرنسية والإنجليزية والتربية البدنية والتفتيش والاستشارة التربوية. ومدة الدراسة بالمعهد سنتين ويعين بعدها الخريجون معلمين في المراحل الإعدادية وبعد قضائهم أربع سنوات في التدريس يلتحقون بالمعهد مرة أخرى ويقضون الفترة السابقة نفسها ثم يعينون معلمين في المرحلة الثانوية (محمد إسماعيل 2006م) وبعد تمكن المعاهد من تحقيق نتائج إيجابية في جانب تعريب التعليم ثم تأسيس جامعة الملك فيصل في العام الدراسي 1991م كإمتداد لمركز فيصل الإسلامي الذي يضم العديد من المؤسسات التعليمية ويعد هذا الحدث أهم تطور في تعريب التعليم العالي، ومن الواضح أن جامعة الملك فيصل تتجاوز جميع مشكلات التعريب في التعليم العالي التشادي فهي تقدم جميع الفنون باللغة العربية أساساً مما يجعلها في إنسجام تام مع الأرضية اللغوية في تشاد وتقدم للطلاب مناهج علمية- معادلة تماما- لمناهج العربية – خاصة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمة العربية للتربية والعلوم الثقافية – مما يجعلها مقبولة لدى القاعدة العلمية في تشاد وتقتضى الإرادة السياسية والإدارية والمالية بأن تقدم لها العلوم معربة بأقل التكاليف وقد شعرت الدولة التشادية بأهمية الدور الذي تقوم به جامعة الملك فيصل في خدمة المجتمع التشادي وإعداد الأطر المستقبلية باللغة العربية في الأساس مع تضمين منهجاً للغة الفرنسية كلغة مساعدة ساهمت في بنيتها الأساسية .

المحور الخامس: أنماط التعليم الإسلامي في الجهات الأفريقية:

أولاً: جامعة أفريقيا العالمية (المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم)

أسس المركز الإسلامي في الخرطوم عام 1972م وينص نظامه الأساس على أن تكون له أفرع بالبلدان الأفريقية ، فأختيرت تنزانيا كأول دولة يفتح بها المركز فرعاً وذلك نسبة لارتفاع أعداد المسلمين بها كما أنها تتوسط المنقطة السواحلية إضافة إلى حرية الأديان التي تتمتع بها والمساعدات الجمركية التي تقدمها الدولة للمساعدات الدينية والتعليمية (أيوب 2003م).

لهذا الأسباب وأفق المجلس الأعلى لمسلمي تنزانيا على إنشاء فرع المركز الإسلامي الأفريقي ولكن رفضت وزارة التربية التنزانية ذلك فالقونين التنزانية لا تسمح بقيام مؤسسات وطنية مدعومة من الخارج ولابد أن يكون مدير هذه المؤسسة تنزاني الجنسية ويسمى بالمركز التنزاني بدلاً عن المركز الإسلامي الأفريقي فرع تنزانيا.

ولقد فكر القائمون على أمر المركز الإسلامي في الخرطوم في إفتتاح فرع له بتنزانيا نسبة لأن أعداد الطلاب التنزانيين يفوق أعداد الطلاب الوافدين من بلدان أخرى وأن تنزانيا لها النصيب الأكبر من دورات تدريب المعلمين والقوافل الثقافية . وفي مجال التعليم حصلت تنزانيا على المركز الأول من المنح الموجهة لبقية الدول الأفريقية بين عامي 1978-1985م حيث حصلت على 88 منحة تخرج في القسم الأكاديمي 35 طالباً حصلوا على منح الجامعات السودانية كما تخرج العديد من هؤلاء الطلاب في قسم الدراسات الإسلامية وحصلوا على درجات علمية عليا (عثمان 2001م).

للمركز الإسلامي الأفريقي نشاط يعمل على تدريس المعلمين الأفريقيين من خلال الدورات التدريبية ولقد برزت فكرة إقامة أول دورة لتدريب المعلمين في تنزانيا ونفذت هذه الفكرة حيث تم تدريب مائة معلم في مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية من خلال دورة استمرت ثلاثة أسابيع، وقد قام المشرفون على هذه الدورة ببث أحاديث دينية عبر جهازي الراديو والتلفاز بالإضافة لمحاضرات عامة في المساجد والزوايا والمؤسسات التعلمية كالتأسيس والمعهد الإسلامي وكلية نكروما لتدريب المعلمين.

نجد أن تنزانيا حظيت بأول قافلة قامت بها الجامعة وكان ذلك في رمضان من عام 1402هـ وتكونت من ثلاثة دعاة وعشرين طالباً وجابت القافلة أنحاء جزيرتي بمبا وزنجبار ، ثم تلتها قافلة ثانية في 1407هـ شملت تانجا ودار السلام وفي العام 1408هـ سيرت قافلة ثالثة توجهت إلى دار السلام وكانت هذه القافلة بالتضامن مع المركز الإسلامي الأفريقي وجمعية أفريقيا الخيرية السعودية. وللجامعة اهتمامات كبيرة بتنزانيا خاصة في مجال البحوث والدراسات الأكاديمية عن الثقافة السواحلية واللغة العربية في تنزانيا وتطور أوضاع المسلمين فنشرت الجامعة العديد من الدراسات الجادة من هذه الدراسات في مجلتي دراسات أفريقية ورسالة أفريقيا (الحسين،2004م)

وقد نشأت جامعة أفريقيا العالمية في الأصل باعتبارها معهداً دينياً أهلياً في منتصف الستينات من القرن الماضي وأغلق لأسباب سياسية خاصة ثم أعيد افتتاحه باسم المركز الإسلامي الأفريقي بمساهمة عربية: سعودية وكويتية وإماراتية وقطرية ومغربية إلى جانب السودان دولة المقر وفي عام 1991م، تم ترفيعه إلى جامعة تخدم نفس أغراض المركز، وتضم الجامعة الآن عشر كليات هي: 1- الشريعة والدراسات الإسلامية 2- الآداب 3- التربية 4- العلوم البحتية والتطبيقية 5- الاقتصاد والعلوم الإدارية والسياسية 6- دراسات الحاسوب 7- الطب والعلوم الصحية 8- الهندسة 9- طب الأسنان 10- كلية درء الكوارث، كما تضم 1- معهد البحوث والدراسات الأفريقية 2- معهد اللغة العربية 3- مركز الدراسات النسوية والعلوم الأسرية 4- مركز الدعوة وتنمية المجتمع 5- وبها عمادة الدراسات العليا وعمادة المكتبات وأخرى لشؤون الطلاب.

ثانياً: الجامعة الإسلامية "بساي" جمهورية النيجر.

أنشئت هذه الجامعة تحت رعاية منظمة المؤتمر الإسلامي وتُعد هذه الجامعة حديثة من حيث نشأتها ، وتم اختيارها لتكون منارة للعلم ومبعثاً لما إندثر من معالم الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ومركز من مراكز الصحوة ودراسة التراث الإسلامي وإحيائه ونشره.

فتحت الجامعة أبوابها في أواسط الثمانينيات وباشرت مهامها والنهوض برسالتها من أجل تحقيق أهدافها وأدوراها التي تتمثل في الآتي:

القيام بالبحث الأكاديمي والنظر في قضايا المجتمع من خلال المنطلقات الفكرية الإسلامية المتفاعلة مع احتياجاته البيئية.

رعاية حركة إحياء التراث ونشره في القارة الأفريقية وتشجيع البحث العلمي والسعي لتحقيق التقارب والتفاهم بين شعوبها في إطار فلسفة التضامن الإسلامي.

وتعتبر الجامعة تدعيماً للمجهودات التي تقوم بها الحكومة النيجرية لتطوير وتقدم التعليم العربي والإسلامي في النيجر، وقد فتح بها معهد في التخصص التربوي لإعداد معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية لمرحلة التعليم الثانوي وهو المعهد العالي للتربية وتأهيل الأساتذة (عيسى 2001م)

ثالثاً: جامعة أحمدو بيلو في زاريا:

تعد من أقدم الجامعات في شمال نيجيريا تأسست عام 1963م تدرس فيها اللغة العربية بجانب اللغات الأخرى، وتتمركز في الجامعة حركة تدريب المعلمين لكل ولايات الشمال ويقوم بهذا الدور معهد التربية بالجامعة الذي يقوم بدور إيجابي وفعال في مجال تعليم اللغة العربية في جميع أنحاء نجيريا حيث يقوم بالإشراف على البرامج التالية:

تدريب معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجميع المدارس الابتدائية.

وضع مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي للمرحلة الابتدائية والثانوية.

الإشراف على نظام وضع الامتحانات الموحد للمدارس الثانوية وكليات المدارس الإسلامية والعربية والتاريخ الإسلامي يدخل الدرس في نهاية هذه المراحل المنافسة للجامعات والمعاهد العليا.

تتبع لهذا المعهد كليتان للمعلمين أحدهما في ولاية كانو والأخرى في زاريا وتنتسب له إحدى عشرة كلية للتربية موزعة على مختلف الولايات الأخرى في الشمال وينتسب إليه المكتب الإسلامي التربوي الممثل الوحيد لوزارة التربية والتعليم لولاية كانو. والمركز الإسلامي بولاية سكتو وانتساب هذه المؤسسات لهذا المعهد لأهمية الدور الذي تؤديه من وضع الامتحانات وإعداد المناهج ومراجعتها وتقييم نتائج الطلاب في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي وتتبع لهذا المعهد جميع كليات المعلمين الحكومية التي تستوعب معلمي اللغة العربية والتي يزيد عددها على 150طالباً(مائه وخمسين) في الولايات الشمالية لنيجيريا.

المحور السادس: دور المنظمات الإسلامية في التعليم الإسلامي في أفريقيا.

منظمة الدعوة الإسلامية:

نشأت منظمة الدعوة الإسلامية في السابع عشر من مايو 1980م الذي يوافق الرابع من رجب 1400هـ وكان ذلك يوافق بداية القرن الهجري الذي احتفى به المسلمون من الملايو حتى مُراكش غرباً بشي من الأشجان على واقعهم ويحدوهم الأمل بمستقبل مشرّف. لقد حظي مجال التعليم باهتمام كبير من المنظمة باعتباره أداة للتغيير الاجتماعي الأكثر فاعلية في أفريقيا.

ومن نجاحات المنظمة وضعها لمنهج اللغة العربية والإسلامية في زنزبار لمرحلتي الأساس والثانوي كما استطاعت وضع منهج اللغة العربية لتشاد وتنزانيا ولقيادات العمل الاجتماعي للناطقين بغيرها, كما تمكنت من تنفيذ الانتاج والإخراج التلفزيوني لبرنامج تعليم اللغة العربية عبر الوسائل الإعلامية المشاهدة والمرئية لغير الناطقين بالعربية بالإشتراك مع منظمة الأيسيسكو، وكذلك دعمت المنهج القومي في مدارس جنوب السودان بتوفير الكتب المدرسية وتوفير معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية، كما قامت المنظمة بدورات تأهيلية لمعلمي ومعلمات مرحلة الأساس بالسودان، و خصصت بعثة في جمهورية مصر العربية نقلت هذه البحثة أكثر من ستة ألاف طالب بالدراسة الجامعية ومافوقها.

فكان لنشأة المنظمة مردود إيجابي على مجالات شتى منها:

تحقيق التواصل بين المسلمين والشعوب الأفريقية.

تأسيس منهج للمنظمة من مهامه وصل الخيرين بالمحتاجين (المحرومين) في أفريقيا، وذلك لتحقيق لمعاني الدين في التواصل (كمال الصادق 1989م).

تأصيل وأحياء سنن التكافل وشعائر الخير والإيمان وهذا يمكن رؤيته بوضوح في برامج المشروعات الدعوية وانتشارها ومثالا لذلك:

برامج كفالة الإيتام.

برامج إفطارات رمضان وزكاة الحج وفرحة العيد.

برامج كفالة الطلاب والدعاة المسلمين.

منشآت الوقف للعبادة والعلم والنفع العام.

وهذه البرامج دفعت الخيرين لتفجير عطائهم فأنشأت مساجد ومدارس ودور للعلم ومستشفيات وآبار مياه خيرية.

بشارة الأمل والهداية للمحرومين والضعفاء .

إن الحركة الكثيفة من الوصل وحركة المعمار والانتشار في حجمها الظاهري وحركة الدعوة والتعليم وحركة الصحة وتوفير المياه كلها من فروع التدافع في الدين ودفع الناس بعضهم ببعض هو الذي يزول به الفساد وتعم به حركة الإصلاح، وتحقيقاً لسنة التدافع الحضاري تمت تلك الإنجازات.

الخاتمة:

من خلال العرض السابق تطرقت الدراسة لبعض أنماط وواقع وأوضاع التعليم الإسلامي في أفريقيا خلال الحقب التاريخية الماضية والفترة الراهنة وذلك من خلال الواقع الحالي الذي يشكل حياة المجتمعات في القارة الأفريقية من حيث أن النظام التعليمي الديني أحدث تغيراً في البنية الفكرية والثقافية للمجتمع الأفريقي وهذا ما أوضحه تقاطع الدلالات الاجتماعية والثقافية مع النظام التعليمي وقد ساعد تقبل المجتمع الأفريقي للدين الإسلامي على نشأة المؤسسات الدينية والمتمثلة في الخلاوى والمراكز والدور والمساجد التي تعد المؤسسات الدينية العريقة في نشر الثقافة الإسلامية . ومن خلال حلقات الدروس الدينية تطور التعليم الإسلامي في أفريقيا ليرتقي إلى نظام حديث تمثل في المعاهد والكليات والجامعات الإسلامية حيث خرجت هذه المؤسسات الدعاة والمعلمين والقضاء الذين أدوا دوراً تربوياً في ثقافة الأفراد عن طريق المعاملات العامة لدى الناس سلوكاً ونهجاً.

النتائج:

أسهمت المؤسسات الدينية في أفريقيا إسهاماً بارزاً في تغيير البنية الذهنية والأفريقية عن طريق معرفة مبادئ الإسلام وأسسه ومعاملاته.

الخلاوى والمساجد والدور والربط من الوسائل المباشرة في نشر الثقافة العربية والإسلامية في أفريقيا.

مثَّل التعليم الإسلامي البدايات الأولى للوجود التعليمي في أفريقيا.

ساهمت المنظمات الإسلامية في دفع مسيرة التعليم الإسلامي من حيث إعداد المناهج وتأهيل المعلمين حيث كان لمنظمة الدعوة الإسلامية بصمات واضحة في دعم المؤسسات الدينية.

واجه التعليم الإسلامي بعض التحديات والصعوبات وخاصة بعد دخول المستعمر حيث سعى الاستعمار إلى محاربة الحرف العربي وعلى الرغم من ذلك فإن الدارات تعاني من عدم توحيد المنهج والسياسات التعليمية .

عانت دور التعليم الإسلامي من تعددية المناهج حيث لا يوجد توحيد للمنهج أو السياسيات التعليمية.

تعانت مؤسسات التعليم الإسلامي في أفريقيا من مشكلات التمويل.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم .

كتب السنة(إذا تمَّ تخريج الحديث بالصفحة رقم (6) – رباط يوم في سبيل الله....الخ).

هيتا محمد، التعليم في موريتانيا من المحضر إلى الجامعة ، مجلة الأمة القطرية ،العدد 60، 1985م.

أمين محمد ، مقابلة مدينة الأبيض السودان 2008م.

الحاج عبده ، الخلوة في أثيوبيا قديماً وحديثاً ، ندوة التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا مركز البحوث والترجمة ، جامعة أفريقيا العالمية 1988م.

سيد أباي ، انتشار الدعوة لإسلامية في جزر القمر ، المؤتمر الدولي ، الإسلام في أفريقيا، الجزء 11، الخرطوم 2006م.

ساتي مهدي ، دارات تحفيظ القرآن الكريم في السنغال ، مجلة دراسات أفريقية ،العدد السابع 1990م.

على مصطفى أحمد ،التعليم الإسلامي في جمهورية تشاد ، تاريخه وآفاقه ، مجلة دراسات أفريقية ،العدد 17، 1997م.

آدم يوسف عبدالسلام، منهج التعليم الثانوي العالي العربي بتشاد ، رسالة ماجستير غير مشور، كلية التربية ،جامعة أفريقيا العالمية 2001م.
رماد محمد الأمين ، انتشار التعليم العربي الأصل في تشاد، ندوة اللغة العربية في تشاد الدافع والمستقبل ، جمعية الدعوة الإسلامية بنغازي 2001م.
محمد إسماعيل أحمد، تحليل المقررات التربوية لإعداد معلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية ، راسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية، الخرطوم.
أيوب محمد ، دور الجامعات التشادية في استعادة الهوية العربية في تشاد 2003م.
أيوب محمد ، تجربة التعريب في التعليم العالي في تشاد، مجلة دراسات دعوية ،العدد 23،الخرطوم 2000م.
عثمان عبدالرحمن أحمد، المؤثرات الإسلامية والمسحيية على الثقافة السواحلية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم، 2011م.
الحسين محجوب، الصور الموزعة لدى الأفريقيين عند العرب من خلال اتجاهات الطلاب الأفريقيين بجامعة أفريقيا العالمية مجلة دراسات أفريقية العدد الثالث.
عيسى عمر، منهج مقترح لتدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة العربية الفرنسية الحكومية بجمهورية النيجر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية 2001م.
كمال الدين الصافي، منظمة الدعوة الإسلامية ، مجلة المناهل، العدد 449، مجلد 48، 1989م.

المراجع الأجنبية:

Yesuf Mohammed: Islam and the Muslim in Ethiopia in Dirasat Ifrigyya issus No 5 2007.

http// 62.183. Arabic MNH/WHD/ country Profil D…htm.

المغرب :حوض لا ينضب من الهجرة

Morocco :An inekhaustible pool of emigration

Le Maroc : Un bassin intarissable d'émigration

امحمد لزعر-أستاذ الجغرافيا بجامعة فاس-المغرب

mlazaar2013@gmail.com

ملخص :يبدو أن المغرب، الذي يقدر عدد سكانه ب 36 مليون نسمة، غير قادر على الاحتفاظ بسكانه فوق تر ابه الوطني. ويبقى التطور الواضح للهجرة الدولية الذي انطلق منذ ستينيات القرن العشرين أحسن جواب اجتماعي لوضعية اجتماعية صعبة للغاية. إن التدابير الصارمة التي اتخذتها الدول الغنية لتجعل حدودها أكثر إحكاما لم تثبط عزيمة المغاربة عن مغادرة بلدهم. المغرب، في الو اقع، ليس بعيدا عن البلدان المرفوضة من طرف شبابه. ففي نظر جزء كبير من هؤلاء، الذهاب إلى مكان آخر ربما هو الحل الوحيد لتحقيق الأحلام. لهذا يغادرون بلدهم على أمل النجاح. لسوء الحظ يتحول هذا الأمل في بعض الأحيان إلى دراما إنسانية حقيقية.

الكلمات المفاتيح :الهجرة الدولية – حوض لا ينضب – الهجرة غير الشرعية

ABSTRACT : With a current population estimated at 36 million people, Morocco appears to be unable to retain its population within national borders.

The manifest development of international emigration, which has been observed since the 60's of the twentieth century, remains the best social response to a particularly difficult social situation. Drastic measures taken by rich countries to make their frontiers more closed have not discouraged Moroccans from leaving their country. In fact, Morocco is not different from countries rejected by their youth. According to the opinion of a large part of the young generation, to leave, to go elsewhere is perhaps the only solution to fulfil one's dreams. And that is why they leave their country with hopes of success. Unfortunately, these hopes are sometimes transformed into real human tragedies.

Key words: international emigration– inexhaustible pool-illegal emigration.

Introduction

Avec plus de 36 millions d'habitants, le Maroc qui recèle de nombreuses richesses semble impuissant à retenir ses populations sur son territoire. L'immense étendue du Royaume(71million ha,3500klm des côtes) donne à ses fils un sentiment d'exiguïté tellement étouffant ,qu'ils préfèrent mourir noyés à la recherche d'autres espaces .D'horizons divers ,par leurs catégories sociales et par leurs origines géographiques , avec une prédominance de jeunes urbains(hommes et femmes) ,l'objectif pour les uns est d'accéder à la forteresse européenne et pour les autres de découvrir un autre monde, plus lointain, prometteur qui leur permet de vivre mieux.

Le présent article abordera quelques aspects récents de l'émigration marocaine dans un contexte interne et externe très agité. Après un bref rappel de l'évolution de l'émigration marocaine à l'étranger et l'extension de son champ migratoire, on évoquera ensuite la persistance des facteurs répulsifs au Maroc .Enfin, on abordera l'insuffisance et l'inefficacité des politiques de réformes engagées par le Royaume, caractérisé par des inégalités socio-économiques et spatiales profondes.

-Le Maroc : réservoir migratoire intarissable

Partir ailleurs, tout en continuant à alimenter les destinations traditionnelles d'immigration, est une stratégie adoptée par de nombreux marocains cherchant à améliorer leur condition de vie. Ce choix est révélateur de l'insuffisance de la croissance économique, des inégalités sociales manifestes et de la politique économique et sociale adoptée par le jeune Etat indépendant. Rappelons toutefois que le départ des Marocains vers les pays de la rive nord de la méditerranée fut étroitement lié à la colonisation française et espagnole au début du 20 siècle et renforcé à partir des années 60 par la politique du Royaume qui envisageait l'émigration comme une solution provisoire ,reflet de l'incapacité du marché de travail national à absorber une population active en augmentation continue .

Au Maroc, l'émigration des actifs fut considérée, dès le premier plan quinquennal 1960-1964 comme signalé plus haut, une solution provisoire aux problèmes de l'emploi et de l'insuffisance de la croissance. Ainsi, se sont développés les départs vers la France, l'Allemagne, la Belgique, les Pays-Bas et plus récemment vers l'Espagne, l'Italie et les pays arabes producteurs du pétrole. Dans un premier les flux à destination les pays de l'Europe Occidentale étaient essentiellement d'origine rurale et encadrés par des accords bilatéraux. Depuis, le nombre des départs est en augmentation continue, tout en enregistrant un essor exceptionnel dans la première moitié des années 70. Bien qu'en 1974 , les pays européens durcissent leurs politiques migratoires, limitant l'autorisation de séjour aux citoyens de l'UE, aux personnes hautement qualifiées , au regroupement familial ,aux étudiants et au droit d'asile, le nombre de Marocains a continuellement augmenté . Car le verrouillage des frontières n'a pas empêché le développement de l'émigration clandestine et le maintien de recrutement officiel des travailleurs saisonniers sachant que l'appel à ces derniers a gardé son dynamisme jusqu'à présent, bien que l'effectif demandé demeure quantitativement limité et il touche les jeunes (hommes et femmes) d'origines urbaines en particulier.

Quant à l'Espagne et l'Italie, peu attractives aux étrangers et aux marocains dans les années 60 et70, leur attractivité ne s'est manifestée qu'après leur adhésion à l'UE. Depuis, la présence des Marocains est devenue plus visible. Avant 1986, le peu de Marocains qui s'y installaient ne comptaient pas y rester et considéraient les pays de l'Europe du Sud et plus particulièrement l'Espagne comme pays de transit vers les voisins du nord. La mobilité entre les deux pays était libre. Il suffit d'avoir un passeport pour circuler librement. Mais le durcissement du contrôle des frontières et l'obligation du visa pour les Marocains a obligé les immigrés à prolonger leur séjour[367]. Cette évolution traduit également le progrès manifeste de la démocratisation de la société et de la croissance économique soutenue en Europe du Sud où de nombreux signes indiquent qu'elle

[367] -Simon G., 1986: La nouvelle donne migratoire en Europe du Sud , REMI, Vol2, no1

-Lazaar M.,2004 : L'émigration récente des Rifains vers l'Espagne et ses effets socio-économiques et spatiales dans la province d'Al-Hoceima , thèse d'Etat en géographie, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah (en arabe)

est entrée dans une nouvelle phase migratoire caractérisée par une tendance vers un espace d'immigration. En témoignent le développement de phénomène de retour des nationaux et l'arrivée des flux migratoires étrangers à la recherche du travail. Ainsi se sont intensifiés les départs des Marocain dans les années 90 vers les pays de l'Europe du Sud en général et plus particulièrement vers l'Espagne et l'Italie. Les flux urbains ont connu un essor sans précédent et ce malgré l'obligation du visa et la fermeture des frontières. Il s'agit en effet des flux à caractère clandestin, avec une participation particulière des femmes jeunes et moins jeunes, mais aussi des enfants non accompagnés. Les diplômés, les fonctionnaires, les artisans et les commerçants y participaient également. Il en résulte une fixation rapide et soutenue des milliers de Marocains en Espagne (plus de864646 personnes installées régulièrement au premier janvier2020, soit une augmentation de 3,6%, par rapport à 2019[368]) et en Italie (plus de 443147personnes titulaires d'un permis de séjour, au premier janvier 2018 et plus de 121381 mineurs marocain[369]). A ceux-ci s'ajoutent les sans-papiers dont le nombre est difficile à chiffrer, sachant que la plus grande majorité de la communauté marocaine installée en Espagne et en Italie était en situation irrégulière, mais elle a bénéficié des différentes opérations de régularisation, organisées par les deux pays en faveur des étrangers illégaux[370] .

Progressivement et à partir des années 80 de nouvelles destinations sont apparues comme l'Amérique du Nord, le Canada, les Pays d'Afrique et du Golfe, producteurs de pétrole. Bref, l'espace migratoire des Marocains a connu un élargissement sans précédent. L'émigration est devenue un phénomène sociétal majeur, avec une participation particulière des villes où aucune catégorie sociale n'est épargnée. L'effectif de la communauté marocaine à l'étranger est passé de 1,7 millions en 1998 à environ 5 millions

368 -INS, Institut National de la Statistique

369 -Ministero del Lavoro e delle politiche sociali : La communauté marocaine en Italie ,Rapport annuel sur la présence des migrants,p.4

370 -La Fondation Hassan II pour les Marocains Résidant à l'étranger : Les Marocains de l'Extérieur 2013

actuellement(2019), selon la déclaration du chef du gouvernement[371], soit 14% de l'ensemble de la population nationale. Cet effectif englobe les départs réguliers, mais aussi les flux clandestins, toujours, très actifs et la croissance naturelle de la diaspora. Aujourd'hui, le Maroc donne l'impression d'un réservoir migratoire intarissable.

Si la deuxième moitié de la première décennie du 21eme siècle marque un ralentissement sensible des flux en raison de la crise économique qui a touché de plein fouet l'économie des pays d'immigration et son corollaire la montée du chômage, plus particulièrement chez les immigrés, les difficultés sociales et économiques auxquelles étaient confrontées la diaspora n'ont pas provoqué un retour massif dans leur pays d'origine. Les retours étaient très limités : 210000migrants de retour seulement en 2014 contre 165000en 2004[372]. Ce chiffre est insignifiant par rapport aux 5 millions de ressortissants marocains à l'étranger.

Les Marocains ont préféré de rester là où ils résident, tout en développant de nouvelles stratégies. En témoigne leur recours massif à l'acquisition de la nationalité des pays de séjour. Ils étaient 66800, en 2019, soit un peu moins de 67200 en 2018 et 67848 bénéficiaires enregistrés en 2017, selon l'Eurostat.

Cette évolution constitue un signal d'alarme pour les responsables du secteur. Ces derniers ont pris conscience que la stratégie développée depuis des années et qui consiste à la mise en place des mesures relatives à l'encouragement des transferts n'était pas la bonne réponse sociale à une situation sociale qui ne cesse de se dégrader. L'attachement de fait de la diaspora à son pays, ne s'est pas traduit par un retour massif (environ 150000 ouvriers et 60000 qualifiés selon les chiffres révélés par le ministre de la communauté marocaine à l'étranger en 2017). En causes les carences de la politique migratoire nationale qui s'intéresse

[371] -Hesperess,2 Août 2019

[372] -Rapport de recherche : Favoriser la reintégration sociale et professionnelle des migrants de retour Nord-Africains :Une comparaison des cas du Maroc et de la Tunisie,rapport prépré par le CIFOIT et FIERI,OCDE,2017

davantage aux remises des émigrés plutôt que de se préoccuper des souffrances des expatriés et de leurs attentes. Ce constat manifeste, reflet d'une vision simpliste de la question migratoire, ne favorise pas une mobilisation massive de la diaspora en faveur du développement de leurs régions d'origine. Les mesures prises récemment [373] restent toujours aussi inefficaces qu'insuffisantes. Ni l'appel à la diaspora pour contribuer au développement du pays de départ, ni la mise en place de la 13eme région pour faciliter, inciter et encourager les expatriés à investir au Maroc, ni la célébration de la journée nationale de l'émigré et l'organisation des rencontres avec les élites diasporique n'ont changé sensiblement l'attitude des émigrés vis-à-vis de leur pays. L'attachement manifeste de la diaspora à son pays d'origine ne peut en aucun cas cacher le caractère répulsif du Royaume. Les efforts de développement engagés dans le pays en relation avec les réformes entamées depuis le début du 21eme siècle sont loin de favoriser la rétention des Marocains et la stimulation du retour de la diaspora. Les Marocains rêvent toujours de l'émigration et ceux qui sont déjà installés à l'étranger et plus particulièrement en Europe préfèrent y rester, sans rompre les liens avec leur pays. Il est très significatif de rappeler qu'entre 1992 et 2001, environ 430000maocains vivant à l'étranger ont obtenu la nationalité d'un Etat membre de l'UE[374]. En 2018, sur un ensemble de 670000 étrangers ayant obtenu la nationalité d'un pays de l'UE ,67200 étaient des Marocains contre 18400 Algériens. Ces chiffres confirment la tendance observée depuis plusieurs années et renforcée davantage durant les deux premières décennies du 21 siècle, reflet des mutations profondes de la diaspora marocaine

7-Depuis 2017,le ministre de la communauté marocaine a entrepris plusieurs actions dans le but de mobiliser les compétences MRE, à travers la création de réseaux thématiques de professionnels qualifiés comme réseau d'avocats et des professionnels du secteur des nouvelles technologies aux côté de l'Allemane. En Espagne , la création d'un réseau de compétences dédié aux chercheurs et aux professeurs .En 2018, une rencontre était organisée aux coté des ingénieurs travaillant dans le secteur d'aéronautique au canada et ce dans le but de promouvoir l'investissement au Maoc. En Afrique , l'année 2021 ,a vu le jour du premier forum des compétences marocaines en Afrique , tenue àAbidjan.145 cadres, chercheurs, entrepreneurs ont participé à cette rencontre

[374] -Marocains de l'Extérieur 2013,la Fondation Hassan II pour les Marocains Résidant à l'Etranger ,p.73

et de sa nouvelle stratégie : assurer la libre circulation à l'intérieur de l'espace européen et entre les deux extrémités de la chaîne migratoires, bénéficier des services sociaux dans les pays de l'U.E et garantir l'avenir des enfants, sont autant d'éléments de cette stratégie. C'est pourquoi pour de nombreux marocains et marocaines, partir vers l'Europe, l'Amérique, le Canda et dans une moindre mesure vers l'Afrique et les pays du Golfe, signifie une occasion exceptionnelle pour concrétiser leur rêve. Une échappatoire. Ce qui explique la continuité des départs défiant la politique migratoire sélective des pays d'immigration et le durcissement du contrôle des frontières.

Le recul significatif des départs lié à la crise économique mondiale de 2008 était provisoire, limité dans le temps, car les flux ont repris massivement avec la reprise économique en Europe. De plus en plus de jeunes, hommes et femmes, qualifiés et moins qualifiés, pauvres et moins pauvres, cherchent à partir quel que soit le prix. Pourquoi donc cette rage de partir ne faiblit pas ? Aujourd'hui, tous les observateurs et les faits montrent que l'émigration au Maroc est loin de tarir. Cette évolution risque de s'aggraver davantage avec le passage du Royaume, caractérisé par l'insuffisance du niveau de développement économique et social, à une terre de transit pour les migrants de l'Afrique Subsaharienne et les victimes de l'instabilité des pays arabes.

-L'émigration marocaine : augmentation soutenue et variété des lieux de destination

Aujourd'hui ,le Maroc compte environ 5millions de personnes vivant ailleurs (48% sont des femmes) ,soit 14% de l'ensemble de la population, dispersées sur les cinq continents du monde , avec une concentration particulière sur l'espace européen (80%),12% se répartissent entre les différents pays arabes, et un peu plus de 6% s'installent aux Etats unis et au Canada . Environ 20% des marocains du monde sont nés dans les pays d'immigration.

Au niveau national, l'émigration est devenue un phénomène sociétal majeur. Toutes les régions du Royaume sont concernées, avec une participation particulière des régions de Sous-Massa, de l'Oriental , de Tanger –Tetouan- Al-Hoceima et de Khnifra –Beni mellal . Dans ces régions, rares sont les ménages aussi bien dans les campagnes que dans les villes qui ne comptent un ou plusieurs de leurs membres (hommes et femmes) à l'étranger. La proportion de femmes émigrées accompagnées ou seules, notamment dans le milieu urbain a connu un essor considérable. Il en est de même pour les mineurs non accompagnés et les jeunes diplômés. Selon la Fédération des technologies modernes, environ 8000 diplômés ont quitté le Maroc vers l'étranger en 2017.Des sociétés étrangères et plus particulièrement françaises n'hésitent pas à prendre contact direct avec les établissements de formation au Maroc pour proposer des offres intéressantes aux jeunes désireux d'émigrer.

Qualitativement, le contenu de la diaspora est en pleine évolution, à côté des ouvriers non qualifiés, majoritaires, on compte de plus en plus d'hommes et de femmes qualifiés, diplômés ou ayant un niveau d'instruction relativement élevé. Bref, on retrouve le simple ouvrier, la femme non mariée ou femme au foyer, de hauts cadres, des commerçants et des chefs d'entreprises. Selon le ministre de la communauté marocaine à l'étranger, le nombre de jeunes marocains à l'étranger, ayant un niveau bac plus cinq dépasse les 40000 et l'effectif de médecins est d'environ 7000 . Un peu plus de 900 mille occupent des postes de gestion et ils contribuent au développement des pays où ils résident ajoute-t-il [375] .La communauté marocaine est relativement jeune :70% ont moins de 45 ans , 20% des Marocains du monde sont nés dans les pays d'immigration et 44% ont acquis la nationalité du pays de résidence, souligne- t-il . En France comme en Belgique, aux Pays-Bas, en Italie et en Espagne la communauté Marocaine figure parmi les communautés étrangères, les plus présentes sur les registres des demandeurs de la nationalité. Les données

[375] -Hespress,2août2017

du tableau relatives à l'acquisition des Marocains de la nationalité espagnole ces dernières années sont très significatives

Tableau no 1 :Evolution des Marocains vivant en Espagne ayant obtenu la nationalité espagnole entre 2005 et2020

2005	5555	2013	46574
2006	5690	2014	35000
2007	7864	2015	19904
2008	8615	2016	28505
2009	6683	2017	17082
2010	10703	2018	15398
2011	14473	2019	25544
2012	16547	2020	24500

Source : INS

De 2005 à 2020, environ 288637 Marocains ont acquis la nationalité espagnole selon INS. Sur un ensemble de 150944 étrangers naturalisés en Espagne en 2016, 24% étaient des Marocains, suivis des Boliviens et des Equatoriens. Cette tendance à l'acquisition de la nationalité des pays de séjour par les ressortissants marocains est observée également en Belgique , en Italie aux Pays-Bas et en France. En 2016 ,35212 Marocains ont acquis la nationalité Italienne contre 32752 en 2015, soit une augmentation de 2460 en chiffre absolu, selon l' ISTAT.

En Belgique et aux Pays-Bas où le nombre de Marocains naturalisés est très important, la communauté marocaine manifeste une grande capacité à s'intégrer dans ces pays comme en témoigne sa participation à la gestion des affaires publiques. De même, elle est très active dans le domaine associatif. L'augmentation sensible du nombre d'association créée par les ressortissants marocains installés dans ces deux pays est une

réalité incontestable. Les mariages mixtes sont un autre signe d'intégration à souligner également. Partout on constate la consolidation de la présence des Marocains dans les pays de résidence.

En revanche, le retour définitif dans le pays d'origine demeure limité dans l'ensemble comme nous l'avons signalé plus-haut, tout en enregistrant une augmentation plus au moins importante à partir des pays de l'Europe du Sud durant les années de la crise[376].En Espagne et en Italie, le retour a concerné plus de jeunes et parfois des familles entières, mais une bonne partie de cette population a ré émigré après la reprise de la croissance en Europe du Sud. Pour les jeunes rentrés d'autres pays d'immigration, une bonne partie d'entre eux le retour était à cause de l'expulsion faute de papiers ou en raison de leur incapacité à s'adapter à leur nouvel milieu de résidence; tandis qu'une autre catégorie de jeunes rentrés est constituée de diplômés des universités européennes qui se trouvent contraint à quitter le pays après l'obtention de leurs diplômes. Une fois rentrés dans leurs pays, faute d'un environnement adéquat, un bon nombre d'entre eux n'hésitent pas à se relancer dans de nouvelles aventures migratoires, tenter leur chance à l'étranger. Ainsi, ils contribuent à alimenter le flux des départs (réguliers et irréguliers) des actifs vers des destinations diverses en raison de la faible capacité d'absorption du marché du travail national pour les uns et la recherche d'un environnement favorable pour les autres. En fait, au Maroc, de l'avis d'une grande partie de jeunes, s'en aller, partir ailleurs est peut-être la seule solution pour assurer l'avenir et réaliser les rêves .Rappelons, après avoir connu un recul sensible pendant la crise profonde qui a touché l'économie européenne, les départs des Marocains ont repris massivement en 2017.En témoignent les chiffres révélés par les ministères de l'Intérieur Italien et Espagnol .Selon les statistiques Italiennes,4597 émigrants marocains ont été secourus au large de la méditerranée en 2017, parmi eux 858 sont arrivés en Italie pendant le mois de juillet[377]. Le

[376] -Bouhlahcen Ali. et Taki Mohamed.,(2014) :cartographie des projets de réintégration économique des MRE de Retour et mécanisme d'appui à leur réinsertion socioprofessionnelle et la réinsertion socio-éducative de leurs enfants ,MCMEAM, OIM Maroc et Association Migration Internationale,p.36

[377] -Bladi,21juillet 2017

Maroc se trouve en tête des dix premiers pays exportateurs des émigrants illégaux y compris les Etas instables politiquement comme la Série et la Somalie. Sur un ensemble de 93369 émigrés illégaux arrivés sur les côtes Italiennes en 2017, 4,9% étaient des Marocains .Tous sont passés par la Lybie pour rejoindre l'Italie. Quant aux flux des Marocains vers l'Espagne, pratiquement insignifiants depuis une quinzaine d'année, sont de retour. En 2017,19668 migrants irréguliers seraient arrivés sur la péninsule Ibérique. Ce chiffre a été multiplié par 3% par rapport à l'année 2016.Contrairement à ce qu' écrivait Laila Delezenne en 2013 « vers la fin de l'émigration marocaine vers l'Espagne »[378].

Le flux des Marocains vers l'Espagne a largement repris. Cette reprise est confirmée par le Directeur de l'Agence « Frontex » qui a constaté une nette augmentation des clandestins marocains, arrivés à la frontière espagnole[379].Cette évolution ne peut être liée seulement à la crise rifaine, comme prétendaient certains analystes [380] . Les événements du Rif ont poussé, certes, les jeunes à quitter leur région, connue traditionnellement par sa forte contribution à l'émigration vers l'Europe, mais ne peuvent pas expliquer cette tendance manifeste aux départs , constatée dans les différentes régions du Royaume ,sans pouvoir les quantifier et identifier suffisamment l'origine géographique des clandestins marocains arrivées sur les côtes espagnoles depuis les frontières marocaines .En revanche, ce qui est vrai , c'est la recrudescence des départs enregistrés en 2017. L'effectif des migrants marocains arrêtés par le Guardia civil espagnol alors qu'ils tentaient d'accéder aux côtes espagnoles est très significatif. Pour la seule nuit du mercredi 24 août 2017 ,600 personnes d'origine marocaine, réparties sur 15 embarcations ont été arrêtées par les autorités espagnoles en méditerranée, sans compter ceux qui ont réussi à échapper aux contrôles .Il s'agit d'un

[378] -Delezene Laila.,2013,Vers la fin de l'immigration marocaine en Espagne ,Cellule de recherche ,Université ,Lille 3.fr/axe – de N/er, in Revue ,Hommes et Migrations .Fr, Numéro/Diaspora Marocaine

[379] -HUFFpost Maoc25/6/2017

[380] -Guardien Britannique , cité par Dalil Rif,24 août2017

nombre important qui rappelle les chiffres enregistrés dans les années 90, marquées par l'essor considérable de l'émigration clandestine des Marocains vers l'Espagne. Sur les 27810 émigrés débarqués illégalement sur les côtes espagnoles en 2017, 22% d'entre eux étaient de nationalité marocaine, d'après le ministre de l'Intérieur Espagnol[381], contre 10231 en 2016 et 6650 en 2009 souligne –t-il. Les autorités espagnoles ne cachent pas leur inquiétude du retour en force des clandestins marocains en 2018.Selon les chiffres révélés récemment, le nombre de Marocains arrivés à Ceuta entre janvier et avril 2018, a été multiplié par quatre. Entre le 1janvier et 14 novembre, 2018, sur un ensemble de 55949 immigrés clandestins arrivés sur les côtes espagnoles, 90%d'entre eux étaient d'origine marocaine[382].Il s'agit d'une augmentation d'environ 142% par rapport à la même période de l'année 2017souligne le quotidien. A noter que pour lannée2017, selon le rapport de l'OCDE de2018, 71000 Marocains ont accédé au territoire de l'OCDE[383]. En effet, le Maroc n'est pas si éloigné des pays déboutés par ses jeunes. Un sondage récent en date du 18/04/2018, réalisé par le site Rekrute.com a révélé que la majorité des Marocains préfèrent travailler à l'étranger et que 91% sont prêts à quitter leur pays pour travailler et s'installer ailleurs. Pour ce qui est des destinations préférées le Canada vient en tête : 37% souhaitent partir et vivre au Canada, surtout les jeunes instruits et les cadres qui occupent déjà un poste au Maroc, Suivie de la France.

- Mal de vivre dans mon pays, ailleurs ça sera sûrement mieux

Selon le rapport de la Banque Mondiale de 2018, la population marocain en âge de travailler augmentant de 300 000 par an, les 129000 emplois crées chaque année ne suffisent pas, reflet de l'incapacité de l'économie marocaine à absorber les actifs. C'est pourquoi le rêve de partir ailleurs prend une dimension particulière chez les jeunes. Cette réalité est le produit de la combinaison de facteurs complexes qui

[381] -Akhbar Alyaoum,n2482 ,3/12/2017

[382] -El Pais 20/11/2018

[383] -Maryline Baumard,le Monde ,18sep2019

poussent les gens à l'émigration. Car ils vivent mal dans leur pays soulignent-ils. Il suffit d'entamer une discussion avec les jeunes pour comprendre que s'en aller est peut-être la seule solution. Pour les uns vivre une expérience à l'étranger, est une chance pour lutter contre la pauvreté, l'exclusion, la vulnérabilité et se hisser socialement. Et pour les autres est une occasion pour se libérer et profiter de multitudes opportunités offertes par les pays de destination. D'où la généralisation des départs qui ne concernent pas seulement les pauvres, les chômeurs et les vulnérables, mais ils touchent également d'autres catégories sociales relativement stables économiquement et socialement. Pour y parvenir certains d'entre eux empruntent parfois des itinéraires, trop risqués qui peuvent leur couter la vie. L'augmentation du nombre de morts enregistrés au large de la méditerranée est une réalité incontestable. Pour la seule année 2017, 222 personnes ont perdu la vie en méditerranée occidentale, lorsqu'elles tentaient de rejoindre l'Espagne [384]. Ce chiffre est faible par rapport à 4000 morts enregistrés à l'Est et dans la partie centrale de la méditerranée ,près des côtes italiennes d'après Frontex .La dégradation des conditions de vie au Maroc, l'insuffisance des réformes et le manque de perspectives incitent de plus en plus les jeunes à partir .Très rares sont les semaines, les mois ,parfois les jours qui passent sans que les médias transmettent des informations relatives à l'arrestation des candidats à l'émigration ou la mort de personnes tentant de rejoindre l'Europe.

En effet, depuis des années, le Maroc connaît une croissance exsangue. A rappeler, la proportion des actifs 15-59 ans atteint 62% et le nombre de jeunes 15-34 ans représente 34% de la population marocaine, selon le recensement de la population de 2014, soit environ 11,7 millions, parmi eux 51% sont des femmes .Selon la Banque Al Maghreb, le taux de croissance a atteint 4,2% en 2017, contre 3,4% prévu pour l'année 2018[385]. Le taux de chômage est supérieur à 9,6% ,en légère baisse par rapport à 2016 :10%.Cette proportion est beaucoup plus élevée chez les jeunes diplômés, puisqu'elle atteint 34%.Le problème crucial de l'économie

[384] -Alyaoum24,3/1/208

[385] -Akesbi Najib .et autres 2017 :L'économie politique du Maroc, Fondation Hanns-Seidel

marocaine , peu diversifiée, est son étroite dépendance des aléas climatiques. Il convient de rappeler qu'au Maroc, l'agriculture représente17% du PIB et emploie entre 42 et 44% de la population. D'où les conséquences sociales néfastes provoquées par les années moins pluvieuses .La réponse sociale classique à la détérioration de niveau de vie de la population liée à l'insuffisance des précipitations, est l'intensification de l'exode rural. Le rythme actuel de la croissance ne peut absorber les actifs en augmentation continue, sous l'effet de la transition démographique, explique Akesbi .Selon ce chercheur, seule une croissance stable de 7% réduira sensiblement le fléau du chômage dont souffre le Maroc .Mais le dysfonctionnement de l'Etat entrave la réalisation d'une croissance soutenue et durable. L'augmentation de la dette (extérieure et intérieure), le recul de l'emploi dans le secteur industriel, la faiblesse des investissements, l'insuffisance des réformes et des politiques du gouvernement, le malaise social et la déficience du système de l'enseignement sont autant d'éléments de la triste réalité du Maroc aujourd'hui. Il en résulte l'extension sans cesse des poches de pauvreté et l'augmentation des ménages vulnérables. Selon le hcp, près de 5 millions de marocains vivent au-dessous du seuil de pauvreté, avec 12Dh seulement par jour. Plus significatif encore, 50% souffrent de la vulnérabilité, ils vivent avec un revenu un peu plus de 4667Dh par an, soit un revenu légèrement en hausse par rapport au seuil de la pauvreté, et ils peuvent basculer subitement vers la pauvreté. Le manque, la privation et l'exclusion sociale sont des qualificatifs récurrents dans les réponses des gens lorsqu'on leur demande de décrire leur quotidien. Nous vivons mal dans notre pays expriment-ils. C'est pourquoi ils n'hésitent pas à prendre le risque de partir, même s'ils savent que leur futur ne sera pas aisé. Certes, en Europe tout n'est pas rose. Ils prennent les risques frôlant le suicide. Pour nombreux d'entre eux, il s'agit d'un choix difficile, étant donné que « l'immigration choisie » adoptée par la plupart des Etats riches et en manquent de main d'ouvre, est loin de répondre aux attentes de tous ceux qui veulent partir légalement vers les pays prometteurs. Toutefois, si les cadres et les candidats les plus qualifiés (ingénieurs, médecins, informaticiens…) arrivent facilement à obtenir le visa qui leur permet l'accès aux territoires des

pays d'immigration, ce n'est pas le cas pour les plus démunis .Selon des données récentes, 27% des diplômés marocains, formés à l'université ou dans

les écoles supérieures d'ingénierie et autres, quittent le Royaume à destination des pays des plus attractifs comme le Canada et la France .Les résultats de l'étude internationale réalisée par les deux bureaux d'Etudes Américains(BCG et The Net wok) dans 198 pays, ont montré que 80% des actifs marocains souhaitent quitter le Royaume, contre une moyenne internationale de57%[386] . Pour y parvenir, les jeunes prennent les risques de l'émigration clandestine .Ils le quittent avec l'espoir de réussir. Malheureusement, cet espoir de mieux vivre ailleurs et de réussir sa vie, se transforme en véritable drame humain pour les uns et en calvaire pour certains d'autres. Mais les cas de réussite, faut-il le reconnaître, après un voyage, parfois trop risqué, ne manquent pas, ce qui encourage les éventuels candidats à l'émigration clandestine à ne pas abandonner leur projet, tant que leur pays de naissance ne leur offre que peu d'opportunités et favorise les plus riches et les diplômés des hautes écoles étrangères au détriment des illettrés et des diplômés des universités nationales.

Au Maroc, malheureusement, les évolutions récentes indiquent que les signes de l'amélioration, tant attendus, de la situation socio-économique ne sont pas au rendez-vous à court terme. C'est l'inquiétude qui règne. Les réformes formelles engagées depuis le début du millénaire sont loin de répondre aux attentes de la majorité de la population .Pour beaucoup d'entre elle, la désillusion est très grande, le fonctionnement de l'Etat, la fraude fiscale, le favoritisme, la corruption, les disparités sociales, les faibles évolutions des salaires, le dysfonctionnement du

Système de l'enseignement, de santé et la défaillance de la démocratie créent un dégoût et une défiance vis -à –vis de l'avenir. Les jeunes jugent mort tout espoir de changement profond. La réponse sociale à cette

386 -Alyaoum24,10/7/2018

évolution négative est de fuir son pays, partir, quitter, est peut être la meilleure solution. De l'avis de nombreux citoyens, ailleurs, leur vie sera forcément meilleure que celle qui sera menée au Maroc .Ils auront des opportunités qu'ils n'auraient jamais eues au Maroc, pensent-ils .La –bà, où tout semble possible, même si vous êtes illettrés, vous n'avez pas un bon diplôme, vous pouvez être embauchés. Les postes qualifiés de trois D (dur, dirty, dangereux) ne manquent pas estiment-ils . C'est pourquoi ils envisagent de partir à tout prix. En témoigne l'augmentation sensible de départ de Marocains vers l'Espagne ces dernières année, plus de 100000 entre 2014 et2017.Ils étaient 39843 arrivées en 2017 contre 19919 en 2014,23960 en 20115 et 23889 en 2016, selon le rapport statistique annuel de l'Institut Espagnol [387],sans additionner ceux qui ont pris la destination d'autres pays à la recherche de ce qu'ils n'ont pas chez eux.

- Rejoindre l'Europe à tous prix

Pour faire face au renforcement des mesures du contrôle des frontières européennes, les candidats à l'émigration ne cessent de multiplier les tentatives et d'emprunter des voies, parfois trop risquées pour y accéder. Certains choisissent les voies classiques (le recours aux passeurs actifs dans de nombreuses villes portuaires comme Tanger, Larache, Al-Hoceima, Nador, Dakhla et Laayoun , proposant la traversée à bord des embarcations de fortune, la falsification des papiers, le mariage blanc à distance ,facilité par un proche dans le pays d'immigration...).Quant aux autre préfèrent la destination de la Turquie devenue le grand carrefour pour des millions de migrants fuyant les pays déstabilisés de la région avant de reprendre l'aventure pour rejoindre l'espace européen. Les Marocains demandeurs d'asile récemment en Allemagne font partie de cette catégorie. Pour rappel, la présence des Marocains installés illégalement en Allemagne n'a pas tardé de créer une crise diplomatique entre les deux pays lorsque le gouvernement Allemand a demandé au Maroc de rapatrier ses ressortissants .D' autres jeunes marocains sont passés par la Libye avant

[387] -Alyaoum24,2/7/2018

de prendre la mer à bord des embarcations de fortune vers l'Italie, voyage de tous les périls. En Libye, les autorités sont parfois très sévères à l'égard des migrants : arrestation, incarcération des centaines de candidats dans des camps, qualifiés d'enfer en raison du traitement inhumain des immigrés.

A noter que le traitement inhumain des Marocains en Libye n'est pas un cas isolé. Dans ce pays déstabilisé, devenu espace de rencontre pour les migrants africains en route pour l'Europe, il n'est pas étonnant de constater que des migrants sont vendus aux enchères comme esclaves par les passeurs, pour des sommes allant de 500à 700 dinars libyens [388].Cette pratique ,révélée par les journalistes du CNN, devenue fréquente en Libye et dénoncée par l'Organisation internationale pour les migrants , témoigne de la détérioration des conditions de détention des migrants ,qualifiées d'inhumaines. C'est pourquoi les chefs d'Etats africains de leur côté, réunis à Abidjan, lors du sommet Union-africaine-Union européenne le 29 et 30novembre2017, n'ont pas hésité à dénoncer cette situation. C'est une situation humiliante et inacceptable que vivent nos ressortissants sur le territoire libyen soulignent-ils. Notre silence sur ce qui se passe à nos captifs en Lybie est une honte. La libération totale de tous les détenus sur l'espace libyen ne devrait pas attendre soulignent-ils. Pour rappel, les conditions d'insécurité et d'instabilité qui règnent en Libye en cette deuxième décennie du 3eme millénaire, ont transformé le pays en carrefour pour des milliers des subsahariens, des nord-africains et des ressortissants des pays arabes déstabilisés par la guerre et qui cherchent à traverser la méditerranée pour l'Europe. Car les difficultés rencontrées dans leurs pays les poussent à l'exode, même clandestin .En Libye, les conditions sont favorables pour accéder à l'espace Schengen, accès facilité par l'essor remarquable des réseaux de passeurs. Certes, les Marocains à l'instar des autres candidats à l'émigration, risquent tout pour cette aventure et ils savent que leur futur ne sera pas aisé .Mais ils n'hésitent pas à prendre des risques frôlant la mort et parfois la disparition. Qu'importe le risque le plus important est d'y arriver. Devant les choix difficiles, il vaut mieux avancer, soulignent-ils. Ils veulent partir à tous prix. Ils

[388] -Le Monde Diplomatique, novembre 2017

multiplient les tentatives à l'aide ou sans passeurs .Ceux qui ont choisi de passager par la Libye, utilise la route maritime qui relie la Turquie à la Grèce, continuent le chemin vers l'Europe en empruntant le passage entre la Libye et l'Italie, surtout la Sicile. Selon le Ministre de l'Intérieur Italien ,4190 Marocains ont débarqué illégalement sur les côtes italienne entre le mois de janvier et fin juillet 2017, parmi eux 866 ont demandé l'asile politique, soit la moitié, à peu près, de ceux qui ont fait la même démarche en 2016 explique-t-il [389]. Les Marocains continuent à émigrer. Le flux des Marocains est loin de se tarir soulignent les prévisionnistes. En Outre les jeunes qui ont pu entrer légalement dans« la forteresse européenne » n'hésitent pas à prolonger leur séjour, une fois le visa ou le contrat de travail expiré. C'est le cas par exemple de 5000 saisonnières marocaines en Espagne qui ont préféré la fuite une fois leur contrat expiré, pour reprendre le terme utilisé par le journal Elpais[390]. Ce phénomène s'est produit également chez certains sportifs , étudiants ou chez de simple citoyens qui ont profité de leur séjour en Russie lors de la coupe du Monde pour y rester dans le but de rejoindre l'espace Européen .Il s'agit des faits incontestables et il me semble inutile de multiplier les exemples pour justifier une réalité incontestable .Le désamour pour le pays est le sentiment manifeste chez une bonne partie de Marocains. Selon une enquête très récente réalisée par l'Economiste-Sunergia , 4 marocains sur 10 affirment être prêt à quitter le pays si une opportunité se présent. 59% des jeunes (15-24 ans) , cherchent à quitter leur pays .Ils semblent avoir perdu espoir en le Royaume .Les femmes sont celles qui ont exprimé le plus l'envie de partir .Près de 5 sur 10 envisagent cette option si l'occasion se présentait ,contre 31% pour les jeunes masculins[391],Partout, les jeunes hommes et femmes manifestent un désamour pour le Royaume , ils ne sont plus confiants en leur avenir ,comme en témoigne cette citation forte de la maman de Hayat Belkacem tuée par balles, alors qu'elle tentait de rejoindre

[389] -Le Desk,16 juillet 2017

[390] - Cité par Lakom ,27 octobre 2018

[391] -L'économiste, n5392,14/11/2018

clandestinement la rive nord « la vie d'un être humain ne vaut plus rien dans ce pays .Si tu te révoltes contre la misère en te jette en prison , si tu essaies de le fuir ,on te tire dessus »[392]. La mort tragique de cette jeune fille qui voulait aider sa famille à échapper à la misère ne va pas dissuader les jeunes de partir ,car ils se sentent exclus, et pensent « avoir très peu de chance de réussir » souligne Jean Zaganiaris[393] .Tous les indicateurs ne sont pas favorables pour assurer un avenir meilleur .C'est pourquoi, les jeunes ,hommes et femmes, préfèrent mourir par balles en mer plutôt que de vivre au Maroc.



Arrestation le 4-1-2020 de 26 marocains originaire de Guelmim tentant de rejoindre clandestinement les Îles Canaries .Hespress 5 novembre 2020

[392] -Tel quel , n 830,26 1novembre2018

[393] -L'économiste,n 5392,op cit

Comment leur ôter cette idée de la tête quand ils voient des diplômés –chômeurs par centaines se faire tabasser devant le parlement. Cette image récurrente amplement commentée par la presse, montre l'incapacité des décideurs à trouver une solution adéquate pour une situation sociale qui risque de s'exploser. Aujourd'hui, au Maroc, ce ne sont pas seulement les pauvres, les moins démunis qui cherchent à fuir le pays. Mais l'obsession de quitter est constatée chez les jeunes à l'échelle de toutes les régions marocaines, avec une motivation particulière chez les jeunes du centre, révèle l'enquête Sunergia citée précédemment. A noter qu'entre le premier janvier et fin août 2018 :8200 cadres supérieurs,2300 enseignants-chercheurs,2300 ingénieurs, 630 médecins , 370pharmaciens et 450 informaticiens ont quitté le Maroc[394] .

Cette hémorragie affaiblit davantage le Royaume , confronté à des problèmes du sous-développement. Ainsi perdure son caractère répulsif. A titre illustratif, sur un ensemble de 57000 immigrés clandestins arrivés en Espagne en 2018,soit le double enregistré en 2017, 21% d'entre eux étaient de nationalité marocaine .Les Marocains étaient en tête des clandestins , suivis par les Guinéens : 20,8% rapporte El pais du 5-1-2019.

Conclusion

L'insuffisance de la croissance, l'augmentation continue des jeunes actifs sous l'effet de la transition démographique et l'inefficacité des réformes socio-économique et politique engagés au Maroc laissent penser que les départs ont peu de chance de se tarir. La propension à émigrer constatée depuis des décennies est appelée à se renforcer dans les années à venir. Etant donnée les importants écarts de revenus entre les deux rives de la Méditerranée, le chômage généralisé des jeunes et plus particulièrement des

[394] -Lakom ,27 octobre218

jeunes diplômés, la pauvreté, le retour de la croissance dans les pays de l'Union européenne, mais aussi le vieillissement accentué de la population des pays du nord, les mouvements migratoires sont certainement appelés à augmenter à terme. Pour rappel, environ 300000 jeunes arrivent annuellement sur le marché du travail au Maroc, alors que le nombre d'emplois crées varie entre 100.000et 130.000 et que le taux de chômage des jeunes dans le milieu urbain dépasse dans certaines villes 45%. Le durcissement des politiques migratoires européennes contribuera, certes, à réduire le nombre des migrants qui tentent d'accéder légalement à leur espace, mais ne pourra en aucun cas juguler les flux clandestins favorisés par le développement des réseaux migratoires très actifs au sud de la méditerranée où les potentiels migratoires demeurent très important. Les multiples tentatives, des Marocains et Subsahariens, de rejoindre la rive nord de la méditerranée, constatées durant les derniers mois de l'an 2018 confirment la continuité des flux, tout en défiant les mesures draconiennes européennes visant à rendre les frontières de l'UE, de plus en plus étanches. Le Maroc où le potentiel migratoire est inépuisable devrait jouer un rôle essentiel en mettant en place des réformes profondes et des investissements productifs importants capables de retenir les Marocains dans leur pays et d'encourager la diaspora à contribuer au développement de son pays.

Notes et bibliographie

AKesbi, Najib., et autres 2017 : l'économie politique du Maroc , Fondation Hanns –Seidel

- Akhbar Alyoum n 2488,3-12-2017

-http://www.goo alyaoum 24,12-7-2018

- http;//www.goo alyaoum 24,n 2482,3-12018

-Auffpost maroc 25-6-2017

-Baumard,Marline.,2019 :Six leçons sur les migrations africaines, le Monde 18sept 2019

-www.bladi net 2juillet 2017

-Bouhlahcen Ali.,etTaki Mohamed., (2014) :Cartographie des projets de réintegration économique de MRE de retour et mecanismes d'appui à leur réinsertion socioprofrssionnelle et la réinsertion socio-économique de leurs enfants ,MCMREAM,OIMMaroc et ASSociation Migration internationale.

-Delezenne,Laila.,2013 : vers la fin de l'immigration marocaine en Espagne.Cellule de recherche,Université Lille3.fr/axe-de,Ner- ,in Revue.Hommes-et-Migrations.fr ,Numéro/Diaspora Marocaine

- Fondation Hassan II pour les Marocains Résidant à l'Etranger, Les Marocains de l'Exterieur 2013

-Guardien Britannique citée par Dalil Rif,4août2017

-Ministre de la communauté marocaine résidant à l'étranger, point de presse, Hespress 2 aout 2017

-INS Institut National de la Statistique Espagnol2020

-ISTAT (Institut National de la Statistique Italien)2017

- Kebbaj,Omar.,2018 : Hrig Tetouan une ville en colère ,Tel quel n 830, du 26octobre au 1 novembre

-La Croix,19-11-2017

-Lazaar, M.,2004 : l'émigration récentes des Rifains vers l'Espagne et ses effets socio-économiques et spatiales dans la province d'Al'Hoceima ,thèse d'Etat en géographie, Université Sidi Mohammed Ben Abdellah ,Fac des Lettres et des Sciences Humaines, Dhar El Mah raz « en arabe »

-Le Desk,16juillet 2017

-L'Enquête Sunergia, L'Economiste n5392,14 novembre 2018

-Premiers Résultats de l'Enquête du Haut-Commissariat au Plan sur la Migration Internationale au cours de 2018-2019

Simon ,G.,1986 : La nouvelle donne migratoire en Europe du Sud,REMI ,vol2 , n1.

www.yabiladi.com 23/7/2019

الأدب التجريبي للذكاء الترابي:
من أجل التنمية المستدامة لمدينة سلا

Empirical literature of territorial intelligence:
For the sustainable development of the city of Salé

Dr OUAZIZ ALI [1*]

1. Researcher at the Laboratory of Systems Analysis, Information Processing and Industrial Management, Higher School of Technology in Salé, Mohammed 5 University in Rabat. Morocco

* ouaziz@hotmail.com

الملخص:تقدم هذه الوثيقة الدراسة التجريبية المكرسة للإدارة والتنمية المستدامة للمدن الذكية. تنسق هذه الأدبيات المهام المختلفة للمدينة الذكية، بما في ذلك تكامل نموذج الإدارة للمدينة (بناء عملية، التطور التجريبي، التقييم، الاتصال والمعلومات، إلخ)، جمع البيانات من أجهزة الاستشعار الذكية والموارد الأخرى المتاحة، والبيانات التخزين والتحليل، وبناء النماذج التنبؤية باستخدام نماذج التعلم، والتحكم الأمثل في النظم الحضرية والتفاعل مع مختلف أصحاب المصلحة، بما في ذلك المستخدمين. تستند العملية أيضًا إلى سياسة التنمية من وجهة نظر اقتصادية واجتماعية سهلة الاستخدام، والتي تضمن التفاعل مع المستخدمين، ولكنها تعتمد أيضًا على نقاط القوة في الذكاء الإقليمي، والتي تعد بالتالي جزءًا من إدارة إبداعية وتنظيمية وتنموية، عملية تقييم المشروع والحوكمة الذكية التي تم إنشاؤها في تكنولوجيا المعلومات عملية في محافظة سلا، والتي تشمل DA-ta منظم وغير منظم.

الكلمات المفاتيح: المدينة، الأدب التجريبي، التنمية المستدامة، العملية.

This document presents the empirical study dedicated to the management and sustainable development of smart cities. This literature coordinates the different tasks of the smart city, including the integration of a management model for the city (building a process, empirical evolution, evaluation, communication and information, etc.), data collection from smart sensors and other available resources, data storage and analysis, building predictive models using learning models, optimal control of urban systems and interaction with different stakeholders, including users. The process is also based on a development policy from an economic and social user-friendly point of view, which ensures interaction with users, but also relies on the strengths of territorial intelligence, which is therefore part of a creative, organizational, development, management, intelligent governance and project evaluation process set up in the I.T. process in the Prefecture of Salé, which includes structured and unstructured Data.

Keywords: City, empirical literature, sustainable development, process.

Introduction

Smart Cities are a new and innovative concept that is beginning to take hold in the world and seems to be the future of the human way of life. But what is a smart city? And how do you build a smart city? The scope of this concept is vast, covering many areas such as infrastructure and education. This is what makes understanding the concept of the smart city very important.

A smart city is a city based on technology and composed of different systems, each of these systems provides different sources of data that can be used to develop a smart Salé City.

The term territorial intelligence (T.I.) first appeared in 1998 in the thesis of its author Raison défendue in Marseille, but the author had left this concept in doubt as to its purpose. M. Bertacchini, in the same laboratory directed by Professor Dou, was then studying these problems proposing a thesis as early as the year 2000: Information and Territorial Watch: representation of the local complex and emergence of a territorial intelligence project (Bertacchini Y. , 2000). The evolution of territorial intelligence does not stop, but it is integrated each time in a particular territorial culture in terms of governance and requires a flexible collective will as well as significant resources to be able to emerge the territory towards a growing autonomy.

This article aims at presenting an empirical literature of the Smart City and its various components, before demonstrating the evolution and the empirical evaluation of the T.I., an example, which was built for the city manager is that of the Territorial Information Systems (T.I.S.) which are established as supports of internal and external communications of a Smart City.

The Construction of an IT Process: Empirical Portrait

The Smart City concept involves various application areas, such as smart devices, smart environment, smart home, smart building, smart transportation and smart education. Here, resources are connected by

intelligent devices and environments to be used in intensive interaction. Therefore, for a better management of the different fields of the application of the smart city, it is essential to group all these applications into a single I.T. process, following an Empirical Portrait.

The empirical study obliges us to make, in the first place, a call to interdisciplinarity, to describe the progress of the implementation of a territorial intelligence device requiring the understanding of the institutional mechanisms, for the construction of a strategic territorial intelligence system, which analyses the local dynamics of the city of Salé(Le Moigne Jean-Louis, 2003).

Our prospecting describes the construction of a territorial intelligence system, with a certain number of processes essential to its implementation, which fall within the scope of managerial observation. In this vision, the management of city projects is necessary to set up the process of territorial intelligence, which is a tool to build intelligent cities, whose paradigm is part of a territorial strategy and the complexity of organization.

The construction of I.T, as a new management tool, requires an action plan based on a series of main actions: development projects, programming, management, organization, information and communication, structuring, evolution and evaluation, in order to build a prototype adapted to the intelligent city with a large territorial dimension.

The object of the territorial intelligence device is, first of all, the decision of its construction which must be taken by an intelligent governance of the city and its territorial collectivities and the internal and external key actors who form the alliance of decision and the coupling between the decision-making system and the generally complex operating system carried out by the actors of the project (Jean-Louis Le Moigne (1999, p86)).

In this sense, there must be some information and communication interface that will play the role of interaction between the stakeholders of the project, for the management of information and the implementation of a process of territorial intelligence, based on some management tools understandable by all the actors of the territory of the city, namely; Collection, validation, dissémination, évaluation, expertise, etc.).

For Michel Barabel and Olivier Meier, the organization of a territorial intelligence project requires a heterogeneous team manager who must have the qualities of a resource person to meet the requirements of the intelligent project manager or project director. Obligatorily designated with the greatest attention. In particular, this manager must succeed in bringing out new talents and the constitution of a working group made up of internal and external actors belonging to the various stakeholders of the intelligent territory, who do not know each other, but who must have the confidence and transparency responding to the logic of sociotechnical analysis to make them work in harmony (Barabel M. et Meier O., 2004).

Here is an example launched in 2011 with the help of academic, industrial and government partners, the Sunrise project aims to improve infrastructure management by deploying digital tools on major urban networks.

A demonstrator is located on the Scientific Campus of the University of Lille. Built in the mid-1960s, this campus has around a hundred buildings, used in particular for research and teaching. It also includes around 100 kilometres of drinking water, electricity, public lighting, heating, sanitation and telecommunications networks. The importance of this campus is also due to the fact that it represents a city of about 25,000 users.



Figure 1 :Scientific Campus of University of Lille (SunRise demonstrator)

This SunRise platform is managed by a server, which allows the analysis and visualization of intelligent buildings and urban networks. It includes two web portals for the management of intelligent buildings and urban networks.

The Empirical Evolution of I.T

The territorial intelligence must not be reserved only to specialists, it must be interviewed in a global, permanent and universal view by all the internal and external actors of the territory. And it is based on collaboration and co-operation by sharing and disseminating qualified information and physical and virtual communication. For Christian Harbulot and Philippe Baumard (1997) announce that: "economic intelligence is not a process of accumulation of information, but of production of knowledge, by governments and industrialists, and when necessary within the framework of collective strategies". The I.T is a strategic organization and a management mechanism for territoriality, with stakes and methodologies of the process of installation of the intelligence process of a territory(Harbulot C. et Baumard P., 1997).

This is why The Smart City must aim to implement a comprehensive monitoring system to optimize the production and distribution of resources. To achieve this, it includes sensor technology. Its implementation requires, first of all, a complete visualization of the network architecture, but also of all the data related to the equipment (tanks, pipes, valves, pumps for the water network, heating network). This data will then be gathered in a Geographic Information System (GIS).

Christophe Assens and Dominique Phanuel observed the adoption of a process of territorial intelligence through the implementation of New Information and Communication Technologies (N.I.C.T.) in five French cities, which had the political will, partnerships outside its cities and the vote of specific budgets to carry out such an intelligence project. But in this regard, the territorial intelligence project must be subject to a certain vigilance, on the evolution of the priorities of the governance of the common territory, because the priorities of intelligent governance are contingent and likely to be questioned at any time. In this sense, territorial intelligence is a matter of policy and of the projection of the territory on the medium and long term, determined as a reaction on several strategic, tactical and operational levels of the information system with these different stages.

The territoriality shares with territorial intelligence a set of informational and communicational processes that create meaning, which are shared in the three planes of the metamodel of territory and which take place in the concrete social practice of everyday life. It ensures coherence and a global readability by allowing individual or collective practices to be situated in a socially shared common history (Bertacchini Y. , 2000).

Table 1 below gives an account of the vision of the territory's key players and their desired strategic positioning. It is a series of strategic orientations decided by the referent actors of the territory and takes the form of a reading grid of the strategic intentions, it is part of the construction of general aims and operations of the implementation of the intelligence process of the territory.

Territorial intelligence is an operational process that takes into account the visions and the strategic positioning, because the latter guide the process in its missions. The operational character requires a reflection on the needs and therefore on the capacities of the system. It will be a question of providing answers to the following questions:

- What kind of intelligence do we want?
- What projects should be monitored?
- Which axes should be prioritized: Economic, social, political, etc.?

Table 1 : Choice of strategic directions Source: (Pierre MAUREL, 2012)

	Orientations stratégiques	
	Pour le territoire	Pour le processus d'intelligence économique territoriale
Comprendre les hypothèses de développement du territoire	Expressions des ambitions pour le territoire.	Expressions des ambitions pour le processus et le système d'information territorial.
Comprendre l'environnement du territoire	Analyse dynamiques de l'environnement (ex. Lyon vs Barcelone)	Identification des organisations contributrices potentielles et les SI des partenaires.
Situer le territoire dans son environnement	Positionnement concurrentiel du territoire et de la territorialité	Evaluation des territoires qui ont mis en place des IET ainsi que des territoires par projets.
Situer les risques pour le territoire	Positionnement des risques (menaces et vulnérabilités) du territoire et de la territorialité	Evaluation des systèmes d'alerte, sociaux, économiques.
Validation des orientations stratégiques	Vérification de la cohérence des orientations	Vérification de la cohérence des orientations avec le processus d'IET et le système d'information territorial.

As for Yann Bertacchini, he refers to the concept of territorial intelligence in relation to collective intelligence defined by Pierre Lévy: "intelligence everywhere distributed, constantly valued, coordinated in real time and which leads to an effective mobilization of individual competences and which starts from the principle that everyone knows something, is endowed with competences and know-how" (Levy, 1994).

Territorial intelligence thus becomes the capacity of collective intelligence that can be mobilized on a territory for Yann Bertacchini, which raises the question of : "to consider territorial intelligence as an informational and anthropological process, regular and continuous, initiated by local actors physically present and/or distant who appropriate the resources of a space by mobilizing then by transforming the energy of the territorial system into project capacity the objective of this approach, is to take care, literally as well as figuratively, to endow the territorial level with what we named the formal territorial capital"(Pierre MAUREL, 2012).

For Philippe Herbaux' researches, territorial intelligence allows : "the evolution of the local culture based on the collection and the mutualization between all its actors of signals and information, to provide the decision maker, and at the right time, the judicious information"(Herbaux P. et Richard C., 2002).

Pierre MAUREL, in 2012 considers that territorial intelligence must be examined as a collective process, necessary to the progressive emergence of a territory, which must endow with the capacity of self-analysis, of watch and development of a shared consciousness and a proper identity. Actors in the same territory must be in daily contact with each other because of their spatial proximity, which contributes to the strengthening of a shared territoriality(Pierre MAUREL, 2012).

Our empirical research is in line with the current research on public action for the territorial planning and development of the city of Salé. Starting again from the Latin etymology of the term intelligence (inter ligere: to make the link), we join here Marie-Michèle Venturini and Yann Bertacchini who consider that the process

of territorial intelligence is: "the relevant pragmatic approach for the networking of the actors in particular in the sharing of territorial information". The main stake is the creation of territorial links for the emergence of the collective (Venturini. M.-M. et Y. Bertacchini, 2007).

The Evaluation of Territorial Intelligence

The two authors, Nadine Massard and Caroline Mehier emerge that there is "a new informational strategy of a territory" which is based on a science and technology dashboard in a territorial intelligence approach. Their vision concerns the establishment of a territorial cartography bringing data on the existing information sources and the accessibility to the knowledge that a territory offers, following a comparative analysis or (benchmarking) of performance between the municipalities of the city and to measure the creative dynamics of the internal and external territorial actors for the implementation of territorial intelligence within a city or a given territory.

This dashboard is a management mechanism, an instrument of knowledge, a learning tool for the actors of the city, it is also a communication tool for the stakeholders of the territorial intelligence process (Massard N. et Mehier C., 2004).

In this sense, it is a question of bringing the modes of public management closer to those of private companies, following the dynamic spirit of evaluation and strategic steering in favour of a territory's public policies. As a result, according to Maurice Baslé: "Evaluation and intelligent public policies will increasingly go hand in hand when the results of evaluations are truly at the service of policy design or strategy research. Evaluations are tests of theories of action". Territorial policy evaluation theories are implicit and/or explicit in the visualization of central public policies at the local level with the implementation conventions (Baslé M., 2001).

Therefore, it is necessary to understand the territory or the city subject of the intelligence project, in order to describe and know "who" does "what", following the method of David Autissier and Jean-Michel Moutot, who propose the "R.A.C.I." method to carry out analyses of a territorial organization, its role and its responsibility. R.A.C.I means (Autissier D. et Moutot J.-M., 2004):

- R for "Responsible"; Actor who is responsible for carrying out the activity.
- A for "Acountable"; Actor who assumes overall responsibility for the activity and the associated consequences.
- C for "Consulted"; Actor who is necessarily consulted to carry out the activity.
- I for "Informed"; Actor who is informed about the activity, but who is not involved in its execution.

This process allows to identify the different activities of an intelligence process in a territorial organization, through the intersections between activities and actors. By what any activity is, attached to a certain number of territorial actors whose roles are qualified by the method (R.A.C.I). As a result, the authors, David Autissier and Jean-Michel Moutot, propose the following matrix; V i, j = (R, A, C, I), to show, in columns (j) the actors and in line (i) the activities, so that. The table below illustrates the authors' proposal (the R.A.C.I values are taken as an example) (See Table 2)

Table 2 : Activity x Actors (RACI)
Source : (Autissier D. et Moutot J.-M., 2004)

	Acteur 1	Acteur 2	Acteur 3	Acteur n
Activité 1	A	I	R	C
Activité 2	R	I	A	C
Activité 3	I	A	C	R
Activité n	I	I	A	I

This actor/activities matrix recognizes the participation of the territorial actors, it is a grid of deciphering of the roles and activities of the agents in the territorial collectivity subject of intelligence, and it is a mechanism that admits the highlighting of the difficulties harmful to the process of installation of the territorial intelligence within a city like the one of Salé. The vertical reading (column) of the matrix provides a job card, that is to say the sum of the activities of a person, and the horizontal reading shows the contributors to an activity. In this vision, a new process of the territorial intelligence system is constituted of a new activist sum, which completes this matrix by new innovations and inventions related to the subject territory of intelligence.

For the modelling of a function for the evaluation of the potential for local action the research groups M.A.I.N.A.T.E. (Management of Information Applied to the Territory) initiated in 1997 and continued with the G.O.I.N.G. Group. (Group of Investigations of New Governance), the TRADER programme (From Territory to Territoriality) and the @MEDIATIC programme (Media and Technologies of Collective Intelligence) have initiated an attempt to model the potential for local action at a territorial level, which has been the subject of partial publications and doctoral research applications on different territories, both national and international. Their proposals consisted in the presentation and application of the function

(F1) of evaluation of the local action potential possessed by a territory that plans to define and then implement a development plan and to integrate a dynamic in the meta-model that allows the comparison of the action potential between two territories A & B (Yann Bertacchini Y. , 2012).

Following the questionnaire studied by Mr. Yann BERTACHINI, he proposed the modelling function F (l) which represents the sum of the results of a questionnaire and N represents the total number of questionnaires:

$$F = \sum_{l=1}^{N} F_l \qquad F_l = \sum_{i=j}^{3} \left(\frac{\prod_{j=1}^{nj} Cij}{m_i} \right)$$

With Cij equal to the measure corresponding to condition j belonging to plane i and

Some of the measures corresponding to the conditions belonging to plan i

$$mi = \sum_{j=1}^{nj} Cij \qquad \left(i \in \{I, II, III\}\right)$$

Mr. Yann BERTACHINI and the other researchers presented a modelling test and located their work within the territorial intelligence by carrying out an introductory report on the relation of the device and organization which poses the distance in the centre of the analysis framework to understand the basis of the territorial intelligence, on the one hand, then the logic of their modelling and its perspectives, on the other hand (Yann Bertacchini Y. , 2012).

Territorial intelligence: Between communication and information for the sharing of knowledge indicators

For David Autissier and Jean-Michel Moutot (2003, p129), the communication pillars interact with the cognitive system of the receptors; they propose to distinguish between targets and the desired level of interactivity. In this perspective, the two authors present a figure below whose abscissa is the interactivity

and the ordinate represents the collective level (David AUTISSIER et Jean-Michel MOUTOT, 2007) (see Figure 2)

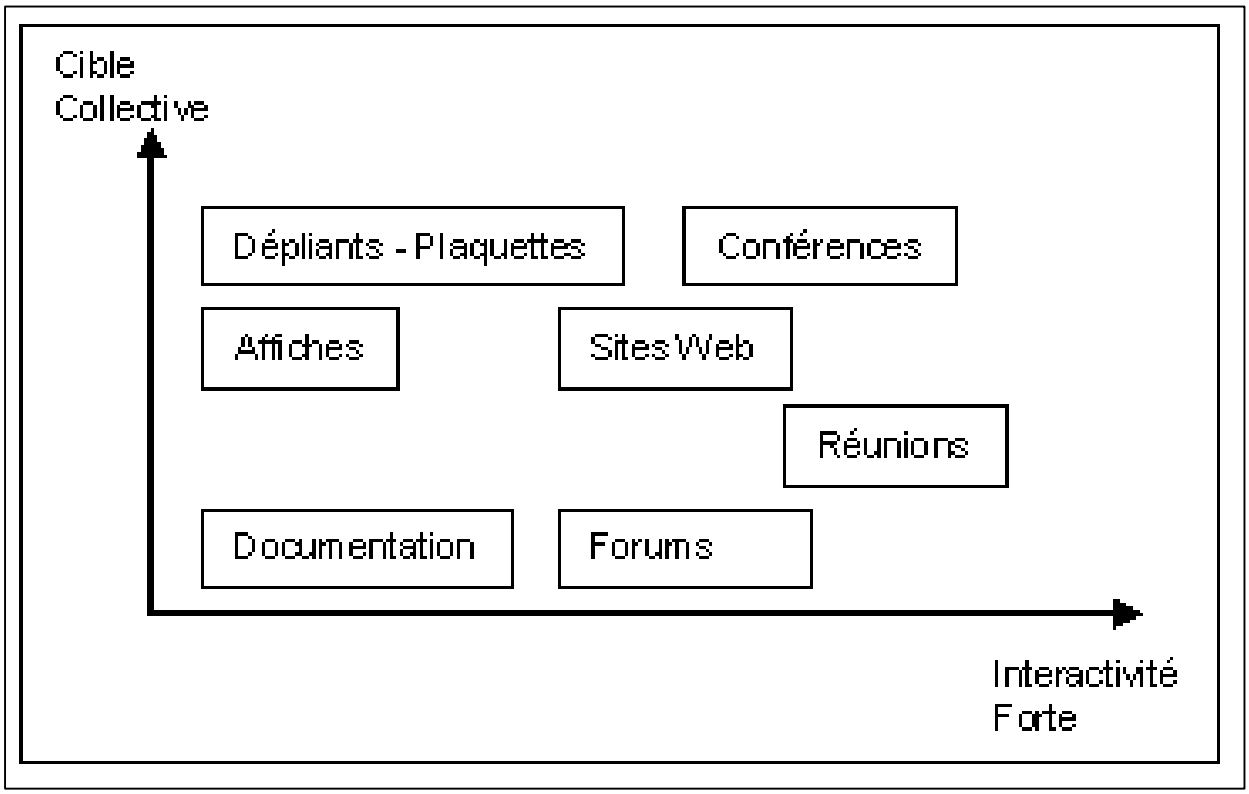

Figure 2 : Le support de communication
Source : (Autissier D. et Moutot J.-M., 2004)

For Yann Bertacchini, the presentation of his empirical method produces a conceptual framework which takes the form of a model of territorial intelligence based on three postulates of communication and information that is (Bertacchini Yann B. , 2004b):

The exchange of information between territorial actors;

The granting of budgetary credit to information and communication in the territory;

The establishment of communic ation and information networks between the actors of the territory for the exchange and transfer of their competences.

Therefore, the creation of territorial informational contents is part of collective communication processes; i.e. discussion forums, forums of expression, hybrid forums, therefore communication can take several other forms such as the web portal, territorial database platform or Territorial Information Systems (T.I.S.) (Bertacchini Yann B. , 2004b).

For Michel Arnaud (2004, pp7-9), Territorial Information Systems (T.I.S.) order, facilitate and improve information speculations between the different actors of the city and the citizens, the author sees that T.I.S. are systems providing reliable data of a territory or a city, he stipulates in the same sense that: "Territorial Information Systems manage the databases of the corresponding administrative services. The interconnection of databases is synonymous with greater reactivity and adaptability of the response of services to user demand" (Arnaud Michel, 2004).

In addition to these positive effects, the implementation of an IT system is necessary for the development of a territory, it requires a collective mobilization and involvement of the territorial actors through a transversal and hierarchical management. To this end, the author Jean-Yves Prax proposes a steering structure for the construction of a territorial information system (Jean-Yves Prax, 2002) (Details in Figure 3).

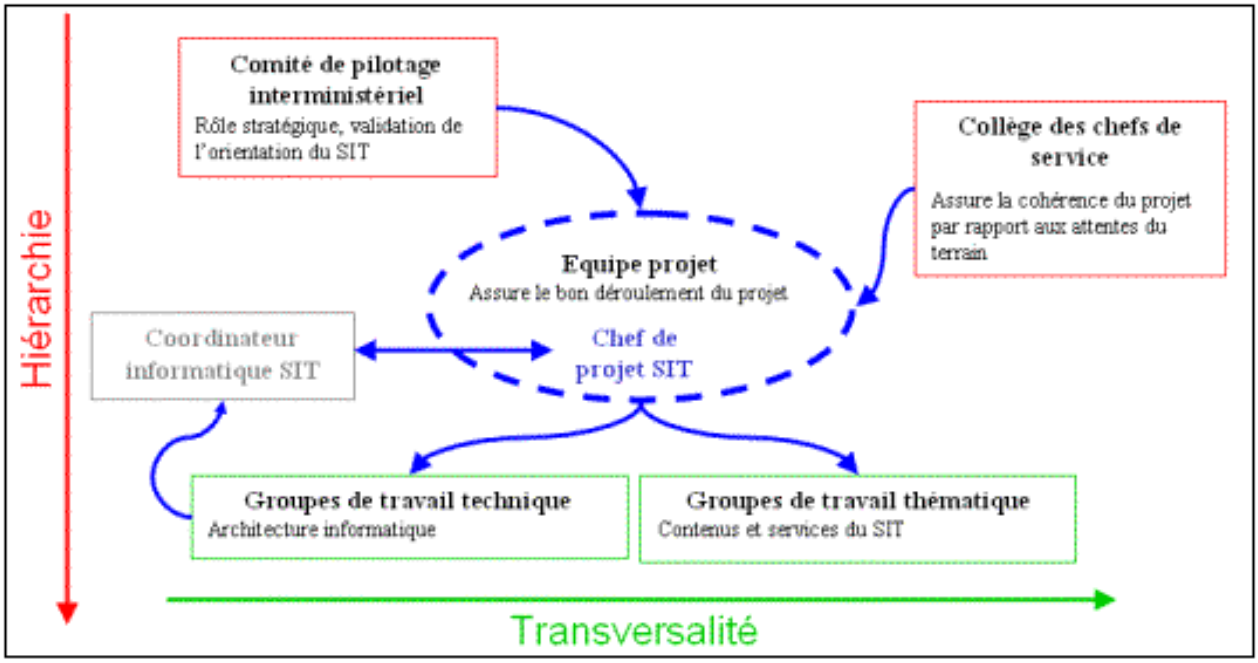

Source Jean-Yves Prax (2002)

Figure 3 : Organisation pour construire un S.I.T (Jean-Yves Prax, 2002)

The epistemology of the evolution of an IT system involves the analysis of the expectations of territorial citizens, based on surveys and the identification of performance and management criteria for people, knowledge and technological tools, for more effective public action. The strategic investment of a S.I.T. is to respond to the expectations of the territorial actors who benefit from adequate and quality information. Jean-Yves Prax relies on the identification of the origins of the information, to guarantee the quality of the information thanks to the editorial regulations, to determine the basic claims from the date of the launch of the S.I.T. platform. As a collaborative process of territorial intelligence that will lead to the construction of a virtual territorial entity.

The territorial information system is the support of the process of territorial economic intelligence (T.E.I.). The computerization of the automat able part of the latter takes the form of a collaborative portal.

Eventually, the process of territorial economic intelligence leads to the construction of a virtual territorial community (Jean-Yves Prax, 2002).

The S.I.T. must be fed collectively and spontaneously by all the territorial actors, according to their usefulness for the regular functioning of the collective database. This platform must be supplemented by specific information searches and by the usual information flows and monitored by administrators so that the quality of the sources is in line with territorial expectations.

Mr. Philippe Herbaux, advanced in his survey that: "The process of territorial intelligence is dependent on a priority treatment of information on economic fields". Whose answers highlighted the advantage of the data by the public on a gradation of ruptures and threats within the problem of employment (27%) and highlighted, with 46% of the territorial population, the problems of security. The impact of economic events on individual lifestyles corroborates this attitude with 47% of the population questioned (H. Philippe., 2006)..

In effect, the inscription of territorial citizens in a collective is mainly located in the articulation between the processes of integration and regulation, this dynamic generates an interval within which are distinguished empirical types of community collective characterized by predetermined memberships and a strong sense of identity generated by the top-down territorial intelligence approaches that will be interested in the creation of a passionate collective through the sharing of information and knowledge, whereas the ascending territorial intelligence will have as a major problem the contractual elaboration of a member collective with a strong degree of commitment and belonging of its members, which will be interested in the development of interactions and trust between the members towards the pursuit of a common finality of the territory of the city with its socio-economic actors (Breton P., 2006).

Therefore, territorial intelligence, in the sense of the collective process, participates in the vision of the socio-economic development of the territory in which the alliance of the actors becomes the key of a successful

determination, favours the co-operations outside the market and the elaboration of resources built according to an endogenous logic, defining the democratic territorial projects, out of the influence of the markets and the public authorities and in communication with the civil society. The choice of solidarity and participation multiplies the number of participants in the process of co-construction of proposals and decisions, and commits the future of the territory of the city of intelligent Salé (Curé F., 2009).

Conclusion

This paper has allowed us to present a comprehensive empirical process for smart city management. This process has implemented evolution and evaluation methods, as well as analysis tools.

It also facilitates decision-making for different scenarios such as administration, experts, urban service providers, city managers, users and others.

In addition, this paper presented the Sunrise-Smart-demonstration platform, as a data communication medium, which includes different types of data (GIS, Bim, sensor data, etc.) concerning the Scientific Campus of the University of Lille. This platform also offers analysis and visualization tools that allow to observe carefully the collected data and make them exhaustive. As well as, Territorial Information Systems (T.I.S.), which order, facilitate and improve information speculation between the different actors of the city and the inhabitants,

We noticed, from the empirical research already quoted, that territorial intelligence is an organized process that involves organizational forms in a cooperative social system. The multi-level crossings, of the different actors of the city of Salé, involve the socioeconomic, public and private networks, whether internal or external, in multiple dimensions of organization that develop outside the hierarchical structures or classic organization charts in a territorial collectivity. From another point of view, the intelligence of the city of Salé is based on the competences and objectives of the installed process of territorial intelligence, combining

particular and collective interests and uniting the same common goals and objectives, which can sometimes take second place to particular needs. Therefore, the framework of this empirical process of territorial intelligence goes through the methodology of the governance of the administrative systems and the piloting of the human structures following the particular engineering, the good management of the territorial development programs and the crossing between the actors (internal / external or external / internal).

Conflict of interest statement

The author declare that no conflicts of interest to disclose.

References

Arnaud Michel, A. (2004). "La nécessaire modification de la relation administrative avec l'arrivée des TIC " . - ISDM 16 - Article 162 - May, 12p.

Autissier D. and Moutot J.-M., A. (2004). Change management practices . Paris :: Dunod - 2004 - 248 p.

Barabel M. and Meier O., B. (2004). "Le métier de manager aujourd'hui". - Cahier français - " comprendre le management " - N°32 - 95p - July/August 2004, (pp64-68).

Baslé M., B. (2001). "L'évaluation des politiques publiques: sa nature, ses métiers, sa mise en œuvre et ses besoins" -. Retrieved from http://www.sqep.ca: http://www.sqep.ca/archives/presentations/Baslem_colsqep01.pdf

Bertacchini Yann, B. (2004b). "Entre information & processus de communication : l'intelligence territoriale". - ISDM 16 - Article N°156 - May 2004 - 11p.

Bertacchini, Y. (2000). 2000, "Information et veille territoriales : représentation du complexe local et émergence d'un projet d'intelligence territoriale", . PhD thesis in Information and Communication Sciences. University of Aix-Marseille III, Lab.

Breton P., B. (2006). "What have we been planning for 25 years? », . Terminal, 93-94, pp. 25-33.

Curé F., C. (2009, October 21). Guest of the program "Carnet de campagne", . Retrieved on bleuforet: http://www.bleuforet.fr/fr/bleu-foret.

David AUTISSIER and Jean-Michel MOUTOT. (2007). Method of change management, Diagnosis, coaching and steering. Paris: DUNOD.

H. Philippe, H. (2006). Lecture given at the 15th SFSIC Congress. Bordeaux;.

Harbulot C. and Baumard P., H. (1997). "A Historical Perspective on Economic Intelligence. Article published in the 1st issue of the journal Intelligence économique -, 6.

Herbaux P. and Richard C., H. (2002). "L'intelligence économique, outil du pacte territorial dans les pays du Pévèle " . Colloque ASRDLF - Université du Québec à Trois Rivières (canada), August 21-23, 2002. Quebec City .

Jean-Yves Prax, J. (2002). Le Management territorial à l'ère des réseaux. In J.-Y. Prax, Le Management territorial à l'ère des réseaux.

Le Moigne Jean-Louis. (2003). Le constructivisme. tome II Epistémologie de l'interdisciplinarité. L'Harmattan , 264.

Levy, P. (1994). L'intelligence collective. Pour une anthropologie du cyberespace, . Paris, La Découverte, 29.

Massard N. and Mehier C., M. (2004). "Le rôle des tableaux de bords de la science et de la technologie dans une démarche d'intelligence économique territoriale. STOICA - Working Paper (INSA Lyon) N°2004-10_23 December 2004, 29 pages .

Pierre MAUREL. (2012, 06 26). Signs, Data and Spatial Representations: Elements of Meaning in the Development of an Intercommunal Territorial Project. Application to the territory of Thau . Toulon, France/South.

Venturini. M.-M. and Y. Bertacchini. (2007). "De la circulation et du mesillage des données territoriales à la construction des savoirs", Collection Les ETIC. Technologiques, P. (Dir.), Toulon,. Collection Les ETIC. Technologiques, P. (Dir.), Toulon, Bertacchini, Yann, p.134-144.

Yann Bertacchini, Y. (2012). Acteurs-réseau et Territoire-Système: modélisation pour l'évaluation du potentiel d'action locale. International Journal of Economic Intelligence (R2IE) 4 (2012) 33-51, 33-55.

Changements climatiques et leurs impacts dans la région du Gharb,Maroc.

التغيرات المناخية وانعكاساتها في منطقة الغرب، بالمغرب.

Ajlal Sanae, étudiante doctorante dans la faculté des sciences humaines et sociales université ibn tofail Kenitra, Maroc

sanaerahil@gmail.com

Agoutime Zakaria, étudiant doctorant dans la faculté des sciences humaines et sociales université ibn tofail Kenitra, Maroc

z.agoutime@gmail.com

الملخص: تهدف الدراسة التي نحن بصددها، القيام بدراسة مناخية من أجل إظهار إذا كان هناك وجود تغير مناخي في منطقة الغرب في السنوات الأخيرة، للقيام بذلك، قمنا بجمع السلسلة المناخية المتعلقة بالتساقطات ودرجة الحرارة بالمحطات التالية: سيدي علال تازي، مشرع بلقصيري، المناصرة، زرارة.

يُظهر التحليل للسلسلة الإحصائية التي تمتد على فترة ثلاثين سنة من 1986الى 2016، على وجود تغير مناخي واضح، ويتميز هذا بتحول موسمي في عدم انتظام التسقطات ودرجة الحرارة، إذ ينتج عنه تأثير سلبي على البيئة، و تعتبر الفيضانات وحالات الجفاف المتكررة خلال الفترة 1986-2016 من أهم الآثار التي حدثت في منطقة دراستنا.

الكلمات المفاتيح: التغيرات المناخية، التأثير، التساقطات، الحرارة.

Résumé:L'étude présente se propose d'examiner l'existence éventuelle d'un changement climatique dans la région du Gharb au cours des dernières années. Pour se faire nous avons procédé à la collecte de données climatiques concernant la pluviométrie et la température dans les stations suivantes de l'ORMVAG : SIDI ALLAL TAZI, MECHRAA BELKSIRI, MENASRA, ZIRARA.

L'analyse statistique des données couvrant une période de trente ans 1986-2016 montrent avec certitude l'existence d'un changement climatique apparent. Celui-ci se caractérise par un décalage saisonnier de la pluviométrie et de la température et se traduit par un impact négatif sur l'environnement. Les inondations et les sècheresses répétitives pendant la période 1986-2016 sont les impacts les plus importants qu'a connus la zone de notre étude.

.Mots clés: Changements climatiques, impacts, pluviométrie, température

I- Introduction

Les phénomènes de changement climatique acquièrent de nos jours une importance vitale. Les impacts négatifs de l'effet de serre, le réchauffement de la terre et la fonte des glaces inquiètent les savants et les experts de l'environnement. Ceux-ci prévoient des catastrophes naturelles telles que de forts tsunamis inondations qui vont envahir la terre ainsi qu'une élévation importante du niveau de la mer.

Plusieurs études ont tenté mettre en évidence l'existence d'un changement climatique et leurs impacts sur les ressources en eau dans des différentes régions au Maroc et plus précisément dans la région du Gharb : rapport interne du ministère de l'aménagement du territoire National, de l'urbanisme, de l'habitat et de la politique de la ville2019 ; Salah Ouhamdouch et al. 2017 ; Moulay Driss El jihad et al. 2014 ; Rapport de synthèse de l'IRES 2014 ; Jamal Alibou 2002 ; ...etc.

Notre étude se propose d'évaluer l'existence éventuelle d'un changement climatique dans la région du Gharb, en se basant sur des mesures de pluviométrie et de température, s'étalant sur une période de 30 années, dans quatre stations localisées dans la région du Gharb.

Pour ce faire nous avons procédé à la collecte de données climatiques de terrain auprès de l'Office Régional de Mise en Valeur Agricole du Gharb (ORMVAG)puis le traitement et l'analyse statistique de ces données. Enfin, nous avons tenté de discuter et d'interpréter les résultats obtenus à l'issue de cette analyse.

II- Changement climatique dans la zone d'étude

a- Description de la zone d'étude :

Le terrain choisi pour l'accomplissement de la présente étude est la zone d'action de l'ORMVAG comme indiqué dans la figure 1. Cette zone chevauche sur les provinces : Kenitra, Sidi Slimane et Sidi Kacem. Elle coiffe 12 cercles et 41 communes rurales. Elle en globe six stations de collecte : SIDI ALLAL TAZI, MECHRAA BELKSIRI, MENASRA, ZIRARA.(Fig.1)[395].

[395] Monographie 2016 de l'OREMVAG.

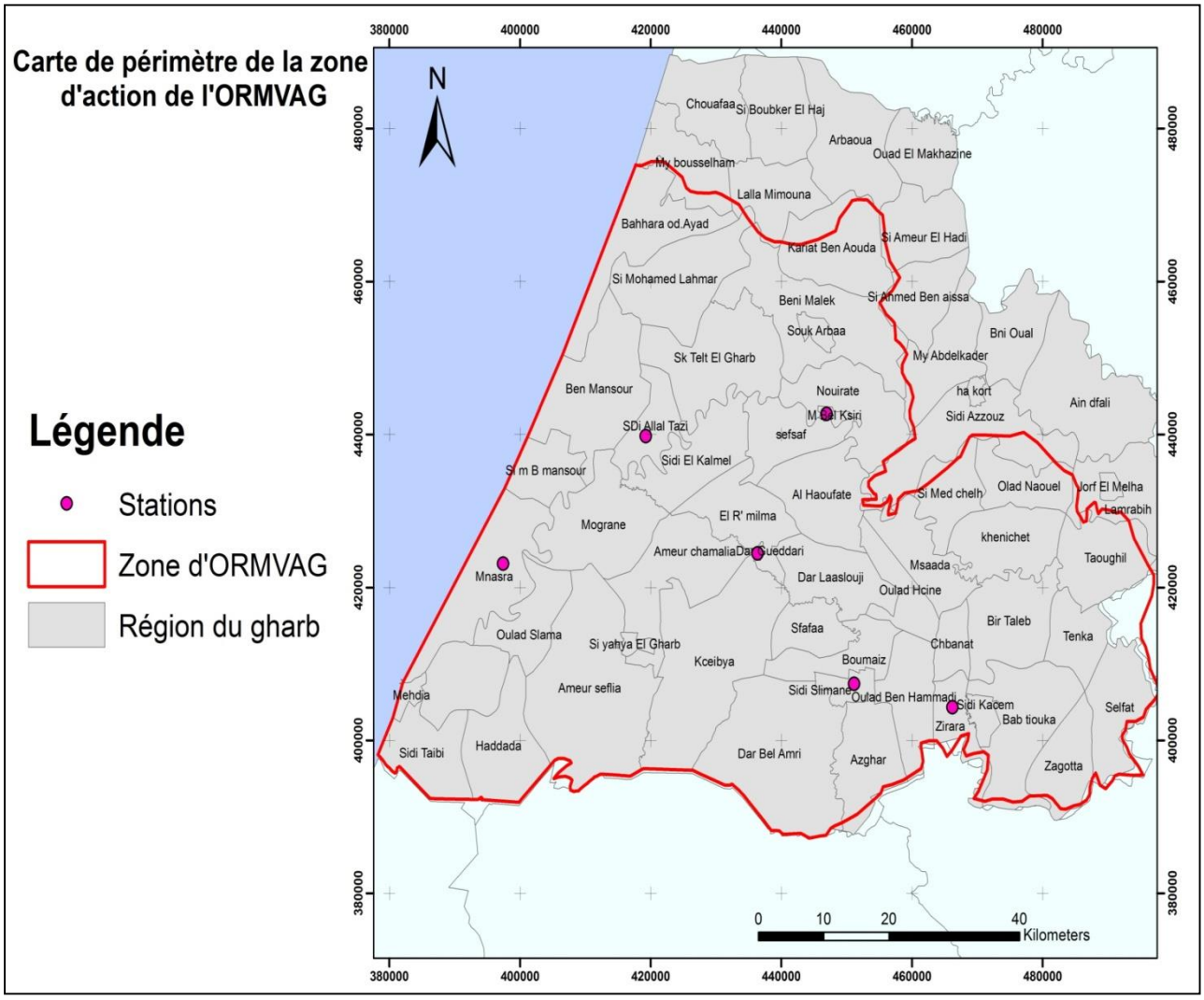

Figure 1: Carte de périmètre de la zone d'action OREMVAG en 2016.

b- Mise en évidence le changement climatique dans la région du Gharb :

➢ Méthodologie de travail :

1- La collecte des données :

Les mesures fournies par l'ORMVAG sont des mesures de pluviométrie et de température enregistrées dans six stations (SIDI ALLAL TAZI, MENASRA, MECHRAA BELKSIRI, DAR ELGUEDDARI, SIDI

SLIMANE, ZIRARA). Après examens des données existantes, nous avons éliminé les stations de Dar Elgueddari et Sidi Slimane en raison du manque de mesures de terrain pendant plusieurs années.

Les stations retenues : SIDI ALLAL TAZI, MECHRAA BELKSIRI, MENASRA, ZIRARA, sont représentatives des différentes zones climatiques prévalant dans la zone étudiée. Ainsi, la station MENASRA couvre la zone humide de la région, la station SIDI ALLAL TAZI, et BELKSIRI couvrent la zone centrale, enfin ZIRARA couvre la zone aride du Gharb.

Les données fournies pour les quarte stations sélectionnées s'étalent sur la période 1979 a 2016. En raison de la discontinuité des mesures pendant la période 1979-1986, nous avons choisi de garder la période 1986-2016 comme période adéquate pour l'accomplissement de notre étude.

2- Traitement des données brutes :

L'OMM (organisation mondiale de Météorologie) requiert une période s'étalant sur 30 ans pour effectuer une étude sur les changements climatiques et prouver l'existence de ces derniers. La présente étude traite des donnes climatiques de pluviométrie et de température pendant la période 1986-2016 et répond à cette condition.

Nous avons effectué l'analyse statistique des données climatiques sur trois paramètres concernant la pluviométrie et la température a savoir, La moyenne annuelle, la moyenne mensuelle et La moyenne saisonnière de chaque station.

1- La pluviométrie :

Les graphes ci-dessous représentent les variations des différents paramètres de pluviométrie dans la zone d'étude.

- La moyenne annuelle de pluviométrie en mm de la période 1986-2016 de chaque station.
- La moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de la période 1986-2016 de chaque station.

- La moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de la période 1986-2016 de chaque station.

- **La moyenne annuelle de pluviométrie en mm de Sidi Allal Tazi :**

Cette figure représente la série des enregistrements pluviométriques annuels au niveau de SIDI ALLAL TAZI couvrant la période de 1986 à 2016.

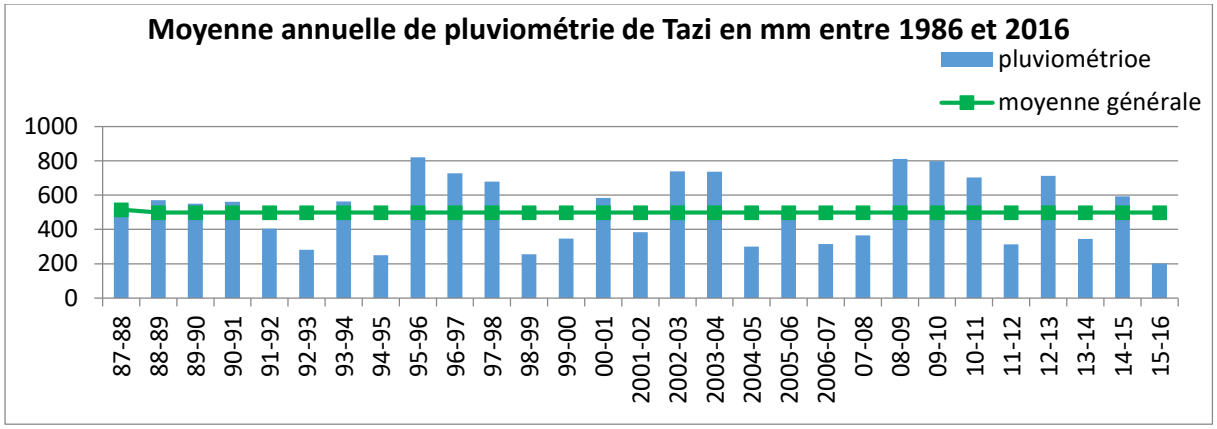

Figure 2: moyenne annuelle de pluviométrie en mm de Tazi.

- **La moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de Sidi Allal Tazi :**

La variation mensuelle des pluies au niveau de la station SIDI ALLAL TAZI pour la chronique 1986-2016 est illustrée dans la figure ci-dessous.

L'analyse de cette figure met en évidence une forte variabilité pluviométrique mensuelle

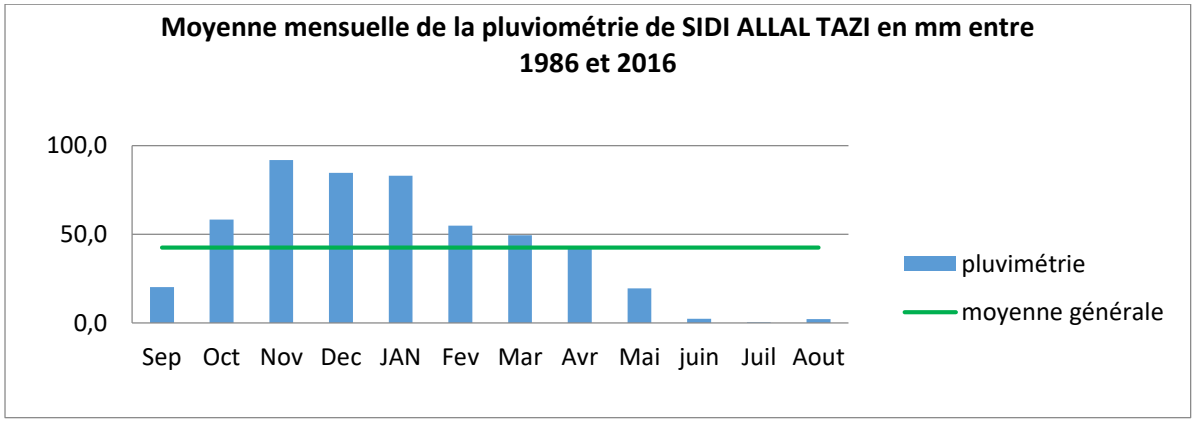

Figure 3: moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de Tazi.

- **La moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de Sidi Allal Tazi :**

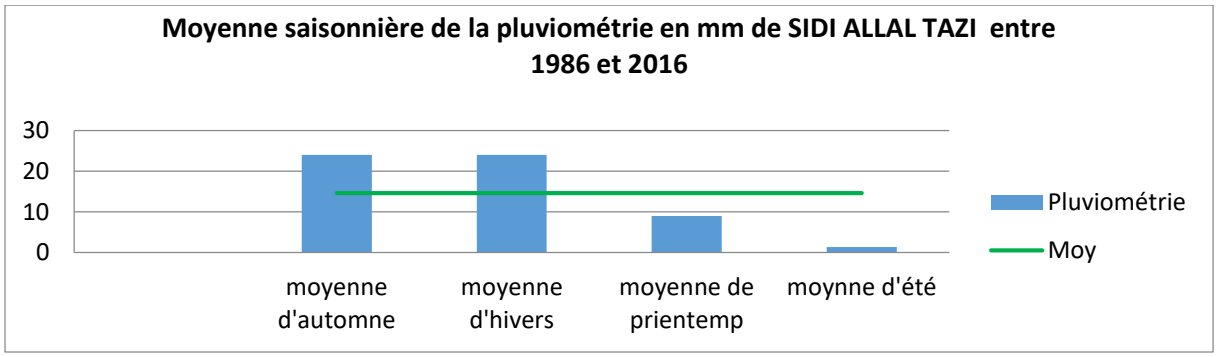

Figure 4: moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de Tazi.

- **La moyenne annuelle de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI :**

Cette figure représente la série des enregistrements pluviométriques annuels au niveau de MECHRAA BELKSIRI couvrant la période de 1986 à 2016.

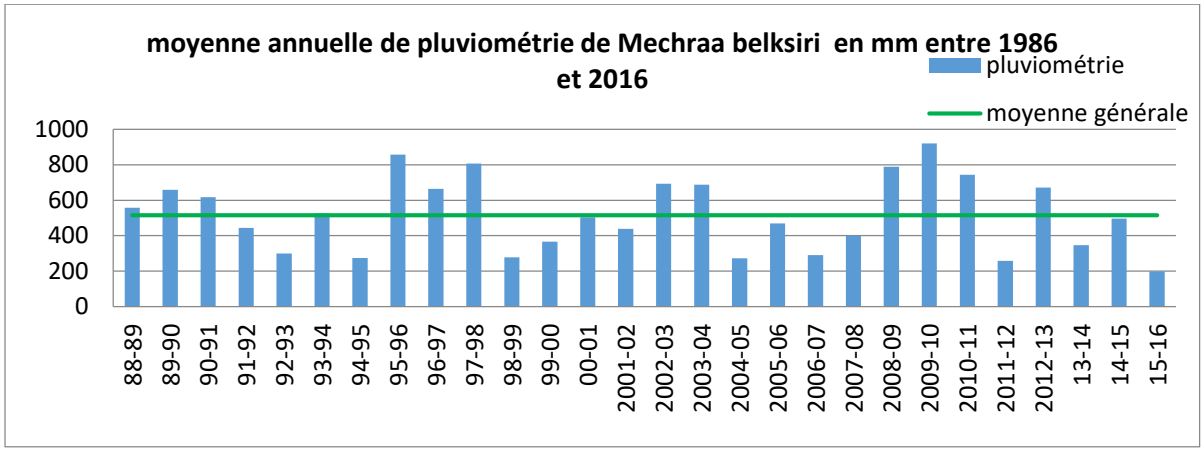

Figure 5: moyenne annuelle de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI :**

La variation mensuelle des pluies au niveau de la station MECHRAA BELKSIRI pour la chronique 1986-2016 est illustrée dans la figure ci-dessous.

L'analyse de cette figure met en évidence une forte variabilité pluviométrique mensuelle.

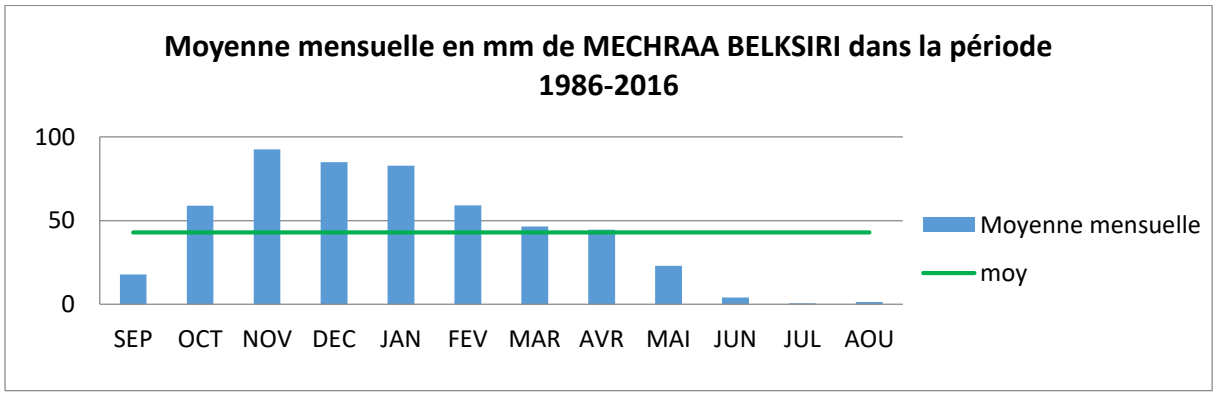

Figure 6: moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI:**

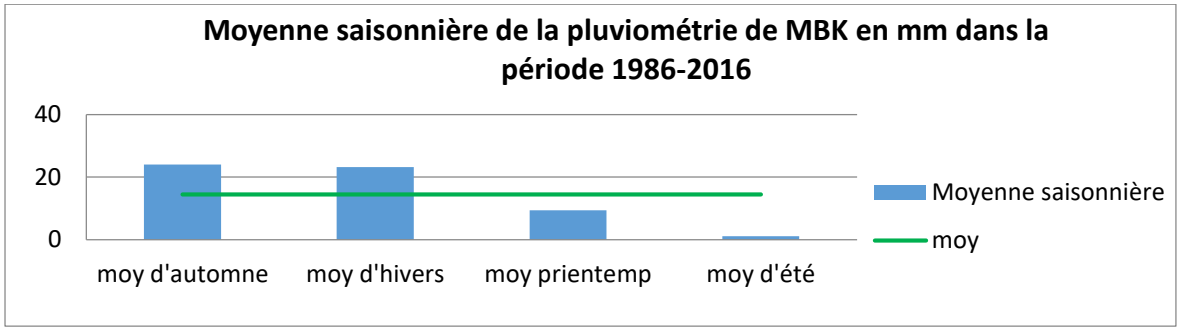

Figure 7: moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne annuelle de pluviométrie en mm de MENASRA :**

Cette figure représente la série des enregistrements pluviométriques annuels au niveau de MENASRA couvrant la période de 1986 à 2016.

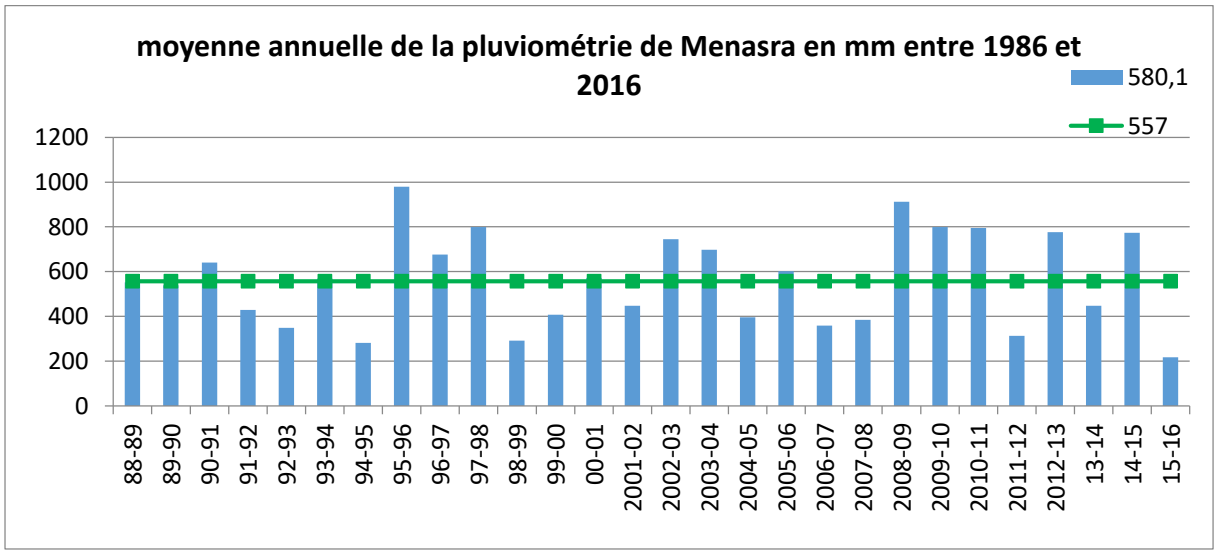

Figure 8: moyenne annuelle de pluviométrie en mm de MENASRA.

- **La moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de MENASRA :**

La variation mensuelle des pluies au niveau de la station MENASRA pour la période 1986-2016 est illustrée dans la figure ci-dessous.

L'analyse de cette figure met en évidence une forte variabilité pluviométrique mensuelle

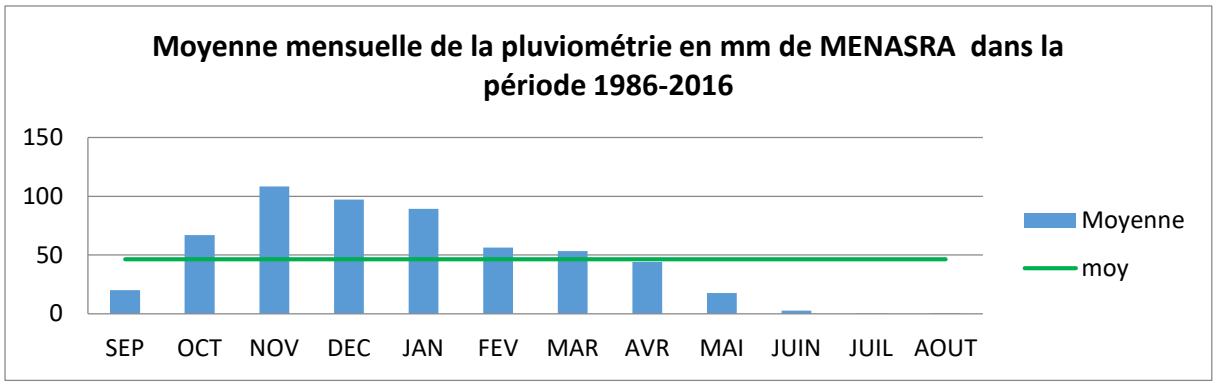

Figure 9: moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de MENASRA.

- **La moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de MENASRA :**

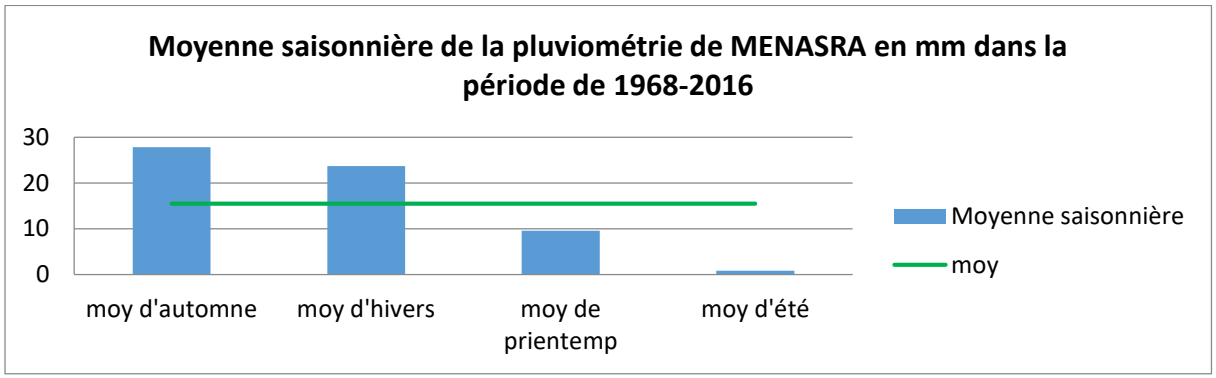

Figure 10: moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de MENASRA.

- **La moyenne annuelle de pluviométrie en mm de ZIRARA :**

Cette figure représente la série des enregistrements pluviométriques annuels au niveau de ZIRARA couvrant la période de 1986 à 2016.

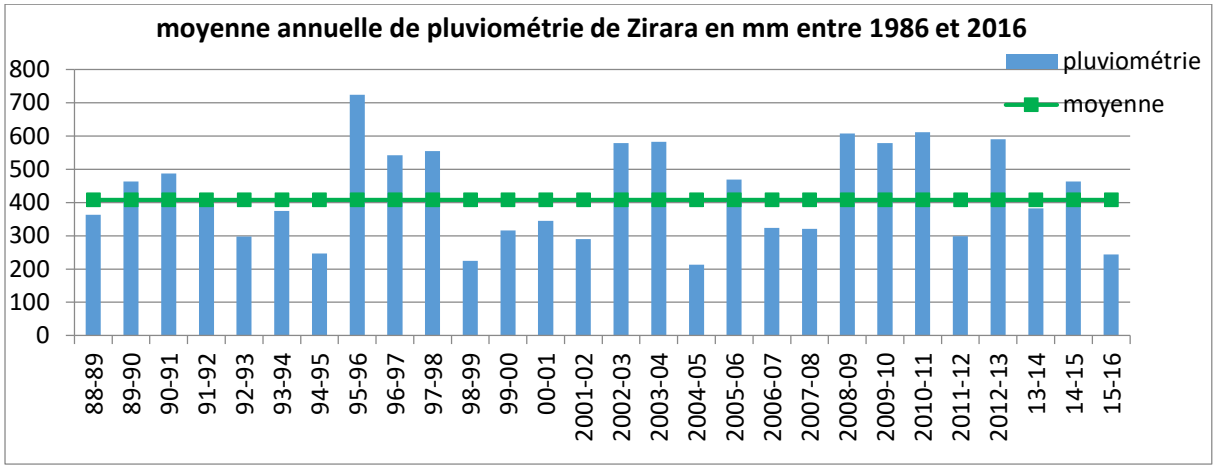

Figure 11: moyenne annuelle de pluviométrie en mm de ZIRARA.

- **La moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de ZIRARA :**

La variation mensuelle des pluies au niveau de la station ZIRARA pour la chronique 1986-2016 est illustrée dans la figure ci-dessous.

L'analyse de cette figure met en évidence une forte variabilité pluviométrique mensuelle

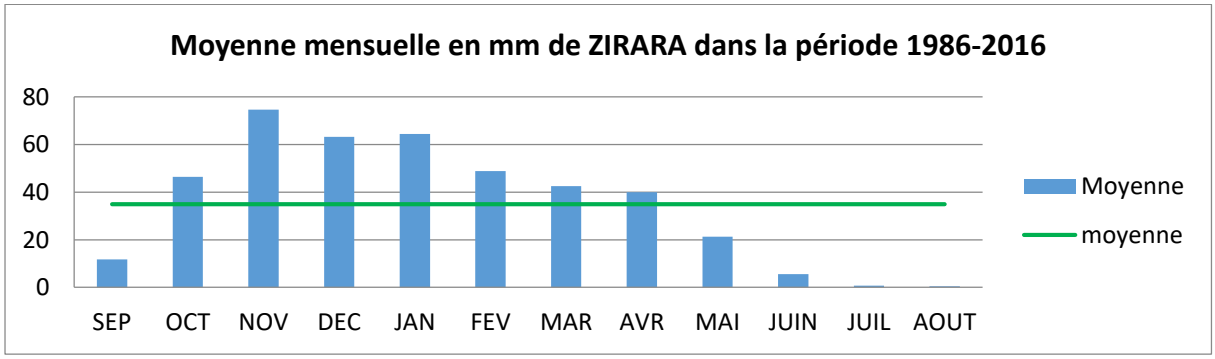

Figure 12 : moyenne mensuelle de pluviométrie en mm de ZIRARA.

- **La moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de ZIRARA :**

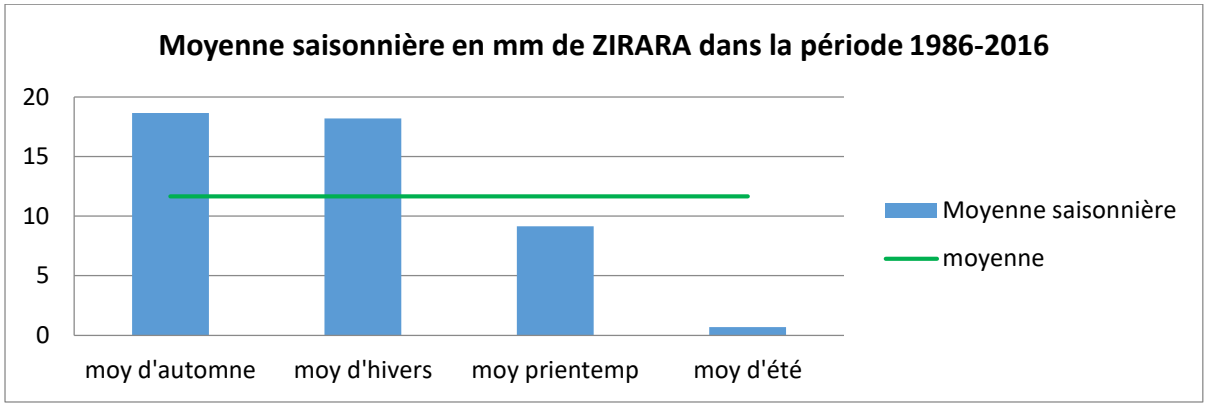

Figure 13: moyenne saisonnière de pluviométrie en mm de ZIRARA.

2- La température :

Les graphes ci-dessous représentent les variations des différents paramètres de température dans la zone d'étude.

- La moyenne annuelle de température en °C de la période 1986-2016 de chaque station.
- La moyenne mensuelle de température en °C de la période 1986-2016 de chaque station.
- La moyenne saisonnière de température en °C de la période 1986-2016 de chaque station.

- **La moyenne annuelle de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI :**

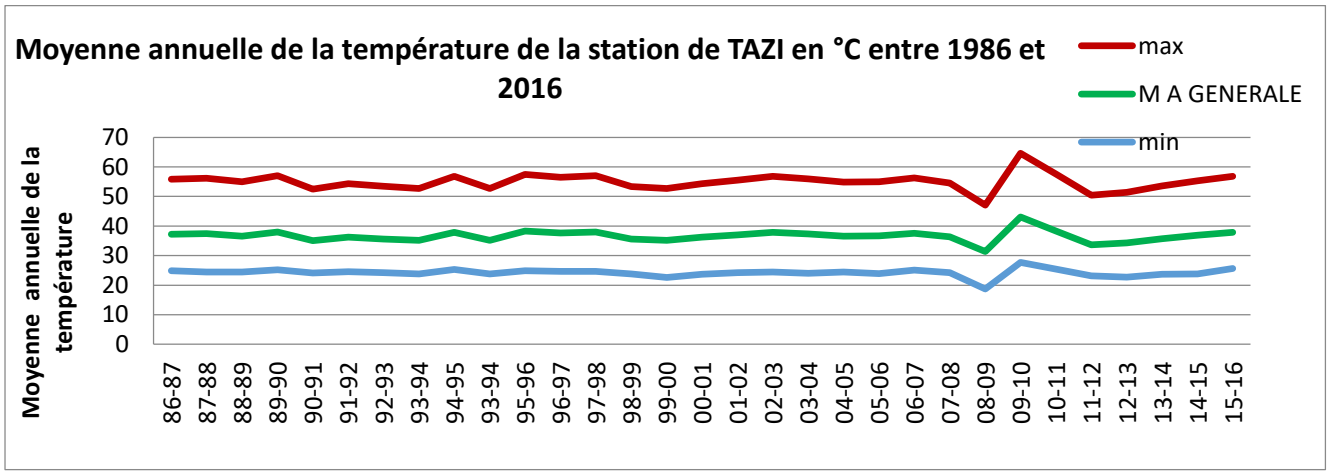

Figure 14: moyenne annuelle de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI.

- **La moyenne mensuelle de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI :**

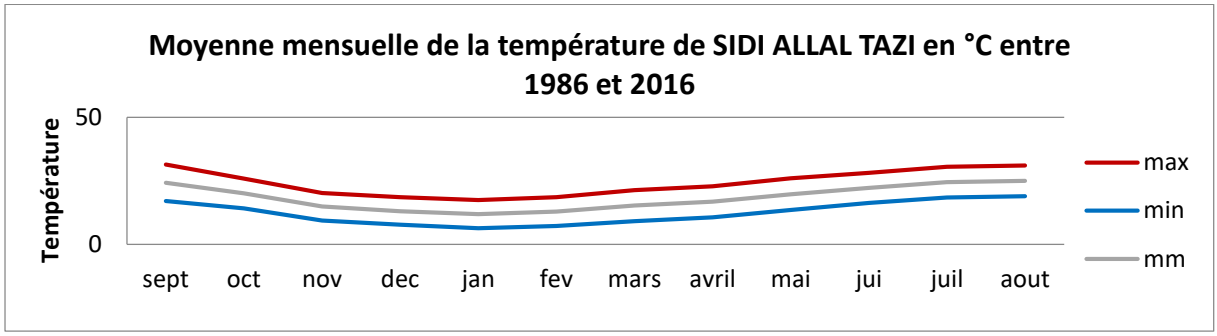

Figure 15: moyenne mensuelle de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI.

- **La moyenne saisonnière de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI :**

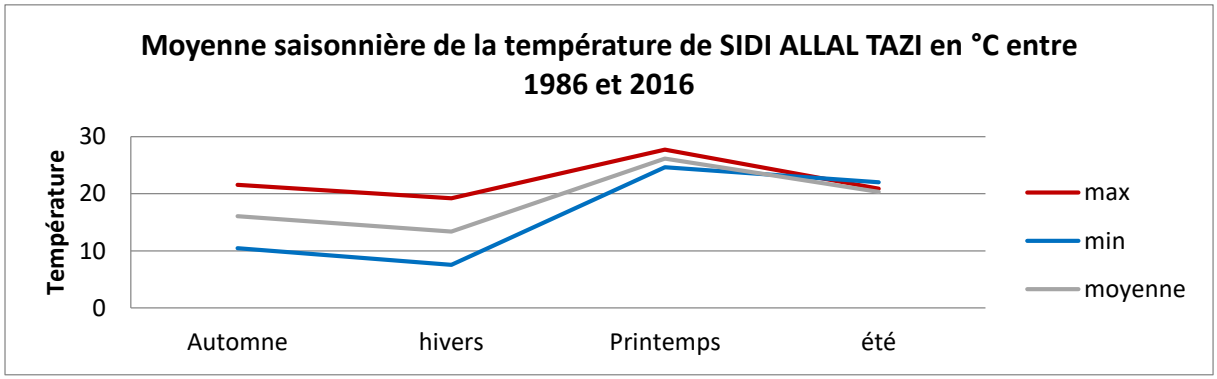

Figure 16: moyenne saisonnière de la température en °C de SIDI ALLAL TAZI.

- **La moyenne annuelle de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI :**

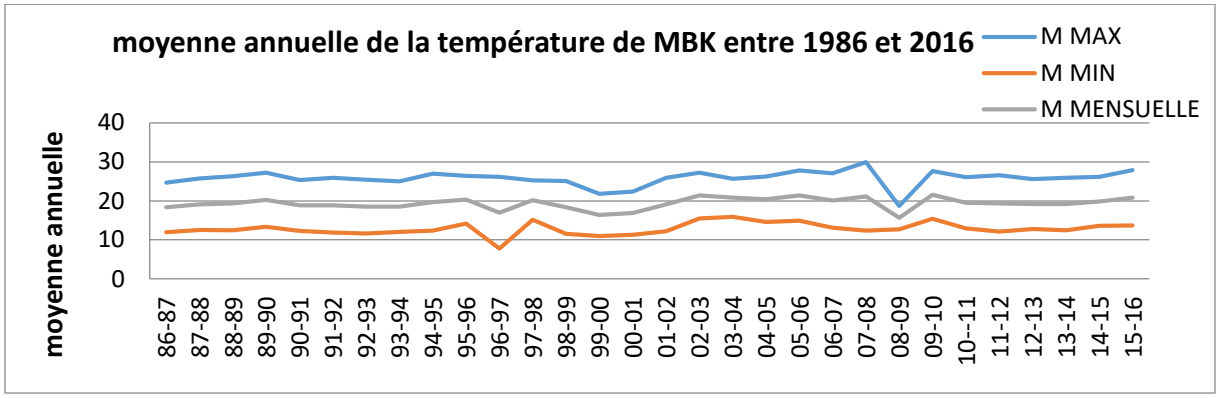

Figure 17: moyenne annelle de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne mensuelle de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI :**

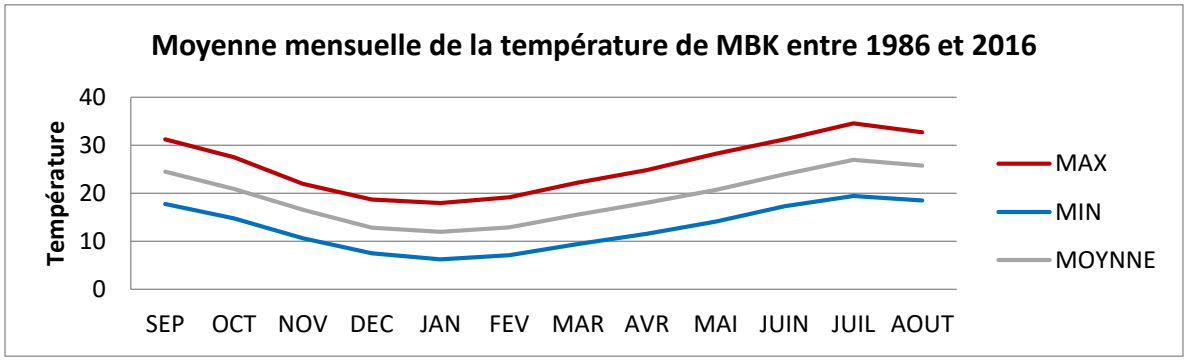

Figure 18: moyenne mensuelle de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne saisonnière de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI :**

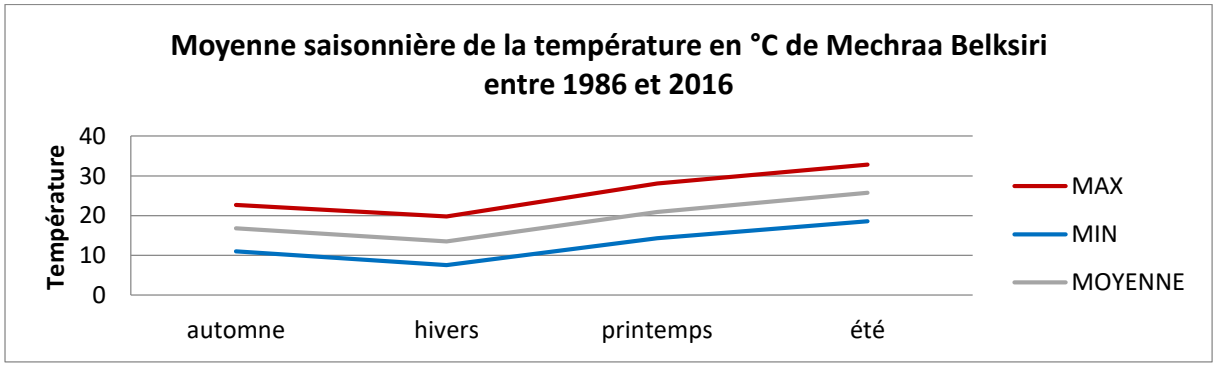

Figure 19: moyenne saisonnière de la température en °C de MECHRAA BELKSIRI.

- **La moyenne annuelle de la température en °C de MENASRA :**

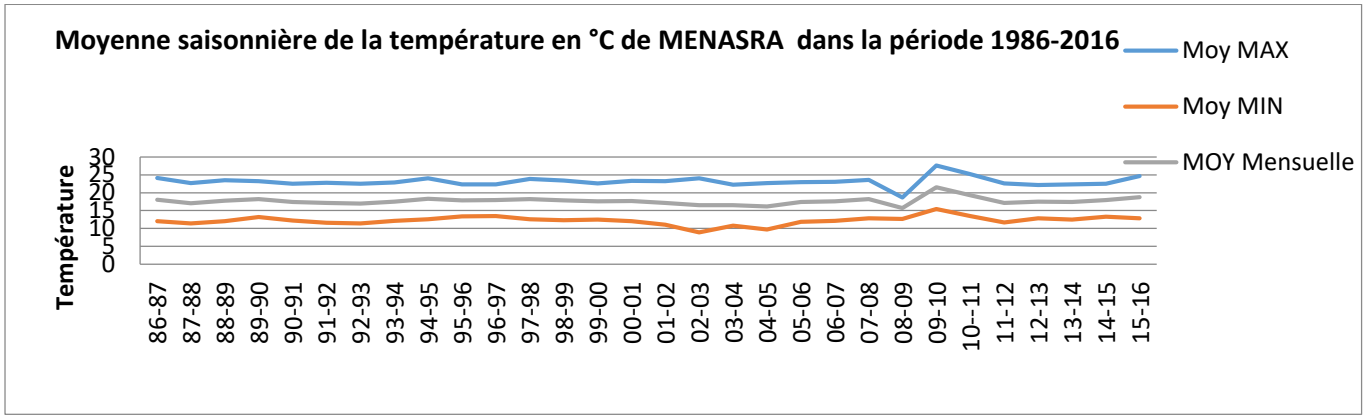

Figure 20: moyenne annuelle de la température en °C de MENASRA.

- **La moyenne mensuelle de la température en °C de MENASRA :**

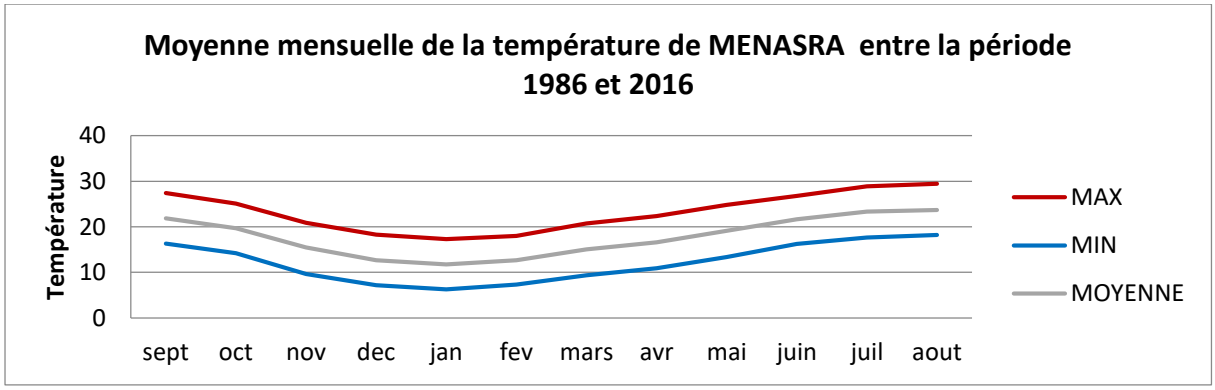

Figure 21: moyenne mensuelle de la température en °C de MENASRA.

- **La moyenne saisonnière de la température en °C de MENASRA :**

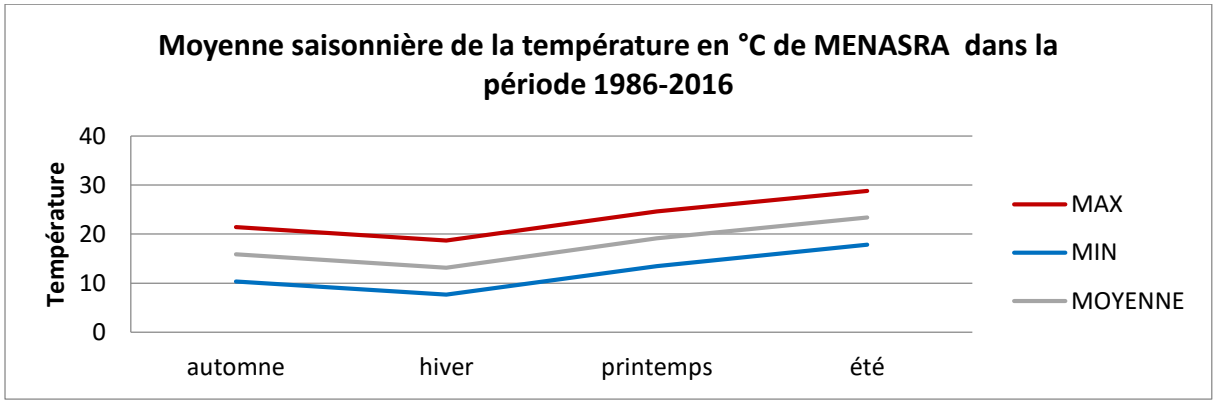

Figure 22: moyenne saisonnière de la température en °C de MENASRA.

- **La moyenne annuelle de la température en °C de ZIRARA :**

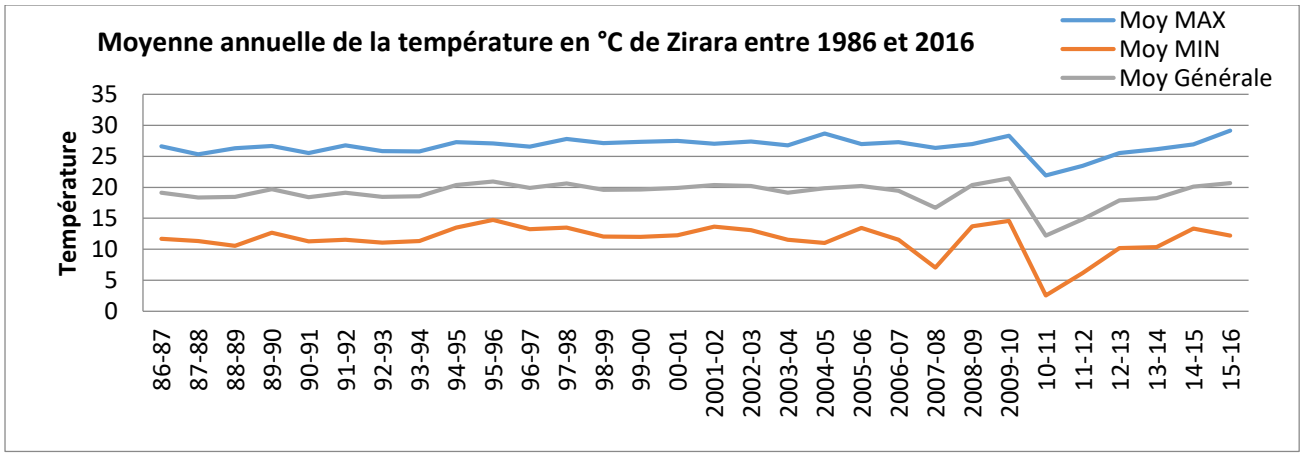

Figure 23: moyenne annuelle de la température en °C de ZIRARA.

- **La moyenne mensuelle de la température en °C de ZIRARA :**

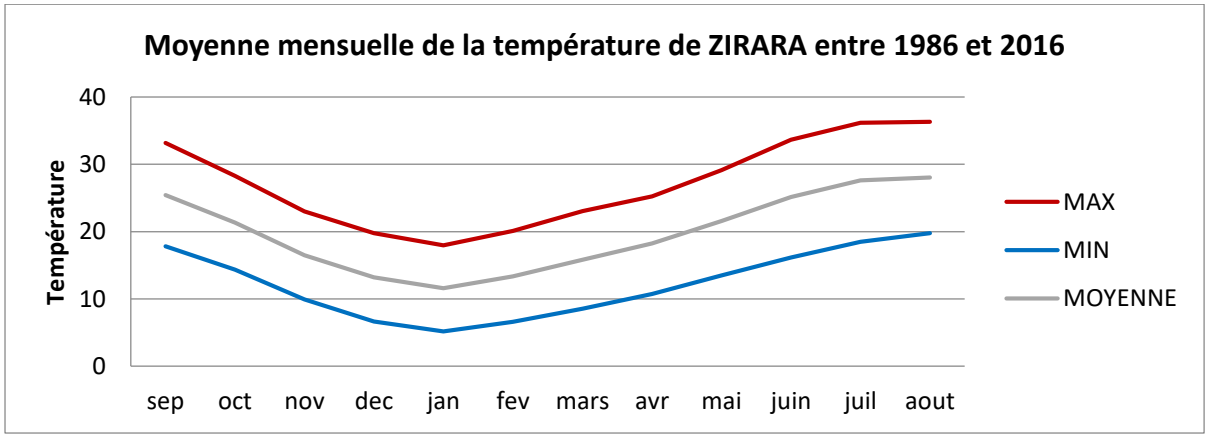

Figure 24: moyenne mensuelle de la température en °C de ZIRARA.

- **La moyenne saisonnière de la température en °C de ZIRARA :**

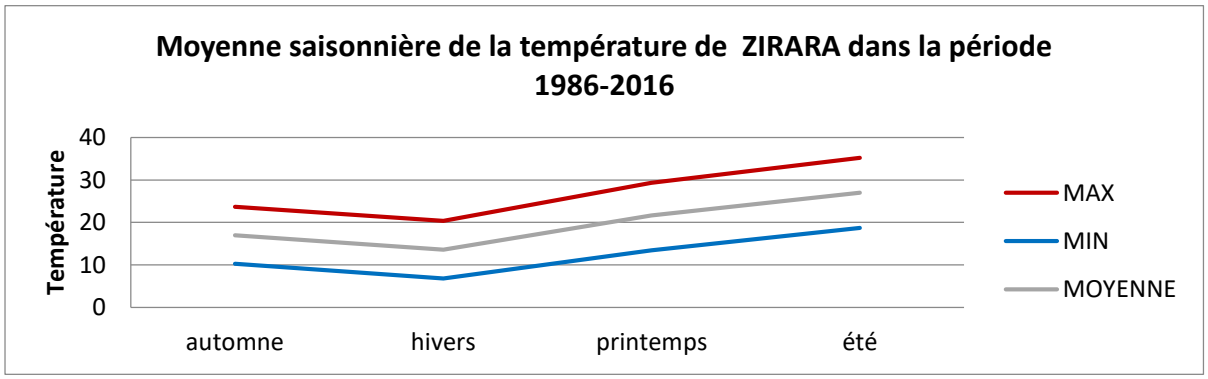

Figure 25: moyenne saisonnière de la température en °C de ZIRARA.

III- Discutions des résultats

Les tendances suivantes se dégagent des graphes relatifs à l'analyse des différentes stations :

- **La pluviométrie**

Toutes les stations présentent des années pluvieuses avec une pluviosité supérieure aux moyennes historiques enregistrées dans la région du Gharb (500-700 mm). Un maximum de 920mm a été

enregistré à Belksiri pendant 2009. D'ailleurs l 'année 2009 a connu des inondations dans toute la région du Gharb.

Nous constatons que les pluies sont décalées de l'hiver vers l'automne dans le temps pendant toute la période choisie pour l'étude. La région de Belksiri se distingue par un hiver relativement sec.

- **La température**

La moyenne annuelle de température varie entre 16 et 21 C. Nous constatons pour toutes les stations des températures moyennes très élevées par rapport à la moyenne historique (19,3 C selon les données de la météorologie). Les températures moyennes sont très fortes pour certaines années et peuvent atteindre une valeur de 22 C. Paradoxalement, certaines années connaissent une diminution excessive de température et peuvent atteindre 16 C.

A l'instar de la pluviométrie, la température a connu un décalage saisonnier remarquable, à savoir des étés relativement froids et humides et une augmentation de température pendant l'hiver résultant ainsi dans des périodes de sècheresse.

Tableau 1 : Projections des températures et des précipitations au nord du Maroc à des horizons différents du 21ème siècle par rapport à la période 1960-1990.

Période ou horizon	1961-1990	Horizon 2045		Horizon 2075	
Scénario		A1B*	B2**	A1B*	B2**
Températures (°C)	19,3	21,0	21,0	22,4	21,9
Précipitations (mm)	720	623	634	567	589

A1B* : scénario médian.

B2** : scénario plutôt optimiste.

Source : D'après Royaume du Maroc (2010) et Sécheresses saisonnières et changement climatique dansle Gharb (Maroc)Moulay-Driss El Jihad, Daniel Peyrusaubes, Aissa El Bouzidi.Numéro 4 – 2014

Revue électronique du laboratoire de Géographie« RURALITES » de l'Université de Poitiers.

IV- Conclusions

Toutes les stations montrent un décalage saisonnier de la pluviométrie et de la température assez remarquable. Les hivers sont devenus plus sec et moins pluvieux par rapport à l'automne. Par ailleurs les étés sont devenus plus humides et enregistrent des températures plus basses que les moyennes historiques de la région.

Ces décalages se sont traduits par des inondations occasionnelles et des sècheresses répétitives pendant la période 1986-2016.

Ainsi nous pouvons affirmer avec certitude que la région du Gharb a connu des changements climatiques apparents pendant la période 1986-2016, mis en évidence par l'analyse statistique des données climatiques fournies par l'ORMVAG. Ces changements ont certes eu un impact négatif sur l'environnement.

V- Références bibliographiques

- El Mehdi LAKRIKBA : La prévention des risques d'inondation à l'aide de la gestion foncière au Maroc ; Maîtrise en sciences géomantiques ; Québec, Canada ; 2015.
- Moulay-Driss El Jihad, Daniel Peyrusaubes, Aissa El Bouzidi : Sécheresses saisonnières et changement climatique dans le Gharb (Maroc) ; Laboratoire RURALITES, MSHS, Université de Poitiers ; Ruralités, numéro 4 - année 2014.
- ANTICIPATION ET GESTION DES RISQUES D'EVENEMENTS CLIMATIQUES EXTREMES ET DE CATASTROPHES NATURELLES AU MAROC ; Rapport de synthèse ; DECEMBRE 2014 ; IRES.
- Lammel Annamaria, Dugas Emilie et Guillen Gutierrez Elisa : L'apport de la psychologie cognitive à l'étude de l'adaptation aux changements climatique ; la revue électronique en sciences de l'environnement, Volume 12 Numéro 1 | mai 2012.

- Salah OUHAMDOUCH, Mohammed BAHIR, Paula Maria CARREIRA : Impact du changement climatique sur la ressource en eau en milieu semi-aride : exemple du bassin d'Essaouira (Maroc) ; Revue des sciences de l'eau ; le 24 août 2017.
- Pr Jamal ALIBOU ; IMPACTS DES CHANGEMENTS CLIMATIQUES SUR LES RESSOURCES EN EAU ET LES ZONES HUMIDES DU MAROC ; ECOLE HASSANIA DES TRAVAUX PUBLICS (EHTP) ; Octobre 2002.
- Ellinor Zeino-Mahmalat et Abdlhadi Bennis : Environnement et Changement Climatique au Maroc– Diagnostic et Perspectives – ; Konrad-Adenauer-Stiftung E.V., Bureau au Maroc ;Association Ribat Al Fath pour le développement durable 2012.
- MINISTERE DE L'AMENAGEMENT DE TERRITOIRE NATIONAL, DE L'URBANISME, DE L'HABITAT ET DE LA POLITIQUE DE LA VILLE ; ETABLISSEMENT DE L'ETUDE D'APTITUDE A L'URBANISATION DE LA CITE ECOLOGIQUE DE SEBOU A LA VILLE DE KENITRA ; PHASE I COLLECTE ET INTERPRETATION DES DONNÉES SUR L'AIRE D'ÉTUDE ; Agence urbaine KENITRA, SIDI KACEM, SIDI SLIMANE ; Version provisoire avril 2019.
- AGENCE DU BASSIN HYDRAULIQUE DU SEBOU-FES : SITUATION HYDROLOGIQUE DU BASSIN DU SEBOU, Année hydrologique 2008/2009 ; Barrage Idriss 1er en déversement ; Bulletin n° 21 ; Novembre 2009.
- AGENCE DU BASSIN HYDRAULIQUE DU SEBOU : NOTE SURLAPOLLUTION DU BAS-SEBOU ET SON IMPACT SUR L'IRRIGATION ; Novembre 2008.
- Ministère de l'aménagement de territoire, de l'urbanisme, de l'habitat et de l'environnement ; inspection régionale ; région de Gharb Chrarda Béni Hcen ; NOTE SYNTHETIQUE RELATIVE A LA POLLUTION A L'ECHELLE DU BASSIN DU SEBOU.
- Agence du bassin hydraulique de Sebou : Qualité forage en zone industrielle de Kénitra en 2012.
- Haut-commissariat au plan ; direction régionale de Gharb Chrarda Bni Hssen ; les caractéristiques démographiques et socio-économiques de la population (RGPH 2004, 1994, 1982, 1971) province Kénitra.
- Office régional de mise en valeur agricole de la région du Gharb à Kénitra ; la pluviométrie de la région d'une période de 30 ans.
- Le centre régional de recherche agronomique de la région du Gharb ; la pluviométrie de la région d'une période de 30 ans.

L'éducation psychomotrice : une pratique à développer pour un préscolaire de qualité

EL KHALFI NADIA

Formatrice- CRMEF CASA-SETTAT, Section Provinciale – El Jadida / Maroc

nadiaelkhalfi@gmail.com

ABSTRACT : In the face of the challenges of globalization, Morocco is strengthening and accelerating a number of development projects, including the reform of education and training, with a new strategic vision for 2030. Although substantial progress has recently been made, problems still persist and point to a crisis in the quality of education at different levels. This is evidenced by the high dropout rates and the low levels of student performance, particularly in basic learning. The various reports on education in Morocco highlighted them by stressing the urgent need to establish a quality preschool which is intended to be a place of integral development for children.

The problem of this article refers to the importance of psychomotor activity in the development of the child, the need to make room for motor expressiveness and the inadequacy of this approach in preschool institutions in Morocco. A good acquisition of psychomotor prerequisites is necessary for school learning, as they are the frame of reference for actions such as thought, imagination and allow access to abstraction and symbolization.

Keywords: Preschool, Quality, Psychomotricity, Learning, Educational policy

RÉSUMÉ :

Face aux défis de la mondialisation, le Maroc renforce et accélère un nombre de chantiers de développement dont celui de la réforme de l'éducation et de la formation avec une nouvelle vision stratégique à l'horizon 2030. Bien que des progrès substantiels aient récemment été réalisés, des problèmes persistent encore et pointent une crise de la qualité de l'éducation à différents niveaux. En témoignent les taux élevés de décrochage scolaire et les faibles niveaux de performance scolaire des élèves particulièrement dans les apprentissages de base. Les différents rapports sur l'éducation au Maroc les ont soulignés en insistant sur l'urgence de mettre en place un préscolaire de qualité qui se veut un lieu de développement intégral pour les enfants.

La problématique du présent article fait état de l'importance de l'activité psychomotrice dans le développement de l'enfant, de la nécessité de donner de la place à l'expressivité motrice et de l'insuffisance de cette approche dans l'institution préscolaire au Maroc. Une bonne acquisition des prérequis psychomoteurs est nécessaire aux apprentissages scolaires, car ils sont le cadre de référence des actions telles que la pensée, l'imaginaire et permettent l'accès à l'abstraction et la symbolisation.

Mots-clés : Préscolaire, Qualité, Psychomotricité, Apprentissage, Politique éducative

INTRODUCTION

Afin d'assurer une cohésion sociale et un développement durable au sein de la société, tout système éducatif doit aspirer à atteindre la qualité et l'équité, indéniablement, au cœur des objectifs de l'Education pour tous. Ce concept multidimensionnel de l'équité comprend la somme des trois dimensions de l´égalité des chances qui existent en matière d´éducation, à savoir : l´Égalité des chances dans l'accès à l´école, l´Égalité des chances dans le traitement à l´école et l´Égalité des chances de réussite à l´école et dans la vie. L´un des principes directeurs de la CNEF [396] est précisément de « garantir à tous les enfants marocains, dès le plus jeune âge possible, y compris en intégrant la partie avancée du préscolaire, le maximum d'égalité des chances de réussite dans leur vie scolaire et, par la suite, dans leur vie professionnelle »[397]

En effet, le pari de la réforme de l'éducation et de la formation au Maroc en dépend largement et pourra être gagné sur la base d'une politique éducative orientée indéniablement vers le renforcement de l´équité.

Rappelons ici que la troisième dimension de l´équité découle des deux autres dimensions que sont l´accès et les résultats des apprentissages. La lutte contre l'échec, le décrochage scolaire ainsi que le niveau bas des performances des élèves révélant le niveau de qualité de l'enseignement représentent des défis majeurs à relever. Le degré d´équité du système éducatif au Maroc, tel qu´il fonctionne à l´heure actuelle, est bas.

Il est donc inévitable de se poser la question suivante : Que se passe-t-il à l´école marocaine pour que tant d´élèves connaissent l´échec scolaire et ne veuillent pas ou ne puissent pas terminer leurs parcours scolaires ?

[396] C'est la Charte nationale de l'éducation et de la formation (CNEF) élaborée par une commission spéciale d'éducation et de formation (COSEF) afin de jeter les bases de l'école marocaine du 21ème siècle (1999-2009)

[397] CNEF, Op. cit, article 61.

En dépit des progrès importants accomplis dans le domaine de l'éducation et de la formation durant cette dernière décennie, le Maroc se trouve actuellement à un tournant décisif dans le développement de son système éducatif. Les analyses pointent des défaillances sérieuses quant à la performance du système. Ce bilan négatif est à la source de la forte volonté politique actuelle visant à donner un nouvel élan à l'école marocaine traduite par la « vision stratégique 2015-2030 » qui tend à rectifier certains des dysfonctionnements éducatifs urgents parmi lesquelles l'enseignement préscolaire.

L'éducation de la petite enfance en général et le préscolaire en particulier constituent pour le Maroc une préoccupation majeure depuis plusieurs décennies. Plusieurs réformes ont inscrit l'éducation préscolaire comme étape essentielle dans le système éducatif et ont ouvert par là même un immense chantier dans ce domaine. L'accès des enfants à une éducation de qualité avant l'entrée à l'école primaire est de plus en plus considéré comme un droit.

Les multiples rapports sur l'éducation au Maroc produits durant cette dernière décennie (CSE, UNESCO, Banque mondiale, etc.) insistent sur l'urgence de mettre en place un préscolaire généralisé et de bonne qualité (*qui ne soit pas l'antichambre de l'enseignement primaire, mais qui le prépare en préconisa le développement des compétences de base en langue(s) et en activités centrées sur le développement psychomoteur et artistique des petits enfants*) et soulignent, par ailleurs, les faibles performances qui le marquent.

En effet, la petite enfance est une période déterminante pour le développement de l'enfant sur le plan psychomoteur, affectif, cognitif et social. Durant cette période, l'enfant a besoin d'un environnement qui lui assure les conditions essentielles à son développement global. Ainsi, les services de la petite enfance qui offrent des activités éducatives et sociales de qualité contribuent de façon positive à la réussite scolaire ultérieure.

Aujourd'hui, la problématique qui marque ce secteur réside dans le fait que les apprenants marocains, qui arrivent à la première année de l'enseignement primaire, démarrent leurs études avec des chances différentes, en faveur de celles et de ceux qui ont profité d'un préscolaire de qualité. Qui plus est, c'est la loi du

marché qui décide de l'implantation des structures préscolaires et des coûts de scolarisation et ce au détriment des zones défavorisées (rurales, périurbaines et pauvres) ; eu égard à la prépondérance du privé et à la capacité d'accueil limitée au public.

Le préscolaire est donc confronté au paradoxe suivant : Tout le monde s'entend pour dire que l'éducation préscolaire est la clé de l'instauration d'une éducation de qualité au Maroc et le levier de son développement. Cependant, on ne se préoccupe pas suffisamment de la mise en place d'un préscolaire généralisé et de qualité.

La problématique de l'article fait état de l'importance de l'activité de mouvement dans le développement de l'enfant, de la nécessité de donner de la place à l'expressivité motrice de l'enfant pour mieux l'écouter, de l'insuffisance des activités de mouvement structurées dans le préscolaire au Maroc et de la situation actuelle des enfants faisant preuve d'un problème d'acquisition et d'apprentissage et qui exigent d'être pris en considération dans les services éducatifs offerts aux enfants.

Le présent article se base sur une revue de la littérature existante en matière d'éducation et de formation dans une perspective descriptive et statistique des données issues des différents travaux de recherches. Elle s'inscrit dans le champ théorique du développement et de l'apprentissage.

Contenant deux axes de recherche et de réflexion – l'importance de l'activité psychomotrice dans le développement global de l'enfant et la situation actuelle des enfants faisant preuve d'un problème d'apprentissage et qui exigent d'être pris en considération dans des structures offerts au préscolaire – il a été nécessaire de définir séparément les concepts-clés que sont : le préscolaire, la qualité, l'apprentissage par le jeu et enfin la psychomotricité.

Nous présenterons, dans un premier temps, un état des lieux du secteur du préscolaire au Maroc, de celui des résultats d'apprentissages et ceci par rapport à un ensemble de dimensions structurelles.

Dans un second volet, nous traiterons de l'importance d'une approche psychomotrice au préscolaire pour un meilleur rendement scolaire et à partir de l'analyse de ces données, nous formulerons quelques réflexions pour de nouvelles perspectives.

Partie I : Le Préscolaire au Maroc : Quelques éléments structurels

1- De la nécessité d'un préscolaire de qualité pour le développement durable

« Le talent, et non le capital, sera le facteur clé reliant l'innovation, la compétitivité et la croissance du 21e siècle, et nous devons mieux comprendre la chaîne mondiale de la valeur du talent. De meilleures données et paramètres sont essentiels à cette compréhension. L'indice du capital humain quantifie comment les pays développent et déploient leur capital humain et suit le progrès réalisé au fil du temps. »[398]

Bien évidemment, L'éveil et l'acquisition des talents sont indéniablement l'apanage de l'école. Dans le cas du Maroc, il est question d'adopter un rééquilibrage des investissements vers un capital immatériel (humain) solide et ce en vue de réussir un processus de rattrapage économique accéléré vers les pays d'Europe du sud à l'horizon 2040. Devront s'ouvrir donc toute une gamme d'investissements autour des axes majeurs de l'éducation, de la santé et du développement de la petite enfance. Le royaume devra accroître et maintenir sa croissance positive avec une population maîtrisant les apprentissages et les connaissances de base dispensés par l'enseignement à tous les cycles.

Intervenir en faveur de la petite enfance contribue donc positivement tant à l'efficacité économique qu'à la réduction des disparités sociales. C'est en relation avec ces perspectives que la mise en œuvre de programmes d'intervention en faveur de la petite enfance constitue un facteur essentiel dans le contexte de la

[398] *Klaus Schwab, fondateur et président exécutif du Forum économique mondial (WEF).*

réalisation des objectifs de l'Éducation Pour Tous (EPT)[399] et des Objectifs du Millénaire pour le Développement (OMD)[400], puis maintenant des Objectifs de Développement Durable (ODD4)[401]

2- Précision Terminologique

La petite enfance est classiquement considérée comme la période des premières années de la vie. Elle correspond aux trois premières années ou aux six premières années ou encore à la période de 2 à 4 ans ou de 3 à 6 ans.

Sous la tutelle du ministère de l'Éducation nationale, la période préscolaire, quant à elle, ne concerne que les enfants de 4 ans révolus à 6 ans dans notre pays[402] (Ceux qui ont moins de 3 ans sont gérés par le ministère de la Jeunesse et des Sports, dans des crèches). Elle prend en compte l'intérêt des enfants sachant que

[399] *Le Forum mondial sur l'éducation, qui s'est tenu à Dakar (Sénégal) du 26 au 28 avril 2000, sous l'égide de l'Unesco fut le premier et le plus important évènement en matière d'éducation à l'aube du nouveau siècle.*

[400] *Les objectifs du millénaire pour le développement (OMD, Millennium Development Goals en anglais), sont huit objectifs adoptés en 2000 à New York (États-Unis) avec la Déclaration du millénaire de l'Organisation des Nations unies par 193 États membres de l'ONU, et au moins 23 organisations internationales, qui sont convenus de les atteindre pour 2015. Ces objectifs recouvrent de grands enjeux humanitaires : la réduction de l'extrême pauvreté et de la mortalité infantile, la lutte contre plusieurs épidémies dont le SIDA, l'accès à l'éducation, l'égalité des sexes, et l'application du développement durable. En 2015 sont publiés les Objectifs de développement durable (ODD), qui prennent la suite de ces objectifs.*

[401] *C'est un programme pour le développement durable : il s'agit d'un « plan d'action pour les personnes, la planète, et la prospérité », composé de 17 objectifs, dont le quatrième, ODD, est consacré à l'éducation* ***: « Assurer l'accès de tous à une éducation de qualité, sur un pied d'égalité, et promouvoir les possibilités d'apprentissage tout au long de la vie »****. Les principes clés de L'ODD4-Education 2030 sont* ***l'apprentissage tout au long de la vie,*** *la* ***qualité*** *de l'éducation (pertinence et acquis d'apprentissage), et* ***l'équité et l'inclusion.*** *L'UNESCO coordonne et fait le suivi du progrès vers la réalisation de l'ODD4 au niveau mondial à travers le Comité directeur ODD-Education 2030.*

[402] Loi 00-05 relative au statut de l'enseignement préscolaire, chapitre premier, art. 1.

les recherches sur le développement des enfants ont considérablement enrichi nos connaissances sur leurs capacités, leurs compétences et leurs besoins spécifiques les premières années ainsi que sur leurs incidences sur les trajectoires de vie.

Qui plus est, elle est considérée comme ayant une action complémentaire importante de celle de la famille du point de vue du développement personnel de l'enfant et présente le maillon fondateur des « investissements » en capital humain en raison des incidences notables qu'elle a sur la construction des apprentissages formels à venir notamment la scolarisation au niveau primaire.

3- Mise en oeuvre d'un préscolaire de qualité

« Les premières années de vie sont cruciales parce que les proches dommages ayant lieu dans la petite enfance peuvent compromettre sérieusement les perspectives d'avenir de l'enfant. Ainsi, une intervention importante est nécessaire plus tard, pour compenser des occasions manquées par le tout jeune enfant. Le chemin suivi dans les premières années de vie constitue une base solide ou fragile sur laquelle se construira tout le développement ultérieur de l'enfant »[403]

[403] Shonkoff, J. P., Phillips, D.A. (2000), "From Neurons to Neighbourhood. The Science of Early Childhood Development.", National Academy Press, Washington, p.384 (Texte traduit de l'Anglais)

- **Texte original**: « It does not matter because all early damage is irreversible, because missed opportunities can never be made-up later, or because the early years provide an indelible blueprint for adult outcomes: early damage may be reversible, some missed opportunities can be made up later, and adult outcomes do not proceed inexorably from early experiences. Rather, the early years of life matter because early damage can seriously compromise children's life prospects. Compensating for missed opportunities often requires extensive intervention, later in life. Early pathways establish either a sturdy or fragile stage on which subsequent development is constructed », *cité in Early Childhood Intervention Analysis of Situations in Europe Key Aspects and Recommendations, Summary Report European Agency for Development in Special Needs Education, 2003-2004.*

Parce qu'elle occupe une place centrale dans le programme universel de développement durable à l'horizon 2030, la communauté mondiale, lors du Sommet des Nations Unies, tenu à New York en septembre 2015, s'est engagée « à assurer une éducation de qualité à tous les niveaux de l'enseignement en soulignant que chacun « devrait avoir accès à des possibilités d'apprentissage tout au long de la vie.»[404]; particulièrement au préscolaire car « L'apprentissage commence dès la naissance et cela implique qu'on accorde l'attention voulue aux soins aux enfants et à leur éducation initiale »[405] ; et à « assurer une éducation inclusive et équitable de qualité »[406]

Au Maroc, depuis les années 1990, l'intérêt pour l'enseignement « préscolaire » s'est considérablement renforcé. En effet et à l'instar des pays signataires, le royaume a adhéré le 21 juin 1993, à la convention internationale relative aux droits de l'enfant, s'engageant officiellement à préparer l'enfant à avoir une vie individuelle dans la société.

Ce faisant, et afin de se mettre au diapason des dispositions des conventions et pactes internationaux idoines qu'il a ratifiés, un grand nombre d'initiatives ont été prises et démontrent, par conséquent, cet engouement particulier que le Maroc accorde à la promotion et à la consécration des droits de cette catégorie de la population.

La Charte nationale d'éducation et de formation (1999) stipule que *« L'enseignement préscolaire est ouvert aux enfants âgés de quatre ans révolus à six ans. Il aura pour objectif général, durant deux années, de faciliter l'épanouissement physique, cognitif et affectif de l'enfant, le développement de son autonomie et sa socialisation, notamment à travers :*

[404] UNESCO (2015b). Éducation pour tous 2000-2015 : progrès et enjeux, p.284. (Récupéré de http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002324/232433f.pdf)
[405] Déclaration mondiale sur l'éducation pour tous (UNESCO, 1990, p. 6)
[406] UNESCO (2017b), A guide for ensuring inclusion and equity in education, p.7 (Récupéré de http://unesdoc.unesco.org/images/0024/002482/248254e.pdf)

- *Le développement des habiletés sensori-motrices, spatio-temporelles, sémiologiques, imaginatives et expressives ;*
- *L'initiation aux valeurs religieuses, éthiques et civiques de base ;*
- *L'exercice aux activités pratiques et artistiques élémentaires (dessin, modelage, peinture, jeux de rôles, chants et musique...) ;*
- *Des activités de préparation à l'apprentissage de la lecture et l'écriture en langue arabe, notamment à travers la maîtrise de l'arabe oral, et en s'appuyant sur les langues maternelles »*[407].

En effet et outre le fait que la Constitution de 2011 consacre dans son article 32 les droits des enfants, notamment le droit à l'enseignement fondamental, à une égale protection juridique et une égale considération sociale, et stipule leur protection, le Maroc avait également, en 2006, adopté un Plan d'action national pour l'enfant (PANE) dont les réalisations contribuent à l'atteinte de différents Objectifs du Millénaire pour le Développement (**OMD**) et ceux du plan d'action « Un Monde digne des enfants » s'inscrivant dans le cadre de la session extraordinaire des Nations-Unies consacrée aux enfants, et qui s'est tenue en mai 2002.

L'importance et la généralisation du préscolaire a été aussi soulignée dans Le programme d'urgence (2009-2012) ainsi que dans la vision stratégique de la réforme 2015-2030 par le Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique CSEFRS, notamment dans le levier 2 qui le considère comme l'un des objectifs vitaux de la réforme du système et ce en raison de son impact en matière d'amélioration de la qualité de l'enseignement et d'épanouissement des élèves, ainsi que sa contribution efficiente au renforcement de l'éducation familiale et la lutte contre la déperdition scolaire et le travail des enfants.

Qui plus est, le Maroc et l'Unicef ne cessent de consolider leur coopération en matière d'amélioration des conditions des enfants depuis 1957. Plusieurs actions seront menées conjointement par le Maroc et l'Unicef d'ici 2021. Au

[407] CNEF, levier 4, article 63, p. 26.

niveau des partenaires internationaux du développement, le dialogue sera maintenu et promu avec notamment l'Union Européenne, les Affaires Mondiales Canada, le Ministère du Développement International du Royaume-Uni, l'Agence des États-Unis pour le développement international et la Banque Mondiale en plus des agences sœurs des Nations Unies.

Sur son site officiel, l'agence onusienne a publié un document, d'une vingtaine de pages, dans lequel elle met en exergue l'effort engagé par le royaume et énumère les composantes des différents programmes de coopération entre les deux parties dans plusieurs domaines notamment celui du préscolaire dont l'équité demeure l'élément central. À ce niveau, l'intervention de l'UNICEF se concentrera sur son appui technique pour développer des normes et des modèles économiques afin de fournir en temps utile un accès équitable à une éducation préscolaire de qualité. Le préscolaire constituera la porte d'entrée pour une mobilisation en faveur d'une politique de développement de la petite enfance dotée de mécanismes de budgétisation et de suivi.

Et pourtant malgré tous les efforts consentis pour généraliser l'accès au primaire, ceux-ci ne sont pourtant pas capitalisés au niveau des différents cycles. Un taux de déperdition important est enregistré d'un cycle à l'autre. Outre les aspects de la qualité des acquis scolaires et de la transition entre les cycles, le faible taux d'accès à une éducation préscolaire de qualité reste un frein à la préparation d'une bonne scolarisation au primaire. Aujourd'hui nous comptons 11,3% des enfants qui s'inscrivent avec au moins un an de retard au cycle primaire. Ce taux augmente à 14,8% en milieu rural.

Le tableau ci-dessous montre l'évolution de l'accès au préscolaire au Maroc en comparaison avec les états et les gouvernements membres de la CONFEMEN[408] pour la période allant de 2005 à 2016.

[408] CONFEMEN (Conférence des ministres de l'Éducation des États et gouvernements de la francophonie), Favoriser le développement de la petite enfance et garantir l'accès à une éducation préscolaire équitable et de qualité : un socle pour la réussite des apprentissages,

Tableau I[409]: Évolution de l'accès au préprimaire : États et gouvernements membres des régions (Océan indien, Asie du Sud Est et Pacifique, Europe et Amérique du Nord, Afrique du Nord et Asie occidentale), de 2005 à 2016

États et gouvernements membres	**Taux brut de scolarisation au pré-primaire (%)**	
	2005	**2016**
Bulgarie	84.5	80.8
Cambodge	10.5	19.4
Canada	…	…
Comores	…	…
Djibouti	1.8*	6.6
Égypte	16.3	29.9
ERY de Macédoine	32.0	36.0
France	110,1	109,3
Haïti	…	…
Liban	72.7 *isu*	85.9
Luxembourg	87.0	93.0**
Madagascar	7.5	28.5
Maurice	101,0	104.6
Maroc	**58.0**	**50.3**
Roumanie	72.7	87.0
République démocratique populaire lao	9.3	40.1
Seychelles	100.1	102.7
Suisse	98.1	104.8
Tunisie	…	44.4

Document de Réflexion et d'Orientation sur le thème de la 58e session ministérielle, (DRO), 2018.

[409] Données récupérées du DRO2018.

Vanuatu	114.3	101.6
Vietnam	59.3	86.8
Source : UIS.STAT. ***Extraction : 11 octobre 2018*** * : : Données de l'année scolaire s'achevant en 2015 ** : Données de l'année scolaire s'achevant en 2015 isu : Estimation de l'ISU		

4. La Qualité au Préscolaire : Un Levier Pour Le Développement

« Pour maintenir une croissance positive à long terme – a fortiori pour accélérer la croissance économique et converger rapidement vers les pays d'Europe du sud – le Maroc n'a pas d'autre choix que d'augmenter sa productivité et donc le niveau d'éducation de sa population. Augmenter le niveau d'éducation de la population ne signifie pas seulement augmenter les budgets des ministères de l'Éducation ou intensifier, sans les modifier, les politiques existantes. De fait, dans de nombreux pays en développement, des politiques éducatives centralisées, bureaucratiques et élitistes qui privilégient l'enseignement supérieur, au détriment des niveaux d'éducation inférieurs, ont plutôt eu tendance à inhiber la croissance en sacrifiant les opportunités de développement ».[410]

Évoquer la qualité au niveau du préscolaire fait appel à plusieurs éléments et indicateurs. Il faut souligner, ici que cette problématique ressort, saillamment, de l'évaluation de la réforme pédagogique à mettre en œuvre (la qualité des contenus proposés, les activités programmés, les méthodes utilisées, les structures d'accueil, etc.), de celle de la formation du staff éducatif, de celle de la gouvernance ainsi que des acquis et du rendement mais aussi de l'engagement de la famille. Dès lors, l'amélioration de la qualité et de l'apprentissage occupera une place plus centrale au niveau national dans l'avenir :

« Développer la protection et l'éducation de la petite enfance, que ce soit sur le plan des droits de l'Homme, de l'égalité des chances ou encore de

[410] Jean Pierre Chauffour., « Le Maroc à l'horizon 2040 : Investir dans le capital immatériel pour accélérer l'émergence économique », Groupe de la Banque Mondiale, 2017.

l'efficacité économique, il faudrait veiller à ce que tous les enfants marocains puissent bénéficier d'une meilleure protection et d'un meilleur développement lors de la petite enfance. Ceci nécessite des efforts importants d'information et de campagnes publiques de sensibilisation sur l'importance de la petite enfance ; une meilleure coordination des politiques et programmes de soutien de l'État ; des investissements de qualité supplémentaires au niveau préscolaire ; et une plus grande information et responsabilisation des parents, notamment des pères ».[411]

L'assurance qualité en matière d'éducation est en train de se développer à travers le monde. Les mesures de la qualité sont réalisées à travers les enquêtes internationales, les audits, les évaluations et les accréditations des programmes et des établissements, sur la base des standards et des normes appropriés. Une compétition est en train de s'installer autour de la recherche du label de qualité accordé par des instances d'évaluation et d'accréditation. Le Système d'Éducation et de Formation marocain est ainsi appelé à répondre à cette exigence.

5. Le Préscolaire : Intervenants Divers et Disparités Flagrantes

Quand on parle de préscolarisation, beaucoup ont tendance à penser que le seul pourvoyeur de ce type de service est le ministère de l'éducation nationale et qu'il demeure l'apanage de ce secteur. Or, L'enseignement préscolaire compte une pléthore d'intervenants : le Ministère de l'Education nationale (MEN), le Ministère des Habous et des Affaires islamiques (MHAI), le Ministère de la Jeunesse et des Sports (MJS), l'Entraide nationale (qui relève du ministère de la solidarité), les Collectivités locales, l'INDH, les associations, la Fondation marocaine de la Promotion de l'Enseignement Préscolaire (FMPS), le secteur privé, les missions étrangères et diverses autres initiatives non officielles.

L'une des plus grandes tares de l'enseignement préscolaire au Maroc est donc la pluralité des modèles pédagogiques. Durant toutes ces années où l'État a négligé cette formation de base, les opérateurs privés s'en sont emparés (ce qui en limitait donc considérablement l'accès notamment dans les milieux ruraux ou

411 Ibid., P.29.

montagnardes et les zones enclavées pour les couches les plus défavorisées de la population), et les parents en sont devenus tributaires. Ces structures sont gérées de façon indépendante de l'État et financées par les frais de scolarité acquittés par leurs usagers. Cette politique rend improbable l'implantation des établissements privés dans des zones pauvres ou difficiles d'accès ce qui nuit sérieusement à l'équité sociale et éducative et à l'égalité des chances.

À vrai dire, cette grande anarchie qui règne dans le secteur fait que l'offre existante est répartie entre programme pédagogique traditionnel [412] (qui s'accapare plus de 60% de l'effectif, bien qu'il ne réponde pas aux normes de qualité, et privilégie les attitudes éducatives «d'ajustement, d'adaptation, de correction…», selon le Conseil supérieur de l'éducation, de la formation et de la recherche scientifique), programme privé moderne (représentant 27,41% et promouvant le développement des aptitudes de l'enfant et son autonomie) et programme public qui reste le parent pauvre du secteur avec quelques 12%.

Par ailleurs, les multiples opérateurs du secteur ont, chacun, mis en place différentes approches pédagogiques. Or, pour mener à bien la généralisation du préscolaire, le ministère de l'Éducation nationale devra décliner un référentiel national unifié, qui écarte la multiplicité des approches utilisées actuellement. Pour sa part, le Conseil plaide pour l'adoption d'une vision éducative novatrice. Une approche qui devra s'axer sur trois composantes : institutionnelle, pédagogique et organisationnelle, où l'enfant sera acteur de son apprentissage.

La situation du préscolaire démontre également les grandes disparités qui existent entre les régions. Les meilleurs scores obtenus sont dans les provinces du sud. Ainsi, la région Laâyoune Sakia El Hamra affiche un taux de scolarisation de 94,3% (788 enfants), Guelmim Oued-Noun 80,1% (3.302) et Dakhla-Oued Eddahab 75,8% (1.462). Casablanca-Settat affiche un taux de 54,2% avec 121.803 élèves scolarisés. Rabat-Salé-Kénitra scolarise à peine 103.459 enfants (41,6%).

[412] Le préscolaire traditionnel, selon la terminologie du ministère de L'Education nationale englobe le Msid et le Kouttab.

Le dernier de la classe est la région de l'Oriental qui réalise à peine 28,2% pour 64.371 enfants.

Des disparités sociales selon le milieu (rural ou urbain) marquent également le préscolaire défavorisant, par ailleurs, les enfants ruraux et particulièrement les petites filles. Non intégré institutionnellement dans le système éducatif public et n'ayant pas été obligatoire (jusqu'en 2018 avec l'adoption de la loi-cadre), l'enseignement préscolaire creuse les inégalités d'accès à la scolarisation fondamentale, vu qu'il exclut une grande partie des enfants âgés de 4-6 ans, majoritairement rurale.

Le tableau, ci-après, montre les effectifs scolarisés dans ces différentes formules pour l'année scolaire 2015-2016, selon les statistiques du MEN. Les enfants se répartissent selon le type d'enseignement puisque 61% de l'ensemble sont dans le préscolaire traditionnel, 13% dans le public et 27% dans le moderne.

Tableau II : L'Offre préscolaire Actuelle au Maroc

Type d'enseignement	Type de structures	Tutelles	Nombre d'enfants	%
Préscolaire traditionnel	Kouttab Coraniques	Ministère des Habous et des Affaires Islamiques	51.609	60,5
	Kouttab préscolaires	Ministère de l'Education nationale et de la formation professionnelle	347.186	
Préscolaire moderne	Jardins d'enfants	Ministère de l'Education nationale et de la formation professionnelle	132.144	27,41
	Jardins d'enfants/ Crèche	Ministère de la Jeunesse et des Sports	14.501	
	Jardins d'enfants	Entraide Nationale	31.991	
	Ecoles Maternelles	Missions étrangères	1.997	
Préscolaire Public	Classes intégrées	Ministère de l'Education nationale et de la formation professionnelle et Société civile	79.361	12,09
Total			658.789	100%

Source MENFP

L’enseignement préscolaire traditionnel demeure, par la force des choses, la principale composante du secteur en matière d’accueil des enfants des familles à revenus faibles et moyens. Néanmoins, il faut souligner ici que le taux de bénéficiaires de cet enseignement dans le rang des filles est inférieur à la moyenne nationale, bien qu’il ait connu une légère amélioration entre 2007 et 2016, passant respectivement de 41,56 % à 44,28 % (une fille sur quatre a accès au préscolaire en milieu rural).

Selon les dernières statistiques de 2017-2018 du ministère de l’Éducation nationale, les enfants en âge d’intégrer le préscolaire étaient 1.426.185. Mais seulement 43,80% des effectifs sont scolarisés. Pour la même année, le ministère compte scolariser 100.000 enfants supplémentaires et construire 4.000 salles de classe nécessaires pour absorber cet effectif. Selon ce même département, il existe 23.921 établissements, encadrés par 36.903 éducateurs.

Tableau III : Effectif et structure des scolarisés par niveau entre 2010 et 2016 (en milliers)

F.P	272	293	301	320	360	389
E. S	422	510	609	671	*742*	820
E. SQ	922	961	984	988	975	980
E. S. C	1457	1489	1571	1618	1627	1645
E. P	4001	4017	4021	4030	4039	4102
E. Pr.	**740**	**683**	**685**	**746**	**763**	**659**
	2010 2011	2011 2012	2012 2013	2013 2014	2014 2015	2015 2016

F.P :Formation Professionnelle
E.S :Enseignement Supérieur.
E.S.Q :Enseignement Secondaire Qualifiant
E.S.C :Enseignement Second. Collégial
E.P : Enseignement Primaire
E.Pr :Enseignement Préscolaire.

(Source : Ministère de l'éducation nationale et de la formation professionnelle, Ministère de l'Enseignement Supérieur, de la Recherche Scientifique et de la Formation des Cadres.)

On peut constater donc qu'en 2014, le préscolaire n'a profité qu'à 48,7% des enfants de 3 à 5 ans (selon le HCP). La situation ne s'est pas améliorée en 2017 puisque sur les 1,49 millions d'enfants en âge d'être préscolarisés, seulement 47,6% en ont bénéficié, soit 1,1 point de moins en trois ans.

Outre cette variété au plan quantitatif, on identifie aussi que les diverses formules proposées se différencient par leurs pratiques pédagogiques et les contenus dispensés[413]:

« i/ les structures du préscolaire traditionnel accueillent des enfants, en majorité de sexe mâle, sans distinction d'âge (de 5-6 ans à 16 ans) et leur offre pédagogique est focalisée sur la mémorisation du texte coranique et l'apprentissage de la langue arabe, en utilisant comme supports des contes inspirés de la civilisation islamique ;

ii/ Les pratiques pédagogiques dans l'enseignement préscolaire : nulle prescription d'âge pour les enfants concernant l'accès à ces structures. On y trouve des enfants âgés de moins de quatre ans, voire des nourrissons parfois. Les principales activités dans l'essentiel des établissements de ce type se résument à la garde d'enfants et à faire en sorte que ceux-ci passent leur journée dans le « calme ». Certains éducateurs et éducatrices utilisent des bribes d'enseignement inspirées des programmes arabes du primaire, notamment en lecture, écriture et mémorisation du Coran ;

iii/ Les pratiques pédagogiques dans les établissements du préscolaire moderne: ces établissements se distinguent par leur quête de nouveautés pédagogiques, soit par conviction soit pour répondre aux exigences des familles en termes de qualité. Dans cette catégorie, on distingue deux sortes d'établissements : la première catégorie offre une prise en charge bilingue (voire trilingue parfois) avec des programmes d'activités en deux langues (le français et l'arabe) et permettent aux enfants de s'adonner à des activités ludiques, puis petit à petit les astreint à l'apprentissage de la lecture et de l'écriture, dans les deux langues précitées, et le plus tôt possible. Alors que dans une deuxième catégorie de ces établissements

[413] *Données collectées de l'Avis du Conseil N°3/ juillet 17 qui s'inscrit dans le cadre du plan d'action du Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique* (CSEFRS), *au titre des années 2016-2017 sous l'intitulé : « L'enseignement préscolaire Pilier de la nouvelle école marocaine. »*

modernes, l'accent est davantage mis sur une éducation préscolaire proprement dite, axée sur l'éveil et le ludique, adaptée à cette tranche d'âge des enfants, et encadrée par des ressources humaines qualifiées en la matière. »

Partie II : La Psychomotricité Au Préscolaire

Dans sa commémoration de 2009 pour fêter le 20ème anniversaire de la Convention, le Fonds des Nations Unies pour l'enfance (UNICEF) consacre un numéro spécial de son rapport phare « *La Situation des enfants dans le monde* » aux droits de l'enfant qu'ils divisent en trois grandes catégories dont « le droit à la survie et au développement et qui comprend la santé et les soins de santé de base, la prévention et la prise en charge de la maladie, la nutrition, l'approvisionnement en eau, l'assainissement et les services d'hygiène; l'apprentissage précoce et la stimulation du jeune enfant, l'éducation, les loisirs et les activités culturelles; ainsi que les conseils et les soins familiaux. Des progrès considérables ont été accomplis dans ce secteur des droits de l'enfant au cours des 20 dernières années, bien qu'il reste encore beaucoup à faire. ».[414]

1. Prémices Du Concept

Pour comprendre le concept de psychomotricité et du développement, il sera intéressant de s'attarder sur la conception du corps à travers les époques. Si on remonte à l'Antiquité grecque, l'on constate qu'il existait une réelle préoccupation du corps, tant pour l'éducation des enfants que dans la vie quotidienne adulte. Ainsi dans les premiers temps de la scolarisation, les enfants reçoivent principalement une éducation intellectuelle (la Mousikè-, qui comprenait à la fois les lettres et la musique proprement dite). Puis une éducation

[414] Unicef, « *La Situation des enfants dans le monde :* Célébrer les 20 ans de la Convention relative aux droits de l'enfant », Numéro spécial, 2009, P.15

physique leur est dispensée par un pédotribe dans un espace spécialement aménagé pour les exercices de gymnastique.

Vers le IVème siècle, la christianisation de l'Europe occidentale modifie les rapports de l'homme avec son corps. Privilégiant l'élévation spirituelle, les besoins corporels sont relégués en second plan. Il devient source d'impureté. Ce n'est qu'i partir du XVème siècle que la manière de penser le corps va évoluer. Ces conceptions vont être remaniées suite aux découvertes du domaine scientifique des le début du XIXème siècle.

Cela dit, le concept de La psychomotricité n'apparaîtra que vers 1960 en France avec l'œuvre de Julian de Ajuriaguerra. À partir de la neurologie, de la psychiatrie, de la psychologie du développement, de la psychanalyse, un nouveau domaine de connaissances de l'enfant, via son corps, est créé.

2. La Psychomotricité et l'Apprentissage par le Jeu

Depuis la nuit des temps, les hommes se livrent au jeu. Il est l'expression révélatrice de notre manière de vivre. Selon le Petit Larousse illustré en 2012, le jeu (du latin : Jocus, plaisanterie) est « l'activité non imposée, à laquelle on s'adonne pour se divertir, en tirer un plaisir ». Philippe Champy et Christiane Estève, auteurs du Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation, approuvent cette première définition en rajoutant que l'activité ludique « trouve sa satisfaction et son but en elle-même »[415].

[415] Champy, Philippe, Eteve, Christiane. Dictionnaire Encyclopédique de l'éducation et de la formation.

Considéré comme l'un des premiers grands consensus internationaux, la « Déclaration des droits de l'enfant »[416] aborde cette notion de « jeu » en l'inscrivant comme septième droit fondamental : « L'enfant doit avoir toutes possibilités de se livrer à des jeux et à des activités récréatives (…) la société et les pouvoirs publics doivent s'efforcer de favoriser la jouissance de ce droit ».

Ce droit indispensable est si bien décrit dans un passage de Friedrich Fröbel, en 1838 : « C'est dans le jeu des enfants que germe la vie adulte ; le soin que l'on accorde à l'enfance et à ses jeux sera déterminant. Y porter atteinte, c'est inévitablement entraver son développement intellectuel ». Il ajoute : « (…) *cette époque où l'enfant, jouant avec tant d'ardeur et de confiance, se développe dans le jeu, n'est-elle pas la plus belle manifestation de sa vie ? Elle est la manifestation vraie de ses aptitudes pour la vie. On ne doit pas regarder le jeu comme une chose frivole, mais comme une chose d'une profonde signification… Dans ces jeux, choisis spontanément par l'enfant qui s'y livre avec tant d'ardeur, son avenir se révèle aux yeux des éducateurs attentifs et intelligents…* »[417]

---

[416] La Déclaration des droits de l'enfant a été adoptée par l'Assemblée générale des Nations unies le 20 novembre 1959 dans sa résolution 1387 (XIV). Elle pose en dix principes les droits fondamentaux permettant « *une enfance heureuse* » dont le septième principe qui stipule que « L'enfant a droit à une éducation qui doit être *gratuite et obligatoire au moins aux niveaux élémentaires. Il doit bénéficier d'une éducation qui contribue à sa culture générale et lui permet, dans des conditions d'égalité de chances, de développer ses facultés, son jugement personnel et son sens des responsabilités morales et sociales afin de devenir un membre utile de la société. L'intérêt supérieur de l'enfant doit être le guide de ceux qui ont la responsabilité de son éducation et de son orientation ; cette responsabilité incombe en priorité à ses parents. L'enfant doit avoir toutes possibilités de se livrer à des jeux et à des activités récréatives, qui doivent être orientés vers les fins visées par l'éducation ; la société et les pouvoirs publics doivent s'efforcer de favoriser la jouissance de ce droit*. »

[417] La pédagogie de la petite enfance (théorie du jeu, matériel pédagogique, jardin d'enfants) que Fröbel a développée dès 1836 connut un essor durant la seconde moitié du 19e siècle. En Suisse romande, les premiers jardins d'enfants froebéliens furent fondés dès 1860 et, dans les

Longtemps tenue en piètre estime par les éducateurs, l'importance du jeu, et de son rôle structurant dans le développement de l'enfant, ne fait plus de doute pour les chercheurs depuis le début du XXème siècle. Selon le psychologue suisse Edouard Claparède[418], le jeu doit tenir un rôle central dans l'activité et l'initiative de l'enfant : « L'enfant pour se développer doit agir. D'où la place importante donnée par les nouvelles méthodes aux exercices physiques et aux jeux : ceux-ci ne sont pas considérés comme un simple délassement ou une détente ; ils ont une véritable valeur éducative »

Le jeu a été, en effet, le symbole du délassement[419] ou de la récréation. Mais « C'est à partir de Rousseau[420], puis avec la naissance de la psychologie, que le jeu (…) a acquis ses lettres de noblesse dans la pensée pédagogique »[421]. Pour l'enfant, le jeu est indéniablement une activité sérieuse et indispensable, au travers duquel il se développe. Il est étroitement lié à l'évolution de ses compétences psychomotrices, intellectuelles et affectives, ainsi que de sa croissance psychique. Par le jeu, l'enfant développe son savoir faire et son savoir être et met en scène ce qui se trame au dedans de son être. Qui plus est, il demeure un moyen d'expression de son potentiel psychomoteur (motricité, espace, temps…), de ses désirs, fantasmes, conflits. Le jeu psychomoteur sera, par conséquent, un médium facilitateur de l'expression de ce qui est encore non communicable.

Jean Piaget, psychologue, biologiste, logicien et épistémologue suisse connu pour ses travaux sur le processus de développement de l'enfant, a tenté de définir

écoles enfantines publiques qui ont vu le jour à partir des années 1870, la méthode Fröbel a servi de référence jusque dans les années 1920.

[418] Édouard Clarapède, L'école Sur Mesure, Éd. Payot, 1920, 44pages.
[419] Conception d'Aristote, reprise par les pères de l'église : « *Une vie vertueuse ne va pas dans un effort sérieux et ne consiste pas en un simple jeu.* »
[420]Rousseau, J.-J., Emile Ou De L'éducation, Paris, Garnier, 1951.
[421] Http://Www.Scienceshumaines.Com -Jeu Et Éducation

le jeu par le biais d'une classification. Selon lui, les jeux se rangent dans quatre grandes catégories : • les jeux d'exercice • les jeux symboliques ou dramatiques • les jeux de règles • Les jeux de construction ; faisant la transition entre les trois précédents. L'enfant est alors perçu comme un petit scientifique qui, à travers ses jeux, expérimente le monde et construit ainsi son intelligence. Ses travaux influenceront fortement la pédagogie du préscolaire.

Selon Odile Périno[422], la société consumériste et les médias n'insistent pas ou peu sur l'importance du jeu dans l'épanouissement de l'enfant (apprentissage, découvertes, relations à autrui) et sa relation sine qua none avec les grandes interrogations sociologiques actuelles notamment : l'isolement des individus, l'échec scolaire, la violence chez les plus jeunes, et tout autre débat autour de l'éducation.

3- Les composantes essentielles de la psychomotricité

Dans son livre, « la psychomotricité par le jeu au préscolaire »[423], Pauline Samson développe les éléments de base de cette pratique notamment : motricité globale – latéralité– motricité fine – schéma corporel – orientation spatiale – rythme – mémoire visuelle – mémoire auditive. Selon l'auteure, « la lecture, l'écriture et le calcul seront plus facilement acquis si l'enfant, à travers des exercices de psychomotricité, a maîtrisé certains gestes et comportements de base. ». Je citerai ici une partie de son texte définissant ces éléments avec plus de précision :

[422] PERINO O., Des espaces pour jouer : pourquoi les concevoir, comment les aménager, éd. Erès, coll. Enfance et Parentalité, 2014.

[423] Pauline Samson, la psychomotricité par le jeu au préscolaire, coll. Éveil, Éd. Guérin, 1999.

« La motricité globale comprend tout ce qui a rapport avec le contrôle général des muscles du corps. Elle vise l'acquisition et la maîtrise de gestes, de positions et de déplacements particuliers (...). Une meilleure harmonie corporelle l'aidera dans ses activités journalières, sociales, récréatives et sportives tout en augmentant la confiance en ses possibilités (...)

La motricité fine concerne les mouvements minutieux, fins et précis. Tout l'effort est dans les yeux, les mains, les doigts et les petits muscles (...). Les exercices proposés aideront l'enfant dans son apprentissage de l'écriture. (...). Dans l'apprentissage de l'écriture, est dépendante de l'ajustement de l'ensemble du corps (...).

L'enfant doit avoir une bonne connaissance du schéma corporel et de son côté dominant pour bien écrire. Au fur et à mesure que l'enfant grandit, il prend de plus en plus conscience de son schéma corporel, de toutes les parties de son corps et du rapport qu'elles ont entre elles (...).

Une bonne connaissance du schéma corporel est nécessaire pour acquérir une orientation spatiale adéquate (...). Il s'agit, dans l'orientation spatiale, des relations entre le moi de l'enfant et les personnes ou les objets en mouvement ou non autour de lui (...). Les exercices proposés amèneront l'enfant à se situer dans l'espace par rapport à ce qui l'entoure : devant, derrière, en haut, en bas, au-dessus, au-dessous, à côté, près, loin. Ils l'aideront à localiser et à mémoriser l'emplacement du signe c par rapport au signe i dans les lettres p, b, d,q et éviter ainsi les inversions. Ils développeront aussi une meilleure connaissance de l'espace, favorisant ainsi la lecture.

La connaissance de la notion droite-gauche qu'on appelle latéralité, est indispensable puisqu'elle est la base de l'orientation spatiale. Elle permet à l'enfant de s'orienter sur lui-même pour pouvoir ensuite s'orienter sur le monde qui l'entoure (...). Les activités suggérées permettront à l'enfant de réaliser que

son corps possède deux côtés identiques et qu'il a plus de facilité à exécuter les exercices d'un côté plutôt que de l'autre ; il découvrira ainsi son côté dominant. Les activités l'aideront aussi à mieux percevoir la direction des lettres lors de l'apprentissage à la lecture (…) : l'enfant découvrira les différents rythmes à travers les mouvements : rythmes lents, réguliers, rapides, sons forts et sons légers (…)

La mémoire visuelle et la mémoire auditive, tel que leur nom l'indique, font appel aux souvenirs de sons, de bruits, d'images ou d'objets. Les exercices favorisant ces deux types de mémoire aideront l'enfant, lors de ses apprentissages en lecture, à se rappeler l'ordre des lettres à l'intérieur d'un mot puis des mots à l'intérieur d'une phrase. De plus, ils aideront l'enfant à reproduire correctement les sons des lettres et des mots, facilitant ainsi son apprentissage à l'écriture. » [424]

4- Le Développement Psychomoteur au Service de l'Apprentissage ou Apprendre par « Corps »

« *Le développement de l'enfant n'est pas un monologue évolutif, mais un dialogue entre une activité de croissance et un interlocuteur qui l'alimente*. » J. de Ajuriaguerra[425]

C'est la manifestation conjointe des fonctions intellectuelles, affectives et motrices.

« *L'intellect de l'enfant ne travaille pas seul, mais, partout et toujours, en liaison intime avec son corps, et plus particulièrement avec son système nerveux et*

[424] Idem, pp. 1-2

[425] J. de Ajuriaguerra, « *L'homme se fait en se faisant* ». Conférence aux *Rencontres internationales de Genève*, 1965**, Le robot, la bête et l'homme**, pp. 49-64. Textes des conférences et des entretiens organisés par les Rencontres internationales de Genève 1965 avec le concours de l'UNESCO. Neuchâtel : Les Éditions de la Baconnière, 1965, 360 pp. Coll. Histoire et société d'aujourd'hui

musculaire » dit Maria Montessori. « *Ce fait affecte profondément notre manière de penser et joue un rôle prépondérant dans le développement de l'enfant* »[426]. Elle ajoute : *« les deux aspects de l'être humain, l'esprit et le corps, ne doivent jamais être pris séparément (…)* » car « *si, au cours du développement, ces deux courants d'énergie (...) viennent à divorcer, complètement ou partiellement, il faut s'attendre à des déviations* »[427].

En psychologie du développement : « *L'apprentissage est la modification d'un comportement ou bien de la capacité à réaliser une tâche sous l'effet d'une interaction avec l'environnement (effet exogène). L'apprentissage se traduit généralement par un accroissement du répertoire des comportements qui surviennent à la suite de la maturation de l'organisme (effet endogène).* »[428]

Cela dit, Des expériences ont été menées montrant que le corps joue un rôle primordial dans les apprentissages. « Lire, écrire et compter » et nous rajouterons « comprendre et apprendre à apprendre » sont autant d'aptitudes qui engagent le corps et requièrent de passer par le mouvement et la manipulation pour mobiliser la sensation et la perception indispensables à la représentation, base de tout apprentissage : Le passage par les jeux corporels est indispensable pour amener l'enfant à bien intégrer les notions de l'espace et du temps, qui font partie des acquisitions attendues par l'école et qui sont des organisateurs fondamentaux pour les habilités visuo-spatiales utiles dans la lecture, l'écriture, et dans les concepts mathématiques.

Mobiliser davantage le corps et lui donner une position motrice ou accélératrice dans la construction des savoirs devient donc nécessaire. À l'école, dans un cadre bien établi, la pratique psychomotrice permet à l'enfant de se raconter, d'expérimenter ses capacités sensori-motrices, de se réassurer, de rétablir son estime de soi si celle-ci est fragilisée. Elle permet de découvrir, de

[426] STANDING E.M., Maria Montessori à la découverte de l'enfant, Paris, Desclée de Brouwer, 1972, p102.
[427] Idem.
[428] Troadec B., Martinot C., (2003), p. 16

redécouvrir le plaisir d'être. Elle permet de renforcer les instruments de l'enfant qui sont indispensables pour entrer en interaction avec l'environnement**.**

Or, l'apprentissage par corps ne peut se construire que **«** *Si la médiation est suffisante et la pédagogie bien conduite, à travers notre expérience corporelle, nos engagements physiques dans un milieu, nos activités motrices en situation, la totalité de la personne sensible, affective, cognitive et conative, est sollicitée, invitée à se mobiliser et à développer ses savoirs et ses savoir-faire, ses opérations mentales et ses équilibres personnels et relationnels. L'effort du pédagogue, au lieu de se contenter de viser l'acquisition d'un geste, le montage d'une habileté ou la réussite d'une performance, aide à transcender l'immédiat de la situation pour en tirer ce qui est le plus riche pour l'élève, pour comprendre ce qu'il fait, comment il le fait et pourquoi il le fait. Ce qu'il a voulu lui faire acquérir, sentir. Ce à quoi il a voulu le sensibiliser. Il conduit « l'élève » à « s'élever » au-dessus de ce qu'il vient de faire pour en tirer les leçons, pour préparer les situations à venir dans la discipline, certes, mais aussi pour d'autres situations scolaires et non scolaires. Pour sa vie. Pour qu'il s'habitue à donner du sens à ce qu'il fait. À prendre du pouvoir sur sa vie. Qu'apprenons-nous à travers ce que nous faisons ? Quels transferts préparons-nous ? Et, plus simplement, nous préparons-nous, nous habituons-nous, à transférer ? À nous enrichir de notre expérience ?* »[429]

Les éducateurs favorisent cet apprentissage, par exemple, lorsqu'ils : aménagent l'environnement matériel de manière que les enfants se sentent en sécurité lorsqu'ils font de l'exploration par le mouvement ; offrent aux enfants des occasions de mettre à profit leur motricité globale et leur motricité fine ; encouragent les enfants plutôt timides et aident les enfants plus aventureux à évaluer des risques ; proposent des approches saines de l'activité physique ; intègrent le mouvement physique aux activités d'apprentissage puisque le mouvement cinétique aide les enfants à apprendre en utilisant les différentes

[429] **Bernard-Xavier** René, « La culture corporelle », *Tréma* [En ligne], 8 | 1995, mis en ligne le 20 septembre 2013, consulté le 04 septembre 2019. URL : http://journals.openedition.org/trema/2141 ; DOI : 10.4000/ trema.2141

parties de leur cerveau et encouragent les enfants et les autres membres du personnel à demeurer actifs tout au long de la journée.

Il paraît donc clair que dans le contexte éducatif marocain, le corps n'apparaît pas comme une priorité explicite dans les textes des directives éducatives : son rôle-clé reste dévolu à la seule éducation physique et sportive et cela engendre des troubles et des difficultés d'apprentissage, généralement temporaires et contextuelles pourvu qu'elles soient prises en charge de manière précoce. Négligées, elles placent l'enfant en situation d'échec, lui fait perdre sa confiance en lui, en ses capacités et dans son « estime de soi », ce qui a d'importantes conséquences sur sa qualité de vie. L'échec induit une souffrance psychologique et peut conduire au décrochage scolaire et condamner l'enfant à un futur incertain.

4. Les résultats des apprentissages Au Maroc

La problématique des performances des élèves n'est pas chose anodine. Étant partie intégrante de la qualité de l'enseignement, elle demeure une préoccupation majeure au Maroc comme partout ailleurs. En fait, la faiblesse des acquis constitue un problème dans beaucoup de pays à revenu intermédiaire et elle affecte des minorités importantes dans les pays à revenu élevé.

Dans le dernier classement TIMSS 2015 (Trends in International Mathematics and Science Study)[430], ayant ciblé 10.428 élèves du primaire issus

[430] *Cette étude, organisée tous les quatre ans, mesure la maîtrise des sciences et des mathématiques chez les élèves en 4e année du primaire, et ceux en 2e année du collège. Sa dernière étude 2015 (réalisée tous les quatre ans) a ciblé 482.000 élèves dans 49 pays pour le cycle primaire (CM1) et 39 pays pour le collège. Pour l'année 2019 et Selon un communiqué du ministère de l'Éducation nationale, 19.000 étudiants vont participer à cette 7e édition, dont 9.000 en primaire, et 10.000 au collège. Ces élèves sont issus de 518 établissements, dont 265 écoles primaires, et 253 collèges. 1.400 enseignants de sciences et des mathématiques prendront également part à la compétition, dont 600 enseignants du primaire, et 800 au collège. (Données récupérés du Rapport thématique TIMMS 2015, résultats des élèves marocains en*

de 360 écoles marocaines publiques et 13.035 de 361 collèges, notre pays semble être à la traîne. Les conclusions de TIMSS font apparaître qu'entre 1999 et 2015, les élèves marocains du primaire et du collège affichent de mauvaises performances d'apprentissage de ces matières (*337 points en 1999, 347 points en 2003, 341 en 2007, 334 en 2011 et 377 en 2015 sur une moyenne internationale de 500*).

Les performances réalisées dans les matières scientifiques : les élèves du primaire obtiennent un score de 352 points, contre 264 points en 2011, soit une progression de 88 points. (**304 points en 2003, 297 en 2007, 264 en 2011 et 352 pour 2015).**

En sciences (physique, chimie, sciences naturelles), la notation des élèves du collège s'est établie à 393 points en 2015, contre 376 en 2011, ce qui correspond à un gain de 17 points. **(323 points en 1999, 396 en 2003, 402 en 2007, 376 en 2011 et 393 en 2015).**

La performance nationale en mathématiques pour les élèves du secondaire s'est établie à 384 points en 2015, contre 371 en 2011.

Le différentiel avec la moyenne internationale des autres pays étudiés reste encore trop élevé. L'objectif étant donc de rapprocher notre programme scolaire des normes internationales car cette évaluation internationale a révélé que le programme de mathématiques enseigné aux Marocains couvre à peine 30% de celui enseigné dans le monde.

mathématiques et en sciences dans un contexte international rédigé par l'Instance Nationale d'Évaluation (INE) auprès du Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique).

Ce décalage éducatif du Maroc avec les pays avancés s'explique également du fait que nos élèves ont des difficultés à maîtriser la lecture. En fin de primaire, certains élèves sont même incapables de lire une phrase correctement, alors imaginez la difficulté rencontrée pour déchiffrer une formule de mathématiques.

En effet, Les résultats de l'étude PIRLS[431] indiquent que dans plusieurs des 35 pays participant à l'étude, un grand nombre d'élèves de 4e année ont en lecture des compétences limitées. Plus de la moitié des élèves n'ont pas réussi à atteindre le quartile inférieur (la norme internationale) en Argentine, au Brésil, en Colombie, en République islamique d'Iran et au Maroc, parmi les pays à revenu intermédiaire.

Tableau IV : Niveau en Lecture et Compréhension des élèves de 4e primaire au Maroc et à l'International :

A quoi sert l'école primaire?		
Niveau en lecture et compréhension des élèves de 4e année du primaire	Maroc	International
Avancé	0	10%
Elevé	3%	47%
Intermédiaire	14%	82%
Faible	36%	96%
Inférieur au niveau faible (Ne maîtrisant pas du tout les compétences de base)	64%*	4%
Source: CSEFRS sur la base de l'enquête internationale PIRLS 2016		

[431] *PIRLS (Progress In Reading and Literacy Study) 2016 :* pourcentage des élèves de 4e année se situant dans le quartile inférieur de l'échelle internationale des capacités de lecture.

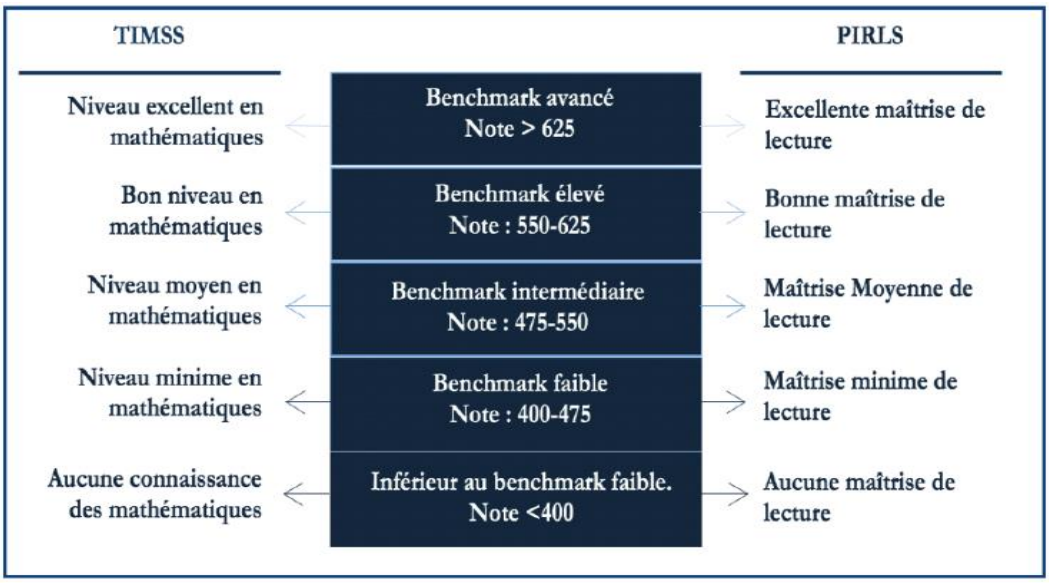

Figure1 : Benchmarks internationaux de TIMSS et de PIRLS

À l'issue de ces évaluations organisées par l'Association Internationale pour l'Évaluation des Rendements Scolaires. Faisant part des principaux dysfonctionnements qui sévissent au sein de l'école marocaine, la réorientation des stratégies mises en place par la vision stratégique s'impose avec acuité.

Partie III : Vers une rénovation des éléments constitutifs du secteur préscolaire

1-Un Système Unifié

On ne cessera jamais de le dire : une meilleure prise en charge des enfants à cet âge précoce est déterminante pour l'ensemble de leur scolarité. Une perspective assez claire pour la politique éducative est, par conséquent, et en premier lieu, d'offrir des services de qualité ; sachant que celle-ci s'évalue à l'aune d'une préparation efficiente des enfants à leur scolarité primaire et à leur vie future. Encore faut-il profiter et emprunter des éléments de l'existant, pour construire une véritable stratégie nouvelle : On perçoit assez clairement la nécessité de faire évoluer le système ;

a- En procédant à l'obligation par « la force de la loi » et à la généralisation du préscolaire : La prise en charge des enfants en matière d'éducation de la naissance à l'âge préscolaire est jusqu'à ce jour et souvent une affaire familiale. Il importe aussi de pouvoir l'offrir au plus grand nombre et sans distinction entre régions, zones (urbaines, périurbaines et rurales) et genres (garçon, fille).

b- En adoptant une dénomination unique des services multiples offerts, une vision éducative rénovée et en définissant des normes communes des institutions d'accueil.

c- Instaurer une tutelle unique et un cadre institutionnel basé sur la bonne gouvernance et développer un plan national basé sur une ingénierie impliquant la collaboration des collectivités locales ; du secteur privé, des ONG et des associations des parents d'élèves et qui doit nécessairement être institutionnalisée par des mécanismes qui les engagent.

d- En octroyant des ressources financières suffisantes et en permettant l'implication des partenaires.

e- En encourageant la recherche scientifique afin d'intégrer les nouvelles connaissances scientifiques dans les cursus de formation professionnelle et dans les pratiques enseignantes.

f- Et enfin en remédiant au problème de l'inexistence des mécanismes de contrôle et d'évaluation et à celui de la formation des éducateurs.

1-1 Le bilan des compétences

Un premier aspect pour lequel la question de l'unification se pose concerne une vision éducative rénovée qui puisse définir des normes communes des institutions d'accueil notamment en matière de référentiels des compétences, entre autres.

La grande diversité d'intervenants et d'offres qui existe appelle à une plus grande homogénéité des pratiques pédagogiques afin d'accompagner le développement global de l'enfant et contribuer à le préparer au mieux à aborder les apprentissages formels au cycle primaire : la construction des pré-requis de référence pour les apprentissages du primaire dans plusieurs domaines de

compétences (langage, spatio-temporel, sériation, codage-transfert, mémoire, motricité fine, comportement, etc.) constitue un enjeu majeur à considérer. Il est donc primordial qu'une politique éducative nationale définisse les éléments d'un socle commun. Eu égard, à l'absence d'un bilan de compétences des entrants en primaire, des programmes peuvent être utilement mobilisés et empruntés à d'autres contextes[432] pour nourrir la réflexion dans cette perspective.

1-2 Les contenus et les approches pédagogiques

Une autre paire de manche consiste à déterminer les contenus pédagogiques, les approches et les modes d'organisation de cette « nouvelle » formule qui serait uniformisée : en fait, concernant les contenus, il faut rappeler qu'il existe une nette différence entre le préscolaire et le primaire à prendre en considération. Ainsi, le préscolaire a comme fonction première d'aider l'enfant à construire son « équipement » cognitif, émotionnel et comportemental, tandis qu'au primaire, la fonction principale est l'acquisition des connaissances formelles. Ce qui importe, ce n'est pas que l'enfant ait déjà acquis des connaissances formelles lorsqu'il sort du préscolaire, mais qu'il soit bien « équipé » pour le faire efficacement lors du cycle primaire. Il faut prendre en compte un bon équilibre entre le développement émotionnel, psychomoteur et social et le développement des compétences cognitives.

1-3 L'Infrastructure

Au préscolaire, la fausse note vient d'abord de l'aménagement des structures. La majorité des classes du cycle ne sont ni bien aménagées ni bien équipées selon les critères et les conditions compatibles avec le préscolaire, particulièrement pour des activités liées au développement de la psychomotricité. L'octroi de ressources financières suffisantes s'avère d'une grande importance.

[432] Il s'agit du programme d'éducation préscolaire élaboré par le ministère de l'Éducation, du Loisir, et du Sport [MELS], 2006 et qui est structuré autour de six compétences qui s'insèrent dans un processus de développement global de l'enfant consultés in http://www.education.gouv.qc.ca/fileadmin/site_web/documents/education/jeunes/pfeq/PFEQ_programme-prescolaire.pdf

« *Les ressources sont une condition nécessaire quoique non suffisante de l'apprentissage, et l'inadéquation des niveaux de ressources dont souffrent de nombreux pays en développement implique que la réforme de l'éducation devrait inclure l'attribution de fonds supplémentaires à côté de considérations plus complexes. Une masse de données indiquent non seulement que les enfants des familles pauvres ont moins accès à l'éducation que ceux des familles plus aisées, mais aussi que ceux d'entre eux qui vont à l'école reçoivent une éducation de moins bonne qualité. Même les pays qui ont réussi à instaurer une certaine équité globale dans l'accès tendent encore à favoriser certains groupes de population ou certaines zones dans l'allocation des ressources consacrées à l'éducation.* »[433].

L'implication des entreprises nationales dans le développement de l'éducation préscolaire est, à titre d'exemple souhaitable. L'une des attitudes de ce genre sont encore embryonnaires au Maroc mais elles méritent d'être encouragées. (Exemple : le fonds BMCE Bank pour l'éducation et le développement : medersat.com).

1-4 De l'importance d'une prise en charge par l'expert en psychomotricité

En cas de présence de difficultés ou de troubles d'apprentissage, une prise en charge par un expert peut être basé sur un bilan fonctionnel de l'enfant (outil déjà expérimenté dans d'autres pays et qui gagnerait à être adapté au Maroc) afin d'élaborer un programme adapté à l'enfant. Selon la difficulté de l'enfant. Les experts en psychomotricité pourraient être engagés par le centre de santé scolaire et seraient une sorte d'itinérants qui travailleraient en fonction des besoins de chaque école de la ville. Le psychomotricien travaillerait en partenariat avec l'équipe enseignante et les autres intervenants éventuels (orthophonistes, kinésithérapeutes, équipe médicale...). Les difficultés observées par l'équipe

[433] Rapport mondial du suivi de l'éducation pour tous, 2005 : Éducation pour tous, L'exigence de Qualité, P.120, Chapitre3.

enseignante au sein du groupe classe pourront ainsi être travaillées en séances de psychomotricité. A l'inverse l'enseignant pourra, s'il le souhaite, reprendre à ses comptes, certaines des adaptations mises en place par le psychomotricien au cours des séances individuelles.

Cet expert travaillerait en collaboration avec l'éducateur principal mais aussi avec la famille dans le cadre d'une co-éducation où tous les acteurs seraient initiés aux principes éducatifs de base. L'implication de la famille permet de stabiliser les apprentissages acquis avec les éducateurs et d'offrir ainsi un contexte de développement à l'enfant.

1.5. La formation du personnel enseignant en psychomotricité au préscolaire

Aujourd'hui, tout le monde s'accorde pour affirmer que la réussite d'un chantier aussi vital que le préscolaire passe par la mobilisation des ressources humaines de qualité. La qualité des enseignants et celle de l'enseignement, au sens large, ont souvent été considérées comme les plus importants des facteurs organisationnels associés aux acquis des élèves. « *La qualité de l'enseignement dispensé aux élèves et la quantité de ce qu'ils apprennent peuvent avoir un impact crucial sur la durée de leur scolarité et sur leur assiduité à l'école* »[434]. La formation (Initiale et continue) des intervenants semble donc être un facteur important afin de permettre aux élèves d'évoluer dans le meilleur encadrement possible. Certains pays du nord de l'Europe (Finlande, Norvège) optent depuis 2010 pour un niveau master : car plus l'enfant est jeune et plus il a besoin d'une prise en charge professionnelle et de qualité.

Or, hormis quelques centres privés urbains et le centre de formation des cadres relevant du Ministère de la Jeunesse et des Sports (notamment Le Centre Youssoufia de la Promotion féminine et des Jardins d'enfants, à Rabat) il n'existe

[434] Rapport mondial du suivi de l'éducation pour tous, 2005 : Éducation pour tous, L'exigence de Qualité.

aucune institution spécialisée dans la formation des éducateurs du préscolaire. Des pratiques de formation (formation initiale des éducateurs - formation sur le tas des éducateurs - formation à thème « selon les opportunités du moment ») dispensés par certains opérateurs de formation comme l'ANAPEC pour le profit du secteur privé, ont le mérite d'exister mais constituent un ensemble très hétéroclite en raison :

- Du manque de formateurs de formateurs préscolaires identifiés et formés.
- De l'absence d'une homogénéisation de la formation sur la base d'une vision unifiée du préscolaire.

Citons, à ce propos l'exemple d'un groupe nommé GPE (groupe petite enfance) et fondé par ATFALE[i] qui permet d'offrir des lieux de stage performants lors de la formation initiale et sur le tas des éducateurs du préscolaire. Les établissements, impliqués dans ce projet, se situent sur l'axe Settat, Casablanca, Rabat/Salé, Kénitra ce qui rend difficile et coûteux la possibilité d'organiser des stages pour un grand nombre d'éducateurs en dehors de cette zone géographique. Ce projet créé par le MEN offre des espaces de formation dans des centres de ressources installées dans toutes les délégations du royaume.

Qui plus est, le groupe ATFALE[435] propose une collection dédiée à la petite enfance afin de pallier à l'absence de formation des éducateurs (trices) mais qui nécessite d'être revisitée. Concernant la production de livrets d'activités pour le préscolaire, il existe un nombre d'opérateurs du secteur qui en proposent une variété guidant l'éducateur dans ses pratiques. Toutefois, il faut souligner ici que ces productions adoptent surtout une vision très classique axé sur les

[435] Créée en 1986, L'Alliance de Travail dans la Formation et l'Action pour L'Enfance (ATFALE) est une organisation professionnelle non gouvernementale de recherche et d'action, à but non lucratif. Elle vise le développement d'une éducation de qualité pour l'ensemble de la petite enfance et particulièrement l'enfance défavorisée au Maroc.

apprentissages fondamentaux à savoir, lire, écrire et compter. Les conséquences d'une telle déficience sont, par ailleurs, sans appel.

Sachant que la psychomotricité est au cœur de nos actions, et ce, dès la petite enfance, il s'avère essentiel que les enseignantes du préscolaire soient bien outillées pour soutenir le développement des élèves sur les plans : sensoriel et moteur. Encore faut-il étudier l'urgence de mettre en place des formations professionnalisantes pour le préscolaire dans les centres régionaux de formation et de l'éducation et de les renforcer par des thématiques tels que (les sujets d'éveil psychomoteur, la psychologie de l'enfant, la psychologie développementale, troubles psychomoteurs, troubles d'apprentissage, etc.). La formation initiale pourrait également comporter un volet supplémentaire en éducation des enfants en difficulté ou en handicap pour sensibiliser les enseignants-stagiaires à l'importance de l'inclusion scolaire et les initier aux principes éducatifs généraux de l'éducation de ces enfants, aux méthodes psycho-pédagogiques et didactiques spécifiques mais aussi les encourager à travailler sur leurs propres attitudes à l'égard des problèmes des enfants (la pratique réflexive).

Il faut soutenir également la collaboration d'autres instituts de formation (notamment les instituts de formation spécialisés dans les disciplines médicales et paramédicales pour l'accompagnement des élèves en difficulté ou présentant un trouble) et ce pour étoffer la formation continue des cadres scolaires.

CONCLUSION

L'éducation psychomotrice est indéniablement un préalable aux premiers apprentissages tels que la lecture, les mathématiques et l'organisation spatiale et temporelle scolaires en utilisant les manipulations et les actions motrices. C'est aussi, ne l'oublions, pas, une pratique éducative permettant l'inclusion scolaire des enfants présentant des troubles moteurs et psychomoteurs. Elle s'inscrit dans une vision pédagogique et de santé holistique de l'enfant.

La mise en place d'une stratégie éducative mettant en avant l'expérience psychomotrice comme une condition sine qua none pour un meilleur rendement serait un tournant décisif pour un préscolaire de qualité.

Or, et comme nous l'avons constaté, l'état des lieux du système préscolaire marocain révèle des dysfonctionnements divers à plusieurs niveaux et requiert une volonté politique ambitieuse afin de procéder aux ajustements requis pour asseoir la nouvelle réforme éducative de manière efficiente.

RÉFÉRENCES

DOCUMENTS OFFICIELS ET RAPPORTS NATIONAUX ET INTERNATIONAUX

- Avis du Conseil N°3/ juillet 17, plan d'action du Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique (CSEFRS), au titre des années 2016-2017 sous l'intitulé : « L'enseignement préscolaire Pilier de la nouvelle école marocaine. »
- CONFEMEN (Conférence des ministres de l'Éducation des États et gouvernements de la francophonie), La diversification de l'offre d'éducation de base : les grands défis pour l'école de demain, Dakar, CONFEMEN. 2013, 129 p. En ligne : http://www.confemen.org/wp-content/uploads/2013/04/DRO-diversification.pdf
- CONFEMEN (Conférence des ministres de l'Éducation des États et gouvernements de la francophonie), Favoriser le développement de la petite enfance et garantir l'accès à une éducation préscolaire équitable et de qualité : un socle pour la réussite des apprentissages, Document de Réflexion et d'Orientation sur le thème de la 58e session ministérielle, 2018.
- COSEF (1999-2009), La Charte nationale de l'éducation et de la formation, Rabat.
- Early Childhood Intervention Analysis of Situations in Europe Key Aspects and Recommendations, Summary Report, European Agency for Development in Special Needs Education, 2003-2004 (version française).
- Instance Nationale d'Évaluation auprès du Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique. Sous la direction de Rahma Bourqia, TIMSS 2015, Résultats des élèves marocains en mathématiques et en sciences dans un contexte international, Amina Benbigua, Houda El Asmai, Rabat 2017
- Instance Nationale d'Évaluation auprès du Conseil Supérieur de l'Éducation, de la Formation et de la Recherche Scientifique. Sous la direction de Rahma Bourqia, Résultats des élèves marocains dans l'étude internationale sur le progrès en littératie PIRLS 2016, Amina Benbiga, Houda El Asmai. Rabat 2019.
- Loi 00-05 relative au statut de l'enseignement préscolaire privé (2000), Rabat.
- OCDE, Résumé des principaux résultats de ''Petite enfance, grands défis 2017 : Indicateurs clés de l'OCDE sur l'éducation et l'accueil des jeunes enfants'', OCDE,

2017, 50 p. En ligne : http://www.oecd.org/education/school/Resume-des-principauxresultats-de-petite-enfance-grands-defis-2017.pdf

- OCDE, Petite enfance, grands défis 2017 : indicateurs clés de l'OCDE sur l'éducation et l'accueil des jeunes enfants (EAJE), OCDE, 2018, 189 p. En ligne : http://www.oecd. org/fr/education/petite-enfance-grands-defis-2017-9789264300491-fr.htm
- UNESCO, Déclaration mondiale sur l'éducation pour tous, Paris, UNESCO, 1990, 10 p. En ligne : http://www.unesco.org/education/pdf/JOMTIE_F.PDF
- UNESCO (2005), Rapport mondial du suivi de l'éducation pour tous, Éducation pour tous, L'exigence De Qualité.
- UNICEF (2009), « La Situation des enfants dans le monde : Célébrer les 20 ans de la Convention relative aux droits de l'enfant », Numéro spécial.
- UNESCO, Éducation pour tous 2000-2015 : Progrès et enjeux ; Rapport mondial de suivi sur l'EPT, Paris, UNESCO, 2015a, 452 p. En ligne : http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002324/232433f.pdf
- UNESCO, Rôle de l'UNESCO dans la mise en œuvre de l'agenda éducation 2030, Paris, Unesco, 2015b, 6 p. En ligne : http://unesdoc.unesco.org/images/0023/002352/235206f.
- UNESCO, Comprendre l'objectif de développement durable 4. Éducation 2030 : Guide, Paris, UNESCO, 2017b, 38 p. En ligne : http://unesdoc.unesco.org/images/0024/002463/246300f.pdf
- UNESCO, Les preuves sont là : il faut investir dans l'éducation et la protection de la petite enfance. État des lieux dans le monde, Paris, UNESCO, 2017c, 312 p. En ligne : http://unesdoc.unesco.org/images/0024/002481/248129f.pdf

WEBOGRAPHIE

- http://unesdoc.unesco.org/images/0024/002482/248254e.pdf
- http://www.education.gouv.qc.ca/fileadmin/site_web/documents/education/jeunes/pfeq/PFEQ_programme-prescolaire.pdf
- Http://Www.Scienceshumaines.Com -Jeu Et Éducation

BIBLIOGRAPHIE GÉNÉRALE

- **Bernard-Xavier** René, « La culture corporelle », Tréma [En ligne], 8 | 1995, mis en ligne le 20 septembre 2013, consulté le 04 septembre 2019. URL : http://journals.openedition.org/trema/2141 ; DOI : 10.4000/ trema.2141
- Champy, Philippe, Eteve, Christiane. Dictionnaire Encyclopédique De L'éducation Et De La Formation.

- Collombet, C., « Préscolaire et périscolaire : quels modèles en Europe ? », Revue des po- litiques sociales et familiales, 2015, no. 120, p. 63-70. En ligne : https://www.persee.fr/doc/caf_2101-8081_2015_num_120_1_3116
- Edouard Claparède, L'école Sur Mesure, Éd. Payot, 1920, 44pages.
- J. de Ajuriaguerra, L'homme se fait en se faisant, Conférence aux Rencontres internationales de Genève, 1965**, Le robot, la bête et l'homme**, Textes des conférences et des entretiens organisés par les Rencontres internationales de Genève 1965 avec le concours de l'UNESCO. Neuchâtel, Les Éditions de la Baconnière, 1965, 360 pp. Coll. Histoire et société d'aujourd'hui.
- Jean Pierre Chauffour: « Le Maroc à l'horizon 2040 : Investir dans le capital immatériel pour accélérer l'émergence économique », Groupe de la Banque Mondiale, 2017.
- Pauline Samson, la psychomotricité par le jeu au préscolaire, coll. Éveil, Éd. Guérin, 1999.
- PERINO O., Des espaces pour jouer : pourquoi les concevoir, comment les aménager, Ed. Erès, coll. Enfance et Parentalité, 2014.
- Rousseau, J.-J., Émile Ou De L'éducation, Paris, Garnier, 1951.
- Shonkoff, J. P., Phillips, D.A. (2000)," From Neurons to Neighbourhood. The Science of Early Childhood Development", National Academy Press, Washington, p.384 (texte traduit de l'anglais)
- STANDING E.M., Maria Montessori à la découverte de l'enfant, Paris, Desclée de Brouwer, 1972.
- **Troadec**, **B**. and **Martinot**, **C**. **2003**. Le développement cognitif. Théories actuelles de la pensée en contextes, Paris: Belin. [Google Scholar]